مجلة الأزهر

٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٧٧

المجلد الواحد والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤٠٩هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول
السنة الحادية والستون
المحرم ١٤٠٩ هـ
اغسطس - سبتمبر ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من يوم الهجرة النبوية الشريفة

لفضيلة الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

اليوم مطلع العام الهجرى الجديد ، نامل أن يكون موقظاً للشعور بثقل الأعباء التى تنوء بها كواهل الشعوب الإسلامية ، وحافزاً للهمم ، وهادياً إلى شرف الغاية .

يستقبله كل مسلم وكل مسلمة ، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله محمد ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى سبيل الدين ، تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحى الله ، ونسجها من خلق رسول الله ﷺ ، واستقرت أحداثها ومقاصدها فى قلوب ومسامع الأجيال مثلًا مضروبا لقواد الإنسانية عامة وقادة المسلمين خاصة ، يستلهمون منها الصبر على مكاره الراى ، والاستمساك فى مزالق الفتن ، والاستبسال فى مواطن المحن والاستشهاد فى سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق .

←

دروس من يوم الهجرة النبوية

لقد بلَّغ الرسول رسالة ربه ، حين أمره فى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ثم جهر بدعوته ، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه فى القرآن : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . .

ولقد تألبت ضده حماقات الشرك والعصبية وعداوات الحسد والمنافسة فما وهن عزمه ، وما استكانت عزيمته ، حين أبت قفار مكة أن ينبت بها هذا الدين ، هذا الغرس الإلهى ، وبعد صبر ومصابرة ومثابرة ، وإعداد واستعداد ، وتكوين للعصبة أولى القوة بالإسلام وبالإيمان ، وبصدق العزم على بيعهم أنفسهم وأموالهم لله نصرة لدينه هاجر الرسول ﷺ تحرسه وتحميه عين الله ورعايته :

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ . . قالها الرسول لصاحبه فى الغار إخبارا بوعد الله وحفظه ..

وهنالك فى دار الهجرة ـ بالصدق وبالإيمان وبالصبر ، وبالرجولة وثباتها وإقدامها أثمر غرس الدعوة الإسلامية وانتشر نور الله وصارت القلة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ملة ، وصارت القرى الثلاث التى شرفت بخُطَا رسول الله ﷺ « مكة ـ الطائف ـ المدينة المنورة » بمثابة قارات ثلاث ، فقد امتد الإسلام ـ فى مدة وجيزة ـ إلى آسيا وأفريقية وأوروبا .

هذا هو العام الهجرى الجديد يهل ، فهل راجعنا السجل ، سجل الألف وما بعدها من أعوام الهجرة منذ كانت ، لنقرأ ما خطه التاريخ من أمجاد أمة .

إن فعلنا عثرنا على مجد العرب والمصريين بل والمسلمين أجمعين ، وسمعنا صوت الأجداد يهيب بنا أن نستلهم الدين ، ونستحث القادة ، ونجمع الشمل ، بدلاً من مجرد قرع الطبول بالويل والثبور ، وقتل الزمن فى تأييد رأى وتفنيد رأى ، أو فى زفاف البشرى ، لو فعلنا لخجلنا من هذا الموقف السلبى ضد الأحداث ، وفقط نصور الخطط بالكلام ، ونطلب النصر فى الأحلام .

انطوت صفحة عام هجرى ، ولم تسجل فى أوطان المسلمين ـ لا سيما العرب ـ غير الأسى والألم فهذه الأهواء المتصارعة ، والأقلام المتنازعة المتدافعة ، فى غير قضية ، وإنما فى أطماع متعارضة وفردية طاغية ، وأثرة تسف ، وخصومة تكيد ولا تكف ، وشعوب تكابد داء الغرور فى زعمائها ، وتكاد تستجير بعدوها من أوليائها ، ننظر هذه الشعوب ، فنرى فى يدها العتاد ، وفى طبعها الاستعداد ، ومع هذا فما تزال وضيعة الشأن فى الحياة لا يثقل بها الميزان ، لأنها تفرقت سدى ، واستثمر عدوها هذا التمزق فأشعل الفتيل ناراً وما أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك .

هذه فلسطين البائسة ، من صبيب دماء أبنائها كان المداد ، ومن نشيج بكائها كان هذا الكلم ، بيعت فى سوق السياسة منذ وقعت فريسة ، تزايد فى هذه السوق أهلها العرب بالحق

والحق رأى واجتهاد ! وبالقانون ، وما القانون إلا ورق ومداد من صنع الإنسان الذى تتغلب عليه الأهواء والمطامع .

ثم يهود العالم كله بقيادة الصهيونية يدخلون هذه السوق بالذهب .. وما أدراك ما الذهب ؟ به يكون الباطل حقاً ، وينزوى الحق حتى يجد من ينتصر له ، وإلى أن يفيق الأنصار ، يظل العرب فى فلسطين مقضيا عليهم بالفشل والتشريد . حتى تهودت القدس أو كادت ، فقد وقعت أسيرة منذ أكثر من عشرين عاماً ، يدافع أهلها بأجسادهم عن الأقصى وسائر مقدسات المسلمين والنصارى فى هذه البقاع التى كرمها الله ، فقد جردوا من كل سلاح إلا الإيمان بالله ، وبأن النصر مع الصبر ، وبأن مع العسر يسراً ، ذلك أنهم استمعوا إلى قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن حثاً على حماية المساجد ودور العبادة فى سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . .

استمعوا إلى هذا فأيقنوا أنهم مكلفون بالدفاع عن مساجدهم ولو تكلفوا ذات نفوسهم وأولادهم ، فأقاموا أجسادهم دون جدران المسجد الأقصى ، يتلقون بدلاً منها الطعنات والطلقات ومعاول الهدم وحفر الأنفاق ، وإخوانهم فى الأوطان الأخرى من حولهم ينظرون إليهم نظر العواد إلى المريض ، يؤنسونه بالبكاء ، والبكاء لا يدفع الموت .

لو انتفعنا بذكريات الهجرة واستفدنا من دروسها لما بددنا الجهود فى التجارب وأفسدنا أمورنا بالتردد ، ذلك أن لنا تاريخاً إنسانياً حافلاً ، فيه لكل عظيمة موقف ، ولكل ملمة تجربة وأن لنا دستوراً كاملاً فيه لكل قضية دليل ومخرج ، فإذا التمسنا دليلنا من وحى الله ، واقتبسنا استدلالنا من روح السلف الصالح ، واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التى سنها الله وانتهجها الرسول ﷺ لاتجهنا جميعاً إلى الغاية ، وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة .

لنذكر أن رسالة الإسلام التى هاجرت مغلوبة من مكة إلى المدينة انطلقت غالبة من الشرق إلى الغرب بفضل مبدئها الإلهى الذى قامت عليه ودعت إليه ونادت به ، وهو توحيد الله وتوحيد الكلمة وتوحيد الغاية ، حيث توحدت العقيدة والعبادة بتوحيد القبلة والشريعة ، ولقد استوثق الأمر لأهلها ما استمسكوا بها ، حتى إذا ما تراخت القوى منهم فى الإسلام عقيدة وشريعة تقاسمتهم الأطماع والأهواء وتمكن من رقابهم الأعداء وجرهم التخاذل

والتواكل إلى ما صاروا إليه اليوم ، ولن يفلتوا منه إلا إذا اعتصموا بحبل الله جميعاً ولم يتفرقوا عنه .

ذلك أن الإسلام روح فهو حياة ، وعقيدة وهو قوة ، وشريعة ، وهو دستور ومحبة وهو سلم وسلام ، كتابه يعلو ولا يعلى عليه فلا تستمسكوا بسواه ، وإنه لعجب أن نتشدق بالدساتير التى صنعناها فى أوطان المسلمين ، ونتنادى بحماية هذه الدساتير بينما لنا دستور واحد من صنع الله ، ونتغافل عنه وربما نتعامى حين يعتدى على كتاب الله وحين تمتهن أحكام الله مع أن السلام لم يعش إلا فى ظل الإسلام ، السلام مع الله ، والسلام مع النفس ، والسلام مع المجتمع ، وسيظل كذلك وئاماً فى الأسرة وسكينة فى النفس ورضا فى العيش وثقة فى الحاكم متى استقام على أمر الله واسترشد فى حكمه بما شرع الله .

والأمل فى الله أن يهدينا وحكامنا إلى خيرى الدين والدنيا ، مع الأخذ فى الحسبان بما قضى به الله فى قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

إن الإسلام دين الله ، وفرق بين ما وضعه الخالق وبين نظام يضعه المخلوق ، الإسلام تحية أهله السلام ، والصلاة فيه مقرونة بالسلام وسمة أهله كما جاء فى القرآن : ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ..

فى ذكرى هجرة الرسول ﷺ ينبغى أن نأخذ أنفسنا بالهجرة التى شرعها الله ، فنهجر المنكرات ونقبل على الطاعات ، ونجاهد أنفسنا استقامة على طريق الله المستقيم ، بنية صادقة ثابتة ، نبتغى بها إصلاح أنفسنا وأوطاننا ، نجتمع بها ولا نتفرق نقول الحق ونعرض عن قول الزور وإشاعة البهتان والضلال ، تحت مسميات وسمات لم تنبت فى عرفنا ولا على أرضنا وإنما شاعت وذاعت بين عبدة الآلة التى تحترق مع وقودها دون أن يكون لديهم روح تمدها بالقوة والعزم ، ودون أن تكون لهم صلة وثيقة بالله الذى خلق فسوى وقدر فهدى ..

إن حقائق كثير من الأمور الجارية لم تتضح من الجدل الدائر حولها ، لأن بعض الكاتبين فى شأنها قد يكون ألحن بحجته من الآخر ، فتاه الناس بين هؤلاء وأولئك ، مع أن مهمة كل هؤلاء أن يقولوا للناس حسنا تبيانا للحق وحماية له واستهدافاً لغاية نبيلة هى وحدة الأمة والسير بها بخطوات حثيثة إلى نمو عقلى وعلمى وإسلامى يصل بها إلى ما تصبو إليه من رفاهية مما أحل الله وأباحه لبنى الإنسان ولا يلحدون فى آيات الله ، حيث توعد الله سبحانه من يفعل هذا فقال فى سورة فصلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا .. ﴾ ..

وفى حياة الرسول ﷺ فى المدينة دار الهجرة كان بعض هؤلاء الذين دأبوا على لحن القول

وتحريف الكلم عن مواضعه ، ذلك قول الله في سورة "محمد" : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ.وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ . .

في ذكرى الهجرة لابد أن نوجه القول إلى أولئك الذين يروعون الآمنين في كل وقت ويشغلون الناس بقضايا غيرها أولى منها بالمواجهة ، هؤلاء الذين اعتدوا على مسجد لأنه في ظنهم ينافس مسجدهم أي أنه مسجد ضرار أو أنه يهيىء بعض الهدايا لإهدائها إلى المصلين يوم العيد ، ألم يعلم هؤلاء أن للمساجد حرمتها ، وأنه لا يحل لأي مسلم بل ولا لأي إنسان أن ينتهك هذه الحرمة ، وأن كل المساجد لله ، كما جاء في القرآن الكريم في سورة الجن : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ . . ألم يعلم أولئك الذين يعطلون الشعائر في بعض المساجد أن الله سبحانه قال في سورة البقرة : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . .

اذكروا أيها الناس جميعاً قول الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ . .

إن للمساجد رسالة ، فعلى القائمين عليها إجادتها وإحسان أدائها وعلى الغير من كافة الجهات والسلطات احترام هذه المساجد والتمكين من أداء رسالتها في نطاق آداب الإسلام وأدب الدعوة إلى الله كما فصلها القرآن وشرحتها سنة رسول الله العملية والقولية والتقريرية .

في ذكرى الهجرة ونحن نعيش عصراً مادياً في كل مظاهره ، ينبغي أن نحيي في نفوسنا ـ نحن المسلمين ـ أصول الإسلام وأخلاق القرآن حتى لا نغرق في المستنقع الذي غرق فيه غيرنا فانحل فيهم رباط الأسرة ، وانفرط عقد وحدتها ، وانحسر سلطان الأبوين ، وضعفت أو كادت أن تزول قيادتهما ، مع أن الأسرة هي اللبنة الأولى في مجتمع المسلمين إذا صلحت ، فتآلفت وتواصلت قوى هذا المجتمع ، وصلح أمره كله ، فكان الصدق والوفاء والأمانة والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، وكان المجتمع الإسلامي كما كان قوياً متماسكاً متناصراً متراحماً ، متكافلاً متحلياً بأدب الإسلام وأخلاقه ..

في ذكرى الهجرة يسعد الأزهر الشريف أن يذكر بالتقدير قرار إيران بقبول وقف الحرب مع العراق .. ذلك القرار الذي انتظره العالم الإسلامي على اختلاف شعوبه ، بل العالم كله .. ويحث الأزهر الشريف : إيران والعراق على تذليل كل عقبة تحول دون إنهاء هذه الحرب التي أفقدت المسلمين الكثير من الأنفس والأموال وأضاعت قضايا كانت في حاجة إلى هذه الجهود التي أنفقت وما تزال سواء في تزويد الحرب أو في وقفها .

←

ويذكر الأزهر الشريف بمزيد من التقدير ، رغبة العراق ودعوته الدائبة إلى وقف الحرب والصلح الذي تتفرغ به الدولتان إلى إصلاح ما فسد واعمار ما تخرب من البلاد والعباد .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الحكومات والشعوب الإسلامية خاصة إلى مساندة وتأييد إنهاء الحرب والتعاون مع طرفيها على تذليل كافة الصعوبات لدى المؤسسات الدولية التى تتولى هذا الأمر في المحيط الإسلامي .

وينبه الأزهر الشريف إلى ضرورة الحذر من العدو الأول للإسلام وللمسلمين الذي أوقد هذه الحرب وغذاها واستراح إلى الاستمتاع بلهيبها ، وبالدمار والخراب الذي تخلف عنها وآثارها لا فى الميدان فحسب ، بل في بلاد المسلمين بوجه عام ، وكان الرابح الوحيد هم تجار السلاح وصناعه ، فقد وجدوا سوقاً رائجة وحرباً مستعرة لمدة ثمانى سنوات .

إن هذا العدو وأولياءه وأتباعه سيحاولون التعطيل وإثارة الفتن والقلاقل في بلاد المسلمين ليشغلوهم عما يجرى فى فلسطين ، ولا ينبغى أن تظل الحكومات والشعوب الإسلامية فى موقف المتفرج بل لابد أن يبادروا إلى تأييد الفلسطينيين بكل الطرق حتى يثبتوا دفاعاً عن أرضهم وعن عرض كل المسلمين ، بل وعرض الإنسانية كلها التى فرطت حين تغافلت عن استباحة الصهيونية أرض فلسطين واجتياحها وطرد أهلها منها ، فى عصر تتنادى فيه المؤسسات الدولية بحقوق الإنسان وبالسلم والسلام .

فى هذه الذكرى الشريفة ينبغى أن نذكر أن الهجرة كانت عملاً جليلاً ، فمنذ أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى يثرب موطن القوم الذين آمنوا بالله وبرسوله وبكتابه والذين أعطوا العهد والميثاق أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ونساءهم والرسول يخطط ويختار لكل عمل عامل .

فهذا الصبي على بن أبى طالب يبيت فى مكان نوم الرسول حفيظاً على الأمانات المودعة لدى الرسول بوصفه الأمين ليردها على أهلها ، وهذه الصبية ـ أسماء بنت أبى بكر ـ لها مهمة وراعى الغنم له مهمة ، بل وقائد رحلة الهجرة ومرشدها عبد الله بن أريقط ، ولم يكن قد أسلم بعد .. له مهمة .

فهل نفقه ما فى هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حكم وأحكام ؟ ويقلع من غاب عنهم هذا الفقه عما لغوا به من باطل القول وزوره في كثير من أمور العقيدة والشريعة فى الإسلام دون سند .

نعم ينبغى أن ننعم النظر ونفقه ما فى ترتيب الهجرة والتخطيط لها والاستعانة بالخبرة ونتعلم منها ما لم نكن نعلم من شئون الدين والدنيا ، وأن نفقه أن الدعوة إلى الله وإلى الإسلام علم وعمل ، وأن الإسلام قام عليهما ، وليس على الأماني والأحلام .

أليس في كتاب الله قوله سبحانه في سورة التوبة : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . .

أليس الله قد قرن العبادة بالعمل في قوله سبحانه فى سورة الجمعة : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . .

لنذكر نعم الله التى لا تعد ولا تحصى ، كما قال سبحانه في سورة النحل : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . . لنذكر هذه النعم التى لا يملكها إلا الله ولا يعطيها أو يمنعها إلا الله ، ولنعلم أن نعم الله لا تطلب بمعصيته ، وإنما تنال بطاعته وبالاستغفار والتوبة والتقرب إلى الله ذلك قول الله سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا.وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ . . وفى سورة هود : قوله تعالى :
﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ . .

لنذكر أن الله سبحانه قد اختص هذه الأمة بأسباب الصلة به اتقاء لعذابه ، وما كان يعاجل به الأمم السابقة حين أسرفوا في العصيان ومرقوا من الطاعة وكذبوا الرسل .

نعم لنذكر أن الله سبحانه خاطب رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القرآن الكريم بقوله فى سورة الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . . سبب انتهى بانتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى وبقى السبب الآخر وهو الاستغفار والتوبة والدعاء والتضرع .

لقد غفلنا عن هذا السبب فى غمرة المادية الطاغية ، حين ألم بمصر العزيزة طيف جفاف النيل ، وتوقع نضوب موارده ، وتعالى الصراخ ، وتنادى هؤلاء وأولئك إلى حلول لم يجدوا فى أيها منفذاً ، وغفلوا عن : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . . وأن الله هو الذى يرسل الخير،وأن الصلة بالله قد أبانها القرآن في هذه الآيات وغيرها ، وأن وعد الله لا يتخلف وها هو الله الرحمن الرحيم قد لطف بهذا الشعب فجرى النيل بإذن الله استجابة لدعاء الصالحين ورحمة بالناس وبسائر المخلوقات التى جعل الله في الماء حياتها من زرع وطير وضرع : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ . .

إن فى شكر النعمة استبقاء لها ومزيداً منها ، ذلك وعد الله في كتابه فى سورة إبراهيم : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ . . وفى سورة القمر في شأن قوم لوط : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ.نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ . . ولقد حملت الأنباء أن الخير قد عم ، وأن الأمطار قد هطلت على جهات كثيرة في البلاد العربية .

فهيا أيها المسلمون إلى شكر الله سبحانه على هذه النعمة ، وسؤاله المزيد من فضله ،

←

وأن يرفع عنا البلاء والغلاء ، وأن ينبت لنا الزرع ، ويحيى الضرع ، عرفاناً لقدر هذه النعم وقدر مهديها ..

نداء أوجهه إلى رجال الدعوة جميعاً فى كافة أنحاء العالم الإسلامي ، وفي مصر بخاصة ، أدوا سجدة الشكر وعلموها الناس عقب صلاة الجمعة القادمة في المساجد ، وفي كل مكان تؤدى فيه الصلاة ، ومن قبلها استغفروا الله وتوبوا إليه ، وادعوه فقد تفضل الله سبحانه على هذه الأمة فوعد بالإجابة ، فقال فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .. وقال في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

فى ذكرى الهجرة نذكر حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتفق عليه (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) .. ونذكر الحديث الشريف الذي رواه البخارى عن ابن عباس (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) ، وأن الجهاد متنوع الميادين فمنه جهاد الأعداء ومنه جهاد النفس ونهيها عن غيها وإلزامها طاعة الله ، وطلب العلم جهاد ، وطلب الرزق من طرق حلال جهاد ، والإنفاق على الزوجة والأولاد والأبوين جهاد ، كما ثبت بالأحاديث الصحيحة الشريفة ، وليبدأ كل منا بجهاد نفسه وأهله حتى نعود بالمجتمع إلى كمال الإسلام وتمام الإيمان وصدق اليقين ، ولندع إلى الله على بصيرة بآداب هذه الدعوة كما شرعها الله فى كتابه وعلى لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب الذكرى الذي قال الله له فى القرآن فى سورة آل عمران : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .. وقال عنه فى سورة(ن): ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ..

وباسم الأزهر الشريف : أقدم أخلص التهانى إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الأمة الإسلامية بهذه الذكرى المباركة .. وأن تكون بدءاً لعام وعهد جديد حافل بالمودة والمحبة والألفة والتعاون فيما بينهم لخير الشعوب الإسلامية في الدين والدنيا.ذلك قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ..

شيخ الأزهـــــر
(جاد الحق على جاد الحق)

غـرة المحرم ١٤٠٩ هـ
١٣ من أغسطس ١٩٨٨ م

الحوار المتبادل

للدكتور علي أحمد الخطيب

تأكد لقريش ـ بعد فوات الأوان ـ حصول رسول الله ـ ﷺ ـ على عَهْدٍ بـ « حوار » مع زعماء الأنصار من قبيلتي : الأوس والخزرج أهل « يثرب » صارتا به مسئولتين عن حماية رسول الله ـ ﷺ ـ وصحبه رضوان الله عليهم ـ ولو أدى ذلك إلى « حرب الأحمر والأسود من الناس » .

وإنما تأكد ذلك لقريش ـ بعد فوات الأوان ـ بسبب إحكام التدبير لتلك الجلسة التي التقى فيها رسول الله ـ ﷺ ـ بالأنصار ، فقد حضر هؤلاء الموسم لا يعلم مشركُهم عن مسلمهم شيئا ، فلما حان اللقاء انسل إليه المسلمون دون أن يشعر بهم أصحابُهم المشركون ـ ومضوا إلى « شعب العقبة » ، وهناك كان العباس بن عبد المطلب ـ وكان لازال مشركا ـ قد احتاط لرسول الله ـ ﷺ ـ فأوقف عليا ـ رضى الله عنه ـ عيناً على رأس أَحَدَىْ ممرّ الشعب ، وأوقف على الآخر أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ فتأكد ـ بذلك ـ ألا يَخْلُصَ للقوم إلا من كان منهم . وكان العباس ـ إذا ارتفعت الأصوات ـ يقول ـ رضى الله عنه : اخفوا جرسكم(1) ؛ فإن علينا عيونا !

قال كعب بن مالك ـ يحدث عن تلك الليلة :

« ... نمنا تلك الليلة مع قومنا ـ في رحالنا ـ حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ـ ﷺ ـ نتسلل تسلل القطا(2) مُستخفين حتى اجتمعنا ـ في الشعب ـ عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا »(3) .

وألقى ـ عز وجل ـ النوم على مشركي « يثرب » فلم يشعروا بتلك الجماعة من صحبهم التي قضت ليلتها مع رسول الله ـ ﷺ ـ قال :

←

(1) صوتكم .

(2) نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء معروف بالخفة وعدم الجلبة .

(3) هما : أم عمارة : نسيبة بنت كعب من بني مازن بن النجار . وأسماء بنت عمرو بن عدي من بني سَلِمة .

« فرجعنا ـ إلى مضاجعنا ـ فنمنا حتى أصبحنا ؛ فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا :

يامعشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه ـ والله ـ مامن حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ـ منكم .

فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون : ماكان من هذا شىء ، وما علمناه .. وَصَدَقُوا .. ، لم يعلموا .

وبعضنا ينظر لبعض » .

بل كان على رأس الحالفين ابن أبىّ بن سلول ـ رأس المنافقين فيما بعد ـ أكد لقريش أن شيئا من ذلك لم يحدث .

وكان ذلك بفضل إحكام اللقاء .

●● ●● ●●

وَعَمِيَتْ قريش عن الحقيقة فترة زمنية كانت كافية لينفر الكثير من الحجيج من « منى » إلى ديارهم ، ومنهم أهل يثرب .. خرجوا سالمين .. إلا واحدا هو ـ رضى الله عنه ـ موضوع دراسة « الجوار المتبادل » .

على أنه ينبغى إلقاء نظرة على تدبير قريش الرهيب الذى أتى عليه تماما هذا الحدث الأخير فجرده من أثره ومحتواه .

لقد نجحت قريش من قبل فى أن تغطى أرض الجزيرة بدعاية ضد رسول الله ﷺ ـ حسبك أن تقرأ عنها الخبر التالى لتعلم إلى أى مدى فازت قريش بإبعاد الناس عن محمد ـ ﷺ .

روى الإمام أحمد ـ بمسنده ـ فى هذا الشأن عن جابر ـ رضى الله عنه روايتين(٤) لمضمون واحد ساقه الإمام ابن كثير جامعا بينهما قال ـ رحمه الله :

مكث رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة عشر سنين ، يتبع الناس فى منازلهم : بعكاظ ومَجَنَّة ، وفى المواسم ، يقول :

من يُؤْوينى ؟ من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة ؟

فلا يجد أحدا يؤويه ، ولا ينصره حتى إن الرجل ليخرج من اليمن ، أو من مضر ، فيأتيه قومه ، وذوو رحمه فيقولون : احذر غلام قريش . لا يفتنك ويمضى (أى رسول الله ـ ﷺ) بين رحالهم ، وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من « يثرب » فآويناه وصدقناه » .

إلى هذه الدرجة نجحت قريش فى إبعاد الناس عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى ليتلقى الركب تحذيرا من قبيلته قبل أن يتجه إلى الأرض الحرام ، فإذا حل فيها ، يرأوا رسول الله ـ

---

(٤) انظر « المسند » ٣٢٢/٣ و٣٣٩ ـ الميمنية .

ﷺ - يسير بين مضاربهم داعيا إلى الله وحده أشار بعضهم إلى بعض للتعريف بشخصه تأكيداً للبعد عنه .

وكان فى نجاح البيعة تلك الليلة الخالدة انهيار لتدبير قريش فقد وقع ما حذرت منه ، وضاع جهدها هباء ، وانتصر - عليه الصلاة والسلام .

وكان الحديث فى تلك الليلة واضحا فاصلا حدد ما يريد رسول الله - ﷺ قال أبو أمامة الأنصارى - رضى الله عنه - لرسول الله - ﷺ : « سل - يامحمد - لربك ماشئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ماشئت ، ثم أخبرنا : مالنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك ؟

قال ﷺ :

أسألكم لربى أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا .

وأسألكم - لنفسى وأصحابى - أن تُؤْوُونَا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟

قال : لكم الجنة .

قالوا : فلك ذلك .

قال جابر الأنصارى - رضى الله عنه : فقمنا إليه فبايعناه » .

ومن عباراته - عليه الصلاة والسلام - بشأن هذه البيعة للأنصار - كلمات لم يتحدث بها رسول الله - ﷺ - لغير القوم - فيما أعلم ، فقد قال لهم :

« دمى ودمكم واحد .. وذمتى ذمتكم .. أنا منكم وأنتم منى(*) » .

وياله من شرف !!

وقرر لهم - عليه الصلاة والسلام - اثنى عشر نقيبا : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، وتمت لتلك البيعة مقوماتها : عهدا وقبولا وتنفيذا .

●●

كان لابد أن نبسط القول عن هذا « الجوار » نظرا إلى أنه « أهمُّ » عهد فى الإسلام ، انطلق - بعده - الدين إلى آفاق الأرض ليس يستطيع أن يصده أحد ، ولقيمته الفاصلة ولآثاره الهائلة كان حَنَقُ قريش حين تأكدت الخبر فخرج رجالها يطاردون أهل « يثرب » فلم يدركوا منهم إلا اثنين من الخزرج هما : المنذر بن عمرو ، وسعد بن عبادة - رضى الله عنهما .

فأما المنذر فأعجزهم مطاردة فلم يدركوه ، ووقع سعد بأيديهم .. وكان منتظراً أن يُلِمَّ بسعد من العذاب ما تشتفى به قريش بعض الشىء لولا جوار تبادله مع رجال من قريش ، كان وقعه على نفوسهم أشد نكالا وأعظم ألما فقد كفهم عن الرجل فأبقى فى نفوسهم غصصا يجترونه غيظا وكمداً ، فابتلعت قريش غضبها لا عن حلم ، بل عن عجز كان ضريبة مباشرة لموجبات « الجوار » .

هذا « الجوار المتبادل » يقوم بين طرفين ليسا من موطن واحد مهما تباعدت بهما الديار -

←

(*) انظر الحلبية وابن كثير فى تلك البيعة .

يتعهد فيه كل منهما بـ « جوار » أخيه وحمايته ، ودفع الظلم عنه وعمن يلوذ به من طرف أخيه . ويتم عقده على ذلك .

وقد يبدو ـ للوهلة الأولى : أنه عهد خرج عن « الجوار » إلى « الحلف » لأنه يقوم بين طرفين متكافئين(٦) .

نقول :

ليس حلفا .. لكنه « جوار » لفارق دقيق ، فإنه حيث تُطْلَبُ ثمرته .. يكون أحد الطرفين أضعف ما يكون قوة ، وأطلب ما يكون حماية ، يقابله ـ حينئذ ـ الطرف الآخر الذى يقوم بحمايته ، فإذا هو أقوى ما يكون قوة ، وأمكن ما يكون حماية ؛ فيسرع بحماية أخيه ، فهو جوار ـ إذاً ـ لا حلف ، إذ الحلف طرفاه متكافئان على كل حين .

●●

ما أن وقع سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ بأيدى القوم ـ حتى ربطوا يديه إلى عنقه بشِرَاك رحله ، ثم أقبلوا به يضربونه ويجذبونه بِجُمَّتِهِ حتى دخلوا به مكة ، وإنه لكذلك إذ رأى سهيل بن عمرو ، وكان وضيئا جميلا شعشاعا حلواً من الرجال ، فتوسم سعد فيه خيرا ؛ فإذا بسهيل يرفع يده فيلكمه لكمة شديدة .

قال سعد : فقلت ـ فى نفسى : لا ـ والله ـ ما عندهم بعد هذا من خير ! وإنه لفى هذه البلوى قد نسى جواره إذ تقدم منه أبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، فقال له : ويحك ، أما بينك وبين أحد من قريش « جوار » ولا « عهد » ؟ قال سعد : قلت : بلى ، والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث بن أمية بن عبد شمس .. قال أبو البخترى : ويحك فاهتف باسم الرجلين ، واذكر مابينك وبينهما .

قال سعد : ففعلت .

وانطلق أبو البخترى فوجد الرجلين بالكعبة ، فقال لهما :

إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالأبطح ليهتف بكما !

قالا : من هو ؟

قال : سعد بن عبادة .

قالا : صدق ، والله ، إن كان ليجير لنا تُجَّارَنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده .

فانطلقا إليه فخلصاه .

واضح من ذلك أن إعلان « الجوار » سبيل حاسم فى رفع الأذى،وأن حدثا فريداً فذا ـ فى هذا الباب ساقه الله ـ عز وجل ـ إلىَّ وإن فيه لدلالة حية على مدى أثر « الجوار » فى كف الأذى وقمع العدوان حتى أثناء قيام أشد الظروف ضراوة ، وأدعاها للقسوة ، وأسرعها تلبية إلى إنزال الثأر والانتقام .

(٦) انظر افتتاحيتى مجلة الأزهر : المحرم وربيع الأول ١٤٠٨ هـ

وقع الحدث بالحرم ـ قلب مكة ـ بين مكى ومدنى ، وقريش على أحر ما تكون حنقا وغيظا وأطلب ما تكون ثأرا وانتقاما من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه ـ رضوان الله عليهم ـ قرشيين أو مدنيين ، وكان الحادث بين مكى ومدنى ، ووقع بعد هجرة رسول الله ـ ﷺ ـ وخلوصه وصحبه سالمين .. إلى المدينة .

والحدث رواه الإمام البخارى فى صحيحه ، والإمام أحمد ـ بمسنده ـ كلاهما بموضعين ، وألم الإمام شهاب الدين بن حجر برواياته المتعددة وأودع خلاصتها بشرحه : فتح البارى[7] ، ونحن نقدم جُزْأَهُ الذى يعنينا ـ فى ضوء ذلك كله .

تآخى أمية[8] بن خلف بن أبى صفوان ـ وهو من قريش ـ وسعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ وهو من المدينة ، وكان إخاء قديما من قبل أن يسلم سعد ـ رضى الله عنه ، وهو إخاء يستلزم فى مقدمة مايستلزمه جوار كل منهما لأخيه ، فكان أمية إذا ارتحل شمالا فمر بالمدينة نزل على سعد ، كذلك كان سعد إذا انطلق جنوبا فدخل مكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ مهاجراً ونزل المدينة ، انطلق سعد إلى مكة معتمراً فنزل على أمية ، ولعلمه بالأحداث أراد ألا يحرج أمية ، فقال له : انظر لى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت .

فقال أمية : ألا تنظر حتى يكون نصف النهار !

فخرجا قريبا من نصف النهار ، وأخذ سعد ـ رضى الله عنه ـ فى الطواف ، فإذا أبو جهل فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك ؟

قال أمية : هذا سعد .

فقال أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصباة[9] ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما ـ والله ـ لولا أنك مع أبى صفوان مارجعت إلى أهلك سالما[10] .

●●

بانتهاء هذا العرض للجوار المتبادل يتبين للقارىء أن الجوار المتبادل ـ فيما قدمنا من أحداث هو جوار « خارجى » يخالف ماقدمنا من جوار « داخلى » كجوار أبى طالب والمطعم بن عدى ـ وكلاهما من قريش ـ لرسول الله ـ ﷺ وهو قرشى ـ عليه الصلاة والسلام .

تم كلا الجوارين « داخل » القبيلة .

وإتماما للجزء الآخر والأخير من الجوار الخارجى : ثمة جوار يطلبه المستجير من أحد السادة من غير قبيلته ليجد فى ظله أمنا وأمانا ، فإذا أجابه إليه انتقل المستجير إلى أرض المجير وأقام فى حمايته ، فهو جوار خارجى غير أنه يتم دون إلزام المستجير بتحمل الإجارة فى مكان آخر .

ولديك لكل أكثر من مثال[11] .

---

(٧) انظر صحيح البخارى بابى : المناقب والمغازى ، وحديثى المسند لابن حنبل : (٣٧٩٤ ـ ٣٧٩٥) وراجع لابن حجر ـ فتح البارى ٧/٢٠٠ الأميرية .

(٨) ويكنى باسم ولده صفوان ، فيقال له : ياأبا صفوان .

(٩) الخارجين على الدين ، يقصد المسلمين المهاجرين .

(١٠) فى بقية الخبر طرافة وجودة ، وبيان بإحدى معجزات النبى ﷺ .

(١١) راجع مجلة الأزهر ـ ربيع الأول ص ٢٥٧ ... وما بعده .

حديث عن الجمعة وأول مسجد وخطبة الجمعة فى الإسلام

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٩ ـ الجمعة .

البيـــــــان

كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بمكة لا يستطيع أن يُجَمِّع بمن أسلموا معه من أهلها ، بسبب عداوة قريش لهم وللإسلام ، فلذا كان المسلم فيها يصلى منفردا فى أى مكان لا يتعرض فيه لأذى قريش .

ولما هاجر ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة بنى أول مسجد فى الإسلام « بقباء » فى طريقه إلى المدينة ، وأما أول جمعة فى الإسلام فقد صلاها أسعد بن زرارة فى المدينة ببعض من أسلم فيها ، وذلك قبل هجرة النبى ـ ﷺ ـ إليها .

قال ابن سيرين : جمَّع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى ـ ﷺ ـ إليها وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سموها الجمعة ، وذلك أنهم قالوا : إن لليهود يوما يجتمعون فيه فى كل سبعة أيام وهو يوم السبت ، وللنصارى مثل ذلك وهو الأحد ، فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله ونصلى فيه ونستذكر ـ أو كما قالوا ـ فقالوا : يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة ـ أبو أمامة رضى الله عنه فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم ، فسمَّوه يوم الجمعة حين اجتمعوا ، فذبح لهم أسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم ، فهذه أول جمعة فى الإسلام ـ هكذا روى ابن سيرين .

وعقب القرطبى على هذه الرواية بقوله : إنهم كانوا اثنى عشر رجلا ، ومن هذه الرواية عرفنا أن يوم الجمعة كان يسمى فى الجاهلية : يوم العروبة ، ثم سماه الأنصار يوم الجمعة لاجتماعهم فيه .

وقيل : أول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤى بن غالب بعد أن كان يسمى يوم العروبة ، وهو أول من قال : أما بعد ـ حكى هذه الرواية أبو سلمة .

وأما أول جمعة جمعها النبى ـ ﷺ ـ

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

بأصحابه ، فكانت فى طريقه إلى المدينة مهاجرا ، وذلك أنه - ﷺ - نزل بقباء - حين اشتد الضحى - على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[1] ، فأقام بقباء إلى يوم الخميس ، وأسس مسجدهم ، وكان أول مسجد بناه النبى - ﷺ - فى الإسلام ، ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة ، فأدركته الجمعة فى - بنى سالم بن عوف - فى بطن وادٍ لهم ، وكانوا قد اتخذوا فيه مسجدا ، فجمع بهم وخطب فيهم وهى أول خطبة للجمعة خطبها النبى بالمدينة .

ومن هذه الرواية عرفنا أن أول مسجد بنى فى الإسلام ، كانَ فى بنى سالم بنْ عوف ، بنوه قبل الهجرة ، وأن أول مسجد بناه النبى - ﷺ - كان بقباء كما تقدم وقد خطب النبى - ﷺ - خطبة عظيمة فى مسجد بنى سالم بن عوف فى بطن الوادى ، قال فيها :

(الحمد لله . أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادى من يكفر به ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الأجل .

من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرّط وضل ضلالا بعيدا .

أوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أَوْصَى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، واحذروا ما حذركم الله من نفسه ، فإن تقوى الله - لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه - عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة .

ومن يصلح الذى بينه وبين ربه من أمره فى السر والعلانية ، لا ينوى به إلا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره ، وذخرا فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[2] هو الذى صدق قوله وأنجز وعده ، لا خلف لذلك ، فإنه يقول تعالى ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3] فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية ، فإنه ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[4] ، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما .

---

(١) ومن تلك السنة بدأ تاريخ الإسلام .

(٢) آل عمران - ٣٠ .

(٣) ق - ٢٩ .

(٤) الطلاق - ٥ .

حديث عن الجمعة

وإن تقوى الله تُوَقِّي مَقْتَهُ وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجوه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله ، فقد علمكم كتابه ، ونهج لكم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله تعالى ، واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله ، يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ما لا يملكون منه ، الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) .

هذا ما نقله القرطبى ، ولم يذكر معه الخطبة الثانية ، ولعل ذلك كان فى أول الهجرة ، ثم تحول إلى خطبتين .

والجمعة بضم الميم أو تسكينها قراءة ، وفيها الفتح لغة ولم يقرأ به ، والمقصود بنداء الجمعة أَذَانُها ، وسمى نداء لما فيه من طلب الحضور إلى الصلاة وإلى الفلاح فى قول المؤذِن : حى على الصلاة حى على الفلاح ، أى أقبلوا عليهما .

الأذان فى عهد الرسول وعهود الصحابة

كان النبى - ﷺ - إذا صعد المنبر يوم الجمعة ، أذن مؤذن ليدعو الناس إلى الصلاة ، فإذا نزل أقام ، أخرج ابن ماجه فى سننه من حديث محمد بن إسحاق عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد قال :

ما كان لرسول الله - ﷺ - إلا مؤذن واحد . إذا خرج - أى من حجرته - أذن - وإذا نزل أقام ، وأبو بكر وعمر كذلك ، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث(٥) . على دار فى السوق يقال لها الزوراء(٦) ، فإذا خرج أذن المؤذن ، وإذا نزل أقام .

وقال الماوردى : فـأما الأذان الأول فمحدث ، فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها .

وفى الحديث الصحيح أن الأذان كان على عهد رسول الله - ﷺ - واحداً ، فلما كان زمن عثمان زاد الأذان الثالث على الزوراء بعد الإقامة أذانا ، وفى ذلك يقول ﷺ : « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » يعنى الأذان والإقامة ..

قال القرطبى : ويتوهم بعض الناس أنه أذان أصلى للجمعة ، فجعلوا المؤَذِّنَيْن ثلاثة فكان وهماً ، ثم جمعوها فى وقت واحد فكان وهماً على وهم ، ورأيتهم يؤذنون فى مدينة السلام بعد أذان المنار أى المئذنة ، رأيتهم يؤذنون بين يدى الإمام تحت المنبر فى جماعة ، كما كانوا يفعلون عندنا فى الدول الماضية ، وكل ذلك محدث .

---

(٥)ويكون أولاً ، وإنما جعل ثالثاً ، لأن الأذان والإقامة أذانان وهو الثالث .

(٦) كانت هذه الدار لعثمان على مرتفع بسوق المدينة اسمه الزوراء ، فسميت داره باسمه .

حكم أداء الجمعة

أداء الجمعة فرض عين على كل مكلف ، وعلى ذلك الأمة والأئمة ، وغلط من قال : إنها فرض كفاية ، قال تعالى ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أى فاسعوا جميعاً أيها المكلفون لأدائها وسماع الخطبة قبلها .

● وثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »(٧) وفى سنن ابن ماجه عن أبى الجعد الضمرى - وكانت له صحبة - قال - قال رسول الله ﷺ « من ترك الجمعة ثلاث مرات متهاوناً بها طبع الله على قلبه »(٨) .

● وثبت عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ - « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه »(٩) .

« فاسعوا إلى ذكر الله »

المراد من السعى إلى ذكر الله المشى لحضور خطبة الجمعة وصلاتها ، بدون إفراط فى السرعة ، جاء فى الحديث مقابلة السعى بالمشى ، وجعل ذلك من خصائص الجمعة ، فقد أخرج الستة فى كتبهم عن أبى سلمة من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون - أى تسرعون فى المشى - وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » .

والأمر بالسعى للوجوب ، واستدل بذلك على فرضية الجمعة ، حيث رتب الأمر بالسعى إلى ذكر الله على سماع نداء الجمعة ، وكما ثبتت فرضيتها بهذا النص ثبتت بالسنة والإجماع ، وقد صرح بعض الحنفية بأنها بدل من فرضية الظهر ، وبتكفير جاحدها وهى تجب على المكلف المقيم ، أما المسافر فإنها مستحبة بالنسبة إليه ، وسيأتى لذلك مزيد بيان .

ومن كانت داره بعيدة عن المسجد ، فعليه أن يبكر بالمضى إلى المسجد ، ليتخذ له مكاناً فيه قبل ازدحامه . بالمصلين ، وعليه أن يبكر بالوضوء والغسل حتى لا تفوته الجمعة وخطبتها ، ولا ينتظر الأذان الأول .

وقد أنشىء فى المساجد دورات مياه تابعة لها يمكن لمن لم يتوضأ فى بيته أن يتوضأ فى هذه الدورات بحيث لا تفوته خطبة الجمعة ولا صلاتها .

ومعرفة أوقات الصلوات أصبحت ميسورة لوجود الجداول (النتائج) التى تحدد كل وقت ، والساعات التى يعرف بها الوقت مبكراً ، ليستعد المكلف للصلاة قبيل وقتها ، فلا يعلق أحد صلاته بسماع الأذان الأول .

والتبكير إلى الصلاة يوم الجمعة مندوب ، وفى ذلك يقول - ﷺ - « من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن

(٧) صحيح مسلم : كتاب الجمعة ، باب التغليظ فى ترك الجمعة ٥٩١/٢ رقم ٤٠ ط الحلبى من رواية عبد الله بن عمر ، وأبى هريرة .

(٨) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر ج ٣٥٧/١ رقم ١١٢٥ ط / الحلبى .

(٩) سنن ابن ماجه : المصدر السابق رقم ١١٢٦ . وقال فى الزوائد : الحديث إسناده صحيح ، ورجاله له ثقات .

حديث عن الجمعة

راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجه البخارى ومسلم .

وقد ذهب الإمام مالك إلى أن التبكير المستحب كله فى ساعة واحدة قبل الجمعة ، وحمله سائر العلماء على ساعات النهار السابقة لأذان الجمعة .

ولا بأس باستعمال السيارة والدراجة ونحوهما فى الوصول إلى المسجد ـ وإن كان المشى أفضل ـ ففى البخارى « أن أبا عَبْس ابن جبير واسمه عبد الرحمن ـ وكان من كبار الصحابة ـ مشى إلى الجمعة راجلاً وقال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار » .

على من تجب صلاة الجمعة

الخطاب فى قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ . . . ﴾ الآية موجهة إلى المكلفين بإجماع الأئمة ، ويخرج منه المرضى والزمنى والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل والعميان ، والشيخ الذى لا يمشى إلا بقائد عند أبى حنيفة ، فهم غير مكلفين بصلاة الجمعة لعذرهم .

روى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبى أو مملوك ، فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه ، والله غنى حميد » خرجه الدارقطنى .

ونزيد على ما تقدم أنه لا يحل لأحد تجب عليه الجمعة أن يتخلف عنها إلا لعذر لا يمكنه معه الإتيان إليها ، كالمطر الوابل مع الوحل ، ومن الأعذار أن يتخلف من أجل صديق حضرته الوفاة ، ولم يكن عنده من يقوم بأمره ، وقد فعل ذلك ابن عمر .

ولو حضر هؤلاء الذين لا تجب عليهم الجمعة ، فصلوا مع المصلين ، وسمعوا خطبة الخطيب ، قبلت صلاتهم وأثيبوا عليها وعلى سماع الخطبة ..

وينبغى لأولياء أمور الصبيان أن يحضروهم لصلاة الجمعة ليتعودوا على التقوى قبل البلوغ .

الطهارة قبل الصلاة

لم يرد فى الآية شرط الطهر قبل صلاة الجمعة ، وثبت شرط الوضوء بالقرآن والسنة فى جميع الصلوات ، بقوله عز وجل : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾(١٠) الآية ، وقال ﷺ :

● « لا يقبل الله صلاة بغير طهور »(١١) وأما الاغتسال لصلاة الجمعة فسنة ، لقوله ﷺ :

● « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن أغتسل فالغسل أفضل »(١٢) .

وفى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة

---

(١٠) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(١١) سنن النسائى ، كتاب الطهارة ، باب فرض الوضوء ج ١ / ٧٥ ط مصطفى الحلبى .

(١٢) الحديث أخرجه الترمذى فى سننه ـ الصلاة باب ما جاء فى الوضوء يوم الجمعة ٢ / ٣٦٩ رقم ٤٩٧ ط الحلبى : عن سمرة بن جندب وقال : حديث سمرة حديث حسن .

قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ، ثم راح إلى الجمعة فاستمع وأنصت ، غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصا فقد لغا » أى أتى بأمر ساقط لا خير فيه ، وإذا كان منهياً عنه فالكلام فى أثنائها أولى بالنهى ، ومن ذلك قوله لصاحبه أنصت - كما جاء فى السنة - فإن المطلوب هو الانصات مع الصمت ، وعدم العبث بتحريك حبات السبحة ، ونحو ذلك .

إذا اجتمعت الجمعة مع العيد فى يوم واحد .

لا تسقط الجمعة لكونها فى يوم عيد ، خلافا للإمام أحمد بن حنبل فإنه قال : إذا اجتمع عيد وجمعة سقط فرض الجمعة لتقدم العيد عليها ، واشتغال الناس به عنها ، وحجته فى ذلك أن عثمان أذن فى يوم عيد لأهل العوالى أن يتخلفوا عن الجمعة ، ولعله فعل ذلك لمشقة حضورهم مرتين للصلاة الجامعة ، أما أهل بلد الجمعة فإنه لم يأذن لهم فى التخلف عنها ، لعدم المشقة بالنسبة إليهم .

وقد رد قول ابن حنبل بأنه اعتمد على خبر الواحد من الصحابة وهو ليس بحجة إذا خولف فيه ، ولم يجمع معه عليه ، فالأمر بالسعى إلى الجمعة فى يوم العيد شأنه كشأن سائر الأيام .

وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ قال : « وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضاً فى الصلاتين » - أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : تجب على من فى المصر[١٣] سمع النداء أو لم يسمعه ، ولا تجب على من هو خارج المصر وإن سمع النداء . حتى سئل : وهل تجب الجمعة على أهل زبارة بينها وبين الكوفة مجرى نهر - فقال لا - ولعل ذلك لعدم جسور تسهل عبور النهر .

ونحن نقول : إن المشقة فى عصرنا هذا لا وجود لها ، فتجب الجمعة على من عرف وقتها وإن لم يسمع نداءها .

العدد المطلوب لصحة الجمعة

اتفق العلماء على أنه لابد فى الجمعة من العدد ، لقوله ﷺ : « الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة » ، رواه أبو داود على شرط الشيخين ، لكنهم اختلفوا فى مقداره :

فقيل اثنان أحدهما الإمام ، وبه قال النخعى والحسن بن صالح وداود .

وقيل : ثلاثة أحدهم الإمام ، وبه قال الأوزاعى وأبو يوسف ومحمد والشافعى فى القديم وغيرهم .

وقيل : أربعة أحدهم الإمام ، وبه قال أبو حنيفة وغيره .

وقيل : سبعة أحدهم الإمام .

وقيل : تسعة .

وقيل : اثنا عشر .

وقيل : عشرون .

وقيل : ثلاثون والإمام منهم .

←

(١٣) « المصر » . المدينة .

حديث عن الجمعة

وقيل : أربعون بالإمام وهو قول الشافعى فى الجديد .

وقيل : جمع كثير بغير قيد ، وهو مذهب مالك . وقيل غير ذلك(١٤) .

« فاسعوا إلى ذكر الله »

المراد من ذكر الله خطبة الجمعة وصلاتها ، والدليل على وجوب السعى للخطبة أن فيها ذكر الله تعالى وأنه يحرم البيع فى أثنائها ، ولولا وجوبها ما حرمته .

وللخطبة أهمية فى إرشادِ المصلى إلى ما فيه طاعة الله والبعد عن معصيته والحث على التآلف والحب فى الله ، وحب الوطن ، وخدمة المجتمع ، والبذل فيما ينفع المسلمين ، ولهذا ينبغى أن يختار لها القادرون على الوعظ والارشاد والتأثير فى نفوس المصلين .

للجمعة خطبتان

يجب فى كل منهما حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وقراءة آية فى إحداهما ، والدعاء المتصل بشئون الآخرة ، ولو اقتصر فى الخطبة على ذلك لكان كافيا فى صحتها وصحة صلاة الجمعة بعدها ، ولكن ينبغى عدم الاقتصار على ذلك ، بل يعالج فى الخطبتين أمراض المجتمع ، والإرشاد إلى ما فيه خير الإسلام وعزة المسلمين .

وينبغى أن تكون وسطا بين التطويل الممل والإيجاز المخل ، وأن تكون نابعة من القلب ، وأن يكون الخطيب مثلاً صالحاً فيما يَحُض الناس عليه أو ينفرهم منه ليكون لوعظه أثر جيد فى طهارة النفوس .

« وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

أى اتركوه وقت خطبة الجمعة وصلاتها ، واستمعوا للخطبة من أولها تستفيدوا بها ، ولما كان البيع لا يخلو عن شراء اكتفى بالنهى عن أحدهما ، لأن فيه نهيا عن الآخر .

والأمر بترك البيع حينئذ للوجوب ، وقال القرطبى : ورأى بعض العلماء . جواز البيع عند الأذان وقبل صلاة الجمعة ، وتأول النهى به ندبا ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أى أفضل لكم من البيع ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ما ينبغى وما لا ينبغى .

وعلى القول بحرمة البيع والشراء عند أذان الجمعة وما بعده لا يفسخ العقد بل يصح ، نظير ما قالوه فى الصلاة فى الثوب المغصوب أو فى الأرض المغصوبة ، وهو أنها تصح مع الحرمة .

وقال ابن العربى هو فاسد ، وقال مجاهد مردود ، لهذا ننصح المسلم أن يأخذ بالأحوط ، ويمتنع عن البيع والشراء إذا نودى لصلاة الجمعة فالسعى إلى الله أفضل ، والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

(١٤) راجع الألوسى فى أواخر كلامه عن يوم الجمعة .

الهِجرة الشَّرعيَّة فريضة تمت

أ.د. رءوف شلبى

روى أبو داود فى سننه قال :

حدثنا عثمان بن ابى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح - فتح مكة : لاهجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا .

كتاب الجهاد حديث رقم ٢٤٨٠ مجموعة الكتب الستة .

١ - المادة اللغوية للهجرة تفيد التحول المكانى أو الوجدانى فالفعل "هَجَر" يفيد التحول عن الوصل إلى الانقطاع، وبابه نَصَر، ومصدره هجرا وهجرانا والاسم منه هجرة، والتهاجر هو التقاطع، والهجرة من أرض إلى أرض تعنى ترك الأولى والتحول إلى الثانية ، ويستعمل الهجر فى الهذيان، ويوصف الكلام بأنه مهجور بمعنى باطل .

ولأن الهجرة سير قد تقع فى الهاجرة نصف النهار، ومنه الهجير: اشتداد الحر ويقال إن التهجير والتهجر: السير فى الهاجرة ، والتهجر التشبه بالمهاجرين .

فالمادة تدور حول التحول من مكان إلى مكان، أو حالة إلى حالة، أو وصف إلى وصف .

٢ - والهجرة النبوية من مكة إلى المدينة قد وقعت وسجلها القرآن الكريم فى سورة التوبة يقول الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٤٠ التوبة

وقد قال العلماء : إن الهجرة وقعت فى الإسلام على ضربين :

الأول : من دار الخوف إلى دار الأمن

كهجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة وهى مطلوبة غير مفروضة[1] .

الثانى : من دار الكفر إلى دار الإيمان بالمدينة المنورة ، وقد انتهت حكما وثوابا بفتح مكة؛ بل نسخت بقول النبى-صلى الله عليه وسلم: لا هجرة بعد فتح[2] .

يقول ابن حجر : وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص، وبقى العموم لمن قدر عليه ويقول : كانت قبل الفتح واجبة ثم نسخت[3] والحديث الذى رواه أبو داود يشير إلى الهجرة بهذا الخصوص وهو انتقال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من مكة يوم أن كانت دار كفر إلى المدينة لأنها تحولت إلى دار الأمن والإيمان .

وقد جعل الله هذه الهجرة إحدى صفات ذلكم الرعيل الأول فى قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ٢٠ التوبة .

فقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الخصائص أفضل من السقاية والعمارة ذلك لأن الإنسان ليس له إلا مجموع أمور ثلاثة : الروح ، البدن ، المال .

أما الروح فيحصل للإنسان بتحولها إلى الإيمان عن الكفر مرتبة من مراتب السعادة .

وبالهجرة ينقص المال ويتعب البدن وقد يهلك ، ولا شك أن المال والنفس من أعز مايحب الإنسان لنفسه فتعريضهما للنقصان دليل على طلب الفوز بالأعلى والأكمل، وهو رضوان الله سبحانه وتعالى ، وكل ذلك ليس بطلب دنيا أو مال أو منصب أو جاه؛ بل لتكون كلمة الله هى العليا فكانت الخصائص التى يستحق بها المسلم الصادق الفوز بالدرجات العليا .

أربعة : الإيمان ، الهجرة ، الجهاد فى سبيل الله بالمال ، وبالنفس، وقد حقق جيل الصحابة المهاجرين من مكة إلى المدينة هذه الصفات فخصوا بها ، وبقى لمن بعدهم صدق النية وصدق الجهاد فى سبيل الله، والدليل على ذلك مرويات البخارى قال :

حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا عاصم عن أبى عثمان حدثنى مجاشع قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم-بعد الفتح فقلت : يارسول الله ، جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة . قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها ، فقلت: على أى شىء تبايعه ؟ قال : أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد، فلقيت معبدا بعد - وكان أكبرهما - فسألته فقال : صدق مجاشع .

فقد حكم رسول الله ﷺ أن الهجرة الشرعية الواجبة على مسلمى مكة قد انتهى حكم فرضيتها وقدر ثوابها بعد الفتح، والذى بقى هو الإسلام والإيمان لمن أراد الدخول فى

---

(١) راجع فتح البارى جـ ١ ص ١٦ ، ٣٠ فتح البارى جـ ٧ ص ٢٢٩ .

(٢) راجع تفسير الفخر الرازى جـ ١٦ ص ١٢ .

(٣) فتح البارى جـ ٧ ص ٢٢٦ .

دين الله، والجهاد لمن أراد أن يتبع رسول الله ﷺ فى غزواته وسراياه .

ويؤكد الإمام البخارى هذه الحقيقة الشرعية فى مروياته أيضاً فيقول :

حدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد : قلت لابن عمر رضى الله عنهما : إنى أريد أن أهاجر إلى الشام قال : لاهجرة ، ولكن جهاد فَانْطَلِقْ فاعرض نفسك فإن وجدت شيئا وإلا رجعت .

وتؤكد مرويات البخارى رضى الله عنه أن ذلكم الحكم كان يردده عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيقول :

حدثنا إسحق بن يزيد حدثنا يحيى بن حمزة قال : حدثنى أبو عمرو الأوزاعى ابن عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد بن جبر المكى : أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يقول : لا هجرة بعد الفتح .

وتؤكد أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ذلكم الفهم الدقيق لهذه المرويات فيقول البخارى : حدثنا إسحق بن يزيد حدثنا يحيى بن حمزة حدثنى الأوزاعى عن عطاء ابن أبى رباح قال : زرت عائشة مع عبيد الله ابن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يفتن عليه .

فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية(٤) .

وجاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الهجرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك إن شأن الهجرة شديد فهل لك من ابل ؟ قال : نعم . قال : فهل تؤدى صدقتها ؟ قال : نعم ، قال : فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك شيئا .يقول ابن حجر فى شرح الحديث : إن الهجرة كانت واجبة على أهل مكة على الأعيان قبل فتح مكة فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحذرهم* شدة الهجرة ومفارقة الأهل والوطن .

تلكم هى أحكام الله ورسوله فى شأن الهجرة الشرعية التى يترتب عليها القبول والثواب ، وقد استقر رأى الناس علمائهم وعامتهم على هذا وسارت الحياة الإسلامية سيرتها الطيبة حتى ظهرت فتنة تدعو إلى الهجرة،وتَفّهم بعقليتها الخاصة فهما يخالف هذه الأحاديث الصحيحة وتلك التجارب المتعددة. ومظنة هذا الفهم حديث رواه أبو داود يقول : حدثنا إبراهيم بن موسى الرازى أخبرنا عيسى عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن أبى عوف عن أبى هند عن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاتنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها .

ومثله حديث رواه الدارمى فى الجهاد باب الهجرة لا تنقطع ، وأغرب ما فى هذا الحديث ←

---

(٤) راجع فتح البارى جـ ٨ ص ٢٥ ، ٢٦ .

* ذلك قبل أن يؤذن لرسول الله ﷺ بالهجرة

في رياض السنة النبوية

أن أحد رواته من المبتدعة وهو : حريز بن عثمان قال فيه صاحب ميزان الاعتدال حريز ابن عثمان الرحبي الحمصي - ورحبة بطن من حمير - كان مبتدعا مات سنة ١٦٣ هـ على أن الحديث لا يشير إلى الهجرة الشرعية بل إلى الهجرة بمعنى الانتقال المندوب وإلى ذلك أشار الخطابي[٦] بقوله :

كانت الهجرة في أول الإسلام مندوبا إليها غير مفروضة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ ١٠٠ النساء .

فلما اشتد أذى المشركين على المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة،وأمروا بالهجرة معه ليتعلموا منه أمر دينهم ويتفقهوا فيه،وكان عظم الخوف في ذلك الزمان من قريش وهم أهل مكة فلما فتحت مكة وخنعت بالطاعة زال ذلك وارتفع وجوب الهجرة وعاد الأمر فيها إلى الندب والاستحباب فهما هجرتان : فالمنقطعة منهما هي الفرض والباقية هي الندب.فهذا وجه الجمع بين الحديثين على أن بين الإسنادين مابينهما بإسناد ابن عباس متصل صحيح وإسناد معاوية فيه مقال[٥] أ . هـ

على أن الأمر الذي يشير إليه الخطابي هو الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان ، لكن تكفير دار المسلمين هذا إجحاف بالمصادر الإسلامية ، واستخفاف بسند أهل الحديث وتخريب لجهود الصحابة رضوان الله عليهم وتحقير لعقلية المسلم المعاصر؟ فقد كانت الهجرة من مكة إلى المدينة منهجا فاصلا ليتعرف المسلمون على أسلوب جديد في الدعوة إلى الله شرحتُه بإسهاب في كتاب : الدعوة الإسلامية في عهدها المكي فمن شاء فليرجع إليه إن كان يريد أن يطلب العلم،وأن يعرف الحق دون هوى أو لجاجة .

وملخص حديث الهجرة :

أنها في الإسلام هجرتان :

* هجرة مفروضة قد انتهى زمانها ورجالها فتلك الهجرة كانت على المسلمين في مكة أيام الإسلام الأولى وقد انتهت شرعا بفتح مكة .

* وهجرة مندوبة كانت في أول الإسلام فرارا من أذى المشركين وهي التي نفذها بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة .

وتبقى هذه الصورة لكل مسلم في دار غير دار المسلمين إذا لم يأمن على دينه وحريته في أداء شعائره .

* فمن تأول غير ذلك فقد افترى،والله يقول في شأن المفترى﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾، ولقد حق القول عليهم فمن شاء فليعتبر . هذا والله أعلم .

أ . د رءوف شلبي
وكيل الأزهر

---

(٥) الكتب الستة : سنن ابي داود جـ ٣ ص ٨ .
(٦) المراجع : فتح الباري جـ ١ ، ص ٧ ، ص ٨ سنة أبو داود ص ٣ . تفسير الفخر الرازي ط ١ وابن كثير ص ٢ والدعوة الإسلامية في عهدها المكي .

رسل الله إلى إبراهيم

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ . قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ العنكبوت ٣١ ، ٣٢ والآيتان مكيتان .

المراد بالرسل : ملائكة الله الذين أرسلوا لبشارة إبراهيم وتدمير قرية الفواحش .
البشارة : هى البشارة بالولد والنافلة وهى إسحاق ويعقوب والقرية : سدوم .

لقد دعا لوط على قومه حين رآهم يأتون الفاحشة فقال : ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ واستجاب الله الدعاء ، وأمر الملائكة بإهلاكهم وتدمير القرية عليهم ، وأرسلهم مبشرين ومنذرين أما التبشير فكان لإبراهيم ، بالإنجاب من سارة ، وأما الإنذار فكان لأهل قرية سدوم لأنهم كفروا ، وعصوا الله ، وأفسدوا بإتيان الفواحش التى أنكرها الله عليهم فى آية أخرى فى قوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ولقد سبقت رحمة الله غضبه ، ولهذا قدم البشارة على الإنذار والإهلاك .

ولم يعللوا للبشرى ، ولكنهم عللوا للإهلاك بقولهم : ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ، وظلمهم كان لكفرهم ومعاصيهم .

ولما سمع إبراهيم أمر الإهلاك هزه الإشفاق على ابن أخته أو ابن أخيه لوط فقال : إن فيها لوطا أى من هو برىء من الظلم فكيف تهلكونها وهو فيها ، وذلك ليعلم منهم الحال الذى سيكون عليه لوط (وهكذا أن يكون المؤمن من التحزن لأخيه المؤمن والدفاع عنه ونصرته) .

←

● الكاتب : مدير المعاهد الأزهرية الأسبق.

رسل الله إلى ابراهيم

أو لأن إبراهيم يعلم أن الله لايهلك قوما وفيهم رسوله .

ولذلك تعجب إبراهيم حينما سمع أمر الإهلاك فقالت الملائكة : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ أى نحن أعلم منك بمن فى القرية ثم قالوا ليطمئنوا إبراهيم ﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ ونهلك الباقين وفيهم امرأة لوط .

وفى الكلام قسم مقدر تقديره : والله لننجينه وأهله ، أما امرأته فقد استوجبت لنفسها الهلاك (وإنها لمن الغابرين) أى الماضى ذكرهم لا من الذين ننجيهم أو من الغابرين بمعنى الماكثين فى القرية حتى ننزل بأس الله فتهلك مع الهالكين ، وفى لسان العرب جاءت غبر بمعنى مكث ، وقد قدر الله أن تمكث امرأة لوط مع الماكثين وجعل مأواها فى الآخرة مع شريكتها امرأة نوح حيث بين الله مأواهما وجنايتهما فيما كان من خيانتهما وذلك فى قوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ .

الميثاق

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾الأحزاب ٧ ، ٨ والآيتان مدنيتان

﴿ وَإِذْ ﴾ فى قوله : وإذ أخذنا معمول لفعل مقدر تقديره : واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم ، والميثاق الذى أخذه من جميع النبيين : أن يبلغوا رسالة الله التى أرسلوا بها ، وقوامها : التوحيد وأن يدعوا جميع الناس أو من أرسلوا إليهم إلى الدين القيم دين الحق ، والنبيون الخمسة الذين ذكرهم بأسمائهم يندرجون تحت النبيين فكأنهم ذكروا مرتين : مرة فى نطاق النبيين ، ومرة ذكروا بأسمائهم .

محمد فى قوله﴿ مِنكَ ﴾﴿ نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىَ وَعِيسَى ﴾ ، خصوا بالذكر لبيان فضلهم وأنهم من أصحاب الشرائع ، وقدم محمد صلى الله عليه وسلم (فى قوله : منك) لبيان عظم شأنه ، وأنه أفضل المفضلين ، ولولا ذلك لقدم المتقدم فى الزمن .

وذكر موسى وعيسى عليهما السلام لأنهما كان لهما فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم قوم وأمة فذكرهما احتجاجا على قومهما لبيان أن الله أخذ عليهما الميثاق أن يبلغا ماأرسلا به من توحيد الله وحده وأن يدعوا إلى الدين القيم .

وذكر إبراهيم عليه السلام لأن العرب جميعا على اختلافهم يفضلونه ويؤدون شعائر حج بيت الله الذى دعا الناس جميعا إلى حجه .

وذكر نوحا ، لأنه الأصل الثانى للناس ، والأصل الأول : آدم ، والثانى : كان نوحا لأن الطوفان لم يبق فى الوجود غير من حملهم نوح فى السفينة ، والخلق تناسل مرة ثانية من نوح ومن آمن به وبرسالته ولم يؤمن إلا القليل

(وجعلنا ذريته هم الباقين) وآدم كان مخلوقا لعمارة الكون ، ونبوته كانت إرشادا لأولاده ، ولهذا لم يكن فى زمنه إهلاك قوم ولا تعذيبهم كبقية الرسل الذين كذبهم أقوامهم فأهلكهم الله ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ .

وقد وصف الميثاق الذى أخذه من النبيين بأنه ميثاق غليظ ، وأراد بالوصف الذى خلعه على الميثاق : عظم شأنه وجلاله .

وقيل : إن غلظه مؤيد باليمين بالله على الوفاء بالميثاق الذى حملوه وكأن الأنبياء أقسموا على أن يبلغوا رسالاتهم مهما أوذوا فى سبيل تبليغها وقد فعل أخذ الميثاق (ليسأل الصادقين) يوم القيامة (عن صدقهم) أى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم وأدوه .

والمراد بالصدق فى قوله : عن صدقهم : عهدهم وشهادتهم ، أى يسألهم عن العهد ويستشهد فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا فى العهد والشهادة وقد آمنوا .

أو ليسأل من صدقوا الأنبياء عن تصديقهم ، لأن من صدق الصادق فهو صادق أو ليسأل الأنبياء : ما الذى أجابتهم به الأمم ، وفيه تبكيت للكافرين ، ومن ذلك قول الله لعيسى : ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ وعيسى لم يقل ذلك وإنما أراد أن يشهده على أتباعه بأنهم خالفوا ما جاء به ، بل خرجوا على أساس دعوته التى قوامها توحيد الله .

وعطف قوله : وأعد للكافرين ... على مادل عليه قوله : ليسأل الصادقين كأنه قال: فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما .

د . محمد محمد خليفة

البحث عن الأديان القديمة

مثلت الأديان من قديم ، اسس الحضارة ولونت مظاهرها ووجهت تياراتها . فبسبب العقيدة الدينية بنى قدماء المصريين اهرامهم الشاهقة فى الفضاء ، وحفروا القبور فى اعماق الأرض البعيدة ، وبسببها قامت حروب ، واندثرت ممالك وقامت اخرى .

وقد كشفت حركة الحفريات التى نشطت منذ بداية القرن التاسع عشر عن أسرار دينية وعقائد وطقوس ، لم تكن لتعرف لولا هذا النشاط فى الحفريات والبحث عن الآثار القديمة ، وكان الناس قبل هذا التاريخ قانعين بما هو باد من النقوش والرسوم على جدران المعابد والقبور ، ظانين أن هذا كل ما ترك السابقون فلما انبعثت هذه الحركة تبين لهم أنهم ما كانوا يعرفون إلا قليلاً ، وأغراهم ما عرفوا باستمرار البحث والمزيد منه .

وتبدأ الحركة بسنة ١٧٩٩ حيث عثر أحد الضباط المرافقين لنابليون بونابرت فى حملته على مصر على حجر رشيد ، وبقراءته وفك رموزه كشفت كنوز وتواريخ وعقائد ذات اهمية بالغة ، وكانت هذه الكشوف باعثاً على حملات كثيرة فى أرض الرافدين بالعراق وفى بلاد الأناضول وحول نهر الهند وفى فلسطين وما حولها ، ولا تزال الحركة دائبة . وحجر رشيد اكتسب اسمه من بلدة رشيد التى عثر عليه بها ، وهو حجر من البازلت الأسود مساحته ٤٥ × ٢٨ بوصة ، عليه كتابة بثلاث لغات ، كل كتابة فى قسم مستقل يفصله عن الذى فوقه أو تحته فراغ ضئيل ، والكتابة السفلى باللغة اليونانية ، وفوقها كتابة باللغة الديموتيقية ، وهى آخر تطور من اللغة المصرية القديمة ، واستعملت بعد سنة ٩٠٠ ق . م ، وفى الأعلى كانت اللغة الهيروغليفة التى لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً .

وفى سنة ١٩٨١ م ـ أى بعد العثور على الحجر بعامين ، انتقل إلى حوزة بريطانيا ، وهو الآن من الذخائر الثمينة فى المتحف البريطانى . وكان العالم الأثرى الانجليزى توماس يانج Thomas yaung أول باحث استطاع أن يعرف شيئاً من رموز الحجر ، مستعينا بالكتابة اليونانية التى كانت مقروءة ، وكانت مرسوما كهنوتيا يرفع الشكر والتقدير للملك بطليموس الخامس ـ وكان اسم الملك مميزاً تحيط به دائرة فى الكتابات الثلاث . وكان هذا جهد ما عمل توماس . وظل الحجر بعد ذلك نحو ثمانية عشر عاماً لم يستطع أحد أن يحل من رموزه شيئاً . ثم

لفضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبى

تولى العالم الفرنسى - فرانسوا شامبليون Francais Champalion دراسة هذه المشكلة بعزم وتصميم ، واستطاع أخيراً أن يصل إلى معرفة اللغة الهيروغليفية ، وأن يقدم إلى العالم لغة جديدة ، وللأسف لم يعش طويلاً بعد هذا النجاح بل عاجلته منيته سريعاً . ولكن معرفة لغة المصريين القدامى فتحت أمام الأثريين أبواب الكنوز والأرصاد ، وتتابعت الحملات الكشفية فى مصر ، ثم أغرى الآخرون بالكشوف الأخرى فى الشرق .

عرف الكثير عن ديانة المصريين القدماء ، وكان كشف مقبرة توت عنخ آمون كشفاً عن عقائد وطقوس وابتهالات وأدعية - وكان هذا الملك الشاب قد دعا إلى توحيد الآلهة ، واعتبر الشمس إله الكون وخالقه ، وصاغ لها الأدعية والابتهالات الكثيرة .

ولم تترك الديانة المصرية فى ديانات الشرق الأوسط آثارا مباشرة كثيرة لأن آلهة الشرق كانت آلهة زراعية ، ونجد آثار الديانة البابلية وقوانين حمورابى بادية فى الكتاب المقدس ، دون الديانة المصرية ، وللعالم الأثرى الكبير جيمس بريستد - رأى عنى به الدارسون ، فهو يرى أن المصريين بسطوا نفوذهم على حدبة الهلال الخصيب - وهو أول من استعمل هذه التسمية - ونقلوا معهم أفكارهم الدينية حتى أرض الرافدين ، وتغذى بها كل من البابليين والفرس ، فلما انحسرت موجة الفتح المصرى ، وتلاها موجات الفاتحين كان هؤلاء ينقلون فيما ينقلون ديانة المصريين ، وأورد بريستد - فى كتابه فجر الضمير - تسابيح وابتهالات صاغها إخناتون توسلا إلى الشمس - وهى هى بعينها فى مزامير داود فى « سفر المزامير » فهى بلا ريب منقولة .

● ويخطو « بريستد » خطوة أوسع فيرى أن فكرة التوحيد التى نادى بها موسى - عليه السلام - هى فكرة إخناتون أو هى محورة منها(١) ، وقد عاش موسى فى مصر بعد إخناتون بنحو مائة عام . ومذهب إخناتون لم يكن مقبولاً لدى المصريين ، ولكنهم أكرهوا عليه طوال ما عاش فلما مات ، مات المذهب ، ولكن بقيت أفكاره وربما بعض أتباعه فتلقفها موسى ، ولكنه لم يعتبر الشمس هى الإله الأعلى .

---

(١) مجلة الأزهر :

لا علاقة دينية بين موسى عليه السلام وإخناتون : فإن ما جاء به موسى وحى تام كله من الله سبحانه : قال تعالى يخاطب موسى : ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى . وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾

والآيات شاملة لعقيدة التوحيد والعبادة واليوم الآخر والثواب والعقاب . وهل كان لموسى - عليه السلام - أن يستمد من « وثنى » ولو كان إخناتون ؟

وخطوة أخرى نادى بها آخرون ، وهى أن يثرون « شعيب » صهر موسى[٢] كان كاهنا انفعل برأى إخناتون ثم لقنه موسى ، ويبدو أن هذا الرأى محاولة لتقريب المسافة الزمنية بين موسى وإخناتون ، أو هى محاولة لتوضيح طريق أقرب لنقل فكرة التوحيد .

ولعل هذا أهم ما فى العهد القديم مما نقل من الديانة المصرية أو هو أقصى ما يمكن افتراضه .

وإذا انتقلنا من النيل إلى الرافدين وجدنا تشابهاً بين الآثار الكتابية هنا وهناك فقد كان البابليون - كالمصريين - فى أول الأمر يستعملون الصور للتعبير عن الأفكار ، ثم استعملوا الخط المسمارى ، ثم انتقلوا أخيراً إلى أبجدية تستعمل الحروف ، وكان الملوك يستعملون الكتابات الثلاث فى المرسومات والأشياء الهامة لديهم ، وقد سجل الملك دارا Darius فى سنة ٥١٦ ق . م انتصاراته على قمة جبل صخرى كان يسمى بهستن Behistun وهو جبل معروف يبلغ ارتفاعه ألفا وسبعمائة قدم ، وذلك تحاشياً لما قد يصيبها من أيدى العابثين ، ولكى تُعرف لمن يعرف ومن لا يعرف القراءة كتبت باللغات الثلاث ، وكتبت الرسوم بالحجم الطبيعى ، كان على الجانب الأعلى من اليمين صورة دارا وأمامه شخصان يرفعان الابتهالات والشكر إلى الإله .. « أهورا مازدا » للانتصارات التى منحها هذا الملك ، وعلى الجانب الأيسر من الأسفل صورة جوماتا gaumata مغتصب العرش ، وأمام الملك تسعة من القواد المتمردين ، قد ضم بعضهم إلى بعض وأيديهم مربوطة وراء ظهورهم ، وتحت اللوحة التى عليها التمثال فى مساحة تعدل ١٠×١٨ قدما خمس شرائح مكتوب عليها نص فارسى يصف القصة نفسها - قصة انتقام الملك دارا من أعدائه ، وعلى يسار الخط الفارسى وفى مثل المساحة يوجد عمود بالخط الميدانى الساسانى ، وفى الصخرة العليا يوجد النص البابلى هذا بأجمال موجز الأثر الكتابى .

ومرت أعوام وأعوام والباحثون يدرسون هذه الكتابة فما عرفوا من أسرارها إلا شيئاً هينا أو لم يعرفوا . حتى جاء العالم الكبير هنرى - ك . رولنسون Henry C . Raw-linson فحل هذه الرموز ، وكان موقفه منها موقف شامبليون - كان رولنسون قد درس اللغة الفارسية فى الهند ، ثم عاد ضابط اتصال فى السفارة البريطانية فى إيران ، فشغل نفسه بحل رموز هذا الأثر . والجهد الذى بذله هذا الشاب الانجليزى - الذى كان فى الخامسة والعشرين من عمره ، قل أن يوجد له نظير بين أعمال المتسابقين ومخاطراتهم ، فالكتابة كانت تبعد عن الأرض بنحو مائة وخمسين قدما ، ولكنه صمم أن ينجح فى عمله ، وأن يكون قريباً من الصخرة قرباً يمكنه من نقل نقوش وكتابات لا يعرف

---

(٢) مجلة الأزهر :
سبق لمجلة الأزهر أن ناقشت موضوع هذه المصاهرة - انظر مجلة الأزهر هدية صفر وعدد ربيع الآخر ص ٤٨٢ . سنة ١٤٠٧ هـ .

منها شيئاً ، وهكذا علق نفسه أمام صخرة الجبل الملساء واستمر يزاول عمله حتى نقل الكتابة المكونة من ثلاث لغات ، وإذا كنا نقدر هذه المهارة التى استطاع بها رجل مثقف فى القرن التاسع عشر ، فإننا أكثر تقديراً لهؤلاء المهرة القدامى الذين نقشوا هذه الكتابات ، وبعد نقل هذه النقوش عكف رولنسون على مقارنة الكتابات الثلاث ومعرفة إشاراتها وابجديتها ، وكان هذا عملاً شاقاً أيضاً ، والفرق بين مجهود هذا الشاب الانجليزى وعمل شامبليون - أن حجر رشيد كان على الأرض بنفسه ، ولم يكن شامبليون بحاجة إلى تسلق صخور ، والبقاء معلقاً فى الفضاء كما فعل صاحبه .

وفى سنة ١٨٤٦ م نشر « رولنسون » ترجمة باللغة الفارسية ، وكانت مرسوماً ملكياً من الملك دارا وقد أعانته معرفته باللغة الفرنسية على تبين العلاقة - بينها وبين اللغة البابلية واستغرق زمن تسلقه ونشر بحثه أحد عشر عاماً . نشر بعدها اللغة البابلية مع ما لها من قواعد وطريقة تعبير .

وأهم ما كان فى هذا الكشف أنه وضح أن اللغة البابلية تنتمى إلى مجموعة اللغات السامية وأنها ذات قربى وشبه باللغة العبرانية لغة الإسرائيليين .

وبهذا الكشف عرفت مقابر وقصور للبابليين كانت مطمورة لا يعرف الناس عنها شيئاً ، ثم كان مفتاحاً قيماً لدرس الكتاب المقدس ومعرفة الديانة اليهودية وتاريخ اليهود القديم .

ولئن كانت الديانة المصرية لم تترك آثاراً بارزة مباشرة فى الكتاب المقدس - فإن الديانة البابلية تبين بوضـوح أن الإسرائيليين استعاروا منها أو حاكوها فى أشياء كثيرة .

وأعرض بعض الأحداث المشتركة وطرق انتقالها فى حديث آخر . يتبع

عبد الجليل شلبى

الإمام خلف البزار الكوفي

هذا عاشر ائمة القراءات المتواترة الذين عرفوا بالأمانة. والثقة ، والضبط ، والإتقان ، والإحسان .

وهو الإمام خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب ابو محمد الأسدى . ويقال خلف بن هشام بن طالب بن غراب . الإمام العلم ابو محمد البزار[1] البغدادى أصله من فم الصلح ـ بكسر الصاد ـ أحد القراء العشرة ـ وأحد الرواة عن سليم عن حمزة .

مولده ونشأته

ولد سنة خمسين ومائة ـ وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ـ وابتدأ فى الطلب وهو ابن ثلاث عشرة . وكان ثقة كبيرا زاهدا ، عابدا عالما . عاملاً . قال الشمس بن الجزرى : روينا عنه أنه قال : اشكل علىَّ باب من النحو فأنفقت ثمانين الف درهم حتى حفظته . أو قال : عرفته .

وروينا عنه أيضا أنه كان يكره أن يقال له البزار ويقول : ادعونى المقرى المقرى . قال أحمد بن إبراهيم وراقه : سمعته يقول : قدمت الكوفة فصرت إلى « سُلَيم » . فقال : ما أقدمك ؟ قلت أقرأ على أبى بكر بن عياش . فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبى بكر ـ لم أدر ما كتب فيها ـ فأتيناه ـ فقرأ الورقة وصعد فىَّ النظر . ثم قال : أنت خلف ؟ قلت : نعم . قال : أنت الذى لم تخلف ببغداد أحداً ، أقرأ منك ؟ فسكت فقال لى : أقعد هات ، أقرأ . قلت : عليك ؟ قال : نعم . قلت : لا والله لا أقرأ على من يستصغر رجلا من حملة القرآن . ثم خرجت . فوجه إلى سليم فسأله أن يردنى . فأبيت . ثم ندمت ، واحتجت فكتبت . قراءة عاصم عن يحيى بن آدم .

---

(١) البزار : بزاى معجمة وينتهى بالراء المهملة .

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

أخذ خلف القرآن عرضا عن سليم بن عيسى ، وعبد الرحمن بن أبى حماد ، عن حمزة ويعقوب بن خليفة الأعشى ، وأبى زيد سعيد بن أوس عن المفضل الضبى .

وروى الحروف عن إسحاق المسيبى ، وإسماعيل بن جعفر ، وعبد الوهاب بن عطاء ، ويحيى بن آدم ، وعبيد بن عقيل . وروى رواية قتيبة عنه فيما ثبت عندنا من طريق ابن شنبوذ والمطوعى أداء وسماعا . وسمع من الكسائى الحروف ولم يقرأ عليه القرآن .

تلاميذه

قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلوانى ، وأحمد إبراهيم وراقه ، ومحمد بن يحيى الكسائى الصغير ، وإدريس بن عبد الكريم الحداد ، ومحمد بن الجهم ، وسلمة بن عاصم ، وخلق سواهم كثير ، ولذلك انتشرت قراءته .

عنايته بالحديث

حدث عنه مسلم فى « صحيحه » ، وأبو داود فى « سننه » ، وأحمد بن حنبل ، وأبو زرعة الرازى ، وأحمد بن أبى خيثمة ، ومحمد بن إبراهيم بن أبان السراج ، وأبو يعلى الموصلى ، وأبو القاسم البغوى ، وعدد كثير .

وثقه ابن معين والنسائى وقال الدارقطنى : كان عابدا فاضلا .

قال الحسين بن فهم : ما رأيت أنبل من خلف بن هشام . كان يبدأ بأهل القرآن . ثم يأذن للمحدثين ، وكان يقرأ علينا من حديث أبى عوانة خمسين حديثا . وورد أن خلفا كان يصوم الدهر .

وفاته : توفى فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين .

راوياه

روى قراءة الإمام خلف إسحاق الوراق ، وإدريس الحداد فأما إسحاق فهو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزى ثم البغدادى ، ويعرف بـ « وراق خلف » وراوى اختيار خلف فى القراءة عن خلف نفسه ، كان ـ رحمه الله ـ ثقة قرأ على خلف اختياره ، وقام به بعده ، وقرأ على الوليد بن مسلم ، وكان قيما بالقراءة ، وأقرأ خلقاً كثيرا .

←

توفى سنة ست وثمانين ومائتين .

وأما إدريس فهو إدريس بن عبد الكريم الحداد ، أبو الحسن البغدادى كان إماما ضابطا متقنا ثقة . قرأ على خلف بن هشام روايته واختياره وعلى محمد بن حبيب الشمونى .

روى القراءة عن إدريس خلق كثير منهم ابن مجاهد وابن مقسم . سئل عنه الدارقطنى ، فقال : ثقة وفوق الثقة بدرجة .

توفى يوم الأضحى سنة ثنتين وتسعين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة .

طرق اسحاق الوراق عن خلف

أما إسحاق الوراق عن خلف فمن طريق السوسنجردى ، وهو أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور . وكان ثقة ضابطا متقنا .

توفى فى رجب سنة اثنتين وأربعمائة ، عن نيف وثمانين سنة .

ومن طريق بكر بن شاذان ، وهو أبو القاسم . وكان ثقة واعظا ، مشهورا نبيلا .

توفى فى شوال سنة خمس وأربعمائة .

ومن طريق محمد بن إسحاق الوراق . وتوفى قديما ووقع فى كتب ابن مهران مايقتضى أنه توفى سنة ست وثمانين ومائتين .

وطريق أبى على الحسن بن عثمان النجار المعروف بـ « البرصاطى » وكان مقرئا حاذقا ضابطا .

وتوفى فى حدود الستين وثلاثمائة .

وغير هؤلاء عن إسحاق كثير .

طرق ادريس عن خلف

وأما إدريس فمن طريق أبى إسحاق إبراهيم بن الحسين بن عبد الله النساج ، المعروف بالشطى . وكان مقرئا ضابطا متقنا .

وتوفى فى حدود السبعين وثلثمائة .

وطريق أبى العباس الحسن بن سعيد بن جعفر المطوعى ـ السابق فى رواية ورش .

وطريق أبى الحسن أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان . السابق فى رواية قالون .

وغير أولئك كثير وإذ قد انتهينا من هذا العرض للقراء العشرة . فإننا نحب أن نلفت النظر إلى أن جملة (الطرق) للأئمة العشرة جميعا على وجه التقريب : هى تسعمائة طريق ، وثمانون طريقا ، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب .

وفائدة ما فصل من الطرق ، وذكر من الكتب هو عدم التركيب فى القراءات مع عزو كل قراءة إلى إمامها ، فإنها إذا ميزت وبينت ارتفع وقوع الخلط بينها ، قال الإمام ابن الجزرى فى طيّبته :

وهذه الرواة عنهم طرق
أصحها فى نشرنا[٢] يحقق

باثنين فى اثنين وإلا أربع
فهى زها ألف طريق تجمع

سنــده

قرأ خلف على (سُلَيْم) صاحب حمزة . كما تقدم ، وعلى (يعقوب بن خليفة الأعشى) صاحب أبى بكر ، وعلى (أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى) ، وصاحب المفضل الضبى ، و(أبان) العطار .

وقرأ أبو بكر ، والمفضل ، وأبان على (عاصم) . وتقدم سند عاصم .

وروى الحروف (ويقصد بها : القراءات) عن إسحاق المسيبى صاحب (نافع) . وعن يحيى بن آدم عن أبى بكر أيضا ، وعن الكسائى . ولم يقرأ عليه عرضا . وتقدمت أسانيدهم متصلة إلى النبى - ﷺ .

مذهبه فى القراءة

إن قراءة الإمام خلف لم تخرج عن قراءة الكوفيين إلا فى حرف واحد - هو قوله تعالى : من سورة الأنبياء - ٩٥ : ﴿ وحرام على قرية ﴾ قرأها بفتح الحاء والراء بعدها الف بينما قرأها الكوفيون إلا حفصا وخلفا « وحِرْمٌ » بكسر الحاء وتسكين الراء وحذف الألف [٣] .

وروى عنه أبو العز القلانسى فى ارشاده السكت بين السورتين[٤] فخالف الكوفيين - قاله فى النشر .

ابراهيم عطوة عوض

---

(٢) يريد كتابه : النشر فى القراءات العشر .

(٣) قال أبو شامة - فى إبراز المعانى : « وحِرْم وحَرام » لغتان كـ (حِلّ وحلال) .

(٤) يراد بالسكت بين السورتين قطع الصوت زمنا يسيرا من غير تنفس فى آخر السورة مع حذف البسملة فى أول السورة التالية .

وضع الأسرة فى الإسلام

شرع الإسلام مبادىء تحدد مدلول الطبيعة الاجتماعية لبناء الإنسان على مستوى الفرد ، والأسرة ، والجماعة او المجتمع العام ، على اسس حكيمة وعادلة ... وكان ذلك للاستعلاء بالإنسان ـ خليفة الله على الأرض ـ اجتماعياً ، وإعطائه أسسا ملهمة لما يجب أن تكون عليه مظاهر السلوك والعلاقات على اساس إنسانى لمجتمع افضل وامثل :

فعلى مستوى الأسرة ومايسيرها من علاقات حدد الإسلام مبادىء سامية فى مظاهر السلوك . فللأسرة قوامة يتحملها من أهِّل لحملها . وعليها مسئوليات : فدخول البيوت بإذن وغض البصر واجب ، والإعراض عن اللغو مطلوب ، والتحاب والتواد مرغوب .

● وبالنسبة لكل ما من شأنه زعزعة البناء الأسرى ، وفيه خطر على بنيانها واستمرارها .. فالإسلام يحسم الأمر فوراً وقطعاً بالردع المحذور دون تردد : فالموءودة ستسأل : بأى ذنب قتلت ، والمسلم يمارس « الجنس » النظيف والعفيف بالزواج وعدم الاقتراب من الزنا ، لأنه « فاحشة ومقتا وساء سبيلا » ، والمسلمون والمسلمات راعيات وحافظات للعفاف والطهارة وحافظون ، وكل أفراد الأسرة الصغيرة والكبيرة مؤدبون لا يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا .

●●●

والزواج اقتران إنسان بإنسانة ، وتحمل المسئوليات المرتبة عليه لأنه زواج الحقوق والواجبات ، وبشهادة الله ورسوله ، والميثاق الغليظ .

ووجد الإسلام نماذج لا ترضى ـ قبل رسالته ـ من صور الزواج ، وحقوق الزوجين وواجباتهما وتعدد الزواج بلا حد ، والتعسف فى استعمال حق الطلاق .. وكان لابد من علاج من الإسلام كخاتمة لأديان السماء .. ولم يكن الأمر سهلا فى الخيار : فالبتر للمسائل والحسم ، مع الشيوع والعموم يعرض المجتمع لاهتزاز البنية كلها .. فكان لابد من التدرج والحصر والإحاطة بالضمانات التى تهذب وتصلح وتعدل من السلوك ، تمهيداً للإذابة دون ردود عكسية ، فاختار الإسلام هذا الحل الوسط ، لأنه الدين الوسط ، الذى جعل ارتباطه كيانيا بين الإنسان والكون والمادة والروح : ، فالإنسانية فى وحدته متناسقة متحدة غير متنافرة .

وقوام الأسرة فى الإسلام : زواج يتسامى

للدكتور: توفيق محمد شاهين

بالإنسانية ، مؤلف من زوج وزوجة : وثمرته بنون وحفدة ، وتترتب عليه مسئوليات وحقوق وواجبات ، لا زواج جسد ومتعة يولد صراعا خفيا بين حيوانية الغرائز المندفعة والأنانية المتحكمة ، والطمع البادى والمستتر .. فيمزق الإنسان ويحيره بين مثل يتغنى بها مظهريا ، ويتنكر لها سلوكيا .

فقد أعطى الإسلام المرأة حقها من العناية والرعاية والتقدير ، وسوى بينها وبين الرجل فى الاعتبار البشرى وشئون الدنيا والدين « بعضكم من بعض » وفى إطار طبيعة تكوينها وإمكاناتها حدد لها الدور الذى تستطيع القيام به للإسهام فى الحياة والإسعاد ، فالنساء شقائق الرجال .

وأى باحث منصف لا ينكر أن الإسلام أعطى المرأة من الحقوق ، وأكسبها من المنزلة ما لم تكن قط لأختها من قبل ، ولن تنالها أخرى من بعد ، لأن الإسلام ماكان ليغفل حقها وواجبها وهو المنهج الثابت المرتضى للحياة .

وطرح النقاش وإثارة الجدل العقيم حول هذا الموضوع بين الماديين والملحدين إنما هو من قبيل الفتنة ، ولإحلال العقائد الاجتماعية أو القومية أو الوطنية محل العقيدة الدينية ، ولزحزحة هذا الدين عن طبيعته ووظيفته كمنهج حياة متكامل ، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣ آل عمران) إنما يكون ذلك من أصحاب الزيغ فى التفكير .

● ولكل من الجنسين ما هيأته له طبيعة الخلق والتكوين بما يحقق الدور المطلوب والصالح ، بما يحقق الهدف ويدفع إلى الغاية ، فكان هناك الداعى والمستجيب ، والمريد والمتقبل ، على أن يقوم كل بدوره فى نجاح وإيجابية بدفع قوى وإنسانية ورضاء .

أما حق الرعاية والمعيشة للمرأة فقد كفلته شريعة الواجب فى الإسلام ماكفلته للذكر سواء بسواء ، وعند البحث والمقارنة لا نجد دستور قانون أو دينا سابقا سبق الإسلام فى هذا : فللمرأة حق **التملك** ، **والإرث** ، **والتجارة** ، **والتصرف** ... مع أن لها حماية الفرض الواجب بنتا ، وزوجة وأختا وأمًّا .

ولا عائق لحرية المرأة فى الإسلام حيث تجب الحرية وتقتضى المصلحة ، اللهم إلّا حافظ الحرمات ، وآداب العفة والحياء ، ومانع الغواية والتبرج والفضول ... بما يضر ولا ينفع ، ويشقى ولا يسعد . ويهدم ولا يبنى .

● وهكذا يؤكد الإسلام على جعل أخلاقه فى القلب والسلوك ، كنظام عضوى شديد التماسك ، قوامه عقيدة دينية راسخة ، وتشريع وقيم أخلاقية للتطبيق العملى ،

(*) الكاتب : مدير المركز الإسلامى فى أتاوا ـ كندا .

وضع الأسرة فى الإسلام

لا مجرد نظريات باردة مبتوتة الصلة بواقع الفرد المسلم .

●●●

ومن سماحة الإسلام أن شرع المساواة بين الرجل والمرأة على أساس الحقوق والواجبات ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ . وللواقعية لا يكون من العدل عموم المساواة فى كل الاعتبارات ، مع التفاوت فى الخصائص التى كانت مع أصل الخلقة ، ومقتضى الطبيعة ، وماتترتب عليه الحقوق والواجبات .

ومن ثم كان ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء آية ١١) بما زاد فى واجبه ، فسبحان ﴿ الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ وذلك لتهيئة المجتمع الأمثل فى عدالة توزيع المسئوليات ، وترتب الحقوق والواجبات ، بمقتضى تكليف قوامه مراعاة الجهد والطاقة ، والنفع والمصلحة ، والمناسبة للبيئة والزمان .

● والزواج فى أشرف معانيه شريعة إسلامية ، به عمارة الكون ، وازدهار الحضارة ، وذكر للإنسان ، وحقيقة السكن الروحى والنفسى والجسدى ، والمودة الصريحة ، والرحمة السابغة ، والانسجام ، ورعاية المشاعر والأحاسيس ، فى محبة وتقدير متبادل ، وإحسان وكفاية ، وتعاون مثمر فى تثبيت كيان الأسرة صغيرة أو كبيرة .

وبالتالى يحمى من أضرار الانحراف والشذوذ وأمراض التحلل .

● وللمرأة حرية الرضاء ، واختيار الزوج ، وفرض الإسلام صداقها بما لاحد لأكثره تكريما لها وتشريفا ، وأوصى الزوج بصيانتها وإعفافها ، والصبر على مالا يرضاه منها ، لتقلب مزاجها وطبيعتها ، والخيرية لمن يحسن عشرتها . وعرفت الأديان السابقة تعدد الزوجات بلا حصر ، فهذب ذلك الإسلام وحدده وأباحه للضرورة الملجئة .

● فإذا عرض ما يكدر صفو الحياة ، ولم تجد المساعى الحميدة والمستطاعة لإصلاح ذات البين ، فلا مفر من القسوة المكروهة بارتكاب أبغض الحلال إلى الله تعالى وهو « الطلاق » ، بإحسان : رجعى ، على أمل التقارب واستئناف الحياة السعيدة ، أو البائن حين لا يُغير الانتظار الأمر والواقع المرير ، فيكون الطلاق حلًا يضع حدًا لمصاعب ومتاعب لا تطاق ، وقد أباحته الكنيسة حديثا بموافقة اثنى عشر ألف كردينال كعلاج لحالات استعصت على الحل وتأبت على السهولة : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ . أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة آية ٢٢٩) ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً ﴾ (النساء آية ١٣٠) .

وبذلك نجد الإسلام فى زمن بسيط عبر عن حلول عملية معقولة ، مالم تستطع أديان أخرى تكملته خلال قرون ، فما أبيح الطلاق وهو بغيض كريه إلا لما هو أشدّ منه بغضا وكراهة .

●●●

● ولم يغمط الإسلام حق الرجل ، وهو القوام (من القوامة) ، فأعطاه درجة تفضيل ، تقتضيها الفطرة والواقع والواجب

أولا ، واجب السعى والإنفاق ، والتفوق العام فى المجالات التى أكد الزمن تفوق الرجل فيها وفى المجالات التى تسابق فيها الطرفان ، فسبق الرجل فى كل أطوار التاريخ منذ فجره حتى معاصرته .

● ولم يكن حرمان المرأة من هذه الدرجة تعنتا ؛ لأن الطبع والمشاهدة أكدت حق الرجل فيها : فى الأسرة ، والحياة الاجتماعية ، ولم تكن للمرأة بها طاقة لتوليها ، وهذا ـ على كلٍ ـ لا يغض من شأنها ، وحسبها أنها شقيقة الرجال : تسهم فى مجالها بالعطاء والتضحية والوفاء .

● وفريضة الواجب فرضت للزوج حسن الرعاية والطاعة ، والاحترام والتقدير ، وحفظ النفس والمال والعرض ، وحسن التدبير للمعيشة والعناية بالأولاد ، ونشر أريج السعادة فى المنزل .

وكان حافز الطاعة مثيرا ، ودفعه قويا فى جانبى المرأة والرجل كزوجين بين الأولاد من جهة أخرى ، فإن أطاعت زوجها دخلت جنة ربها ، وأولادها يطيعونها ، لأن الجنة تحت أقدامها .

ومن هذا وذاك نجد الإسلام كرم الإنسان من حيث هو إنسان ، بقطع النظر عن جنسه والاعتبارات البشرية الأخرى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء آية ٧٠) ؛ لأن له رسالة وخلافة فى الأرض يجب عليه أن يؤديها وأن يحافظ عليها ، حتى يرتفع إلى قمة الإنسانية .

● وحين يشيخ أو يقعد عن الكسب ، تبدأ رعاية الأبناء له عطفا وبرا ، ومودة ورحمة ، وحنانا وإحسانا ، والأمر يدور على الجزاء والعاقبة « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

وجاءت نماذج القرآن الاجتماعية ، ومايحكيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نماذج عالية ، توحى بالقدوة والأسوة ، وتجيز الأصلح وتشير باتباعه ، ليصل الإنسان الكامل إلى مجتمع أكثر كمالا ، ثم يكون نموذجا فذا لما يجب أن يكون عليه إنسان الحياة ، الذى يجد فى الإسلام خير تشريع ، يؤكد فى واقعية وبساطة « قارية المجتمع » و« مظاهر حركيته » ، عبر روح عملية بناءه رائعة .

●●●

● والمال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والأولاد ثمرة الزواج المبارك ، وأكبادنا التى تمشى على الأرض ، وعماد المجتمع وأمل المستقبل ، ولهم لذلك فى الإسلام حظهم من العناية والرعاية والتربية ، لأنهم على أوفق الآراء حق المجتمع كما أنهم حق الوالدين ، ومن ثم ، فحقهم الاستقبال باسم الله ، وشكره على الإنعام بهم ، بما يرجى معه الاستزادة : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم آية ٧) وملاعبتهم رحمة وتوجيههم واجب ، وتربيتهم التربية الحسنة عبادة .

● وقد أثبتت البحوث الحديثة فى المؤتمرات المعاصرة : أن حضانة الأم لطفلها حصانة ، وإرضاعها له غذاء وشفاء ، ومكوثها معه خير قدوة وعامل أمان ، وأثبتت التجارب المعملية أن أى جهاز غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها ، ولا يخلو من الأضرار ، فضلا عن أن نموه الجسمى والعقلى والنفسى حين يلتصق بأمه فيسمع دقات قلبها ، ويرضع ثديها ..

وضع الأسرة فى الإسلام

يكون أصحَّ من غيره صحيا ، ونموه أسرع من غيره حين ينشأ فى المحاضن الجماعية .

● وأخيراً فقط اكتشف الغرب فضل وصايا الإسلام ، يقول (سامويل سمايلز الانجليزى) : « إن النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى المصانع مهما نشأ عنه من الثروة فى البلاد ، فإن النتيجة كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ؛ لأنه هاجم هيكل المنزل ، وقوض أركان الأسرة ، وفرق الروابط الاجتماعية ، ولأنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم بنوع خاص ، كل ذلك لا نتيجة له إلا اهتزاز أخلاق المرأة ؛ إذ أن وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية ، مثل ترتيب مسكنها ، وتربية أولادها ، والاقتصاد فى وسائل معيشتها ، مع القيام بالاحتياجات البيئية ، ولكن المعامل تسلبها من كل هذه الواجبات ، بحيث أصبحت المنازل غير المنازل ، وأصبح الأولاد يشبون على غير التربية التى تلقى فى زوايا الإهمال ، فاختفت المحبة الزوجية ، وخرجت الزوجة عن كونها الظريفة والقريبة والمحبة للرجل ، وصارت الزميلة فى العمل والمشاق ، وباتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والأخلاقى ، الذى عليه مدار الفضيلة .

فالخَلل جاء نتيجة لمزاحمة الرجل فى اختصاصه بغير حاجة ملجئة ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قضى على ابنته فاطمة بالعمل فى المنزل ، وعلى زوجها الإمام على ـ رضى الله عنهما ـ بالعمل خارجه . وما أصوب وأحكم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(١) .

ويبادل الأولاد آباءهم وأمهاتهم الجميل إحسانا ورعاية وطاعة وخضوعا ورحمة .

●●●

● والفرد فى دين الإسلام له كيانه واعتباره ، وهو للجماعة والجماعة له ، وهم جميعا متساوون فى الاعتبار البشرى ، وتحميلهم المسئولية ـ أفراداً وجماعات ـ إشعار لهم بالقيمة الإنسانية وتقديراً لسلوكهم بعد أن أهلوا لذلك ، وهم بعدئذ مسئولون عن هذا السلوك رشداً أو غيا : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (الآية ٣ ـ الإنسان) .

وآثار تلك المسئولية تعود إلى الفرد نفسه أولًا ، وبعض آثارها يرجع إلى مجتمعه الصغير أو الكبير بعد ذلك ، ومن ثم فهى مسئولية تضامنية ، كل يتحملها ويسهم فيها بطرف ومسئول عن رعايتها :

فللزوجة حقوق ـ وإن كانت كتابية ـ على زوجها بالمعروف ، وعليها مسئولية الرعاية الداخلية للبيت والأولاد ، وللزوج حقوق عليها تواكب مسئوليتها كإنسانة رشيدة تقوم بواجبها ، وعلى الوالدين حسن توجيه وتربية الأولاد .

(١) رواه البخارى ـ الاستقراض وأداء الديون .

والتعرف على منهج الإسلام كرسالة وغاية فى الحياة ، إذ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . كما أخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٢] .

● وحق الوالدين على الأبناء بعد بلوغهم سن الرشد الرعاية والطاعة والعناية والرحمة والإحسان .

والمجتمع يرعى الفرد ، وهو بالتالى يرد الجميل له ، جزاء إحسان بإحسان .

ويتسامى الإسلام فى تبعات الحقوق والواجبات والمسئولية ، حين : « **يدفع أفراده للإيثار لا الأثرة** » .

لأن الحرية والمسئولية الممنوحة لهم لم تكن حرية شهوة وهوى وأنانية ، وإنما كانت دفعاً ذاتياً للإنسانية نحو الأكمل والأفضل ، فكانت الواجبات قبل الحقوق ، وكان الإيثار قبل الكفاية درجة فضل :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الآية ٩ ـ الحشر) .

وإذا عزت درجة الإيثار فلا أقل من تكافل الأشعريين ، حين كانت تنوبهم الخصاصة ، فيجمعون ما عندهم بغية القسمة بينهم بالسوية ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حقهم لصنعهم المسئول :

« **فهم منّى وأنا منهم** »[٣] .. !!

● ووضع المسلم والمسلمة هكذا فى دائرة الواجبات والمسئولية ، تحت رقابة ذاتية ، يوجه الأفراد والمجتمع لاتجاه واحد ، وحركات متناسقة متصلة للإنتاج الكمىّ والكيفىّ ، ابتغاء وجه الله فى محبة وقوة ، وبابتغاء العزة ، لا انتظارا لحافز مادى كشأن الماديين والملحدين ، ممن أهمتهم المادة والإنسان ، **وليس الله خالق الإنسان** ، ولذا حذر القرآن المعجز من اتباع الماديين والملحدين ، حينما نستمع لقوله تعالى فى أول سورة إبراهيم :

﴿ الر . كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (الآيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ سورة إبراهيم)

فمن صفاتهم تفضيل متاع الدنيا على الآخرة والعمل لها ، والصدّ عن سبيل الله بالغواية ، وعدم الاستقامة ، وتشويه قيم الإسلام بالضلال والإضلال ، ومع ذلك فكيد الشياطين ضعيف ، وظلام الدنيا ، لايطفىء شمعة .

والحق أحق أن يتبع .

● ولكنّ المفسدين يتصدرون التوجيه بعيون معصوبة ، وقلوب زائغة ، عليها أقفالها المحكمة ـ فامتد خطرهم ونشاطهم إلى آفاق بعيدة ، ونواحٍ عديدة ..

وكانت المرأة هنا الهدف .. وكانت صيحات مايسمى « حركات تحرير المرأة » بغرض إلغاء آثار الذكورة والأنوثة ، والتغيير الشامل

←

(٢) صحيح البخارى .

(٣) صحيح مسلم .

وضع الأسرة فى الإسلام.

فى العلاقات الاجتماعية والأسرية والجنسية ، على نحو مايحكيه الأستاذ الدكتور محمد البهى فى كتابه :

(خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر) حين أشار إلى هذا التغيير المطلوب والمزمع إلى :

● مساواة الطفل غير الشرعى بالطفل الشرعى ، وقد نجحت فى ذلك البلاد الاسكندنافية .

● وإلى عدم اعتبار الزنا سبباً خلقياً يبرر مسئولية الزوجة فى طلاقها من زوجها ، وقد ألغى الآن فى الدانيمارك .

● وإلى إباحة المعاشرة الجنسية فى غير علاقة زوجية ، فى علاقة صداقة أو فيما يسمى بزواج المجموعة أو فى تبادل الزوجات والصديقات ، وإباحة العُرى فى المجتمعات العامة ، وتم ذلك فى السويد وغيرها .

● وإلى جعل الطلاق حقا للزوجين دون تدخل من الدولة عن طريق القضاء ونُفِّذَ ذلك فى رقعة كبيرة من الأرض .

● وإلى تيسير قيام الزوجية لمن هم دون العشرين وفوق السادسة عشرة بدون الحاجة إلى إذن الوالدين والأهل .

● وإلى إباحة عرض أفلام الجنس فى توضيح « العلاقة الجنسية » والحمل والولادة .

● وإلى إباحة نشر الصور العارية وكتب وأفلام الإثارة الجنسية ، وفتح معرض عالمى فى الدانيمارك سنة ١٩٦٩م لذلك .

● وتوجيه الشباب منذ المرحلة الأولى فى المدرسة إلى معرفة الجنس من بدء الحمل إلى وقت الولادة .

● وإلى إباحة « اللواط » بين الرجال « والسحاق » بين النساء فى قوانين المجتمع ، ويشترط فقط فى إباحة اللواط بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

● وتيسير رعاية الأم فى غير علاقة زوجية ، وتيسير إسقاط الجنين وتناول حبوب منع الحمل ، وجواز التلقيح الصناعى من غير ماء الزوج ، بشرط موافقة الزوجين .

● وقد ساعد على كل ذلك ماتميز به العصر الحديث من تقدم وثورة فى الاقتصاد والصناعة والاجتماع والسياسة والتقدم التكنولوچى الهائل .. وترتب على ذلك ـ فى إيجاز ـ :

● اهتزاز القيم الإنسانية فى نفوس الشباب .

● والثورة على الأوضاع المعروفة والتمرد على كل سلطة توجيه .

● وعدم المبالاة بأى قيم أو أعراف والتخلى عن المسئولية .

● تشجيع حفلات الشباب واختلاطهم فى كل المجالات للانطلاق من كل قيد باسم « الجنس من أجل السلام » .. إلى آخر هذه العوامل

التخريبية التى انتشرت انتشار النار فى الهشيم ، وتهدد بخطر داهم لا يبقى ولا يذر .

وتتركز الحملات باستمرار ضد الإسلام والمسلمين ، محاولة تشويه معالمه ، وزحزحته عن التوجيه باسم « العلمانية » والحطّ من قيمته لتنفير أبنائه منه ، وإخراجهم من دائرة الاعتقاد به ، وإهمال تعاليمه ..

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف آية ٨) .

●●●

● وجدير بالمسلم أن يعتصم بدينه ، ويعتز بإسلامه ، ويحاول جهده أن يقيم دولة الإسلام فى أسرته ، تمهيداً لقيامها فى الدولة الكبيرة بفضل الله ..

وليحذر جهده هذه الصيحات الهدامة والعلاقات الآثمة الشاذة ، فما نتج عنها سوى الانحلال والتحلل والانحراف ، فضلا عن فشو الأمراض الجسدية والنفسية والعصبية مما دمّر جوُّ الأسرة ، وعكر صفو المجتمع ، وأجج نيران العداوة والبغضاء ، وأهاج أمواج الشك والريبة ..

وقد أخبرنا رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله « لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا »(٤) .

وكفى برعب (الإيدز) والأمراض السرية واعظا !

وما زاد انحلال الغرب وانحداره إلا أوارا وسعارا ، وتأثير ضار على الجهاز العصبى ، وخواء الروح ، واهتزاز المقومات الأساسية للذات ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً ﴾ (الكهف ٥٩) .

● وستبقى المسيرة الخالدة للإسلام حين قادها بتوازن مقدس بين المادة والروح والجسد والنفس ، ومن ثم تدخل بالتشريع ليحل النافع ويحرم الضار ومايزعج :

﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة آية ١٣٨) .

● وسيظل الأمل يراودنا فى إشراقة الإسلام تطل على الدنيا من جديد ..

ويسألونك متى هو . قل عسى أن يكون قريباً

ويؤكد الفيلسوف الألمانى « شبنجلر » أن « الدورة الحضارية القادمة فى الأفق ستكون حضارة الإسلام » .

﴿ .. وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ ﴾ (الآية ٤ ـ الأحزاب)

دكتور / توفيق محمد شاهين

---

(٤) ابن ماجه ـ كتاب الفتن .

رسل الأزهر

فى بلاد النيجر

للعيون فى اللغة دلالات مختلفة ومعان .. فهناك العيون التى تبصر ، وهناك العيون التى تتنسم الأخبار ، وتلك التى تروى الظما ، فتنقل بين العيون ماشاء الله لك أن تتنقل ، تكن قد رايت وارتايت وارتويت .

ابو العيون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد فإنى أضع بين يدىّ القارىء الكريم صفحات أسميتها « عيون الأزهر فى بلاد النيجر » تيمنا بالأزهر الشريف ، المنهل الروحى لأسرة « أبى العيون » ، وصاحب السهم الأوفر فى نشر تعاليم الإسلام ، والعربية لغة القرآن ، فى شتى بقاع الأرض ، والنبع الصافى الذى استقيت ، واستقى معى أهل النيجر من عيونه .

والغرض من هذه الصفحات ، التى رويت من خلالها ذكرياتى عن النيجر فى الفترة من ١٣٩١ - ١٣٩٦ هـ ١٩٧١ - ١٩٧٦ م هو التعريف بشعب مسلم ، مجهول لدى الكثيرين منا ، يعيش فى قلب أفريقيا ، وأتمنى أن يعيش أيضا فى قلب كل قارىء مسلم .

وقد اجتهدت أن أرسم فى صفحاتى هذه صورة لشعب طيب ، عانى كثيرا ، وحرم كثيرا ، وكان زاده الوحيد الذى قاوم به طوال المعاناة والحرمان هو تمسكه بالإسلام ، فى فترة شهدت فيها البلاد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة .

كما حاولت بالمثل أن أقدم صورة صادقة ، بلا (رتوش) ولا تشويه :

عن حياتنا فى النيجر ، وطننا الثانى بعد مصر بكل مباهجها ومغانيها .

عن حياة الدبلوماسيين بالخارج بشواغلها وهمومها .

عن الجنود المجهولين من أبناء الجالية المصرية الشرفاء .

عن الأزهر منارة الإسلام فى بلاد تعتز بالإسلام .

والله أدعو أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه . وأستغفره سبحانه إن كنت قد شططت أو جانبت الصواب ، وماتوفيقى إلا بالله .

للسيد السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

ترجمة حياة المؤلف

— ابن المغفور له الشيخ محمود أبى العيون ، سكرتير عام الجامع الأزهر والمعاهد الدينية (سابقا) .

— ولد فى ٢٤ فبراير ١٩٢٧ .

— تخرج فى كلية الحقوق (جامعة فؤاد الأول) ١٩٤٧ .

— حصل على دبلوم الشريعة الإسلامية من نفس الكلية ١٩٥٠ .

— التحق بالسلك السياسي (١٩٥١ - ١٩٨٧) .

— ملحق دبلوماسى بالمفوضية المصرية فى بوخارست رومانيا / (١٩٥٢ - ١٩٥٣) .

— سكرتير ثان بالسفارة فى (بون) ففرانكفورت / ألمانيا الغربية (١٩٥٧ - ١٩٦٢) .

— مستشار بالسفارة فى نيقوسيا / قبرص (١٩٦٤ - ١٩٦٨) .

— قائم بالأعمال (مستشار ثم وزير مفوض) ثم سفير فى نيامى / النيجر (١٩٧١ - ١٩٧٦) .

— سفير فى كولومبو / سرى لانكا (١٩٧٩ - ١٩٨٣) .

— أنشأ (متحف الزعيم المصرى أحمد عرابى باشا) بمدينة كاندى بسرى لانكا وهو أول متحف مصرى يقام خارج مصر .

— أنشأ إدارة شئون مجلسى الشعب والشورى بوزارة الخارجية (١٩٨٣ - ١٩٨٧) .

— اختير عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ ١٩٨٨ .

١ـ قوافل الزمان

مطلوب منك أن تغمض عينيك ثم تفتحهما على منظر طريف لن تنساه أبداً .. منظر قوافل الجمال وهى تعبر الجسر الوحيد على نهر النيجر عند مدينة (نيامى) ، ثم وهى تتوقف أمام مبنى شاهق الارتفاع ، ليطل منها رجال مُلَثَّمُون ، تكاد تختفى ملامحهم السمراء خلف ثيابهم الزرقاء الداكنة ، فلا يكاد يظهر منها سوى عيونهم اللامعة المتطلعة فى دهشة إلى ذلك المبنى الضخم . وأصابعهم تتابع عيونهم ، وتعد طابقا فوق طابق ، حتى تتم اثنى عشر طابقا ، ثم يهزون رءوسهم غير مصدقين .. تماما كما يفعل السياح حينما يحضرون إلى مصر ليشاهدوا الهرم الأكبر لأول مرة .. لذلك لم يكن من الغريب أن

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

يطلقوا فى النيجر اسم الهرم على تلك العمارة المرتفعة التى يرفرف عليها علم مصر والتى يعلـوها بـأحـرف كبـيرة خضراء اسم « النصر » .

أنت الآن فى عام ١٩٧١ .

تستطيع إذا كنت قادما بالطائرة إلى العاصمة نيامى أن تشهد ذلك المنظر الفريد

بوضوح ، منظر المدينة الصغيرة الراقدة فى حضن الصحراء ، والتى تشبه إلى حد كبير ضاحية المعادى بمبانيها التى لا يتجاوز ارتفاعها طابقين أو أحيانا ثلاثة ، عدا عمارة النصر المصرية التى تتوسطها والتى تبدو من الطائرة وكأنها تاج يزين وسط العاصمة بعلوها وشموخها .

ومن المؤكد أنك سوف تحس بالفخار .. فأنت أو أخوك أو أحد أقربائك أو معارفك قد ساهم بغير شك فى تشييد هذه العمارة الضخمة التى شاء الله ـ سبحانه ـ أن يحقق قيامها على يدى رجل عظيم ووطنى مخلص يعد من أنجح الاقتصاديين المصريين فى عصره هو السيد / محمد غانم رئيس مجلس إدارة شركة النصر للتصدير والاستيراد .

ولعلك تتساءل الآن : عن الحكمة من تشييد عمارة مصرية كبيرة فى مثل هذه الأصقاع النائية من أفريقيا ؟ ولقد رددت مثلك هذا السؤال من قبل حتى جاءنى الجواب على لسان الصديق العزيز مصطفى فوزى مدير الاستثمارات بشركة النصر ورفيقى فى رحلة افتتاح العمارة ، وقد أجابنى وعلى شفتيه ابتسامته الهادئة الوديعة :

« سوف أقص عليك القصة باختصار .. أنت تعلم دور الاستعمار الأوروبى الغاشم فى أفريقيا ، وكيف استعبد أهلها ، ونهب كنوزها ، وعمد إلى تزييف تاريخها ومحو شخصيتها ، وعزلها عزلة تامة عن العالم الخارجى ، إلى أن تبدلت الصورة بعد الحرب العالمية الثانية ، وأخذت موجة الاستعمار فى الانحسار فى الخمسينيات .. وكان لمصر دورها المعروف فى مناصرة تلك المستعمرات حتى حصلت على استقلالها وبدأت تنعم بشمس الحرية .

ولم ينس الاستعمار وهو يتراجع أن يهيىء لعميلته إسرائيل ركيزة فى المستعمرات ، فسمح لها بإنشاء قنصليات ، تحولت غداة الاستقلال إلى سفارات ، فى حين وضع العقبات أمام مصر التى ظلت تكافح لتجد موطئا لأقدامها هناك ، حتى اهتدت إلى طريق عملى سديد ، فكان أن قامت شركة النصر بافتتاح نيف وثلاثين فرعا لها فى أفريقيا لإثبات الوجود المصرى وكسر الاحتكار الأجنبى المسيطر على أسواقها .

واستطرد مصطفى فوزى يقول وقد ازدادت ابتسامته اتساعا : « والمسـألة ببساطة أننا اقتنعنا ـ بعد معايشتنا للشعوب الأفريقية الشقيقة ـ بأهمية الدور المصرى فيها ، كما اكتشفنا الأهمية المنتظرة للنيجر بالذات ، فهى من جهة تعد ملتقى الطرق فى غرب أفريقيا ، ومن جهة أخرى تبشر الظواهر بوجود ثروات كثيرة فى باطنها ، وفى مقدمتها المعدن النادر الذى لا غنى عنه لصناعات

المستقبل ، وهو معدن (اليورانيوم) فكان أن عرضت شركتنا على حكومة النيجر تشييد هذه العمارة لتكون مستعدة لاستقبال الأعداد المتزايدة سنويا من الخبراء الأجانب ، بالإضافة إلى الدبلوماسيين والسياح فرحبت الحكومة بالعرض وأهدتنا قطعة الأرض التى اخترناها لتشييد العمارة عليها .

وسوف تدهش إذا علمت أن العمارة التى تكلف إنشاؤها فى ذلك الحين مليونا ونصف مليون جنيه استرلينى قد شادتها بالكامل الخبرات المصرية : تصميما واشرافا وتنفيذاً ، كما ساهمت فى تشييدها السواعد المصرية التى نجحت فى تدريب العديد من المواطنين النيجيريين على أعمال التشييد والعمران حتى تم هذا الإنجاز الرائع .

وكنت قد تلقيت من السيد محمد غانم ـ إثر اختيارى مستشاراً قائما بأعمال السفارة المصرية فى النيجر ـ دعوة كريمة للمشاركة فى الاحتفالات التى تقرر إقامتها بمناسبة افتتاح العمارة المصرية فى (نيامى) ، وعمارة أخرى كبيرة فى ابيدجان (ساحل العاج) فى أبريل ١٩٧١ ، وهكذا سافرت فى الطائرة التى خصصت لنقل المدعوين الرسميين إلى النيجر ، حيث شاركت فى الحفل الكبير الذى أقيم يوم أول مايو عقب الاحتفال بعيد العمال ، الذى شرفه الرئيس هامانى ديورى رئيس جمهورية النيجر وقتئذ بحضوره ، كما شاهده كبار المسئولين بالدولة ، والوزراء وفى مقدمتهم وزير الخارجية السيد مايدا محمودو ، ورجال السلك الدبلوماسى الأجنبى ، وجم غفير من الأهالى الذين احتشدوا فى شبه مظاهرة ، وراحوا يتزاحمون حول العمارة ومصاعدها الكهربائية التى رأوها لأول مرة وكأنها أرجوحة من أراجيح الملاهى .

وكان أسعد الحاضرين رئيس الجمهورية الذى أمر بإطلاق اسم جمال عبد الناصر على الطريق الذى تقع فيه العمارة ، ولما صعد إلى سطحها أعلن وهو فى قمة الابتهاج أنه سعيد كل السعادة أن يرى بلاده لأول مرة من أعلى قمة فى العاصمة .

ولما انفض الحفل وتفرقت الجموع ، وجدت فرصتى لتفقد العمارة بصحبة زميلى المستشار (السفير فيما بعد) صلاح الدين علوبة القائم بأعمال السفارة المصرية وقتها (وهو ابن المجاهد الكبير المغفور له محمد على علوبة باشا) ووجدتها تستحق الإعجاب مثلا ، فهى مكونة من جناحين ملتصقين ، يضم كل منها (اثنين وعشرين) شقة . بمصعد كهربائى مستقل ، وفى أسفلها حديقة واسعة تصلح لأغراض شتى ، وتضم محلات عديدة و(كافيتريا) ذات شرفة رحبة ، وفى أعلى العمارة طابق كبير يحتل مساحة الجناحين معا ، ويصلح لأن يكون معرضا أو مركزا تجاريا كبيراً أو مكانا لأى مشروع ناجح .

وصحبنى زميلى إلى دار السفارة الواقعة فى الطابق الأول من العمارة لأشاهد مكتبى المنتظر بها ، ثم إلى دار السكن المخصصة لرئيس البعثة ، وهى عبارة عن ڤيلا لطيفة فى الطابقين السابع والثامن . ولما خرجت إلى شرفة مسكنى المنتظر ، ونظرت من علٍ ،

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

داعبتنى نسمة من الهواء عليلة رغم حرارة الجو الشديدة ، وراقنى منظر المدينة الهادئة وهى تكسوها الخضرة ، والنهر الوديع وهو يجرى منسابا بالقرب من عمارتنا الحبيبة ، وحدثنى صديقى علوبة عن النيجر وعن ذكرياته فيها ، فقال : إنه رغم حبه للبلاد وأهلها إلا أنه لم يشعز للأسف بالاستقرار طيلة العامين السابقين ، فقد كان عليه أن يفتتح أول سفارة لمصر فيها عام ١٩٦٩ ، فكانت بداية شاقة بطبيعة الحال ، ثم كان عليه أن يساهم فى الإشراف على بناء العمارة المصرية ، وهى مهمة شاقة كذلك ، وهو يعتقد أنه أدى واجبه كاملا فى هذه الناحية ، وأنه قد آن أوان سفره إلى فنلندا بشمال أوروبا لتمضية السنتين الباقيتين له فى الخارج . وقلت له : إننى شخصيا أستعد للحضور مع أسرتى للنيجر قبل بدء العام الدراسى الجديد بها ، فتمنى لى حظا سعيدا فى عملى الجديد ، وتمنيت له بدورى السعادة والتوفيق .

ومرة أخرى مرت القوافل أمام عينى وهى تعبر الجسر الوحيد على النهر عائدة إلى موطنها ، فرحت أشيعها ببصرى حتى توارت تدريجيا عند الأفق الغربى لتلحق بغيرها من قوافل الزمان .

٢- الرمال الملتهبة

يحكى أن صيادا كان يعبر نهر النيجر قاصدا زيارة أمه التى تقيم فى أكواخ للصيادين مقامة على ضفة النهر ، حين قابله أحد الأجانب وسأله عن وجهته ، فأشار الصياد إلى الشاطىء المقابل وأجاب : « نيامى » أى : « أنا ذاهب إلى أمى » فظن الأجنبى أن « نيامى » هو اسم القرية ، ودونها على خريطة كان يحملها ، ومن ثم أصبح اسم تلك القرية - التى انتشر فيها العمران حتى غدت مدينة - (نيامى) ونمت المدينة بسرعة ، وتكاثر عدد سكانها ، حتى اختيرت لتكون عاصمة لكل النيجر .

والنيجر دولة من جيران مصر ، لا يفصلها عنها سوى ليبيا ، وصحراؤها هى الامتداد الطبيعى لصحرائنا الغربية ، كما أن عدداً من قبائلها ينسبون أنفسهم إلى مصر ، ويقولون : إن أجدادهم القدامى وفدوا إلى هذه البلاد عبر الصحراء بحثاً عن المرعى فى وقت لم تكن فيه هناك حدود فاصلة بين دولة وأخرى فى هذا الخضم اللانهائى من الرمال المنبسطة .

ولماذا نذهب بعيداً ؟ إن الحدود التى تفصل بين النيجر وجيرانها حاليا ماهى إلا حدود مصطفة خطها قلم الاستعمار على خريطة أفريقيا .. والدليل على ذلك أن القبائل التى تعيش داخل النيجر ماهى إلا امتداد أو فروع لنفس القبائل التى تعيش حتى الآن عبر الحدود خارج النيجر .

وموقع النيجر فى قارة أفريقيا كموقع القلب من جسد الإنسان ، وهى محاطة بالجيران من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم ، فمن الشرق تحدها تشاد ، ومن الشمال ليبيا

والجزائر ، ومن الغرب مالى وبوركينا فاسو ، ومن الجنوب بنين ونيجيريا .

وإن شئت أن ترى النيجر مجسمة أمامك ، فما عليك إلا أن تقبض أصابع يدك اليسرى بشدة ، ثم ترفع معصمك أمام عينيك وكأنك تنظر إلى ساعتك ، وعندئذ ستشاهد النيجر وكأنها أمامك على الخريطة .

وإذا افترضنا أنك فى طائرة تجوب بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، فسوف تظهر لك النيجر على هيئة سهل شاسع ، مساحته حوالى مليون وربع كم^{2} ، فهى أكبر قليلا من مساحة مصر (مليون كم^{2}) ، ويبلغ طول ذلك السهل من الشرق إلى الغرب (١٥٠٠) كم ومن الشمال إلى الجنوب (١٢٠٠) كم ، وارتفاعه حوالى (٣٠٠) متر ، وتغطيه الكثبان الرملية إلى مالا نهاية ، وفى وسط سلسلة من الحواجز البركانية ، أعلاها قمة الآير التى يبلغ ارتفاعها (٢٣٠٠) متر ، مما يسمح بسقوط بعض الأمطار عليها ، ولذا تكثر فيها المراعى الخضراء التى تضفى على المنطقة جاذبية لا نظير لها . وتعد مدينة أجاريس فى هذه المنطقة نقطة الكثافة السكانية الوحيدة والملتقى الهام لطرق القوافل .

وفى شرق الآير يقع سهل التترى ، الذى تغطى كثبانه الرملية معظم النيجر الشرقى ، وقد تصل سلسلة الكثبان الرملية فى طولها إلى ما يقرب من ٢٠ كم وارتفاعها عدة أمتار ، وأخيراً هناك السهل الكثبانى المعروف بسهل (بيلما) الكبير أو سهل (الكاوار) ، وهو منطقة صحراوية خالية ، تتخللها فى بعض أجزائها واحات تعد متعة للنظر ، كما يوجد بالقرب منها سهل مملح يعرف بمنطقة ملاحات بيلما .

فإذا انتقلت إلى جنوب البلاد فسوف تصادف مناطق خضراء مأهولة بالسكان لوقوعها بين بحيرة تشاد شرقا ونهر النيجر غربا ، وأيضا بفضل الأمطار الموسمية التى تأتى بها الرياح من الجنوب وتقل تدريجيا كلما اتجهنا إلى الشمال .

وقد اشتقت جمهورية النيجر اسمها من نهر النيجر الذى يجرى فيها على امتداد (٣٥٠) كيلو مترا قرب حدودها الغربية وهو نهر احتار فيه المستكشفون قديما حيث ظنوه فرعا من فروع نهر النيل ويبلغ طوله (٤٢٠٠) كم ، وهو بذلك ثالث أنهار أفريقيا طولا بعد النيل ، ونهر الكونغو ، وهو ينبع من غينيا فى غرب أفريقيا ، ويخترق مالى والنيجر ونيجيريا قبل أن يصب فى خليج غينيا ، ومياهه ضحلة ، وخاصة عند النيجر ، كما أنه تعترضه صخور جرانيتية تعوق الملاحة فيه ، ولذلك لم يستفد أهل النيجر منه مثلما استفادت مصر من نهر النيل .

وفى أقصى الجنوب ، حيث تلتقى حدود النيجر مع بوركينا فاسو وبنين ، تجد النهر قد تعثر فى سيره محدثا تعرجات ضيقة أشهرها

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

فرع (واو) الملىء بالأحراش والحيوانات الطليقة .

وهناك نهر آخر أقل شهرة ، وهو نهر (كومو دوجو[1] يوبى) ويبلغ طوله حوالى (١٠٠٠) كيلو متر ، وهو ينبع من نيجيريا ، ويشكل جزءاً من الحدود الفاصلة بينها وبين النيجر بطول ١٥٠ كيلو مترا . ثم يتوغل فى أرض النيجر ليصب بعد ذلك فى بحيرة تشاد جنوب شرقى النيجر .

ويقال إن بحيرة تشاد كانت فى الأصل بحراً كبيراً ، والآن لا يزيد عمقها عن بضعة أمتار ، وتتزاحم فيها الجزر ، وتبلغ مساحة الجزء الواقع منها فى النيجر حوالى (٣٠٠٠) كم^2 ، والباقى موزع بين نيجيريا والكاميرون وتشاد .. ومعظم سكان النيجر ربما سمعوا عن البحر ولكن لم يروه بأعينهم ، فهو يبعد آلاف الكيلو مترات ، وأقرب الموانىء إلى النيجر فى الجنوب كوتونو عاصمة بنين (١٢٠٠) كم ، وفى الغرب داكار عاصمة السنغال (٢٠٠٠ كم) وفى الشمال الجزائر (٢٥٠٠ كم) وكان لبعد النيجر عن البحر تأثيره الواضح على مناخها ، فهى شديدة الجفاف ، بالإضافة إلى كونها شـديدة الحرارة ، لأنها تقع بين مدار السرطان وخط عرض ١٢° شمال خط الاستواء .

والفصول المناخية فى النيجر تختلف عن مثيلتها فى مصر ، فهى لا تنقسم ـ كما هو الحال عندنا ـ إلى الفصول الأربعة المعروفة ولكن إلى أربعة مواسم هى : موسم المطر ، ويسمونه الشتوى ، (يونيو ـ سبتمبر) وموسم الجفاف الشديد (أكتوبر) وموسم البرد (نوفمبر ـ فبراير) ثم موسم الحر الشديد (مارس ـ يونيو) وفيه تصل درجة الحرارة إلى ٤٠° مئوية فى الظل ، ولك أن تتخيلها فى الصحراء المكشوفة التى هى أشد وطأة وتطرفا ، لتعلم لماذا أطلقوا عليها وصف : الرمال الملتهبة .

تلك هى النيجر ، بسهولها ومرتفعاتها وصحاريها وأنهارها ، ولقد يسعدنا بعد أن عرفنا شيئا عن طبيعتها أن نلتقى بسكانها لنتعرف عليهم من قرب ، فمن هم ؟ ومن أين وفدوا على هذه البلاد !

يتبع

جمال الدين أبو العيون

العسل

في القرآن والسُّنة والطب

بقلم: واصف عبد الحليم عبد الله

يقول سبحانه جل وعلا :

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً . يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

والوحي هنا بمعنى الإلهام والإرشاد .

ويقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم « عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن »[2] .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وقد جمع الحديث الشريف بين شفاءين : شفاء النفوس وشفاء الأبدان ، فالقرآن هدى الأرواح وشفاؤها ، والعسل شفاء الأجساد وطبها ،

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم) .

ويثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على

(١) سورة النحل : الآيات ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) ابن ماجه .

العسل فى القرآن والسنة

بلال فيقول : « مثل بلال كمثل النحلة تأكل طيباً ، وتضع طيباً ، وقعت فلم تكسر ولم تفسد » (رواه أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى) كذلك فى العسل شفاء للنفس والجسد لقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾(٣) صدق الله العظيم .

ولفظ الشفاء ورد فى الآية الكريمة نكرة ليفيد عموم الشفاء وعدم التخصيص ثم هو من نعيم الجنة قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم « شفاء أمتى فى ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار » صدقت يارسول الله وفى رواية « لا أحب أن أكتوى » ابن ماجه .

وقدم الرسول صلى الله عليه وسلم العسل فى هذا الحديث وذلك لأهميته كغذاء وأهميته كدواء ، وليس للعسل أعراض جانبية كتلك التى تتوقع من استعمال العقاقير الطبية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لعق ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم البلاء » (أحمد وابن ماجه ورمز له السيوطى بالصحة) ويقصد باللعق هنا لعق العسل وقد أثبتت التجارب أنه يشفى ويساعد على شفاء العديد من الأمراض . منها : الجروح وأمراض الجلد بأنواعها لما يتمتع به من خاصية قتل الجراثيم والتعقيم ، كما يساعد على نظافة الجروح ويساعد على سرعة التئامها ، وقد أتى بنتائج باهرة فى سرعة التئام العمليات الجراحية الخطيرة مثل (بتر الثدى) .

والعسل يزيد من مخزون الكبد من السكر الحيوانى وتنشيط عملية التمثيل الغذائى فى الأنسجة والجلوكوز يزيد من نشاط الكبد فيزداد أثره فى تكوين (ترياق سم البكتريا) وبذلك تزداد مقاومة الجسم للعدوى هذا بالنسبة للكبد ، أما القلب والأوعية (الإكلينيكية) فله خاصية توسيع هذه الأوعية وهو يزيد من « تروية » عضلة القلب وتغذيتها .

وإلى القارىء بعض استخدامات العسل فى الطب الحديث :

(أ) استعمال العسل فى علاج أمراض التنفس :

يقول : (د . س . جارفيس) فى كتابه الطب الشعبى : العسل دواء ممتاز لمعالجة بعض أمراض المسالك التنفسية . وذلك بمضغ المادة الشمعية بعد تجريدها من العسل فعند مضغ قطعة من شمع النحل يؤدى ذلك إلى تحسن الجدار الداخلى للمسالك التنفسية .

كذلك استعمال العسل لعلاج (جفاف الأنف والبلعوم والحنجرة) عن طريق محلول من العسل فى الماء بنسبة ١٠٪ يوضع فى جهاز رذاذ للاستنشاق .

---

(٣) سورة النحل الآيات ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) سورة محمد ﷺ : الآية ١٥ .

أوصى بذلك (ن يويريش) فى كتابه عن عسل النحل .

وبخصوص علاج اللوزتين أجريت دراسة فى مستشفى بـ(روسيا) للأطفال وكانت النتائج مشجعة فى هذا المجال وتتلخص طريقة هذا العلاج فى مزج (٥٠) جرام عسل يضاف إليها نصف مليون وحدة من البنسلين المبلور ، وتحفظ فى مكان جاف ومظلم عند درجة حرارة ٥ ـ٧م ثم تدهن اللوزتان بالمزيج من خلال قطعة قطن ثلاث مرات كل يوم بعد الطعام ولمدة ١٢ ـ ١٥ يوماً .

العسل فى علاج الرئة

يستعمل العسل فى علاج أمراض الرئة ومنها « السل الرئوى الأولى بمزيج من العسل وبتلات الورد .. وكان الأطباء يوصون المرضى المصابين بالنزف الرئوى بشرب العسل النقى أو الممزوج بعصير الجزر أو اللفت .

(ب) استعمال العسل فى علاج أمراض القلب :

ثبت بالتجربة العلمية أن العسل يعمل على تقوية القلب ، ورفع الضغط المنخفض ويزيد من نسبة (الهيموجلوبين) فى الدم ويزيد أوزان الأطفال الضعاف إذا تناولوا (٣٠) جراماً من العسل يومياً .

كذلك من الجدير بالذكر أن من أهم مكونات العسل : الجلوكوز ذلك السائل السكرى الذى يستعمل لعلاج معظم الأمراض ومنها أمراض الدورة الدموية .. فهو أهم علاج للتسمم ، وله دور فعال فى تنظيم ضغط الدم .

(جـ) العسل .. وأمراض الجهاز الهضمى :

لم يعرف الإنسان وجبة غذائية أنفع وأخف من عسل النحل فالغذاء المكون من العسل فقط أو ممزوجاً مع الأطعمة الرئيسية الأساسية ، يقلل من الحموضة لدى المرضى الذين يشكون من الحموضة العالية فى المعدة وعلى ذلك يمكن وصف العسل علاجاً للاضطرابات المختلفة فى المعدة والأمعاء .

فأما عن اعتقاد البعض أن العسل لا يناسب صحتهم نظراً لضعف الكبد لديهم ، فإن التجارب المستمرة عليه فى جامعة (بولونيكا) بإيطاليا تثبت أن للعسل تأثيراً مقوياً لمرضى الكبد . كذلك مما هو معلوم عن البنكرياس أن يقوم بإفراز (أنزيمات) خاصة لتحويل السكريات الصناعية إلى (نشا) حيوانى يمكن للجسم الاستفادة منه عند الحاجة .

ذلك بعض مااكتشفته التجارب العلمية الحديثة عن أثر العسل فى علاج بعض الأمراض وهو قلٌّ من كُثْر مما لا يعلمه إلا الله خالقه ـ عز وجل ـ سبحانه بيده الخير وهو على كل شىء قدير وبالله التوفيق .

مراجع

١ ـ الشفاءات ، للأستاذ حلمى الخولى .
٢ ـ مستشفى عسل النحل ، للأستاذ عبد اللطيف عاشور .
٣ ـ نحل العسل والطب الشعبى ، للعالم الأمريكي (س . جارفيس) ترجمة د . أمين رويحة .
٤ ـ النحل ، واصف عبد الحليم عبد الله مجلة الوعى الاسلامى ـ الكويت .

الفتاوى

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين
صفوت عبد الجواد

السؤال من السيد /

ماحكم الشرع فى العمل أو فتح نادى فيديو للأفلام الهندية والعربية والأجنبية ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد أن إنشاء (نادى فيديو) التكسب منه حرام بناء على مايعرض فيه من أشرطة تخالف الإسلام وتدفع الشباب إلى الفساد والفجور والاعتداء على القيم الإسلامية السليمة وكل ما كان كذلك فهو حرام لما يؤدى إليه من شرور ومفاسد والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد / على بن سالم بن جاسم

نرجو الإفادة عن بيان الحكم الشرعى فيما إذا أودع العميل لدى البنك مبلغا وقدره مليون درهم بدون مصروفات ولا فوائد على أن يقوم البنك بإعطاء عميله هذا كتاب ضمان فى حدود مبلغ الوديعة وزيادة ١٥٪ منه دون فوائد ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد أنه مادام العميل قد أودع البنك مبلغا من المال دون اشتراط فائدة ابتداء لصالحه على البنك فإن هذا جائز شرعا لخلوه من الفائدة المحرمة وكذلك يجوز للبنك ان يمنح عميله كتاب ضمان بمقدار ١٥٪ من قيمة الوديعة بعد نفاذها بدون فائدة والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد /

١ ـ ماحكم الشرع فى جمع التبرعات يوم الجمعة بين الخطبتين مع العلم أن الضرورة تحتم ذلك حيث إن المسجد أهلى وعليه التزامات صرف مرتبات خطيب الجمعة ومقيم الشعائر وخادم المسجد ومصاريف صيانة .

البقية ص ٨٤

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في ذكرى الهجرة

الحرية والطير

فى ذكرى الهجرة

عادت تطل على الدنيا معانيها | وتملأ الكون إشراقا مرائيها
عادت بكل جلال الحق ساطعة | بكل ومضة نور من لياليها
ذكرى على الدهر مازالت منائرها | تشع بالنور للدنيا ومافيها
تجلو الغيوم عن الأفهام كاشفة | مارسبته الليالى فى دياجيها

* * *

أم القرى صفحة التاريخ تذكرها | وكيف طوَّفَ بالآيات تاليها
محمد فَذُّها المعصوم تعرفه | يُقر بالفضل قاصيها ودانيها
وكيف بشر بالتوحيد وانطلقت | (الله أكبر) ترقى فى مراقيها
نور من الله يسرى فى مدارجها | فينبت الخير والبشرى بواديها

* * *

فى ليلة روعتها ندوة عقدت | يطوف بالشر والأحقاد ساقيها
أخانها الرأى ؟ أم ضل الصواب بها ؟ | وحاد عن خطوات العقل حاديها
راحت تقطع ـ فى جهل ـ وشائجها | وتطفىء المشعل الهادى بأيديها
هل كان أحمد إلا نبت واديها ؟ | هل كان أحمد إلا من غواليها ؟
قد أجمعوا كيدهم ـ والشر رائدهم ـ | أن يخمدوا جذوة بانت خوافيها
والمصطفى فى أمان الله منطلق | لغاية جلّ ربّ الكون مُعليها
ومر بالقوم والأبصار قد عميت | وأصبحوا طرفة للناس تَرْوِيها

* * *

وموكب النور نحو الغار غايته | والغار يسبح فى أضوائه تيها
قد كان قفراً تجول الضاريات به | فصار أنس الليالى فى صحاريها
به توارى رسولُ الله يصحبه | خير الأخلاء عن أنظار رائيها
بمدخل الغار دارَ الكفرُ دورته | وداخل الغار خوف من عواديها
أفديك من عصبة لو أنها نظرت | من تحت أقدامها نالت مراميها

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

وينطق الصادق المختار مبتسما هوّن عليك فإن الله مخزيها
عادوا يجرون ذيل الخزى وانتشروا يفتشون دروبا فى بواديها
ويضرب اللهُ أمثالا لمن كفروا لو أدركوا ماحوته من معانيها

* * *

مابال يثرب للترحيب قد خرجت وفى مشارفها نَادَى مناديها
أَهَلَّ بدرا فراحت تجتليه سنا وراح يهتف بالآمال داعيها
ظلت - إلى نوره - تهفو مشاعرها وعاش - فى قلبها - أغلى أمانيها
فاليوم قد عانقته بعد طول سُرَى وصافحت ركبه الغالى دراريها

* * *

لبيك ياداعى التوحيد سوف ترى فى آل يثرب آمالا ترجيها
الأوس والخزرج التامت جراحهمو بفضلك اليوم وانجابت غواشيها
هم عسكر الفتح حزب الله منطلقا يبنى الحياة على حق ويعليها
يؤسسون على اسم الله دولتهم الحق رائدها والعدل قاضيها
والمصطفى مَثَلٌ أعلى ، وأسوتهم أخلاق أحمد جلت فى تساميها

* * *

ياهجرة المصطفى والنفس حائرة والمسلمون حيارى فى فيافيها
من استظلوا بظل الله تبْصرُهُمْ وقد تشابه حاميها وطاغيها
تنازعتهم رؤى الأطماع فاختلفوا والذئب يحظى بدانيها وقاصيها
الأرض والعرض والإسلام فى خطر فمن يرد العدا عنها ويحميها ؟

* * *

ياسيدى ، يارسول الله ، بارقةً من الضياء إذا اشتدت دياجيها
لتستفيق قلوب المسلمين على هدى من الله للآمال يهديها

الحرية والطير

للشاعر/ سيد عبد الرءوف سيد

باسمها الطير تغنى فى الفضاء سابحا فى جوه كيف يشاء
إن يضق بالعيش ينشد فسحة فى دنى اخرى على متن الهواء
يترك الحبَّ نثيرا إن يكن شركا يحرمه رحب الفضاء
إن فى تغريده حرا على فنن او جدول اشهى غذاء
حوصلات حرة ماطعمت واستساغت مطعما دون عناء
ربما ادماه طفل ساذج رصد العصفور رصد الرقباء
رامه فى الأسر حيا فابى قافزا ينشد ماوى فى خِباء
قد ابى الأسر على ضعف به وارتضى العصفور موت الشهداء
سطرت منه الدما انشودة هى للأحرار فى الهيجا غناء

من أعلام الأزهر

العلامة عبد العظيم الغباشي

جاحظ العصر

عبد العزيز البشري

فضيلة الشيخ العلامة الدكتور عبد العظيم الغباشى

من بركة الأزهر الشريف ان ثلة من علمائه رزقهم الله العلم ومع العلم رزقهم الولاية ، وهى منحة الله لمن يختاره من عباده الصالحين : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(١) ، ومن هذا الرعيل الخاص شيخى واستاذى فضيلة الشيخ الدكتور عبد العظيم احمد نور الدين الغباشى شيخ « اصول الدين » وعميد اهل التفسير وعلوم القرآن .

عرفته وأنا طالب فى معهد الزقازيق حيث وهب نفسه للعلم ونأى بنفسه عما ترنح فيه البعض من الانشغال بشئون الماليات وطلب الدرجات فكنا نراه ـ حين يشتد وطيس معارك المطالب وتموج الحياة العلمية بأخبار المطالب المالية ـ كنا نراه زاهدا فى هذا النشاط مثابرا على دروسه محبا لطلابه محترما لزملائه العلماء .

وكنا نراه فى معهد الزقازيق وقد علته هيبة وكساه وقار ودرجَتْ إليه سكينة ورحمة كأنما كانت حياته كلها ذكرا وفكرا ، وعلما ، وورعا وتقوى .

ولد فضيلة الشيخ عبد العظيم العباشى يوم ٥/٦/١٩٠٩ فى (كفر مناقر) بمحافظة (بنها) وحفظ القرآن الكريم وتدرج فى مراحل التعليم بالأزهر حتى تخرج فى كلية أصول الدين عام ١٩٣٧ م وكان أول دفعته ، ولذلك لم يجد له إلا طريق العلم الراقى فلم يلتحق بتخصص التدريس ليخرج مدرسا ؛ بل التحق (بتخصص المادة) وكانت النظام الذى يُخَرِّجُ نوعا خاصا من العلماء الأفذاذ ويمنحهم (درجة الأستاذية) التى هى أفضل فى نظامها العلمى وأداء امتحانها من نظام (الدكتوراه الحديث والقديم) فقد كان الطالب يلتحق بهذه الدراسة لمدة يعقبها تحضير لرسالة علمية وكم تأخذ من العمر والبحث ؟؟ حتى تناقش ويمنح صاحبها درجة الأستاذية .

الشيخ عبد العظيم الغباشى هو أحد هذا الجيل الرائد الفذ الجليل تخرج فى الأستاذية عام ١٩٤٧ ، وكانت رسالته فى (علوم القرآن الكريم) .

(١) سورة يونس الآية ٦٢ .

أ.د./ رؤوف شلبى

وهذه الأصالة العلمية تنحدر من بيت كريم طاهر يحب كتاب الله ويحترم العلماء وقد نشأ الشيخ أثناء طلب العلم فى بيت خاله بالقاهرة وكان من علماء الأزهر فهذه النشأة الطاهرة كانت من الأسباب التى هيأها الله سبحانه وتعالى لظهور نبوغ الشيخ عبد العظيم فى العلم وامتيازه فى تحصيله وسبقه على أقرانه .

كان الشيخ عبد العظيم الغباشى داعية منذ كان طالبا وكان له فى كل ليلة جمعة من كل أسبوع (ندوة علمية) نظمها للناس فى ضيافة العائلة وكانت تسمى (التخت بوشى) كان يبصر الناس بأمور دينهم ويوضح لهم ما خفى عليهم ، ويحثهم على مكارم الأخلاق ، ويحضهم على معونة الفقراء وإغاثة الملهوف وكفالة اليتيم وستر العيوب ، ويقضى لهم فى مدلهمات أمورهم ، وييسر عليهم عقبات حياتهم كما كان له درس العصر فى مسجد (عصفور) فى مدينة (بنها) عاصمة (القليوبية) يؤمه جمهور غفير من الناس يستمعون إلى الفقه والعقيدة والفتوى والأخلاق والآداب والفضائل التى كان ينشرها كالعبق العطر من درسه الجليل وتفسيره العظيم .

تدرج فى وظائفه العلمية مدرسا بمعهد (قنا) سنة ١٩٤٨ فبلغ فيها الرسالة وأدى الأمانة ، وراح يجوب البلاد تنقلا من (قنا) إلى (الزقازيق) ثم إلى (المنصورة) ، وبنى فى بنها عاصمة إقليمه (معهدا أزهريا) افتتحه (الرئيس محمد نجيب) عام ١٩٥٣ م ولم تمنعه درجة الأستاذية من هذا التطواف فى المعاهد ولا من هذا النشاط الشعبى الواسع ؛ فقد كان عالما ربانيا يؤدى رسالته حتى استقر به المقام فى القاهرة حيث نقل إليها أستاذا بكلية أصول الدين عام ١٩٥٩ م فكان العالم المبرز فى التفسير والحديث ونهضت من هذه الدراسات نهضة كبيرة كان من أثرها هذا الجيل من العلماء الذى أشرف على رسائلهم من مصر ومن خارج مصر ، وفى مقدمة أبنائه من علماء مصر : الدكتور احمد عمر هاشم عميد كلية أصول الدين بالزقازيق ، والأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة ومن الخارج الدكتور نعمت الله شهرانى من علماء الأفغان وأحد المجاهدين الكبار ، وغيرهم الكثير .

ولم يقتصر فضل الشيخ الجليل فى العلم على مصر وجامعة الأزهر بل سافر إلى (كلية الشريعة) فى بغداد عام ١٩٦٤ م وإلى (جامعة أم القرى) عام ١٩٦٨ م وكان مشرفا على الدراسات العليا (بجامعة الملك عبد العزيز) واستمر فى أداء رسالته العلمية يشرف مصر والأزهر بخلقه الرفيع وبركته الواسعة حتى فاضت روحه الطاهرة فى ١٨ يناير سنة ١٩٧٨ بمكة المكرمة ودفن بها وقرت عينه بأغلى أمنية كان يريدها لنفسه .

وهكذا يثوب العلماء الأطهار إلى ربهم وقد رضى عنهم ورضوا عنه .

* الكاتب : فضيلة وكيل الأزهر .

عبد العزيز البشرى

جاحظ العصر الحديث

١

لا أدرى لماذا لا يتردد الآن اسم عبد العزيز البشرى كما تتردد أسماء طه حسين وعباس العقاد ومحمد حسين هيكل ومصطفى الرافعى وإبراهيم المازنى ولم يكن فى زمانهم أقل شهرة ، ولا أضأل مكانة ، لقد كثرت البحوث عن زملائه لدى الجامعيين وتوالت عنهم المقالات فى الصحف ، والندوات فى المحافل وظل اسمه مهجورا ، حتى جهله من ألَّفَ المسلسل التليفزيونى عن العقاد ، فقال عنه : إنه أخذ يبحث عن عشرة قروش ، حتى وجدها فهرول إلى منزله ، ومات قبل أن يدفع بها إلى أهله ! وهكذا نكذب على علم من أعلام الأدب عاش موفور الكرامة ، كبير المنصب ، رخىَّ العيش ، ثم ابتلى بمن أساء إليه ميتا ، وإلى أسرته أحياء ، فضجوا فى الصحف ، وأنصفهم الأستاذ مصطفى أمين بمقال رنان ذكر فيه أن زعماء الأمس كانوا يسهرون الليل الطويل ليقرءوا فى الصباح ما يكتبه عنهم عبد العزيز البشرى فى المرآة ، إذ اختص كبار الدولة بمقالات ناقدة مصورة ، سارت مسيرة الشمس ، وحاول محاكاتها النظراء فلم يبلغ المقلّد مبلغ المبدع ، لأن عبد العزيز فنان ممتاز !

أدب البشرى عند النقاد :

لا أنكر أن نتاج البشرى من ناحية (الكم) وحده قد يكون أقل من نتاج من ذكرت من الرصفاء ، لأن الكاتب الكبير شُغِلَ بكتابة الخطب والمقالات والمذكرات لنفر من ذوى الوجاهة ، ليس لديهم بلاغة القلم ، ويحبون أن يواجهوا الجمهور بما يشرفهم فى دنيا البيان ، وقد قال الأستاذ (محمد كرد على) فى مذكراته :

إن مقالات فلان وفلان بمجلة الهلال لم تكن صادقة النسبة إلا إذا صُحّح توقيعها باسم البشرى ، وفى هذا كثير من الحق . لأن قلم عبد العزيز واشٍ نمامٌ ، ومهما حاول التنكر فلابد لأريج الورد أن يفوح . ولكن المسألة لا تقف عند الكم العددى . إذ أن (الكيف) هو جوهر الحكم ، وكل ما لدينا من آثار البشرى رائع رائع

للدكتور
محمد رجب البيومى

لا يجعله من كبار الأدباء فى عصره فحسب ، بل يجعله جاحظ العصر الحديث ، وناقدو الأدب لا يشكُّونَ لحظة فى نسبة البشرى للجاحظ ، لأن ماعُرف لدى الأديب العباسى من سطوة التأثير ، وشدة التدفق وحلاوة الاسترسال . ونصاعة البيان قد عُرف للبشرى ، ولا يفترق عنه الجاحظ إلا فى تأليفه العلمى متكلما وباحثا ، أما مقالاته ورسائله وقصصه الأدبية فقد وجد مثيلها فى إبداع البشرى . لأن قوة الروح لدى الكاتبين مع حلاوة النادرة . وسهولة التعبير مما كان قاسماً مشتركا بينهما . وقد كسب البشرى ما يصح به تقدم الزمن من أفكار لم تكن فى عهد الجاحظ ، فساعدت على جدته المعاصرة . ولم تتأخر به إلى زمان بنى العباس ، على أن هذا التشابه الروحى ، والانسجام النفسى هما اللذان ساقا اللاحق إلى محاكاة السابق بدءًا ، فالانتظام على صراطه عاقبة ، ولم يخف البشرى إعجابه الشديد بأستاذه إذا شاد به فى كثير مما كتب ، وقد تحدث عنه فقال[1] :

« وهو شديد التمكن من النفس ، قوى الحجة يملك من ناصية البيان مالا أحسب أن قد ملكه بعده كثير ، فهو لا يزال يمهد على لسان هذا للرأى ، ويفلج بالحجة ، ويبعث بالشاهد فى عقب الشاهد ، ويضرب المثل بعد المثل ، حتى يأخذ عليك مخانق الطرق فلا تجد بعدها محيصاً من الإذعان والتسليم ، ثم يبعث لك الطرف الآخر ، فما يزال يدافع تلك الحجج ، وينقض ماقام بين يديك من الأدلة والشواهد ، ثم مايزال يبريها ويفريها حتى تستحيل هباء يتفرق فى الهواء ، ثم يردك إلى مكانك الأول ، ثم يعود بك إلى الثانى ، ويظل يرجحك بين الرأيين المختلفين بقوة حجته وسلاطة بيانه ، حتى إذا قدر أنه دوخك وأرضى شهوتك بإذلال ذهنك ، رحمك فعدل بك إلى حديث آخر » .

هذا بعض ماكتبه البشرى مصوراً سطوة الجاحظ المنطقية ، وجدله العلمى فى حلبة الصراع ، أما الجاحظ الفكاهى المتندر ، صاحب القصص الاجتماعى الطريف ، والتصوير البيانى الآخذ ، فهو الذى يجرى مع البشرى فى أبهج الحلبات وقد ألمع إلى ذلك الأستاذ محمد كرد على حين تحدث عن الجزء الأول من المختار فقال[2] .

« وهو نسيج وحده فى أسلوب الجد فى الهزل ، والهزل فى الجد . ساعده على هذا الإبداع والإمتاع تمكنه من ناصية اللغة ،

←

(١) المختار جـ (١) للبشرى ص ٤٥ .

(٢) مجلة الرسالة العدد ١٢٤ .

عبد العزيز البشرى

وقبضه على قياد الآداب ، إلى مافطر عليه من ظرف شفاف ، إذا تنادر وإذا تهكم ، والبشرى كالجاحظ إذا عرضت له النكتة قالها لا يبالى ، وإذا اقتضته الحال أن يتهكم تهكم ، يدخل السرور على قلب قارئه ، ويعلم ولا يشق عليه ، وقليل جداً من فصحاء جيلنا من تهيأت له الذرائع إلى إتقان فنه هذا الاتقان ، وقليل مثله من عرفوا الحياة ولابسوها ، كما أرادت ، ثم قابلوها بالضحك والسخرية ، وقليل منهم من خبروا المجتمع المصرى خبرته فكتب ما توقع منه نفعا فى رفع مستواه الأدبى » .

ومما قاله الأستاذ محمد كرد على : ندرك أنه شهد للبشرى بالتمكن من ناصية اللغة الفصحى وقبضه على قياد الآداب ، أولاً ، وبالتندر والفكاهة ذات الروح المبهج السار ثانيا ، وبدراسة المجتمع المصرى وملابسة أحواله عن خبرة ممارسة ثالثا ، وهذا القول الموجز الدقيق ، قد وافق ما ارتآه الدكتور طه حسين فى أسلوب البشرى ومصادر تكوينه ، حين كتب فصلا دقيقا عن أدب عبد العزيز صدّر به الجزء الثانى من كتاب المختار ، وقال فيه ببعض التصرف :(٣)

« إنه جمع خصالا ثلاثا ، فلاءم بينها أحسن الملاءمة ، وكون منها مزاجا معتدلا رائع الاعتدال ، فهو مصرى قاهرى كأشد ما يمكن أن يكون الإنسان مصريا قاهريا ، يحس كما يحس أبناء الأحياء الوطنية ، ويشعر كما يشعرون ، لولا أن ثقافته ترتفع به إلى هذه الطبقة الممتازة التى تحسن الحكم على الأشياء ، وهو على كل حال قاهرى الحس قاهرى الشعور قاهرى الذوق فهذه خصلة .

والخصلة الثانية : أنه بغدادى الأدب كأشد ما يكون الأديب بغداديا ، قد عاشر أبا الفرج الأصبهانى وأصحابه فأطال عشرتهم ، وتأثر بهم ، وانطبعت نفسه وعقله ولسانه بطابعهم ، فهو إذا تحدث إلى المثقفين ، تحدث بلغة الأغانى ، لا يكاد يصرفه عن هذه اللغة صارف إلا أن يأتى من قرارة نفسه المصرية القاهرية ، فإذا هو يلقى النكتة المصرية بارعة رائعة لاذعة فهذه خصلة ثانية .

والخصلة الثالثة : أنه قد ألم بحظ من حياة المترفين الذين عرفوا الحضارة الغربية وتمثلوها ، واستمع لأحاديثهم وشاركهم فى هذه الأحاديث . فأخذ من هذه الحضارة الأوروبية شيئا يسيرا خفيف الظل ، قوى التأثير يستطيع أن يلائم مصريته الموروثة وبغداديته المكتسبة » .

من النشأة إلى ارتياد الأسلوب :

نشأ عبد العزيز البشرى نشأة دينية ملتزمة فوالده الأستاذ الأكبر سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر ، وإمام الحديث النبوى فى عصره ، وإخوته من حفظة القرآن صغارا ، ودارسى علومه وآداب لغته بالأزهر كباراً ، وهو على طريقتهم ينهل من موارد العلم الدينى

(٣) مقدمة الجزء الثانى من المختار ص ٨ .

بجامعته الكبرى حتى يأخذ أرقى شهاداتها حينئذ ، ثم يجذبه الأدب إلى مضمار الصحافة فيتردد اسمه كاتبا مصورا فى عهد الطلب ، ولا يُستغربُ من مثله أن ينشأ على حب البيان القوى ، لأن مدرسة الإمام محمد عبده البيانية قد عملت على إحياء الأسلوب الأدبى ، ووجهت الأنظار إلى بلاغه القرآن ، حين اختص الأستاذ الإمام كتابى عبد القاهر الجرجانى عن أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز بالشرح والاحتذاء ، فتطلع النابهون من طلبة الأزهر إلى نمط جديد من القول الساحر ، يشذ عما تعورف من قبل فى دنيا المحسنات المتكلفة والألاعيب اللفظية الركيكة ، ونشأ من أمثال أحمد حسن الزيات والمنفلوطى ومحمد الههياوى وعبد الرحمن البرقوقى وعبد العزيز البشرى من صفوة تلاميذ الإمام من يطمحون إلى إعادة أساليب البلغاء فى أزهى عصور العربية متأثرين بابن المقفع والجاحظ وابن عبد الملك وأبى الفرج الأصبهانى من ذوى الأسر المحكم ، والتدفق السيال ، ولكل من هؤلاء رأى فى الأسلوب الأدبى يسمو به عن السطحية فى المعنى ، والركاكة فى التعبير ، وطبيعى أن يكون للكاتب رأيه فيما ينتحيه من الاتجاه ، وأن يكثر الحديث عما يعشق من ألوان الإبداع !

وقارىء البشرى فى مقالاته النقدية يراه منسجما مع نفسه ، إذ يصدر عن اعتقاد فنى لا ينحرف عنه فى مجال التطبيق ، وعهدنا بنفر من الناقدين يرسمون الخطط الواسعة دون أن يلتزموا بتطبيقها ، إذ ليس كل ناقد مبدعاً ، وليتهم وقفوا عند قواعد النقد فيُعرف لهم مكانهم المحدود ولكنهم يتجاوزونه إلى الإنشاء فيرسبون ! ومن حظ البشرى أنه لم يكن مغرورا فى تقدير مواهبه ، بل كان يظن القصور فى كل ما يبدع وإن سَحَر القارئين ، وذلك ما ساعده على الجودة والتريث ، بل ذلك ما جعل الكم العددى من إنتاجه لا يقاس بمن يكتبون كل يوم سواء واكبوا الإلهام أم جانبوه ، وقد عبر الكاتب المتواضع عن إحساسه نحو نفسه حين قدم كتاب المختار فقال فى مفتتح الجزء الأول « إننى أول ما عالجت الكتابة وتعلقت بصنعة القلم كنت أدرك تمام الإدراك أننى ناشىء لا أجيد البيان ، فإذا كانت لى طبيعة فلن تتهيأ لى الإجادة إلا بعد شدة معاناة ، وطول تمرين ، وظللت على هذا دهراً وأنا فى ارتقاب الأحسن مما يثبت للأنظار لأحفظه وأدخره للجمع ثم الطبع ، فلا أراه قد تهيأ لى ، فلا أبرحُ أُهمل كل ما ينتضح به القلم ، وظللت كلما اطرد بى الزمن أشعر بأن المدى بينى وبين الكمال الذى أنشد يطول ولا يقصر ، وأن الغاية التى أطلب تبعد على الأيام ولا تقرب ، حتى لقد جعلت نفسى تبرم وتضيق كلما وقع لى عفواً شىء من تلك الآثار ، ثم لقد أصبحت تعفيتها ، وإتلاف ما يقع لدى منها عادة من تلك العادات التى تتصل بالفطر والطباع ، حتى لو قد خرج المقال ، فأزهانى به شيطان الفتنة بالنفس ، وهتف به الصحاب ، وغير الصحاب ، فإنه لا يتعذر منى على ذلك المصير[٤] . وهذا القول ضرورى جد ضرورى

(٤) المختار جـ (١) ص ١٤ .

عبد العزيز البشرى

لناشئة هذا الزمن ، ممن يحسبون أنهم على شىء . فيتيهون كل التيه بما يسطرون ، وليسوا وحدهم فى وادى التيه ، بل إن من المشهورين من يتحامل على نفسه فى غير ساعات النشاط ليفاجىء القراء بما يتخاذل ويتهاوى دون حرج . وله فى هذا الغث المتساقط رأى حميد يعلنه فى مجال المباهاة ، فإذا أَنِس إعراضاً طفيفا من غيره ، لم يحمله على إعادة النظر فيما كتب ! بل حمله على الغيرة والحسد !

إن المواهب البشرية مهما عظم حدها لدى الإنسان محدودة بقدرته الفردية ، ولن تبلغ مدى الإبداع إلا لأفراد يعدون فى كل جيل على الأصابع ، فما لنا نرى كل من يخط الأسود فى الورق الأبيض يعد نفسه ذا شأو رفيع !

أدب البشرى بين الإنصاف والجحود :

كان أدب البشرى أدبا ذاتيا ينبع من أغوار نفسه ، فهو لم يكن ليعبر إلا كما يعبر الشاعر حين يصدر فى فنه الكتابى عن إحساس خاص يعتمل فى ذاته . إنه فتح عينه ، وأصاخَ بسمعه لكل ما يرى ويسمع ليتخذ منه مصدراً للحديث ، ووسيلته إلى ذلك المقال الأدبى المطبوع ، وكان فى استطاعته أن يضيف العلم إلى الأدب فيغدو كاتبا عالما كما نرى عند زملائه ، ولكنه باستثناء كتابين مدرسيين ألفهما استجابة لوزارة المعارف فى « التربية الوطنية » وتاريخ الحقبة المعاصرة للأدب فى كتابى : « المفصل » و« المنتخب » أقول باستثناء هذين الكتابين المدرسيين لم يتخذ غير المقالة متنفسا لخواطره ، وهو فارسها الأول فى عصره ، وأعجب العجب أن يظهر كتاب يحمل اسم (فن المقالة) فيتحدث بإسهاب عن معاصرى البشرى مستشهداً محللاً ، ولا يتحدث عن البشرى إلا فى سطور ضئيلة حديث المؤاخذ اللائم فى أكثر ما خط ، فهو يقول(٥) :

« وأسلوب البشرى وسط بين الترسل والسجع ، يختار له الألفاظ المجلجلة ذات الجرس القوى والعبارات الضخمة الرنانة لكى يستأثر بانتباه القارىء ، ويوهمه بأن الكتابة عمل ضخم رائع يحتاج إلى ذخيرة من الأوابد ، ومقدرة على معاناة التفصح الثقيل ، والتعالم المجوج ، ولكن هذا الأسلوب يتفاوت بتفاوت الغرض ، فهو حين يميل إلى الفكاهة والمداعبة يلتزم تقصير الفواصل ، وإيراد العبارات الرشيقة التى لا تعصف بما تحتاج إليه الفكاهة من سرعة ولمح » .

هذا ما يقوله دارس جامعى لم ينقل عن خبرة علمية دارسة ، ولكنه احتذى الدكتور زكى مبارك حين هجم على البشرى فى مقال سنشير إليه بعد حين ، وزكى مبارك لم يتخصص فى تشريح المقالة الأدبية . بل نثر خواطره الذاتية كما اتفق ، فما بالنا نجد دارسا جامعيا متخصصا ينقل عنه وبين يديه آثار البشرى فى أربعة أجزاء غير كتاب « المرآة » تنطق بغير ما ذكر ، بل بين يديه مقدمتان رائعتان لعلمين من اعلام

(٥) فن المقالة : للدكتور محمد يوسف نجم ص ٨٠ .

البيان : هما خليل مطران وطه حسين تقرران غير ماقرر ، وكان عليه إذا شاء أن يخالف كلامهما فى كتاب متخصص أن ينقل ما قالاه ليدحضه بالدليل ، لاسيما ومكانه منهما مكان التلميذ الصغير ، ولكنه لم يتحيف البشرى وحده بل تحيف الزيات والرافعى معه وكأنه تلقى فى الكلية دروسا عمن لا يعترف بغير الجامعيين من الكتاب فردد ماسمع !! ولعله يطبع الكتاب مرة تالية فيميل إلى الإنصاف .

البشرى فى ميادينه الثلاثة :

قلنا إن البشرى صدر عن ذاته وحدها فيما تقدم به للقارىء من فن أدبى ، إذ عالج المقالة النقدية والمقالة الاجتماعية والمقالة الوصفية معالجة من تأمل فيما حوله قارئا ومشاهدا بعد خبرة مطمئنة ، ومراس دقيق ترفدهما الموهبة العالية والذوق الرائق ففتح الله عليه فى هذه المناحى الثلاثة من مناحى المقالة الأدبية ما جعله فى الصدر الأول من البلغاء ، وماقرنه بالجاحظ إمام البيان العربى على مد العصور ، إذ عادت روحه المتوثبة فى هيكل البشرى ليعيد فى القرن الرابع عشر ماقام به إمام العربية فى القرن الثالث من إبداع ، فإذا انتقص منتقص أدب الجاحظ الذاتى فله أن ينتقص أدب البشرى إذ كانا يضيئان من زيت واحد ! وهيهات أن تجد الدليل .

المقالة النقدية والبيان العربى :

نجد البشرى فى المقالة النقدية خبيراً بالأسلوب الأدبى فى العربية على مد العصور ، فهو قد درس أساليب البلغاء ليصطفى منها مذهباً يوائم هواه ، وقد عاش فى عصر كثر فيه الضجيج حول القديم والحديث ، واصطدم المجددون والمحافظون اصطداماً عنيفا نعرف أثره فيما دار حول الإبداع الأدبى من عراك اقتحمه الرافعى وشكيب أرسلان وطه حسين ومحمد حسين هيكل وغيرهم من أساطين الكتاب ، وعالجه البشرى دون أن يتعرض لخصومة ما ، لأنه اقتنع باتجاه فدعا إليه فى هدوء ، ولم يكن محاربا جهيرا يصارع فى جبهة دامية فيثير الضجيج كما كان الرافعى وطه مثلا ، ولكنه كان كأستاذ فى كلية بين طلاب ، يقدم الحجج فى رفق ، ويمهد للإقناع فى ثقة ، ويلقى بالدليل فى ثبات ، وأسلوبه الأدبى شاهد علمى على منحاه ، فهو يدافع عن نفسه فى الواقع حين يشيد بمدرسة البيان ، تلك التى انحدرت من سماء الإلهام الأقدس حين احتذت أسلوب القرآن الكريم .

ينظر البشرى فى اتجاهات الإبداع النثرى المعاصر ، فيعلن أنه يختار الفن الأدبى الذي يفيض بما تجيش به العواطف[٦]، ويصدق فى الترجمة عما يعتلج فى النفوس ، ويصور دخائل الصدور ، وهو يلتفت فيرى أدباء من معاصريه جروا من العربية على عرق ، وتفتحت نفوسهم لمنازع بلاغتها ، واستظهروا الكثير من روائعها ، على أن أكثر هؤلاء إذا اجتمع أحدهم لحديث العاطفة لم ينفض ما يحس هو وما يشعر وإنما نراه يترجم عما كان يجده السلف الأقدمون من مئات السنين ، لأنه جعل همه إلى المحاكاة والتقليد ، ليكون كالسابقين ، وهؤلاء يتناقص

(٦) المختار : الجزء الأول : موضوع : كيف نبعث الأدب من ص ٦٦ إلى ص ٨١ .

عبد العزيز البشرى

عددهم على الزمان حتى أشفوا على الزوال .

هذا فريق أما الفريق الثانى فَشباب لم يبلغوا حظا مذكوراً فى العربية ، أقبلوا على أدب الغرب فجعلوا يحاكونه ويترسمون خطاه فيستحدثون أخيلة لم تتراء فى أحلامهم ، ويسوون صوراً لم تتمثل لخواطرهم ، ويريقون عواطف لم تترقرق فى نفوسهم ثم يستكرهون هذه الأمشاج من المعانى على نظام ليس فيه من العربية إلا مفردات الألفاظ ، يشد بعضها إلى بعض بمثل قيود الحديد برغم تنافرها وتناكرها ، بحيث لو أطلقت من عقالها لتطايرت إلى الشرق والغرب لا تلوى على شيء . فيخرج من هذا وذاك كلام لا يستوى للطبع ، ولا يستريح إليه الذوق ، وكيف له بشيء من هذا ولم ينتضح به طبع ، ولا رهف له حس ولا تحركت به عاطفة ، فهو أدب مصنوع مكذوب .

أما الطريق الصحيح لدى البشرى فأن نتلمس طريقاً من الأدب يكون عربى الشكل والصورة ، مصرى الجوهر والموضوع ، فعلينا أن نبعث الأدب القديم ، وننثُلَ دواوينه ، ونستظهر روائعه ، ونتروى منها بالقدر الذى يفسح فى ملكاتنا ، ويطبعنا على صحيح من البيان . فإذا أرسلنا الأقلام جاء الأسلوب فى نسقه العربى الأصيل متصلة معانيه بما نشعر من الأحاسيس ، وإذا كنا فى حاجة شديدة جداً إلى مطالعة آداب الغرب وإطالة النظر فيها ونقل ما يتهيأ نقله إلينا منها فى لسان العرب ، فإن ذلك لا يجدى علينا إلا إذا هذبناه ، وسوينا من خلقه ، ولوَّناً من صوره حتى يتسق لطباعنا ، ويوائم مألوف عاداتنا ويستقيم لأذواقنا فى نظام من البلاغة العربية محكم التنضيد .

هذا منحى ألبشرى فى تجنيد ما يراه من الأسلوب النافع ، والذين عارضوه ، هم الذين يعارضون البيان العربى فى أجلى مراقيه وهم أنفسهم الذين عابوا أسلوب الرافعى بأنه ينحو منحى الجملة القرآنية ، وهو نقد تبشيرى لا أدبى ! لأن أدباء المسيحية من المنصفين يحفظون القرآن ليقتبسوا من نوره البيانى مالا يجدونه فى غيره ، وقد قال الشاعر اللبنانى الأستاذ أمين نخلة « إننا نحن المسيحيين العرب عيوننا فى الإنجيل وقلوبنا فى القرآن » وقد كان مكرم عبيد ووهيب دوس يخطبان فى السياسة بالندوات العامة وفى مجلسى النواب والشيوخ مستشهدين بآيات الكتاب الكريم فى فخر واعتزاز ، فإذا اتجه نفر إلى خصومة البيان الأدبى ، فهم يجهلون أسرار الفن الأصيل ، لذلك تجد أحدهم يفرح بالعبارة البليغة حين تقع مصادفة فى أسلوبه ويكاد يطير بها طيرانا ، ولكنه يهاجمها فى ما يقدمه من نقد كليل ، لأنه يرى نفسه بعيداً كل البعد عن إحكامها الدقيق ، وأنه يكلف نفسه رهقا أى رهق حين يجعل بيانه أنموذجا من الأدب الرفيع ، وقد يحمد هؤلاء للدكتور طه حسين ماقد يشرق فى أسلوبه الأدبى من صفاء مطبوع ، ولكنهم يحمدونه لغير ما يقرءون لديه فى مثل (على هامش السيرة) و(الأيام) و(دعاء الكروان) و(الوعد الحق) و(مرآة الإسلام) ، بل لما شذ فيه من أفكار صادفت هوى لديهم ، فحملتهم على الولوع بكل ما يقول ، ولو رجعوا إلى أسلوب طه فى جوهره المصفى لرأوا فيه نور البلاغة العربية فى فنها الأصيل .

يتبع

من العلوم الكونية

الإيدز
الرعب القاتل

بقلم
د. مصطفى أحمد حماد *

تقديم :

قبل عام ١٩٨١ م لم يكن العالم قد عرف شيئاً عن مرض الإيدز إلى أن أعلنت السلطات الصحية الأمريكية عن اكتشاف المرض فى منتصف نفس العام على وجه التحديد . ومن وقتها والعلماء والمتخصصون يبحثون ويناقشون ويحللون لكى يعلموا الكثير عن سبب المرض وطرق انتقاله وكيفية مواجهته وارتباط كل ذلك بالعلاقات الاجتماعية السائدة . ومع هذا كله يبقى لدى اقتناع شخصى وهو أن الإيدز غضب ربانى يصبه رب العباد صبّاً على أهل الانحلال والفساد .

التعريف بالمرض :

الإيدز AIDS (مرض نقص المناعة المكتسبة) سببه « فيروس » يوجد فى سوائل الجسم مثل : الدم والسائل المنوى والدموع واللعاب . وحتى الآن لم يثبت أن العدوى تنتقل عن طريق التلامس مثل المصافحة أو السُعال أو الوجود مع المريض فى غرفة واحدة وقد ظهر أول ما ظهر بين الشباب الذين يمارسون الشذوذ الجنسى.[1]

مصدر المرض :

يعتقد العلماء أن مصدر المرض هو نوع معين من القرود « القرد الأخضر » وهو يعيش فى وسط أفريقيا ومنه انتقل إلى الجنس البشرى* . ولكن كيف تم ذلك ، لا أحد يدرى على وجه التحديد . وينتشر المرض بعد ذلك كالنار فى الهشيم فى أمريكا الشمالية وفرنسا وألمانيا الغربية وبريطانيا وكثير من البلاد

←

* الكاتب : مدرس مساعد الأدوية البيطرية « الفارماكولوجيا البيطرية » معمل بحوث صحة الحيوان . شبين الكوم .

* يرى بعض العلماء أن إسقاط الأمر ـ بصورة ما ـ على افريقيا ـ إن هو إلا محاولة خبيثة لدرء عار هذا المرض عن الغربيين لا سيما بعد انتشاره منهم إلى مختلف أنحاء العالم ، ومن وجهة نظرهم لا يستبعد أن تكون مواطن بعينها ـ فى أفريقيا ـ استقبلت المرض من الغرب .

أ . د / رفعت كمال ـ كتاب اليوم الطبى ـ العدد ٤٣ « أكتوبر ١٩٨٥ م » .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦) : « الإيدز » .

الإيدز ... الرعب القاتل

الأوروبية ، أضف إلى ذلك انتشاره فى أفريقيا وآسيا .(٢)

عزل فيروس الإيدز :

ظل السبب الحقيقى لمرض الإيدز لغزا غامضاً حتى ربيع عام ١٩٨٤ م حين نجح كل من الدكتور « روبرت جالو » من معهد السرطان الأمريكى ، والدكتور « لوك مونتانيه » من معهد « باستير » فى باريس ، نجح كل واحد منهما على حدة فى عزل « فيروس » قالوا إنه يحتمل أن يكون هو سبب حدوث الإيدز . وتمر الأيام ليصبح الاحتمال حقيقة مؤكدة .(٣)

طرق نقل العدوى :

ينتقل فيروس الإيدز بطرق مختلفة وتشمل :

١ ـ الجماع الجنسى المباشر بين المصابين بالفيروس عن طريق أعضاء التناسل فى الذكر والأنثى أو عن طريق الشرج فى الشواذ جنسياً . ومن الغريب أن يكتشف الباحثون أن خلايا الشرج والقولون تقوم بإنتاج بروتين يساعد فيروس الإيدز على اختراق الجسم البشرى .

٢ ـ من الأمهات المصابات بالفيروس إلى مواليدهن . وقد تم اكتشاف الأجسام المضادة للفيروس فى ١٤٪ من السيدات الحوامل فى زامبيا وأوغندا . ولكن خطورة اللبن بما يحتويه من فيروسات المرض لم تُدرس بعد بالنسبة للأطفال الرُضع .

٣ ـ عن طريق الحقن والإبر الملوثة بالفيروس وكذلك الدم الملوث ومشتقاته .(٤)

خطورة فيروس الإيدز :

تأكد للعلماء أن فيروس الإيدز يهاجم الخلايا الليمفاوية المعروفة باسم « تى٤ » والمتخصصة فى مقاومة ميكروبات الأمراض وكذلك بعض أنواع السرطان . وعندما يهاجم الفيروس الخلايا يفرز نوعاً من البروتين له القدرة على تدمير هذه الخلايا تماماً ، ثم يتكاثر بأعداد هائلة فى فترة وجيزة جداً ليصبح الدم بعد ذلك مملوءاً بالفيروس . وعند ذلك ينهزم جهاز المناعة تماماً ويسيطر المرض على الجسم وتكون النهاية .(٥)

أعراض المرض :

تشمل أعراض هذا المرض الخطير تضخماً بالغدد الليمفاوية فى أماكن متفرقة من الجسم مع وجود أورام حمراء داكنة تزيد فى الحجم ، ونقص واضح فى وزن الجسم مع فقدان الشهية والتعب لأقل مجهود والعرق الغزير ليلاً مع ارتفاع درجة الحرارة والسُعال الجاف مع ضيق عند التنفس والإسهال وصعوبة التوافق الحركى ، وأخيراً ظهور بقع بيضاء سميكة على كل أجزاء الفم من الداخل ثم تكون النهاية التى لا مفر منها .(٦)

الإيدز والمستقبل :

تأكد لدى أهل البحث والعلم فى اجتماع باريس عام ١٩٨٦ م أن من يصاب بهذا الفيروس سيموت إن عاجلاً أو آجلاً . وبالرغم من أن هناك عديداً من الأدوية تؤثر على فيروس المرض فى المعمل إلا أنها جاءت مخيبة للآمال عند اختبارها على المرضى.[٧]

الإيدز ونظرة إسلامية واعتبار :

ونأتى إلى الإسلام لنرى كيف يحمى المسلم من هذا البلاء وغيره فنرى الصورة مشرقة يعلوها البهاء . فالإسلام يعنى عناية كبيرة بأن تكون الأسرة المسلمة على مودة ورحمة فيقول عز من قائل : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ . « النساء / ١٩ » . فهذا مبدأ توجيهى فى صميم الحياة الزوجية له شقان :

أحدهما أمر حاسم للرجال بأن يحسنوا معاشرة النساء ومقياس الإحسان هنا هو « المعروف » . فالرفق بالزوجة معروف ، وتمكينها من العيش المناسب لمستواها الاجتماعى « معروف » ، ولقاء أهلها بالبشر والإكرام « معروف » ومشاورتها فى شئون البيت والأطفال « معروف » . أما إلقاء حبل الزوجة على غاربها فليس بمعروف ، وأما تمكينها من البذخ والإسراف فيما لا ينفع فليس بمعروف والإذن لها بأن تقابل فى بيتها أصدقاء الزوج فى غيبته فليس بمعروف وكذلك السماح لها بأن تخرج من بيتها فى صحبة قريب للتنزه أو لزيارة أسرة فذلك كله ليس من المعروف .

والشق الآخر هو أن البيوت والزوجيات لا يلزم أن تُبنى دائماً على الحب ، ولو توقف بقاء الزوجية على عامل الحب وحده لانفصمت آلاف الزوجيات . فالزوجية شركة فيها مصاحبة وفيها ملاطفة وفيها أولاد وفيها تعاون على تذليل صعاب الحياة ، وفيها مع هذا كله أمل فى المستقبل ، فلعل شيئاً من ذلك يحيى العاطفة ويفتح القلوب ويكون فى ما يكره خيراً كثيراً .[٨*]

ويحرص الإسلام أيضاً على كيان الأسرة المسلمة فنجده يتحدث فى صراحة واضحة عن جرائم خلقية إذا ما تركت هزت كيان الأسرة هزاً عنيفاً وعجلت بالدمار والفناء ، ونركز هنا على : الزنا والسحاق واللواط . يقول رب العزة فى الكتاب العزيز الخالد : ﴿ الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ

(٤ ، ٧) : « الإيدز فى أفريقيا ـ أ . د / على زين العابدين ـ مجلة العلم / مايو ١٩٨٧ م .

* مجلة الأزهر :

لا شك أن الثقة والمشاعر الإنسانية المخلصة سبيل حاسم إلى الحب . وعلى هذا كان رأى عمر رضى الله عنه حين قال : أو كل البيوت بنيت على الحب ، فأين الرعاية والتذمم .

(٨ ، ٩) : « المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء » . للشيخ محمد محمد المدنى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ـ لجنة التعريف بالإسلام .

الإيدز... الرعب القاتل

أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ « النور / ٣ » . ويقول رب العزة : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً . وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾ « النساء / ١٥ / ١٦ » . ومن هذه الآيات الكريمة يتضح تحريم الإسلام للزنا لأن فيه اختلاطا للأنساب وانهيارا لسلامة المجتمع الإسلامى وفوق هذا كله غضب وانتقام رب العزة جل جلاله . وتتحدث الآية رقم ١٥ فى سورة النساء عن السحاق وهو الفاحشة بين امرأة وامرأة ومن ذا الذى يرضى بأن يتزوج امرأة تكون مريضة بهذا الداء فاسدة الأنوثة ؟ . وتتحدث الآية رقم ١٦ عن فاحشة اللواط وهى الجريمة بين رجل ورجل فتجعل الرجل يخسر رجولته وشخصيته وكماله وسموه على النحو الذى هيأه الله عليه ومن هذه المرأة التى ترضى بأن يكون زوجها ملتوياً عن طبيعة الرجال متقبلاً لهذه الجريمة المنكرة ؟[٩] .

ويجمع تحريم ذلك كله قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (المؤمنون والمعارج) .

وإذا ما كانت الأسرة فى مودة ورحمة تجد أباً طاهراً لا يقرب الفواحش وأماً طاهرة عفيفة تعرف ربها حق المعرفة سلمت من كل خطر وأمنت من كل شيطان .

الخلاصة :

لا أجد ختاماً أفضل من قول رب العزة : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ « الأعراف / ٥٨ » . فبيت الإيمان يخرج لنا طهارة وسلاماً وأما بيت الكفر والنفاق والانحلال فيخرج لنا شياطين الفساد وبغايا الفسق والفجور .

د . مصطفى احمد حماد

من روائع الماضى

كتاب يهذى فى تأويل القرآن الكريم

لفضيلة الإمام الأكبر الأسبق
محمد الخضر حسين
رحمه الله

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

من البدهيات أن الإسلام مستهدف من كَثْرَةٍ خارجة عنه وقِلّةٍ داخلة فيه : عملاء من القلة للكثرة ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على قوة هذا الدين ومتانته ، مما ملأ قلوب أعدائه حقداً وغلاً وحسداً ، فأخذوا يتحينون الفرصة تلو الأخرى لمحاولة الوثوب على هذا الصرح الربانى الشامخ ، ومحاولة العبث فى كتاب الله المجيد ليقضوا مآربهم ويشفوا صدور قوم لا يؤمنون : وفاتهم أن هذا الكتاب محفوظ بحفظ الله له . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ومن أولئك البهائية ومن على صراطهم ، ولقد صدرت فتوى الأزهر صريحة فى البهائية والماسونية والروتارى والليانز وما ذلك كله إلا فروع لخَبَثٍ قديم تصدى له الأزهر فى حينه .. وإليكم جانباً من الدليل . قال الإمام الأكبر الأسبق ـ رحمه الله :

من روائع الماضى

علم الله أن فى البشر عقولا لا تدرك وجوه الخير .

وأن فى وجوه الخير ما لا تصل إليه العقول بنفسها .

وعلم أن فيمن يعقلون بعض هذه الوجوه أولى أهواء نزاعة إلى الشر .

فانزل كتابا يدعو إلى توحيد الخالق ويهدى إلى مكارم الأخلاق ، ويسن للقضاء والسياسة العامة أحكاماً عادلة ، وينبه على بعض سننه فى الخليقة لندرك بالغ حكمته ، ويذكرنا بأيام أمم قد خلت من قبلنا لنتعظ بها ، ونحذر سوء منقلبها ، ويقص علينا من أنباء رسله مايصف لنا صبرهم على ماأوذوا ، وتأييده لهم بما يقطع عذر المنكرين لرسالتهم ، ويخبر عن بعض الحقائق الغائبة عن أبصارنا لنزداد علماً بسعة خلقه وكمال قدرته ، ونفقه أن مالدينا من وسائل العلم لا نكسب به من العلم إلا قليلا .

وقد شاء الله تعالى أن ينزل هذا الكتاب على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وقضت حكمته أن ينزله بلسان عربى مبين : بلسان أمة اختصت لذلك العهد بمزايا تهيؤها لأن تتقبل دعوته ، وتفقه مقاصده ، وتشيد بجانبه دولة تقيم لمن تقلدوه عزة ، وتمد على رءوس دعاته حماية يتقلبون فى ظلالها ، ويبلغون الأمم هداية الله تحت رايتها .

أنزل الله كتابه الكريم ، وعهد ببيانه إلى رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم ، فتلقى عنه أصحابه ذلك الكتاب وبيان ما كان يخفى عليهم من آياته ، فما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى تركها شريعة غراء ليلها كنهارها ، وما انقرض عهد أصحابه رضى الله عنهم حتى ورثها عنهم التابعون وأدّوها إلى الذين جاءوا من بعدهم بأمانة وتقوى ، وما زال القرآن يدرس ، والراسخون فى العلم لا يختلفون فى فهم آياته إلا آيات لا يمس الخلاف فيها أصلا من أصول الدين ، وليس فيما يعتد به من هذا الخلاف مايخرج فيه الفهم عن أساليب اللغة العربية ومقتضى وضع ألفاظها .

حتى ظهر أشخاص قلّ فى علم اللغة نصيبهم ، أو خف فى علم الشريعة وزنهم ، فتناولوا القرآن بعقول لا تراعى فى فهمه قوانين البلاغة ، ولا تدخل إلى تفسيره من باب السنة الصحيحة ، فأدخلوا فى تفسير القرآن آراء سخيفة ومزاعم منبوذة ، ووجدت هذه الآراء وهذه المزاعم عند بعض العامة وأشباه العامة متقبلا .

وشر من هؤلاء طائفة الباطنية الذين هم رهط من المجوس ائتمروا على أن يكيدوا للإسلام بتأويل القرآن على وجوه غير صحيحة ، ليصرفوا الناس عن محجته البيضاء ، ويأخذوهم إلى ماشاءوا من نحل خاسرة وأهواء ، ولولا رجال يدرسون الدين ببصائر تنفذ إلى لبابه ، ويرزقون إيمانا يسوقهم إلى دفاع الخبائث عن حياضه ، لكان لأولئك المضلين جولة أوسع مما جالوا ، واستدراج للنفوس أكثر مما استدرجوا .

وعلى الرغم مما فى كتب العلماء المصلحين من حق واضح وحجة دامغة لم ينقطع شر هذا الرهط الذين يمكرون بكتاب الله ، ويحرفون كلمه عن مواضعه ، ليقضوا مآرب ويشفوا صدور قوم لا يؤمنون .

وها هى تلك الفرقة البهائية قامت منذ عهد غير بعيد تتبع خُطَا الباطنية : تجهد نفسها إجهادهم ، وتهذى فى تأويل كتاب الله هذيانهم ، وقد تسنى لها أن تستهوى بعض النفوس الغافلة أيام كان دعاتها يراءون الناس ويضعون على ألسنتهم مسحة من الدين الحنيف ، أما اليوم فقد غرهم الغرور ، فأعلنوا نحلتهم وجعلواالناس على بينة من باطن أمرهم ، فما لهم بعد هذه العلانية إلا أن ينقض بناؤهم ، ويحذر المسلمون أينما كانوا حبائل دعاتهم .

ويضاهى البهائية وأسلافهم الباطنية فى العمل لتقويض أصول الإسلام على طريقة التأويل نفر يضعون على رءوسهم بياضا ، ويحملون فى صدورهم سوادا ، لم يرسموا لأنفسهم نحلة دينية ، وإنما هى الغواية لعبت بعقولهم ، وإكبار خصوم الدين ران على قلوبهم ، فانطلقوا إلى القرآن الكريم يؤولونه على مايوافق شهواتهم ، ويقضى حاجات فى نفوس ساداتهم ، يفعلون هذا ولا يرقبون فى اللغة العربية ذمة ، ولا يرعون لِسُنَّةِ أفضل الخليقة حرمة ، وتراهم ينبذون مايقرره أئمة العربية أو أئمة الدين نبذا لا يتكىء على دليل ، ويطلقون ألسنتهم فى هؤلاء الأئمة الذين خدموا الدين والعلم والأدب ، وإنما يعرف فضلهم العالم الناقد النبيل .

ومن هؤلاء النفر شخص سولت له نفسه أن يخوض فى آيات الله كالذين خاضوا فيها على عماية ، فكتب جملاً قصيرة قذف فيها شيئاً من وساوسه ، وسماها تفسيرا ، بل تناهى فى الافتتان بها فسماها « الهداية والعرفان » .

والذى يقرأ هذه الجمل لا ير[illegible] ان صاحبها جامد على المحسوسات ، جاحد لكثير مما أخبر به القرآن ، منكر لأحكام قررها القرآن والسنة وأجمع عليها الصحابة وأئمة الإسلام من بعدهم جيلا بعد جيل ، ولكنه يريد أن يدل على إنكاره بما يرتكبه فى الآيات من سوء التأويل .

ونضع بين أيدى القراء أمثلة من هذا الكتاب ليعلموا أن رياسة الأزهر الشريف قد قضت بسعيها فى حجزه وإتلافه واجبا ، هو حماية العامة من أن يقرعوا إلحاداً فى آيات الله غير مقرون بما يكشف القناع عن وجهه الفظيع ، وضلاله البعيد .

تاويله لآيات المعجزات :

ينكر ذلك المؤول المعجزات صراحة فقد قال فى صفحة ٣٠٦ : « وإن آيتهم (أى الرسل) على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم ، وصلاح رسالتهم ، وأنهم لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يبدل سنته ونظامه فى الكون » وقال فى ص ١٦١ : « وبعد هذا تعلم أن الله ينادى الناس بأنهم لا ينبغى أن ينتظروا من الرسول آية على صدقه فى دعوته ، غير مافى سيرته ورسالته » .

←

من روائع الماضي

وقد جرى هذا المؤول وراء طائفة **البهائية فإنهم ينكرون للرسل عليهم الصلاة والسلام معجزات ، صرح بإنكارها داعيتهم المسمى** (أبا الفضل) فقد ذكر المعجزات فى كتابه المسمى بـ(الدرر) وقال : وكثير من أهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا أن جميع ماورد فى الكتب والأخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الأمور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوزه العقل المستقيم . ثم أخذ يؤول بعض ماورد فى تلك المعجزات من قرآن وحديث على نحو الوجهة التى ضل فيها هذا المؤول من بعده .

لم ينقل عن أحد ممن يؤمن بالرسل صلوات الله عليهم ـ **إنكار المعجزات التى هى خوارق عادات** يغير الله بها بعض سننه الظاهرة لتكون حجة على صدق من يبعثه داعياً إلى سبيله ، وإنما ينكرها طائفة ممن أنكروا بعثة الرسل إذ قالوا : إن الرسالة تتوقف على المعجزة ، والمعجزة خرق للعادة ، وخرق العادة محال ، ودعوى استحالة خرق العادة قد أثخنتها الأدلة طعناً ، فلا يقيم لها النظر الصحيح وزناً . وكم من عقول ضلت سبيل الرشد ، وأفتها عدم التفرقة بين مالا يكون عادة ومايقضى العقل بألا يكون ، فيغلطون فى تصور مايستبعد العقل وقوعه استناداً للعادة ، ويخالونه من قبيل مالا يمكن وقوعه ، واستبعاد العقل لشىء لم تجر العادة بوقوعه لا يقف أمام نصوص شريعة قامت الآيات البينات على أنها تنزيل من رب العالمين ، وليس مايقصه القرآن من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا تغييراً لبعض السنن الكونية الظاهرة ، وتغيير هذه السنن لا يقضى بمنعه عقل يقدر قدرة الخالق قدرها ، ويسلم أن هذه السنن من صنعها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ . نص فى أن الله تعالى أرسل مع الرسل المتقدمين آيات غير سيرتهم وصلاح رسالتهم ، وقد مر المؤول على هذه الآية ولم يمسها بتحريف .

وإذا كانت معجزات النبى صلى الله عليه وسلم التى هى خوارق عادات قد شهدها الصحابة ، وعرفها السلف لا تأخذهم فى صدق أحاديثها ريبة ، ونقلت إلى من بعدهم على طرق يكتنفها الصحة من كل جانب ، وكانت بمجموعها بالغة حد التواتر الموجب للعلم ، استبان لنا أن المراد من الآيات التى منع من إرسالها تكذيب الأولين آيات خاصة هى ما اقترحه قريش من نحو إحياء الموتى على ماذكره المحدثون والمفسرون فى سبب نزول الآية .

والمعنى ما صرفنا عن إرسال مايقترحونه من الآيات إلا أن أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود قد كذبوا بها ، فتوغُّلُ المقترحين فى الضلال إلى حد من لا يرجى منه الانتفاع بالآيات يجعل إرسال الآيات التى اقترحوها بعد إراءتهم آيات تثبت الرسالة وتقوم عليهم حجة ، خالياً من الفائدة ، وعدم إرسال هذه الآيات المقترحة لا يقتضى ألا يظهر على يده صلى الله عليه وسلم آية من غيرها لم تقترح عليه أو اقترحها عليه غير من نزلت فيهم آية ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ

بِالْآيَاتِ ﴾ فهذه الآية بملاحظة أنها نزلت فى آيات خاصة اقترحها عليه قوم بأعيانهم ، لا تدل على أن الله لا يرسل أى آية من غيرها .

ينكر ذلك المؤول المعجزات ، فأخذ يَتَقَصَّى الآيات الواردة فى شأنها ، وينحو بها نحواً يخرجها عن أنِ يكون فيما تدل عليه خارق للعادة ، ولا يندى جبينه حياء أن يتعسف فى التأويل ، فيأتى به بعيداً من مواقع حسن البيان خارجاً عن المعقول من دلالة الألفاظ .

فانظر ماذا صنع فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ . فقد ذهب بالعصا إلى معنى الحجة ، وقال : « يصور لنا كيف كشفت حجته تزييف حجتهم حتى سلموا له وآمنوا به » . وقال فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ : « تفهم من تمثيل هذه الرواية أن الله أعد موسى وهيأه للدعوة وأراه كيف يتغلب على خصمه بالبرهان والحجة » وقال عند قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ.وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ : « انظر كيف يكون التمثيل فى قوة الحجة والبرهان » .

وقد اتبع المؤول فى هذا مهذار البهائية المسمى أبا الفضل فقد ذكر فى ص ٥١ من كتابه المسمى « الدرر البهية » أن أهل الفضل ـ فيما يزعم ـ فسروا العصا بأمر الله وحكمه ، وقال : إن موسى عليه السلام بهذه العصا غلب على فرعون وجنوده ، ومحا حبائل عتوه وجحوده ، وذكر فى صفحة ٥٣ من ذلك الكتاب أن اليد البيضاء عُبِّر بها عن الرسالة .

فى القرآن مجاز واستعارة وكناية ، ولكنه يسلك هذه الطرق على الوجه الذى يأتيه البلغاء من العرب ، وشأن البلغاء ألا يخرجوا عن الحقيقة إلى حد هذه الطرق إلا أن يكون سهل المأخذ ، واضح المقصد ، أما ما يبدو على وجهه تكلف أو يكون فى دلالته التواء فمعدود فى معيب الكلام ، وداخل فيما يذهب بمزية الفصاحة ، وتأويل الآيات على ماقاله المؤول وسلفه البهائى يجعلها من قبيل المجاز الذى ينبو عنه الذوق لتعسفه ، ويبعد منه الفهم لخلوه من القرينة المشيرة إلى أنه مستعمل فى غير ما وضع له ، فالمؤول ومُعَلِّمُهُ البهائى لم يقدروا الله حق قدره ، إذ صرفوا كلامه عما يدل على سعة قدرته وخرجوا به عن حدود البلاغة وهو مثلها الأعلى ، والمختص بذروتها القصوى .

وانظر ماذا صنع فى قوله تعالى : ﴿ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ . فقد حرف قوله : « أخلق لكم من الطين » عن حقيقته ، وقال يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونوره وتردد هنا فى معنى إبراء الأبرص فقال :

« فهل عيسى يبرىء هذا بمعنى أنه يكمل التكوين الجسمانى بالأعمال الطبية ، أم بمعنى أنه يكمل التكوين الروحى بالهداية الدينية » ويدلك على أنه يذهب فى تأويل الآية إلى غير مذهب المسلمين قوله عند قوله تعالى : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾ : واعلم أن قصة موسى فى العصا واليد كقصة عيسى فى إحياء الموتى وشفاء المريض كلاهما يتشابه فى معناه على الناس .

من روائع الماضى

وقد مشى فى هذا خلف ذلك البابى المسمى أبا الفضل إذ تصدى فى كتابه المسمى « الدرر البهية » لبيان معنى هذه المعجزة فقال فى صفحة ٥٣ يتحدث عن حال بنى إسرائيل : « حتى انتهت دورتهم وانقضت مدتهم وماتت قلوبهم وبرصت بالذل جباههم وجنوبهم فرجعوا من أسر الفراعنة إلى أسر القياصرة ، وعن عبادة المصريين إلى عبادة الرومانيين حينئذ طلعت شمس الحقيقة عن أفق بلاد الجليل ، وارتفعت نغمات الإنجيل فأحيا الله تعالى بأنفاس عيسى عليه السلام بعضا من تلك النفوس الميتة وبرأ بيده المباركة جملة من الجباه المبروصة » .

زخرف من القول ، وتحت هذا الزخرف جحود لمعجزات الرسل عليهم السلام وصرف لآيات الله عن معانيها المفرغة فى لفظها العربى المبين ، والتى عرفها المسلمون منذ نزل بها الروح الأمين متظافرين عليها جيلا بعد جيل .

يقول الله تعالى : ﴿ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ﴾ . والمعنى الذى يعقل من الآية أنى أصور لكم من الطين شيئاً على هيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً حيا بأمر الله ، وأبرىء الأعمى والذى به وضح ، وأعيد الحياة إلى جسم من فقد الحياة ، أفعل كل ذلك بأمر الله .

وأما نحو إخراج الناس من ثقل الجهل إلى خفة العلم ، وإبراء الجباه المصابة ببرص الذل ، فلا يصح حمل الآية عليها إذ القرآن برىء من أمثال هذه الاستعارات البالغة فى التكلف والتعقيد غاية تذهب عندها الفصاحة وحسن البيان .

وإذا قرأت فى بعض كتب التفسير ما يسمونه الإشارات ، ووجدت فى الحديث عن هذه الآيات ما يقارب أو يماثل كلام المؤول أو البهائى ، فاعلم أن أصحاب الإشارات غير من يسمونهم الباطنية ، فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه ، وأما أصحاب الإشارات فإنهم كما قال أبو بكر بن العربى فى كتاب القواصم والعواصم : « جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها ، وأقروها على نصابها ، لكنهم زعموا أن وراءها معانى غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ ، فعبروا إليها بالفكر ، واعتبروا منها فى سبيل الذكر .

فأصحاب الإشارات لا ينفون كما ينفى الباطنية وأذنابهم المعنى الذى يدل عليه اللفظ العربى من نحو الأحكام والقصص والمعجزات ، وإنما يقولون : إنهم يستفيدون من وراء تلك المعانى وعلى طريق الاعتبار ، معانى فيها موعظة وذكرى ، وعلى ما بين مذهبهم ومذهب الباطنية من فرق واضح نرى فى أهل العلم من نازعهم فى إلصاق تلك المعانى بألفاظ القرآن ، وقال : إن ما جاء فى صريح القرآن والسنة من مواعظ وحكم يغنى عن ارتكاب هذه الطرق البعيدة التى هى فى الأصل نزعة قوم شأنهم الصد عن هدى الله وتعطيل أحكام شريعته الغراء .

وأنكر ذلك المؤول أن يكون عيسى عليه

السلام قد تكلم فى المهد فسام قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ سوء التأويل ، فقال : « فى دور المهد وهو دور الصبا ، علامة على الجرأة وقوة الاستعداد فى الصغر » يريد أنه يكلمهم فى سن اعتيد فيها الكلام .

جاء فى الجامع الصحيح للإمام البخارى ما يدل على أن عيسى عليه السلام تكلم قبل أوان الكلام ، تجد هذا فى حديث « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة » وذكر فى أولهم عيسى عليه السلام ، وروى ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنه أنه قال فى تفسير المهد « مضجع الصبى فى رضاعه » والمهد فى الأصل مصدر مهد أى بسط ووطأ ، وهو كما فى لسان العرب اسم لموضع الصبى الذى يهيأ له ويوطأ لينام فيه ، فكان على المؤول إذ فسره بدور التمهيد للحياة أن يقيم على هذا شاهدا من كلام العرب ، ويبدى الوجه الذى دعاه إلى الإعراض عن حديث رسول الله ﷺ ، وإلا كان هذا التأويل علامة على جرأته واستعداده لأن يخوض فى آيات الله بغير علم وعلى غير أصل .

أنكر أن يكون عيسى عليه السلام قد تكلم فى المهد ، وتأول آية : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ . على ما سمعت وبمثل هذا التأويل تناول قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . فقال : « أى كان ذاك النهار ولدا صغيراً ، فكيف يأمرنا وينهانا ونحن كبار القوم ، فهذا ابن حرام » .

ولما رأى أن ما قبل الآية وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ يدفعه عن هذا العبث ، صرفه عن وجهه فقال : « تحمله على ما يحمل عليه المسافر ومنه تفهم أنه كان فى سياحة طويلة » .

لم يكف المؤول أن يخرج فيما يكتب عن قوانين اللغة فطاش إلى أن يقول فى التاريخ ما لا يعرفه التاريخ ، فمن أين اطلع على أن مريم عليها السلام كانت فى سياحة طويلة : كان على المؤول أن يثبت هذه السياحة الطويلة من التاريخ أو من القرآن ثم يقول : « ومنها تعلم أنها كانت تحمله على ما يحمل عليه المسافر » ، ولكنه قلب الكلام فأتى إلى قوله تعالى : « تحمله » الذى هو ظاهر فى أنها تحمله بنفسها ؛ وحرفه إلى معنى تحمله على مركوب ، وأذن لك فى أن تأخذ منه أنها كانت فى سياحة طويلة .

ومقتضى إنكاره لمعجزات الرسل أن لا يسلم أن عيسى عليه السلام خلق من غير أب ، وقد كتب عندما وصل إلى آيات هذه المعجزة بلسان يدل على إنكارها فى غير صراحة فقال فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ : « استنكرت لما طرأ على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف » . وقال فى قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ : « اختصار فى التعبير لا يعوق دور الحمل الطبيعى » ، وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ : « فيه ملحوظة طريفة هى أن موسى لم يذكر له أب ولكن قومه لم ينكروا أباه أو يقولوا فيه كما قالت النصارى فى المسيح ابن الله بناء على أن المسيح نسب إلى أمه ولم يذكر له أب» فإذا نظرت إلى قوله « لما طرأ على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف » . ثم إلى قوله فى حديثه عن موسى عليه السلام « بناء على أن

المسيح نسب إلى أمه ولم يذكر له أب » إذا لاحظت هذا وهو صادر ممن ينكر المعجزات عرفت أنه لا يعترف كما لايعترف اليهود بأن عيسى عليه السلام خلق من غير أب .

وحرف قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ فقال : « اضرب بعصاك البحر : اطرقه واذهب إليه » . وقال : « هذا بيان لحالة البحر يصوره لك بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة » .

وقال هذا ولم يتحدث عن الفاء فى قوله تعالى : ﴿ فَانفَلَقَ ﴾ وظاهر تأويله أن يكون المعنى فذهب إلى البحر فانفلق فيكون الانفلاق قد وقع عقب الذهاب إلى البحر ، والمؤول يقول : يصور لك البحر بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة ، ثم إن قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ظاهر فى تصوير حال البحر عند انفلاقه ليريك كيف ينجى رسله على طرق يفتحها من أجلهم ، فتقف الأهوال حولهم ، لا يمسكها أن تطغى عليهم إلا قدرته التى يدخل تحت سلطانها كل ما يدخل فى حيز الإمكان .

ومما هو ظاهر فى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ . فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ . وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ . فالمعقول من هذه الآية أن الطريق الذى سلكه موسى عليه السلام إنما تنحى عنه الماء حال مروره به ، وأن فرعون اقتفى أثره عندما رأى الطريق الذى يسير فيه موسى وقومه يبسا ، ولما انحدر فرعون وقومه فى هذا الطريق عاد الماء إلى حاله وغشيهم من اليم ما غشيهم فكانوا من المغرقين ، وأما قول المؤول . إن فرعون أضل الطريق اليبس الذى اهتدى إليه موسى ، فمن الأشياء التى يفرضها ويحمل عليها الآيات انكارا للمعجزة .

وحرف قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ فقال : « بعرشها بملكها يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول فى البلد فطلب الخريطة التى فيها مملكة سبأ ، ليهاجمها ويريها أنه جاد غير هازل » .

يقول الله تعالى : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ ويقول هذا المؤول : « يأتينى بخريطة مملكتها » وإذا كان طلب خريطة مملكتها لوضع خطط الحرب فما وجه عرض هذه الخريطة عليها بعد أن جاءت مسلمة ، وما حكمة سؤالها عن مطابقة هذه الخريطة لحال مملكتها ؟!

عبث يهذى به حول كتاب الله ، فلا تقوى تحجمه عنه ، ولا حكمة يفرق بها بين الجد والمزح فترفعه عن أن يقول ما يضحك الناس منه .

وحرف قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فتأولها على وجه ينكر به أن يكون إبراهيم عليه السلام ألقى فى النار وخرج منها سالماً ، فقال : « معناه نجاة من الوقوع فيها » . وذكر أن نجاته كانت بالهجرة أى من وطن قومه إلى ناحية فلسطين .

وظاهر الآية أنه ألقى فى النار وقد سلب الله منها حرارتها ، فإن حمل على معنى إيجاد حائل بين النار وجسم إبراهيم فهو تأويل غير بعيد ، أما صرف الآية إلى معنى عدم الوقوع فى النار فتأويل لا داعى إليه ، ولا مسوغ له إلا ضيق الذهن عن تصور بشر يلقى فى النار ولا تحرقه النار ، وإذا لم يقل القرآن (فألقوه فقلنا يانار كونى برداً) فلسبك الآية فى إيجاز يلائم حد الإعجاز ، فالجملة التى تدل على إلقائهم له فى النار بالوضع والمطابقة حذفت من النظم استغناء عنها بذكر ما يستلزمها ولا يستقر معناه فى ذهن السامع إلا بتقديرها ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

وحرف قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ . فقال : « الإسراء يستعمل فى هجرة الأنبياء ، والمسجد الحرام الذى له حرمة ، والأقصى الأبعد ، مسجد المدينة » .

وقصد المؤول إنكار واقعة الإسراء فحمل الآية على هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة .

أجمع أهل العلم على أن أوائل هذه السورة نزل بمكة أى قبل الهجرة ، ولو كان هذا المؤول ممن يفقه فائدة معرفة ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة فى تفسير كتاب الله تعالى ، لما تجاسر على تفسير الآية بواقعة الهجرة ، وقد روى واقعة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس جمع عظيم من الصحابة رضى الله عنهم - منهم جابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأنس ابن مالك، وأبو هريرة، ومالك بن صعصعة ، وجاءت هذه الروايات فى الكتب الصحيحة مثل الجامع الصحيح للإمام البخارى والجامع الصحيح للإمام مسلم ، فلو كان هذا المؤول ممن درس كتب السنة ، وكان ممن يستضىء فى تفسير كتاب الله تعالى بسنة رسول الله ﷺ لما رمى بنفسه فى حفرة لا يسمع صيحته فيها إلا فارغ الذهن من مبادىء الدين ، أو مزلزل العقيدة مالقى ضليلاً إلا مال به عن السبيل .

يتبع

طرائف

أدب الرجل مع زوجه

حُسن العشرة ، ولطافةُ الكلمة ، وإظهار المودة ، والبسط فى الخلوة ، والتغافل عن الزّلة ، وقلة المجادلة ، وبذل المؤونة بلا بخل ، وإكرام أهلها ، ودوام الوعد الجميل ، وشدة الغيرة عليها .

أدب المرأة مع زوجها

دوام الحياء منه ، وقلة المماراة له ، وحسن الاستماع لكلامه ، والحفظ له فى غيبته ، وترك الخيانة فى ماله ، وإظهار القناعة ، واستعمال الشفقة ، ودوام الزينة ، وإكرام أهله وقرابته ، ورؤية حاله بالفضل ، وقبول فعله بالشكر ، وإظهار الحب له عند القرب منه ، وإبداء السرور عند الرؤية له ...

الحـــاسد

ليس الحاسد هو الذى يطمع أن يساويك بأن يرقى إليك ، بل هو الذى يريد أن تساويه بأن تنزل إليه .

صـلاح الأمـة

قال سفيان الثورى لأبى جعفر المنصور : إنى لأعلم رجلًا إن صلح صلحت الأمة ..

قال : ومن هو ؟ .

قال : أنت .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

الحكمة ضالة المؤمن

سمع الشعبى الحجاج بن يوسف الثقفى ، وهو على المنبر ، يقول :

أما بعد ، فإن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهدُ الدنيا عن غائب الآخرة ، واقصروا من الأمل لقصر الأجل ..

وسُمع إبراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر يقول :

إن يوماً أشاب الصغير ، وأسكر الكبير ، ليوم شره مستطير[1] .

حكمة من حكيم

أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما : لا تُدْخلوا أجْوافَكم إلا الطيّب ، ولاتخرجوا من أفواهكم إلا الطيب .

« دعـــــاء »

إلهى إن عفوت فخير راحم ، وإن عذبت فغير ظالم .

إلهى إن كنت لا ترضى إلا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون .

وإن كان لايرجوك إلا أهل وفائك فبمن يستغيث المستغيثون .

---

(١) ذلك يوم القيامة .

٢ ـ رأى الفقه فى ختم الصلاة جهراً وما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه يحرم جمع التبرعات أثناء خطبة الجمعة لأن فيه لغوا وانشغالا للناس عن الخطبة كما أن فيه تخطى الرقاب وذلك كله محرم وليكن جمع التبرعات بعد الصلاة .

٢ ـ وختم الصلاة جهراً : جاء فى البخارى أن ابن عباس قال كنت أعرف انقضاء صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالتكبير ، ويقول كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته ، وبذلك فختم الصلاة جهراً مشروع بشرط ألا يرفعوا رفعا يشوش على المصلين وإلا كان حراماً والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد /

عندنا مقبرة قديمة لم يدفن فيها منذ مائة سنة وأصبحت مكاناً للقاذورات التى تلقى فيها ونحن نحتاج إلى بناء مسجد فوقها مع العلم بأن هناك ضريحاً لولى من أولياء الله فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه حفاظاً على هذه العظام وتكريماً لها تجمع كلها وتدفن فى المقبرة العامة ثم يبنى فوقها المسجد . أما الضريح فلا يكون فى المسجد وإذا ترك فليكن خارج بناء المسجد فى غير جهة القبلة والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد /

امرأة أخذت نصيب أمها من جدها بطريق الوصية الواجبة فهل لباقى الورثة أن يشاركوا هذه البنت فى الوصية بحجة أنهم كانوا أخوة لأمها المتوفاة وما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الوصية الواجبة التى أخذتها البنت عن أمها من جدها هى خاصة بها فقط لا يشاركها أحد من الورثة فيها والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد / د . هلال

توفيت امرأة عن زوج ، بنت ، أولاد أخ شقيق ذكور وإناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن للزوج الربع فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للإناث من أولاد الأخ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم ،،،،

اللغة والأدب والنقد

الربعي وآراؤه النحوية

العباس عم الرسول
"صلى الله عليه وسلم"

الربعي وآراؤه النحوية

الفصل الأخير

سادساً : رأيه في إعراب « ذا » من « حبذا »

من صيغ التعجب « حبذا » لإفادة المدح ، و« لا حبذا » لإفادة الذم ، فالأولى مثل « نعم » والثانية مثل « بئس » .

وقد جمعها ابن مالك في ألفيته فقال : ـ

ومثل نعم حبذا الفاعل ذا
وإن ترد ذما فقل لا حبذا

فـ « حبذا » مثل نعم في المعنى والعمل مع زيادة أن الممدوح بها محبوب للقلب ، و« لا حبذا » مثل بئس في المعنى والعمل مع زيادة أن المذموم بها مكروه للقلب .

وقد جمعا في قول كنزة أم شملة في مية صاحبة ذى الرمة : ـ

الا حبذا أهل الملا غير أنه
إذا ذكرت مى فلا حبذا هيا

وأصل « حبذا » حبب ذا « بضم الباء الأولى » بمعنى صار حبيبا ، ثم أدغم فصار « حب » .

وقد اختلف فيها على أربعة مذاهب : ـ

الأول : مذهب الخليل [1] وابن كيسان والفارسي وهو أن « حب » فعل و « ذا » فاعله ، ويلزم الإفراد والتذكير وإن كان المخصوص بخلاف ذلك ، كما أنه لا يجوز اتباعه بواحد من التوابع ، واستشهد على ذلك بقول جرير يهجو الأخطل : ـ

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبـذا نفحات من يمـانية
تأتيك من قبل الريان أحيانا

وقول الشاعر : ـ

حبذا أنتما خليـلي إن لم
تعـذلانى في دمعى المهراق

وقول الحطيئة : ـ

الا حبذا هند وأرض بها هند
وهند أتى من دونها النأى والبعد

ففى الأبيات المتقدمة لزمت « ذا » الإفراد والتذكير مع مخالفة المخصوص لذلك كما أنها لم تتبع بواحد من التوابع .

وزعم السيوطي وابن خروف أن هذا مذهب سيبويه ، وأرى أن سيبويه لم يقل ذلك ، وإنما ذهب إلى أن « حب » تركبت مع « ذا » وصارتا كلمة واحدة هى اسم مرفوع ،

---

(١) انظر كتاب سيبويه جـ ٢ ص ١٨٠ .

وقد جاء في كتابه ذلك حيث قال : ـ

« وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أن « حبذا » بمنزلة حب الشيء ، ولكن « ذا » و« حب » بمنزلة كلمة واحدة ، نحو لولا « وهو اسم مرفوع » انتهى كلام سيبويه .(٢)

واختلف فى سبب لزومها الإفراد والتذكير وعدم الاتباع فالأكثرون على أنها كالمثل والأمثال لا تغير وهو مذهب سيبويه والخليل والمبرد .(٣)

وذهب ابن كيسان إلى أنه على حذف مضاف ، والتقدير في حبذا هند : حبذا حسن هند ، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأخذ حكمه .

وذهب أبو على الفارسي إلى أنه على إرادة جنس شائع فلم يختلف كما لم يختلف فاعل « نعم » إذا كان ضميراً .

الثاني : مذهب شيخنا الربعى وهو أن « ذا » زائدة ، وليست اسماً مشاراً به ، وحالها كحال « ذا » في ماذا صنعت ؟ والمخصوص فاعل « حب » واستدل على زيادتها بجواز حذفها كما فى قول عبد الله بن رواحة : ـ

باسم الإله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربا وحب دينا .(٤)

وارى أن هذا المذهب ضعيف ، وما استدل به من جواز حذفها ليس دليلاً على زيادتها ، لأنه ربما حذفت لضرورة الشعر .

الثالث : مذهب المبرد وابن السراج وابن عصفور ، وهو أن « حب » ركبت مع « ذا » وصارتا كلمة واحدة هى اسم مرفوع على الابتدائية ، والمخصوص هو الخبر ، أو مرفوع على الخبرية والمخصوص مبتدأ مؤخر .(٥)

وقد نسب ابن عصفور هذا المذهب لسيبويه ، وأنا مع ابن عصفور فى نسبته لسيبويه ، لأنه ـ كما قلت آنفا ـ هو مذهب سيبويه .(٦)

وما عرض به ابن خروف على ابن عصفور خطأ منه ، لأن الحق مع ابن عصفور فقد قال ابن خروف إن سيبويه يرى أن « حب » فعل

←

---

(٢) انظر الكتاب جـ ٢ ص ١٨٠ ، والهمع جـ ٢ ص ٨٨ ، وشرح ابن الناظم ص ١٨٥ وشرح الأشمونى جـ ٣ ص ٤٠ .

(٣) انظر الكتاب جـ ٢ ص ١٨٠ والمقتضب للمبرد تحقيق الأستاذ الدكتور / عبد الخالق عضيمة جـ ٢ ص ١٤٥ .

(٤) انظر شرح الكافية للرضى جـ ٢ ص ٣١٩ ، والهمع جـ ٢ ص ٨٨ ، وشرح ابن هطيل على مفصل الزمخشرى مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٩ نحو تيمور ورقة ٣٩٤ .

(٥) انظر المقتضب للمبرد ـ ط بيروت ـ جـ ٢ ص ١٤٥ ، والأصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلى جـ ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٦) انظر الكتاب جـ ٢ ص ١٨٠ .

و« ذا » فاعل ، والمخصوص مبتدأ خبره جملة « حبذا » المتقدمة ، ثم عقب بقوله : وأخطأ عليه من زعم غير ذلك .

وقد جاء في حاشية الصبان : قال البعض : « وفيه من إساءة الأدب مع ابن عصفور مالا يخفى »[7] .

الرابع : ذهب جماعة من النحويين إلى أن « حب » تركبت مع « ذا » وصارتا كلمة واحدة هي فعل والمخصوص هو الفاعل ، ونسبه السيوطي في الهمع للمبرد[8] وهي نسبة خاطئة ، لأن المبرد ـ كما ذكرت آنفا ـ يرى أنهما تركبا وصارا كلمة واحدة هي اسم .

قال ابن هشام عن المذهب الرابع : وهذا أضعف ما قيل ، لجواز حذف المخصوص كما في قول مرار بن مياس أو مرداس بن هماس : ـ

ألا حبذا لولا الحياء وربما
منحت الهوى ما ليس بالمتقارب

والفاعل عمدة لا يجوز حذفه .[9]

مما تقدم نرى أن أرجح هذه المذاهب وأولاها بالقبول هو المذهب الأول الذي يرى أن « حب » فعل و« ذا » فاعل ، وأنهما لم يركبا ، بل بقي كل على وضعه في الأصل .

قال العلامة ابن مالك : والصحيح أن « حب » فعل باق على فعليته مقصود به المحبة والمدح ، وجعل فاعله « ذا » ليدل بذلك على الحضور القلبي ، ولم يغير لجريانهما مجرى المثل .[10]

سابعاً : رأيه في إعراب النكرة الواقعة قبل أو بعد مخصوص حبذا

يقع كثيراً قبل مخصوص « حبذا » أو بعده نكرة منصوبة نحو قولك : حبذا رجلا زيد ، وحبذا رجلين الزيدان ، وحبذا رجالا الزيدون ، وحبذا امرأة هند وامرأتين الهندان ، ونساء الهندات وكذا لو عكست وأخرت النكرة عن المخصوص .

فمن مجيء النكرة قبل المخصوص قول الشاعر : ـ

ألا حبذا قوما سليم فإنهم
وفوا إذا تواصوا بالإعانة والصبر

ومثل قول الراجز : ـ

يا حبذا مرجوا الثرى السخى
من يرجه فعيشه العيش

ومن مجيئها بعد المخصوص قول الشاعر : ـ

حبذا الصبر شيمة لا مرىء را
م سبارة مولع بالمعالى

ومثل قول الشاعر : ـ

يا حبذا المال مبذولا بلا سرف
في أوجه البر إسرارا وإعلانا

وقد اختلف في هذه النكرة على أي شيء نُصبت ؟

---

(٧) انظر حاشية الصبان جـ ٣ ص ٤٠ .
(٨) انظر الهمع جـ ٢ ص ١٨٠ .
(٩) انظر المغنى جـ ٢ ص ٦١٧ .
(١٠) انظر شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ص ٨٠١ .

فذهب جماعة من النحويين إلى أنها إن كانت مشتقة فهى منصوبة على الحالية ، نحو : حبذا محمد رسولاً ، وإن كانت جامدة فهى منصوبة على التمييز ، نحو : حبذا محمد رجلا .

وذهب الأخفش والفارسى والربعى إلى أنها حال مطلقاً (١١) .

وذهب أبو عمرو بن العلاء إلى أنها تمييز مطلقا .

وذهب أبو حيان إلى انها إن كانت مشتقة وأريد تقيد المدح بها فهى حال وإن لم يقيد المدح بها ، أو كانت جامدة فهى تمييز .

فمثال مجيئها حالاً على رأيه : حبذا هند مواصلة ، اى فى حال مواصلتها ، ولا يجوز دخول « من » عليها حينئذ .

ومثال مجيئها تمييزاً : حبذا زيد راكبا ، ويصح دخول « من » عليها حينئذ اى من راكب .

وذهب جماعة إلى أنها منصوبة على المفعولية بفعل مضمر تقديره « أعنى » وليست حالاً ولا تمييزاً ، ونسب هذا الراى لأبى حيان أيضاً ، وعده السيوطى غريباً . وقال : الأولى التأخير عند الفارسى والتقديم عند ابن مالك .

وقال الجرمى وابن خروف هما سواء في الحال ، ثم قال الجرمى : تقديم التمييز فيه قبيح ، وقال ابن خروف أحسن .

وقال أبو حيان : الأحسن تقديم التمييز وكذا الحال إن كانت من « ذا » وإن كانت من المخصوص فالتأخير أحسن .(١٢) .

هذه هى الآراء التى عثرت عليها لشيخنا الربعى في بطون الكتب وأسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن أكون قد وفقت لإخراجها بالطريقة التى تيسر على القارىء فهمها .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ...

---

(١١) انظر الهمع جـ ٢ ص ٨٩ .

(١٢) انظر الهمع جـ ٢ ص ٨٩ .

العباس عم الرسول "صلى الله عليه وسلم"

لم يشرف أحد في الجاهلية والإسلام كما شرف العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، فلقد أسلم وصار صحابيا ، وعاش في العالم الإسلامي مكرماً ، وتولى أحفاده حكم الإمبراطورية الإسلامية من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ٦٥٦ هـ . ولما سقطت بغداد انتقل من أحفاده من تولى الخلافة في مصر ليحفظ للعروبة مجدها ولغتها ودينها إلى أن صارت مصر إلى يد سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ . وباختفاء ولده لم يعرف للمسلمين وحدة ولا جامعة إسلامية حقة .

ومن شرفه في الجاهلية أنه كان رئيس قريش وهو لم يبلغ الحلم . روى « ابن عبد ربه » في كتابه « العقد الفريد » الجزء الثالث حيث تحدث عن نسب قريش ووظائف بطونها من سدانة وندوة ولواء ورفادة ....، وجاء الحديث عن بنى هاشم فقال :

« كانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر في بنى هاشم ؛ فأما السقاية فمعروفة (ماء زمزم ينقع فيه الزبيب لسقى الحجيج) وأما العمارة فهو : ألا يتكلم أحد في المسجد الحرام بهُجر (باطل) ولارفث (الفحش من القول) ولا يرفع فيه صوته ، وكان العباس ينهاهم عن ذلك ، وأما حلوان النفْر فإن العرب لم تكن تملك عليها في الجاهلية أحداً ، فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة ، فمن خرجت عليه القرعة أحْضروه صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بنى هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المجِنّ (الترس) .

وهذا الخبر الذى ساقه ابن عبد ربه ـ وهو الناشىء في كنف بنى مروان من بنى أمية بالأندلس بعيداً عن بنى العباس ـ يعطينا أمرين في غاية الأهمية ، ويردان على بعض المستشرقين الذين يجعلون الحديث عن العباسيين والهاشميين بوجه عام في الجاهلية مصحوباً بسيادتهم ضرباً من التـزيد والانحياز .

الأمر الأول : أن القرعة كانت بين أهل الرياسة ، ومن أهل الرياسة ؟ الجواب من ابن عبد ربه الأندلسى : « أقرعوا بين بنى هاشم » فلم يدخل بينهم أى بطن من بطونهم

للأستاذ : السيد حسن قترون

مع أن حرب بن أمية كان رئيس قريش وكنانة فى تلك الحرب ، ومعنى ذلك أنه القائد ، أما الرئيس فهو من وقعت عليه القرعة من بنى هاشم وهو العباس بن عبد المطلب .

وهذا هو الأمر الثانى .

وحرب الفِجار التى يتحدث عنها العقد الفريد كانت بين قيس وقبائلها ، وقريش وكنانة وقريش بعض قبائل كنانة .. ولقد حضر تلك الحرب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان صغيراً فهو أصغر سناً من عمه العباس بسنوات ثلاث ، وسئل العباس : أنت أكبر أم رسول الله ؟ فقال : هو أكبر منى وأنا أسن منه .. وأعجب الناس بهذا الجواب الموفق .

ويقول أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى (١٣٦ - ١٥٨ هـ) فى مَعْرِض التفاخر ، والخطاب للخارج عليه من بنى عمومته النفس الزكية (محمد بن عبد الله بن الحسن العلوى) :

ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة ، فأجابه اثنان أحدهما أبى . (يريد العباس) وكفر اثنان أحدهما أبوك (يريد أبا طالب) .. ولقد علمتَ أن مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم ، وكانت للعباس دون إخوته ، فنازعنا فيها أبوك (على بن أبى طالب) إلى عمر ، فقضى لنا عمر عليه ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حياً إلا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب ، وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها إلا ولده ، فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وبنوه القادة الخلفاء ، فقد ذهب بفضل القديم والحديث .

وما قاله أبو جعفر المنصور حق وصدق ، فلنرجع إلى العباس لنكون معه فى جاهليته وإسلامه ، فهو جدير بالمصاحبة والمجالسة ، فله عزه ومجده وسماحته ووفاؤه وذكاؤه . ولنكن معه فى بيته فى مكة ، وستراه قد تزوج بامرأة فاضلة هى « لبابة الكبرى بنت الحارث » ينتهى نسبها إلى هلال بن عامر من مضر ، وأنجبت بنين وبنات ، والبنون هم : الفضل ، وكانت به تُكْنَى ، كما كان يكنى به العباس ، فهو أبو الفضل وهى أم الفضل ، وكان الفضل جميلاً ، وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته ، ومات بالشام فى طاعون عمواس وليس له عقب ..

هكذا يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى ، ومنذ سنوات دارت مناقشات حادة على صفحات جريدة « الأخبار » حول الشيخ شبل وأنه من نسله ، والتاريخ لا يعرف ذلك .

والولد الثانى : عبد الله وهو الحبر ومن نسله الخلفاء ، ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ

وعبيد الله وكان من أجواد العرب ، مات بالمدينة وله عقب .

العباس عم الرسول

وعبد الرحمن مات بالشام وليس له عقب .

وقُثَم وكان يشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان خرج إلى خراسان مجاهداً فمات بسمرقند وليس له عقب ومنزلته إلى اليوم عظيمة فى مرقده حيث العناية به كاملة - كما قرأت .

ومَعْبد قتل بإفريقية شهيداً وله عقب . ولهم أخت أسمها أم حبيبة بنت العباس .

وفى هؤلاء الأولاد يقول أحد أخوالهم وهو عبد الله بن يزيد الهلالى :

ما ولدتْ نجيبة من فَحْلِ
بجبلٍ نعلمه أو سهلِ
كستة من بطن أم الفضل
أكرمْ بها من كهلةٍ وكهْلِ

لكن العباس له أولاد من غيرها ، منهم : كثير بن العباس وكان فقيها محدثا ، وتمام بن العباس وكان من أشد أهل زمانه ، وصفية وأميمة وأمهم أم ولد ، والحارث بن العباس وأمه مضرية من بنى هذيل ، وللحارث عقب منهم السرىّ بن عبد الله والى اليمامة .. وليس له عقب ولا لتمام عقب .

وأم الفضل أم البنين سيكون لها ذكر فى المواقف الإسلامية وهى خالة « خالد بن الوليد » وأخت أم المؤمنين ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

العباس والإسلام :

حين كان أبو طالب يناصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته ويقف من قريش المواقف الحاسمة وهو على دين قومه . كان أبو لهب بن عبد المطلب مع قريش قلباً وقالبا يعادى الدعوة الإسلامية حتى دمغته الدعوة وعرضته للسخرية ، فقد نزل فى شأنه قرآن ينعى عليه موقفه من ابن أخيه « الصادق الأمين » وحتى بعد وفاة أخيه أبى طالب نراه بعد أن أخذته الحمية حمية القرابة يعود معادياً ، لأن أبا جهل وسوس إليه أن محمداً قال : إن عبد المطلب فى النار ..

فى ذلك الحين كان حمزة قد أسلم وعزَّ به وبعُمَرَ الإسلام ، وبقى العباس يرقب الحوادث وبيته يستنير بنور الإسلام ، فأم الفضل من السابقات إلى الإسلام .

وأول موقف له هو ما جرى بينه وبين أبى جهل بن هشام فى رؤيا (عاتكة بنت عبد المطلب) فقد رأت رؤيا قصتها على أخيها العباس وحذرته من إفشائها ، لأن تأويل الرؤيا فيه نكبة لقريش بعد ثلاث .. وأفضى العباس بها إلى صديقه الوليد بن عتبة ، والوليد حدث بها أباه .. وأبوه أخبر بها أبا جهل ، فما كان من أبى جهل إلا أن تعرض للعباس يناوئه ويسخر من بنى عبد المطلب الذين تنبأت فيهم امرأة كما تنبأ محمد (صلى الله عليه وسلم) وأقبلت نساء بنى هاشم يلمن العباس على موقفه .. وخرج يريد الإيقاع بأبى جهل .. وإذا بأبى جهل يسمع صوتاً يحذر قريشاً من محمد الذى يتعرض لعير قريش وتجارتها ، فيسرع خارجاً من المسجد . وبعد ثلاث كانت غزوة بدر ونكبة قريش ، فقد هزمت ، أصيب رجالها بالقتل والأسر وحضر العباس الغزوة مع قريش فوقع أسيراً .

وقبل بدر كان موقفه الرائع الذى يدل على حبه محمداً صلى الله عليه وسلم وحرصه على أن يظهر على أعدائه ويعلو نداء دينه ، لقد حضر معه بيعة العقبة الأخيرة ، فإذا قرأت ما حدث وكيف أخذ لابن أخيه حتى يضمن له الفلج والنصر رأيت عجباً ، فحين التقى رسول الله بمن أسلموا من الأوس والخزرج بمكة فى موسم الحج وكان بمنزل عمه العباس قالوا له : متى نلتقى ؟ فقال العباس - وكان رجلاً يقظاً :

إنَّ معكم من قومكم من هو مخالف لكم فأخفوا أمركم حتى ينصدع هذا الحاج ، ونلتقى نحن وأنتم فنوضح لكم الأمر . فتدخلون على أمر بيِّن ، فوعدهم رسول الله الليلة التى فى صبحها النفر الآخر أن يوافيهم أسفل العقبة . وأمرهم ألا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً .. وقد كان ، واجتمع بهم الرسول ليلاً ، وكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج - وكانت الخزرج والأوس تدعى الخزرج - إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه ، ومحمد من أعز الناس فى عشيرته ، يمنعه والله من كان منا على قوله . ومن لم يكن منا على قوله منعة للحسب والشرف ، وقد أبى محمداً الناس كلهم غيركم ، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبَصَر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبةً ، فإنها سترميكم عن قوس واحدة فارتئوا رأيكم وائتمروا أمركم ولا تفترقوا إلا على ملأ منكم واجتماع ، فإن أحسن الحديث أصدقه .. وأخرى ، صفوا لى الحرب ، كيف تقاتلون عدوكم ؟ فأسكت القوم ، ثم تكلموا وكان وصفهم فيه التجربة الصادقة وكانت الخطة ناجحة ، وكانت ليلة لها ما بعدها .. فقد هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم ، وبعد الهجرة وفى العام الثانى وفى رمضان كانت غزوة بدر وكان العباس أسيرا .. وقال للرسول : أنا مسلم ، فقال ما معناه : ظاهر أمرك ضدنا ، وأمره أن يدفع فداءه وفداء ابن أخيه : عقيل بن أبى طالب ، وفى هذه الآونة كانت أم الفضل فى مكة تتلقى البشارة بنصر رسول الله وَدَحْر عدوه .

رجع العباس بعد فدائه إلى مكة فَكان عين الرسول التى يرى بها ما تدبره قريش ، فيطلعه على كل ما يضر الدعوة الإسلامية .

قال ابن سعد ، وذكر أن العباس ونوفلا وعقيلا رجعوا إلى مكة ليقيموا ما كانوا يقيمون من أمر السقاية والرفادة والرئاسة وذلك بعد موت أبى لهب ، وذلك يفسر لك موقف أبى سفيان الأموى من الدعوة فهو خائف إن ترك قريشاً أن يظهر بطن من غير بطون عبد مناف فتكون له الرياسة وأبو سفيان رأس بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

ومما يروى أثناء الجهاد النبوى أن الحجاج بن عيلاط السلمى قدم مكة بعد فتح خيبر ، وكان له مال فى قريش يريد أن يحصل عليه ، فأخبرهم بما يسرهم أنه قد ظُفِر بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وقتل أصحابه وساء العباس خبره وأفزعه وفتح بابه وأخذ ابنه قُثَم فجعله على صدره وهو يقول :

« يا قُثَم ياقُثَم ياشبه ذى الكرم »

←

العباس عم الرسول

حتى أتاه الحجاج فأخبره بسلامة رسول الله وأنه قد فتح خيبر وغنّمه الله تعالى ما فيها ، فسر العباس ولبس ثيابه وغدا إلى المسجد فدخله وطاف بالبيت .. وعجبت قريش من صبر العباس وجلده ثم أخبرهم بالحقيقة بسلامة رسول الله وأنه فتح خيبر .. فكبت المشركون . وعلموا أن الحجاج قد كذب عليهم ورد أمواله إليه .

ثم خرج العباس إلى المدينة مهاجراً فأطعمه الرسول من غنائم خيبر ، وبدأ يظهر مع الرسول فى الميادين العظيمة فشهد فتح مكة ويوم حنين ولزم مقتضيات الإيمان . ومن ذكريات العباس قوله : « شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فلم نفارقه والنبى صلى الله عليه وسلم على بَغْلةٍ .. فلما التقى المسلمون بالكفار ولى المسلمون مدبرين ، وطفق رسول الله يركض بغلته نحو الكفار . قال العباس وأنا آخذ بلجام بغلته وأبو سفيان آخذ بركابه فقال رسول الله : ياعباس ناد ياأصحاب السمرة .. قال عباس وكنت رجلاً صيتاً يعنى عالى الصوت ، فقلت بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة ؟ فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا : يالبيك يالبيك ، فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة فى الأنصار يقولون : يامعشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث ابن الخزرج .. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته فقال : « هذا حين حمى الوطيس » وكانت هزيمة الكفار .

وفى غزوة تبوك جاء أسقف غزة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله هلك عندى هاشم وعبد شمس وهما تاجران وهذى أموالهما .. فدعا النبى أبا سفيان بن حرب ، فقال : أقسم مال عبد شمس على كبراء ولد عبد شمس ، ودعا العباس فقال : أقسم مال هاشم على كبراء بنى هاشم ، وهاشم وعبد شمس أخوان ولدا فى بطن واحد .

لكن ابن هاشم فى السيرة النبوية عند « ترتيب وفاة أولاد عبد مناف » يقول : وكان اسم عبد مناف المغيرة ، وكان أول بنيه هلكاً هاشم بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب بِرَدْمَان من أرض اليمن ، ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق ، فهاشم مات بغزة ، وعبد شمس مات بمكة على حد رواية ابن هشام ، والأمر يحتاج إلى تحقيق ، ولو ثبت أن عبد شمس مات بغزة لكان عجيباً أن يكون هو وهاشم توأمين وضمهما قبر واحد .

والاستطراد جاء من تولى العباس مهمة تقسيم الميراث على كبراء بنى هاشم ، فهو المقدم دائماً ، وموقف أسقف غزة من مال الأخوين يدل على رعاية الأمانة فى ذلك الزمان ، وما زلنا إلى اليوم نرى لها أهلاً .

وعاش العباس فى المدينة معززاً مكرماً ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يغضب حين يبلغه أذى يقع على العباس من المهاجرين أو الأنصار ، جاء عمر بن الخطاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ألم تر عباسا فعل بى كذا وكذا وفعل فأردت أن أجيبه ، فذكرت

مكانه منك فكففت عنه ، فقال : يرحمك الله ، إن عم الرجل صنو أبيه ..

ومرض العباس فعاده الرسول فوجده يتوجع ويتمنى الموت ، فقال له : ياعم رسول الله لا تتمنَّ الموت ، فإن تكن محسناً فإن تؤخر تزدد إحساناً إلى إحسانك خيرا لك ، وإن تكن مسيئاً فإن تؤخر فتستعتب من إساءتك ، فلا تتمن الموت .

وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وعاش بعده عمه العباس ، وشاهد خلافة أبى بكر وعمر وأغلب سنوات عثمان ، وله مع عمر وهو خليفة قضايا منها : ميزاب العباس نزل منه ماء على عمر وهو ذاهب للصلاة فأمر عمر بإزالته ثم عاد ووضعه فى مكانه معتذراً ، ومنها طلب عمر منه أن يبيع منزله لتوسعة مسجد رسول الله . وبعد نزاع حكما بينهما أبى بن كعب رضى الله عنه فقص عليهما حديثاً فحواه ألا يدخل فى المسجد ما هو فيه إثم ، ولما علم عمر بصحة الحديث بشهود شهدوا تنازل عن طلبه ضم منزل العباس ولكن العباس تنازل عنه للمسجد ، وقضايا أخرى كان عمر ينصف فيها العباس حتى قال له يوما : والله ياأبا الفضل لأنا بإسلامك كنت أسرّ منى بإسلام الخطاب لو أسلم لمرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى عام الرمادة سنة ثمانى عشرة من الهجرة حين جفت الأرض وامتنع المطر وهلك الضرع واستغاث عمر بكل الولايات الإسلامية لدفع الضر لجأ إلى عم رسول الله العباس مستسقيا به لينزل المطر ، روى بعضهم قال : رأيت عمر آخذا بيد العباس فقام به فقال : « اللهم إنا نستشفع بعم رسولك صلى الله عليه وسلم إليك » قالوا : فما رجعوا حتى سقوا ، وحين دون عمر الدواوين وجعل أعطيات للمسلمين بدأ ببنى هاشم ، وكان أول من بدأ به منهم العباس عم الرسول ، وفرض له مثل أهل بدر خمسة آلاف ، ولم يفضل أحدا على أهل بدر إلا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .

وتوفى العباس يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ابن عفان وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالبقيع فى مقبرة بنى هاشم .

وكانت جنازة العباس أفخم جنازة شهدتها المدينة ، فقد بعثت بنو هاشم مؤذناً يؤذن أهل العوالى : رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب ، فحشد الناس ونزلوا من العوالى .

وذهب رسول عثمان .. والعباس خال أم عثمان ـ إلى قرئ الأنصار يؤمها قرية قرية حتى بلغ مساكن بنى حارثة وما ولاها فحشد الناس رجالاً ونساء ، وغلب عليه بنو هاشم وأمر عثمان الشرطة بالتدخل إلى أن وصلت الجنازة إلى البقيع ..

قالوا : وغسله على بن أبى طالب وأبناؤه عبد الله وعبيد الله وقثم وصلى عليه عثمان ابن عفان رضى الله عنه . رحم الله العباس فلقد كان لحجاج بيت الله ساقيا ، ولمسجد رسول الله بالمدينة حافظا وراعياً .

السيد حسن قـــرون

الإبداع الأدبي

بين اكتشافه الواقع وتحويله إلى وعاء للمعتقدات السياسية *

قضية الواقعية فى الأدب :

إن أية دراسة علمية للرواية الحديثة لابد أن تطرح موضوع « الواقعية » على بساط البحث العلمي ؛ ليس من وجهة « تاريخية » المذهب ؛ وإنما من ناحية المدلول العلمى للمصطلح ، ودقة دلالته على روايات النقد الاجتماعي من عدمه ، ذلك لأن هذا المصطلح أصبح يطلق على الشيء ونقيضه ، وبالأخص فى مقالات التعريف بالأعمال الأدبية التى تظهر تباعاً منذ بدايات هذا القرن في الصحافة والمجلات العربية ، ومنذ القرن التاسع عشر في الصحافة والمجلات الألمانية .

لذلك يتحتم علينا أن ننظر إلى « الواقعية » من زاوية التطور العلمي للمصطلح ودلالته من وجهة مقارنة .

١ ـ قضية الواقعية في نظرية الأدب الألماني وتاريخه :

لقد دارت مناقشات علمية كثيرة وعنيفة ومتناقضة حول التحديد الزمنى للعصر الواقعى في الأدب الألماني[١] .

وما يهمنا هنا ليس استعراض هذه المناقشات ؛ وإنما تناول الارتكاز العلمى « للواقعية » ؛ لإبراز الخلفية العلمية التي تتحرك في إطارها الروايات موضوع المقارنة .

يرتبط مفهوم الواقعية عندهم بنظوية « المحاكاة » (Mimesis) لارسطو .

والمحاكاة يمكن أن تفهم بعيداً عن تاريخ المصطلح وتطوره على انها التصوير التقابلى (الفوتو غرافى) للواقع . والمحاكاة أو التقليد (Nachahmung)

بمعنى عرض الواقع قصصياً بصورة تطابقية ، أو تقليد الطبيعة لم يكن وارداً في تصور أرسطو . فالمحاكاة عند أرسطو هى محاكاة ممثلى المسرحيات لأبطالها في الغايات

* هذه الدراسة تتناول بالعرض والتحليل أهم ما جاء فى كتابى المنشور في ألمانيا الاتحادية (الغربية)

و(هاينرش بول ١٩١٨ ـ ١٩٨٥) أهم أدباء ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وحاصل على جائزة (نوبل) في الأدب .

(١) انظر :

Brinkmann , R. (Hrsg.): Begriffsbestimmung des Litrarischen Realismus. 2. Aufl . Darmstadt 1974 (Wege Der Forschung Bd . 212) .

هذا الكتاب يعرض بداية هذه المناقشات العلمية وتطورها ، كما يعرض أيضاً الموقف الحالى لهذه المناقشات .

عـرض ودراسـة
د. عبد الله محمد أبو هشة

الخلقية . لذا فإن للمسرحية عنده المكانة الأولى في نظرته لأنواع الأدب في كتابه « الشعر »[٢] . ولهذا أسباب فلسفية ترتكز على الأسطورة وفهمه لها ، وعلى فلسفة الإلزام والقدرية[٣] .

أما عن مفهوم « محاكاة الواقع » في العصر الحديث[٤] فقد تحرر من الالتزام بقدرية الأسطورة عند أرسطو ، واكتسب التزاماً من نوع آخر **هو التزام بإنسانية العمل الأدبي ، وارتباطه بحياة الإنسان ، وتفسيرها تفسيراً سببياً بحيث يجعل العمل الأدبي قائماً على السببية الإنسانية في إطار الزمن الذى يرويه ويحكيه .**

وبذلك فُهِمَ الواقع على أنه واقع « الظواهر » الاجتماعية والإنسانية التى يشكلها الأديب قصصياً في عمله الأدبي .

وفي هذا الإطار فهم الاتباعيون (الكلاسيكيون) « محاكاة الواقع » بواسطة الأديب - الذي سموه العبقري - **على أنها خضوع الفرد للأخلاق العامة وخضوع الأديب للقواعد التى اصطلح عليها المجموع** - من خلال الوحدات الثلاث المكان والزمان والحدث - أى خضوع الخاص للعام .

أما الابتداعيون (الرومانتيكيون) **فقد** فهموا أن (الواقع) الذي سيحاكيه الأديب ما هو إلا واقع العقل والروح أى واقع الخيال . **فهو عندهم واقع يصنعه الأديب من** خلال تخيله لإعادة تشكيل جزئيات الواقع في صورة جديدة رافضاً للواقع الكلاسيكي بقيوده النظرية الصارمة ، ولقد عبر الشاعر الألماني (چين باول - Jean Paul) عن هذه الفكرة عند الابتداعيين (الرومانتيكيين) بقوله : « ما الذي بقى للروح الشاعرة بعد انهيار شكل العالم ؟

هذا العالم الذي اتجه انهياره إلى داخله [......] ولأن الفناء والنهاية لازمة الأجساد ، والبقاء واللانهائى هو عالم الروح الذي لا يحده حد ، وبه ومنه وحده تشرق امبراطورية الشعر والأدب عبر حرائق الفناء »[٥] .

←

---

(٢) انظر :
Aristoteles : Poetik . Uebersetzt Uon Olof Gigon . Stuttgart 1961 . S.36 .

(٣) للاستزادة يمكن الرجوع إلى نفس المصدر ص ٦٨ .

(٤) العصر الحديث في تاريخ الأدب الألماني يقصد به غالباً عصر (جوته) وما بعده .

(٥) انظر :
Jean Paul : Vorschule der Aesthetik . S 23 . In : ders . , Werke . Hrsgg . Von Norbert Miller . Bd . 5 . Muenchen 1963 . S . 93 .

وبعد العصر الابتداعى (الرومانتيكي) أصبح دور الأدباء ليس تعدي الحرائق والتحليق فوقها في ممالك الخيال ؛ وإنما أصبح دورهم هو تناول مواضع الحرائق هذه بالعرض الأدبي لشكوى ما فقده العالم بسبب هذه الحرائق . فهذه الحرائق ليست إلا العوامل الموضوعية (التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية التى شملت المجتمع) والتى ستحدد مفهوم الواقع خلال القرن التاسع عشر أكثر فأكثر .

فالأدباء (كيللر وفونتانى ورابي : -Kel) ler , Fontane und Raabe أصبح هدفهم في أعمالهم الأدبية الواقع التاريخي الاجتماعي . وليس المقصود بذلك أن هدفهم هذه العوامل والحقائق بصورة بحثية ميدانية كما في العلوم الطبيعية أو كما حاول (إميل زولا) ، وكانت نتيجة ذلك انفصال الحقائق التاريخية عن اللغة ، ودخولها اطار التقنين العلمي الميداني الوثائقى ، ولكل ذلك أصبح الأدب يتأثر بصورة متزايدة بمناهج العلوم الطبيعية في تناول الحقائق وعوامل وجودها .

فأدباء الواقعية يتناولون الظواهر والعوامل الموضوعية في المجتمع بالعرض القصصى لها . وفي إطار تناولهم للعوامل الموضوعية تعود الظواهر إلى عوامل وجودها ، وهذا يعني انفصال مظهر الأشياء عن جوهرها . كما أن العرض القصصي للعوامل التى أوجدت الظاهرة كان عرضياً فيه الكثير من المضامين الأدبية الهجائية والنقدية التي تعنى الوعى بالظاهرة وعوامل وجودها بغية تغييرها ، وهكذا دخل الأدب طوراً آخر ـ غير التطهير لأرسطو والعرض الجمالى عند الكلاسيكيين مضافاً إليه الخيال وإعادة اكتشاف العالم عند الرومانتيكيين ـ هو طور الدخول في نسيج الحياة الذي أصبح هو مركز الوعى فيها من أجل تغييرها إلى الأفضل دائماً .

أما في القرن العشرين فإن أشهر مناقشة دارت حول الواقعية كانت بين (جورج لوكاتش) من ناحية وبين كل من (برتولد بريخت) و(أرنست بلوخ) من ناحية ثانية .

(چورچ لوكاتش) يطالب ـ ربما للمرة الأخيرة ـ بعودة منظور وحدة جوهر الأشياء ومظهرها. ولقد اشتهرت نظرية (لوكاتش) باسم « نظرية الانعكاس » ومنطلقها مقولته « بأن التفكير الماركسى غير المرتبط بالوعى الفردى هو القادر وحده على فهم العالم القائم وتفسيره »[٦] ، ويرى أن تفكير الطبقة المتوسطة (البورجوازية) عندما يعبر عن العالم يعبر فقط إما عن الأفكار (ويقصد بذلك جوته وعصره) أو يعبر عن الظواهر الميدانية (ويقصد بذلك الأدباء الطبيعيين) والمذهب الطبيعي الذي يستعير له تعبير (لينين) « المادية الآلية » أى الميكانيكية[٧] .

و(لوكاتش) يرى أن الواقع موجود خلف

---

(٦) انظـر : Lukacs, Georg : Kunst und Objektive Wahrheit . In : Ders . , Werke . Bd .4 : Probleme Des Realismus 1 . Neuwied / Berlin . 1971 . S . 607 —

(٧) انظـر : Gaede, F .: Realismus Von Brant bis Brecht . muenchen 1972 . S . 93 .

الظاهرة الميدانية ، وأن هذا الواقع هو الهدف المعرف الأساسي الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالطريقة الجدلية ، التى يطالب الأدباء بالالتزام بها ، وأنها بها وحدها تتحقق « موضوعية التحزب لفكرة ما » ، والتى هى الواقعية بذاتها[8] .

وهنا يتضح لنا تناقض أفكار (لوكاتش) ، إذ أن الطريقة الجدلية في المعرفة ، التى يطالب بها لا تسعى إلى « الموضوعية فى المعرفة ، بمعنى صحة كل المنطلقات المعرفية دون تحزب لإحداها ، وإنما « هى الاقتناع التام بموضوعية الطبيعة والمجتمع وقوانينهما »[9] .

فالموضوعية عنده ليست حيادية ؛ وإنما هى موضوعية مذهبية ، ترى أن الواقع الوحيد هو الواقع الاجتماعي من منظور ماركسي ، ولذلك يفهم لوكاتش العرض الروائى أو القصصي لهذا الواقع على أنه الدعوة إلى الماركسية ، إذاً فإن تناول المجتمع أدبياً سيتحول إلى منشورات قصصية للترويج للماركسية . وهذا فى رأيى سبب تدهور المستوى الأدبي بصورة عامة في البلاد الشيوعية عنه في هذه البلاد قبل تطبيق المذهب الشيوعي فيها ، والأدب الروسى أوضح مثال على ذلك . كما أن مطالبة (لوكاتش) بوحدة مظهر الأشياء وجوهرها قد تناقض مع الواقع الاجتماعي ذاته ، بل أيضاً مع منطلقات النظرية الماركسية في المعرفة ، التى ترى عدم تطابق جوهر الأشياء ومظهرها عندما يقرر (ماركس) ذلك قائلاً :

« فكل العلوم ستصبح عديمة الجدوى فيما لو اتحد شكل الأشياء وجوهرها »[10] .

إذاً فإن مناداة (لوكاتش) بوحدة شكل الظاهرة وجوهرها في العمل الأدبي الواقعى شيء يتناقض تماماً مع طبيعة الأدب الواقعي ؛ إذ أن موضوع العمل الأدبي الواقعي هو التناقض بين شكل الظاهرة وجوهرها ، وهذا هو الذي يبرر وجود العمل الأدبي من أساسه .

فالثورية مثلاً إن لم تكن تحمل التناقض والاختلاف بين شكلها وجوهرها فلم كل هذه الأعمال الأدبية في كل آداب العالم والتى تعرض أساساً لآلام التحول الثوري الذي يبدو كشعار ذى بريق يتناقض بالنظر المتامل مع جوهره التحولي وما يصاحبه من إحباطات وتجاوزات :

كذلك المؤمن بالعدالة والتضامن الاجتماعي أو الاشتراكية يدير حواراً مع نفسه حول معتقداته ، وهو من جانب آخر لا يتطابق مع غيره من البشر ؛ ناهيك عن هذه القضايا في إطار التطبيق وما يصاحبها من اختلاف بين مقولة المظهر وحقيقة التطبيق . وهكذا كل ما يتعلق بالحياة الإنسانية والمجتمع ، وإن لم يوجد هذا التناقض لما أصبح الجهد الإنساني مستوجباً لكشف التناقض والاختلاف وتقليل تداعياته الضارة ، ولو توقف الجهد البشري لضاع الجوهر الذي هو هدف دائم للإنسان ، وهكذا

←

---

(٨) نفس المرجع ص ٦١١ .

(٩) نفس المرجع ص ٦١١ وما بعدها .

(١٠) نفس المرجع ص ٦٠٨ .

نستطيع أن نرى أن شكل الشيء وجوهره لا يمكن اتحادهما في واقع الحياة أو المجتمع .

وبرغم أن (ارنست بلوخ) ينطلق أيضاً في تفكيره العام من المادية التاريخية ؛ إلا أنه يختلف في نظريته عن منطلقات (لوكاتش) ومراميه ، ويتطابق مع المنظور الذي يتواءم مع طبيعة الأدب الواقعي . فعنده « أن الواقع المروى أو بتعبير آخر أسباب التمزق التي ترويها لنا القصة موجودة في الأزمة التي يسببها التغير الاجتماعي [١١] .

ويثير (برتولد بريخت) رداً على (لوكاتش) قضية (اتساع وتنوع) الموضوعات الأدبية عموماً ، وأن العمل الأدبي يجب أن يكون مقنعاً لقارئه أو لمشاهده ، ويؤكد على الأهمية القصوى للمغزى الإنساني العام للعمل الأدبي . فهو يرى أن المغزى التربوى ذا الوسائل المتعددة يعطى الأعمال الأدبية القدرة على رواية الحقيقة وعرضها عرضاً واقعياً [١٢] .

وبذلك يكون الأدب الألماني قد أفلت بفضل (بلوخ) و(بريخت) من أسر القيود المذهبية التى أراد (لوكاتش) أن يكبله بها ، وإن كان بعض أدباء ألمانيا الشرقية قد انساقوا وراء نظرية (لوكاتش) وَفَقَدَ أدبهم لذلك قدرته على رواية الواقع ، فانقطعت صلته بالقارىء ، بينما وصل الأديبان (بريخت) و(بلوخ) إلى مكانتهما العالية في عالم الأدب لأنهما لم يحولا أعمالهما الأدبية إلى أبواق للمذهب الماركسي ؛ وإنما فرقا بين طبيعة السياسة وطبيعة الأدب ؛ على الرغم من انتمائهما للمذهب الماركسى فلسفياً .

وسبب تناقضات نظريةُ (الانعكاس) (للوكاتش) أراه فى أنه لا يعترف بالفرق بين الواقع وبين معتقداته السياسية (الأيديولوچية) ؛ لأنه يرى أن الأدب وعاء للمعتقدات السياسية التى يجب أن يكون الواقع أيضاً وعاء خاضعاً لها ، فهو بنظريته هذه يريد أن يلوى عنق الواقع ولا يريد إطلاقاً رؤيته كما هوَ بتناقضاته . ولذلك أفلتت من (لوكاتش) معرفة الخصائص الذاتية للأدب الواقعى ومعه الأدب الناقد للمجتمع ، وحصر نفسه في البحث عن إجابة على سؤال واحد هو : إلى أى مدى يعكس الأدب ويصور الحقيقة التاريخية (الآنية الاقتصادية والاجتماعية من منظور ماركسى ، وبالتالى أهمل الواقع بكل تفاعلاته الدينية والثقافية وخبراته المعرفية ، التى تخلق - مجتمعة - الوعى الفردى والجماعى ، الذى يهيمن وحده بالكم والنوع المعرفى على كل العوامل الأخرى في المجتمع ، سواء بإيجادها أو بتوجيهها .

(يتبع)

---

(١١) انظـر :
Bloch , Ernst : Das Problem de . Expression is mus nochmals . In : Ders., Erbschaft Dieser Zeit . Frankfurt A . M .
1962 . S . 270 . (Gesamtausgabe **Bd . 4**) .

(١٢) انظـر :
Brecht, Bertold : Ueber Den Realismus . In : Ders ., Gesammelte Werke . Bd . 19 . Frankfurt A . M . 1967 . S . 340 .

٣ إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

للأستاذ الدكتور: السيد رزق الطويل

فى علاج هذه القضية سعيا وراء استبانة موقف سيبويه من الاستشهاد بالحديث نواصل القول فى استخراج الأحاديث الواردة فى كتاب سيبويه، واسلوبه فى تناولها، مع تخريجها من مظانها فى كتب الحديث.

الحديث الثالث :

يقول سيبويه فى سياق الحديث عن عمل اسم التفضيل فى الاسم الظاهر : وتقول : « ما رايت رجلاً أبغض إليه الشر منه وإليه » و « ما رأيت أحداً أحسن فى عينه الكحلُ منه فى عينه » ومن ذلك : « ما من أيام أحب إلى الله فيها الصومُ منه فى عشر ذى الحجة » ، وإن شئت قلت : ما رأيت أحداً احسن فى عينه الكحلُ منه . أو ما رأيت رجلاً أبغض إليه الشر منه ، وما من أيام أحب إلى الله الصوم من عشر ذى الحجة .. فإنها المعنى الأول ، إلا أن الهاء ههنا الاسم الأول ، ولا تخبر أنك فضلت الكحل عليه .. ولا أنك فضلت « الصوم » على الأيام .. ولكنك فضلت بعض الأيام على بعض ، والهاء فى الأول هو الكحل ، وإنما فضلته على نفسه فى هذا الموضع ، على نفسه فى غير هذا الموضع ، ولم ترد أن تجعله خيرا من نفسه ألبتة »[1] .

فقد استشهد سيبويه فى هذا الموضع بحديث نبوى لا ريب .

وإذا بحثنا عن هذا الحديث فى كتب السنة نجده فى سنن أبى داود عن ابن عباس بهذا اللفظ : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام » حديث رقم ٢٣٢٨ حـ ٣ صـ ٣٢٠ سنن أبى داود - تحقيق الشيخ حامد الفقى .

والذهبى فى ميزان الاعتدال حـ ٤ صـ ١٠٠ رواه بهذا اللفظ .. « ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من أيام العشر » .

وفى صحيح الترمذى - أبواب الصوم - « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر » وفيه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد فيها من عشر ذى الحجة » .

● الكاتب : عميد كلية الدراسات العربية والإسلامية - الأزهر - القاهرة .

(١) الكتاب حـ ٢ صـ ٣٢ (هارون) وحـ ١ صـ ٢٣٢ وصـ ٢٣٣ بولاق .

وعندما نلقى نظرة على الروايات المختلفة لهذا الحديث نراها جميعاً تخالف رواية سيبويه ، لكن الاستشهاد قائم فى أكثر الروايات ، فنحن لا نرى كلمة « الصوم » الموجودة فى نص سيبويه ، لكن نرى ما يحل محلها ، وهو المصدر المؤول (أن يتعبد) فى رواية الذهبى ، وإحدى روايتى الترمذى ، إذ يعرب فاعلاً لاسم التفضيل « أحب » وهو **الموقع الإعرابى نفسه** الذى يقع فيه لفظ « الصوم »[٢] .

وفى الروايات الأخرى نرى فاعل اسم التفضيل « أحب » ضميراً مستتراً يعود على « العمل الصالح » المتقدم على نحو ما رأينا فى رواية أبى داود ، والرواية الأخرى للترمذى ، وفى هذه الحالة تكون الروايتان خارجتين عن موضوع الاستشهاد الذى عرض سيبويه لأجله هذا الحديث بصورته التى ذكرها .

والذى يلفت النظر أن هذا الحديث قد تعدد الاستشهاد به فى كتب النحو بعد سيبويه . فقد استشهد به المبرد فى كتابه المقتضب ، كما استشهد به ابن بابشاذ (٤٦٩ هـ) فى شرح المقدمة المحسبة ، واستشهد به الصيمرى من نحاة القرن الرابع[٣] وابن الحاجب (٦٤٦ هـ) فى كتابه شرح الوافية ، كما استشهد به ابن مالك فى كتابيه : شرح عمدة الحافظ ، وعدة اللافظ ، والكافية الشافية ، وكل هؤلاء رووه بالرواية التى جاءت فى كتاب سيبويه ، أعنى بذكر الصوم فاعلا لاسم التفضيل « أحب » ولم يشر واحد منهم إلى أنه حديث ، أو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم إلا ابن مالك فى الكافية الشافية .

وحرص هؤلاء جميعاً على الاستمساك بهذه الرواية التى تخالف ما جاء فى كتب الحديث تدعو للتأمل ، لأن هؤلاء الأعلام ما كانت تغيب عنهم هذه المخالفة ، وفيهم سيبويه ، وابن مالك ، وله منزلته فى الحديث ، وصلته الوثيقة به ، مع حرص على ربط الدراسات النحوية بنصوصه ، واستعانته بها فى حل مشكلاته .

الحديث الرابع .

يقول سيبويه فى باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلا : وأما قولهم : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، وينصرانه .. ففيه ثلاثة أوجه ، فالرفع وجهان ، والنصب من وجه واحد .

فأحد وجهى الرفع أن يكون المولود مضمراً فى « يكون » و « الأبوان » مبتدآن ، وما بعدهما مبنى عليهما ، كأنه قال : حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه ..

والوجه الآخر : أن تعمل « يكون » فى « الأبوان » ويكون « هما » مبتدأ ، وما بعده خبر له والنصب على أن تجعل « هما » فصلا[٤] .

---

(٢) يرفع اسم التفضيل الاسم الظاهر ، وذلك بأن يكون اسم التفضيل بعد نفى ، مقصودا به تفضيل شىء على نفسه باعتبار محلين أو وقتين .

(٣) التبصرة والتذكرة للصيمرى جـ ١ صـ ١٨٠ ت د . فتحى مصطفى ـ مركز البحث العلمى ـ جامعة أم القرى .

(٤) الكتاب جـ ٢ صـ ٣٩٣ وصـ ٣٩٤ هارون وجـ ١ صـ ٣٩٥ ، صـ ٣٥٦ بولاق .

ففى هذا النص من كتاب سيبويه استشهاد بحديث آخر هو قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه » .

وقد ورد هذا الحديث فى عدد من كتب السنة الصحيحة بألفاظ فيها بعض الاختلاف مما يجعل الحديث غير صالح للاستشهاد فى الموضع الذى استشهد به إمام النحاة .

رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، وكتاب القدر بلفظ « فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه » وروى فى الموطأ ـ باب الجنائز ـ باللفظ الذى رواه به البخارى .

وفى مسند الإمام أحمد ورد بصيغ مختلفة ، إحداهما « ما من مولود إلا يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه » حـ ١ ص ٣٤٦

وفى سنن أبى داود ـ كتاب السنة (باب ذرارى المسلمين) ـ « ... فأبواه يهودانه وينصرانه » رواه الأعرج عن أبى هريرة حـ ٣ صـ ٨٣ برقم ٤٥٤٩ .

وفى صحيح الترمذى (أبواب القدر) « ... فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يشركانه » .

والملاحظة الجديرة بالتأمل أن كل هذه الروايات خلت من موطن الشاهد الذى أراده سيبويه ، وأصبح من المتعين علينا أن نبحث عن مصدر هذه العبارة « حتى يكون أبواه هما ...»

لقد صدّر سيبويه الحديث بقوله : « قولهم ...» فهو لم يقصد أن يسوقه حديثاً يستشهد به ، وإذن نقول : إن كان ساقه على أنه كلام فصيح سمعه فمن المستبعد أن يتزيد فيه ، لأن التزيد لو كان وارداً فيما كتبه سيبويه كانت قضية بالغة الخطورة ، تسقط القيمة العلمية لكتابه الذى يعد المرجع الأول ، والأوثق للنحويين جميعاً .

ولأجل هذا استبعد هذا التفسير الذى قاله الدكتور محمود حسنى ؛ إذ قال : « فكأن سيبويه ساق الحديث النبوى هذا للاستفادة منه فى ميدان النحو بعد تخليله هذا الضمير لتوضيح ما يذهب إليه ، ويبدو أنه أحس بالمخالفة ، وتخوف أن ينسبه بعد ما أدخل فيه ما أدخل »(٥) .

هذا التفسير طعن فى أمانة سيبويه ، وأنه قد يتصرف فى لفظ الحديث من أجل أن يصح له الشاهد النحوى ، وهذا أمر جد خطير ، ثم يتحرج سيبويه ، فلا ينسب هذا الحديث للنبى صلى الله عليه وسلم .

ينبغى أن نعلم أنه من الأمور الواضحة عدم إكثار سيبويه من الاستشهاد بالحديث ، نظرا لأن بعض المحدثين أجاز الرواية بالمعنى ، فهل يأتى سيبويه ، ويستبيح لنفسه أن يغير فى لفظ الحديث ؟! وإذا فعل هذا فمن أين تأتى الحجية النحوية لقوله ؟!

كما نعلم أن منهج سيبويه فى الأحاديث القليلة التى استشهد بها ألا ينسبها ، ولهذا تفسير سنحاول التعرف عليه بعد .

وقد جاء بعد سيبويه من النحويين الثقات من استشهدوا بهذا الحديث باللفظ الذى رواه سيبويه ، وهم من نحاة القرن الرابع .

ومنهم من نحا منحى سيبويه فى منهج الاستشهاد ، وهو عدم الإشارة بأنه حديث

---

(٥) مجلة المجمع الأردنى ـ العددان ٣ ، ٤ ـ السنة الثانية ص ٥٠ .

ومنهم من صرح بأنه حديث .

من الطائفة الأولى ابن النحاس المتوفى سنة ٣٣٧ هـ .

يقول فى الاحتجاج على جواز الإضمار فى كان وأخواتها للاسم ، ويكون ما بعدها خبرا لها ، قال فى شرح قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٦] « ويجوز عند سيبويه والفراء : (ظل وجهه مسودٌ) يكون فى « ظل » مضمر ، والجملة خبر ، وحكى سيبويه : « حتى يكون أبواه هما اللذان يهوداته ، وينصرانه »[٧] .

ومن الطائفة الأخرى ابن جنى ، فقد استشهد على اللفظ الذى ذكره سيبويه ، مختلفاً عنه فى انه صرح بأنه حديث . قال فى المحتسب ، وهو يوجه قراءة أبى سعيد الخدرى لقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَانِ ﴾[٨] « .. يجوز فى الرفع هنا تقديران ، أحدهما : أن يكون اسم كان ضمير الغلام ، أى : فكان هو أبواه مؤمنان » والجملة بعده خبر كان . والآخر : أن يكون اسم كان مضمراً فيها ، وهو ضمير الشأن والحديث ، أى « فكان الحديث أو الشأن أبواه مؤمنان » ، والجملة بعده خبر كان على مامضى ، إلا أنه من هذا الوجه لا ضمير عائداً على اسم « كان » ، لأن ضمير الشأن لا يحتاج من الجملة التى هى بعده خبرا عنه إلى ضمير عائد عليه منها ، من حيث كان هو الجملة فى المعنى ، ومثله قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، وينصرانه » إن شئت كان ضمير المولود فى « كان » اسما لها و « أبواه » ابتداء ، و « هما » فصل لا موضع لها من الإعراب ، و « اللذان » خبر كان والعائد على اسم « كان » الضمير فى « أبواه » لأنه أقرب إليه مما بعده »[٩] .

ومن هذه الطائفة أيضاً الصيمرى ، قال : « وحكى عيسى بن عمر : أن ناسا من العرب يقرءون : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمُون ﴾ بالرفع على الابتداء والخبر ، قال قيس بن ذريح :

تبكى على لبنى وأنت تركتها
وكنت عليها بالملا أنت أقدرُ*

« أنت » مبتدأ و « أقدر » خبر ، والجملة خبر « كنت » .

وفى الحديث المرفوع كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه » .

فيجوز أن يكون « هما » فصلا ، على أن نضمر فى « يكون » ما يعود على المولود ، فيجعل اسم « يكون » ويجعل « أبواه » مبتدأ و « اللذان يهودانه » خبر المبتدأ و « هما » فصل[١٠] .

البقية ص ١٠٩

* يلفت النظر فى هذا البيت أن شطره الأول من بحر وشطره الثانى لايستقيم على نفس البحر .. مجلة الازهر

(٦) سورة النحل/٥٨

(٧) إعراب القرآن الكريم لابن النحاس ت : د . زهير الفاز م . المعانى بغداد سنة ١٣٧٧ هـ .

(٨) سورة الكهف/٨٠ والقراءة المذكورة شاذة .

(٩) المحتسب فى القراءات الشاذة ـ لابن جنى ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ت د . على النجدى وزميليه . ص ٣٣ ، وص ٣٤ .

(١٠) التبصرة والتذكرة للصيمرى حـ ١ صـ ٥١٤ .

من خير ما نشر

إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

تختار « مجلة الأزهر » فى هذا الباب خير ما نشر بالصحافة نفعاً وجدة وأملاً فى التقدم والازدهار للأمة . على مدى شهر حتى لا يفوت القارىء شىء نافع مفيد . وإذا كانت الحصيلة محدودة فى هذا الباب فإننا نرجو أن نجد المزيد .

نقدم ـ ابتداء ـ فى هذا العدد ما نشرته « الأخبار » وهى صحيفة قومية للسيد : وجيه أبو ذكرى بالعنوان التالى :

تفويض على بياض لزكى بدر !

رجل وامرأة يعملان في الخليج ، تركا ابنهما وابنتهما في القاهرة فى مسكنهما الفاخر بمصر الجديدة ليتلقيا العلم في الجامعات المصرية ، لأن الجامعات هناك لا تقبل دخول الأبناء « الأجانب » ، الوالدان يحضران عدة أسابيع لقضاء الأجازة مع الابن والابنة ، يعطيانهما بلا حساب ، وفي إحدى الإجازات اكتشفت الأم أن صحة كل منهما تتدهور ، عرضت عليهما الذهاب إلى الطبيب فرفضا ، وكانت صحة « الولد والبنت » هى الحوار اليومي بين الوالدين .

ومرة .. (دخل الوالد فجأة غرفة ابنته .. فوجد الابن يمسك بحقنة من البلاستيك .. مغروزة في ذراع ابنته .. وما إن شاهد الابن الجامعى والده .. حتى أخرج الحقنة من ذراع شقيقته وألقاها من الشباك .. وخلفها حقنة أخرى .

وذهل الرجل .. وعلم أن ابنه مدمن هيروين .. وأن ابنته أيضاً مدمنة) . وأن هذا هو غذاؤهما اليومي .. ومات الأب .. بالسكتة القلبية .. فلقد كان يتصور أى شىء فى الدنيا

←

من خير مانشر

إلا أن يرى ابنه .. وابنته وقد أدمنا هذا المسحوق اللعين .

لا أدرى حتى الآن .. ماذا فعلت الأم ؟ .. وكل معلوماتى أنها مأساة هزت .. الأسرة من الأعماق ، وراح ضحيتها الأب .. وعندي أسماء أبطال هذه المأساة !!

* * *

هنا .. (بجوار مؤسسة أخبار اليوم .. وفي الشوارع الضيقة .. فى بولاق .. وعندما ينتصف الليل .. تشهد بكل سهولة ويسر .. فتيات في عمر الزهور .. يدخلن تلك الأزقة .. يقضين الليل مع صغار تجار هذا المسحوق يقدمن أنفسهن لهن .. نظير جرعة من الهيروين) .

هنا .. بجوار مؤسسة أخبار اليوم .. وفى المكان الذي أعدته محافظة القاهرة جراجاً .. تحول الجراج إلى وكر .. من السهل أن تشهد فتيات صغيرات يركبن السيارات .. ويدخلن الجراج بعد العاشرة مساء .. وفي ساحة الجراج يكون أفراد عصابة توزيع هذا المسحوق اللعين قد استعدت لوصول المدمنات .. وكل « حقنة » لها ثمن !!

هنا .. بجوار مؤسسة أخبار اليوم .. وفى الحوارى الضيقة « يباع كل شىء » .. للفتيان والفتيات . « جهاراً نهاراً .. وكأن الوطن بلا شرطة .. أو قانون طوارىء !! » .

** ** **

استمعت إليه وقلبى يقطر دما .. إنه صديق .. ورئيس محكمة .. يرى فى ابنه الشاب كل مستقبله .. ويرى فيه أمل الدنيا كله .. ويرى فيه خير شباب مصر .. علمه مـا هو الخلق .. والعـدل .. والشرف .. والأمانة .. وحماية الحق .. علمه كل المعانى النبيلة في الحياة .. علمه كيف يسلك مسلكه .. ويكون محترماً عظيماً بين كل أفراد أسرته القريبة والبعيدة .. علمه البعد عن العيب .. يراه امتداداً مستقبلياً له .. يراه درعاً لأمه وإخوته أعطاه كل ما يريد .. فى حدود إمكاناته كمستشار ورئيس محكمة !!

قال لى : فى البداية .. لاحظت أننى كلما اقترب منه يحاول الابتعاد عنى ، يحاول أن يدخل البيت سراً ، ويدلف إلى سريره ، ويتحاشى فى مرات أخرى الحديث والحوار معى . شغلنى هذا السلوك !!

يقول المستشار : لا تسألنى كيف عرفت أن ابنى يتعاطى هذا المسحوق اللعين .. كانت معرفتى هى أضخم كوارث عمرى .. أخفيت الأمر على زوجتى التى هى أمه .. خوفاً عليها من موت محقق .. أو مرض لعين .. أخفيت الأمر على اخوته .. ورغم قسوة الكارثة .. إلا أننى استطعت أن أعرف أنها المرة الثانية له .. ومعنى هذا أنه تجنب حالة الإدمان .. وأنا كرجل قانون .. حاولت أن أعرف مصادر هذه السموم القاتلة .. أخذته في سيارتى الصغيرة .. ومررت على أماكن بيع هذه السموم .. فوجئت بأنها تحولت إلى أماكن عامة .. وأن هذه السموم تباع علناً وعلى قارعة الطريق ، فكرت أن أذهب إلى اللواء زكى بدر وزير الداخلية .. وأخبره بما رأيت .. ولكنى خجلت .. علمت من ابنى أن هذه السموم قد انتشرت بين الفتيات أيضاً .. فعرفت بحجم الكارثة والمؤامرة على شباب مصر وفتياتها .

سألت المستشار : ما الدوافع التى أدت إلى أن يفكر ابنك في التعاطى .. رغم عدم وجود مشاكل عنده .. وبدلاً من أن يرد لك جميل صداقتك به .. أراد ـ بما فعله ـ أن يقتلك ؟

قال : أصدقاء السوء .

* * *

(سمعت ، أن أكثر من فتاة ، ذهبن إلى إدارة مكافحة المخدرات في ميدان العتبة ، وطلبن من المسئولين إما علاجهن أو إعطاءهن هذا المسحوق اللعين ، فلقد فقدن كل ما يملكن ، ولم يعد فى إمكانهن شراء « حقنة واحدة » ، ولا يملكن مصروفات العلاج الباهظة) .

* * *

(من كل ما سبق ، لم تعد مشكلة الهيروين ، مجرد مشكلة عابرة) بل أصبحت قضية قومية ، وأرى أن تكون القضية القومية المصرية الأولى ، فليس سراً أنها جاءت إلى مصر فى مقتل ، حيث اتجهت إلى الشباب ، ولأول مرة تتجه إلى « أم المستقبل » ، فالأم المصرية ، سواء الأمية ، أو حاملة الدكتوراه ، هى الحماية الوحيدة للأسرة والمجتمع ، (وأن الأم المصرية ـ الراقصة والراهبة ـ تختلف تماماً عن أى أم في الدنيا ، فهى رمز العطاء بلا حدود ، وهى سياج المجتمع الحقيقي ، وها هم أعداء الوطن قد اتجهوا إلى أعظم مقدسات المجتمع وهى أم المستقبل ، بعد أن توغلوا بشدة بين صفوف الشباب) .

* * *

عودة إلى حديث صديقي المستشار ..

قال :

ــ إن حادثة ابنى .. كشفت لي استفحال هذا الأمر الخطير .. وتقليدية مكافحته .. وعدم انتشاله من قاع اهتمامات المجتمع بأحزابه وأعلامه إلى قمة الاهتمامات القومية .. فهى ضرب في مقتل لأروع ما فى المجتمع .. وهى استنزاف رهيب لاقتصادنا .. وهى تعطيل رهيب أيضاً لطاقات شباب مصر .. وهى إفساد هائل للأسرة المصرية على طريق قتل هذه الأم .

ــ والحل ؟

ــ كما ذكرت .. أن نرفع هذه القضية من قاع اهتماماتنا إلى القمة .. وإلى السير بالمدمن إلى معرفة تاجر التجزئة .. ومن تاجر التجزئة إلى تاجر الجملة .. إلى التاجر الكبير .

ــ ولكنهم يفلتون من مواد القانون .. ولدينا محامو تجار المخدرات عباقرة في فك القيود عن هؤلاء القتلة .

ــ سيصفق المجتمع كله لوزير الداخلية إذا استخدم قانون الطوارىء ضد هؤلاء الذين يقتلون كل لحظة شابا أو فتاة .

* * *

سكت محدثى وقال : فى عام ١٩٦٤ ، اعتقل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ١٢٠ ألف مواطن فى أقل من ٤٨ ساعة قبل سفره إلى السعودية ولقاء الملك فيصل ، وقد استطاع أن يجد الأماكن والسجون التى تتسع لهذه الآلاف من السياسيين ، كما استطاع أن يجد الأجهزة التى تمكنت من اعتقال هذا العدد . (وأتصور أن الشعب ، كل الشعب يعطى للواء زكى بدر تفويضاً على بياض لاعتقال ـ طبقاً لقانون الطوارىء ـ كل تجار المخدرات فى مصر ، رحمة بمستقبل مصر) .

قال : إننى أناشد .. كل شاب .. كل فتاة .. أن تكتب لوزير الداخلية عنوان ذلك البائع الذى يقدم لهم السموم ويقتل فيهم المستقبل والطموح .

من خير مانشر

قال : أناشد من كل قلبي الذي يتمزق .. جميع قضاة مصر ألا تأخذهم رحمة بهؤلاء التجار ..

.. خلصوا المجتمع منهم ..

وقال : أستحلفك [بالله] .. ألا تترك هذه القضية .. فهى أهم القضايا .

قلت : أعدك بهذا .

ومسح الرجل دموعه .. وانصرف .

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

هــذا ديننــا

خداع العناوين أمر بغيض حقاً .. ويبدو أن الأوروبيين قديماً وحديثاً يتقنون هذا الفن من الخداع ، ويسيرون وراءه نحو أغراضهم المدنية .

فتحت الدعوة إلى السلام يستعدون للقتال ويتقنون صناعة الموت .

وتحت طلاء من المدنية يقترفون ألوان الهمجية ويثقلون كواهل الشعوب بالديون والآلام ..

وقد باد فى صمت أغلب سكان أمريكا واستراليا الأقدمين ، ولم تبق منهم إلا فلول تشهد بما أصاب أباءهم من اضطهاد واستئصال .. وفي الوقت الذي يخبىء القوم فيه مخالبهم وأظافرهم خلف قفازات من حرير تراهم يصفون غيرهم بما هو منه براء !

فالمدافعون عن أرضهم وعرضهم إرهابيون . والمسلمون ينشرون عقائدهم بالسيف .. والإسلام دين مادى يخدم الغرائز ! أما هم فأصحاب روحانية لا نظير لها فى الماضى والحاضر .. وتبحث عن هذه الروحانية المزعومة فلا تجدها إلا فى لياليهم الحمراء وحاناتهم الطافحة بالآثام .

قبل أن تذوب ثلوج القطبين

يؤكد خبراء البيئة أن الكرة الأرضية أصبحت الآن محاطة بغلاف من الغازات الضارة بنسبة زائدة مما أدى إلى رفع درجة حرارة الأرض ، وأدت إلى تغييرات مدمرة على بيئة الكرة الأرضية ، ودارت حول هذه المشكلة مناقشة فى الكونجرس الأمريكي لبحث سبل تجنب كارثة مؤكدة تحيق بالأرض في المستقبل القريب إذا استمر معدل بث هذه الغازات ، وأخطرها ثاني أكسيد الكربون والكلورفلور وكربونات والميثان إلى الغلاف الجوى وهى الغازات التى تنتج عن حرق الوقود الطبيعي من بترول وفحم وغاز حيث تتصاعد منها كميات هائلة من الغازات تعمل على الاحتفاظ بحرارة الشمس القادمة إلى الأرض ومنع نفاذها إلى الفضاء الخارجى .

ومن أخطر عوامل هذه الكارثة انصهار ثلوج القطبين الجنوبي والشمالي وهو ما يحمل في طياته خطر غرق مدن ساحلية بأكملها ، بل وقد تمتد مياه البحار والمحيطات إلى عمق أكبر .

الأستاذ/ سميرة فكرى .

الرضاعة الطبيعية .. ضد البلهارسيا

أثبتت الدراسات التى قامت بها جامعة

الأزهر .. أن لبن الأم يحقق مناعة طبيعية ضد مرض البلهارسيا .. وأن ٨٠٪ من الأطفال الذين يرضعون من ثدى الأم لا يصابون بالبلهارسيا .. وأن لبن الأم يحقق المناعة أيضاً ضد أمراض الحصبة وشلل الأطفال والنزلات المعوية خاصة في الأربعة شهور الأولى .. وكذلك الأحماض الأمينية اللازمة لسلامة الجهاز العصبي واكتمال النمو العقلي .. ولا يعوض ذلك أى نوع من أنواع اللبن الصناعي .

إمـــام النحـــاة بقية

فقد سار الصيمرى على رواية سيبويه غير انه خالف منهجه ، ومنهج اكثر الأوائل فى أنه نصّ على أنه حديث ، بل أضاف شيئاً آخر ادخل فى دراسة الحديث ، وهو النص على أنه حديث مرفوع .

لكن يبقى أمر يحتاج إلى تفسير ، وهو مخالفة روايات النحويين لروايات المحدثين ، فبم نفسر هذه المخالفة ؟

هل أراد سيبويه أن يستخدم لفظ الحديث فى الاستشهاد بصرف النظر عن أنه حديث ، وكما يستخدم أية عبارة يرويها عن الأعراب ؟! إن كان الأمر كذلك فما كان يصبح له ايضاً أن يتصرف فى اللفظ ، ولم لا تكون هذه رواية للحديث صحت عند سيبويه ، ورآها موطناً لاستشهاده فاستشهد بها وإن لم يصرح بكونها حديثاً ؟

يعزز هذا فى تقديرى ما نص عليه الصيمرى من أنه حديث مرفوع .

كما آنى لا اتصور أن يسايره فى الرواية ابن النحاس ، وابن جنى ، وهما علمان لهما باعهما الواسع فى البحث العلمى لمجرد التقليد لإمام النحاة دون أن يكون تحت أيديهما سند صحيح بهذا اللفظ . أو على أقل تقدير نقول : إن اتباعها لرواية سيبويه فيه « دليل على أن سيبويه ثقة لا يكذب ، ولا يحرف ، ولا يتزيد ، ولثقتهما به تابعاه فيه على ما رواه ، وإن روى فى زمانهما كما رواه سيبويه ، ففيه تأكيد أيضاً على صدق سيبويه ، واحترامه للنصوص من غير الحديث ، فهو يوثق كل ما يرويه بنسبته إلى شيوخه ، أو إلى من يوثق به إن كان هو الراوى ، أو السامع ، فكيف يعقل منه أن يتزيد ، ويغير فى نص الحديث كى يحتج به ؟! ألا يمكنه بدلاً من إفساد ذمته وإبعاد الناس عن الوثوق به أن يأتى بعبارة تشبهها من كلام العرب ، ويدخل فيها « هما » ويحتج بها على الموضع من غير أن يكتسب ذنباً ، أو يقترف إثماً ؟! يضاف إلى ذلك أن هذا مما يطعن فى ديانته وصدقه(١١) .

نخلص من هذا كله إلى أن هذا احتمال نرجحه ، وهو أن رواية سيبويه التى التزمها من بعده النحاة لعلها رواية للحديث تفرد بها ، ولا سيما أن سيبويه اشتغل بالحديث قبل اشتغاله بالنحو .

(١١) موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث ص ٥٤ ، ص ٥٥ .

أنباء وآراء

الاحتفال بالهجرة بالأزهر على مستوى الجمهورية

تقرر الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الشريفة كل عام بالأزهر الشريف ومعاهده على مستوى الجمهورية من أسوان إلى الأسكندرية .

مقر الاحتفال فى القاهرة بالجامع الأزهر الشريف إحياء لتلك الذكرى العطرة التى استمد بها الإسلام مجده وانتشر ذكره فأقبلت عليه الأمم .

تقرر كذلك أن يكون الاحتفال أول (يوم اثنين) يأتى من شهر المحرم كل عام .

الأزهر يدين انتهاك حرمة المسجد الأقصى

أدان الأزهر الشريف العدوان الذى أقدمت عليه إسرائيل . بانتهاك حرمة المسجد الأقصى ، وحفر سراديب تحته وبجواره والاعتداء على حرمته وطالب ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية باتخاذ موقف إيجابى لحماية بيت المقدس من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة عليه .

جاء ذلك فى البيان الذى أصدره الإمام الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وطالب فيه الدول العربية والإسلامية بتقديم كل عون مادى وسياسي ومعنوى للفلسطينيين لكى يواجهوا أطماع إسرائيل فى المقدسات الإسلامية ، واستهانتها بالأعراف والمواثيق الدولية وأحكام الديانات السماوية التى تعتز بقدسية المساجد ودور العبادة .

شيخ الأزهر
المسلمون يرحبون بقرار إيران

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ترحيب الأزهر الشريف بقرار إيران قبولها قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ وأكد شيخ الأزهر فى تصريح لوكالة أنباء الشرق الأوسط : أنه بصدق النية نحو استمرار هذا القبول ووقف كل الأعمال العسكرية بين إيران والعراق ـ يحمد المسلمون هذا الموقف لإيران .

(تعدد الزوجات) قرار كنسى لقوم دون آخرين

أذاع (راديو) لندن مساء الخميس ٢١ من ذى الحجة ١٤٠٨ هـ قرار الكنيسة الإنجيلية بالسماح لمن تزوج بأكثر من واحدة فى **بعض الدول** باعتناق النصرانية .

أكد مضمون الخبر أسقف شرق كينيا فى محاولة إنقاذ مايسمى بتعاليم الكنيسة فقال :

إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح

إن القرار الجديد لا يخالف التعاليم المسيحية ، وأن على الكنيسة **في بعض مناطق افريقيا** أن تقبل بمتعددى الزوجات ويعنى ذلك أن تعدد الزوجات صار فى النصرانية مباحاً لقوم دون آخرين .

أصدر القرار - فى بريطانيا - أساقفة الكنيسة الإنجيلية .

-سبق أن أقدم سبعة من كبار اللاهوتيين فى انجلترا على دراسة نشرت باسم « أسطورة الإله المتجسد » قرروا فيها أن المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - بشر ، ولم يعبأوا بثورة الكهنة عليهم متحدين إياهم فى مناظرات عامة .

أصدرت مجلة الأزهر دراسة كاملة عن الكتاب نشرت بمجلد ١٤٠٦ ص ٦٩٤ .

٣ معاهد ابتدائية ثانوية أزهرية للغات بطنطا

يبدأ الأزهر فى العام الدراسى القادم تجربة جديدة للتدريس بمعاهده باللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية .

تتم التجربة فى ثلاثة معاهد أزهرية منشأة بطنطا داخل نطاق مجمع إسلامى كبير أقيم بالجهود الذاتية على مساحة ثلاثة آلاف متر وتكلف مليون جنيه ، تم الاتفاق مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على أن تبدأ الدراسة بمعاهد المجمع مع بداية العام الدراسى القادم ووافق فضيلته على أن تكون الدراسة بمعاهد المجمع باللغات الأجنبية بجانب اللغة العربية ابتداء من أولى مراحله للمساهمة فى تخريج دعاة يجيدون اللغات الأجنبية للاستفادة منهم فى نشر الدعوة الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم .

لجان للفتوى بعواصم ومراكز المحافظات

قرر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إنشاء لجنة للفتوى فى كل عاصمة محافظة ومركز للرد على أسئلة المواطنين واستفساراتهم الدينية .

تتكون هذه اللجان من علماء يمثلون المذاهب الفقهية الأربعة ، ويرأسهم رئيس المنطقة الأزهرية على أن يكون المقر الدائم لهذه اللجان هو المعهد الثانوى . صرح بهذا فضيلة الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر .

الأزهر يصادر مصاحف بها أخطاء

قامت إدارة البحوث والترجمة والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بمصادرة النسخ المعروضة من (مصحف جيب) طبع بدار ابن كثير ببيروت الطبعة التاسعة ١٤٠٥ هـ لأن به أخطاء فادحة فى جوهر القرآن الكريم وأصدرت الإدارة تحذيراً لجماهير المسلمين من شراء هذا المصحف وهو مصحف أنيق له "سوستة" ومقاسه مقاس الجيب الصغير . وتوالى الجهات المختصة حملاتها على المكتبات والأكشاك لمصادرة النسخ الموجودة .

← أنباء وآراء

سيراليون

إذاعة تبث برامج دينية بالعربية فى سيراليون

افتتحت فى سيراليون إذاعة إسلامية تبث البرامج الدينية باللغة العربية واللغة الانجليزية بالإضافة إلى اللغات المحلية .

تخدم هذه الإذاعة ثلاثة ملايين مسلم هم عدد المسلمين فى سيراليون والذين تبلغ نسبتهم ٧٥٪ من عدد السكان هناك .

من ناحية أخرى يجرى الآن بناء مركز إسلامى كبير على مساحة ١٠ آلاف متر ويضم مسجدا ومدرسة ومكتبة إسلامية .

والمعروف أن للأزهر مبعوثين فى سيراليون منذ استقلالها عام ١٩٦١ .

المغرب

لإحياء استخدام « الحروف العربية »

يقوم معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط بالتعاون مع البنك الإسلامى للتنمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، واليونسكو - بتنفيذ برنامج خاص لتحقيق إعادة الحرف العربى إلى سابق مكانته التى كان يحتلها فى لغات الشعوب الإسلامية عبر تاريخها ، والقيام بوضع أبجدية شاملة لكل مجموعة لغوية من المجموعات اللغوية التى تتحدث بها الشعوب الإسلامية غير العربية ، كما يتبنى البنك الإسلامى للتنمية برنامجا لمحو الأمية فى عدد من الدول الأفريقية باللغات المحلية مع استعمال الحرف العربى إلى جانب برنامج لترجمة معانى قصار السور القرآنية إلى عدد من اللغات المحلية بين الدول الأفريقية .

تركيا

تقدم ملموس للبنوك الإسلامية فى تركيا

حققت البنوك الإسلامية فى تركيا تقدما ملموسا فى زيادة أموال المودعين لديها وذلك وفقاً لما ذكرته الدوائر المالية التركية .

قالت هذه الدوائر إن البنوك التى صرحت لها السلطات التركية بالعمل منذ ثلاث سنوات فقط مودع بها ١,٨٪ من قيمة الودائع المصرفية فى تركيا وفقا لإحصائيات عام ١٩٨٧ .

وقد أكد المسئولون عن هذه البنوك أن زيادة إقبال المواطنين الأتراك على إيداع مدخراتهم فيها يرجع إلى زيادة أرباحها عن البنوك الربوية فضلا عن مطابقة أعمالها لأحكام الشريعة الإسلامية .

المغرب

مشروع طبى عالمى لهيئة الإغاثة الإسلامية

بدأت هيئة الإغاثة الإسلامية مشروعا طبيا كبيرا لعلاج المسلمين فى العالم ، يضم كبار الجراحين والأطباء فى التخصصات المختلفة ، ويشرف عليه طبيب مسلم عربى متخصص فى جراحة القلب .

يركز المشروع الطبى فى مرحلته الأولى على الدول الفقيرة ومناطق الأقليات الإسلامية ، ويقوم بإجراء العمليات الجراحية النادرة وعلاج الأوبئة المنتشرة فى مناطق المجاعات بأفريقيا .

فهـرس العـدد

دروس من يوم الهجرة النبوية الشريفة .
لفضيلة الشيخ : جاد الحق على جاد الحق ١

الجوار المتبادل .
د . على أحمد الخطيب ٩

حديث عن الجمعة واول مسجد وخطبة الجمعة فى الإسلام .
للشيخ محمد الحديدي الطير ١٤

فى رياض السنة النبوية المطهرة « الهجرة الشرعية » .
أ . د . رءوف شلبى ٢١

رسل الله إلى إبراهيم .
للدكتور : محمد محمد خليفة ٢٥

البحث عن الاديان القديمة .
لفضيلة الشيخ عبد الجليل شلبى ٢٨

رجال القراءات « الإمام خلف البزار الكوفى »
لفضيلة الشيخ : إبراهيم عطوة عوض ٣٢

وضع الأسرة فى الإسلام .
للدكتور : توفيق محمد شاهين ٣٦

رسل الأزهر فى بلاد النيجر .
للسفير : جمال الدين محمود أبو العيون ٤٤

العسل فى القرآن والسنة والطب .
بقلم : واصف عبد الحليم ٥١

الفتـــاوى ..
إعداد : عبد الحميد السيد شاهين .
صفوت عبد الجواد ٥٤

الشعر والشعراء

إشـــراف د . حسن جاد

فى ذكرى الهجرة .
للشاعر : رشاد محمد يوسف ٥٦

الحـرية والطـير .
للشاعر : سيد عبد الرءوف ٥٨

من أعلام الأزهر

العلامة الدكتور عبد العظيم الغباشى .
أ . د . رءوف شلبى ٦٠

عبد العزيز البشرى « جاحظ العصر الحديث » .
د . محمد رجب البيومى ٦٢

من روائع الماضى « كتاب يهذى فى تاويل القران الكريم » .
إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات ٧٣

طرائف ومواقف .
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٢

اللغة والأدب والنقد

الربعى وآراؤه النحوية .
د . سعيد منصور عرفة ٨٦

العباس عم الرسول ﷺ .
للأستاذ / السيد حسن قرون ٩٠

الابداع الادبي بين اكتشافه الواقع
وتحويله إلى وعاء للمعتقدات السياسية
عرض ودراسة : د . عبد الله أبو هشة ٩٦

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث .
د . السيد رزق الطويل ١٠١

من خير ماكتب .
إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام .
عادل رفاعى خفاجة ١٠٥

انباء وآراء ..
إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح ١١٠

القسم الانجليزي

إشراف د . انس النجار

المقالة الثانية :
للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه ١١٩

المقالة الأولى :
د . أنس مصطفى النجار ١٢٦

the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) is the history of a nation during the most opulent years of human enlightenment and civilization; the era of Divine Revelation that establlished the doctrines of Islamic theism. The Muslim nation as it stands nowadays has the greatest advantage to possess the exact, unaltered, precise original version of the Holy Quran. Muslims also possess compilaitons of the Honourable Hadith and Sunnah, that have been subject to severe process of rigorous analysis, verification, authentification, referencing classification by the great masters who put down the very extensive scientific foundations of the science of Hadith and Sunnah.

of Islamic doctrines, and the gathering and documentation of the Holy Quran. No man in the history of mankind has influenced his followers as well as his opponents throughout the years of his life and for all the generations of humanity to come; as the Prophet Muhammad, who delivered the most distinguished Divine Message that directly concerns the totality of human life. An analytical study of the Prophet's life will expose his style of implementing the doctrines of Islam as revealed in the Holy Quran; upon himself, his family, and all members of the growing Muslim Community. Such practices in time became very familiar and conversant to all the Prophet's companions, who developed memorization of the Prophet's sayings (Hadith) methodologies in Islamic teachings, his interpretations, his practices, his decisions, his judgement, his conduct, and all matters pertaining to human life and death. The compilation and consolidation of this wealth of knowledge became known as the Traditions of the Prophet (Sunnat Al-Rassul).

The Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) gave optimal paramount importance to the writing, documentation, classification, memorizing of the Holy Revelation of the Quran. He instructed that nothing else should be written, fearing that the Divine Revelation would be mixed with his own words. Finally, the Holy Quran, was compiled during the time of Abu Bakre Al-Siddiq. Later on, the Sunnah and Hadith of the Prophet were collected, classified and documented after very rigorous and meticulous analysis based on a strict methodology of referencing and narration. Essentially, the Sunnah is a practical application, interpretation, demonstration of the doctrines and teachings of the Holy Quran. Most of the material of the Sunnah was compiled and documented after the life of the Prophet from precision of memory and narration. The faculty of memorization was very highly developed among the Arab nation at that time; and narrations passed through the generations with very strict control and assurance, subjected to rigorous analysis and verification.

This system of analysis and verification developed into specialized scientific disciplines such as the science of narrators, science of classification, science of referencing, and the science of jurisdiction and jurisprudence. These sciences have given the Sunnah and Hadith of the Prophet, the truth, authenticity, foundation and reliance that are certainly far superior to that of any other document in human history. The Sunnah and Hadith of

it is an educational cultural dialogue between the Messenger Prophet, and the Angel Gabriel; for the purpose of optimizing the true essentials of Muslim theism in the minds of those present. The companions of the Prophet who in time became the narrators of Hadith and Tradition, the tutors of Islamic doctrines and teaching, the authorities of Islamic concepts and true understanding. The information outlined in the discourse was very well known to all those present. The Prophet Muhammad knew it very well being the Messenger of the Revelation; the Angel Gabriel having been the medium of relay, also knew it; and the companions present, also knew that information having been given the continuous perpetual instruction and teaching by the Prophet. Nothing of what had been said was unknown, however, the real purpose of the question and answer session was to define with precision distinct clarity, propriety and proportion, the basic elements of Muslim theism, its scope, boundaries, characterization and gradation from the most simple exteriors to the most inherent and intimate interface with the Creator.

The last aspect in connection with this Hadith is essentially connected with the Honourable Tradition (Sunnah) of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him); this matter deals with its authenticity and reliability in extracting laws of Islamic jurisprudence. For a proper judgement and understanding of this matter, we must realize that all nations in the history of mankind must have some means of documentation of their history. This documentation may take one of two forms either scribed or narrated, classified, and referenced. Both forms of documentation may suffer errors, additions, and deletions; and it becomes the duty of the historian to purify the facts of history by utilizing and implementing scientific means of analysis and verification in the process of history documentation.

With this brief prelude, we come to the history of Islam from the birth of the Prophet Muhammad to the very start of the reign of Bani Ummayah. This coincides with the last four decades of the sixth century and the first half of the seventh century B.C., corresponding to fifty years before Hijrah and forty years after. This period of very great significance includes the life of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) his Hadith, his actions, his conduct and decisions, and the Revelation of the Holy Quran. It also includes the frontier years of Muslim rule in the reign of Abu Bakre, Omar, Osman, and Aly, the period of pan Islamization, the implementation

←

The second grade is that of Iman, which is a higher grade than Islam, totally structured and dependent upon it. Iman is an interior consolidation and ramification of faith, hidden within the self, an excercise of inner submission and acceptance of theistic credence, and absolute belief in Allah. No man has the ability to discover it or observe it in another man. Only Allah knows what the inner self of every individual contians, that which is hidden and deep seated within its closed confines. It is the climax of belief; a transformation from the exterior identity by acknowledgement and practices, to a concrete precipitate of inner belief.

The third and optimal grade is that of Ihsan, which is categorized above Iman, totally structured and dependant upon it. Ihsan, is the beauty of excellence and goodness, an absolute refinement of the human soul. It is the coherent interface between man and his Creator, between the lover and the beloved. If that is not achieved, it becomes a relationship of intimate guardianship, guidance and protection from Allah towards His human subject.

This stepwise development of the grading of Muslim theism is indeed a sign of Allah's mercy on mankind. If Islam had been only the optimal grade of Ihsan, it would have been suitable only to the very few and highly selective; unsuitable for the wide spectrum of human capabilities; unacceptable and inexpedient for the generalization of all times in history and all places on earth. Again, if Islam had been only the middle grade of Iman, it would have become an occult metaphysical concept that is impossible to prove define or deny to one's self or to another. Again, if Islam had been only the exterior identity of verbal acknowledgement and practices, it would be only a religion of outward appearances, interested only in the surface and not in the substance; and would be incapable of promoting the human mind and self into refinement and excellence. In its reality and intelligent understanding, Islam is a very wide path, along which travel all the diverse and very different patterns of human categories. They all compete, from those majority with simplest common identity, to those few with selective distinction. They are all on the path to Allah, each performing according to his constitutional ability, understanding, and commitment. They all seek to improve, progress and promote in grading.

Another aspect of understanding of this Hadith is that

universality cannot be viewed as a stretched hairline that requires skills and talents beyond human capabilities in order to maintain standing balance. It is also not the sharp edge of a sword on which no man can achieve standing adjustment. It is also not a narrow corridor that only allows the passage of one. Islam in the reality of intelligent understanding is a very wide path, the width of all human capacities and preparedness. Along this extensive path, all human individuals travel in a competitive races; from the very slow cripple to the fast marathon runner; from the prime winner to the very last comer. The religion of Islam is essentially a wide race track that accomodates and houses all those moving along its path, the fastest and also the slowest. The Lord of the path and the Creator of those who travel along the path is Allah, who ordained that all are accepted to travel the path.

From this basic understanding, it is imperative that Islam should be a gradation of category and grading of performance. It starts at the bottom for the majority on the path, the common Muslims; and grades up to the very few of distinction and excellence - the rank of Ihsan; and in between the two extremes in performance, there are the pious - the rank of Iman. These gradings are functions of the individual's belief and faith in relation to Allah, and the preference in rank is rewarded only by Allah. it should be very well understood that worldly rights and resources are precisely equally distributed among all humans, absolutely independent and irrespective of the rank of grading achieved on the path. These rights and resources are also fully granted even to those outside the path of Islam.

The first grade is that of Islam, the doorway to the identity which is characterized by exterior commitments and requirements. These entail the acknowledgement that Allah is One with no associate partner and that Muhammad is the Prophet of Allah and the Messenger of the Holy Revelation; and the submission to perform the religious requirements of Salat, Zakat, Siyam (fasting), and if possible pilgrimage (Haj). By these outward practices, the individual gains his Muslim identity. No power whatsoever can deny him that identity, and no authority can test him or search his interior self to judge the authenticity of his faith. It is the mercy of Allah upon mankind, that the name of Islam was coined to this grade of the religion, and attributed to it all the doctrines, jurisdictions, duties, rights, and laws of the Islamic faith.

→

THE MUSLIM THEISM

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

Before embarking on a comprehensive analsyis of this very important honourable Hadith, it is an exigent requisite to preface this analysis with a limelight on the Hadith.

The religion of Islam is characterized by being an embodiment of wholesome entirety addressing all mankind as human creatures of all races, sexes, ages, languages, cultures, societies, and at all times in history since the Revelation. Islam with this description of expansive

purpose, the justice of cause; Abu Bakre lived through the inferno of heretic mutiny to emerge triumphant and victorious by Divine Will and support. The disciple of the Prophet, the first companion, the Khalifah of Rassul Allah, the man whose faith outweighed the faith of a nation, was at long last composed and thankful. Al-Madinah was victorious, and the authority and Muslim influence was once again dominant all over the Arab Peninsula, and all Arab tribes with no exception proclaimed Islam and submitted to the Muslim administration at Al-Madinah. The great achievement of a very great man, Abu Bakre Al - Siddiq the successor of the Prophet, the man who was sworn in by unanimous conensus, the man who was granted fealty to administer the affairs of the Muslim nation, and to implement in honesty and truth the doctrines of the Islamic faith.

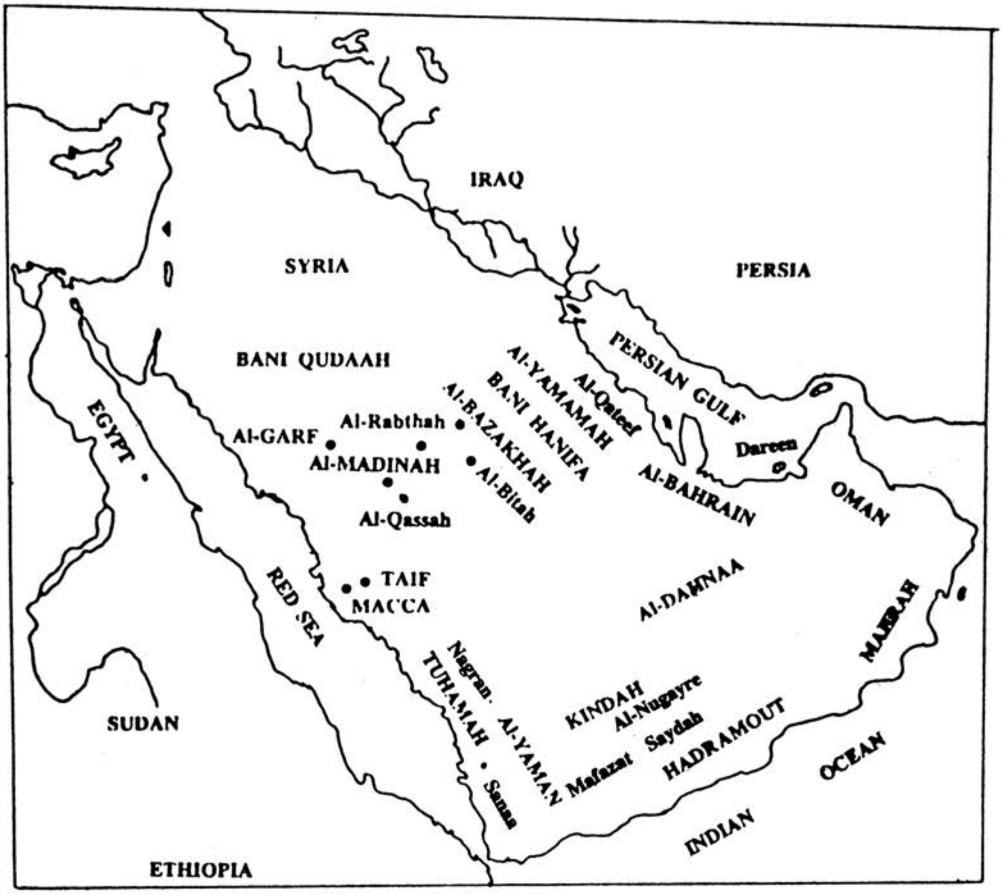

totally freed from apostate renegade groups. The forces of Labeed, Al-Muhager and Iqrima were continually increasing in numbers by the tribes who returned into Islam.

The situation was becoming very grave, and the people in the fortress finally realized that they had no chance of survival. The confident jubilation of victory highly supported the patience of the Muslim forces, the whole country around to the coast was returning into Islam. They could afford to await the outcome of the fortress of Al-Nugayre without storming it. Finally, Al-Ashaath ibn Qays requested audience, and asked freedom with nine of his kinsmen in return of opening the gates of the fortress for the Muslim troops to enter. Al-Muhager agreed and asked Al-Ashaath to write the names of the nine. Al-Ashaath wrote the names of the nine, sealed the letter, but forgot his own name. The nine were allowed out, and Al Ashaath opened the gates of the fortress for the Muslim forces to occupy it completely without fighting, took in prisoners and possessions as spoils of war. According to Islamic Law, one fifth of the spoils was sent to Al-Madinah, and also the prisoners. Al-Ashaath forgetting to write his own name, among those to be freed was not included. However, Iqrima convinced Al-Muhager to let Abu Bakre have the final say regarding Al-Ashaath. At Al-Madinah, Al-Ashaath apologized to Abu-Bakre, proclaimed Islam and sincerely pledged loyalty. Abu Bakre finally pardoned Al-Ashaath, who later proved himself, showed valour and bravery in later conquests, and regained the dignity and esteem of his rank among his people.

At long last, the mutiny and apostasy against Islam was completely subdued. The whole of the Arab Peninsula from the Persian Gulf east, to the Red Sea west; from the Syrian borders north, to the Indian Ocean south; once again returned to social order and stability under the banner of Islam. Al-Muhager ibn Ummayah was appointed to govern Al-Yaman; Iqrima returned to Al-Madinah; and Zeyad ibn Labeed remained to govern Hadramout. Abu Bakre at Al-Madinah looked around him at the lucid intelligible stillness and the calmness of self possession and self control. The flaming mutiny against Islam had been defeated, and the war against the apostates had ended with overwhelming victory and triumph. Abu Bakre wept with hommage, tribute and glorification to Allah for His Divine support. His tears trickled down his face to wet his beard when he remembered the day of his succession, and the very heavy responsibility placed on his shoulders after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). With faith, firm belief, self confidence, the reality of

dominion of Islam established social and administrative stability in this corner of the Arab Peninsula. The Muslim worriors under the command of Iqrima and Al-Muhager were preparing their strategy to move eastward, and confront the apostate forces in Kindah and Hadramout, the final stage in the war against the apostate opposition.

The territory of Hadramout lies on the Indian ocean between Al-Yaman west, and Mahrah on the east; with Kindah to the north-west. When the Prophet(prayers and peace upon him) died, the Muslim ruler of Hadramout and Kindah was Zeyad ibn Labeed. The tribes of Kindah followed the apostates of Al-Aswad Al-Ansii, except few of them from Al-Sakoon who remained loyal to Islam and supported Zeyad. When the Prophet died, the stigma of mutiny against Islam was highly accentuated Zeyad Ibn Labeed with the tribes supporting him attacked and defeated one of the strong gatherings of the renegades. Returning with the prisoners and captives, Zeyad passed by a camp for Al-Ashaath ibn Qays, an outstanding figure in Kindah, highly respected and loved. When Al-Ashaath saw the prisoners from the people of Kindah, he pledged to free them; went into a battle with Zeyad, defeated Zeyad and freed the prisoners; and therefore established an enmity with Muslims, although he himself was a Muslim. Zayed ibn Labeed wrote to Al-Muhager ibn Ummayah to speed for his support. Al-Muhager and Iqrima had met, crossed the Mafazat Sayhad together to march into Kindah. When Al-Muhager received the message of Zeyad ibn Labeed, he left Iqrima in charge of all Muslim armies, and hurried with a mounted battalion to help Zayed. Al-Muhager and Zeyad ibn Labeed attacked the forces of Al-Ashaath; defeated them, and Al-Ashaath with those that survived, escaped and took refuge in the fortress of Al-Nugayre.

The town of Al-Nugayre was strategically fortified. The fortress had three routes that lead to it. Zeyad ibn Labeed occupied one of the routes, Al-Muhager ibn Ummayah occupied the other. The third was left for the people in the fortress to receive supplies. However, on the arrival of Iqrima, he occupied this third route and enforced total seige on the fortress. He also sent regiments of mounted men to explore the whole territory of Kindah and penetrate through Hadramout to the coast. These regiments were ordered by Iqrima and Al-Muhager, as instructed by Abu-Bakre, to summon people back into Islam. People complied and willingly acknowledged their obediance to Islam. Those who resisted and insisted to apostate, deny Islam, and continue to renegade against peace and social stability were followed, hunted and put to the sword. The complete region of Hadramount and Kindah was

→

governorates, killing Shahre and proclaimed himself ruler of the whole territory of Al-Yaman from Nagran to Sanaa. This self-proclaimed king also alledged prophethood. Finally, Al-Aswad was murdered by his army commanders, and with his death, the whole territory of Al-Yaman became in complete lack of authority, confusion and total chaos; each region segregating itself with independence and self-rule. The death of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him), the succession of Abu Bakre, and the ensuing stormy apostasy in most regions of the Arab Peninsula; included the already disturbed Yaman tribes and added to their maniacal passion to severe all ties with the Muslim administration at Al-Madinah. Two main figures were struggling for power amidst all this couldren of turmoil at Al-Yaman.

The first was Qays ibn Abd Yaghooth who claimed Al-Yaman for the Arabs and called for the extermination of all non-arabs. He was backed and supported by the followers of Al-Aswad Al-Ansii after his death, and by leading personalities as Amre ibn Madii Kareb. The second was Fairouz, a previuos chancellor for Shahre ibn Bazzan; who was a Muslim commissioned by Abu Bakre to rule Sanaa after capturing it from Qays ibn Abd Yaghouth. Fairouz was supported by all Yamanees from Persian descent especially the Muslims among them.

The final events came about when the army of Iqrima moved west to Al-Yaman, and the army of Al-Muhager ibn Ummayah marched south from Al-Madinah to enter Al-Yaman from the north. The approach of these two armies made the renegade forces and their leaders very apprehensive, anxious and disturbed about the outcome of the situation, now that the two Muslim armies were marching into Al-Yaman. The two renegade leaders Qays ibn Abd Yagouth and Amre ibn Madii Kareb differed and mistrusted each other. Amre attacked Qays, took him prisoner and handed him over to the Muslim commander Al-Muhager; as a price for his own safety. Al-Muhager, however, took both men as prisoners and send them to Abu Bakre at Al-Madinah to deal with both men as he considered suitable. After a brief discourse with both men, Abu Bakre pardoned both men after swearing allegiance and obedience to Islam. Both men lived truthful to Islam, and showed marked bravery during Islamic conquests that followed.

Al-Muhager continued to march from Nagran till he reached Sanaa, clearing all the north of Al-Yaman of all renegade opposition. Iqrima did the same in the south. The whole of Al-Yaman once again accepted Islam and became free from mutiny, dispute, apostasy and tribal opposition. The

and Arfagah wishing them to give due consideration to Iqrima's opinion.

The troops of Iqrima, Huzaifah, and Arfagah were joined by Gieffer and his followers. These were confronted by the apostate forces of Zu Al-Tag Laquit ibn Malik. A very fierce battle took place where the apostate forces proved to be more than a challenge to Muslims. As the Muslims were suffering some disorganization among their ranks, they were joined by worriors from Bani Abd Al-Qays of Bahrain; and the final victory was for the Muslims. Huzaifah remained at Umman tc stabilize matters and summon people into Islam; Arfagah took the share of Al-Madinah from the spoils of war to hand to Abu Bakre; and Iqrima commanded his army and marched to Mahrah.

Iqrima moved west from Umman to Mahrah, and his forces were joined by sporadic Muslim groups from the various tribes who remained on Islam. When he reached Mahrah, Iqrima found two groups struggling for power. He wisely requested the weaker of the two groups to return into Islam and join his forces. They answered the summons and joined forces with Iqrima. The combined Muslim forces confronted the other group and utterly defeated them. Iqrima remained sometime at Mahrah, and sent to Abu Bakre the fifth of the spoils of war that belonged to Al-Madinah. Now, another territory of the south was gained back into the arena of Islam. The army of Iqrima increased in number, Muslim tribes from Al-Bahrain, Umman, and Mahrah were very eager to struggle on the path of Allah, to establish the word of Allah as supreme. Iqrima marched out to meet Al-Muhager ibn Ummayah Al-Makhzoumi, to confront together the remaining renegade forces in Hadramout and Al-Yaman. The strategy planned by Abu Bakre at this stage was to deal with Al-Yaman before Hadramout, and that Iqrima ibn Abi Jahle would cross from Mahrah to Al-Yaman without engaging his troops in any combat in Hadramout; and that Al-Muhager ibn Ummayah Al-Makhzoumi would march south along the coast of the Red Sea passing by Makkah, Al-Taif, Nagran, to enter Al-Yaman from its northern borders.

Al-Yaman occupies the south west mountainous ridges and plains of the Arab Peninsula between the Red Sea and the Indian Ocean. During the life of the Prophet, Al-Yaman was under Persian rule until its king Bazzan accepted Islam and remained as ruler of Al-Yaman by the Prophet's concession, and the majority of its tribes proclaimed Islam. When Bazzan died, the Prophet divided Al-Yaman into several governorates and appointed Shahre ibn Bazzan to govern one of them. Al-Aswad Al-Ansii from the south of Al-Yaman became the figurehead of a munity, claiming and attacking all these

origin, who were called Al-Abnaa (the sons). The King of this region was Al-Munzer ibn Sawy Al-Abdii who accepted Islam during the life of the Prophet, and who summoned his people to Islam. Al-Munzer died in the same month of the Prophet's death, and the whole population of Al-Bahrain renegated against Islam. However, Al-Garood ibn Al-Mualla Al-Abdii convinced his people of Bani Abd-Al-Qays to remain on their Islam. All the remaining tribes of Al-Bahrain insisted to apostate under the leadership of Al-Hutam ibn Dubayah. The Muslims with Al-Garood were tightly beseiged by Al-Hutam and his followers of the renegades; and numerous muslims died from hunger and weakness.

During these events, Abu Bakre had commissioned Al-Allaa ibn Al-Hadrami to command an army to march to Al-Bahrain to fight the apostates there. On the way, this Muslim army was joined by Muslims from other tribes especially those of Bani Hanifah who had returned to Islam. After a confrontation in trenches between the Muslim army under the command of Al-Allaa ibn Al-Hadrami, and the renegade army of Al-Hutam ibn Dubayah; the Muslims were finally victorious, and the renegades escaped to the island of Dareen where they were followed and defeated again. Al-Alaa ibn Al-Hadrami wrote to Abu Bakre of the overwhelming victory, established law and order in the territory of Al-Bahrain, and summoned the apostate tribes to return to Islam, which they willingly accpeted. As matters were settling at Al-Bahrain, Al-Mussanna ibn Harithah Al-Shaibanii was travelling north with his men along the Persian Gulf clearing that region from sporadic escaping groups of renegades, till he reached the borders of Iraq. This particular achievement had its repercussions on the Muslim conquests of Iraq and Persia that followed in later years.

The country of Umman was, during the time of the Prophet, subject to Persian rule, with Gieffer as ruler who accepted Islam on the summons of Amre ibn Al-Aas. When the people of Umman disavowed Islam after the Prophet's death, ibn Al-Aas escaped to Al-Madinah, and Gieffer escaped into the mountains. The leader of apostasy in Umman was Zu Al-Tag Laquit ibn Malik Al-Azadii, who like several others claimed prophecy. Abu Bakre had commissioned Huzaifah ibn Mihsen Al-Ghalfany to confront the renegades in Umman, and Arfagah ibn Harthamah to fight them in Mahrah. Their orders were to march together, go into combat together, with Huzaifah to command in Umman, and Arfagah to command in Mahrah. Also, after the defeat of Iqrima ibn abi Jahle by Bani Hanifah, Abu Bakre had ordered him to march to the Persian Gulf territories to assist the Muslim armies there. Abu Bakre wrote to Huzaifah,

ABU BAKRE AL-SIDDIQ WAR AGIANST APOSTATES

PART V

THE LAST CAMPAIGNS

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The south of the Arab Peninsulá constitutes the territories on the Persian Gulf and the Gulf of Aden to the east, Indean Ocean to the south, and the Red Sea to the west. These territories include Al-Bahrain, Umman, Mahrah, Hadramout, Kindah, and Al-Yaman. To the North of this half circle and its middle lies the fearful empty desert expance of Al-Dahnaa. The geographical position of these territories presented difficulties of connections with the rest of the Arab tribes liying north; and facilitated the authority of the Persian Empire across the Persian Gulf to influence the social and political life of the residents of these regions. For such reasons, the tribes living in these states were the last to accept Islam during the Prophet's life, and were the first to apostate against Islam after his death. The precise dates of the battles against the apostates in these territories is not precisely recorded, however, these battles took place between the eleventh and twelveth years of Hijrah. The strategy planned by Abu Bakre for these campaigns was to start from Al-Bahrain south to Umman along the Persian Gulf, then all the lands along the Indian Ocean till Al-Yaman on the Red Sea. This strategy was wisely decided because Al-Bahrain was close to Al-Yamamah where the Muslims had achieved sounding victory over Bani Hanifah who finally returned to Islam. On the other hand, Al-Bahrain was a much easier encounter to start with than Al-Yaman.

Al-Bahrain is a narrow strip of habitable land stretching from Al-Qateef north to Umman south. This territory was inhabited by Bani Abd-Al-Qays, Bani Bakre, and Bani Rabiah, together with a population of various Persian and Indian

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART 1

MUHARRAM, 1409, HIJRAH

Editor:- **Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD., Ph.D**

CONTENTS

1. Abu-Bakre Al-Siddiq.

   War Against Apostates, Part V.
   The Last Campaigns.
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Muslim Theism.

   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

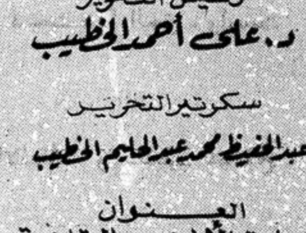
مسجد لاجوس

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قريش

تمت المبايعة على « معاهدة الجوار » بين رسول الله - ﷺ - واليثربيين ، وهى معاهدة بمقتضاها تُجير الأوسُ والخزرج رسولَ الله - ﷺ - والمهاجرين - رضوان الله عليهم - إذا حلّوا بالمدينة .

وتلك العهدة - بكل نصوصها ، وعلى مختلف رواياتها ورُواتِها المعاصرين للأحداث ومن تلاهم(١) - لا تمثل بطبيعتها عدوانا على احد .

ذلك ان عُهدة « الجوار » بطبيعتها لا تمنح - أصلا - لطالب عدوان ، ولا لخليع(٢) .

وقريش تعرف ذلك جيداً .

كذلك فإن معلوماتها عن تلك العهدة لا يمكن ان تحمل أكثر من نصوصها .

←

جـــوار قـريـــش

لكن قريشا أبت إلا أن تفسر تلك العهدة على أنها « حلف » بين الفريقين لحربها(٣) ؛ وهو تفسير يخالف « الواقع » بقدر ما يطرح على الأحداث « عقدة الذنب » التى ناءت بها قريش فتوالى ـ بها ـ وزرُها عبر السنين .

وهى لذلك لازالت ترى فى « محمد » ـ ﷺ ـ ما تراه فى كل البشر :
إنسان أوذى ، وعُذِّبَ أتباعه ، فسعى لينتقم ، وليضرب قريشا ومكة ضربة يشفى بها صدره وصدور المعذبين من المهاجرين جزاء ما اقترفوا فى حق المؤمنين .

وَأَنَّى لقريش ـ وقد كذبته ـ أن تُقِرَّ لنبوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو لمبادىء رسالته بما فيها من شِرْعةٍ وسلام وجلال .. ؟!

إنهاَ ـ لو قد فعلتْ ـ لاطمأنت ، ولتأكدت أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أول من يرعى حق الكعبة ، ويؤمن بحرمة البيت ، ويسعى لسلام الحرم ؛ بل إنه الإنسان الوحيد ـ حينئذ ـ المسئول عن ذلك كله ، وشريعة الله ـ جل جلاله ـ على يديه هى الشريعة التى دعمت هذا الحق ، وأرست قواعده ليكون البيت أمنا وسلاما دائما .

ثم إنهم ليعلمون : أنه ـ ﷺ ـ على نفس شريفة تسمو على النقمة والانتقام ، وتستجيب للصفح والغفران .

وحاشاه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يعتدى عليهم ، أو على غيرهم من قبيل وديار .
ثم إن « الجوار » فى ذاته « حماية » لا « عدوان » ، وليس من حق المستجير أن يدفع بمجير : فردا كان أو قبيلة إلى حرب قوم لم يجنحوا عليه ـ وهو مقيم بأرض المجير ـ بعدوان ، فأما إذا كان عدوان فقد لزم الدفاع .

وتلك شِرْعَة العرب أجمعين ، وعهدته ـ ﷺ ـ لم تخرج على « فقه » الجوار ، ولا كانت بِدْعًا فى ساحته .

نضيف إلى ذلك أمرا له أهميته ، هو ما قام به النبى ـ ﷺ ـ إبان سنوات عدة ـ من دعوى القبائل والشخصيات الشريفة التى كانت ترد الحرم لحج أو عمرة ـ إلى الإسلام ، فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يعرض نفسه أثناء ذلك عليهم طالبا منهم أن يجيروه ـ مما جعل رءوس القبائل فى الجزيرة على علم بما يريده ـ عليه الصلاة والسلام .

وما كان يريد ـ إلى إسلامهم ـ إلا الجوار .

وتلك نتيجة لم تفطن لها قريش ؛ فلم تفطن ـ بالتالى ـ إلى شك تلك القبائل فيما ادعته على رسول الله ـ ﷺ ـ فضلا عن تكذيبهم لها لعلمهم أن محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما طلب « جواراً » ولم يسع لـ « حلف » يقاتل به قريشا ويسىء به إلى الحرم .

• • •

فى ضوء هذا التحليل نرى خطأ ما نسب إلى ابن إسحاق فى عبارة أوردها ابن كثير ـ رضى الله عنهما ـ فى سيرة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك حيث يقول :

« فلما رأت قريش أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، فَحَذِروا خروج رسول الله ـ ﷺ ـ إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم »(٤) .

وتعنى العبارة بهذا النص أن الرسول ـ ﷺ ـ قد ائتمر لحربهم ، وأن قريشا قد عرفت ذلك .

وهذه دعوى ليس بين يديها دليل ، وطبيعة رسالته الشريفة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مناقضة لها بعيدة عنها ، ثم ... هذه الحوادث التى تلت تلك العهدة خير واقع يؤكد أن العدوان القرشى الذى تتالى على المسلمين منذ اعتبرت قريش ما حدث « حلفا » لا « جوارا » هو الذى ألجأ المسلمين إلى امتشاق الحسام .

وفى الحق أن ابن إسحاق إمام فى السيرة وَحَبْرٌ من أحبارها ، والعبارة على غير ذلك قد أوردها الإمام علىّ بن برهان الدين الحلبى فى سيرته ، فقال :

←

← جـــوار قـريـــــش

« فلما رأت قريش أن رسول الله ـ ﷺ ـ صار له شيعة وأصحاب من غيرهم ، ورأوا خروج أصحابه إليهم ، وأنهم أصابوا منعة ، لأن الأنصار قوم أهل حلقة وبأس حذروا أن يخرج رسول الله ـ ﷺ ـ وأن يجمع على حربهم »[٥] .

فهذا تفكيرهم ، لا أن الرسول ـ ﷺ ـ قد أجمع لحربهم ، وشتان بين العبارتين .

وعبارة الحلبى ـ رضوان الله عليه ـ ساقها كعادته ـ فى السيرة الحلبية ـ مصحوبة بشرح لكل لفظ يرى فيه صعوبة ، أو غرابة كقوله :

قوم أهل حلقة ـ أى سلاح .. حذروا ـ أى خافوا .. إلخ .

ولست أشك فى أن النسخ عبر القرون قد أحدث فى عبارة ابن كثير أثرَه فأضاف إليها ، وحذف منها .

وفى الحق ـ كذلك ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ ما كان ليجمع على حرب قريش حتى جنحت إلى العدوان ، وتوالى عدوانها فى مسلسل متصل الحلقات .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) من جيل الرواة الصحابة لهذه العهدة : جابر بن عبد الله ، وعبادة بن الصامت ، وكعب بن مالك ، وكلهم من الأنصار ـ رضوان الله عليهم ، ثم تلاهم رواةُ الأخبار كابن إسحاق والشعبى وغيرهما ـ رحمهم الله .

(٢) الخليع : المخلوع الذى خلعه قومه لجناية ارتكبها فلا يُؤخَذُون بجنايته ، ولا يُطالَبُون بدمه ـ انظر : مقدمة قبل الهجرة عدد المحرم ١٤٠٨ هـ والذى يليه من مجلة الأزهر .

(٣) الحلف : معاهدة على التناصر والإعانة مطلقا بين طرفين متكافئين .

هذا ؛ وينبغى ان اشير هنا إلى خطأ وقعتُ فيه عند ابتداء هذه الدراسة فسبقتُ إلى اعتبار (عهدة الجوار (حلفا لا ظلم فيه) فأما بعد بيان موقع الطرفين بكل من الحلف والجوار ، وتحديد الفارق بينهما فإن هذه العهدة بين رسول الله ﷺ ـ والأوس والخزرج إنما هى جوار طلب فيه رسول الله ﷺ المنعة من القوم .

والحق أحق أن يتبع ، وسوف أستدرك ذلك فى الكتاب بمشيئة الله تعالى .

(٤) ابن كثير ٢/٢٢٧ .

(٥) الإمام على بن برهان الدين الحلبى ـ إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية ـ ٢/٢٥ .

الـــى اللـــه ..

ضيـــاء الحـــق .. !

الرئيس ضياء الحق

ضياء الحق .. ما أجمل هذا الاسم الكريم لمسمى كريم كان ضياءً للحق ورضى بالحق ، وسعيا للحق فعليك السلام .. ضياء الحق .

ليس على الموت نأسى إذا انطلق بعبد الله .. « ضياء الحق » إلى عالم الخلود ؛ فلحق بالرفيق الأعلى شهيدا إثر ضربة غدر لا يقدم عليها مؤمن بالله واليوم الآخر .. إنما يقدم عليها من ضاق بحق الإسلام وشريعة القرآن .

فالموت حق ...

إنما نأسى على رجل مَدَّ كلتا يديه للإسلام والمسلمين ، ونال به المسلمون ـ وفى مقدمتهم : مِصْرُ ـ خيراً كثيراً لا ينكره إلا غربى بالنزعة أو أحمر بالْوِجْهَةِ ، أو علمانى بالأجرة ، أو باطنى يكيد للإسلام والمسلمين .

يومان فقط مضيا إثر إعلانه عن « الشريعة الإسلامية » قانونا لبلاده ، وإذا (ضَاء) نجمُ الشريعة (ازْوَرَّ) له الغربى والأحمر والعلمانى والبهائى والباطنى ، وما لهؤلاء وهؤلاء من « أهداف » يخشون عليها الإسلامَ والمسلمين .

عرف ضياء الحق مكانه من الإسلام وحق الإسلام عليه فأدرك واجبه ، واهتدى إلى صراطه ، فقدَّر علماء الإسلام ، وأرسى لباكستان الأرض الطيبة .. قوة العصر ، وعمل على تقوية الأواصر بين المسلمين وجمع كلمتهم ، وأعطى المجاهدين فرد كيد الملحدين ، وحَذِرَ كيدَ إسرائيل وخيب مسعاها فيما تريد من قضاء على قوة بلاده ، وإسرائيل لا تزال تكيد للمسلمين حتى بـ « الدواء » تحشوه حشوا كثيفا بوباء العصر .

والله محيط بكيد الكافرين .

سلام عليك ضياء الحق .

فلقد كنت أملا قريبا أعطى المسلمين .

ولم تكن « أمنية » حُلْمٍ لعاجزين .

لماذا يحلف الله بمخلوقاته ونحن لا نحلف بها!

سورة الفجر ١ ـ ٤ ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾

مقدمة :

من الأمور المتفق عليها أنه لا يجوز الحلف بغير الله أو أسمائه الحسنى ، استبعاداً لشبهة الإشراك بالله تعالى ، أو جعل المحلوف عليه من المخلوقات مساوياً فى القدر والتعظيم لله رب العالمين .

ولكننا نرى المولى سبحانه يحلف بمخلوقاته وهى دونه قدراً ، ولا شركة لها فى ملكه تعالى ، ومن ذلك ماجاء فى هذه السورة من الإقسام بالفجر والليالى العشر ، والشفع والوتر . والليل إذا يسر ، كما حلف بغيرها كما فى قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ وقوله : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ .

والجواب أنه تعالى يحلف بها لتوجيه عباده إلى ما فيها من آيات تدل عليه وترشد إليه ، أو إلى مافيها من النعم ليشكروه عليها ، أو إلى مافيها من مكانة دينية ، ليقدروها ويعرفوا حقوق الله فيها ، أو إلى غير ذلك من المعانى الرفيعة ، ولم يحلف بها لأنها شريكة له فى الألوهية ، فذلك معروف من الدين بالضرورة ، ومعروف بالأقيسة العقلية ، قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ ومن الأمثلة النقلية والعقلية معاً قوله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث والأقيسة العقلية الناطقة بتوحيده جل وعلا .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

التفسير :

١ ـ ٢ ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

المراد بالفجر أول النهار بعد ظلام الليل ، ويسمى الصبح ، قال تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ وسُمِّى فجراً لانفجار الظلمة عن النهار فى كل يوم لا فى يوم معين ، وبهذا قال على وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وابن الزبير وغيرهم ، وهو رأى الجمهور .

وقيل المراد به فجر يوم النحر فحسب ، ولا دليل على ذلك من الكتاب أو السنة ، فآية الله وبرهانه فى فجر كل يوم لا فى فجر يوم النحر دون سواه ، وهذا هو القسم الأول فى هذه السورة .

والقسم الثانى فيها قوله سبحانه : ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ والمراد بها ليالى عشر ذى الحجة ، ابتداءً من أوله حتى ليلة النحر ، وبهذا قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما .

وقد أقسم الله بها لفضلها ، ففيها ليلة الوقوف بعرفة وليلة عيد الأضحى ، ولأن العبادة فيها لها أجر عظيم ، فقد أخرج الإمام أحمد والبخارى عن ابن عباس يرفعه إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « مامن أيام فيهن العمل أحب إلى الله تعالى من أيام العشر .. » إلى آخر الحديث .

ومن العلماء من قال : إنهن ليالى العشر الأخير من رمضان ، وزعم بعضهم الاتفاق عليه ، واستدل أصحاب هذا الرأى بالحديث المتفق على صحته قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل العشر ـ تعنى العشر الأواخر من رمضان ـ شدَّ مِئزَرَهُ وأحيا له وأيقظ أهله » ولأنها ترجى فيها ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر .

وقال آخرون : هن العشر الأوائل من المحرم ، لأن فيها يوم عاشوراء ، وقد ورد فى فضله ما أخرجه الشيَّخان وغيرهما عن ابن عباس قال : « قدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ قالوا : هذا يوم عظيم نجَّى الله ـ تعالى ـ فيه موسى ، وأغرق آل فرعون فيه ، فصامه موسى ـ عليه السلام ـ شكراً ، فقال صلى الله عليه وسلم : نحن أحق بموسى منكم ، فصامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر بصيامه » .

وسِرُّ الخلاف فى تعيين المراد منها ، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يعينه ، وتركه لاجتهاد الأئمة ، حتى يشغلها المسلمون كلها بالعبادة فيعظم ثوابهم .

وتنكير « ليالٍ عشر » للتعظيم والتفخيم .

← لماذا يحلف الله بمخلوقاته

٣ - ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾

هذا هو القسم الثالث فى هذه السورة ، والشفع : الإثنان أو الأربع ونحوهما ، والوتر الفرد ، وقد اختلف العلماء فى بيان المراد منهما اختلافا كثيراً ، قال صاحب الكشاف : قد أكثروا فى الشفع والوتر ، حتى كادوا يستوعبون أجناس مايقعان فيه ، وذلك قليل الطائل جدير بالتناهى عنه ، وكأنه يريد إطلاقهما فى كل شفع ووتر من أى جنس ، فكأنه أقسم بجميع مخلوقاته ، لأنها مابين شفع ووتر ، وذلك أولى من تعيين المراد منهما من غير دليل يعول عليه ، وهذا هو ماقاله مجاهد ، فقد قال : الخَلْق كله شفع ووتر فأقسم سبحانه بخلقه ، وروى عنه رأى آخر حيث قال : الله تعالى هو الوتر ، وخلقه سبحانه الشفع - الذكر والأنثى - .

٤ - ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾

هذا هو القسم الرابع فى السورة ، ومعناه وحق الليل حين يسرى ويمضى ، وهو كقوله تعالى فى سورة المدثر ﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ وكقوله فى سورة التكوير ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ أى إذا أدبر - كما قاله الفراء ، والإقسام بالليل حين يولى ويذهب ، لما فيه من الدلالة الواضحة على قدرة الله - تعالى - حيث رفع عن أهل الأرض ظلمته ليحل محله النهار ، وهذا القسم مقابل للقسم الأول ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ فهو يأتى بعد إدبار الليل ليسعوا فى ضوء نهاره على أرزاقهم بعد أن استراحوا فى ظلمة الليل ، فما أعظم دلالة هاتين على قدرة الله - تعالى - وحكمته وحرصه على مصالح عباده ، ولو أبقى الليل أو النهار سرمدا إلى يوم القيامة لكان ذلك فى غير مصلحتهم ، ولهذا امْتنَّ الله على عباده بمتابعة كل منهما لصاحبه ، فقال تعالى فى سورة القصص : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ولفظ « يسر » أصله يسرى بالياء ، فحذفت الياء وصلا ووقفا عند الجمهور من غير جازم ، تخفيفاً لِلَّفظ ، واستغناء عنها بكسر الراء ، وليتفق مع رءوس الآى .

٥ - ﴿ هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾

الحِجْرُ بمعنى العقل ، وهو مثلث الحاء لغة ، وأصله لغة بمعنى المنع ، وأطلق على العَقْل لأنه يمنع صاحبه من المكاره والمضار ، ويقال لِمَنْ ملك نفسه ومَنَعها من الدنايا : إنه لذو حجر ، وقال الفراء : العرب تقول : إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطا لها ، والاستفهام فى لفظ (هل) يراد منه التقرير ، كما تقول بعد ذكر دليل واضح على مُدَّعاك : هل دلَّ ذلك على ماقلناه ؟ والمقصود منه فى الآية الكريمة تحقيق وتقرير فخامة القسم بهذه الأشياء التى أقسم بها ، وكونها مستحقة للتعظيم بالإقسام بها ، وأن المحلوف عليه أمر خطير وجدير بأن يحلف بها على أنه حق لاشك فيه ، وهذا المحلوف عليه مقدر ، أى لينزلن بكم العقاب ياأهل مكة لإشراككم بربكم ، وهذا المقدر هو جواب الإقسام بهذه الأشياء ، مأخوذ مما جاء بعد القسم من عقاب عاد وثمود وسواهم لشركهم وكفرهم

والمعنى الإجمالى لما تقدم : وحق الفجر والليالى العشر والشفع والوتر من مخلوقاته ، والليل إذا يسرى لتعاقبُنَّ ياأهل مكة على كفركم وشرككم ، إن ذلك القسم العظيم لذى عقل فالمحلوف عليه كذلك : وقال أبو حيان : الذى يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ماقبله من آخر سورة الغاشية ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ وتقديره : لإيابهم إلينا وحسابهم علينا ـ وهذا رأى جيد ، فإن الإقسام بهذه الأشياء العظيمة جاء عقب سورة الغاشية التى مضت قبله .

٦ ـ ٨ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ ﴾

عادٌ هؤلاء هم قوم هود الذى أرسله إليهم وكانوا مشركين ، وقد أطلق عليهم هذا الاسم لأن عاداً جدهم ، وإطلاق اسم الجد على ذريته أمر مألوف ، وهو شائع حتى ألحقه بعضهم بالحقيقة .

وقد ذكر الله فى هذه الآيات أنهم عاد إرم ، ولكنه فى آيات أخرى أطلق عليهم عادا الأولى ، كما فى قوله تعالى فى سورة النجم : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ فهل هما عادان ، إحداهما عاد إرم كما فى هذه الآيات ، أم هما عاد واحدة يطلق عليها الاسمان . عادٌ الأولى وعاد إرم ذات العماد .

وجمهور المفسرين على أنهم عاد واحدة أطلق عليها الاسمان ، وهم قوم هود كما تقدم ، ووصفهم بالأولى لأنهم أول الأمم هلاكا بعد قوم نوح ـ عليه السلام ـ وإطلاق لفظ إرم عليهم لأنه لقب جدهم .

قال عماد الدين بن كثير : كل ما ورد فى القرآن من خبر عاد فالمراد بعاد فيه عاد الأولى .. إلخ . وقيل إن إرم اسم جدتهم أو بلدتهم ، ولذا أنث وصفه بقوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ .

وقال قوم : هما عادان . الأولى قوم هود ، ويقال لهم : عاد إرم أيضاً ، وأما عاد الأخرى فهى قبيلة كانت بمكة مع العماليق ، وبه قال الطبرى ، وقال المبرد : هى ثمود ، وقد وصف الله عادا فى هذه السورة بأنها ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ ﴾ وفسر بعضهم هذا بأنهم طوال القامة ، وأنه تعالى لم يخلق مثلهم طولاً وقوة فى البلاد ، وذلك بتشبيه قاماتهم بالأعمدة ، أى ذات الأجسام الطويلة القامة إلى حد لا يوجد مثله فى البلاد ، ونسب هذا القول إلى ابن عباس ومجاهد ، وقد بالغ بعض المفسرين فى تقدير طولهم فقال : إن طول الواحد منهم كان أربعمائة ذراع ، وهذا الكلام لم يرد عن المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا يعقل أن يصل طول أحدهم إلى ذلك ، وهو من أباطيل القصاصين الذين لم يشهدوا خلقهم حتى يقولوا ذلك الهذيان .

إن الإنسان القديم لم يزد طوله عن الأجسام العادية ، كما دلت على ذلك أجساد الموتى التى مر عليها آلاف السنين ، وهى مقبورة تحت الأرض ، وليس تفسير النص بأنهم طوال الأجسام أمراً ضرورياً ، ولذا فسره بعض المفسرين بغير ذلك ، فقد روى عن قتادة أنها ذات الخيام والأعمدة ، وكانوا سيارة فى الربيع ، فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم ، إلى غير ذلك مما ذكروه ، وكلها غير

← لماذا يحلف الله بمخلوقاته

مناسب لقوله تعالى : ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ ، فهذا يدل على أنهم كانوا أهل حضارة عالية ، ويقتضى أن يكون لفظ (إرم) اسماً لأرضهم التى بنوا فيها منازلهم ، وأنشئوا فيها مدنهم وبلادهم ، ويكون تقدير الآية مع ماقبلها : ألم تر أيها الرسول . كيف فعل ربك بعاد ، سكان إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد .

ولابد أن تكون أرضهم وبلادهم فى شبه الجزيرة العربية ، لأنه تعالى - كان يُنْذِرُ قريشا بأن ينتقم منهم كما انتقم من عاد إن استمروا على كفرهم ، فلابد من أن تكون عاد بحيث تعرفها قريش عيانا ، ويدل على ذلك صراحة قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ وهذه الأحقاف أرض بين عمان وحضرموت ، بنوا فيها مدنهم ومساكنهم ، كما يدل على ذلك قوله تعالى فى قريش : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ : أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فالله ينذرهم بحقيقة يعلمونها مشاهدة ، لأنها فى شبه الجزيرة العربية .

ومن أصرح الأدلة على ذلك قوله تعالى فى سورة طه : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ وهذا هو رأى جمهور المفسرين ، قال الألوسى : تعليقاً على قوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ قال - والأكثرون على أنها - أى إرم - مدينة عظيمة فى أرض اليمن ، والوصفان لها ، والمراد بالوصفين ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ إلخ .

وجاء فى القرطبى تعليقاً على ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ أى ذات الأبنية المرفوعة على الأعمدة ، وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور ، قال ابن زيد « ذات العماد » يعنى إحكام البنيان بالعمد ، وفى الصحاح : والعماد الأبنية الرفيعة تذكر وتؤنث ، ثم قال : والواحدة عمادة : اهـ . وجاء فى وصفها ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ فى العمران والحضارة ، فقد كانت لهم قصور مرفوعة حسنة الشكل ، يحيط بها البساتين وغير ذلك من أنواع الجمال والعظمة التى لم يخلق مثلها فى سائر بلاد الدنيا .

ووصفها بهذه الصفة جعل محمد بن كعب يقول : إنها الأسكندرية ، فهى التى لا يوجد مثلها فى الدنيا ، وجعل ابن المسيب والمقبرى يقولان إنها دمشق ، وهو اختيار ابن العربى ، قال القرطبى نقلاً عنه : ليس فى البلاد مثل دمشق ، ثم أخذ ينعتها بكثرة مياهها وخيراتها ، ثم قال : وإن فى الأسكندرية لعجائب ، لو لم يكن إلا المنار لكفى ، وهى مبنية الظاهر والباطن على العمد ، ولكن لها أمثال ، فأما دمشق فلا مثل لها - كذا قال .

والقائلون بذلك غفلوا عن النصوص القرآنية التى تقتضى أن مقر عاد فى شبه الجزيرة العربية ، وأن قريشا يمشون فى مساكنهم .

٩ - ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾

وصف الله ثمود فى هذه الآية بأنهم جابوا الصخر بالوادى ، ومعنى جابوا قطعوا ، من

الجوب وهو القطع ، أى قطعوا الصخر وفصلوه من الجبال المجاورة لواديهم الذى يعيشون فيه ، ليبنوا به قصوراً وعمائر فى واديهم ، وكان يدعى : وادى القرى ـ كما قاله محمد بن إسحاق ، ومساكنهم كانت بالحِجْر من هذا الوادى ـ بين الحجاز والشام ـ كما حكاه ابن كثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) وكانوا أهل حضارة وعمارة وثراء ولم يكونوا كالأعراب الذين يرتحلون لطلب الكلأ ـ أى العشب ـ وفى حضارتهم يقول الله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴾ أى ماهرين فى صناعة نحت الجبال وبناء بيوتهم بصخرها ، وقيل فى معنى الآية : إنهم كانوا ينحتون الحجارة ليتخذوا فى الجبال بيوتا ، وقيل : إنهم قطعوا الصخر وشقوه ، وجعلوه واديا ومسيلا لمائهم ، وماقلناه أولا هو ظاهر النص .

١٠ ـ ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ ﴾

الأوتاد جمع وتِد بكسر التاء ، وهو مايدق فى الأرض من خشب أو حديد لتربط فيه الخيمة ، والمراد بأوتاد فرعون جنوده الكثيرون الذين كانوا يثبتون ملكه كما تثبت الأوتاد الخيمة ، وقيل : لأنه كان يدق للمعذب أربعة أوتاد ويشده بها مبطوحاً على الأرض ، فيعذبه بما يريد من ضرب أو إحراق أو غيرهما .

وفرعون هو ملك مصر فى العهد القديم ، والمراد منه هنا فرعون الذى أرسل له موسى وهارون عليهما السلام ، وقد أغرقه الله وجنوده لشركهم .

والمعنى الأول لذى الأوتاد أكثر ملاءمة لمقام الإنذار لقريش ، فهو يفيد أنه مع كثرة جنوده وقوته انتقم الله منه لكفره ولم يستعص عليه ، فكيف تفلتون أيها الضعفاء من انتقام الله منكم لشرككم .

١١ ـ ١٣ ـ ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾

فى هذه الآيات الثلاث وصف الله هذه الأمم السابقة ، بأنهم طغوا فى البلاد ؛ فأكثروا فيها الفساد ، فعاقبهم الله عقابا مستأصلاً لهم .

فأما طغيان هذه الأمم وإفسادها ، ففى مجاوزتهم الحد فى الإساءة إلى قومهم أو إلى غيرهم من الأمم ، فضلا عن تكذيبهم لرسلهم وكفرهم بربهم .

فعاد كذبت نبيها هودا ـ عليه السلام ـ وأصروا على الكفر إلا نفرا قليلاً منهم ، فأهلكهم الله تعالى بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما ـ أى متتابعة أو قاطعة لهم ، من الحسم بمعنى القطع ، فلم تبق منهم أحداً ، وقد جاء فى سورة القمر : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ . تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ والريح الصرصر الباردة ، أو الشديدة الصوت لسرعتها وشدتها .

وكان هذا اليوم الذى بدأت فيه هذه العقوبة يوم نحس وشؤم عليهم ، وقد استمر

لماذا يحلف الله بمخلوقاته

هذا اليوم بنحسه عليهم المدة السابقة ، حتى قطع دابرهم فلم يبق منهم أحدا ، فقد كانت هذه الريح لشدتها تنزعهم من شوارعهم ، أو من الشعاب أو الحفر فتصرعهم فيموتون فورا . وكانوا لطولهم كأنهم أصول نخل منقعر ، أى منقلع من مغارسه ساقط على الأرض .

وثمود مثلهم فى الطغيان والإفساد والكفر ، فبعث الله إليهم رسولاً منهم هو صالح - عليه السلام - فقالوا له ﴿ يَاصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ وقال له سيدهم ورئيسهم : أخرج من هذه الصخرة ناقة عشر ، فإن فعلت ذلك صدقناك ، فأخذ عليهم المواثيق بذلك ، وأتى الصخرة وصلى ودعا الله ربه - عز وجل - فتمخضت كما تتمخض الحامل ، وخرج منها ناقة كالتى طلبوها وهم ينظرون ، ثم ولدت مثلها فى العظم ، فآمن به بعضهم وبقى آخرون على كفرهم ، وأمرهم أن يتركوا لها الماء يوماً لا يشربون منه ، ويحلبون لبنها فى هذا اليوم كما يشاءون ، فإذا كان اليوم التالى يكون الماء لهم فلا تشرب منه ، وكانوا يتزودون فى يومهم هذا من الماء ليشربوا منه ويغتسلوا فى يوم الناقة وقد حذرهم نبيهم صالح من قتلها حتى لا يهلكوا ، فقتلها بعضهم يُدْعى قُدار بن سالف بتحريض منهم ، لأنها تحرمهم من الماء فى يومها ، فهرب فصيلها إلى الجبل ولم يدركوه ، فتوعدهم نبيهم صالح بالإهلاك بعد ثلاثة أيام ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ فلما جاء اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء كصوت الصاعقة ، فوقفت قلوبهم عن الحركة ، وأصبحوا فى ديارهم جاثمين هلكى ، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه ، قال تعالى فى سورة هود : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ﴾ وانتقل صالح إلى فلسطين ثم إلى مكة فأقام بها حتى مات ، وقيل إنه انتقل إلى حضرموت فمات ودفن بها ، والله أعلم .

ولما سار النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة تبوك مرَّ بقريتهم ، فقال لأصحابه : لا يدخل أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ، وأراهم مرتقى الفصيل فى الجبل ، وأراهم الفج الذى كانت الناقة تشرب منه - انظر الكامل لابن الأثير .

وفرعون وقومه مثلهم فى الطغيان والإفساد بل أكثر ، حتى ادعى فرعون أنه إلههم ، قال تعالى حكاية لكلامه لقومه : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى ﴾ وقال : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ .

وقد أرسل الله إليهم موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - ليدعواهم إلى عبادة الله تعالى وترك ظلم العباد ، قال ابن عباس - رضى الله عنهما - وغيره إن الله تعالى لمَّا قبض يوسف - عليه السلام - وهلك المَلِك الذى كان معه ، وتوارثت الفراعنة ملك مصر ، ونشر الله بنى إسرائيل ، لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة حتى جاء فرعون موسى - وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا - وكان سيِّىء المعاملة لبنى إسرائيل ، حيث جعلهم خَوَلًا - أى خدما - وكان يسومهم سوء

العذاب ويقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم ، لأن كهانه أخبروه أنه سيخرج من بينهم رجل يكون هلاكه على يديه[1] فأمر بأن يقتل كل طفل ذكر ، فلما بلغ موسى الأشد أعطاه الله الرسالة ومعه أخاه هارون ، وأوحى الله إليهما أن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ففعلا ، وأراه موسى ـ عليه السلام ـ معجزة العصا فكذبه فرعون وزعم أنه ساحر عليم ، فدعا السحرة لميقات يوم معلوم فأبطلت العصا سحرهم فآمنوا به ، فاشتد مع قومه فى الطغيان عليهم ، فسلط الله عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع ، والدم ، فضجوا إلى موسى أن يدفع عنهم هذه الكوارث ، ووعدوه الإيمان فى كل مرة ، وكانوا إذا كشف الضر عنهم ظلوا على كفرهم وطغيانهم ولم يُفوا بمواعيدهم .

فلما طال الأمر على موسى أمره الله أن يسير ببنى إسرائيل فخرج بهم ليلا والقبط لا يعلمون ، وكانوا وقتئذ ستمائة ألف وعشرين ألفا ، فلما علم فرعون بهجرتهم خرج بجيشه ليردوهم ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ وخافوا أن يقتلهم فرعون وجيشه ، فطمأنهم موسى ـ عليه السلام ـ قائلًا : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ وضرب البحر بعصاه فانشق فيه اثنا عشر طريقا بعدد أسباطهم ، فلما دنا فرعون وجيشه من البحر وأبصروا الطرق التى حدثت فيه قال لأصحابه اقتحموا خلفهم فلم يدركوهم لأنهم قد عبروا جميعا إلى الشاطىء الشرقى فكانوا ينظرون هلاكهم وهم فرحون[2]

فأنت ترى أن الله تعالى أهلك عادا وثمود وفرعون وجيشه ، ووصف إهلاكهم بقوله ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ وقد أكثر المفسرون فى تفسير هذه الآية ، ومن ذلك ماقاله الفراء : هى كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب .

ونحن نقول : إن معنى الآية : فانتقم الله من هذه الأمم المشركة انتقاماً متتابعاً مستأصلاً هو سوط العذاب وأداته عند الله تعالى ، وليس كسياط الناس وأدواتهم التى ينتقمون بها ، وقد أطلق فيها الصب على متابعة الانتقام بكثرة هائلة ، وأطلق سوط العذاب على هذا الانتقام على سبيل المجاز .

١٤ ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

هذه الآية تعليل لما قبلها من التعذيب ، وإيذان بأن كفار قريش سيصيبهم من العذاب ما أصاب أضرابهم المذكورين إن استمروا على شركهم ، والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصدون ويترقبون ، وفى الآية استعارة تمثيلية لحفظ الله أعمال العصاة وإحصائها لينتقم منهم ، لأنه تعالى ليس له مكان مطلقا ، سواء أكان مرصاداً أم غيره ، وفسرها ابن عباس بأن الله تعالى يسمع ويرى ، والله أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

(١) لعل كهانه قالوا له ذلك تأويلا لرؤياه ، فإنهم لا يعلمون الغيب الذى انفرد به الله ومن اجتبى من رسول .

(٢) خلاصة ما جاء فى الكامل لابن الأثير .

آيات موسى التسع

قال تعالى :
﴿ وَلَقد آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلْ بَنِى إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً ﴾ « الإسراء ١٠١ » وأكد الله سبحانه وتعالى على آيات موسى عليه السلام ـ التسع ، مرة أخرى فقال تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّى لاَ يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ . « النمل ١٠ ، ١١ ، ١٢ » .

وقد كثرت آيات موسى عليه السلام التى أيده الله بها ليصدقه قومه بما جاءهم به من الله ، فقد كان القوم أشد الأقوام عنادا وكبرا وصلفا وغرورا . واختلفت الآيات التى أيد الله بها موسى عليه السلام وتنوعت .

وآيات موسى التى أيده الله بها ، وذكرها القرآن الكريم منها : العصا واليد ، جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى . قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى . وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى . لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ « طه ١٧ ـ ٢٢ » .

ومنها : إنفلاق البحر لقوله تعالى :
﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ « الشعراء ٦٣ ـ ٦٧ » .

ومن آيات موسى : الطوفان والجراد والقمل

بقلم: حلمى الخولى

والضفادع والدم ، قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ « الأعراف ١٣٣ » .

ومنها : خروج الماء من الحجر : لقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ « البقرة ٦٠ » ..

ومنها : الصاعقة والبعث لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ « البقرة ٥٥ » .

ومنها : الغمام والمن والسلوى قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ « البقرة ٥٧ » .

ومن آيات موسى : الرجز ـ الطاعون ـ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ . فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ « البقرة ٥٨ ، ٥٩ » .

ومن آيات موسى : رفع الجبل . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ « الأعراف ١٧١ » .

ومنها : الأخذ بالسنين ونقص الثمرات لقوله تعاله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ « الأعراف ١٣٠ » .

ومنها : إحياء القتيل لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ . فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ « البقرة ٧٢ ـ ٧٣ » .

وغير ذلك من الآيات التى أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام .

ولكن ما الآيات التسع التى ذكرها الله بنص القرآن الكريم فقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ثم أكد ذلك مرة أخرى بقوله تعالى : ﴿ ...... فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ ؟ !

جاء فى تفسير ابن كثير عن آيات موسى التسع أنها : « العصا واليد والسنين والبحر

آيات موسى التسع

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . قاله ابن عباس[1] » .

وقال ابن عباس - أيضاً - ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة : هى يده ، وعصاه ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم [2] » . « وجعل الحسن البصرى السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هى تلقف العصا ما يأفكون » [3] أى أن البصرى يقول عن آيات موسى التسع إنها : اليد ، والعصا ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان والجراد والقمل ، والضفادع ، والدم وتلقف العصا ما يأفكون .

وجاء فى « ظلال القرآن عنها : « والآيات التسع المشار إليها هنا هى : اليد البيضاء ، والعصا ، وما أخذ الله به فرعون وقومه من السنين ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم [4] » .

وأكدت « الظلال » على ذلك مرة أخرى قال : « وألق عصاك .. فقد ألقى عصاه . فإذا هى تدب وتسعى وتتحرك حركة سريعة كحركة ذلك النوع السريع من الحيات .. - الجان - وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء .. وكان هذا وأدخل موسى يده فى فتحة ثوبه - وهى جيبه - فخرجت بيضاء مشرقة لاعن مرض ، ولكن عن معجزة ، ووعد ربه أن يؤيده بتسع آيات من هذا النوع الذى شاهد منه اثنتين .. ولم يعدد هنا بقية هذه الآيات التسع التى كشف عنها فى سورة الأعراف ، وهى سنون الجدب ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم » .

وجاء فى تفسير النسفى عنها قول ابن عباس رضى الله عنهما : « هى العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والحَجَر ، والبحر ، والطور الذى نتَقَهُ على بنى إسرائيل » ويقصد بالحَجَر - انفجار الماء منه - والبحر - انفلاق البحر - .

« وعن الحسن - فى تفسير النسفى أيضاً - : الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور[5] أى أن آيات موسى التسع كما قال الحسن : هى العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والطوفان ، والسنون ، ونقص الثمرات .

وجاء فى تفسير النسفى صفوة التفاسير للصابونى حول آيات موسى التسع : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات .. أى والله لقد أعطينا موسى تسع آيات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهى : العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وانفلاق

---

(١) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير حـ ٣ ص ٦٦ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) فى ظلال القرآن . سيد قطب حـ ٤ ص ٢٢٥٢ .
(٥) تفسير النسفى ٢/٣٢٩ .

البحر ، والسنن »[٦] .

وعند الأستاذ نوفل أنها : العصا ، ولها آيات ثلاث : صيرورتها ثعباناً ابتلع حبال السحرة وعصيهم ، وانفلاق البحر بضربة منها ، وبضربة أخرى للحجر انفجر منه الماء .

والرابعة : رفع الجبل فوق قومه ، والخامسة : نزول الجدب والبلاء بقوم فرعون ، والسادسة : الطوفان ، والسابعة : تكمن فى الجراد الذي عصف بزرعهم ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

والثامنة : يده - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - أدخلها في جيبه وأخرجها شديدة البياض بلا سوء ولا مرض ، والتاسعة : وهى أسبقها فى الترتيب - كلام الله - سبحانه - له[٧] .

من هذا العرض نستبين أن جملة ما دار حوله أهل التفسير - لهذه الآيات - إنما هو العصا واليد والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتلقف العصا ما يأفكون ، وانفلاق البحر بضربها ، وكذلك الحجر عن الماء ، والجبل ، وكلام الله - سبحانه - لموسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وهذه أربع عشرة آية .

فما آيات موسى التسع منها ؟

إننا سنعتمد - فى بيانها - على القرآن الكريم وحده ؛ ليكون ما نراه قولاً فصلاً بإذن الله وهدايته ، والحل - فى ذلك عندى - يكمن فى كلمة (آية أو آيات) فما ذكر من هذه المعجزات مشفوعاً في الكتاب العزيز بكلمة (آية) أو (آيات)عددناه منها ، وفي بيان ذلك نقول :

- الآية الأولى والثانية : العصا واليد . قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى . قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى . وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ « طه ١٧ - ٢٢ » .

وقد كان لفظ القرآن صريحاً وواضح الدلالة على أن العصا واليد آيتان لقوله تعالى : ﴿ آيَةً أُخْرَى ﴾ أى أن يدك آية ثانية تضاف إلى الآية الأولى وهي العصا . وقال القوصى : فى تفسير ﴿ آيَةً أُخْرَى ﴾ معجزة أخرى تضاف إلى « العصا »[٨] . وقال النسفى فى تفسيرها : « أى خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى »[٩] .

- أما الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فنجدها مجملة فى قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ

---

(٦) محمد على الصابونى - صفوة التفاسير ١٧٨/٧ .

(٧) باختصار عنه راجع للأستاذ عبد الرزاق نوفل : آيات فى آيات ، الصفحات ٤٦ - ٥١ .

(٨) تفسير القوصى ص ٤٠٧ .

(٩) النسفى ٣ / ٥١ .

آيات موسى التسع

وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ « سورة الأعراف الآية ١٣٣ » والنص القرآنى هنا واضح الدلالة والقطع على أن كل واحدة من الخمس آية بدليل قوله تعالى : ﴿ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ أى أن الطوفان آية ، والجراد آية ، والقمل آية ، والضفادع آية ، والدم آية . وقوله تعالى ﴿ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ أى « ظاهرات لا يشكل على أى عاقل أنها من عند الله إذ لا يقدر عليها غيره »(١٠) .

ــ أما الثامنة فهى : الأخذ بالسنين ونقص الثمرات وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ . فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ « الأعراف ١٣٠ ـ ١٣٢ » والرأى عندى أن الأخذ بالسنين ـ جمع سنة ـ معناه الجدب والقحط ـ وهذا يعنى نقص الثمرات وذلك آية واحدة وليس آيتين من آيات موسى التسع ، كما قال بذلك بعض المفسرين ، لأن الجدب والقحط ينتج عنه ـ منطقياً ـ نقص فى الثمار ونتاج الأرض عامة .

ــ أما التاسعة : فنجدها في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ « الشعراء ٦٣ ـ ٦٧ » .

نص الكتاب العزيز ـ كما نرى ـ على أن انفلاق البحر (آية) .

وفى ضوء نص القرآن العظيم قدمنا استنتاجنا ، فإن يكن صواباً فهو من الله الكريم ، وأن يكن ثم خطأ فإنه ـ سبحانه ـ لن يحرمنى الأجر فإنه ذو الفضل العظيم .

حلمى الخولى

---

(١٠) القوصى ص ٢١٢ .

لا طِيَرَةَ ولا صفر

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى

روى البخارى بسنده قال : حدثنا محمد بن الحكم حدثنا النضر أخبرنا إسرائيل أخبرنا أبو حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : لا عدوى ، ولا طِيَرَةَ ، ولا هامة ، ولا صفر .

الطِّيَرَةُ : التشاؤم وأصل هذه العادة جاهلى ، إذ كان أهل الجاهلية يُعْنَوْن فى مسيرة معاشهم على توجه الطير ، بمعنى إذا أراد أحدهم أن يخرج لأمر أخذ طيرا وأرسله فإن طار يمنة تيمن به وسر واستبشر وأقدم على عزمه وإن رآه طار يسرة تشاءم ورجع . وآية الجهل عقلا فى هذا السلوك أن الطير لا يعقل حركته ولا يدرك وجهته ففعلته ليست مصدرا من مصادر طلب المعرفة،وطلب العلم إذن من غير مظانه جهل من فاعله .

ولم تكن العقلية الجاهلية كلها على هذا المستوى من الجهل ، بل ندر فيهم عقلاء رفضوا التطير كما رفضوا الأصنام والأوثان وقد سجل الشعر الجاهلى هذا الموقف فى قول القائل :

الزجر والطير والكهان كلهم
مضللون ودون الغيب أقفال

فلما جاء الإسلام نهى المسلمين عن التمسك بهذه العادة لأن المقاليد بيد الله ، وثقة المسلمين فى ربهم تدفعهم للتفاؤل لا إلى التشاؤم ، ففى الحديث الذى رواه البخارى أيضاً يقول النبى ﷺ : لا طيرة وخيرها الفال ، قالوا وما الفال يارسول الله ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم .

فالإسلام يريد أن يبنى شخصية سوية لها قدرة على اختيار بدائل العمل الإرادى حسب الدوافع الشريفة والغايات النبيلة ولها قدرة

← لا طيــــرة ولا صفـــر

أيضاً على تحمل القضاء والقدر ، فهما فعل الله الذى لا يسأل عما يفعل ، وفعله لا يخرج عن حكمة ، وصدق الله العلى العظيم ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ .

لاهامة : تقرأ بتشديد الميم وتخفيفها والخلاف فى المعنى أن الذى شدد الميم قصد الهوام ذوات السموم أو الهوام التى تؤذى الناس .

والذى خفف الميم قصد الأسطورة التى ابتدعتها الجاهلية وهى : أن العرب فى جاهليتهم كانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل ولم يؤخذ له بالثأر خرجت من رأسه هامة وهى دودة تدور حول قبره وهى تقول : (اسقونى ، اسقونى) فإن أخذ بثأر صاحبها ذهبت وإن لم يؤخذ بثأره ظلت تدور وتقول : اسقونى ، اسقونى .

واليهود يشتركون فى جاهلية العرب فى هذه الأسطورة إذ يعتقدون أن هذه الهامة تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب بعدها .

وقد ذكر الشارحون لمعنى الهامة تفسيرات أخرى منها : أن الهامة طير الليل كأنه البومة مثلا وهى طائر يتشاءم منه إذا وقعت البومة على بيت أحدهم ويعتقد أنها نعت إليه نفسه أو أحداً من أهله .

وبعضهم فسر الهامة بأنها عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمى ذلك الطائر (الصرى) فالنفى على أية حال واقع عدم صحة الأسطورة وأنه لا أساس لها من العلم ولا العقل ولا الاعتقاد الصحيح وأنها أوهام جاهلية لا يصح التمسك بها بعد أن جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

وهذا النفى ملحوظ فيه معنى النهى فالنفى منصب على عدم وجود حقيقة لهذه الأساطير والنهى منصب على تكليف العقلية المسلمة بأن تترك هذا المسلك الجاهلى .

لاصفر : عندما هبطت أرض الملايو عام ١٩٧٠ فاجأتنى ظاهرة الاستحمام فى النهر فى أول شهر صفر وقيل لى إن الاستحمام فى النهر فى شهر صفر يمنع النحس طوال العام فكان هذا المعنى إضافيا بالنسبة لما جاء فى كتب أهل الحديث من معنى الصفر ، فقد قال العلماء : الصفر بفتح الصاد والفاء داء يأخذ البطن ، وشرح العلماء هذا الداء بأنه حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس قالوا : وهى أعدى من الجرب عند العرب قديما .

وقال بعض العلماء الصفر هو الحية ويكون النفى منصبا على عدم صحة وجود هذه الخرافة والنهى عن الاعتقاد فيها

وربط بعض العلماء بين لاصفر والنسىء فقد قال الطبرى : وقيل فى الصفر قول آخر وهو أن المراد به شهر صفر ، وذلك أن العرب كانت تحرم صفر وتستحل المحرم فجاء الإسلام وألغى النسىء وأبطل فعل الجاهلية ورد الشهور إلى أوائلها فلذلك قال النبى ﷺ لا صفر .

وهكذا يواجه الإسلام العادات والتقاليد التى لا تتفق مع العقيدة والقيم الإسلامية التى تؤمن بوجوب حركة الإنسان وسعيه فى الحياة واعتماده على الله فى الوصول إلى غاياته العليا وحياته الفاضلة ، فإن الإيمان بالله

وقدره خيره وشره يحرس الوجدان المسلم والعقلية المسلمة من أن يتسرب إليها وهم الشيطان ووسوسته ونزغاته وقد حددت السنة فى حوارها مع الأعراب هذا المعنى بصورة واضحة .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

لا عدوى ولا صفر ، ولا هامة . فقال أعرابى : يارسول الله فما بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء فيأتى البعير الأجرب فيدخل بيتها فيجربها ؟ فقال : فمن أعدى الأول .

والرسول ﷺ يريد بهذا أن يربى شخصية سوية بعيدة عن الوهم والكهانة والتواكل والدعة وأحلام اليقظة وإنا لنقدم هذه الصورة إلى غلاة المستشرقين وتلاميذهم فى الشرق الإسلامى الذين يرمون الإسلام والمسلمين بتهمة التواكل لإيمانهم بالقضاء والقدر ويربطون بين تخلف المسلمين المعاصر وعقيدتهم التى لم يفهمها بعد أهل الفكر الغربى بشقيه الأساتذة المستشرقين وتلاميذهم المستغربين .

فإن الإسلام يحاول أن يقلع من خلايا عقل المسلم وسويداء شعوره فكرة الأسطورة وأحلام اليقظة والركون إلى أوهام الكهان وخزعبلات التقاليد الجاهلية والعادات المذمومة ، كما يحاول الإسلام أن يقدم للبشرية شخصية سوية تؤدى واجبها بإرادتها وسعيها مع توكل على الله ، لأنه جل جلاله صاحب الملك والملكوت ولا يقع فى ملكه إلا ما أراده ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

لا عدوى : الكل يؤمن أن الوقاية خير من العلاج فذلك أمر فطرى وقد حرص الإسلام على توسيع فكرة الوقاية خير من العلاج فى قول النبى ﷺ : « لا توردوا الممرض على المصح » ويقول ﷺ : « وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » . وقد أدرج سيدنا عمر رضى الله عنه هذا الحرص من الإسلام فقال قولته الشهيرة : نفر من قضاء الله إلى قضاء الله .

غير أن العدوى أخذت شوطا كبيرا فى معامل كليات الطب ومراكز الأبحاث الطبية فهى موجودة بالفعل وتعانى وزارات الصحة من تطعيم الناس للوقاية من الإصابة بالأمراض المعدية فالوقاية من الأمراض المعدية داخل فى الأسلوب الإسلامى الوقاية خير من العلاج وفر من المجذوم ولا تورد ممرض على مصح فكيف يتوجه اللفظ النبوى (لا عدوى) .

وقد تحدث العلماء حول هذا الموضوع أحاديث جمة فقالوا : لا عدوى تؤثر بذاتها دائما بفعل الله أو لا عدوى لصاحب المناعة أو لا عدوى مطلقا فالمرض ينشأ عند كل فرد ابتداء يدل عليه أن العدوى لو كانت بذات فاعليته لما انتهت واستمرت ومرض الجميع وما كان هناك برء من داء .

وقيل لا عدوى فى بعض الأمراض وبعضها فيه عدوى كالجذام والجرب للملامسة والمخالطة والحق أن هذا الموضوع يحتاج إلى دقة فى التصور الإسلامى لموضوع الأسباب هل هى مؤثرة بذاتها أو بغيرها ؟ والذى

لا طيـــرة ولا صفـــر

يستطلع آيات القرآن الكريم يتأكد أن السبب ليس مؤثرا بذاته .

فهناك سبب ناقص وقد أنتج مثل دعاء سيدنا زكريا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا . وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ .

فكان الجواب ، ﴿ يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا . قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ ، ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

فرزقه الله ولدا على غير أمل لضعف السبب المباشر لكن بقدرة الله وحده نتج عن السبب الضعيف ما أراده الله استجابة لدعاء سيدنا زكريا عليه السلام .

وهناك سبب كامل ولم ينتج مثل : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾ فهل أحرقته النار ؟ المعروف أن سيدنا إبراهيم لم تحرقه النار لأن الله قال لها ﴿ يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

لقد نجاه الله تعالى من النار مع أن السبب كامل ولم يؤثر لأن الله جل جلاله عطل السبب عن وظيفته وهو جل جلاله بديع السموات والأرض .

من خلال هذا التصور على المسلم أن يدرك معنى « لا عدوى » يعنى ليس هناك (ميكروب) يؤثر بذاته وإنما هى مقادير الله سبحانه وتعالى ومع هذا فالمسلم الذى يؤمن بهذه الحقيقة مطالب :

١ ـ بالوضوء والأفضل أن يكون لكل صلاة .

٢ ـ والاغتسال سنة وفرضا .

٣ ـ وتنظيف الأطراف التى ابتلى الله بها سيدنا إبراهيم وجعلها سنة فى البشرية من بعده .

٤ ـ واتخاذ الزينة الطيبة عند كل مسجد .

٥ ـ ولبس الجديد عند كل عيد .

٦ ـ ولبس الثياب النظيف الأبيض كل يوم جمعة .

فأسباب الوقاية من الأوبئة مرعية على مستوى الوجوب والسنة ولو أن المسلمين أخذوا بتوجيهات الإسلام وحافظوا على قيمه لما حل بهم ما هم عليه الآن من التخلف والضعف والهوان .

فلا ينبغى عقلا وفهما أن يقاس الإسلام بحال المتخلفين لأنهم انتسبوا إلى دين راق ولم يأخذوا بقيمه الرفيعة . وتعاليمه السامية .

أسأل الله تعالى أن يفقهنا فى دينه وأن يحفظنا بالاستعانة على شرعه وأن يهدينا سواء السبيل .

والله أعلم

(أ . د/ رءوف شلبى)
وكيل الأزهر

تطوير الكفاءة القتالية

لجيش الإسلام في عصر النبوة

وآثاره الاستراتيجية

لواء أ. ح
محمد جمال الدين محفوظ

الإسلام والتطوير :

● من أهم ما يتعين على الأمة الإسلامية أن تتدبره فى هذا العصر الذى تتطور فيه أسلحة الحرب وأساليب القتال تطورا مذهلا تقطع الأنفاس ملاحقته ، هو توجيهات الإسلام فى مجال تطوير القوة .

ففى هذه التوجيهات أقوى الحوافز التى تدفع الأمة بكل قواها نحو طىّ مسافة التخلف واللحاق بمقتضيات هذا العصر ، وكل عصر .

● والحق أن القرآن الكريم لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم إلى شىء بعد التوحيد مثلما نبههم إلى سنة التطوير ، وقد دعاهم إلى كشف آثار هذه السنة والانتفاع بها ، وحذرهم من تجاهلها أو الوقوف فى وجهها ، قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . (يونس ١٠١) ونعى على المقلدين وعلى الذين يأبون التطور ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ . (البقرة ١٧٠) .

● ثم إن المنهج العلمى « منهج الاستقراء » فى الملاحظة والتجربة والتفكير المنظم ، وأساس كل ابتكار وتقدم : « منهج إسلامى » ، وهو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد التاريخ والمنصفون من علماء الغرب . فلو تأملنا التكليف القرآنى بإعداد القوة فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ . (الأنفال ٦٠) لوجدنا ما يلى :

← تطوير الكفـــاءة القتالـــية

(١) أنه تكليف « قائم » و « باقٍ » حتى تقوم الساعة .

(٢) وورود لفظ « قوة » مطلقا دون تقييده بشكل معين ، يقضى منطقيا أن « تتطور القوة » فى شكلها ونوعها وتركيبها وأساليب استخدامها لتناسب روح العصر الذى يحتويها .

(٣) والأمة الإسلامية إن لم تفعل ذلك ، ولم تأخذ بأسباب التطور والتقدم ، تخلفت عن مقتضيات عصرها ، وفقدت قوتها التى أمرها الله بإعدادها فعاليتها وقيمتها ، وعجزت عن إرهاب الأعداء ، وتعرضت الأمة للخطر والهلاك .

سنة الرسول القائد :

وعلى الأمة الإسلامية بعد ذلك أن تتدبر ما جرت عليه سنة رسول الله ﷺ فى هذا المجال ، فلقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا كل الحرص على ملاحقة عصره فى مجال تركيب الجيوش وكفاءتها القتالية وتطويرها ، وقد اتخذت عمليات التطوير والدعم عدة اتجاهات نذكر منها ما يلى :-

(١) تطوير القوة الضاربة وزيادة خفة الحركة للجيش .

(٢) تطوير القوة البشرية .

(٣) تطوير مستوى الرمى (قـوة النيران) .

(٤) تطوير التسليح .

(٥) اكتساب الخبرات القتالية فى جميع أشكال العمليات .

أولا : تطوير القوة الضاربة وزيادة خفة الحركة للجيش

● « القوة الضاربة » هى تلك القوة من التشكيلات المقاتلة التى تستخدمها القيادة لتوجيه الضربات التى تحدث خللا فى توازن العدو وتساعد على القضاء عليه ، وكانت فى عصر النبوة (القرن السابع الميلادى) تتكون أساسا من الفرسان راكبى الخيول .

● والباحث المدقق يجد أن القوة الضاربة فى الجيوش الكبرى المعاصرة لظهور الإسلام وهى جيوش فارس وبيزنطة كانت تتكون من الفرسان ، وأن الاستراتيچية العسكرية لكل من هاتين الدولتين العظميين كانت تستخدم نظرية « قوة الصدمة » التى يحدثها الفرسان حاملو الرماح فى القتال .

● فإذا ما نظرنا إلى جيش الإسلام فى عصر النبوة ، فسوف نجد أنه بدأ بلا قوة ضاربة ، ففى غزوة بدر فى السنة الثانية للهجرة كانت قوة المسلمين ثلثمائة وبضعة عشر كلهم من الراجلين (المشاه) ولم يكن معهم سوى فرسين اثنتين وهو شىء لا يشكل قوة على أى نحو ، فالنسبة أقل من واحد بالمائة إلى مجموع الجيش ، فهل بقى الجيش على هذه الحال ؟

● لقد بلغ عدد الفرسان فى قوة جيش المسلمين فى غزوة تبوك فى السنة التاسعة للهجرة عشرة آلاف فارس وكان مجموع الجيش ثلاثين ألفا ، أى أن نسبة الفرسان إلى مجموع الجيش قفزت إلى نسبة الثلث (٣٣,٣٪) وقد حدث هذا التطور خلال فترة زمنية لم تتجاوز سبع سنوات . (من السنة الثانية إلى التاسعة من الهجرة) . (انظر اللوحة) .

كيف طور الرسول القوة الضاربة ؟

١ ـ تشجيع المسلمين على اقتناء الخيل :

لقد رغب عليه الصلاة والسلام المسلمين فى اقتناء الخيل ، ومن ذلك أنه جعل للفرس سهمين ـ عند توزيع الغنائم ـ ولصاحبه سهما ، وجعل للراجل (المشاه) سهما واحدا ، وذلك لكى يعين الفارس على إعاشة فرسه وإعدادها للحرب فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما قال فسَّره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم فإن لم يكن له فرس فله سهم . (رواه البخارى) .

وكان من أثر ذلك أن كان بعض الفرسان الأشداء يخرج للقتال بفرسين يحارب عليهما ويأخذ أسهمهما كما فعل الزبير بن العوام فى غزوة حنين وفى حروب الشام المختلفة ، فقد روى الشافعى من حديث مكحول : « أن النبى ﷺ أعطى الزبير خمسة أسهم لما حضر خيبر بفرسين » .

واقتنى المسلمون كثيرا من الخيول وأعدوا أكثرها للجهاد فى سبيل الله حتى كان لعروة البارقى الصحابى سبعون فرسا لهذا الغرض وهو الذى روى الحديث الشريف : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم » (رواه الشيخان) .

٢ ـ شراء الخيول من حصيلة الغنائم :

ولتوفير المزيد من الخيل للجيش فقد استخدم المسلمون حصيلة الغنائم فى بعض

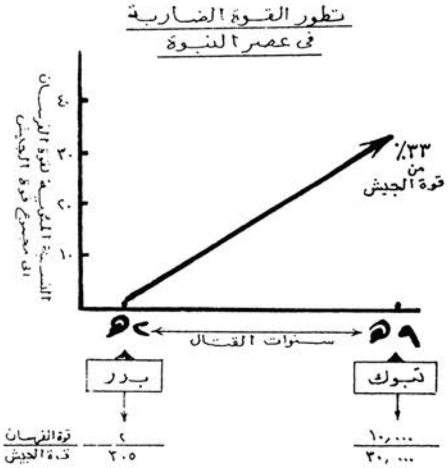

الغزوات فى شراء الخيول ، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا »[1] .

٣ ـ تدريب المسلمين على الفروسية :

وحث الرسول ﷺ على ترويض الخيل والفروسية وفنون القتال عليها فقال عليه الصلاة والسلام : « عاتبوا الخيل فإنها تعتب » أى أدبوها وروضوها للحرب والركوب فإنها تتأدب وتقبل العتاب (النهاية فى غريب الحديث والأثر) .

ومن صور تشجيعه عليه الصلاة والسلام للمسلمين فى هذا المجال إجراء المسابقات ومكافأة الفائزين فيها ، فعن ابن عمر رضى

←

(١) ابن هشام السيرة النبوية : تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ ١٣٧٥ هـ القاهرة ـ القسم الثانى (حـ ٣ ، ٤) ص ٢٤٥ .

الله عنهما : « أن النبى ﷺ سابق بين الخيل واعطى السابق » (رواه أحمد) .

٤ ـ حث المسلمين على رعاية الخيل :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى رسول الله ﷺ عن إخصاء الخيل والبهائم ، ثم قال ابن عمر : فيهما نماء الخلق » (رواه أحمد) وكانت العرب فى الجاهلية تجز ناصية الفرس (أى شعر مقدم الرأس) إعلانا وإيذانا بالثأر ، فدعا الرسول ﷺ إلى نبذ هذه العادة .

ثانيا : تطوير القوة البشرية

وقد أخذ تطوير القوة البشرية لجيش الإسلام وتنميتها اتجاهين : الأول من حيث الكفاءة النوعية عن طريق رفع مستوى التدريب القتالى ، والثانى من حيث زيادة حجم الجيش .

١ ـ التطوير النوعى للقوة البشرية :

فقد عنى الرسول ﷺ بتدريب رجاله على السلاح والرماية وفنون القتال على الخيل وعلى الوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم القوى السليم ، وقد طبق عليه الصلاة والسلام فى هذا المجال مبدأ هاما هو « الاستمرار » فى التدريب بلا انقطاع ، الأمر الذى يؤدى إلى رفع مستوى الكفاءة القتالية إلى الأفضل دائما . وقد حذر عليه الصلاة والسلام المسلمين من الانقطاع عن التدريب

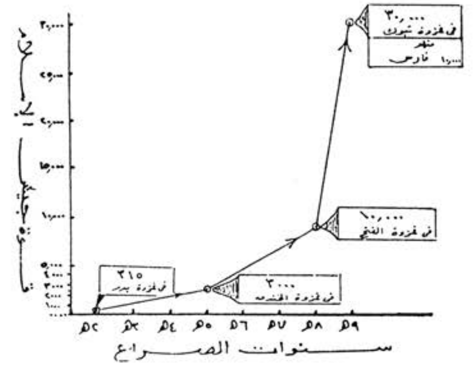

فقال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى » (رواه أحمد ومسلم عن عقبة ابن عامر) .

اضف إلى ذلك عنايته ﷺ بتعليم المسلمين القراءة والكتابة ومحو أميتهم ، فقد أمر كل أسير كاتب من المشركين من أسرى بدر أن يعلم عشرة من الصحابة الكتابة والقراءة ، وجعل هذا سبيل تحرره وإطلاق سراحه ، فعن ابن عباس قال : « كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل لهم رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة » (رواه أحمد) .

ثم إن الرسول ﷺ حرص على تدريب رجاله على فن التفكير والتعبير عن الرأى وحل المشكلات بالطريقة العلمية وذلك من خلال تطبيق مبدأ الشورى حتى قال عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » (رواه أحمد والشافعى) .

٢ ـ التطوير الكمى للقوة البشرية :

كان حجم جيش الإسلام فى بدر فى السنة الثانية للهجرة ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ثم زاد إلى ثلاثة آلاف فى غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة ، وإلى عشرة آلاف فى غزوة فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة ، ثم قفز إلى ثلاثين ألفا فى غزوة تبوك فى العام التاسع للهجرة .

ويرجع هذا التطور فى حجم القوة البشرية للجيش الإسلامى إلى ما يلى :

(١) انتشار الإسلام بعد الهجرة وزيادة حجم الجيش بالتالى .

(٢) فى العام السادس للهجرة عقدت هدنة الحديبية ، وقد كان من أهم نتائجها الاستراتيجية أن يزداد الإسلام انتشارا ، وفى ظل هذا المناخ المستقر زادت قوة الجيش إلى درجة لم يكن ليبلغها من قبل ، ففى أقل من ثلاث سنوات بلغت عشرة آلاف مقاتل عند فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة .

(٣) وأخيراً كان من أهم الآثار الاستراتيجية لفتح مكة واستسلام العدو الرئيسى للإسلام (قريش) أن أقبلت القبائل العربية على الدخول فى الإسلام حيث كان منها من كانت تخشى من قبل بطش قريش ، وهكذا قفزت قوة الجيش فى خلال عام واحد إلى ثلاثة أمثالها (من عشرة آلاف فى فتح مكة عام ٨ هـ إلى ثلاثين ألفا فى تبوك عام ٩ هـ) (انظر اللوحة) .

ثالثا : تطوير مستوى الرمى (قوة النيران)

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : « صعد رسول الله ﷺ المنبر يوما فقرأ قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ثم قال : ألا إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى » (رواه مسلم) وبذلك يقرر عليه الصلاة والسلام أن « الرمى هو جماع القوة » ولقد اشتهر الفرس بالمهارة الفائقة فى الرماية ، يقول الطبرى : « بلغ من مهارة الفرس فى الرماية أن أحدهم كانت ترفع له الكرة فيرميها ويشكها بالنشاب » (أى السهم) وقد أدرك الرسول ﷺ تفوق الفرس على العرب فى هذا المضمار فقال لأصحابه عنهم : « هم أقوى منكم رمية »[٢] ، فهل وقف المسلمون أمام هذا التفوق مكتوفى الأيدى ؟

إن المتأمل فى سنة الرسول ﷺ فى حث المسلمين على التدريب على الرمى يكشف عن حرصه عليه الصلاة والسلام على رفع مستوى كفاءتهم فى الرمى إلى أقصى حد على نحو ما بينا فى تناولنا لتطوير الكفاءة النوعية للقوة البشرية .

رابعا : تطوير التسليح

● وحرص الرسول ﷺ على تزويد الجيش بالأسلحة المعاصرة والتى لم يألفها من قبل

←

(٢) التراتيب الإدارية للإدريسى ط فاس ١٣٤٦ هـ حـ ١ ص ٣٧٨ .

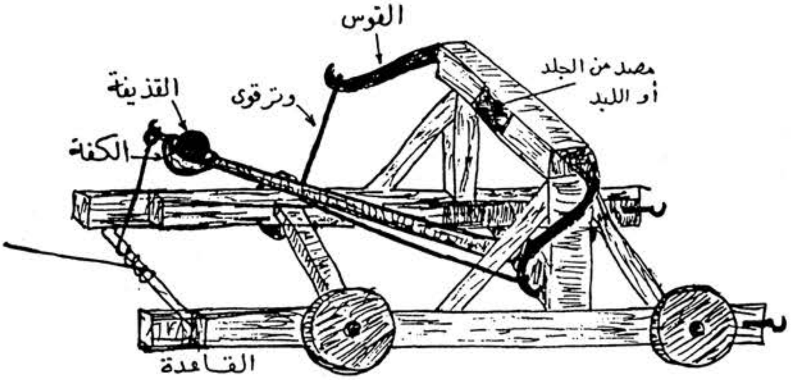

منجنيق لقذف الأثقال

وعلى تدريب المسلمين عليها ثم استخدامها فى القتال الأمر الذى ينطوى على تطوير فى أساليب القتال . أيضاً وفى الكفاءة القتالية للجيش بالتالى .

● فجيش المسلمين لم يكن لديه أسلحة الحصار أو دك الحصون والأسوار ، وهذه الأسلحة كانت لدى الجيوش الكبرى فى ذلك الوقت (فارس وبيزنطة) وقد حصل المسلمون على هذه الأسلحة من خلال ما يلى :ـ

(١) فى غزوة خيبر فى المحرم من السنة السابعة للهجرة وجد المسلمون فى أحد حصون خيبر وهو حصن الصعب أسلحة ثقيلة دبابات ومنجنيقا غير الدروع والسيوف وقد ورد فى بعض كتب السيرة أن المسلمين نصبوا المنجنيق الذى وجدوه فى حصن

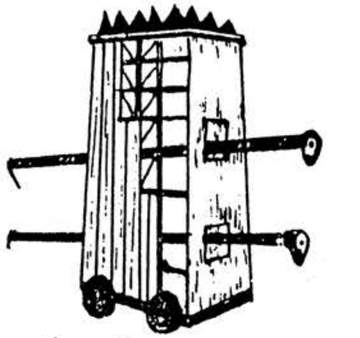

دبابة مزودة برأس الكبش

الصعب على أحد حصون منطقة الشق مما أدى إلى تسليم أهله ، ويرجح هذا القول أن ابن خلدون روى أن الرسول هَمَّ بنصب المنجنيق على خيبر فلما أيقنوا الهلكة سألوه الصلح[٣] .

(٢) واستخدم المسلمون فى حصار الطائف المنجنيق والدبابات فى شوال من

(٣) السيرة الحلبية جـ ٢ ص ٧٤٣ نقلا عن المقريزى + تاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٢٤١ .

السنة الثامنة للهجرة ، وقد كان لبنى دوس (إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة) علم بالرماية بالمنجنيق وبمهاجمة الحصون فى حماية الدبابات ، وكان أحد رؤسائها الطفيل بن عمرو قد صحب الرسول ﷺ منذ غزا خيبر ، وكان معه عند حصار الطائف ، فأوفده النبى ﷺ إلى قومه يستنصرهم ، فجاء بطائفة منهم ومعهم أدواتهم فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها[٤] .

(٣) وحرص الرسول ﷺ على أن يتعلم المسلمون صنعة الدبابات والمنجنيق وغيرهما من الأسلحة الثقيلة ، قال ابن إسحاق : « ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عُروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور »[٥] .

● ولقد غنم المسلمون كثيرا من أسلحة القتال كالرماح والسيوف والقسى والدروع خلال بعض الغزوات وخاصة غزوات بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وخيبر ، وقد ورد فى المصادر أن المسلمين غنموا مما وجدوه فى حصون بنى قريظة : ١٥٠٠ سيف - ٢٠٠٠ رمح - ٣٠٠ درع - ٥٠٠ ترس وحجفة[٦] (وهى ترس من جلد بلا خشب ولا رباط من عصب) ووجدوا فى حصون خيبر كمية كبيرة من الأسلحة ومن ذلك أنهم وجدوا فى حصنى الوطيح والسلالم وحدهما : ٤٠٠ سيف - ١٠٠٠ رمح - ١٠٠ درع - ٥٠٠ قوس عربية بجعابها .

● على أن المسلمين لم يكتفوا فى تطوير قوتهم بملاحقة عصرهم فى أسلحة القتال من خلال « نقل التكنولوچيا الحديثة المعاصرة » على النحو الذى ذكرناه ، بل إنهم - وهو ما نوجه النظر إليه - تناولوا هذه الأسلحة بالتحسين والتطوير والتعديل على يد الخبراء من أبنائهم الذين تعلموا تلك الصناعة وأتقنوها ، فكان لها أثرها الواضح فى حصارهم للمدن المحصنة ذات الأسوار العالية فى حروب العراق والشام وفتح مصر .

وقد اعترف بذلك الإمبراطور البيزنطى « ليو » الذى حكم بيزنطة فيما بين عام ٨٨٦ إلى ٩١٢ ميلادية مع ما عرف عنه من تعصب ضد العرب والمسلمين ، فقد نقل عنه ڤون كريمر فى كتابه « الشرق تحت حكم الخلفاء » أنه قال : « إن الجندى العربى ما كان يفترق عن الجندى البيزنطى فى المؤن والسلاح » .

خامسا : اكتساب الخبرات القتالية فى جميع أشكال العمليات

يقول كلاوزفتز : « يمكن للقوات العسكرية المدربة جيدا أن تقوم بجميع الأعمال العسكرية »[٧] ، ولقد أثبت المسلمون عمليا من خلال الغزوات التى قادها الرسول ﷺ ، والسرايا التى تولى قيادتها الصحابة رضوان الله عليهم ، أنهم قادرون على القيام بكفاءة عالية بأعمال القتال التالية على سبيل المثال :

---

(٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد - دار الكتب المصرية ١٣٥٤ هـ القاهرة ص ٥٢٠ - ٥٢١ .

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثانى (حـ ٣ ، حـ ٤) ص ٤٧٨ (وجرش : مدينة تقع شرقى جبل السواد من أرض البلقاء وحوران من أعمال دمشق) .

(٦) السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٦٦٦ .

(٧) ليدل هارت - الاستراتيجية ، الاقتراب غير المباشر - ط البحوث العسكرية ص ١٣٥ .

تطويــر الكفــاءة القتالـــية

(١) العمليات الدفاعية : مثل غزوة بدر وأحد والخندق .

(٢) العمليات الهجومية والإغارات : مثل غزوة بنى سليم - ذى أمر - بحران - ذات الرقاع - دومة الجندل - بنى المصطلق - بنى لحيان - فتح مكة - حنين - تبوك .

(٣) عمليات المطاردة : مثل غزوة السويق - حمراء الأسد - ذى قرد .

(٤) عمليات الحصار والقتال فى القرى الحصينة : مثل غزوة بنى قينقاع - بنى النضير - بنى قريظة - خيبر - الطائف .

(٥) مفارز (دوريات) الاستطلاع والقتال مثل : غزوة ودان (الأبواء) - بواط - العشيرة .

● فنجاح المسلمين فى هذه العمليات المنوعة شهادة من التاريخ على ما كان يتمتع به جيش الإسلام الأول من كفاءة قتالية عالية ودليل ناصع على أصالة نظريـات العسكريـة الإسلامية التى تعلمها المسلمون ودربوا عليها على يد الرسول القائد ﷺ ، فليس من شك فى أن المعارك القتالية هى المحك الرئيسى الذى تظهر فيه قيمة النظريات والعقائد الحربية .

● ثم إن المسلمين من خلال الغزوات والسرايا قد اكتسبوا خبرات قتالية فى مواجهة القوات غير المنظمة (كالمشركين واليهود) وفى مواجهة الجيوش المنظمة (الروم) وعلى أساس هذه الخبرات أصبحوا مؤهلين عسكريا لمواجهة الفرس والروم بعد عصر النبوة .

الآثار الاستراتيجية لتطوير الكفاءة القتالية لجيش الإسلام الأول

أولا : تأمين الدعوة وقيام الدولة الإسلامية :

● فقريش العدو الرئيسى ، أقبلت على الإسلام بعد أن ظلت عشرين عاما تصد عن سبيل الله بكل أساليب الضغط والإيذاء والحرب .

● والمستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، عادوا إلى بلادهم تحت أعلام الإسلام والسلام .

● وأتم الرسول ﷺ فى أول يوم لفتح مكة ما دعا إليه منذ عشرين عاما وما حاربته قريش أشد الحرب فيه ، أتم تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام .

● وتمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة العربية ، وتوافر الأمن والاستقرار للدولة الإسلامية لأداء رسالتها السامية لخير البشرية .

ثانيا : استعداد المسلمين لمواجهة الفرس والروم :

فالرسول ﷺ لم يلق ربه إلا وكان جيش الإسلام معدا لمواجهة القوتين العظميين فى عصره فارس والروم ، وقد وقعت هذه المواجهة على الفور ومنذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

البحث عن

الديانات القديمة

٢

د. عبد الجليل شلبى*

ما كاد العالم الاثرى الكبير « رولنسون » يعلن عن توصله إلى حل رموز الكتابة البابلية والفارسية القديمة حتى توالت الرحلات الكشفية إلى أرض الرافدين، وتسابق علماء الآثار من انجلترا وفرنسا والمانيا وروسيا إلى هذه الأراضى وإلى آسيا الصغرى يبحثون عن المخلفات المطمورة تحت الأرض، وقد عثروا ومازالوا يجدون آثارا قيمة تكشف عن حضارة الامم المتوالية التى عمرت هذه البلاد، وتلقى مزيدا من الضوء على التاريخ البابلى، وصلة الحضارة والفكر البابلى القديم بالكتاب المقدس وديانة اليهود.

وأشهر المستكشفين الأثريين الذين برزوا فى هذا الميدان: بوتا، ولايارد، وريش، وأوبرت، وسارزك .. ولسنا بحاجة إلى التعريف بهم، ولكن ستأتى أعمال منسوبة إليهم.

كان بوتا Botta العالم الفرنسى يعمل فى أرْبَاض نينوى بين عامى ١٨٤٣، و ١٨٤٦ م فكشف عن ألواح فخارية عليها كتابة مسمارية لم يستطع أن يحل رموزها، وتركت للباحثين - أتباع شامبليون - كى يصلوا إلى محتوياتها.

وفى منتصف القرن التاسع عشر - وفى وقت قريب من وقت بوتا، كشف لايارد عند نينوى ونمرود Nimrud أمكنة أثرية أخرى تحوى

(*) الكاتب: الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية.

الديانات القديمة

آثارا قيمة ، ثم عثر آخرون على آثار أخرى توضح حضارات الرافدين القديمة .

ولا يعنينا أن نقف عند الآثار الكثيرة التى كشفت ، وإنما يعنينا الجانب الدينى ، وأيضاً لا نقف عند كل الآثار الدينية ، **(وحسبنا مما يتصل بالكتاب المقدس قصة الطوفان وقوانين القصاص والحياة الاجتماعية . وكانت قصة الطوفان البابلى أهم ما أثار علماء الآثار ودفع بهم إلى هذه الأراضى ، وكانت هذه الحملات كلها فى وقت متقارب هو أواسط القرن التاسع عشر ، ولم تنقطع الأعمال الحفرية إلى الآن)** .

فى سنة ١٨٥٩ م عثرت الحملة التى كان يقودها رولنسون على قصر كبير فى أرباض نينوى ، وكان هذا القصر هو الاستراحة الملكية لآشور بانيبال ـ رأس الأسرة الآشورية والذى حكم بين سنتى ٦٦٨ ، ٦٢٦ ق م . وقد أحرز هذا الملك انتصارات حربية ، ولكن الشهرة التى خلدته هى شهرة مكتبته الكبيرة التى حوت آداب البابليين وثقافتهم ، وأسفار هذه المكتبة الواح من الطين نقش عليها ، وهى طين غض ، كتابات مسمارية ، ثم أحرقت حتى جمدت وثبتت عليها نقوشها فلا تمحى ولا تبهت ، ومحتويات هذه المكتبة خليقة بالتقدير ، بها دين وتاريخ ورياضيات وفلك ، وقوانين عامة منوعة ، ووثائق تاريخية عامة ترجع إلى مئات السنين قبل آشور بانيبال ، وقد كان هذا الملك عالما حصيفا جمع قوانين السابقين ونسقها ، وقد ماتت معه مملكته ودفنت كنوزه معه ، وكانت ثرية جداً ، أخرج رولنسون منها أكثر من عشرين ألفا من الألواح ، وهى الآن فى المتحف البريطانى ، ونقلت صوراً منها المتاحف الأخرى .

وفى سنة ١٨٧٢ م أعلن جورج سميث الذى كان مشغولا بحل هذه الرموز المسمارية أن لوحا منها يحوى قصة الطوفان ، ووجد أنها ذات شبه كبير بقصة (طوفان نوح) التى جاءت فى التوراة ، وليس المهم هو مجرد ذكر القصة ، ولكن التفاصيل الكثيرة من الوحى ببناء السفينة وفيضان الماء وصفات السفينة ورسوها .. الخ ـ تشترك فى القصتين .

فهناك اثنتا عشرة لوحة تروى ملحمة النمرود ، وتدور حوادثها على مغامرات بطل شجاع يدعى (جالجاميش gilgamish) وهو يقابل أوديس بطل الأوديسا اليونانية ويقابل شخصية نوح فى الكتاب المقدس ، وقد شغل حديث هذه القصة اللوحة الحادية عشرة كلها ويرجع التاريخ الذى كتبت فيه هذه اللوحة إلى سبعة قرون . ق . م . ولم يكن العبرانيون قد وجدوا بعد .

تذكر القصة البابلية أن الآلهة غضبوا على أهل الأرض ، وعزموا على افنائهم بالغرق ، وجاء إله الأرض ـ إى ـ Ea فأنذر يوت نابشتيم Ut - Napishtim هذا التقى الورع أن ينجو بقومه بصنع سفينة كبيرة تسعهم وكل ما يحتاجون إليه ، ففعل : صنع السفينة وطلاها بالقار وأدخر فيها طعاما وماء كافيين ، ثم أدخل فيها كل أنواع الكائنات الحية ، ثم أخيرا دخل مع أسرته . ثم جاءت العاصفة

فاستمرت سبعة أيام . وفى نهاية اليوم السابع نظر البطل من كوة فرأى الأرض . ثم رست السفينة على قمة الجبل .. نذير Nazir - وبعد سبعة أيام أخرى ، أطلق - يوت نابشتيم - حمامة وعصفورة وغرابا - وعادت الحمامة والعصفورة ، ولكن الغراب لم يعد ، ثم أخرج سائر الحيوانات ، وعلى رأس الجبل قدم الضحايا والقرابين للآلهة .

هذه خلاصة القصة ، وتفاصيلها شائقة القراءة ، ولا تخلو من ألفاظ جارحة ونقتطف منها بعض فقار طبقا للترجمة الانجليزية ، ففى الإنذار بالفيضان جاء الانذار والتوجيه إلى بطل القصة هكذا .

اهدم بينك وابن سفينة ، واطرح كل ممتلكاتك ، لتستبقى الحياة والأرواح ، اصعد إلى السفينة واحمل فيها بذور كل شيء حى .

اجعل أبعاد السفينة متساوية طولا وعرضا وعمقا . واجعل لها سقفا .

وأحضر البطل ألواح السفينة ، وقدر سعتها بما يقرب من فدان ، وأضاف لها سبعة أسطح جانبية ، وقسم السفينة - طبقا لما أمر به - سبعة أقسام أو تسعة ، ثم أحكم ألواحها بالقار .

وعند انبثاق الخيوط الأولى للفجر ارتفعت سحب سوداء فى الأفق ، ثم انفجرت الرعود حتى ذعرت الآلهة ، وصعدت إلى السماء العليا عند الإله الكبير آنو Anu - وهى ترتعد كالكلاب ، وكان الإله (اشتار) يصرخ كالنساء .

واستمرت ثورة الطبيعة كمعركة الجيش سبعة أيام ، وبنهاية اليوم السابع بدأت العاصفة تهدأ وانقطع المطر ، وبدأ الماء يتناقص ، ونظر القائد فوجد الأرض الفضاء مستوية أمامه ، وقد انطمرت أجساد الآدميين تحت الطين وصارت طينا ، وفتح كوة فسقطت اشعة الشمس على وجهه ، وأحزنه هذا المصير فأخذ يبكى ، ووجد ربوع المملكة ومقاطعاتها الأربع عشرة قد انطمرت .

ثم ظهر جبل نذير ورست عليه السفينة يوما وثانيا .. وسابعا ، والسفينة قارة راسخة .

يقول بطل الرواية :

فى اليوم السابع أطلقت حمامة ، فذهبت وعادت لأنها لم تجد مكانا تستقر عليه - ثم أرسلت عصفورة فذهبت أيضاً ثم عادت ، ثم أرسلت غرابا فوجد أن الماء قد تناقص فحلق هنا وهناك وتعب ما شاء ، ولم يعد . ثم أطلقت بقية الحيوانات ، وقربت الضحايا وأقمت لها المحارق ، وتصاعدت رائحة الشواء فجاءت الآلهة من كل صوب تتهافت على القتار كأنها الذباب .

ومن يقرأ قصة الطوفان فى الإصحاحات السادس والسابع والثامن من سفر التكوين يجد أن بين القصتين مشابهات كثيرة واختلافات قليلة ، وسفر التكوين لم يورد الآلهة الكثيرة ، ولكن به إنذار نوح ، وغضب الرب على أبناء آدم وعزمه على إبادتهم بالغرق ، ثم بناء السفينة ذات المقاييس

والسطوح ، وحمل المخلوقات بها ، وإطلاق الطيور الثلاثة .. كل ذلك متحد فى القصتين . وأوجه التشابه كثيرة ، وإن شئت فالقصة هى القصة والاختلاف فقط فى التفاصيل والإضافات التى رتبت الأحداث الكبرى .

ولاتخلو القصة البابلية من اضطراب ، فهى بعد أن تذكر ظهور الأرض مستوية واستحالة الأجسام البشرية وغير البشرية إلى طين ، تعود فتذكر أن الطيور لم تجد مكانا بارزا من الأرض كى تستقر عليه .

ومن هنا ذهب الدارسون إلى أن القصة العبرانية منقولة ، ولا مجال لأخذ البابليين من العبريين لأنهم أسبق منهم[1] .

وقد ذكرت قصة الطوفان بشىء من التفصيل فى القرآن الكريم فى سورة هود ، وجاءت إشارات إلى غرق قومه فى غير سورة . وانفرد القرآن بذكر قصة ابن نوح الذى خالف أباه ، وقال « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ـ وتحاشى القرآن أوصاف السفينة ، وكان طبيعيا ـ وهو كتاب التوحيد الا يذكر الآلهة العديدين ، وأن يتنزه عن ذكر الضحايا التى تغرى الآلهة حتى يتساقطوا عليها كالذباب .

ويتفق الدارسون على أن حادث طوفان قد حدث ، ويختلفون فى أوصافه وأحداثه ، وفى الألواح البابلية ذكر لأحداث طوفان أخرى قد حدثت ، مما حدا بالمؤرخين إلى القول بأن الأنهار فى أرض بابل كانت تفيض وتغرق بكثرة ، وأن هذا الطوفان الكبير كان أعظمها أثرا .

وإذا أغضينا عن البحث فى حقيقة الطوفان وأحداثه يأتى سؤال آخر ، هل كان طوفانا عاما أغرق العالم كله ، أم كان خاصا ببقعة من الأرض لم يتجاوزها إلى غيرها ؟

وهذا سؤال لم يجد بعد جوابا .

علماء الجيولوجيا يقررون أن طوفانا كهذا لا يمكن أن يعم جوانب الأرض ، وآخرون . ومنهم المرحوم عباس العقاد ـ يقولون : إن قوما معينين هم قوم نوح فعلوا ما يستحقون عليه الإغراق فما ذنب الآخرين الذين لم يفعلوا آثاما ، والذين لا علم لهم بنوح ولا قومه حتى يعاقبوا وإذن فلابد أنه كان طوفانا محليا .

وهل كانت الأرض كلها مأهولة فى هذا الوقت ، أم كانت البشرية التى انبثقت عن آدم لا تعدو هذا المكان ؟

وهناك شىء آخر ذو أهمية كبيرة ، وهو أن علماء « الانثروبولوچى » ، والباحثين عن أحوال البدائيين فى الجزر البعيدة والمنقطعة يجدون بينهم أحاديث عن طوفان غمر البلاد ، ولكن تختلف صورته بين قوم وآخرين . وقد نقلت القصة عن الهنود الحمر فى أمريكا بصور عديدة وهى كذلك منقولة عن سكان الجزر المنقطعة فى المحيطات .

وللآن لم يتوصل أحد إلى إجابة قاطعة ، ولم ينقطع البحث .

الدكتور / عبد الجليل شلبى

---

(١) أخرج الباحث الكبير جيمس . ب . بريتشارد كتابا عن « صلة نصوص الشرق الأدنى القديم بالعهد القديم . وصدرت كتب أخرى حول هذا الموضوع لعل أوسعها هو كتاب « الفولكلور فى العهد القديم » ترجمة نبيلة إبراهيم ، ونشر دار المعارف .

رسل الأزهر

في بلاد النيجر

للسيد السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

٢

٣ ـ غزاة الصحراء

إذا كنت في النيجر ، وصافحت اذنيك كلمات لها رنين يذكرك ببعض الكلمات المتداولة عندنا في مصر ، فلا تحسبن ان مدلولها هناك كمدلولها في مصر ، ومثال ذلك كله الفولانى ، (فلان الفلانى) ، وكلمة الهوسا (بلا هوسة) والطوارق (من الطارق ، برى برى ، (البربرى) فهذه كلها اسماء لقبائل استوطنت النيجر منذ قديم الزمان . والعديد من هذه القبائل يؤكدون ان أصلهم من مصر . وسواء اكانت هذه حقيقة تاريخية ام انها من وحى الأساطير فإنها تدل على عمق الروابط التى تجمع بين الشعبين على مرّ العصور .

وسكان النيجر ، وعددهم ٥ ملايين نسمة تقريباً ، لا يمثلون جنساً واحداً ، وإنما هم أخلاط من أجناس شتى ، تدفقت عبر القرون من أطراف القارة المختلفة إلى قلبها ، سواء لأغراض اقتصادية أو سياسية أو دينية ، ولا تزال تلك الأجناس تحتفظ بلغاتها وخصائصها المتميزة حتى الآن على الرغم من تعايشها معاً على أرضها منذ آلاف السنين .

ويمكن بصفة مبدئية أن نقسم سكان النيجر إلى قسمين ، بدو رحل،وقبائل مقيمة .

أما البدو الرحل فهم؛ قبائل الطوارق والفولانية .

←

وأما القبائل المقيمة فهي: الهوسا والجرما - سونغاي ، بالإضافة إلى قبائل الكانودى (برى برى) والطوبو ، وهما اقلية تسكن أقاصي البلاد .. وإليك كلمة مختصرة عن كل جنس :

أما الطوارق ، فهم الملثمـون سكان الصحراء ، وينتشرون فى دائرة كبيرة تشمل جنوب ليبيا والجزائر وموريتانيا وشمال النيجر ومالى ، ويحيط الغموض بتاريخهم ، فالبعض ينسب أصلهم إلى المصريين ، والبعض الآخر يقول : إنهم من شعوب البحر المتوسط الذين عبروا البحر هربا من الاضطهاد ، أو أنهم من البربر الذين يعيشون فى شمال أفريقيا ، وهم محاربون أشداء ، يسكنون الخيام ، ويركبون الجمال ، ويمضون حياتهم فى التجوال مع قطعانهم بحثاً عن المرعى . ولعل أصل اللثام عندهم هو وقايتهم من شرّ العواصف الشديدة المحملة بالرمال . والنساء بعكس الرجال تماماً ، فهنّ سافرات ، وتنسدل شعورهن الناعمة على أكتافهن ، وللمرأة عندهم نفوذ كبير ، وتؤدى دوراً هاماً في المجتمع ، فهى موضـع الاستشارة في العديد من الأمور ، كما أن الجميع يحترمونها ويجلونها وللطوارق لغتهم الخاصة قريبة الصلة من البربرية ، كما أن لهم كتابتهم الخاصة التى لا يعرفها غيرهم .

والفولانية هم القسم الثانى من القبائل الـرحـل ، ويطلق عليهم أيضـاً اسم « الفلّاتة » ، ويقولون : إن أجدادهم نزحوا من مصر فى عصور سحيقة ، وساروا بامتداد ساحل البحر المتوسط حتى وصلوا إلى غرب أفريقيا . والواقع أنهم يمتازون بجاذبية الوجه وجمال الأسنان وبريق العيون التى هى بالفعل أشبه بعيون المصريين ، وهم يمضون وقتاً طويلاً فى تزيين وجوههم وتسريح شعورهم المجدولة ولبس الحلىّ والمصاغ .

وننتقل الآن إلى القبائل المقيمة ، وأشهرها (الهوسا) ، وتُكتب في بعض الكتب العربية « الحوصا » ، وهم يمثلون أكثر من نصف سكان النيجر ، ويعيشون مستقرين في الجنوب ، ويعتبرون امتداداً للهوسا المقيمين فى شمال نيجيريا على الجانب الآخر من الحدود ، وهم يشتغلون بالزراعة ، وخاصة زراعة الذرة البيضاء ، والفول السودانى ، وبالصناعات الحرفية كالجلود والنسيج . كما ذاع صيتهم كتجار مهرة ، فهم يتجولون في وسط وغرب أفريقيا منذ قرون . ولغة الهوسا تكتب بأحرف عربية ، وتنتشر في بعض بلدان وسط أفريقيا .

وأخيراً هناك قبائل الجرما - سونغاى ، وهم يقطنون الجزء الغربى من البلاد ، ويمثلون حوالى ربع السكان ، ويقال : إن أصلهم من مصر ، ويمتـازون بروحهم القتالية ، ويشتغلـون بالفـلاحة وتـربية الحيوانات ، وخاصة الخيول ، كما أنهم ماهرون فى الإدارة .

وقد استطاع الإسلام أن يدخل هذه القبائل ، وأن يوحدها جميعاً ، قـاضيا بالتدريج على العادات الوثنية التى ترجع هناك

إلى خلفية قديمة من المعتقدات الناجمة عن طقوس مرتبطة بالأرض وتقديس الأجداد ، وهكذا مهد الإسلام في هذه البلاد لرقي سريع جعلها في دائرة النور والتاريخ ..

٤ - الإسلام والاستعمار والاستقلال

أما قصة دخول الإسلام إلى النيجر فهي قصة دخوله إلى غرب أفريقيا عامة ، حيث كانت تعيش القبائل الوثنية ذات الأصول واللهجات المختلفة متنافرة متحاربة حتى وصل الفتح الإسلامي إلى شمال وغرب القارة ، ومن ثم دخل التجار[١] المسلمون إلى تلك البقاع مجهولة التاريخ ، فاختلطوا بسكانها ، وتزوجوا منهم ، فأحبوا سماحة الإسلام ودخلوا فيه طائعين مختارين ، وكان لدولة المرابطين في المغرب العربي فضل كبير في نشر الإسلام الصحيح بينهم متفقهين بالمذهب المالكي ، حتى أنهم ليطلقون حتى الآن اسم « مَرَابُو » .. على العالم المتفقه في الدين أو المتصوف ، وهذا الاسم مشتق من كلمة « مرابط » .

وبفضل الإسلام دخلت الكتابة العربية ، وتوحدت البلاد ، وظهرت ممالك وامبراطوريات مزدهرة في بلاد النيجر الحالية ، فكانت هناك في الغرب امبراطورية .. « سونغاي » .. التي خلفت امبراطورية مالي القديمة ، وامتدت لتشمل أجزاء من النيجر ، وكانت عاصمتها مدينة (جاو) العظيمة ، وهي التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين والرحالة العرب كمركز تبادل تجاري هام بين مصر وامبراطورية غانا القديمة وموقعها الحالي موريتانيا ، وتدين امبراطورية سونغاي بعظمتها إلى مؤسسها « سنيّ علي برّ » وأيضا إلى « أزكية محمد » الذي أتم لها تنظيمها العسكري والإداري ، ولم تزل الامبراطورية قائمة حتى سقطت عام ١٥٩١ إثر تعرضها لهجمات عسكرية مغربية مسلحة .

وكانت هناك في الوقت نفسه امبراطورية منافسة في الشرق ، هي امبراطورية « كانم بورنو » ، إحدى أوسع امبراطوريات القارة ، وكانت تسيطر خلال وجود زعيمها « إدريس الأومة » عند نهاية القرن ١٦ على مناطق شاسعة حول بحيرة تشاد . وقد سقطت هذه الامبراطورية عام ١٨٩٣ . بعد عشرة قرون من قيامها على يد « رباح زبير » الذي كان حاكماً لإحدى الممالك المتاخمة .

وأخيراً كانت هناك عدة ممالك صغيرة من الهوسا مستقلة بعضها عن بعض ، وكانت كل منها تمثل مركزاً تجارياً وثقافياً مزدهراً ، وقد دخلها الإسلام منذ القرن (١٣) الثالث عشر ، ومعه الكتابة العربية . وبرغم الصراعات الداخلية بين هذه الممالك الصغيرة فقد استطاعت الصمود أمام هجمات امبراطوريتي السونغاي والبورنو اللتين كانتا من الناحية العسكرية أكثر استعداداً

(١) كان هؤلاء دعاة للإسلام استعانوا بشيء من التجارة حتى لا يكونوا كَلًّا أو عالة على أحد .

وتفوقا ، وأخيراً تم توحيد هذه الممالك وإدخالها كلها في الحكم الإسلامى في عام ١٨٠٤ بفضل الزعيم الفولانى الكبير السلطان « عثمان ران فوديو » سلطان سوكوتو .

الاستعمار الفرنسى :

وفى عام ١٨٩٩ بدأت أولى البعثات العسكرية الاستعمارية الفرنسية بمهاجمة تلك الممالك (الهاوسية) عندما أفلتت من سيطرة الفولانية ، كما استطاع الفرنسيون قتل رباح زبير عام ١٩٠٠ وبعثرة قواته التى كانت تسيطر على بورنو ، وعلى العكس من ذلك قابلت القوات الفرنسية مقاومة شديدة فى بلاد الجرما ومن قبائل الطوارق فى الآير التى استمرت فى كفاحها المسلح حتى بعد الحرب العالمية الأولى بشكل متصل .

وفى عام ١٩٠٠ اعتبرت النيجر أرضاً عسكرية ثم مستعمرة فرنسية عام ١٩٢٢ ، وكانت أول عاصمة لها (زندر) ثم انتقلت العاصمة إلى (نيامى) عام ١٩٢٧ .

وقصة الاحتلال الفرنسي للنيجر ليست سوى حلقة فى سلسلة الصراع الرهيب بين الدول الأوروبية الكبرى حول استعمار القارة البكر خلال القرن التاسع عشر ، وخاصة بين انجلترا وفرنسا ، حيث قام البريطانيون يستعمرون معظم شرقى أفريقيا في حين كان الفرنسيون يحتلون معظم غربيها ووسطها ، ويسيطرون على الأقاليم المعروفة باسم السودان الفرنسي ، وهى الممتدة من السنغال على المحيط الأطلنطى غرباً حتى حدود السودان المعروف حالياً شرقاً .

وبلغ الصراع بين الفريقين أشده عام ١٨٩٨ حين تقدمت القوات الفرنسية من وسط أفريقيا فى اتجاه السودان لاحتلال منابع النيل ، فتصدت لها القوات المصرية (تحت قيادة جيش الاحتلال البريطاني وقتئذ) عند فاشودة ، وبعد فترة مال الانجليز والفرنسيون للتهادن استعداداً لمواجهة عدوهما المشترك : (ألمانيا) فانسحب الفرنسيون من فاشودة ، ثم كان الوفاق البريطاني الفرنسى عام ١٩٠٤ وبموجبه أطلقت كل من الدولتين يد الأخرى فى ممتلكاتها بالقارة .

وظل الاستعمار جاثما بكل قواه على إفريقا طوال الحرب العالمية الأولى وبعدها ، حتى إذا قامت الحرب العالمية الثانية كانت المستعمرات الفرنسية هى شاطىء الأمان الذي لجأ إليه الجنرال ديجول لمساندة حركة فرنسا الحرة ، وبعد الحرب سمحت فرنسا لمستعمراتها ومن بينها النيجر بإرسال نواب عنها إلى البرلمان الفرنسى . وفى عام ١٩٥٧ ، تم التصويت في باريس على قانون يخول الحكومة الفرنسية منح مستعمراتها فى أفريقيا بعض الاستقلال ، وبموجب هذا القانون أصبح للنيجر جمعية تشريعية ومجلس حكومي يرأسه الحاكم العام الفرنسى ويديره زعيم (حزب سوابا) : السيد « چيبو بخارى » .

وبعد عودة ديجول للحكم عام ١٩٥٨

أجرى استفتاء لاتخاذ قرار بشأن مستقبل الممتلكات الفرنسية فى أفريقيا ، فاختارت النيجر وغيرها الاستقلال الداخلى مع بقائها فى الأسرة الفرنسية الكبيرة (الفرنكوفون) .

واعتبر هذا الاختيار هزيمة لجماعة چيبو بخارى الذى كان يتوقع تصويتاً سلبياً للاستفتاء من شأنه أن يفتح أمام البلاد فرصة للحصول فوراً على السيادة الوطنية ، فاضطر بخارى للاستقالة ، وحل محله منافسه (هامانى ديورى) الذي كان يشغل منصب نائب فى البرلمان الفرنسى .

وأعلن ديورى فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٨ الجمهورية ، ثم انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٦٠ . وفى ٣ اغسطس من نفس العام أعلن استقلال النيجر بالاتفاق مع بقية زعماء الأنتنت أو مجلس الوفاق (فولتا العليا وداهومى وساحل العاج) الذين اتبعوا نفس الطريق فى بلادهم ، وقد ظل هامانى ديورى فى الحكم حتى ١٥ أبريل ١٩٧٤ حين أقيل إثر انقلاب عسكرى تزعمه المقدم « سينى كونتشى » ، وبه بدأت صفحة جديدة في تاريخ البلاد .

يتبـــــع

جمال الدين ابو العيـــــون

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لــــدى قطـــاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ـ شـــارع جـلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* باقى دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسســة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

فضل الإسلام على البشرية

الإسلام دين الأنبياء والمرسلين ، والقرآن منهاج المصلحين المتقين ، وسيدنا محمد خاتم المرسلين وهو الذى أرسله ربه رحمة للعالمين والله يقول :
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .
[سورة يونس ـ ٥٧ ـ ٥٨]

جاء الإسلام والناس ـ فى جاهليتهم ـ قد ضلوا الطريق إلى الله فاتخذ كلٌ إلهه هواه ، ويومئذ خضعت للأصنام الأعناق والجباه ، وقدس الناس القوة والمال والجاه ، وتفاخروا بالأنساب والأحساب ، وتقاتلوا لأتفه الأسباب ، وبلغ الجور أشده ، ولم يؤت العقل البشرى رشده ، فعاشوا فى جهالات وضلالات حتى مَنَّ الله عليهم ببعثة رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ، ونزول القرآن الذى بدل الله به ظلام الحياة نوراً ، وذل الأميين عزا والله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَافِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء ـ ١٧٠) .

لقد كانوا يقولون : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (سورة المؤمنون ـ ٣٧) . وبلغ بهم الجحود أن أقسموا بالله لا يبعث الله من يموت : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَايَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ . . ﴾ (سورة النحل ـ ٣٨)

لذلك كانت الحياة الدنيا هى الأولى والآخرة لايهتمون إلا بها ، ومن هنا عاش الإنسان لنفسه وهو يجهل أن من عاش لنفسه فقط يصبح أنانياً انتهازياً ، ومن عاش لنفسه أنانياً عاش بغير كرامة ، ولكن الإنسان لم يخلق ليعيش وحده وإنما وجد ليعيش لنفسه ولوالديه ولولده ولبلده وللأقربين وللناس أجمعين . فلا يعمل لنفسه بذاتية خاصة مطالبها شخصية كلها تتمتع وتأكل وتشرب ولا هم له إلا ماينفعه وحده !! فلما ظهر الإسلام ظهرت معه حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة فللفرد على المجتمع حقوق لابد من كفالتها وعليه للمجتمع واجبات فى مقابل ذلك لابد من أدائها ، فمثلاً من حق الفرد أن يتمتع بالحرية لتكفل له كرامته وعزته وإنسانيته ولكن على أساس أن الناس

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

سواسية كأسنان المشط إلههم واحد هو الذى خلق ورزق وهو واهب الحياة لكل كائن حى ، وهو الذى كرم بنى آدم وقد خلقهم ربهم من نفس واحدة : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء ـ ١)

والإنسان إذا تحرر من عبادة غير الله ـ الذى لايقال لغيره ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كان رجلاً قوياً بقوة الإيمان عظيماً بعظمة الإسلام جليلاً بجلال الحق يصل ما أمر الله به أن يوصل وينهى عن الفساد فى الأرض وتلك هى الحرية فى الإسلام .

الحرية والعقـــل ..

الحرية لابد أن تستعمل استعمالاً عاقلاً يكون فى إطار الدين فلاانحلال ولاسفه باسم حرية الرأي ، فليس من الحرية أن يتطاول الصغير على الكبير أو الطالب على أستاذه ، فهذه خسة وضعة يأباها الإسلام .. ولقد صنع الإسلام ـ فى أيامه الأولى ـ نماذج إنسانية مثالية يعجز الزمان عن الإتيان بمثلها حيث جعل من بين رعاة الإبل والغنم قادة الأمم ، وكوَّن من بين سكان البيداء والصحراء أئمة الفضائل وأساتذة الأخلاق ، ومع هذا فالإسلام قادر دائماً على أن يجعل المجتمعات فى القمة من مكارم الأخلاق ، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وذلك بالعودة إلى أخلاق القرآن الذى أدب به ربنا رسوله فأحسن تأديبه ، وأدب به هو أصحابه فأحسن تأديبهم فأسسوا بنيان الحياة على العدل والحق ، وفهموا حقيقة الحرية الأخلاقية التى جا[illegible] بها الإسلام لإسعاد البشرية فكانت حرية تعمير لاتدمير ، حرية سمو ونبل لا حرية خطر كبير وشر مستطير يبيح القول البذىء والخلق الرديء الذى يقتل العزائم ويوهن القوى ويفسد الذمم ويذهب بكرامة الأفراد والأمم ، إن الحرية فى الإسلام هى مراعاة حرية الآخرين أولا ، فلا حرية لنفسك [illegible] مراعا[illegible] حرية غيرك ، [لايؤمن أحد[illegible] يحب لأخيه مايحب لنفسه] . لأن الناس إخوة [إنما المؤمنون أخوة] ، والإسلام يسالم من يسالمه « ولايحارب إلا من يحاربه » وهو يدعو إلى السلم والصفح والعفو والرحمة والتراحم والتعاون على البر والتقوى ، لأنه دين قيم يؤلف بين قلوب أبنائه مهما اختلفت الألوان والأوطان والله حرم دم المسلم وماله وعرضه كما حرم التعاون على الإثم والعدوان . ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ . وحياة التكافل والتآخى الصادق هى التى يريدها الإسلام لأتباعه : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب [illegible]رىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم : « كل المسلم على

فضل الإسلام

المسلم حرام دمه وماله وعرضه إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ، ألا يبع أحدكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ») « رواه مسلم » .

تلك هى الحقوق التى لم تعرفها البشرية إلا بالإسلام الذى يرفع مستوى الإنسان بحريته وبتنمية مواهبه الخيرة بتوجيهها لصالح الجماعة فى أجمل صورة وأكمل مظهر .

تحرير العقول من الأوهام

لقد حرر الإسلام عقل الإنسان من الخرافات والأوهام ، وعبادة الأوثان والأصنام وجور التقاليد بتصحيح الاعتقاد وتطهيره من الإلحاد بالدعوة إلى التفكير فى ملكوت الله ، لأن آيات الله فى الأكوان تتلاقى مع آيات الله فى القرآن الذى يخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح .

ليأخذ العقل سبيله إلى الوصول إلى الحقائق بثاقب رأيه وفكره من غير تقليد أو تبعية مذلة أو جحود للحق فلايجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، لأن أقبح أنواع العمى عمى القلوب عن معرفة الحق والهدى مع وضوح الأدلة وشهادة البينات ، فليس عسيراً على العقول ولا بعيداً عن فطرة الإنسان أن يهتدى إلى ربه : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ولكن انطماس بصيرة الحاقدين تحجبهم عن رؤية الحق المستبين .

أي عقل يتعامى عن صنع الله الذى أتقن كل شيء ؟ ثم هو يذهب إلى عبادة النار أو الحيوان أو الشمس والقمر كما يؤمن بهذا الماديون ، وفى هذا احتقار لشأن الإنسان الذى تراه يعيش فى ظلمات الجهالات ، وويل للإنسان من نفسه الأمارة بالسوء ، وويل له من إلغاء عقله وقلبه وسمعه وبصره ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (سورة الروم ـ ٨) .

ونقول للجاحدين وللذين يلحدون ولا يؤمنون بدين وللفجار الملاعين الذين يخرجون كل يوم بدين غير دين الله ـ نقول لهم ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ ونقول لهم : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ونقول لهم : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ . فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ . كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة يونس ـ ٣١ ـ ٣٣) .

ونحن نسوق إليهم هذه الآيات القرآنية التى ترشد العقل إلى الآيات الكونية حتى لا يضل من حبط عمله وخاب أمله عن معرفة بديع السموات والأرض وقد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال ، وراح يتخبط فى المتاهات والظلمات ومنهم ـ أي من الناس مَنْ أضله الله على علم حتى بعد أن ركب الإنسان الجو بساطاً ممهداً وطوى المسافات فى لحظات ، ثم وضع قدمه على سطح القمر ثم هو لا يؤمن

بالله العظيم مدبر أمر هذا الكون ومالكه ، لأنه صانعه والله يريد من عباده أن يكتشفوا مااستطاعوا من علوم تكمن فى هذا الوجود فى حدود عقولهم ليَسْتَثْمِرُوا خيرات الدنيا الكثيرة الوفيرة لخدمة الإنسان لا للإضرار به وتهديد حياته .

حريـة الاعتقـاد ..

أما حرية الاعتقاد فقد صانها الإسلام ، فكل إنسان له أن يعتقد مايشاء من العقائد ولكن الإسلام يعرض فضائله على الناس من غير أن يحمل الناس حملاً أو يكرههم على اعتناقه ﴿ لَاإِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ﴾ ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وقد أباح الإسلام للمرأة الكتابية أن تتزوج بمسلم وتبقى على دينها وقد أقر الرسول اليهود على دينهم فى المدينة لما هاجر إليها وسالمهم فلم يسالموه ، ولأن هذا الدين لم يكره أحداً على اعتناقه قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس ـ ٩٩) .

وليس بين الله وبين عبده وساطة تقربه إليه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (سورة البقرة ـ ١٨٦) .

أي تكريم للإنسان بعد أن جعل الله العبد يخاطب ربه مباشرة يدعوه فيستجيب له لأنه قريب مجيب ؟ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فلا وسيط بين العبد وربه إلا صالح العمل .

حرية التملك

الملكية ـ فى الإسلام ـ مصونة بشرط ألا تضر وألا تكون وبالاً على صاحبها وعلى المجتمع ، لأن الملكية الشخصية وحرية التصرف محترمة فى شريعة الله بشرط أن تخضع لأوامر الله من زكاة تؤدى وتؤخذ بقوة القانون أحياناً إذا هيمن الشح على صاحب المال وتسلط عليه منع الحق المعلوم للسائل والمحروم ، فلا يسخو ببذل عون أو برٍّ بالمحتاجين أولى المسغبة ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَاأَدْرَاكَ مَاالْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (سورة البلد ـ ١١ ـ ١٧) . إن المسلم يرق لآلام الناس فيسعى لتخفيفها (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) « الترمذى وأبو داود » لأن نظرية الإسلام فى ملكية المال تفرض على المالك ألا يكون مسرفاً ولا مقتراً ، لأن هذا لايتمشى مع صفات عباد الرحمن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما .

فليس لأصحاب الأموال أن يسرفوا كما يشاءون فى طعامهم وشرابهم ولباسهم وأمور معيشتهم ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (سورة الأعراف ـ ٣١) . ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (سورة طه ـ ٨١) .

ولقد أقر الإسلام التوسع فى الملكية الخاصة تمشيا مع الفطرة مادام هذا عن طريق كسب حلال وحرم الربا والاحتكار

←

والشح وتطفيف الكيل والميزان وللمرء حرية الصيد فى غير الحرم ، وله أن يستخرج المعادن من جوف الارض وله الحق فى أن يحترف ويعمل فى المهن التى ترضى دينه وضميره الحى من بيع وشراء وتجارة فيما أحل الله .

المال كله من رزق الله

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ ﴾ (سورة البقرة ـ ١٧٢) ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَاسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (سورة إبراهيم ٣٤) ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلاَلاً طَيِّباً ﴾ (سورة المائدة ـ ٨٨) ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (سورة النحل ـ ٨٠) ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (سورة البقرة ـ ٦٠) وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ماينهى عن أكل أموال الناس بالباطل كالغش والرشوة والربا الذى هو مفسدة للإنسان ومضيعة للأموال التى سيمحقها الربا ويهلكها .

وأحل الله البيع وحرم الربا

الربا من أكبر الكبائر ، والمرابون المحترفون فى إصرار من غير توبة فى حرب مع الله لأنهم يعرضون ويأخذون زيادة عند السداد ثمنا للصبر فى نظير تأجيل السداد الأمر الذى جعل النقود سلعة تباع وتشترى والنقد فى الإسلام لا يلد نقداً ، ونقول للذين يبررون الربا اليوم ، ويستبيحون التعامل به من غير أن يتوبوا ـ ويقولون إنما البيع مثل الربا فيجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين : فأبطل الله قياسهم هذا بقوله سبحانه : وأحل الله البيع وحرم الربا. فماذا بعد هذا ؟ وليس بعد قول الله قول .

إن المال المختلط بالربا سيمحقه الله بنص القرآن ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ . وسيزيد كل مال فيه صدقات فما نقص مال من صدقة ، وسيباركه الله تعالى وسيضاعف ثوابه وأما الربا فسيؤدى إلى تغيير صفة المال الأصلية وهى التداول بين الناس وذلك بجعل النقود سلعة تباع وتشترى الأمر الذى يؤدى إلى عدم استقرار النقد بفقد قيمته الثابتة ـ نسبيا فى القوة الشرائية على الأقل ، لأن النقود فى يد المرابين لها بذاتها ثمن من جنسها ولكن الإسلام جعل النقود وحدة قياس ، كما أن الكيل والميزان كذلك ، ومن الخير للمجتمعات أن تظل الوحدات ثابتة نسبيا فلا ربا ولا تطفيف فى الكيل والوزن لتظل القيمة مستقرة فى أداء وظيفتها بين الناس فى تعامل ينتج الطيبات من الرزق الحلال كالتجارة والزراعة والصناعة وفى كل المنافع التى تنتظرها الأيدى العاملة فى كل المجالات والاتجاهات النافعة .

الربا لا يحقق التراحم

الربا لا يحقق التراحم ولا التعاطف ولا التكافل الذى جاء به الإسلام ولهذا حرمه تحريما باتاً لاشك فيه لأنه يؤدى إلى مفاسد اجتماعية ، فهو يخلق الضغينة ويسبب الغل

والشح والحقد ويصد عن البر والخير ويورث البغض بين الأفراد والمجتمعات لأن الربا ينشر الكسل والشلل الذى يصاب به المرابون ، لأنهم يعتبرون الربا عملا مربحا بذاته بدون أى عمل ، وهذا شلل اقتصادى واضح ووباء اجتماعى خطير وهو بلاء شره مستطير على المحتاج والفقير وذلك.لأن النقد فى الإسلام لا يلد نقداً بدون عمل ينفع الأفراد والأمم .

والتعامل بالربا اختيار سيىء والله يقول : ﴿ وَمَاآتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ « سورة الروم ـ ٣٩ » والله سبحانه يقول فى المرابين الذين سيقومون من قبورهم يوم القيامة كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ ذُوعُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ «سورة البقرة ـ ٢٧٥ ـ ٢٨٠ » .

إن الإسلام كرم الإنسان وسما بمنزلته وجعله سيد ماله فى حياته ولم يجعله أسيرا له يحبه أكثر من نفسه وولده ووالديه والأقربين ولكن المؤمنين قد وقاهم الله شح أنفسهم : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

الإسلام يدعو إلى السمو الإنسانى

ولاريب أن الإسلام دين شامل لشئون الحياة كلها ونظام جامع متكامل يزكى النفوس ويطهرها من طاعة الشيطان والهوى فلا يضن بالعون ولا يحجب الخير عن الغير لكنه يشيع الرحمة وينشر السخاء بين عباد الله ليؤكد فى نفسه معانى الإنسانية التى تصنع الاستقامة والإسلام يضع صورة مضيئة للقرض الحسن لبيان الفرق بين الربا المحرم والقرض الحسن .

الربا والقرض الحسن

وقد يسأل إنسان : إن الربا قرض وقد حرمه الله ، وهو يأمرنا بالقرض الحسن ، وأباح الإسلام البيع المؤجل ، ونقول لمن يسأل إن الربا زيادة فى المال الذى اقترضه المقترض من المقرض ثمنا للصبر وهذا محرم ، وأما القرض الحسن الذى يحبه ربنا فهو قرض بغير شرط يجر منفعة « كل قرض جر نفعا فهو ربا » : فلا يجوز للمقرض أن يأخذ هدية من المقترض ، وأما البيع المؤجل فهو بيع سلعة بثمن زائد عن ثمنها المعجل ، وكل ما يقبل جنسه السلم يجوز قرضه ، وعلة التحريم فى الربا هى استغلال حاجة المقترض .

فضل الإسلام

دعوة الإسلام إلى القرض الحسن

ولما كان النقد لا يلد نقداً بذاته فى الإسلام فإنا نجد الإسلام يحل الطيبات ويحرم الخبائث : ولهذا جعل القرض الحسن من أعظم القربات عند الله تعالى : وقد اقترن بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (سورة المزمل ـ ٢٠) .

﴿ . . . وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ . . . ﴾ (سورة المائدة ـ ١٢) ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الحديد ـ ١١) .

إن القرض الحسن يأخذ بيد المحتاج بدون مقابل فهو تيسير على المعسرين وهو تنقية لجو الحياة من الربا والمرابين وسموم المتعاملين بما يخالف الدين الذين يأخذون وهم قاعدون فيعطلون الإنتاج ويظلمون أنفسهم والعباد فهم يساهمون فى إفساد الحياة بأنانيتهم وانتهازيتهم وقسوة قلوبهم فلا هم لهم إلا إشباع نهمهم ، ولكن المؤمن تراه رقيق القلب دقيق الإحساس طيب الشعور نحو الناس يخفف آلامهم ويضمد جراحهم بقوة إيمانه وكريم إحسانه .

الإسلام يدعو إلى التقدم والعمل المتقن

كثير من الناس يسىء إلى الإسلام باسم الإسلام من أولئك الذين يزعمون أن التعطل تسليم بالقضاء والقدر وتفويض لأمر الله تعالى ، وبذلك يدسون الإهمال فى التوكل ـ أى فى نظرهم ـ وهذا هو التواكل بعينه والتخاذل والتكاسل والفشل : وهذا قتل للوقت . بالخمول الكريه يؤدى إلى ضعف الإرادة وفتور العزيمة وقد نسى المصابون بهذا أن الإسلام دين العمل والتعمير والإنتاج والاقتصاد والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. وأن التوكل على الله إن لم يقترن بالعمل سيكون وبالا وخذلانا يمقته رب العالمين الذى يقول :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ . . . ﴾ (سورة الجاثية ـ ١٣) .

ويقول ربنا جل جلاله : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (سورة تبارك ـ ١٥) لقد أمرنا الله بالسعى على الرزق الحلال من أبوابه الكثيرة كالتجارة والزراعة والصناعة وفى هذا ابتغاء لفضل الله واتكال على الله والله يقول : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الجمعة ـ ١٠) .

وبعـــد

فإن الناس فى ظل الإسلام أعزاء أقوياء رحماء .. كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فما أعظم التراحم الإسلامى والتعاطف الإنسانى الذى يترك التفرق والتمزق ، ليعيش الناس فى أمن وسلم واستقرار حياة .

محمد حافظ سليمان

كتاب الخراج

لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم
المتوفى ١٨٢هـ - ٧٩٨ م

للأستاذ الدكتور
على أوزالك *

قبل "خراج ابى يوسف" وبعده ألفت رسائل وكتب كثيرة تحت عنوان الخراج والأموال . والذى يتبادر للذهن ان هذه السلسلة من الكتب تتناول الناحية الاقتصادية من إدارة الدولة . ولكن إذا تفحصنا ماتضمنته هذه الكتب رأينا انها تشمل فى نفس الوقت النواحي الإدارية والسياسية والاجتماعية والقضائية : فكتب الخراج والاموال فى الحقيقة تتناول دخل بيت المال من جهة والصرف من بيت المال من جهة اخرى . وإذا اقتربنا اكثر إلى المسالة باسلوب العصر قلنا : هى ميزانية الدولة من جهة الدخل والصرف .

من المعلوم أن هارون الرشيد كان قد سأل - أبا يوسف قاضى القضاة - أسئلة كثيرة متعلقة بإدارة الدولة المالية والسياسية فأجاب أبو يوسف عن هذه الأسئلة إجابات غاية فى الحكمة وأضاف إلى كتابه رسالة حثّ فيها الخليفة على الأخذ بالأفضل والأفيد دائما . فكانت هذه رسالة إصلاحية قيمة . ومضافا إلى هذه الرسالة أنه درج فى كتابه بنصائح مفيدة خلال إجاباته عن أسئلة الخليفة .

فى الحقيقة كانت هذه الميزة عادة موروثة منذ عهد أمير المؤمنين أبى بكر رضى الله عنه ، لأنه كان يكتب إلى قواده وولاته رسائل يذكر فيها ماينبغى أن يراعوه مع الناس فى المعاملات الدينية والإدارية والمالية والاجتماعية وغير ذلك .

←

* دكتور بكلية الإلهيات بجامعة مرمرا استانبول - تركيا

كتاب الخراج

وكل ذلك بطبيعة الحال كان مضافاً إلى مانزل فى القرآن الكريم وما ورد فى الأحاديث النبوية فى الأحكام والمعاملات . فكأن أبا بكر رضى الله عنه كان يطبق مافهم من حديث معاذ رضى الله عنه حينما أرسل واليا أو عاملا أو قائداً إلى اليمن . روى أبو داود فى سننه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ » قال : « أقضى بكتاب الله » . قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ » . قال : « فبسنة رسول الله » . قال : « فإن لم تجد فى سنة رسول الله ولا فى كتاب الله ؟ » قال : « أجتهد رأيى ولا آلو » فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال : « الحمد لله الذى وفّق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » .

(سنن أبى داود ١١١/٢ كتاب الأقضية)

فى الحديث الشريف حث على الاجتهاد عندما تحل (المسألة) من المسائل ليس لها حكم سابق ؛ فعلى العلماء أن يجدُّوا بشأنها حتى يصلوا ـ فى ضوء الكتاب العزيز والسنة الشريفة ـ إلى البت فيها ، فإن الحياة فى تطور مستمر يطرح ـ بدوره ـ مسائل متجددة .

وما من شك فى أن تطور الحياة ـ فى ذاته ـ قد تتشعب معه الحاجات والمصالح مما يقتضى إنشاء إدارات مختلفة لسد حاجات الناس ، وهذا ماحدا بعمر ـ رضى الله عنه ـ إلى إنشاء نحو إحدى وأربعين مؤسسة ـ مدة خلافته ، كما قال مولانا شبلى نعمان فى تاريخه عن صدر الإسلام ، ويعتمد أبو يوسف فى (كتاب الخراج) على عمر ـ رضى الله عنه ـ فى أكثر ما عرض له من مسائل .

رسائل إصلاحية :

ولقد زخر ميدان العلماء برسائل إصلاحية كثيرة كتلك التى ورد منها فى مقدمة كتاب الخراج لأبى يوسف ، وكان بعضها مستقلاً كرسالة ابن المقفع . وهذه الرسائل تضم تعليمات أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، كذلك يضم بعضها رسائل خلفاء من بعدهم كرسالة عمر بن عبد العزيز إلى عماله وولاته وهى رسائل ـ فى مضمونها جميعا ـ تبرز أن النجاح فى إدارة شئون الناس وتحقيق العدالة بينهم إنما يعتمد على أساسين مهمين .

أولهما : أن يكون الشخص الذى يتولى أمور الناس عالما صالحا متدينا على خلق كريم حليم النفس واسع الصدر متزن الشخصية أمينا ، وهذا هو الشرط الأول المطلوب لتحقيق العدالة بين الناس .

وثانيهما : وضوح النظم والقوانين المستمدة أساسا من الشريعة الإسلامية وما من شك فى أن الشخص ـ على هذا النهج الذى أوضحناه ـ خير من يتفهم هذه القوانين وها نحن نذكر ـ على سبيل المثال ـ شيئا من هذه الرسائل ثم نعود إلى كتاب الخراج أصل هذا الحديث .

رسالة عبد الله بن المقفع (١٠٩ ـ ١٤٥هـ / ٧٢٧ ـ ٧٦٢م) فى الصحابة . هذه الرسالة حلقة هامة فى الدعوة إلى الإصلاح

العام لأنه يذكر فيها ضروب الفساد فى الجهاز العسكرى وفى شئون الأحكام وضروب الفساد فى طبقة البطانة أو صحابة الخليفة وضروب الفساد فى شئون الأرض والخراج وغير ذلك . ثم يذكر الحلول الصحيحة لإصلاح هذه الأخطاء مع توصيات مفيدة .

رسالة عبيد الله بن الحسن العنبرى (١٠٥ ـ ١٦٨هـ / ٧٢٣ ـ ٧٨٥م) إلى المهدى . وكان العنبرى قاضياً على البصرة . أشار العنبرى فى رسالته إلى حاجة الناس إلى الأئمة أى الرؤساء والأمراء وأهمية دور الإمام فى الإدارة .

والعنبرى يركز كلامه على مجالات أربعة :

١ ـ الثغور وقوامها بتزويدها بأهل الخبرة والشجاعة والحنكة والتجربة وإدرار العطاء على الجند .

٢ ـ الحكام والأحكام : فالحاكم لابد من أن يكون ورعا عاقلا مع فهم صحيح وعلم بالكتاب والسنة .

٣ ـ الفىء : يطلب العنبرى فيه التخفيف حتى يتبقى لدافعيه مايصلحهم ويصلح أرضهم فذلك أعمر للبلاد وأدر للخراج .

٤ ـ الصدقات : ويجب أن تؤخذ من مواضعها وتصرف لمستحقيها .

رسالة معاوية بن عبيد الله بن يسار (١٠٠ ـ ١٧٠هـ / ٧١٨ ـ ٧٨٦م) اتصل بالمهدى العباسى قبل خلافته فكان كاتبه ووزيره ، ولما آلت الخلافة إلى المهدى فوّض إليه تدبير المملكة والدواوين ، له كتاب فى الخراج وقدم فيه رسالة ذكر فيها أحكام الخراج الشرعية ودقائقه وقواعده مع توصيات إصلاحية .

يأخذ أبو يوسف من هذه الرسائل مايصلح العباد ويزيد عليها مايراه مفيداً ، لذلك يتميز كتاب الخراج لأبى يوسف عن الكتب السابقة واللاحقة بخصائص يليق ذكرها هنا .

أولاً : أنه يشمل توصيات إصلاحية للخليفة .

ثانياً : يتناول كثيراً من المشاكل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية ويداوى كل هذه المشاكل بما يناسبها من الأحكام الشرعية والاجتهادات العقلية .

ثالثاً : أنه سلك طريقاً جديداً ذا أهمية بالغة هو أنه حينما أراد أن يبنى حكما جديداً حاول أن يحصل على عمل حكمه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من سيدنا عمر رضى الله عنه . وطبّق هذه القاعدة فى كل مشكلة واجهها ، فإن لم يحصل على شىء من السنة أو من تطبيقات عمر ، اعتمد على آراء أبى حنيفة وابن أبى ليلى . ثم يجتهد رأيه . من أجل ذلك كان كتاب الخراج لأبى يوسف منبعا عظيما ومصدراً غزيرا فى إنشاء الدولة : إداريا وماليا .

وفى إمكاننا الآن أن نقول إن منهج أبى يوسف واحد من المناهج التى تصلح فى الجوانب الشرعية والإدارية والمالية فى زماننا

كتـــاب الخـــراج

هذا ، فإنه منهج ناجح فى إدارة شئون الدولة الإسلامية . تلك الدولة التى من حقها أن تكون مثالاً للناس أجمع كما حصل فى التاريخ ، ويتخلص المسلمون من هذه النظم الغربية المخالفة للإسلام فى أكثر موادها .

العمل على كتاب الخراج :

لاشك فى أن كتاب الخراج حازَ قبولاً عند العلماء منذ تأليفه ، ولقد أدى الأستاذ إحسان عباس خدمة عظيمة بإخراجه لهذا الكتاب ، لأنه حققه وعلّق عليه وذكر المخطوطات الموجودة منه فى مكتبات استانبول . وأضاف للكتاب مقدمة قيمة جداً مع فهارس مفيدة . وهذا العمل فى (خراج أبى يوسف) يُسهّل فهم الكتاب وفهم مايقصده مؤلفه وفقه الله .

ونحن نضيف إلى ما عمله الأستاذ إحسان عباس مايأتى :

إن كتاب الخراج ترجم إلى اللغة التركية ثلاث مرات فى أيام الدولة العثمانية .

الأولى : ترجمة لكتاب الخراج . لايعلم مترجمها . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٢٧١ .

الثانية : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . أعدها (رودوسلى زاده محمد افندى) سنة ١١١٣هـ . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة أسعد افندى تحت رقم ٥٧١ ـ ٥٧٢ .

الثالثة : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . للأستاذ محمد عطاء الله . وهذه الترجمة جيدة جداً . وكان (حسين جميل باشا) والى حلب قد طلب من محمد عطاء الله ترجمة الكتاب ثم قدّم هذه الترجمة إلى السلطان عبد الحميد الثانى من آل عثمان . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٤٦٥٢ .

وثمة ترجمة رابعة للكتاب وهى مطبوعة قد ترجمتها سنة ١٩٧٣م . حينما كنت باحثا فى كلية الاقتصاد بجامعة استانبول . ونشرت هذه الترجمة فى كلية الاقتصاد ١٩٧٣ ولقيت اهتماما وأعيد طبعها مرات ، وقد أضفت مقدمة للترجمة كتبت فيها حياة أبى يوسف ومنهجه فى كتابه باللغة التركية .

وقد ترجم كتاب الخراج لأبى يوسف إلى اللغة الفرنسية أيضا وطبع سنة ١٩٢١ ترجمة :

E. Fagnan
Librairie Orientaliste

* دكتور بكلية الإلهيات بجامعة مرمرا استانبول ـ تركيا

مسئولية المدرسة والإعلام نحو أبنائنا

للأستاذ محمد عبد السميع شبانة *

مسئولية المدرسة نحو أبنائنا :

تهدف إلى رعاية طاقاتهم وتوجيهها بما يناسب استعداد كل طالب والاستعلاء بها بعيداً عن الاتجاهات الخاطئة ، لتكون فى صالح المجتمع ومن رسالة المدرسة الكشف عن مواهب الطلاب وإبرازها ووضع الإمكانات التى تصقلها وإتاحة الفرص التى تضمن لها النمو حتى تزدهر وتصبح معالم مضيئة فى مستقبل الأمة .

فيجب الدقة فى اختيار المناهج المدرسية بحيث تتناسب مع عقول التلاميذ وتتوافق مع مداركهم ، وأن تغرس فيهم القيم النبيلة وأن تتفق مع أخلاق الأمة وتربطهم بدين الله والالتزام بشريعته ، فإن المدرسة تربية وتعليم . يجب أن تهدف المناهج إلى النهوض بالوطن وتوفير الرخاء له مع الأخذ بكل ما ابتكره العلم واستحدثته الحضارة الإنسانية حتى نساير التطور ولا يتخلف أبناؤنا عن مواكبة النهضة الهائلة التى وصل إليها العالم فى دوله المتقدمة ، ومن مسئولية المدرسة أن تشد أبناءها إلى ارتياد المكتبات وتنشئتهم على ذلك حتى يتعودوا القراءة والبحث فتزداد معارفهم وتنضج أفكارهم . وهذا يحتاج لإشراف من الأساتذة لإرشادهم إلى الكتب الهادفة البناءة وحمايتهم من الكتب الضارة .

وإنشاء مكتبة الفصل إلى جانب المكتبة الرئيسية للمعهد أو المدرسة يساعد على نمو عادة القراءة عند أبنائنا ، ومن المفيد أن تنظم المدارس زيارات لدور الكتب بين وقت وآخر ليكونوا على دراية بقاعات المطالعة والبحث ويروا التراث العظيم الذي تضمه في أروقتها .

* الكاتب : موجه أول بالأزهر الشريف .

←

مسئولية المدرسة والإعلام

ينبغى أن نوجه أبناءنا إلى قراءة التاريخ الإسلامى وما فيه من بطولات ومواقف عظيمة وأن نهيىء لهم الكتب الميسرة المؤلفة فيه لتكون موافقة لقدراتهم .. وقراءة التاريخ مدخل هام إلى تكوين ثقافة الإنسان ونضج شخصيته .

كما أنه يتحتم على المدارس والمعاهد أن تهتم بالرياضة البدنية كدعامة هامة فى تربية أبنائنا فهى تكسبهم الأجسام السليمة والعقل الناضج وهذا يستدعى إنشاء الملاعب والعناية بها وبعث روح التنافس الشريف بين فرق المدرسة فتتربى فيهم مشاعر الحب والتعاون . يقول عمر رضى الله عنه : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » .

كما أن التزام الأساتذة بما يجب أن يكون عليه المربون من السيرة الطيبة والمظهر اللائق والخلق الحسن من أعظم مسئوليات المدرسة نحو أبنائها فإنهم المثل العليا لطلابهم ، وكم من موقف عظيم لأستاذ دفع تلاميذه لعشق مادته والتفوق فيها والعكس كذلك صحيح .

كما يجب أن تكون لإدارة المدرسة قدراتها المتميزة فى الحزم والربط حتى تستطيع مراقبة الطلاب مراقبة دقيقة وتكون لها مبادرة إلى كشف أى تصرف خاطىء من بعض الطلاب فور وقوعه وعلاجه بحكمة ودقة قبل أن ينتقل تأثيره الضار إلى الطلاب لأن التلميذ الفاسد أشبه بالثمرة المعطوبة تؤذى بقية الثمار .

كما أن للإشراف الاجتماعى رسالة كبيرة فى التعرف على مشاكل الطلاب والقضاء على أسبابها بالتعاون مع البيت وتطبيق الأسس التربوية فى علاجها كى نجنب أبناءنا آثارها المدمرة لو تركناها تكبر معهم من غير القضاء عليها .

ومن مسئولية المدرسة الحرص على أن يؤدى أبناؤها الصلاة عن عقيدة راسخة ويتحقق ذلك بإعداد مكان مناسب للصلاة فى المدرسة ، وأن تخصص المدرسة فسحة لصلاة الظهر في جماعة فى مصلى المدرسة لكل الطلاب مع الأساتذة وإدارة المدرسة فتسمو بالصلاة غرائز الطلاب وتصفو مشاعرهم فى رحاب الإيمان وتقوى عندهم الحصانة ضد كل انحراف فالله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾(١) .

وأمر آخر يجب أن يكون محل نظر المسئولين عن التربية والتعليم فى بلدنا هو العناية بدروس التربية الدينية بحيث يكون لها مكانة بارزة بين مواد المنهج المدرسى ، وأن يحاسب الطالب أو الطالبة على التقصير فيها بالرسوب كبقية المواد ، وأن نعمل على اختيار مؤلفات مناسبة في التربية الدينية تهدف إلى تعريف أبنائنا بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وحمايتهم من البدع والخرافات وإعطائهم فكرة مبسطة عن العبادات والمعاملات في الإسلام ، وتكليفهم بحفظ أجزاء القرآن

---

(١) العنكبـــوت ٤٥ .

الكريم على مدى سنوات الدراسة مع تفسير آيات مختارة في أسلوب سهل واضح .

هذه مسئولية المدرسة وهى تكتمل مع مسئولية البيت والدولة فإذا ما راعينا الله فيها ووفيناها بأمانة نكون بذلك قد أدينا لأمتنا حقها علينا وسلكنا بأبنائنا الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه فمن أدب ابنه صغيراً قرت عينه به كبيراً .

مسئولية الإعـلام نحـو أبنائنا :

مسئوليتنا نحو أبنائنا تنبع من عاطفة لا تنضب ورغبة أمينة في تحقيق السعادة لهم ، وتجنيبهم مواطن الزلل وعثرات الطريق وإعدادهم ليحملوا الأمانة نحو أمتهم ونحو حماية أرضها وحضارتها وتراثها .

ووسائل الإعلام أعظم تأثيراً في المجتمع ، وتتميز بقدراتها المتعددة ، ولذلك كان دورها كبيراً في توجيه أبنائنا وتهيئة الأجواء الصالحة التى تتفتح فيها ملكاتهم وتنضج مواهبهم ، وتضع أقدامهم على أرض صلبة بالعلم والإيمان .

وسواء أكانت وسائل الإعلام مقروءة أو مرئية أو مسموعة فإنها جميعها مسئولة عن أبنائنا وشبابنا بقدر كبير لا يقل فى خطورته عن دور البيت أو المدرسة إن لم يكن أكثر .

فالانطباع الذي ينعكس على أبنائنا من البرامج التليفزيونية يترك تأثيره عليهم سلباً أو إيجاباً حسب مادة البرنامج وإعداده والهدف منه : وكم كان لبعض المسلسلات التى قدمت للمشاهدين آثار مدمرة على بعض شبابنا من طلاب المدارس فقاموا بتقليد حوادثها في عمليات سطو وسرقة ضبطت وقتها واعترفوا بتأثير المسلسل عليهم .

ومظاهر العنف التى تجتاح مجتمعنا ، من أسبابها أفلام العنف التى يستوردهـا التليفزيون مع أنها لا تتفق مع أخلاقنا وتقاليدنا فينبهر بها المراهقون وتترسب فى أعماقهم حتى إذا وجدت منفذاً تفجرت فى أشكال مختلفة للجريمة فتعددت حوادث القتل والخطف والسرقة .

وكان يمكن أن نحمى أولادنا من السقوط في حبائل الشيطان لو تحرى التليفزيون الدقة فيما يقدمه وتحاشى عرض أفلام العنف ومسلسلات الجريمة .

كما أن تجسيم الصحف للجرائم التى تقع والمبالغة في ذكر تفصيلاتها وكيف وقعت ، يؤثر على النفوس الضعيفة التى تستهويها المغامرات الشريرة فتنطلق فى محاكاتها .

إن وسائل الإعلام مطالبة أن تغرس القيم النبيلة فى نفوس شبابنا ، وأن تنمى فيهم الإحساس بالحب والخير والجمال وتحثهم على التخلق بأخلاق الإسلام والتأدب بآدابه حتى يكونوا فى حصانة من الانحراف والزلل وأن تعمق فيهم روح الانتماء للوطن ليبقى أثيراً فى قلوبهم عزيزاً عليهم يحمونه بأرواحهم ويعلون من شأنه .

وشبابنا ـ والحمد لله ـ فيهم خير كثير ولن تنقص الحوادث الفردية التى تقع من طهارتهم وتمسكهم بدين الله ، فلنتق الله في أبنائنا ونحسن توجيههم التوجيه السديد ونراقب الله فيهم ونحافظ على طاقاتهم الخيرة حتى لا تتبدد وتتحول إلى الشر تحت ضغوط

مسئولية المدرسة والإعلام

الكلمة المقروءة التى لاأمانة فيها والأغنية الخليعة التى تفجر غرائز الجنس والبرامج التليفزيونية الهابطة التى تهدم ولا تبنى وأتساءل عن الدوافع إلى عرض الأفلام الساقطة التى تقوم على الجنس والمخدرات ، كيف يسمح المسئولون بعرضها فى دور السينما والإبقاء عليها وهى سبة فى جبين مصر ، تقتل الفضيلة وتهدم الأخلاق ؟ !

فلم يعرف تاريخ السينما فى مصر قبل ذلك هذا الاسفاف والانحطاط .. حتى الإعلان عنها يقتحم العيون فى وقاحة فى الطرقات وفى التليفزيون والصحافة وكم يترك هذا الوضع من مرارة فى نفوس المواطنين الذين يحرصون على أمتهم ويخافون على أبنائهم .

ما ذنب الشرفاء أن تعرض عليهم فى غدوهم ورواحهم وفى بيوتهم المشاهد الماجنة التى يبرزها إعلان عن فيلم مستهتر ؟

ما قيمة الأموال التى تعود على الصحف وخزانة التليفزيون من الإعلان عن هذه الأفلام الهابطة الفاسدة ، أمام ما تهدمه من قيم فى نفوس أبنائها وقتل شبابهم ؟

إن مصر لم تكن فى ماضيها القريب والبعيد بهذه الصورة التى تصورها الأفلام عنها وعن أبنائها ، فمصر الأزهر ومصر صاحبة الألف مئذنة ومصر القرآن ومصر الإسلام لا تموج بالعربدة الجنسية وهوس المخدرات كما تصورها هذه الأفلام ، ولكن مصر نقية طاهرة وأبناؤها مؤمنون مكافحون يرفضون الانحراف ويتصدون لأية ظاهرة سيئة تبرز للقضاء عليها .

فلماذا يحمل بعضنا معاول الهدم لينالوا من أمتهم ؟ كيف يرضى إنسان غيور على بلده أن يشترك في هذه الجريمة النكراء التى تهدم الضمائر وتخرب الذمم ؟!

هل عقمت أفكار المنتجين عن تقديم أفلام جيدة تتفق مع تاريخنا وأخلاقنا وترسى القدوة الحسنة لأبنائنا فى إطار من مقتضيات الشرع الشريف ؟

إن استمرار إنتاج الأفلام الساقطة والإبقاء على عرضها فى دور السينما جريمة في حق الأمة وينبغى أن يتصدى لها المسئولون فى وزارة الثقافة فهذه مسئوليتهم نحو شباب مصر الذين هم درع الأمة وبناة نهضتها .

أطالب وسائل الإعلام أن يكون هدفها إنقاذ شباب مصر وحمايتهم من الحملات الشرسة التى تدبر لإفساده حتى تنهزم مصر .

وانتم يا حملة الأقلام أعطوا أبناء مصر الكلمة المضيئة التى تنير طريقهم فما أعظم رسالة القلم الذي شرفكم الله بحمله .

يا رواد الإعلام فى كل مكان اتقوا الله فى أبناء مصر وأعطوا الأمانة حقها نحصد جميعاً الخير فى حاضرنا ومستقبلنا .

محمد عبد السميع شبانة

الفتاوى

إعـداد :
الأستاذ عبدالحميد السيد شاهين
الأستاذ على حامد عبدالرحيم

السؤال الأول :

وقع حادث لأسرة مكونة من ثلاثة افراد : زوجان وابنتهما ، فماتت البنت ثم ابوها ، وعاشت امها اى الزوجة يوماً ثم توفيت ، علماً بأن كلا من الزوج والزوجة ترك ابويه واخوة . والتركة مكونة مما يأتى :

ا ـ مفروشات بقائمة على الزوج ، ومفروشات خارج القائمة جددت جميعها .

ب ـ مبلغ مالى نحو عشرة آلاف جنيه .

يرجى الإفادة ع .. عبد الكريم .

الجواب :

بما أن البنت ماتت أولاً وليس لها مال يورث فلا يرثها أحد لعدم وجود تركة .

ولما كانت وفاة الزوج قبل وفاة زوجته . فإن الزوجة ترث الربع لعدم وجود الولد ، ولأم الزوج الثلث فرضاً والباقى لأبيه تعصيباً .

وأما الزوجة فلا يرثها إلا أبواها ، للأم الثلث وللأب الباقى ، ومن حق الزوجة ما فى بيت الزوجية من آثاث ما جدد وما لم يجدد .

وأما الأخوة من كلا الجانبين فليس لهم حق فى الميراث .

السؤال الثاني :

توفى والدى إلى رحمة الله . فى حالة غيابي .. ودفن في مقبرة لأحد اصدقائنا ـ وبعد عودتى بنيت مقبرة ، واريد نقل والدى إليها ـ وقد مضى على وفاته اكثر من

الفتـــــاوى

ثلاثة أعوام . فهل يجوز ذلك أم لا ..
افيدونا م ـ ابـو شريف
ـ شرقية

الجـــواب :

يجوز نقل الميت مطلقاً بعد ستة أشهر فأكثر عند الإمام مالك لسبب أو لغير سبب ـ ويرى الجمهور كراهة نقله .

السـؤال الثالث :

لى بنتان وولد : البنت الصغرى والولد فى حالة طيبة من الثراء والبنت الكبرى ارملة تربى ابنتها اليتيمة .

وقد قمت بتسجيل منزل موروث لى للبنت الكبرى الأرملة منذ زمن ـ بيعا نص فيه على قبض الثمن ـ فهل هذا مخالف للشرع .

م الشاطبى

الجـــواب :

تمليك المال لأحد الورثة أولغيرهم فى الحياة هو من باب العطية والهبة وقد اختلف في ذلك العلماء .

فذهب الجمهور إلى جواز ذلك مع عدم الكراهة إن كان بسبب مشروع كصغر وفقر وعجز وكثرة أولاد ـ فإن كان لغير سبب مشروع فهو جائز مع الكراهة ـ

وقال الإمام أحمد إن كان لغير سبب مشروع فهو حرام ، وإن كان السبب مشروعا فهو جائز بلا كراهة .

« تصويب »

فى مقال « البحث عن الأديان » المنشور بعدد شهر المحرم سنة ١٤٠٩ هـ ص ٢٨ ، وفى السطر الثالث عشر من النهر الثانى وقع خطا صوابه « فى سنة ١٨٠١ » .وصـ٣١ اللغة الفرنسيـة وصحتها الفارسية .
لذا لزم التنويه ..

من أعلام الأزهر

عبد العزيز البشرى

الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى

عبد العزيز البشرى

جاحظ العصر الحديث

٢

عاش البشرى فى مصر كما عاش الجاحظ فى العراق، مفتوح العين، مستوفز الحس، جيد الالتقاط لكل ما يلحظ، ويخطىء من يسجل تاريخ الصدر الأول من عصر بنى العباس دون أن يرجع إلى ما كتب الجاحظ عن شتى نواحى المجتمع، حين تحدث عن العِلْية من الرؤساء، كما تحدث عن الأوساط من التجار والصناع ثم عن السفلة من اللصوص والفتاك وذوى الكزازة والشح من البخلاء، وأُولى النَّهَمَ بين المتطفلين والماضغين، وفى ذلك كله تاريخ اجتماعى لأحداث العصر يجبَ أن يضاف إلى ما كتبه الطبرى والمسعودى وابن الأثير عن أحداث السياسة.

كذلك أبدع البشرى إبداعاً حين تحدث فى المرآة عن زعماء السياسة وأبطال الاقتصاد والقانون والإدارة والبيان والفن، كما تحدث فى غير المرآة عن شتى طوائف الشعب من المقرئين والملحنين ورجال الصحافة ثم من المتطفلين والسوقة والشحاذين وماسحى الأحذية والنادبين فى المآتم، والصائحين فى الأفراح فكشف الستائر الغاشية على تجارى الدم فى العروق، ورسم هجسات النفوس، وصوّر منازع اللؤم، وبواعث الاحتيال، ودواعى الملق، وأسباب التغطرس الكاذب، والاستعلاء البغيض بما لا يكاد يبلغه كاتب.

وقد خُلِق البشرى كثير الحركة، دائم التنقل، فهو يغشى مجالس العلية ممسيا، ويخالط الجمهرة الكادحة مصبحاً، وله مع أولئك وهؤلاء وبين هؤلاء وأولئك أصدقاء وأعداء، ووافون وغادرون، بل إنه ما كان يرتصد يومه الأطول متنقلاً بين المقاهى والنوادى والمنازه والمحافل إلا ليرضى حاجة فنه فى استكناه المشاعر، ونفض الأحاسيس، وهو لا يقف عند المظهر الخارجى وإن رسمه أبدع الرسم بل ينتقل إلى ما يستتر من أهواء ويُخفى من منازع، ولم يكن البشرى قاسياً على النفس البشرية

للدكتور محمد رجب البيومى

حين يصور نقائصها المخزية بل كان رحيماً بها فى أكثر المواقف ، وأقول أكثر المواقف ، لأن ضبط النفس الدائم مما يتعذر على كبار العقلاء من ذوى الاتئاد المتزن ، والذى يكاد يصل فى بعض الأحيان إلى درجة الجمود ، فما ظنك بأديب تموج نفسه بالمشاعر ، فيسرع نبضه وترتفع حرارته ، وتجيش مشاعره !! لابد له حينئذ أن يثور حين الغضب ، وأن يهيج حين الشذوذ كما يبتسم عند الفرح ، ويضحك لدى التنادم بالأفاكيه !

وفى كل ما كتبه عبد العزيز البشرى فى هذا المجال تاريخ اجتماعى حافل ، يجب أن يهتم به من اقتصروا على الأحداث السياسية وكأنها كل شىء فى تاريخ البلاد ، وأكثرنا يمر بما مر به البشرى ، فلا يلحظ منه شيئاً ، ولكن الأديب الكبير يراه فى عدسته المكبرة واضحاً ناطقاً فينقله إلى صفحته دون عناء وكأنه يتناول فاكهة شهية يستمرىء طعمها اللذيذ !

امامك مثلاً طائفة الشحاذين وهم من الشهرة بحيث لا يخلو منهم مكان ، والذين يتحدثون عنهم فى الغالب نفر من مادة الإصلاح الاجتماعى يحاربون التسول فى منطق علمى يبحث عن الجذور ليستأصل الثمار ، وأبحاثهم تتوالى دائماً وتلقى فى الندوات وتسجل فى الكتب ، وتنشر فى الصحف دون أن تعمل على سحق البلاء ! أما البشرى فيستبطن هذه الطائفة استبطان من رصد الحركات ، ووالى السير فى الطريق خطوة خطوة وراء السائل الملحاح ، ثم هو لا يكتفى بأن يكتب عنهم مقالاً أدبياً مشبعاً يقضى به حاجة نفسه ، كما يقدم الدارس بحثه الاجتماعى فى الموضوع نفسه ثم يفرغ إلى سواه ، ولكنه يعاود الكرة مثنى وثلاث وهو فى كل مرة يجد الطريف ، لأن الناس إذا تشابهوا فى المظهر فقلما يتشابهون فى المخبر ، وإذا وقف البشرى على الجديد فى هذا النطاق فلابد أن يبدىء ويعيد .

إنه فى مقال أول بالجزء الثانى من المختار ، يهجم على قارئه فيعلن أنه لا يعرف طائفة من أشد الناس أثره ، ولا أورم أنوفاً من السادة الشحاذين ! ويقول إنه لا ينعتهم بالسادة على وجه التأدب كما يتبادر للذهن . بل لأنه الحق الذى لاشك فيه ، أما مظهر هذه السيادة فقد بسطه البشرى فى صفحات مليئة بأعمالهم المفاجئة حين يتسلطون على الناس فى المقاهى والطرقات والأندية ولا يتزحزحون فتيلاً حتى يقبضوا (المعلوم) وحين يصيحون فى منتصف الليل فيزعجون النائم ، ويقلقون المريض ، ثم ينتقل من العموم إلى الخصوص فيتحدث عن الأستاذ رفيق بك العظم وقد علت به السن ، وألحت عليه العلل وهو من يوم نشأته مضعوف هزيل ، مرهف الأعصاب وقد امتُحن فوق هذا بالأرق ، يدخل فى مراشه فى الساعة التاسعة فيظل يتطاول إلى النوم ويستدرجه بألوان التكلف والتصنع إلى ما بعد الثانية صباحاً ، وبينما هو يستدرج الكرى ، ويدافع الأرق ، حتى دخل فى البرزخ

←

عبد العزيز البشرى

الممدود بين النوم واليقظة ، وهو تلك الرقعة التى تتراءى لك فيها الأحلام ، وتعى فى الوقت نفسه ما يدور حولك من الكلام ، إذا هاتف يهتف من الطريق بصوت كأنه صوت الهد ، أو زمزمة الرعد :

رغيف عيش ، وصحن طبيخ لله . وإذا الرجل يهب من سِنَتِهِ على أظافره ، وإذا الحدث يُعجله عن اتخاذ حذائه ، فيسرع حافياً إلى السلم ليقول لمولانا الشحاذ ، يخرب بيتك ! صحن طبيخ ! من الذى يسهر الآن ليسخن لك الطعام ! قل هاتوا رغيف وقطعة جبن !!

هذا عن مقال الشحاذين فى المختار ، أما مقال الشحاذين فى (قطوف) فإنه من النوع الطريف الذى يرصد ما طرأ على هؤلاء من تجديد إذ كانوا قديماً يعتمدون فى المسألة على إلحاح الجوع ، والعجز عن السعى ، بألوان من الأمراض والأسقام ، والآفات المقعدة ، كما كانوا لا يظهرون إلا فى رثاثة الثوب وتهدم الجسم ، ويتسكعون فى الأزقة والدروب ، ولا يلجئون إلى المنازل بل يترصدون الناس فى المرافق العامة ، أما الآن فهم يلبسون أجمل الثياب ، ويظهرون فى أحسن مظاهر الشباب ، ويجلسون معك فى المقهى جنباً لجنب ثم يأتى أحدهم إلى أذنك ليهمس إليك وكأنه يحاذر أن يسمعه أحد فيقول : إنه يجهز العرس لابنته وأنه يحتاج إلى عدة جنيهات ، ويستطرد البشرى فى أمثال هذه العجائب فى لباقة نادرة نعهدها لديه فى أكثر ما يقول .

ولا نطيل فى عرض ما قال عن المتطفلين والفتوات وأرباب الكيوف والمخدرات ، فقد جاء فى هذا المجال بما يضحك الثكلى حقاً ، وقد مات أحد هؤلاء فكتب عنه مقالاً بديعاً فى صدر جريدة الأهرام ونشره بخاتمة الجزء الثانى من المختار ، فلنترك حديث هذه الطبعة إلى حديث الكبار ! ممن نالوا حظاً وفيرا من نقد الأديب الكبير .

إن روح النقد الفكاهى لا تفارق البشرى فى حديثه عن رئيس الوزراء لعهده ، إذ يتحدث عنه بحرية مفرطة كما يتحدث عن المتطفلين والشحاذين ، لأن الأديب من طراز البشرى ينظر إلى النماذج البشرية حيث كانت ، ويرى عوامل الصدور والارتقاء لا تخفى مظاهر الضعف والكسل ، بل ربما ساعدت على إبرازها ، لأن صاحب المنصب الكبير فى ملتقى العيون دائماً ، فحركاته مرصودة ، ومواقفه مشهودة ، وأعداؤه من الكثرة بحيث لا يغفلون عن هنته ، ولم يكن البشرى متجنياً على الرئيس الكبير إذ كانت بعض مواقفه السياسية مما أوجب السخط العام وأثار الحفيظة فى النفوس ، إذ جاء عقب وزارة سعد زغلول وسلم للإنجليز بما يطلبون ، وهو بعد موضع الملاحظة « الكاريكاتورية » للفنان الأصيل لضخامة جسمه ، حيث بلغت مبلغاً لم يجد قلماً أرقى من قلم البشرى فى تصويره الدقيق ، إذ بدأ مقاله عن أحمد زيور بقوله :

« أما شكله الخارجى وأوضاعه الهندسية ، ورسم قطاعاته ، ومساقطه الأفقية ، فذلك كله يحتاج فى وصفه وضبط مساحاته إلى فن دقيق ، وهندسة بارعة ، والواقع أن زيور رجل - إذا صح هذا

التعبير ـ يمتاز عن سائر الناس فى كل شىء . ولست أعنى بامتيازه فى شكله المهول طوله ، ولا عرضه ولا بُعدِ مداه ، فإن فى الناس من هم أبدن منه ، وأبعد طولا ، وأوفر لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكلاً واحدا .

أما صاحبنا فإذا اطلعت عليه أدركت لأول وهلة ، أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدرى كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، وإنك لترى بينها الثابت وبينها المتخلج ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره ، وفيها المتيبس المتحجر ، وفيها المسترخى المترهل ، وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شعافها إلى الأمام شعبة طويلة أطل من فوقها على الوادى رأس فيه عينان زائغتان ، طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة ذلك المهوى السحيق » !

هذا الوصف الخارجى الرائع أتبعه البشرى بوصف للسجايا والصفات ، وفيه من التندر الضاحك ما لايُتاح لغير خليفة الجاحظ ، وقد لا تكون هناك صلة شخصية بين الكاتب وزيور ، إلا ما يعرفه المواطن من الأخبار العامة عن مسئول كبير ، يقوم على شئون الدولة فالعاطفة ليست من الخصوص بحيث تحتاج إلى استعادة ذكريات تُثنى من عناية العبث الفكاهى ، ولكن الأديب مصور مجسم رأى فرسم وأوضح وبالغ فى الظل والضوء !

تصوير رائع ينفرد به البشرى فى مراياه ، إذ حاول كبار الكتاب أن يبلغوا مبلغه فى رسم الشخصيات ظاهراً ، وتصوير الخلجات باطناً فما رجعوا بطائل ، حاول فكرى أباظة وحسين شفيق المصرى ومحمد إبراهيم هلال وتوفيق فرغلى وعبد الحميد حمدى وكلهم من صفوة الأدباء أن يبدعوا إبداعه ، فبعدوا وما قاربوا ، وهم فى غير هذا المجال ذوولسن مبين ، لأن روح البشرى تتعاصى على التقليد وإذا كان من المبدعين من له مدرسة من ناشئة المحتذين ، وأيفاع المقلدين فقد بقى البشرى أستاذاً دون تلميذ !!

وليس من التناقض فى شىء أن يكون صاحب هذه الفكاهة الضاحكة ، حزيناً فى أعماقه ، إذ قد تكون الفكاهة محاولة للهروب من واقع متأزم ، والبشرى إنسان حساس مرهف ، وبإحساسه يفطن إلى مواضع الألم فى المجتمع حين يشهد ارتفاع الأقزام ، وانخفاض الرءوس ، وحين يرى الإباحىّ يرتدى عباءة المتزمت ، والجاهل يتشح بسروال العالم ، وينال من التقدير ما لا يستحق ، أضف إلى ذلك ما تعاوره من المرض المتقطع وما رزىء به من فقد بعض البنين ، كل ذلك يجعلك تلمس الآهة الحبيسة فى تلافيف ما تسمعُ من الضحكات ، أمّا إذا كان الموضوع خالصاً للألم فإنك لا تقرأ للبشرى حينئذ كلمات يكتبها القلم ، بل ترى دموعاً يسيل بها الجفن ، وللبشرى إذ ذاك من تيقّظ الشعور ، وتوهج الإحساس ما يجعلك تحس وهج الجمر ، وهو كامن خلل الرماد ! لقد شاهد الكاتب احتضار ابنه « حسن » فى ليلة دامسة تنفس صبحها عن دجى شديد ، ففزع إلى القرطاس يسيل فيه دموعه المترقرقة من ينابيع حسرته ، فإذا به ينقل المأساة من صدره إلى صدور قرائه . وإذا هو لا يتكلف

عبد العزيز البشرى

شيئاً حين يصف لوعته الحارة فيقول « لقد استحالت كل جارحة فىّ نفساً تعانى من سكرات الموت ما لا يعلم مدى أوجاعه وآلامه وبرحه إلا الله ، فهذه تُزَمُّ بملازم الحديد زَماً ، وهذه تضغمها أنياب النمور ضغماً ، وهذه توخز بالإبروخزا ، وهذه تخر بالمدى خرا ، وهذه تفريها المخالب فريا ، وهذه تشويها النارشيا ، وكيف لى بعذاب نزع واحد ، ولم يصبح لى كسائر الناس نفس واحدة ، وإنما هى نفس تساقط أنفسا ! لاشك يابنى أنك مضيت إلى الجنة ، فإذا أحببت أن تعرف مبلغ عذاب أهل النار فأشده بعض ما أنا فيه ، واحر قلباه ، إننا نعيش فى هذه الدنيا عيش الآمن فى سربه ، بل عيش الذى عاهد القدر على أن يسلّم على الزمان فلا تكرثه الكوارث أبداً ، وإنا لنشعر فى أنفسنا المراح فنعبث ونضحك ، ولقد يضحك لضحكنا خلق من الناس ، وما ندرى : ماذا يضمر القدر بعد ساعة واحدة ، بل بعد دقيقة واحدة ، فلقد يكون فيما يضمر القدر ما يقد المتن قدا ، وما يهد النفس هدا ، وكذلك كان شأنى فيك يابنى » .

على أن حياة البشرى النفسية كانت لا تعرف الاستقرار ، فهو يعلن أنه ما اطلعت عليه ساعة من نهار إلا رأى نفسه مشغولاً عنها بالانحدار إلى التى تليها ، ولا صار فى يوم من الأيام إلا أحس أن همه فيما بعده ، فهو من يوم أن طالع هذه الدنيا كأنه على سفر دائم لا لبثة فيه ولا هوادة ، ولا مناخ لراحة أو زاد ، وإنه ليتساءل حائراً[1] ! ترى ما حاجتى أو ما حاجة هذا السائق الخفى الذى لا ينى عن دفعى دائماً إلى الأمام ؟ فما كنت فى ساعة من الدهر إلا استشرفت لما بعدها ، ولا طلع على يوم من أيام العمر إلا تشوفت إلى غده ، ولا دخلت على سنة إلا تعجلت السنة التى من ورائها حتى لو تهيأ لى أن تجمع أيام عمرى فى سجل واحد ، لأسرعت إلى تقليب صفحاته حتى آتى من فورى على آخرها ، وفى آخرها آخر العهد بالحياة ، فما أرانى غير قصة خيالية أنا ممثلها ، وأنا فى الوقت نفسه شاهدها ، فما إن جد لى منها منظر إلا تاقت نفسى لما بعده ، ولا حل منها فصل إلا تعجلت غايته والتحول إلى ما وراءه » .

وفى هذا القلق الدائم أبدع البشرى مقالاته ، لأنه يستمد وقوده منه ، فهو يحلل كل دقيقة تمر به ، وإذا استشعر لها بعض الألم حينا ، فإن ألم الأديب الكبير نعمة لا نقمة ، ومن لطف الله به أنه كان محبوباً فى عمله الحكومى ، وكان لشهرته الأدبية لا يجد من رؤسائه غير الاحتفاء والترحيب ، ولو سمحت ظروفه الوظيفية بغير ذلك ، ما تيسر له أن يعد ساعات النهار قلقاً متبرماً ثم هو ينشىء أروع المقالات ، وينادم بأحلى النوادر وأطيب الأحاديث .

إن من سمة الأدب الحى ألا يخلق على التكرار ، فأنت تطالعه عدة مرات دون أن

---

(١) المختار حـ ١ ص ١٧٤ .

يفقد حلاوته ، أو تخف جدته ، كاللحن الغنائى تسمعه ما تسمعه ثم تجد نفسك فى حاجة إلى استعادته ، وإذا كان الشعر الصادق يجبر قارئه على ترداده ، تنفيساً عن مشاعر دفينة ، وترويحاً عن أحاسيس مكظومة ، فإن فى أدب البشرى الكثير مما يرتفع إلى مستوى الشعر البليغ ، وما تجد نفسك فى أمسِّ الحاجات إلى معاودة روائعه ، وكأنك تجول فى روضة معطار تتفقد زهورها ، وتأكل من ثمارها . وتستنشق نسائمها .

لقد كتب البشرى قصة عاطفية تحت عنوان (حياء) تصور الحب العذرى الحبيس ، هذا الحب القاتل الذى يضطرم فى الأحشاء دون أن ينم عنه اللسان ، بل دون أن تُفصح عنه العينان إذ يجتهد صاحبه أن يُخفى ذات نفسه ، كيلا تحس لَيْلاهُ بشىء من شجونه ، فتغضب ، وهنا تقع الكارثة التى لايفوقها حدث ما ، وما كانت قصة البشرى ذات أحداث مفاجئة تتطلب الانتباه ، وتستهوى الأنظار حتى يرجع تأثيرها إلى توالى المشاهد ، وترادف المفاجآت إن هى إلا تصوير لرجلٍ أحب فعف فكتم ! ولكن انفساح الأمد فى التصوير الخالب ، والصدق الآسر ، والإيحاء الرامز جعلك من هذه القصة تصلى من ألوان الأحاسيس ما يرتفع بنفسك طهرا وشرفاً ومروءة ، وما يطرب ذوقك إبداعاً وإيحاء وترنيماً .

وهل يكون الشعر غير ذلك .

فما لنا نقصره على خواطر تضطرب فى سلاسل القوافى والأوزان ، والاستشهاد هنا ببعض ما قال الكاتب المبين فى قصته مما يضائل منها ، لأن القصة لا تستوى ناهضة فى دنيا الخاطر إلا إذا ذكرت جميعها من ألفها إلى يائها ، وهل يمكنك أن تعرض من الوجه الجميل عينا ، أو أذناً ، أو خدا ليدل شىء على جمال أشياء ، كذلك لا يمكنك أن تستعير عدة سطور لتدل جذوة واحدة على ما يتأجج به البركان من جذوات ، لقد خصها الأستاذ خليل مطران بحديث لامح فيما كتبه بمقدمة الجزء الأول من المختار إذ شدت انتباهه شدا عنيفاً ، وهو القارىء والدارس لآداب الغرب ، والمترجم الدقيق لروائعه القصصية . ولكنه وجد حقاً عليه أن يقول عن قصة (حياء) للبشرى إن فى ما هو أغرب فى سرد ما سَردَ من وقائعها ، وفى صدق تصوير لصاحبها بحسه ومعناه ، وفى مختلف أطواره ، وفى إحكام السياق إلى أن أَطْفىَ(٢) من الرسوب فى أبعد قرارة من النفس معنى من أدق معانى الحياء !! الله الله فى دقة الوصف ، واستشفاف الطف ما يتحرك به الحس فى أطواء النفس . الله الله فى روعة الأسلوب وصفاء العبارة ، وبلاغة تمهيد الفواتيح للخواتيم » !!

ومن أبدع ما كتب البشرى فصل رائع عن قارىء القرآن الشيخ أحمد ندا ، وقد امتد صيته فى الربع الأول من هذا القرن ، حين لم تنتشر شرائط التسجيل لتحفظ روائع أدائه

البقية ص ٢١٣

(٢) دَاوَمَ .

الشيخ

محمد بن سعيد عياد الطنطاوى

أستاذ اللغة العربية بجامعة بطرسبورج

(١٨١٠ - ١٨٦١)

علم من اعلام الدين واللغة والادب نشا وتعلم فى رحاب الأزهر الشريف فى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، حتى تخرج منه ثم مارس مهنة التدريس فيه بضع سنوات قبل ان يقوم برحلته العلميـة إلى الامبراطـورية الـروسية القيصرية سنة ١٨٤٠ ميلادية ويقضى فى عاصمتها مدة تقرب من ربع قرن من الزمان ، اتقن خلالها اللغة الروسية واستطاع بجده واجتهاده وعمله ان يصل فى مهنة التدريس إلى درجة الأستاذية لكـرسى اللغـة العـربيـة بجـامعـة « بطرسبورج » .

يصفه المرحوم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن صاحب كتاب" أعلام من الشرق والغرب" بأنه كان من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر ، ومن الطلائع الذين اتجهوا فى دروس اللغة والأدب والشعر وجهة جديدة ، وقد اتسعت هذه الطريقة فيما بعد على يد الشيخ حسين المرصفى (صاحب كتاب الوسيلة الأدبية) الذى كان من علماء الأزهر ، وتولى التدريس فيه والمتوفى سنة ١٨٨٩ ميلادية .

ذلك هو الشيخ محمد بن سعيد بن سليمان عياد المرحومى الطنطاوى الذى تلقى العلم على يديه المئات من المصريين ، والمئات من الشخصيات الأجنبية فى مصر ثم فى الدولة الروسية القيصريـة،بعضهم ليسوا من الـروس فحسب ، فكثير منهم كان من أبناء الشمال الأوروبى وبعض الدول الأوروبية الأخرى .

مولده ومحتده

ولد الشيخ محمـد بن سعيد عيـاد الطنطاوى فى قرية (تجريد) من قرى محافظة الغربية سنة ١٢٢٥ هجرية التى توافق سنة ١٨١٠ ميلادية إلا أن موطن والده هو قرية (محلة مرحوم) التى كان لها وزن كبير فى الماضى البعيد إذ كانت عاصمة إقليم

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

الغربية قبل أن تحتل مكانتها مدينة طنطا إثر أن بنى فيها على بك الكبير (مسجد السيد أحمد البدوى) فصارت عاصمة ذلك الإقليم وازدادت شهرتها فى تحفيظ القرآن الكريم [...] وفى هذه البيئة القرآنية حفظ الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى القرآن الكريم ، وقد غلبت عليه النسبة إلى مدينة طنطا فصار مشهورا بها منذ أيام طلبه العلم فى الجامع الأزهر .

سفره إلى القاهرة لاستكمال طلب العلم بالأزهر وتدريسه فيه .

وفى سنة ١٢٣٨ هجرية التى توافق سنة ١٨٢٣ ميلادية توجه الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف فقد كان ـ ومازال ـ المركز العلمى والدينى والثقافى الأول فى العالم الإسلامى والعربى ، وإلى ما شاء الله تعالى ، وفى الأزهر اتجه الشيخ إلى دراسة علوم اللغة العربية ، وبعد وصوله إلى القاهرة بخمس سنوات توفى والده فكان عليه أن يدبر شئون حياته إلى جانب الاستمرار فى دراسته فسمح له بالتدريس فى الأزهر ، خصوصا بعد أن نال إجازة التدريس فى علم الحديث ، ولم يفته الاهتمام بعلوم اللغة وآدابها فكان يلقى دروسا أخرى فى الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب حتى اعتبر من أوائل علماء

الشيخ محمد عياد الطنطاوى

الأزهر الذين اتجهوا فى التدريس وجهة أدبية ، وكان مما قام بتدريسه لطلبته ديوان الحماسة ومقامات الحريرى ، فكان يشرح غريب الألفاظ ويبصر متلقى العلم بمواطن الحسن والقبح فيها لكنه لم يترك شرحا مخطوطا لأى من هذين الكتابين .

اساتذته وزملاؤه فى الأزهر الشريف :

تلقى الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى العلم على لفيف من علماء ذلك العصر نذكر منهم :

الشيخ محمد بن سعيد

١ ـ الشيخ حسن العطار الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد ، وقد كان لديه من النزعات الأدبية ما جعل له مقاما ملحوظا فى الجامع الأزهر وفى غيره فى ذلك الزمان .

٢ ـ الشيخ محمد الزبيدى صاحب قاموس تاج العروس .

٣ ـ الشيخ إبراهيم الباجورى .
أما زملاؤه فكان منهم الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى والشيخ محمد قطة العدوى محقق كتاب العروض وبعض كتب التراث الأخرى .

قيامه بتدريس اللغة العربية للأجانب المقيمين بمصر مهد له طريق السفر للبلاد الروسية

عندما أبدى بعض الأجانب المقيمين فى مصر فى عصر محمد على رغبتهم فى دراسة اللغة العربية اختير الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى للقيام بهذه المهمة وكان ذلك سنة ١٨٣٥ ميلادية فى المدرسة الانجليزية بالقاهرة وأتيح له التعرف بشخصيات مختلفة إلى كثير من المستشرقين فعرفوه وتردد اسمه فى دوائرهم ، ومن تلاميذه مستشرقون من فرنسا وألمانيا وأبناء الامبراطورية الروسية وقتئذ نذكر منهم :

١ ـ الدكتور برون الفرنسى .
أستاذ الطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب المصرية وكان يعرف اللغة العربية كتابة وقراءة وحديثا .

٢ ـ الدكتور (فراهن) R.FRAEHN وهو ألمانى كان والده مدرسا للشرقيات فى كلية قازان الروسية .

٣ ـ المستشرق (جستاف فيل) Weil وكان مدرسا لتاريخ الشرقيات فى كلية هيدلبرج وله من الكتب تاريخ الخلفاء فى ثلاثة مجلدات ، وتاريخ العباسيين فى مصر فى مجلدين .

٤ ـ المستشرق الفرنسى (فلنجانس فرنيل) F. Fresnel

وله أبحاث فى آثار بابل وترجم لامية العرب للشاعر (الشنفرى) إلى اللغة الفرنسية .

٥ ـ نيقولا موخين ، ورودلف فرين وقد كانا يعملان بالسلك السياسى الروسى لدولتهما بالقاهرة ، وهذان حررا لحكومتهما توصية بالاستفادة من علم هذا الشيخ الأزهرى وذلك بطلبه لتدريس اللغة العربية فى معاهد العلم بالبلاد الروسية وشهدا له بالإجادة والتمكن فيها ، فلما احتاج معهد اللغات الشرقية فى بطرسبورج إلى مدرس للغة العربية وقع الاختيار عليه وكلفت الحكومة الروسية مندوبها القنصلى فى القاهرة (بطرس بكتى) بالاتصال بالشيخ وإقناعه بالسفر والعمل هناك .

ومما ساعد على دعوته للسفر إلى البلاد الروسية عناية تلك الدولة بدراسة اللغات السامية منذ سنة ١٨١٦ ميلادية إذ أنشىء فى عاصمة القياصرة فرع للغات الشرقية وكان

الفضل فى ذلك راجعا إلى (أوفاروف) صاحب مشروع المجمع الآسيوى ، وأخذت العناية باللغات الشرقية تظهر شيئاً فشيئاً فى روسيا بفضل اهتمام (بوشكين) ناظر المعارف فى الحكومة القيصرية ، وكانت تدرس فيه بجانب اللغة العربية اللغات الفارسية والتركية والمغولية والصينية والأرمنية وغيرها من لغات الشرق ورأى الأستاذ (جريجرياف) أن يقوى هذا القسم بإنشاء شعبة لتدريس تاريخ الشرق حتى تكون دراسة اللغات الشرقية متمشية جنبا إلى جنب مع دراسة تاريخ أقطارها فقرر الاستعانة بالأساتذة المشارقة انفسهم فذلك أجدى وسيلة لتعليم اللغات الشرقية للراغبين فيها من الطلاب الروس وغيرهم من الأوروبيين ، وفى مقدمة هذه اللغات اللغة العربية ، فكانت ضمن مناهج الجامعات ، وكانت (جامعة خاركوف) أول جامعة تأخذ بتطبيق هذا المبدأ : تدريس اللغة العربية ثم تلتها (جامعة قازان) فقامت بتدريسها بالفعل عندما استدعى الامبراطور أسكندر الأول المستشرق (دى ساس) فاقترح عليه إنشاء كرسى للغة العربية بجامعة (بطرسبورج) فشغله (ديمانج) ثم خلفه (سبينكوفسكى) الذى تسلم منه الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى هذا العمل إثر نقله من معهد اللغات الشرقية سنة ١٨٤٧ واستمر فيه طيلة حياته العلمية هناك .

سفره لاستلام العمل

بعد موافقة الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى على عرض الحكومة الروسية للعمل هناك دعاه والى مصر محمد على باشا لمقابلته ، وفى هذه المقابلة حثه على دراسة اللغة الروسية وإتقانها ووعده بعطفه والعناية به إذا أجاد فى رحلته ، وفى يوم السبت ٢٠ من المحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق ١٦ مارس سنة ١٨٤٠ م سافر الشيخ من القاهرة إلى الأسكندرية حيث استقبله القنصل الروسى ، ثم ركب إحدى البواخر البحرية لتصل به إلى (مدينة اسطنبول) عاصمة الخلافة العثمانية ، وهناك استقبله السفير الروسى ورحب به ، وزيادة فى العناية به كلف أحد موظفى السلك السياسى بالسفارة واسمه : نيقولا موخين (تلميذ الشيخ سابقا بالقاهرة) بمرافقته فى رحلته إلى البلاد الروسية ؛ فاستقلا إحدى البواخر الروسية التى رست بمدينة أودسا على البحر الأسود ، ومن هذه المدينة استقلا عربات البريد التى تجرها الخيول فاخترقت بهما البلاد من الجنوب إلى الشمال حتى وصلا مدينة (كييف) ثم قرية (موهلوف) موطن تلميذه ورفيقه : نيقولا موخين فاستقرا بها بضعة أيام استأنفا بعدها رحلتهما إلى مدينة (بطرسبورج) عاصمة البلاد وقتئذ - وتسمى حديثا (لينينجراد) فوصلاها فى التاسع والعشرين من شهر يونية سنة ١٨٤٠ ميلادية بعد سفر دام ثلاثة أشهر ونصف شهر ، قضى الشيخ منها شهرين فى الحجر الصحى وبضعة أيام فى قرية موهلوف ولم تضع هذه الأيام سدى بل استنفدها الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى فى تعلم اللغة الروسية .

الشيخ محمد بن سعيد

اعماله فى هذه البلاد :

بعد وصول الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى إلى بطرسبورج أسندت إليه حكومة القيصر الروسى بعض الأعمال العلمية فى وزارة الخارجية الروسية بالإضافة إلى عمله فى تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية وبعد سبع سنوات من تاريخ حضوره - وبالتحديد فى ٨ أكتوبر سنة ١٨٤٧ - عين أستاذا فى جامعة بطرسبورج للغة العربية بالإضافة إلى عمله فى وزارة الخارجية الروسية .

طريقته فى التدريس بمدينة بطرسبورج

فى تدريسه للغة العربية كان يجمع بين الطريقة النظرية والطريقة العملية فكان يدرس لطلابه قواعد اللغة العربية ، ويشرح أمثال لقمان ويقرأ قطعا تاريخية من مقامات

الحريرى ونظراً لإلمامه وإتقانه للغة الروسية كان يدرس « الترجمة » من الروسية إلى العربية وكذا الخطوط العربية وقـراءة المخطوطات والمحادثة باللغة العربية وابتداء من سنة ١٨٥٥ رأى أن يدرس (تاريخ العرب) .

الآثار التى احدثتها طريقته فى تدريس اللغة العربية :

شاعت طريقة الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى فى الأوساط العلمية فى روسيا كلها وتجاوزتها إلى الأوساط الأدبية حتى إننا لنجد اهتماما ملحوظا بالثقافة العربية من أدبائها الكبار .

١ - فالكاتب الأديب (تولستوى) أعاد النظر فى دراسة هذه الثقافة ودراسة الإسلام ثم ألف كتابا عن النبى محمد ﷺ قال فيه (لا ريب أن هذا النبى من كبار الرجال المصلحين[1] الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثلـه جديـر بالاحتـرام والإجلال) .

٢ - ويقترح أديب روسيا فى ذلك الوقت (مكسيم جوركى) على مستشرقى جامعة بطرسبورج زيادة الاهتمام بالثقافة العربية .

٣ - ولم يقتصر الاهتمام بالثقافة العربية فى الدولة الروسية على الأوساط العلمية والأدبية وإنما تجاوزها إلى الأوساط الشعبية

---

(١) نؤمن - نحن المسلمين - بأن من يقتنع بالإسلام إقتناعا صادقا يندفع إلى الإيمان به ، فكان حديثه عن المصطفى حديث المعترف بمنزلته الحقة ، فلا يعتبره مصلحا أدى خدمة اجتماعية ، بل يعتبره الرسول الخاتم المرسل للعالمين كافة ، لذلك ينبغى أن يؤخذ بحذر شديد ما يلهج به بعض الكتاب الغربيين وغير المسلمين - عنه ﷺ - مجلة الأزهر .

حيث أنشىء العديد من المكتبات الشرقية التى تحتل الكتابات العربية جانبا منها حتى أنه كان فى مكتبة بطرسبورج نسخة من القرآن الكريم بخط كوفى محفوظة فى صندوق زجاجى بل إنها نسخة تخص الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليها قطرة من دمه .

٤ ـ ولقد تتلمذ على الشيخ الطنطاوى واستفاد من طريقة تدريسه عشرات من المستشرقين الروس إما مباشرة أو على خلفائه وتلاميذه ومنهم المستشرق (كراتشكوفسكى) الذى ألف كتابا عن حياة الشيخ باللغة الروسية تقديرا وإعجابا به .

ومنهم المستشرق الفنلندى الأصل (Wallin فالن) الذى زار مصر وسوريا وجاب الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر .

مؤلفاته :

بلغت مؤلفات الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى واحدا وأربعين مؤلفا معظمها مخطوط لم ينشر حتى الآن ، لعل أهمها كتابه فى وصف البلاد الروسية وعنوانه (تحفة الأذكيا بأخبار روسيا) ومنها فى علم النحو (حاشية على شرح الشيخ خالد على متن الأزهرية) و (حاشية على متن الزنجانى فى الصرف) و (حاشية على كتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى) ولها نسخة خطية فى مكتبة الأسكندرية وقد قامت مكتبة جامعة بطرسبورج بشراء مجموعة هذه المؤلفات المخطوطة سنة ١٨٧١ ميلادية بناء على طلب الأستاذ (كسوفتش) عميد المدرسة الداخلية التى كان يقيم ويتعلم فيها أحمد نجل الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى بعد وفاة والده حتى يستمر صرف معاش أبيه إليه .

ولقد دارت بين الشيخ الطنطاوى وتلميذه الفنلندى (فالن) رسائل جمعها ذلك المستشرق وطبعها مترجمة إلى اللغة السويدية ، ومجموعة أخرى من رسائل الشيخ محفوظة فى (مكتبة جامعة هلسنكى) كما ترك الشيخ رسالة إلى زميله فى الجامع الأزهر وصديقه رفاعة رافع الطهطاوى يذكر له فيها كيفية معايشة الأوروبيين وانبساطهم وحسن إدارتهم وترتيبهم خصوصا ريفهم والبيوت المحدقة بها الأنهار والبساتين .

مرضه ووفاته :

فى سبتمبر سنة ١٨٥٥ ميلادية ألم الشلل بقدمى الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى مما اضطره إلى طلب أجازة مرضية من إدارة الجامعة ، وفى أبريل سنة ١٨٥٦ م طلب من الأطباء أن يمدوا له أجازته المرضية ثمانية وعشرين يوما ليسافر إلى (بوهيميا) للعلاج بمياهها المعدنية الساخنة ولكن العلة استفحلت فأقعدته تماما عن العمل ومع ذلك فإن إدارة الجامعة هناك زيادة فى تقديرها له رفضت أى بديل لهذا الشيخ الأزهرى حتى وفاته سنة ١٨٦١ م لأنه كان معظما غاية التعظيم محترما إلى النهاية من جانبها ، وقد رتبت له معاشا عظيما كما شهد بذلك الشيخ يوسف كوتوال مدير « كتبخانة » دار المعارف

الشيخ محمد بن سعيد

بقازان والتى سجلها المرحوم محمد أمين فكرى بك فى أوراقه .

بعض مظاهر تقدير الدولة الروسية للشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى

كان لجهود الشيخ المثمرة فى تدريس اللغة العربية وآدابها التقدير والثناء عليه من أقطاب الدولة الروسية القيصرية وغيرهم من الملوك والكتاب أظهروه فى مناسبات متعددة :ـ

١ ـ فى الخامس عشر من اغسطس سنة ١٨٥٠ م استحق الشيخ الشكر القيصرى على جهوده فى التدريس لطلاب جامعة بطرسبورج .

٢ ـ وبعد عامين حاز ميدالية من أحد ملوك أوروبا مكافأة له .

٣ ـ ثم أهداه ولى عهد القيصر الروسى خاتما مرصعا بالجواهر شكرا له على جهوده العلمية .

٤ ـ وقد كتب عنه الكتاب الروس الكثير خصوصا عن ذكائه وطيبة قلبه وأنه إنسان مرح وعطوف وأن ذكاءه واستقامته يستدعيان الاحترام الشديد وأكدوا فيما كتبوه أنه ليس للطنطاوى مثيل آخر فى هذا العالم .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

المراجع :

ـ اعلام من الشرق والغرب للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ـ الناشر دار الفكر العربى .
ـ مجلة العربى الكويتية شوال ١٤٠٨ هـ ـ مقال للأستاذ يوسف القعيد .
ـ إرشاد الألبا إلى محاسن اوروبا للأستاذ محمد امين فكرى طبعة المقتطف مصر ١٨٩٣ .
ـ مقال الاستشراق الروسى بين الشيخ الطنطاوى وكراتشكوفسكى .
جريدة الأهرام ١٩٨٨/١/٢٩ للأستاذ سامح كريم .

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

تضرع وإنابة

أيام

عندما يتنفس الصبح

تضرع وإنابة

للشيخ محمد زكى إبراهيم

يارب اذنبتُ لكن ... فى خيفةٍ منك ربى
قد كان قلبى يبكى ... وانتَ ادرى بقلبى
وانت ادرى بصدقى ... منى ، وادرى بكذبى
ياغافر الذنب إنى ... قد اعترفتُ بذنبى
ياقابل التوب صِلْنِى ... واقبل بفضلك توبى
مالى إليك شفيع ... إلا اعترافى وحبى
والستر منك دليل ... على قبولى وقربى

عَجِبْتُ - والله - مِنّى ... وطاش - والله - لُبى
لا زلت فى التيه امضى ... لغير وجه وصَوْب
يارب هل من سبيل ... إليك يكشف كربى ؟
ظلمتُ قبلا شبابى ... واليوم اظلم شيبى
إنى اثيم مُقَصِّرُ ... قد ضاق بى كلُّ رحب
بكيت حتى بكانى ... قُساةُ اهلى وصحبى

يارب اذنبت لكن ... فى خِيفةٍ منك ربى
كم ارَّقتنى الخطايا ... ولستُ بالمتابى
هل من نجاةٍ لعبدٍ ... على المعاصى مكِبٍّ ؟
يارب عفوك ارجو ... إن نلتُ ذاك فحسبى

أيام

للشاعرة نور نافع

والله ما عاد الزمان زمانا　　كلا ولا امسى المكان مكانا
إن الزمان رمى بنا فى وهدة　　فمكاننا حيث الزمان زمانا
لما قتَلْنا فى جفاء صدقَنَا　　ووفاءنا ووِدادنا ورضانا
لما قتلنا الروح والمعنى ، وما　　ابتدرت مدامعنا على قتلانا
لما العيون رنت كانا لا نرى　　احدا ، ولا احدٌ هناك يرانا
متهالكون ، مبعثرون ، قلوبُنا　　شتى تزاول اى شىء كانا

البعض يهزل ، والليالى مُرَّةٌ　　ويظننا سنصفق استحسانا
والبعض لا يدرى، ويحسب انه　　يدرى فيمعن فى الهوى إمعانا
والبعض ينظرها بنصف عيونه　　فتراه فيها نائما يقظانا
والبعض يلعب بالنشاب سفاهة　　لم يدر ان نشابه اردانا
والبعض يلهث والسراب يزيده　　لهفا - ويزداد الثرى لمعانا
والبعض يعشق نفسه ما هَمُّهُ　　ان الذى قد سره ابكانا
والبعض يلتهم الحياة بلحمها　　بعظامها بدمائها بدمانا
وعلا صياحُ القرش . والكف التى　　لعبت به جعلت له سلطانا
رفعته فوق المكرمات ، وبعثرت　　كل الفضائل حوله قربانا

ماذا تعلمنا ؟ فلم يك فعلنا　　شططا ، وكل امورنا استهجانا ؟
كنا بروح خالص متلهف　　ينساب من فرط الوفاء حنانا
كنا بطبع فى التخلق واحد　　حتى لتحسب كلنا إنسانا
اين ائتلاف الناس . هل ايامه　　ولَّت وما عاد الزمان زمانا ؟
اين المبادىء والمشاعر ، اين من　　فضل تناسينا ومن إنسانا ؟
من نحن ؟ نبحث بيننا عن روحنا　　وسؤالنا : ماذا تراه دهانا ؟
هل تلك مصر بنيلها وسمائها　　ولما تغير فوق ذاك سوانا

عندما يتنفس الصبح

للشاعر محمد عبد الخالق ندا

طيـور الـروض تهتـف للصباح　　فتبتـعث الخلائـق مـن سبـاتِ
نشـاوى ليس مــن دنّ وراح　　لقـد سكـرت بانفـاس الحيـاةِ

***

تُحلّـقُ فـوق روضتِها حبـورا　　تناجـى الحسن مؤتلقـا بَهِيًّـا
وتنهـل من جمـال الكون نورا　　تـــردده نشيــدا عبقريــاً

***

وكـم للطـير مــن نغـم شـجيٍّ　　لـه فـى النفس سحرٌ اىّ سحرِ
يـردد فـى البكـور وفـى العشى　　كنـور البـدر فى الأرواح يسرى

***

ومـال السَّرْوُ منتشيا يناجـى　　طيـورا شاقهـا العيـش الجميـلُ
تـراها فـى انطـلاق وابتهـاج　　ومـن تغريـدها يُشْفَـى العليـلُ

***

وانفـاس الـورود لهـا عبيـر　　يشعشـع روحنـا بعـد الخمـودِ
حيـــاة كلهـا حــسن ونـــور　　كانـا قـد خلقـنا مـن جديد

***

تجلـى مبـدع الأكـوان صنعـا　　لـــه الآيــات رائعـة الجمـال
تسبحـه الخلائـق وهـى تسعى　　فسبحـان المهيمن ذى الجـلال

العلوم الكونية

خصائص المنهج العلمي

نظرية الاختيار الأمثل

خصائص المنهج العلمي

في التراث الإسلامي

٤

إسلامية المنهج العلمي حقيقة وضرورة :

استعرضنا في الفصول السابقة من هذه الدراسة أهم خصائص المنهج العلمي في التراث الإسلامي ، وذلك من حيث تعريفه ومسلماته وعناصره وأدواته ، ولا يصعب على أي باحث منصف أن يستنتج من قراءته للتراث الإسلامي أن المنهج الذي اتبعه علماء الحضارة الإسلامية تأليفاً وتحقيقاً وبحثاً وممارسة هو منهج إسلامي خالص ، سواء من حيث الموضوع ، أو من حيث الطريقة والأسلوب ، أو من حيث المعنى والغاية .

ولهذا فإن أية صياغة لنظرية المنهج العلمي السليم لا تكون مقبولة منطقياً وعملياً إلا إذا عرضت في إطار من التصور الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فهما الأساس الذي تنطلق منه العقلية الإسلامية بوجه عام ، امتثالاً للأمر الإلهي الذي بدأت به رسالة الدين الخاتم في قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ « العلق - ١ » إذ لا يمكن أن تبدأ آخر الرسالات السماوية بهذا الأمر الإلهي إلا إذا اتسعت دائرة دلالته اللفظية وامتدت لتشمل كل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي ، وكل ما يدعه الإنسان في الجانب السلبي ، مجرداً في الأسباب والغايات لله الخالق سبحانه وتعالى .

والقول بأن إسلامية المنهج العلمي **حقيقة منطقية وواقعية** يتفق مع ماثبت من أن المسلك الذي اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث في الوصول إلى استنتاج الأحكام وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال قد انسحبت على أسلوب التفكير والتجريب في البحث العلمي ، وأصبحت القواعد التي ساروا عليها في تحري الحقيقة هي المعوّل عليها لدى الباحثين المحدثين والمعاصرين في

للدكتور أحمد فؤاد باشا

مختلف فروع المعرفة . ومن ثم لم يكن غريباً أن نقرأ فى كتب التراث العلمى للحضارة الإسلامية تعبيرات أصول الفقه وطرائقها . فنرى الحسن بن الهيثم ـ على سبيل المثال ـ يستعمل الاستقراء وقياس الشبه فى شرحه لتفسير عملية الإبصار وإدراك المرئيات حيث يقول : « لا يتم الإدراك إلا بتشبيه صورة المبصَر ـ بفتح الصاد ـ بصورة قد أدركها المبصِر ـ بكسر الصاد ـ من قبل ، ثم إدراك التشابه بين الصورتين ، ولا يدرك التشابه بين الصورتين إلا بقياس » . كما نراه يستعمل لفظ الاعتبار (وهو قرآنى) ليدل على الاستقراء التجريبي أو الاستنباط العقلى (١) .

أما أن إسلامية المنهج العلمى ضرورة ، فهى بالفعل كذلك ، لأنها تخلع عليه من خصائص الإسلام ما يجعله عالمياً وصالحاً لكل زمان ومكان .. وإدراك المسلمين الأوائل لروح المنهج العلمى على هذا النحو هو السبب الأول لتقدمهم ورقيهم . فلا شك أن تطوير العلوم سوف يستمر كما كان معتمداً على التجربة العملية . وحرص العلماء على الدقة المتناهية فى إجراء التجارب ، إنما يفيد فى اختبار صحة الأفكار النظرية . وعندما تعطى التجربة نتائج مختلفة أو مخالفة للنظرية ، فإن هذا بدوره يؤدى إلى نظريات واكتشافات جديدة ..

ومن هنا يقال دائماً إن التجربة العلمية هى التى تصنع المعرفة ، وقد ترتب على هذا الفهم الواعى لطبيعة المنهج العلمى الإسلامي الذى اصطنعه العلماء المسلمون أساساً للبحث والتفكير ، أن كان لهذا المنهج أعظم الأثر فى تاريخ العلم والحضارة . وعندما انتقلت العلوم الإسلامية إلى أوروبا ، فطن علماؤها إلى سر تقدم المسلمين ودعوا إلى اتباع منهجهم بعد أن وجدوه سمة العلوم فى الحضارة الإسلامية .. وقال الحبر الانجليزي (روجير بيكون) : « إنه باتباع المنهج التجريبي الذي كان له الفضل فى تقدم العرب ، فإنه يصبح بالإمكان اختراع آلات

←

---

(١) لمعرفة المزيد فى هذا الشأن نحيل القارىء الكريم إلى كتاب : القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، للمستشار عبد الحليم الجندى ، دار المعارف ١٩٨٤ . وفيه عرض شيق لعلم أصول الفقه كما استنبطه الإمام الشافعى من نصوص القرآن ووضع له ضوابطه وشروطه للاجتهاد بمنهج عام للاستقراء والاستنباط والقياس ، تبارى فى الأخذ به العلماء في جميع فروع العلم ، وتلاحقت فيه الشروح والأعمال التجريبية طوال القرون التى لحقت بعد، حتى القرن الثالث عشر الميلادى . انظر أيضاً دراستنا عن « الإسلام وفلسفة العلم المعاصر » فى كتاب : الثقافة الإسلامية (بالاشتراك) ، ص ١٠٣ ـ ١١١ ، ط ٢ منشورات جامعة صنعاء ١٩٨٦ .

المنهج العلمي

جديدة تيسر التفوق عليهم .. ففى الإمكان إيجاد آلات تمخر عباب البحر دون مجداف يحركها ، وصنع عربات تتحرك بدون دواب الجر ، وإيجاد آلات طائرة يستطيع المرء أن يجلس فيها ويدير شيئاً تخفق به أجنحة صناعية فى الهواء مثل أجنحة الطير[٢] . وعندما جاء (فرنسيس بيكون) بعد ذلك أطلقوا عليه لقب نبي الحضارة ، ونسبوا إليه فضل اكتشاف المنهج العلمى الذى أنقذ أوروبا من عصور الظلام والانحطاط ، ولقد تأخرت أوروبا فى الاعتراف بهذا السبق الإسلامى حتى جاء المؤرخ (بريفولت) الذى سجل فى كتابه « بناة الإنسانية » انه ليس لروجير بيكون ولا لسميّه فرنسيس بيكون الحق فى أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلقد كان هذا العلم هو أهم ما جاءت به الحضارة العربية إلى العالم الحديث [*] .

المنهج الإسلامى ومقومات الإبداع العلمى :

إن أهمية المنهج العلمى الإسلامى لا تقتصر بعد كل هذا على قدرته على مواصلة تحقيق التقدم القائم على التجربة واستخدام الآلات ، ولكنها تمتد من ناحية أخرى إلى ما يمنحه هذا المنهج للباحث من أسباب ومقومات تساعد على تنمية طاقاته الإبداعية فى الكشف والابتكار ، وفى مقدمة هذه الأسباب والمقومات التى يقضى بها المنهج الإسلامى فى البحث والتفكير يأتى : **الإيمان الخالص** الذي يجعل العقل أقدر على كشف الحقيقة العلمية وأكثر تهيؤاً لقبولها ، ويمدّ أمامه آفاقاً جديدة لم تكن فى الحسبان ، فيميط اللثام بإذن الله تعالى عن الأساليب الخفية والأسرار الكامنة من العلم الإلهى الشامل وراء مظاهر الكون والحياة ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣] ، وقوله عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٤] . وهل الكشف العلمى إلا حل لمشكلة يظفر به الباحث بعد عناء تحليل منهجى شاق ودقيق ، أو يناله فى فكرة طارئة ، أو فى رؤية تتراءى له ، أو يخطر له فى حلم أو إلهام ، ويتبع هذا الكشف إقامة الدليل على صحته ليضيف جديداً إلى العلوم التى تجنى البشرية ثمارها على أيدى علمائها

---

(٢) عبد المجيد عبد الرحيم ، مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية ، القاهرة ١٩٧٦ .

(*) تجدر الإشارة إلى ان المستشرقين كثيراً ما يحلو لهم ترديد ذكر « الحضارة العربية » وليس « الحضارة الإسلامية » . وليس بعسير أن نتعرف على دوافعهم الخفية وراء ذلك .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٤) سورة الحديد : ٢٨ ، ٢٩ .

المؤمنين بأن سلَّم الرقى إلى الله تعالى هو سلَّم المعرفة الصحيحة والعلم القويم .

فى ضوء هذه الحقائق الإيمانية للمنهج الإسلامى يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن التعلم لا يحصل كله بالاستعداد والجد ، وأن هناك جزءاً طبيعياً يتلقى بالفتح من الله[٥] . ويذكر ذلك أيضاً ابن خلدون فى المقدمة . وكان ابن سينا يقول : « ... كنت كلما تحيرت فى مسألة ترددت على الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح الله لى المنغلق وتيسر المتعسر .. » .. وحتى في العصر الحاضر يتوصل الفيزيائى محمد عبد السلام إلى نظرية توحد بين القوى التى تعمل داخل نواة الذرّة وينال عليها جائزة نوبل عام ١٩٧٩ ميلادية ، ويقول فى هذا : « إن بحثنا عن الوحدة التى تجمع بين قوى الطبيعة التى تبدو متباعدة إنما هو جزء من إيماننا كفيزيائيين ومن إيمانى كمسلم »[٦] .. أما المفكر الفرنسي روجيه جارودى فيرى أن الإنسان إذا عرف الإيمان عن طريق العقل والقلب اثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة ، كما يرى فى المنهج الإسلامى الذي سبق أن انقذ امبراطوريات كبرى متهافتة من الفناء في القرن السابع الميلادى أن بمقدوره اليوم توفير حلول لهذا القلق الذى تعانى منه حضارة غربية لم تنجح إلا فى أن تحفر قبراً للعالم كله[٧] .

نماذج من الإبداع العلمى فى التراث الإسلامى :

مما يدعو إلى التفاؤل ويبعث على الأمل أن الصحوة الإسلامية المعاصرة تواكبها حركة إحياء للتراث الإسلامى . وأن ما وصل إلينا من هذا التراث يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى الكثير من الكشوف والنظريات العلمية التى ينسب معظمها الآن إلى علماء الغرب وحدهم . ولا تزال جهود المخلصين وأبحاثهم تكشف عن حالات الغش العلمى والفكرى التى وقع فيها بعض النقلة والمؤرخين وضلّلوا بها أجيالاً متعاقبة بعد أن دسوها في مؤلفاتهم على أنها حقائق علمية وتاريخية لا تقبل الشك . فإذا ذكرت (الجاذبية) ذكروا اسم (نيوتن) وقالوا إن الزمان لم يَجُدْ قبله إلا بأرشميدس ، وأغفلوا ما قاله الهمدانى

---

(٥) ابن تيمية ، نقض المنطق . وفى هذا الكتاب كان ابن تيمية من أوائل مفكرى الإسلام الذين نقدوا المنطق اليونانى (منطق أرسطو الصورى) ودعا إلى الاستقراء الحسى الذي يأتى بالمعارف الجديدة ويصلح للبحث فى الظواهر المادية الطبيعية .

(٦) د . محمد عبد السلام ، من محاضرة ألقاها بجامعة صنعاء فى ابريل ١٩٨٢ .

(٧) روجيه جارودى ، ما يعد به الإسلام ، ترجمة قصى اتاسى وميشيل واكيم ، ص ٤٢ ـ ٤٣ ، دمشق . وهنا نود الإشارة إلى أن الاستشهاد ببعض آراء جارودى لا يعنى اتفاقنا معه فى كل ما يقوله عن الإسلام ، وخاصة آراءه الجديدة فى الشريعة وتدخله فى الحدود التى قررها الله لحماية الدين والإنسان والأمن والمال والعرض . انظر فى ذلك ما كتبه الدكتور سعد عبد المقصود ظلام فى كتابه : لا لجارودى ووثيقة اشبيلية ، دار المنار ١٩٨٧ .

والبيرونى من أن الأرض كحجر المغناطيس تجذب قواه الحديد من كل جانب ، فمن كان تحتها « أى تحت الأرض » فهو فى الثبات فى قامته كمن فوقها . وتناسوا ماقاله الخازن من أن هناك علاقة بين السرعة والمسافة والثقل . وأهملوا الأزياج التى وضعها (البتانى) و(البوزجانى) و(الكندى) وغيرهم(*) . وإذا ذكرت الدورة الدموية قالوا : إن مكتشفها هو (هارفى) وتعمدوا إغفال ما قاله ابن النفيس من أن الدم ينتقل من القلب إلى الرئة ليجدّد الهواء ، ولم يقل الأوكسجين لأنه لم يكن قد اكتشف بعد . وإذا أرّخوا للطب تناسوا أن كتاب الحاوى للرازى والقانون لابن سينا ظلّا يدرّسان في جامعات أوروبا عدة قرون . وإذا تحدثوا عن الملاحة البحرية نسوا (أحمد بن ماجد) صاحب كتاب « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » ، وأنكروا أن الملاحة في البحرين : الأبيض والأحمر ، وفى المحيطين : الهندي والهادى ظلت اختصاصاً عربياً حتى مطلع العصور الحديثة .(**)

خاتمـة :

يتضح من دراستنا لخصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى ـ وقد عرضناها بصورة إجمالية ـ أننا فى حاجة إلى أخذ العبرة والمثل لما يجب أن تكون عليه صحوتنا الإسلامية مرة أخرى ، بكل عناصرها ومعاييرها التى ارتضاها منهج الإسلام الحنيف ، وطبقه أسلافنا العباقرة فصنعوا به حضارة تزهو على كل الحضارات ، وتدين لها نهضة أوروبا الحديثة وحضارة (التكنولوجيا) المعاصرة . ونظرة واحدة إلى واقع أمتنا العربية والإسلامية تكفى لنتبين منها أننا لا نسهم فى الإبداع الحضارى بالقدر الذى يتناسب مع مجدنا ومكانتنا . إذ ليس إسهاماً أن ننقل عن القوم علومهم و(تقنيتهم) ، حتى لو بلغنا غاية المهارة فى حفظها ومحاكاتها . وليس معاصرة أن نأخذ عنهم ما أصابهم من قلق وسأم وانهيار فى القيم وشعور بالاغتراب . ولن ينقذنا إلا تأصيل ثقافتنا الإسلامية لأنها (أكسير) الحياة للأمة والمجدد الدائب لطاقاتها والباعث لها على المشاركة فى مقومات العصر كلها مع الحفاظ على إنسانية الإنسان . وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٨) .

« دكتور احمد فؤاد باشا »

(*) الأزياج جمع زيج وهى من كلمات اللغة الفارسية القديمة وتعنى السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج ، ثم اطلقت على الجداول الفلكية المشابهة خطوطها الرئيسية لخيوط السدى . وكان لهذه الأزياج اكبر الأثر فى النتائج التى توصل إليها تيكوبراهى ، وكبلر ، ونيوتن عن حركة الكواكب .

(**) نكتفى إلى هنا بهذا القدر من نماذج الإبداع العلمى فى التراث الإسلامى ، ويمكن للمهتمين أن يرجعوا إلى مؤلفنا : « التراث العلمى للحضارة الإسلامية . ط ٢ القاهرة ١٩٨٤ .

(٨) سورة الأنعام : ١٥٣ .

نظرية الاختيار الأمثل وتطبيقاتها

للدكتور محمد إبراهيم حسين

نعم الله على الإنسان لا تحصى ولا تعد ، ومن نعمه ـ عز وجل ـ على الإنسان المؤمن الاكتشافات العلمية ، فالإنسان المؤمن هو أقدر من يستطيع أن يسخر هذه الاكتشافات فى مرضاة خالقه ومنفعة عباده . والإنسان عادة حين يتوصل إلى كشف علمى معين لا يبتكر شيئاً من العدم ولكن فقط يزيل الغموض ويكشف الستار عن خلق الله فى الكون ، ويسلط الأضواء على كلمات الخالق التى لم نستطع قراءتها فى لحظة من اللحظات « وفوق كل ذى علم عليم » .

ولا يتمثل الكشف العلمى فقط فى مخترع معين ملموس أو دواء جديد أو جهاز كهربى معين وغير ذلك من المكتشفات التى تجد طريقها مباشرة إلى يد المستخدم ، ولكن قد يكون هذا الكشف عبارة عن نظرية جديدة أو بدهية لم تكن معلومة من قبل تفتح الآفاق أمام تيسيرات علمية فى مجال أو آخر أو تؤدى إلى ايجاد علاقة بين فرعين من فروع المعرفة مما ييسر تحقيق فائدة أشمل أو أعم فى تطبيق علمى معين .

ومن أمثلة الحالة السابق عرضها استخدام نظرية (الاختيار الأمثل) فى الربط بين فرعين أساسيين من فروع العلم وهما العلوم الرياضية والحسابية والعلوم الطبيعية والكيميائية مما أنتج خلاصات علمية نافعة حققت تقدما ملموساً فى تطبيقات شتى .

وفيما يلى نعرض لبعض أمور أساسية لنظرية الاختيار الأمثل .

←

نظريـــة الاختيـار الأمثـــل

خلفيـــة عامـــة

من الممكن بصفة عامة أن نعبر عن أى مشكلة صناعية سواء فى مجال التصميم أو التشغيل أو أى مجالات مكملة أخرى مثل جدولة الإنتاج بمعادلة رياضية ذات متغيرات متعددة . ويكون الهدف الأساسى من هذا التمثيل الرياضى هو : تعيين أقصى أو أقل قيمة لهذه المعادلة الرياضية . ويستخدم أسلوب الاختيار الأمثل بنجاح فى كل المهام العلمية ذات الأهمية العملية وذلك حيث أنه يهدف لايجاد مجموعة من الشروط تؤدى إلى تحقيق أفضل النتائج فى موقف معين .

وقد يبدو هذا الأمر سهلا للوهلة الأولى ولكنه فى الواقع من الأمور شديدة التعقيد حيث إنه يتطلب تحديد نطاق المشكلة بدقة مع دراسة بنود عملية الاختيار الأمثل قبل أداء المهمة كاملة .

تطبيقات نظرية الاختيار الأمثل

إن نظرية الاختيار الأمثل لها تطبيقات عديدة ومتنوعة فى مجالات شتى منها المجالات الصناعية التطبيقية والمجالات العلمية البحتة والمجالات الاجتماعية والأمور السلـوكية والشخصية ، وفيما يلى بعض أمثلة لهذه التطبيقات لتحقيق مزيـد من التفصيل والإيضاح :

- تحديد أقصر طريق ممكن أن يسلكه بائع متجول فى عدة أحياء سكنية خلال رحلة واحدة .

- تصميم وحدة صناعية واحدة لإنتاج كمية محددة من منتج معين له مواصفات معينة بأقل تكلفة أو يكون محققا أقصى إيراد .
- تشغيل وحدة صناعية أو مصنع معين لتحقيق كفاءة تشغيل ينتج عنها أقصى إنتاج .
- التقييم الإحصائى لبيانات مصنع معين وذلك للحصول على نموذج نظرى كأساس لإجراء أى تطويرات مستقبلية .

- الصيانة الدورية والاستبدال المخطط للمعدات المستهلكة وذلك لخفض تكلفة التشغيل .

- توزيع الموارد أو الخدمات خلال أنشطة متعددة لزيادة الكفاءة الكلية .

- توزيع إنتاج معين على مكاتب توزيع الشركة المنتجة فى أنحاء البلاد مع ربط هذا التوزيع بمصادر المواد الخام وأسواق البيع المتيسرة وذلك لخفض تكلفة النقل .

- تحديد حدود التعرض الإشعاعى للإنسان بجرعة إشعاعية معينة يمكن منع التعرض لجرعات أكبر منها بتدابير وقائية معينة لها أقل تكلفة على أن يكون لهذه الجرعة أقل ضرر صحى على الإنسان .

- تحديد الزمن الأمثل لمجموعة إشارات مرور فى تقاطعات طرق بما يحقق الإنسياب الأمثل لحركة المرور فى الاتجاهات المختلفة .

- تحديد كميات ونوعيات الطعام التى تستهلكها أسرة فى مجتمع معين بما يحقق اقصى فائدة صحية وأقل تكلفة ممكنة مع مستوى تذوق مرضٍ .

- تحديد كمية المياه اللازمة لرى مساحة معينة من الأرض الزراعية بما يحقق أكبر عائد محصولى وأقل فقد فى كميات المياه المستخدمة .

وفى الواقع فإن تطبيقات نظرية الاختيار الأمثل لا حصر لها ويمكنها أن تمتد إلى كل حركة فى الحياة بما فيها الاتباع الأمثل للقيم والمبادىء الأخلاقية بما يحقق أقصى نفع إنسانى ممكن بأقل ضرر نفسى أو اجتماعى مع الالتزام بحدود الخالق الأساسية التى حددها سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ الصحيحة .

ما الداعى لاستخدام نظرية الاختيار الأمثل ؟

تطبق نظرية الاختيار الأمثل فى شتى أمور الحياة أساسا للوصول إلى المستوى الأفضل فى أمر من الأمور ، فمثلاً فى عملية صناعية معينة يكون الهدف هو الوصول إلى أكبر إنتاجية من مادة خام معينة .

ويبنى هذا المستوى الأفضل ، وخاصة فى العمليات الصناعية ، على أسس اقتصادية وأسس فنية فى آنٍ واحد .

وفى بعض أحوال الاستخدام العملى لنظرية الاختيار الأمثل يبدو نوع من الشك فى نتائج هذا التطبيق ، إما لعدم دقة البيانات المستخدمة أو لأن الافتراضات المستخدمة فى إعداد النموذج الرياضى لتصميم معين مبسطة لحد كبير ولذلك فيجب دائما مراجعة نتائج الاختيار الأمثل .

وبالإضافة لما سبق فقد يكون من الصعب تحقيق شروط الاختيار الأمثل التى تم التوصل إليها بصورة كاملة ولكن من الممكن تحقيق مستوى أقرب ما يكون منها . وقد يبدو الاختيار الأمثل فى بعض الأحيان على درجة كبيرة من المثالية ، ومع هذا فهو يضع الحدود للتطوير الممكن لنظام معين تحت الدراسة ، ولهذا السبب ، فإن الاختيار الأمثل له فائدة كبيرة فى توضيح الإمكانية القصوى لنظام معين وفى بث الثقة عند تطبيق تعديل معين لتصميم أى نظام .

ملامح أساسية للاختيار الأمثل

للاختيار الأمثل ملامح بارزة عديدة يمكن تمييزها عند محاولة تطبيقه ، منها :

● الغـــرض

عند تطبيق الاختيار الأمثل للوصول إلى المستوى الأفضل لنظام معين يجب أن يكون لهذا النظام تحديد واضح للمعالم سواء الكميات الداخلة فيه أو الخارجة منه ، فإذا لم يكن كذلك يصبح من الصعب تطبيق

← نظرية الاختيار الأمثل

الاختيار الأمثل . فمثلا يمكن تحديد حجم وعاء أسطوانى إذا أمكن تحديد قطر القاعدة والارتفاع . وفى الواقع فإنه لا يوجد حل واحد لأية مشكلة ، ولذلك يجب أن نختار بين عدة حلول ، وعادة ما نختار أفضل الحلول .

وللوصول إلى هذا الاختيار الأفضل يجب تحديد الغرض من هذه الدراسة . ويختلف هذا الغرض من مشكلة إلى أخرى ويكون أساساً فى التطبيقات الصناعية غرضاً اقتصاديا أو فنيا . وعلى هذا فإذا لم يحدد هذا الغرض فلا يمكن إجراء أى تحسين فى النظام وذلك لعدم وجود قاعدة للمقارنة .

● التأثيرات المتضادة

من الملامح المميزة لعملية الاختيار الأمثل ، وخاصة فى عمليات تصميم وتشغيل المصانع ، وجود عوامل وتأثيرات متضادة ، فمثلا يمكن تنفيذ عملية معينة بعدد كبير من العمال الذين لهم أجور قليلة وكفاءة إنتاجية ضعيفة ، ومن جهة أخرى يمكن تنفيذ نفس العملية بأسلوب التحكم الآلى مع اختبارات توكيد الجودة على المنتج مما يؤدى إلى إنتاجية أفضل ولكن يرفع من التكلفة الاقتصادية . ومن الأمثلة الأخرى لهذه التأثيرات المتضادة أسلوب تحديد الجرعة الإشعاعية للعاملين فى مجال الإشعاع فكلما ، زادت التدابير الوقائية كلما زادت التكلفة الاقتصادية وقلت الجرعة الإشعاعية المؤثرة .

وعلى هذا فإنه من الواجب إجراء نوع من التفاضل أو التوازن بين هذه التأثيرات المتضادة للوصول إلى القيمة المثلى التى يقع عليها الاختيار .

● القيــود

على الرغم من أن دراسة الاختيار الأمثل تهدف أساساً لتحقيق أفضل النتائج لموقف معين فإن هذه الأفضلية المطلقة لا يمكن تحقيقها أحياناً بسبب وجود بعض القيود المفروضة على النظام والتى لا يمكن تعديها .

ومثال لذلك عملية استخلاص مادة معينة باستخدام مذيب معين يمكن أن تتحقق الأفضلية المطلقة للاستخلاص فى هذه الحالة إذا استخدمت كميات لا نهائية من المذيب ، ولكن هذا لا يمكن أن يحدث فى الواقع مما يضع قيدا على عملية الاختيار الأمثل يؤدى إلى أفضل اختيار ولكنه ليس الأفضلية المطلقة .

مستويات عملية الاختيار الأمثل

لتوضيح المستويات المختلفة للاختيار الأمثل طبقا لدرجة تعقيد النظام المدروس ستتم الإشارة إلى نظام معين لصناعة كيميائية كما يلى :

- التصميم على مستوى الإدارة ويشمل تقييم المشروع والمقارنة بين المشاريع المختلفة فى المواقع المختلفة .

- المشروعات الجديدة وتتضمن اختيار المنتج وسعة المصنع والمواد الخام .

- العمليات الكيميائية وتتضمن اختيار هذه العمليات والرسومات التوضيحية الخاصة بها .

- خواص الأجهزة وتشمل اختيار نوع الجهاز لأداء مهمة معينة والمواد الداخلة فى صناعته وحجم التجهيزات الخاصة به وتركيبه .

- شروط التشغيل وتشمل نظم التحكم وسياسات الصيانة والإحلال وجدولة الإنتاج ومصادر المواد الخام وتخزينها وأسلوب النقل والتوزيع .

●●

ومما سبق يتضح وجود مستويات مختلفة التعقيد لنظام معين تطبق عنده نظرية الاختيار الأمثل طبقا لطبيعة هذا النظام .

وبعد عرض هذا المختصر عن نظرية الاختيار الأمثل يجب التنويه على أن لهذه النظرية أساليب رياضية دقيقة للتنفيذ للوصول إلى النموذج الرياضى المناسب لنظام معين مطلوب دراسته ويُعطِى تحليلُ هذا النموذج ومعالجته حسابياً القيم المثلى التى نبحث عنها لتحقيق الاستخدام الأمثل .

الشيخ عبد العزيز البشرى «جاحظ العصر». بقية

الفنى لكتاب الله . ولكن البشرى قد حفظ له مقامه الجهير حين نشر خواطره عنه فكان كأنما صوره تصويراً ، وأعاده فى مجلسه القرآنى بعمامته وجبته . وأسمع الناس صداه الرنان سماعاً يخلده على الزمان . هاهو ذا يصفه فى نوبته الثانية بعد أن فرغ من القراءة فى النوبة الأولى فيقول : فإذا جاءت نوبته الثانية واستوى فى مجلس الترتيل ، رأيت فيه فتاءً وقوةً لا عهد لك بهما من قبل ، وخرج صوته مرناً واضحاً ليس عليه من الصدأ إلا القليل ، ويقرأ ويقرأ ، على أنه لا يأخذ فى قراءته سمتا واحدا بل ما يبرح يترجح فى فنون النغم ، ولكن تحيره هذه المرة ليس فى التماس النغمة التى تُعيذه وتعصمه بل فى التماس تلك التى تُضنيه وتتعبه ، إذ صوته فى أثناء ذلك يقوى ويشتد ، ويعلو ويصفو ، حتى يصير أوضح من الفرند ، وينطلق فى طلب الصيد من هنا ومن هاهنا ، ولا يريغُ من النغم إلا الأوابد ، فإذا أصاب قنيصته راح يلون لها الافتراس ألواناً ويشكل لها الالتهام أشكالاً ، وهو فى أثناء ذلك يقيم الناس ويقعدهم ويطويهم وينشرهم ، ويذيقهم المهول الرائع من الطرب والانبهار ، وما شاء الله لا قوة إلا بالله !

هذا بعض ما قال عن أحمد ندا ، وفيه بلاغ .

(محمد رجب البيومى)

طرائف

« منطق رسول الله ﷺ »

قال الجاحظ يصف منطق رسول الله ﷺ :

هو الكلام الذى قلَّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصفة ، ونزه عن التكلفة ، لم ينطق إلا عن ميزان حكمة ، ولم يتكلم إلا بالكلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق .

« التمهل »

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً : يا أبت مالك لا تنفذ فى الأمور على عجل ، فو الله لا أبالى في الحق ولو غلت بى وبك القدور .

فقال له عمر : يابنى لا تعجل ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ثم حرمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه فتكون فتنة .

« المأمون والخادم »

نادى المأمون الخادم فلم يجبه ! ثم نادى ثانياً ، وصاح : أيا غلام ، فدخل غلام تركى يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك صحت : يا غلام ، يا غلام !!؟

فنكس المأمون رأسه ، فما شك أحد أنه سيأمر بضرب عنق الغلام !!

ولكنه قال : إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه .

وإنا لا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا .

« ثمانية يهانون »

ثمانية إن أهينوا فلا يلومُنَّ إلا أنفسهم :

الجالس فى مجلس ليس له بأهل .

والمقبل بحديث على من لا يسمعه .

والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه .

والمتعرض لما لا يعنيه .

والمتآمر على رب البيت فى بيته .

والآتى إلى مائدة بلا دعوة .

وطالب الخير من أعدائه .

والمستخف بقدر السلطان .

ومواقف

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

« استنجاز الوعد »

قال الشاعر :

وعـدت فـأنجـز ولا تبلُنى
بكـد التقاضى وذل السؤال
وصُنْ وجه حر بَراه الزمان
بأنيابـه مثل بَـرْى الخلال
فإن ضاق مالك عن رِفْدِهِ
فجاهك أوسع من كل مال

« اتقاء الذم »

روى عن الحسين بن على - رضى الله عنهما - أن شاعرا مدحه ، فأجزل ثوابه ، فلامه بعض أصحابه على ذلك .

فقال :

أترانى خفت أن يقول : لست ابن فاطمة الزهراء - بنت رسول الله ﷺ ولا ابن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ولكنى خفت أن يقول : لست كرسول الله ﷺ ، ولا كعلى - رضى الله عنه - فيصدق ، ويحمل عنه ويبقى مخلداً في الكتب ، محفوظاً على ألسنة الرواة .

فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم منى .

وقد أثر عن أخيه الحسن مثل ذلك ، فقد روى أنه أعطى مالاً كثيراً .

فقيل له : أتعطى شاعراً يعصى الرحمن ويقول البهتان ؟

فقال : إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر .

« ادفعها اليه »

مر الإمام الشافعى - رضى الله عنه - بسوق الحدادين بمصر ، فسقط قوسه من يده .

فقام رجل من دكانه فأخذها ومسحها بكمه وناوله إياها .

فقال الشافعى لغلامه : كم معك ؟

قال : سبعة دنانير .

قال له : ادفعها إليه ..

« دعـاء »

اللهم ارزقنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعود ، حتى لا أرجو إلا ما رجيت ولا أخاف إلا خوَّفت .

من روائع الماضي

يهذي في كتاب تأويل القرآن الكريم

لفضيلة الإمام الأكبر الأسبق
محمد الخضر حسين
رحمه الله

- ٢ -

دعوته إلى الفسوق عن احكام الشريعة :

يريد المؤول ان يفتح لذوى الاهواء باب الخروج عن الدين وتعطيل احكام الشريعة ، فزعم ان المصلحة قد تكون في غير ما امر الله به فحرف قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وقال : « يفيدك أن المخالفة المحذورة هى التى تكون للإعراض عن امره ، واما التى تكون للراى والمصلحة فلا مانع فيها بل هى من حكمة الشورى » .

فالمؤول يجيز تقرير رأى مخالف لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو امر من الله تعالى ، ويرى فى هذا الرأى المخالف مصلحة تجعله اهلاً لأن يعمل عليه بدلاً من امر الله ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ومصداق هذه الآية من يحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن المصلحة فيما حكم به ، ويتناول من يفتى برأى معتقداً أنه أحفظ للمصلحة مما أنزل الله ، فمن يأذن للناس فى تقرير رأى مخالف لأمر الله فإنما يقودهم إلى حفرة من النار هى إنكار أن يكون الله تعالى أحكم الحاكمين .

فإن زعم المؤول أنه قصد ما كان يراجعه فيه بعض أصحابه رضى الله عنهم من نحو بعض الآراء الحربية ، قلنا له إنك أطلقت فى تأويلك ولم تقصره على هذا النوع من أوامره عليه الصلاة والسلام ، ثم إن مخالفة الأمر عدم العمل به ، وإبداء بعض الصحابة لآرائهم فى شىء من تدابير الحروب لا يسمى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

مخالفة للأمر ، بل كانوا يعرضون عليه الرأى فتارة لا يراه صالحاً فيرده ، ولو عملوا على مقتضى رأيهم لحق عليهم وعيد الآية ، وتارة يرى فيه المصلحة فيأمر بالعمل به ، والعمل على هذا النحو من قبيل اتباع أمره ، فأين المخالفة .

إنكاره للجن :

يجيء هذا المؤول إلى الآيات التى ذكر فيها الجن ، ويحمل الجن على غير المعنى الذى عرفه الصحابة ، ومن بعدهم من أئمة الدين وعامة المسلمين ، وأكتفى بأن أسوق ما قاله فى آية هى من أظهر ما يدل على أن الجن خلق غير الأنس ، وهى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ﴾ . فإنه بعد أن أحال القارىء على آيات من سور متعددة قال : « بعد هذا تفهم أنه يطلق الجن والجنة على الزعماء المستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن الأنس بسائر الناس المقلدين والتابعين المستضعفين » ويفسر الجن فى بعض الآيات بقواد الجيش .

لم ينقل عن أحد من المسلمين على اختلاف فرقهم إنكار الجن ، وإنما ينكرهم طائفة من غير المسلمين ، قال ابن حزم فى كتاب الفصل : « لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع ، بنص الله عز وجل على وجود الجن فى العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم » وقال : « وأجمع المسلمون على ذلك (وجود الجن) نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود حاشا السامرة فقط ، فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم عن هذا الظاهر فهو كافر ومشرك » .

وإنما ينكر الجن من جمد عقله فى دائرة من المحسوسات لا يتخطاها أنملة ، ونحن نعلم أن العقل وحده لا يصل إلى العلم بوجودهم ، كما أنه لا يستطيع إقامة الدليل على نفيهم ، بل إذا سئل عنهم وهو صحيح النظر مجرد من كل تقليد أقر بإمكان وجودهم إذ ليس من شرط كل موجود أن يدرك بإحدى الحواس الخمس ، فقدرة الله تعالى تسع خلقاً ينشأ من عنصر لطيف ، فلا يقع عليه النظر ، وإذا أقرت العقول إمكان شىء وأخبر الدين القائم على البرهان بوجوده ، تلقينا خبره بالقبول ، ولم نفرق بينه وبين ما أدركناه بالمشاهدة أو ثبت بالأدلة العقلية مباشرة .

إنكاره للشياطين :

ينكر المؤول الجن ، وينكر أن يكون هناك مخلوق غير الإنسان يقال له شيطان ، تجد هذا الإنكار عندما يرد لفظ إبليس أو الشيطان

فى آية ، فيأبى أن يبقيه على المعنى المعروف فى الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، فانظر إلى أصرح آية فى هذا المعنى وهى قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾ كيف تأول لفظ إبليس فيها فقال : « إبليس اسم لكل مستكبر على الحق ، ويتبعه لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصى على الإنسان تسخيره » . وكذلك تأول قوله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ فقال : « والشياطين يطلقون على الصناع الماهرين والأشقياء المجرمين » ولما وجد قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ نصاً فى أن الشيطان مخلوق يصل أثر فتنته إلى نفس الإنسان دون أن يأخذه بأحد حواسه ، ذهب فى تأويل الآية مذهب من يتظاهر بتفسير القرآن وهو يدس فى تفسيره جحوداً ، فقال : « من حيث لا ترونهم فيها شياطين فيخدعونكم بأنهم من الأولياء الناصحين » .

وإذا حمل بعض المفسرين لفظ الشياطين فى بعض الآيات على أشرار من الإنس كما قال طائفة فى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ : المراد شياطين الإنس ، فما كان هؤلاء لينكروا ذلك الصنف من الجن المخلوق من نار السموم ، وإنما هو تأويل بدا لهم أن اللفظ يحتمله قريباً أو بعيداً ، ولا يستطيعون أن يذهبوا إلى مثل هذا التأويل فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ فمن حمل مثل هذه الآية على فريق من الإنس فهو ممن لا يؤمن إلا بما يلمس أو يرى ، ولم يجعل الله للعقول المتحجرة على تفسير كتابه سبيلاً .

تأويله للملائكة :

يتخبط المؤول عندما تجيئه آية فيها اسم الملائكة ، فمرة يفسره برسل النظام والسنن فى الكون كما قال عند قوله تعالى : ﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ : « إشارة إلى أنه يأتيهم بسنن الله ونظامه أى بتغلبهم على العدو وبقوة الحرب ونظامه ، والملائكة كما قلنا فى ص ٢٤ رسل النظام والسنن فى الكون » وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ : « الملائكة رسل النظام وعالم السنن ، وسجودهم للإنسان معناه أن الكون مسخر له » ومرة يجعل الآية التى ذكر فيها الملائكة من قبيل التمثيل كما قال فى قوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ : يمثل لك السرعة فى إجراء سننه فى الكون وتنفيذ أوامره فى العالم » وفسر جبريل وميكائيل فى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ بأنهما قسمان من الملائكة ، وقال : « الأول رسول الوحى والإلهام ، والثانى رسول السنن والنظام » . وقال عند تأويل الملائكة من قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ : « وهذا تابع للإيمان بالله ، فمن

يؤمن بالله يؤمن بخلقه ونظامه ، والملائكة رسل هذا الخلق والنظام » .

فتحريفه الآية بإدعاء التمثيل مرة ، وذكره لسنن الكون ونظمه مرة أخرى ، وجعله جبريل وميكائيل قسمين من الملائكة دون الاعتراف بأنهما فردان منهم ، يدل على أنه يريد من الملائكة معنى غير المعنى المعروف فى صريح الكتاب والسنة ؛ ونصوص الشريعة فى دلالتها على وجود الجن والملائكة متساوية ، وهما من جهة إمكان وجودهما فى منزلة واحدة .

إنكاره لأحكام معلومة من الدين بالضرورة :

أطلق المؤول قلمه فى الإنكار حتى الحد فى آيات الحدود والأحكام المعلومة من الدين بالضرورة ، فانظر إلى ما صنع فى قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ إذ قال : « يعطى معنى التعود أى أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ، ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ، ولا يستمر فى السرقة ، ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده » .

وكذلك حرف قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ فقال : « يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنى ، وكان من عادتهما وخلقهما ، فهما بذلك يستحقان الجلد » وهذا الذى قاله فى اسم الفاعل من أنه يدل على التكرار والتعود من بهتانه الذى لا يقف عند حد ، فاسم الفاعل نحو السارق أو الزانى إنما يدل على ذات قامت بها السرقة أو الزنى .

ولا دلالة له على تجدد قيام الوصف بالذات ، ولا على تعودها عليه ، هذا ما يقوله علماء العربية فى القديم والحديث

قال ابن مالك فى كتاب التسهيل معرفاً اسم الفاعل : « اسم الفاعل هو الصفة الدالة على فاعل ، جارية فى التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها ، لمعناه أو معنى الماضى » .

فقوله : لمعناه أو معنى الماضى ، تنبيه على أنه لا يدل على أزيد مما يدل عليه الفعل ، وهذا وجه الفرق بينه وبين صيغ المبالغة كفعال ومفعال وفعول ، فإن هذه الصيغ تدل على معنى زائد على حدوث الصفة لمن قامت به ، وهو قوتها فيه أو كثرة صدورها منه .

والكوفيون يمنعون عمل صيغ المبالغة فى نحو المفعول ، ويعللون هذا المنع بعدم مجاراتها للفعل المضارع فى وزنه ، وبمخالفتها له فى معناه لأنها تزيد عليه بالمبالغة . ومقتضى هذا أن اسم الفاعل عمل فى نحو المفعول لأنه لا يخالف المضارع فى معناه .

فعلماء العربية من كوفيين وبصريين مجمعون على أن اسم الفاعل لا يدل على أكثر مما يدل عليه الفعل ، وإذا كان علماء العربية الذين قضوا أعمارهم الطويلة فى تقصى اللغة ، والتفقه فى كلام العرب قد تظافروا على أن اسم الفاعل لا يدل على مقدار من الوصف أكثر مما يدل عليه أصل المضارع والماضى ، أفيستطيع المؤول أن ينقض بناءهم بكلمة لا تمت إلى البحث بسبب ، وإنما هى وليدة الهوى والانهماك فى مخالفة أهل العلم .

من روائع الماضى

وعمد إلى الآيات الصريحة فى ملك اليمين وحرفها بالتأويل تحريفاً لا يختلف عن صريح الإنكار إلا أن عليه مسحة من النفاق ، فانظر كيف حرف قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وحمل الفتيات على الخادمات فقال : « فيه عناية بالخادمات وتسهيل لمن يريدون الزواج ولا يستطيعون النفقات على ذوات البيوتات » وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ : « عبادكم وإمائكم : خادميكم وخادماتكم » وقد ارتكب فى الآيات الواردة فى هذا الشأن من التأويل ما لا يخطر على بال أصلب الباطنية جبهة ، فانظر إليه ماذا يقول فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ يقول : « والذين يبتغون الكتاب : كتاب الله وما كتب من الزواج والنسل (فكاتبوهم) : عاونوهم على أداء الكتاب » .

ولو قلت له : إن الذين فسروا الآية بأن يكاتب الرجل رقيقه على مال حتى إذا أدى ما كتب عليه صار حراً ، قد أقاموا الشاهد على هذا من كتب السنة واللغة ، فهل لك شاهد على ما تأولت عليه الآية ، وما قلت فى تأويلها من أن المكاتبة : المعاونة على أداء الكتاب ، لما كان جوابه إلا أن هذا المعنى قد نفث فى صدره وهو لا يرجع فى تفسير كتاب الله إلى السنة ولا إلى قانون اللغة ، ولا مرد لهذا الجواب إلا أن تتلو عليه قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ وتقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ .

ومن مقتضى إنكاره لأصل ملك اليمين إنكاره لأن يتمتع الرجل بما ملكت يمينه من الإماء ، وكذلك تجده يحرف الآيات الواردة فى هذا الشأن كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فقال المؤول : « أو ما ملكت أيمانهم من الخدم فإن لهم ما ليس لغيرهم فقد يكون فى الإنسان فروج أى نقائص وعيوب يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خدمه » .

إذا كان فى بعض تأويله ما ينادى بانحرافه عن الهدى إلى مكان بعيد ، ففى بعضه ما ينادى بأن الرجل ليس له فكر يتحامى به فضيحة العبث ، ويحبسه عن أن يقول ما يضحك منه المحزون ، فالمؤول يصرف الآية عن أن تكون للحث على الطهر والعفاف إلى الأمر بستر العيوب والنقائص عن الناس إلا عن الأزواج والخدم ، ولم يكتف بهذا التأويل السخيف فقال عقبه : « ومن البلاغة فى التعبير أن لفظ « أو » أفاد التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك اليمين ، إذ يوجد من العيوب ما لا ينبغى كشفه على الخدم » ولا ندرى كيف يفهم من « أو » العاطفة لما ملكت أيمانهم على قوله « أزواجهم » التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك اليمين ، وهذا الذى يباح للصنفين فيما زعم لم يذكر فى نظم الآية .

والإسلام جاء فوجد عادة الرق جارية بين المتحاربين فهذبها وترك الأخذ بها لاجتهاد الإمام ، ولكنه أوصى بالإحسان إلى الرقيق والرفق به ، وندب إلى تحرير الرقاب ، وجعله كفارة لبعض ما يرتكبه الإنسان من عمل سيء كالظهار ، والفطر فى رمضان ، والحنث فى اليمين وقتل النفس خطأ ، وجعل فى يد الحاكم عتق الأرقاء الذين يلحقهم ممن هم تحت أيديهم ضرر فادح ، وتفويض أمر الاسترقاق إلى الإمام يجعل له الحق فى العدول عنه كما هو مفصل فى كتب الأحكام .

وأنكر إباحة تعدد الزوجات الذى جرى عليه السلف من الصحابة فمن بعدهم ، وجعل آية ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ خاصة باليتامى فقال : « (من النساء) نساء اليتامى الذين فيهم الكلام لأن الزواج منهن يمنع الحرج فى أموالهن » ثم قال « ولتعلم أن التعدد لم يشرع إلا فى هذه الآية بذلك الشرط السابق » يعنى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ واللاحق يعنى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ .

ومن البين تجافى هذا المعنى الذى ذكره المؤول عن نظم الآية ، ومن أظهر الوجوه التى يستقيم معها النظم ولا تمس إجماع المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بشيء أن يكون المعنى : وإن خفتم أن تهضموا شيئاً من حقوق اليتامى لضعفهن وتحرجتم منها ، فدعوا التزوج بهن ، وانكحوا ما طاب لكم من نساء غيرهن مثنى وثلاث ورباع .

زعمه أن المسلمين يروون الأحاديث النبوية عن اليهود .

لا يبالى المؤول أن يتكلم فى غير أمانة ، ويقول ما لا يطابق الواقع ، ومن أمثلة هذا أنه تعرض عند تأويل قوله تعالى : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ لما ورد فى سحر بعض اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم : « ومن الغريب مع هذا الدليل المبين أن المسلمين ينقلون فى كتبهم أن النبى سحر بناء على حديث رواه اليهود كما ينقل النصارى أن المسيح صلب بناء على رواية اليهود أيضاً » .

من يقرأ هذه الجملة يفهم منها أن حديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم تلقاه المسلمون عن اليهود ، والحقيقة أن الحديث مروى بأسانيد عن النبى صلى الله عليه وسلم نفسه ، وفى هذا الحديث أنه علم بهذا السحر من طريق الوحى ، ومن رواته من الصحابة رضى الله عنهم عائشة وابن عباس وزيد بن أرقم ، ثم رواه عن هؤلاء جماعة من الثقات حتى بلغ الأئمة : البخارى ومسلماً والنسائى والبيهقى وغيرهم ، ولا صلة لحديث السحر بيهودى سوى أن النبى صلى الله عليه وسلم أوحى إليه بما فعل اليهودى لبيد بن الأعصم من السحر .

وأنكر بعض الناس هذا الحديث فى القديم وأخذهم الريب فيه من ناحيتين (إحداهما) قوله تعالى : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ فهذا مما قصه الله تعالى عن كفار قريش فى سياق الإنكار عليهم ، ومقتضاه نفى أن يكون قد سحر ، والقرآن مقدم على

الحديث ، و (ثانيتهما) أن تأثره بالسحر عليه الصلاة والسلام يقدح في الثقة بما يبلغه عن الله تعالى من أمر ونهي .

والذين لا يسارعون إلى تكذيب الأحاديث المروية بأسانيد صحيحة ما وجدوا لدفع ما يرد عنها من الشبه طريقاً ، يقولون : إن قريشاً أرادوا من قولهم « مسحوراً » معنى اختلال العقل فيكون مرادفاً لقولهم « مجنون » أو أرادوا أنه مسحور سحراً من أثره هذا الدين الذي يدعو إليه ، وهذا موضع الإنكار عليهم بإجماع ، ويقولون : إن السحر إنما تسلط على جسده وجوارحه الظاهرة ولم يمس شيئاً من عقله وقلبه ، ويدل لهذا حديث ابن عباس رضي الله عنه في رواية ابن سعد (مرض النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عن النساء والطعام والشراب) .

وليس من غرضنا الآن البحث عن حقيقة السحر ولا بسط القول في حديث سحره عليه الصلاة والسلام ، وإنما أردنا أن نريك كيف يحاول المؤول أن يقذف المسلمين بسبة تلقي أحوال النبي صلى الله عليه وسلم عن اليهود ، وانظر إلى قوله « أن المسلمين ينقلون في كتبهم » ، فإنها كلمة لا أحسبها صدرت منه إلا في حال نسيانه أنه استعار ثوب الإسلام ليتمكن من سحر أبناء المسلمين وصدهم عن السبيل .

هذه أمثلة من كتاب حشوه الجحود والهذيان ، نسوقها في هذه المجلة ليزداد المسلمون علماً بأن مؤلفه مهزول الفكر ، منحرف عن الرشد ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ .

اللغة والأدب والنقد

إمام النحاة

حقيقة الإسلام

الإبداع الأدبي

إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

٤

« نواصل فى هـذه الحلقة العمـل الإحصائى الذى نتتبع فيه ما أورده إمام النحاة فى كتابه من أحاديث قدمها بدون نسبة أو تغير فى اللفظ محاولين تبين حقيقة موقفه من هذه القضية الهامة ..

الحديث الخامس (فى باب الحكاية)

قال سيبويه : فإن أردت حكاية هذه الحروف - يعنى بها ثم وأين وحيث ، فى حال الحكاية ؛ إذ يعاملن معاملة زيد وعمرو - تركتها على حالها ، كما قال : « إن الله ينهاكم عن قيل وقال » ومنهم من يقول : عن قيلٍ وقال ، لما جعله اسما ، قال ابن مقبل[1] :

أصبح الدهر وقد ألوى بهم
عن تقوا لك من قيلٍ وقال

والقوافى مجرورة[2]

هذا الحديث الذى ذكر جزء منه فى عبارة سيبويه ورد بعبارات مختلفة ، لكن موضع الاستشهاد فيها جميعا لم يتغير ، وهو حكاية « قيل وقال » بدخول حرف الجر عليها .

وقد جاء الحديث فى صحيح مسلم - كتاب الإيمان حديث ١٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، وسنن ابن ماجه كتاب الصيام حديث ٣٥ .

وقد استشهد بهذا الحديث بعد سيبويه عدد من النحاة ، منهم المتقدم ومنهم المتأخر ، وفى القضية نفسها التى استشهد لها سيبويه .

فقد أشار الفراء فى كتابه : معانى القرآن إلى هذا الحديث ، وهو يتحدث فى تفسير الآية الكريمة :﴿ الْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ وتناول لفظ « الآن » ، وبين أصله وقرر أنه فعل ماض ، ثم حكى ودخل عليه ال ، وبقى على فتحه ، فيقول : وهو ما ورد فى الحديث من قولهم : « نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال »[3] .

غير أننا نلاحظ هنا أن الفراء أشار إلى أنه حديث فى الوقت الذى لم يصرح فيه سيبويه بهذه النسبة .

---

(١) ملحقات الديوان ص ٣٩٢ ، وألوى بهم ، أى ذهب بهم فلم يبق غير الحديث والذكرى .

(٢) الكتاب حـ ٣ ، ص ٢٦٩ هارون وحـ ٢ ص ٣٥ بولاق .

(٣) معانى القرآن للفراء حـ ١ ص ٤٦٨ ، ص ٤٦٩ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ .

للأستاذ الدكتور
السيد رزق الطويل

وبذلك لا مانع من القول بأن الفراء أول من استشهد بالحديث فى النحو مصرحا بأنه حديث .

ويحتج الزجاجى (٣٣٧ هـ) بهذا الحديث وهو يتحدث عن « الآن » وسبب بنائها على الحكاية ، يقول : « وقال الفراء والكسائى : إنما هو محكى ، وأصله من (آن - يئين) بمعنى حان يحين ، وفيه ثلاث لغات : « آن لك أن تفعل كذا وكذا » و «أنى لك أن تفعل كذا وكذا يأنى لك » والثالث : أن تقول : « أنال لك أن تفعل كذا وكذا » فدخلت الألف واللام على اللغة الأولى ، فقيل : « الآن فاعلم ، فترك على فتحه ، كما روى فى الأثر أنه « نهى عن قيل وقال » ويحكى مفتوحا على لفظ الماضى ، وبعضهم يرده على « قيل وقال » فيجعلهما اسمين »(٤) .

ونلاحظ أن الزجاج هنا استشهد بهذا الحديث على أنه أثر ، فكان أقل صراحة ، وأكثر تعميما من الفراء الذى سبقه بأكثر من قرن من الزمان .

واستشهد مكى بن أبى طالب القيسى (٤٣٧ هـ) بهذا الحديث فى الموضع نفسه ، مشيرا صراحة إلى نسبته إلى النبى ﷺ ، قال فى معرض حديثه عن الآية الكريمة فى سورة الأعراف : ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ : وقيل إنه فعل ماض منقول إلى التسمية به ، ثم وصف به ، مثل ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل ينهى عن قيل وقال ... »(٥) .

وفى الموضع نفسه تناول ابن يعيش (٦٤٣ هـ) الحديث فى شرح المفصل .

قال : « وآن » فعل ماض ، فلما أدخل عليه الألف واللام ترك على ما كان عليه فى الفتح ، كما جاء فى الحديث أنه ﷺ « نهى عن قيل وقال » ، أو « قيل وقال » فعلان ماضيان فأدخل الخافض عليهما ، وتركهما على ما كانا عليه »(٦) .

الحديث السادس :

تحدث سيبويه فى باب : « ما أسكن من هذا الباب الذى ذكرنا ، وترك أول الحرف على أصله لو حرك به ، لأنه الأصل عندهم أن يكون الثانى متحركا ، وغير الثانى أول الحرف » قال فيه : « وذلك قولك : شهد ولعب ، تسكن العين كما أسكنتها فى « علم » وتدع الأول مكسورا به لأنه عندهم بمنزلة

(٤) اللامات للزجاجى ص ٣٦ ت مازن المبارك دمشق ١٩٦٩ .

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكى بن أبى طالب ت د . حاتم الضامن - بغداد ١٩٧٥ .

(٦) شرح المفصل حـ ٤ ص ١٠٣ المطبعة المنيرية القاهرة .

ما حركوا ، فصار كأول إبل .. ومثل ذلك : « نعم وبئس » إنما هو فعل وهو أصلهما ، ومثل ذلك « فبها ونعمت » إنما أصلها « فبها وَنَعِمَتْ » وبلغنا أن بعض العرب : نعم الرجل »[7] .

ورد هذا الحديث فى مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى رقم ٣٣١ حـ ١ ص ٢١٧ عن الحسن بن سمرة وأخرجه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى حديث سمرة حديث حسن ، وقال : رواه بعضهم عن قتادة عن الحسن عن النبى ﷺ مرسلا .

وقال الحافظ ابن حجر : لهذا الحديث عدة طرق ، أشهرها وأقواها : رواية الحسن عن سمرة ، وله علتان : إحداهما أنه من عنعنة الحسن ، والأخرى : أنه اختلف عليه فيها ، وأخرجه ابن ماجه من حديث أنس ، والطبرانى من حديث عبد الرحمن بن سمرة ، والبزار من حديث أبى سعيد ، وابن عدى من حديث جابر ، وكلها ضعيفة[8] .

ولفظ الحديث كاملا كما فى سنن أبى داود عن الحسن عن سمرة « من توضأ فبها ونعمت ومن اغتسل فهو أفضل » .

وقد تردد هذا الحديث فى كتب المتأخرين من النحاة أعنى بعد القرن السادس الهجرى منهم الشلوبين (٦٤٥ هـ) قال فى باب نعم وبئس : « والتفسير واجب إن أضمر الفاعل نحو : نعم رجلا زيد إلا فيما شذ نحو قولهم : « فبها ونعمت »[9] .

استشهد الشلوبين بهذا الحديث فى غير ما استشهد به سيبويه ، وهو لزوم التمييز إذا كان فاعل نعم أو بئس ضميرا مستترا ، والاستشهاد بالحديث على حالة الشذوذ عن هذه القاعدة كما نلحظ أن الشلوبين نحا منحى سيبويه فى عدم الإشارة إلى أنه حديث .

واحتج بالحديث ابن مالك (٦٧٢ هـ) أيضاً فى الموضوع الذى استشهد به الشلوبين غير أنه عد حذف التمييز لفاعل نعم المستتر نادرا بينما عده الشلوبين شاذا .

وقد ذكر ابن مالك الحديث فى شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ على هذا النحو « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل »[10] .

وقد استشهد ابن هشام (٧٦٠ هـ) بهذا الحديث على اللفظ الذى رواه ابن مالك على أن « نعم وبئس » فعلان ، وذلك فى باب علامات الفعل فى كتابيه : « قطر الندى وبل

---

(٧) الكتاب حـ ٢ ص ٥٨ ، ص ٢٥٩ بولاق حـ ٤ ص ١١٦ هارون .

(٨) ينظر مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى حـ ١ ص ٢١٧ والتعليقات عليه ٢ ت حامد الفقى - م السنة المحمدية .

(٩) التوطئة لأبى على الشلوبين - القاهرة ١٩٧٣ ت يوسف أحمد المطوع ص ٢٤٩ .

(١٠) انظر ص ٧٨٥ من هذا الكتاب ت عدنان الدورى م العانى بغداد ، وانظر الجامع الصغير للسيوطى حـ ٢ ص ١٦٩ المطبعة الرابعة م الحلبى مصر ١٩٥٤ ، وانظر النهاية لابن الأثير حـ ٥ ص ٨٣ ت الطناحى سنة ١٩٦٣ بلفظ « من توضا للجمعة فبها ونعمت » .

الصدا » ، « وشذور الذهب فى معرفة كلام العرب » ، كما ذكر هذا الحديث أيضاً عند كلامه عن « نعم وبئس » فى كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » .

الحديث السابع :

يقول سيبويه فى باب « ما جرى على موضع النفى لا على الحرف الذى عمل فى المنفى » : ومثل ذلك أيضاً قول العرب : « لامثله أحد » و «لا كزيد رجل » وإن شئت حملت الكلام على « لا » فنصبت ، وتقول : « لامثله رجل » إذا حملته على الموضع ، كما قال بعض العرب : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإن شئت حملته على « لا » فنونته ونصبته »[(١١)] .

فى هذه الفقرة من كلام سيبويه جزء من الحديث الشريف ، نسبه سيبويه لبعض العرب وهو : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد جاء الحديث فى صحيح مسلم حـ ٤ ص ٢٠٧٧ ، ص ٢٠٧٨ ط دار إحياء التراث - بيروت وأورده ابن الأثير فى النهاية فى موضعين :

الأول : فى مادة « حول » قال فيه : « لا حول ولا قوة إلا بالله » الحول ههنا الحركة ، يقال حال الشخص إذا تحرك ، والمعنى : لا حركة ولا قوة إلا بمشيئة الله تعالى ، وقيل : الحول الحيلة ، والأول أشبه » .

والآخر فى مادة « كنز » فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » أى أجرها مدخر لقائلها ، والمتصف بها ، كما يدخر الكنز[(١٢)] .

وهنا نتساءل : هل استشهد أحد من النحويين بعد سيبويه بهذا الحديث ؟ أو بعبارة أدق : بهذا الجزء من الحديث ؟!!

تقول الدكتورة خديجة الحديثى : ولم أجد أحدا من النحويين بين سيبويه وابن مالك احتج بهذا الحديث على الأوجه الجائزة فى الاسم المعطوف بالواو على اسم « لا » مع تكرر « لا » كما احتج به سيبويه[(١٣)] .

وهذه دعوى عريضة ، تتطلب المناقشة ، ولى عليها هذه الملاحظات :

أولها : تناول المبرد هذا الجزء من الحديث ، واستشهد به فيما استشهد به سيبويه ، وذلك فى كتابه « المفصل » ، وذلك فى سياق الحديث على العطف على اسم « لا » النافية للجنس ، راجع « المقتضب » حـ ٤ ص ٣٨٧ .

ثانيها : استشهد به الزمخشرى فيما استشهد به سيبويه ، وذلك فى كتابه « المفصل » ص ٨١ ، والزمخشرى سابق على ابن مالك .

توفى الزمخشرى (٥٣٨ هـ) يقول : فصل : وفى لا حول ولا قوة إلا بالله ستة أوجه ... » وسار على نهجه شارح المفصل

(١١) الكتاب حـ ١ ص ٣٥٢ بولاق .

(١٢) النهاية حـ ١ مادة « حول » ٢ حـ ٤ مادة « كنز » .

(١٣) موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث - د . خديجة الحديثى ص ٦٩ .

ابن يعيش ، فبسط القول فى هذه الوجوه الستة ، وابن يعيش سابق على ابن مالك (٦٤٣ هـ) - راجع شرح المفصل حـ ٢ ص ١١٢ .

وتناول الوجوه الستة فى هذا الحديث الرضى (٦٨٨ هـ) فى شرحه على الكافية وهو معاصر لابن مالك .

ثالثها : موقف ابن مالك من هذا الحديث .

استشهد به فى موضعين :

أولهما : فى عرض الوجوه الستة إذ قال فى كتابه التسهيل : « ويفتح أو يرفع الأول من نحو « لا حول ولا قوة إلا بالله » المساعد على التسهيل جـ ١ ص ٣٤٨ .

وتناول هذه الوجوه أيضا فى شرح الكافية الشافية حـ ١ ص ٥٢٤ .

وذكر هذا الجزء من الحديث مع الوجوه الجائزة فيه فى الخلاصة « الألفية » إذ قال :

وركب المفرد فاتحا كلا
حـول ولا قوة ، والثانى اجعلا
مرفوعـا أو منصـوبا أو مـركبـا
وإن رفعـت أولا لا تنـصبـا

ومن هذا الموضع كان موقف ابن مالك كغيره من النحاة الذين سبقوه حتى سيبويه ، إذ ذكر الوجوه فى هذه العبارة دون أدنى إشارة إلى أنها حديث ، أو جزء من حديث .

وتفسيرى لهذا الأمر أنه راجع لشهرتها وتواترها ، وأنها بلا ريب من مقولات النبوة التى شاعت وذاعت ، حتى أصبحت فى غير حاجة لنسبة أو توثيق .

والآخر : استشهد فيه ابن مالك بهذا الحديث كاملا على جواز مجىء المبتدأ جملة محكية فقال : وتصدير المبتدأ بالمجرد أولى من تصديره بالاسم المجرد ، لأن المبتدأ المخبر عنه قد يكون غير اسم ، نحو : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، و « لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » و ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾(١٤) .

ونلحظ أن ابن مالك فى هذا الموضع ، وإن كان قد ذكر الحديث كاملا ، لكنه لم يصرح بنسبته ، شأنه فى الأحاديث الأخرى التى استشهد بها ، وإن كنت لا أزال متمسكا بتفسيرى السابق ، كما لا أشك فى أنه قصد الاستشهاد به حديثا ، بدليل أنه ساقه بين آيات من القرآن ، لم يسبقها : « قال الله تعالى » .

---

(١٤) شرح عمدة الحافظ ص ١٥٨ ، وخرج الحديث فيه فى مسند الإمام أحمد حـ ٥ ص ١٥٦ عن أبى ذر الغفارى ، وفى مجمع الزوائد ٩٨/١٠ ، وكنز العمال ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ .

تسفر للرافعى العبقرى

محمد عبد الرحمن صان الدين

قلنا فيما سبق : إن كاتبنا الإسلامى مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ لم يكن تقليديا فى إسلامه ، وعباداته .

إنما كان مسلم الفكر والقلم ، مؤمن الروح والوجدان ، مستنير العقل والبصيرة ، يرتاد رياض الإسلام ، يستاف منها شذا الأزهار وعطر الرياحين ، ويشتار من ثمرها اليانع صافى الرحيق ، ويقدمه لذة للشاربين من الباحثين عن الحقيقة ، الظامئين إلى المعرفة الخالصة من الشوائب الدخيلة .

ولقد اتخذ من المناسبات ومواسم العبادات المفروضة مجالا رحبا لقلمه الناطق بالحق والحكمة ، المعبر عن مكنون النصوص المقدسة التى تخفى على كثير من أهل العلم وأرباب الأقلام ، بأسلوب فى أسمى درجات البلاغة ، وأجمل ما يكون البيان .

وكان فى قمة ما تناوله ذلك القلم المؤمن حقيقة الرسالة المحمدية تحت مجهر العقل والمنطق ، وشواهد الواقع وبراهينه القاطعة ، ليبدد غبار الشُبَه أمام بعض العقول ، وليرسخ الإيمان فى العقل والوجدان بالإسلام العظيم الذى تنوشه السهام والرماح من كل

* الكاتب من رجال التربية والتعليم .

← حقيقــة الاســلام

فج ، من منطلق أن الإيمان بالرسالة الخاتمة مدخل إلى الإيمان بالخالق العظيم ، ومبادىء الدين وقيمه التى أوحى بها إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، لتكون عملا محكما يمارسه المسلم فى سلوكه وتقلبه فى الحياة ، وفى غمار العيش ، فتستقيم له مسالك الدنيا ، ويخصب جدبها . وإلا فلا إيمان بالشريعة الإسلامية السماوية ، وجدوى القيم الربانية إذا غاب أو اضمحل الإيمان بالرسول الذى جاء بها من لدن الخبير العليم . فاطر الوجود ، ورب الملكوت .

ومن ثم كان الرافعى يتحين الفرص ، ويترقب أنسب الأوقات ، ليكتب ما يكتب حين تكون النفوس والعقول مهيأة لتلقى وتقبل ما يبثه من أفكار مشرقة وومضات باهرة تعمل عملها فى كشف حجاب الجهالة عن جواهر الإسلام ودرره .

ولندع قلم الرافعى الذهبى المعانى ينقش على صفحات الخلود ما يرشد إلى حقيقة الإسلام التى تبهر الأبصار ، وتأخذ بالألباب المتفتحة المبصرة التى لم يعمها التدليس والتلبيس .

هذه قطوف عَبِقَة ناضرة من إحدى فرائد كتاب (وحى القلم) ألا وهى موضوع (الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام)(١) .

قال ــ نضَّر الله وجهه ، وطيَّبَ ثراه ــ : « كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجِّر ينبوع الضوء المسمَّى بالنهار ، يولد النبى فيوجد فى الإنسانية ينبوع النور المسمَّى بالدين . وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها .

والشمس خلقها الله حاملة طابعه الإلهى ، فى عملها للمادة تحوُّل به وتغيُّر ؛ والنبى يرسله الله حاملا مثل ذلك الطابع فى عمله للروح تترقى فيه وتسمو .

ورعشات الضوء منَ الشمس هى قصة الهداية للكون فى كلام من النور ، وأشعة الوحى فى النبى هى قصة الهداية لإنسان الكون فى نور من الكلام .

والعامل الإلهى العظيم يعمل فى نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين : أجرام النور من الشموس والكواكب ، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء .

فليس النبى إنسانا من العظماء يقرأ تاريخه بالفكر معه المنطق ، ومع المنطق الشك ، ثم يُدْرَس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة ؛ ولكنه إنسان نَجْمِىٌّ ، يقرأ بمثل « التلسكوب » فى الدقة معه العلم ، ومع العلم الإيمان ؛ ثم يُدْرَس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها .

والحياة تنشىء علم التاريخ ، ولكن هذه الطريقة فى درس الأنبياء (صلوات الله عليهم) تجعل التاريخ هو الذى ينشىء علم الحياة ، فإنما النبى إشراق إلهى على الإنسانية ، يُقَوِّمُها فى فلكها الأخلاقى ، ويجذبها إلى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب .

---

(١) أول مقال فى الجزء الثانى من وحى القلم (الطبعة الأولى) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٥٥ هـ ــ ١٩٣٦ م .

تأمل دقة التصوير ووضوحه للنبوة والأنبياء ، وحقيقة مهمتهم على الأرض .

يمضى الرافعى فى ذلك قائلا :

« وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبى أبلغ نفوس قومه ، حتى لهو فى طباعه وشمائله طبيعة قائمة وحدها ، كأنها الوضع النفسانى الدقيق الذى ينصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية فى عالم المادة وتنازع البقاء . وكأن الحقيقة السامية فى هذا النبى تنادى الناس : أن قابلوا على هذا الأصل وصححوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الإنسانية » .

ويواصل الرافعى الحديث عن الإسلام قائلا :ـ

« وهو دين يعلو بالقوة ويدعو إليها ، ويريد إخضاع الدنيا وحكم العالم ، ويستفرغ همه فى ذلك ، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف ، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى ، وفرق بين شريعته وشرائع القوة ، أن هذه إنما هى قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها ، وتلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة ، وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية » .

لازلت أجدنى مدفوعا لإيراد المزيد من تلك القطوف الشهية من قول الرافعى فى موضوعه السالف ذكره فيقول : أجزل الله أجره .

« ومن هنا كان طبيعيا فى الإسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولا رذيلة إلا وهو يضع عليها صورة النار الأبدية وقودها الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المسلمة إلى أسباب الحياة نظرة الفكر المنازع : يحرص على ما يكون له ، ويَشْرَهُ إلى ما ليس له ، ويمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك تعقيد الدنيا ـ بل نظرة القلب المسالم : يخلع الدنيا ويسخو بكل مضنون فيها ، فيعف عن كثير ، ويعرف الإنسانية ويطمع فى غاياتها العليا ، فيعفو عن كثير ، ويدرك أن الحلال وإن حل فوراءه حسابه ، وأن الحرام وإن غر ليس إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد .

ويخرج من ذلك أن يكون أكبر اغراض الإسلام هو أن يجعل من خشية الله تعالى قانون وجود الإنسان على الأرض ، فمن أى عِطْفَيْهِ التفت هذا الإنسان وجد على يمنته ويسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله بخيرها وشرها ، فهو كالمتهم المستراب به فى سياسة النفس .. وإذا قامت هذه المحكمة الملائكية ، وتقررت فى اعتبار النفس ، قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الإرادة المميزة ، تريد الحسنات وتعمل لها ، وتخشى السيئات وتنفر منها ، فإذا معانى الجسد يحكم بعضها بعضا ، لا لتحقيق الحكومة والسلطة ، ولكن لتحقيق الخير والمصلحة ، وإذا نواميس الطبيعة المجنونة فى هذا الحيوان ، قد نهضت إلى جانبها نواميس الإرادة الحكيمة فى الإنسان ، وإذا كل ما فى الإنسان وما حول الإنسان ، لا يراد منه إلا سلام النفس فى عاقبتها ، وإذا معنى السلام

حقيقة الاسلام

هو المعنى الغالب المتصرف فالإنسانية فى دنياها .

وكل أعمال الإسلام وأخلاقه وآدابه فتلك هى غايتها ، وهذه فلسفتها ، لا يقررها للإنسانية حسب ، بل يغرسها فى الوراثة غرسا بالاعتياد والمران الدائم ، لتكون علما وعملا ، فتمكن لسلام النفس بين الأسلحة المسددة إليها من ضرورات الحياة ، فى أيدى الأعداء المتألبة عليها من شهوات الغريزة .

فليس يعم السلام إلا إذا عم هذا الدين بأخلاقه فشمل الأرض أو أكثرها ؛ فإن قانون العالم حينئذ يصبح منتزعا من طبيعة التراحم ، فإما انتسخ به قانون التنازع الطبيعى ، وإما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ وتولد معه الأخلاق الإنسانية » .

ويمضى الكاتب الإسلامى المفكر فى مقاله إلى أن يختمه بقوله مخاطبا المسلم :

« أيها المسلم ! لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه أبدا ، واجعله مثلك الأعلى وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه ؛ كن دائما كالمسلم الأول ، كن دائما ابن المعجزة » .

● ● ●

ياالله .. ما أبدع هذا الكلام وأنداه ، وما أروعه فى مبناه ومعناه !

إنه ومضات العبقرية ، ونفحات الإيمان وإذا استنار الفكر بنور الإيمان تفجرت منه ينابيع الحكمة ، وانبثق منه الضياء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وانى لأدعك ـ أيها القارىء ـ وما قرأت ، فلا أريد أن أجرى قلمى بالبسط والتحليل حتى لا أنال من جلال ذلك الكلام وعظمته وسحره ، وحتى تسبح فيه بفكرك ، وتنعم به ما شاء لك إدراكك وذوقك ، كما سبحت فيه ونعمت به وهتفت من أعماق قلبى قائلا : أمطر الله جدث الرافعى غامر الرحمات ، وجعل مرتعه الجنات .

محمد عبد الرحمن صان الدين

الإبداع الأدبى

بين اكتشافه للواقع وتحويله إلى وعاء للمعتقدات السياسية

٢

للدكتور عبد الله محمد أبو هشة

قضية الواقعية فى نظرية الأدب العربى وتاريخه :

إن تناول ظاهرة أو مصطلح أو اتجاه فى الأدب العربى يعنى بداهة أن ننظر إلى تطور أى من الظاهرة أو المصطلح أو الاتجاه فى الأدب العربى وتاريخه وعلومه ، وأن ننظر إلى المضامين فى تطورها وفى تشعبها تحديداً لها ، أو توضيحاً لثراء تشعبها فى بيئتها الأدبية واللغوية .

أما النظر إلى اتجاهات الأدب العربى وظواهره من خلال منظار المصطلح الأوروبى ، أو الحديث عن اتجاهات الأدب العربى من خلال تاريخ الأدب الأوروبى قياساً عليه ، أو ادعاء بمعرفته فإن هذا النوع من ادعاء العلم هو العته الثقافى والعلمى بذاته ؛ ذلك لأن عزل الظاهرة أو المصطلح أو الاتجاه الأدبى عن تاريخه اللغوى ، أو عن لغته العلمية ؛ حتى وإن تشابه ذلك مع نظير له فى لغة وتاريخ أدب آخر ؛ فإن هذا هو التزييف العلمى بذاته . إن تم ذلك بحكم جهل القائم به بلغته وأدبه فإن ادعاءه معرفة اللغات والآداب الأوروبية سيكون ادعاءً كاذباً ؛ لأن الفهم العميق للغات والآداب الأوروبية لايتم إلا من خلال (موصل) جيد هو المعرفة الجيدة باللغة الأم وآدابها ، وفيما عدا ذلك ستكون معرفته باللغات الأجنبية وآدابها معرفة سطحية

لا يعتد بها فى الميادين العلمية لأنها لا تقود ولا تؤهل صاحبها للبحث العلمى الجاد . أما إن تم ذلك بتجاهل اللغة والأدب القوميين ، بهدف إلقاء قيمها ومضامينها جانباً ، وإفساح الطريق لقيم أخرى ؛ لأهداف سياسية عقائدية ؛ ماركسيـة كانت أو رأسمالية - فكلاهما يحمل فى نظرى نفس أخطار المسخ لثقافتنا - فإن ذلك هـو (الخيانة) الثقافية بعينها ، والتى لم تقنن فى تشريع قانونى كغيرها من أنواع الخيانة . فالدول التى تحترم البحث العلمى ، ولدى علمائها انتماء ثقافى واعتزاز باللغة والأدب القوميين ، لديها تقاليدها وأعرافها العلمية التى تنفى مثل هذا النشاط الشاذ من ساحة العلم . أما نحن فى الوطن العربى والعالم الإسلامى فيبدو أننا محتاجون إلى مثل هذه التعبيرات الحادة مثل (الخيانة الثقافية) التى تنبه إلى مثل هذه الأخطار كبديل للأعراف والتقاليد العلمية المانعة الطاردة للانسلاخ الثقافى ودعاته .

ولست ممن يدعون إلى التقوقع الثقافى ؛ بل إننى أدعو بقوة إلى التعرف على ثقافات كل الأمم وآدابها ، لكن بعينىّ وعقلى ؛ كواحد من المنتمين إلى الثقافة العربية الإسلامية ، وليس بعيون مستعارة وعقل مستعار . فمعرفة ثقافات الآخرين بأقصى درجات العمق شىء ، والانسلاخ من اللغة والأدب والثقافة القومية شىء آخر .

الشعراء العرب فى الجاهلية فهموا الشعر على أنه عملية خلق فردية تحتاج إليها الطبيعة ذاتها حتى تصير حقيقة معروفة من خلال الفن - الذى هو القصيدة الشعرية هنا . فالإنسان الشاعر أو الموهوب يشعر ويغنى بمساعدة الطبيعة ، التى تظل مصدر الفن . وبذلك نستطيع أن نقول إن الفن أو الأدب يكمل الطبيعة(1) ؛ لأنه هو الذى يحولها إلى حقيقة لغوية أدبية ، ولا توجد حقائق أو وقائع خارج إطار اللغة :

ففهم الثقافات والآداب الأوروبية (لنظرية المحاكاة) عند أرسطو لا ينسحب على الثقافة العربية . وأسباب عدم استفادة الثقافة العربية من نظرية المحاكاة ، كما استفادت الثقافات الأوروبية ، كثيرة ، ويمكن الرجوع إليها(2) - فمنذ ترجم (متى بن يوسف) كتاب (الشعر) (Poetik) لأرسطو فى القرن الثامن الميلادى والنقاد والمفكرون العرب يتحدثون عن (المحاكاة) لكن طبقاً لفهمهم الخاص الذى لا يتطابق مع الفهم الأوروبى لها - فالمحاكاة قد فهمها العرب فهما أقرب إلى

(1) انظر :
أبو حيان التوحيدى : المقابسات ، تحقيق حسن السندوبى . المقابسة رقم ١٩ ، القاهرة ١٩٢٩ ص ١٦٣ وما بعدها .

(2) لقد عالج هذا الموضوع كثيرون نذكر منهم :
محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، بيروت ١٩٧٣م ص ١٦١ - ١٧٣ .
عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية فى النقد العربى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٣ م ص ١٤ - ١٤٢ .

روح الأدب أكثر من فهم أرسطو لها ، وذلك عندما فسروها على أنها : (العمل الإبداعى المكمل للطبيعة بواسطة الفنان أو الشاعر وليس المماثل لها) . فأبو حيان يؤكد على التلازم التام بين مفهومى (المحاكاة) و(الجمال) فى كل من الفن والطبيعة[٣] .

وبالطبع فإن نظرية الأدب العربى لم تنضج وتصاغ إلا فى عصر التدوين والاهتمام باللغة والأدب ؛ أما فى العصر الجاهلى فيمكن استخلاصها من الشعر العربى . فأشعار زهير بن أبى سلمى من جانب وأشعار امرىء القيس من جانب آخر ؛ كلاهما نبع مثالى لاستخلاص النظرية فى هذا العصر .

أما بعد ظهور الإسلام وما أحدثه من تحول ثقافى شامل فى الحياة الثقافية ؛ فإننا نستطيع أن نلاحظ الفرق الجوهرى بين الشعر والنثر حتى القرن العاشر الميلادى ـ نهاية الرابع الهجرى تقريبا ـ ففى حين أن الشعر ظل بصورة عامة ـ مع استثناءات أيضا ـ ميدان تحليق النفس الإنسانية ، ظل النثر بيت الحكمة . كما أن النثر أصبح الأدب الفلسفى . وأدب الحكمة ، وحمل لواء التعليم والخطابة . فهو بذلك أصبح الضوء الكاشف للواقع والموجه له فى آن واحد .

ونجد فى نهاية القرن العاشر الميلادى فهما تنظيريا للأدب عند الإمام أبى حامد الغزالى[٤] كما نجده عند أبى حيان التوحيدى أيضا فى نفس القرن العاشر فى قوله : « ومناشىء الحَسَنِ والقبيح كثيرة : منها طبيعى ومنها بالعادة ومنها بالشرع ومنها بالعقل ومنها بالشهوة »[٥] . لكن النثر العربى لم يستفد للأسف من مثل هذه التنظيرات المتنوعة ، وظل خاضعا للمتطلبات الاجتماعية وضرورات تنظيم شئون الحكم ، بمعنى أن الإبداع الفردى خضع للمطلب الاجتماعى العام ، وظل الواقع هنا هو واقع المنفعة والفائدة الاجتماعية العامة ؛ تربوية كانت أو إدارية أو تعليمية إلخ .

وبجانب هذا النوع من نثر الواقع الاجتماعى المنفعى وجد الفن القصصى فى (المقامة) التى تعتبر فنا قصصيا من نوع فريد .

عبد الله محمد ابو هشه

---

(٣) ابو حيان التوحيدى : المرجع السابق .

(٤) أنظر :

ابو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ٢٥٦ ومابعدها .

(٥) ابو حيان التوحيدى : الإمتاع والمؤانسة ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٣٩م ص ١٥٠ .

من خير ما نشر

اهمال اللغة العربية .. خيانة عظمى

تحقيق .. مصطفى عبد الله
بركسام رمضان

أعلن الدكتور فتحى سرور أن اللغة العربية فى محنة .. جاء ذلك فى ندوة اللغة العربية فى المرحلة الثانوية التى عقدت على امتداد يومى السبت والأحد (٢ ، ٣ من ذى الحجة الموافق ١٦ ، ١٧ يوليو) ، قال الوزير : إن اللغة العربية أداة تعبير ومضمون أيضاً ، وإن طرق تدريسها أدت إلى النفور منها ، ووصل إلى حد الاستهانة بها بمدارس اللغات الذي صاحب التطور الاقتصادى خلال العقد الأخير في مصر وظهور الشركات والبنوك بحيث اتجه صفوة الشباب إلى تعلم اللغات الأجنبية ، وهذا منعطف خطير .. خطير .

وقال : إن المصريين توهموا فى فترة من حياتهم أن بناء الاقتصاد متربط بالتعليم الأجنبي ، وأدى هذا إلى الاهتمام باللغات الأجنبية وإهمال اللغة العربية ، حتى عندما عممت اللغة العربية فى المحافل الدولية استخدمت رطانات غريبة منها .

وقال الوزير : إننا لو فرطنا فى تدريس اللغة العربية سيتهمنا أبناؤنا بالخيانة العظمى .. وطالب بمنهج يرغب ولا ينفر .

وقال مقرر الندوة الدكتور محمود فهمى حجازى :

اللغة العربية هى السمة الأولى للانتماء فى مصر والعناية بها تعميق للانتماء ، واللغة العربية ليست مادة (معرضية) .

وطالب بضرورة التعاون بين الجهات الإعلامية والخبرات الميدانية في الوزارة ، وقال : إن هناك جهوداً عالمية معروضة لتعليم اللغة ، وهذه الندوة تهدف إلى تحديد الكتب المقررة والربط بين المهارات التراثية والمعاصرة فيما يتصل بالأدب . وقد قدمت مجموعة كبيرة من البحوث تبلغ حوالى (٣٠ بحثاً) فى مجالات مختلفة تناولت فى الجانب اللغوى مجموعة من القضايا منها علاقة النحو بالنصوص ، وربط الأدب بالبلاغة ، ورؤية واضحة للإنتاج الأدبى المعاصر .

واستنكرت الندوة أن يكون التلميذ في مصر بعيداً عن الأدب المصري المعاصر والأدب فى البلاد العربية .

فكـرة

للأستاذ : مصطفى أمين

كل غزو تعرضت له مصر جاء من سيناء . الهكسوس جاءوا من سيناء ، والفرس جاءوا من سيناء . وكل الأبحاث العسكرية تؤكد أن

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعي خفاجه

سيناء هى الباب الذي يدخل منه الغزو الأجنبي(*) وهذا ما فعلته إسرائيل فى حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ .

وفوجئنا بمن يقول إن هناك تفكيراً فى فتح سيناء للاستثمار الأجنبي . ومعنى ذلك أن الإسرائيليين يستطيعون التسرب إلى صحراء سيناء ، وإقامة مستعمرات تكون نقطة الارتكاز لهجومهم القادم .

وإذا لم يدخل الإسرائيليون إلى سيناء صراحة فإنهم يستطيعون الدخول متسترين تحت اسم شركات أمريكية أو أية جنسية من الجنسيات .

والذين يقومون بهذه الدعوة الغريبة يجهلون أنه صدر قانون في عهد الرئيس السادات يحظر على غير المصريين الاستثمار فى سيناء .. فكيف سنخالف هذا القانون ؟ هل سنلغيه أم سنتجاهله ؟

أفهم أن نسمح للعرب أن يشتركوا مع المصريين فى استثمار سيناء .. ولكن لا أفهم أن نفتح الطريق لإسرائيل لتعود من جديد إلى سيناء .. وخاصة أن إسرائيل لم تحاول منذ توقيع معاهدة السلام أن تجعلنا نطمئن لها ولم تحاول أن تخفى عنا نواياهم العدوانية .

فكيف نطمئن إلى نوايا إسرائيل ونحن نشهد في كل يوم اعتداء علينا ، وترى كل ساعة احتجاجاً على أن دولة عربية تسلح نفسها لتدافع عن أرضها . وكأنها تريد ان تجردنا من السلاح ليسهل لها غزونا واحتلالنا .

فلننتبه دائماً إلى هذا الخطر ولنحذر أن نفرط فى شبر واحد من أرضنا . فإن سوابق إسرائيل في خرق اتفاق السلام تجعلنا نشك في كل خطوة تخطوها إسرائيل ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

كانون .. وجه صهيوني قبيح
يخترق عقل النقاد !

للأستاذ / على أبو شادى

تنبهت الحركة الصهيونية منذ بداية تاريخ السينما للقوة السحرية الفعالة لهذا الفن .

ولم تكف منذ تلك اللحظة عن استخدام السينما .. ثم الفيديو للترويج للأفكار الصهيونية . واستطاعت فرض سيطرتها المالية والاقتصادية من خلال إنشاء العديد من الشركات السينمائية الكبرى ، التى تخدم من خلال الأفلام فكرة التفوق العنصرى ووحدة التراث اليهودي وغيرهما من الأفكار الصهيونية المعروفة .

ولأن العقل العربى ، هو إحدى النقاط

←

(*) كما ورد هذا المعنى فى إحدى خطب الرئيس الراحل محمد أنور السادات . مجلة الأزهـــر

من خير ما نشر

المستهدفة دوماً من قبل المؤسسات الصهيونية ، فإن السينما كانت وسيلة هامة من وسائل الصهاينة فى غزو العقل العربى ـ قبل وبعد قيام إسرائيل ـ ولأنه من المستحيل على المؤسسات الرسمية الإسرائيلية أن تقدم إنتاجها مباشرة للمواطن العربى ، اختارت إنشاء شركات تحمل جنسيات أخرى ، تقدم من خلالها ما تشاء ، وأبرز هذه الشركات فى الفترة الأخيرة هى (شركة كانون) التى تحمل الجنسية الأمريكية ويملكها الطيار الإسرائيلى السابق ، والمخرج والمنتج حالياً (مناحيم جولان) ورغم الأسماء الكبيرة التى تحاول بها الشركة أن تجمل وجهها القبيح ، إلا أن إنتاجها العام يقدم فى مجمله وجبات دسمة من العنف والجنس (فوق القمة ، ماتاهارى ، عشيق الليدى تشاترلى) وغيرها من أفلام تقوم على تزييف الواقع وتخدير الوعى واللعب على الغرائز واستلاب العقل وتشويه روح الإنسان . ولا يعنيها لا المحتوى الفكرى ولا المستوى الفنى رغم الصيحات المستمرة من قبل العديد من المفكرين والنقاد الوطنيين الذين يدركون تماماً أبعاد المخطط السينمائى الصهيوني ، رغم التحذيرات المتكررة والتنبيه إلى خطورة أفلام هذه الشركة ، إلا أن هناك عدداً من النقاد فى مصر مازالوا يرون فى مقاطعة العمل السينمائى ـ حتى لو كان ضد الوطن ـ نوعاً من التصرف غير الحضارى ويدافعون عن وجهة نظرهم تحت شعار مزيف ، هو أن من حقك أن تعرض ما تشاء ، ومن حقى أن أدافع عن نفسى ، بإنتاج أفلام تنافس أفلامك ، وهو قول مغلوط تماماً . فنحن في العالم العربي لا نملك ما ندافع به عن عقول شعبنا إلا الكلمة المكتوبة ، وهى ذات وقع ضعيف ، أما الإنتاج السينمائى الضخم فلا طاقة لنا به ، ولا يمكننا منافسة ذلك المارد الضخم بإمكاناتنا الهزيلة .

ولقد بدأ إنتاج هذه الشركة الصهيونية يتسرب منذ فترة إلى سوق الفيديو في مصر .

إن هناك بعض المثقفين من النقاد يقفون وراء توزيع أفلام (شركة كانون) فى مصر ، ويلعبون دوراً خفيا أحيانا ، وعلنيا أحياناً أخرى ، حيث يعمل بعضهم مستشاراً أو شريكاً فى إحدى شركات التوزيع ويملك آخر شركة يوزع من خلالها هذه الأفلام ، وهم يقومون بعملية الترويج لهذه الأفلام رغم إدراكهم الكامل لدورها التخريبي فى عقل ووجدان المواطن المصرى ، وهم من خلال سلوكهم المعيب ، سياسياً وفنياً وأخلاقياً ومن خلال مواقعهم المؤثرة يشكلون طابوراً خامساً يسهم في عملية التطبيع . ويكرسه من خلال مؤسسات مراوغة الجنسية ، وهم يفعلون ذلك أيضاً ، رغم معرفتهم الكاملة بقرارات نقابة السينمائيين ، وهم أعضاء عاملون بشعبها المختلفة ، والتى تنص على مقاطعة كل ما هو صهيوني في السينما .

وغرفة صناعة السينما مؤهلة لو شاءت أن تؤدى دوراً يرد لها بعض ماء وجهها الذى أريق في مناسبات كثيرة .. وتتحرك ولو مرة واحدة من منطلق وطنى وقومى بدلاً من منطق « الفلوس » الذى تختاره منهجاً دائماً

لسلوكها ، وحفاظاً على الكرامة الوطنية المصرية وعلى العقل المصرى المهدد بالتدمير من قبل أدوات المؤسسات الصهيونية العالمية .

والغرفة تملك حق رفض أى فيلم من إنتاج هذه الشركة أو من الإنتاج الإسرائيلى .

فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى

هـــذا ديننـــا

أخشى أن ينسى العرب دينهم ، وأن ينسوا إخوان العقيدة المنتشرين فى المشارق والمغارب وأن يتجاهلوا قضاياهم وأحزانهم الكثيرة .

إنهم إن فعلوا ذلك نسيهم الله ونسوا انفسهم ومكنوا أعداءهم من أعناقهم ووقعوا فى فخاخ ماكرة نصبت لهم هنا وهناك .

إن الأقليات الإسلامية فى العالم تزداد تعاسة وعزلة ، ولا أدرى لماذا لا يكون لطلاب الحرية من هذه الأقليات المهضومة من يمثلها فى المجامع الإسلامية رسمية كانت أو شعبية ؟ مرة أخرى أقول للعرب : لا تغرقوا فى خلافاتكم ولا تغفلوا عن رسالتكم ، إن مستقبلكم رهن عودتكم إلى الإسلام .

الأستاذ/ نجيب محفوظ

دعـــوة للحيـــاة

فقدنا الدهشة ، فقدنا الانزعاج ، فقدنا الاهتمام . تلاشت صفات قليلة كثيرة فى حصار الخوف والقلق على لقمة العيش . نحن نعيش فى عصر اللقمة ، يرتعد أناس خوفا من العجز عنها ، ويشك آخرون فى دوام القدرة عليها ، وحتى أصحاب الملايين يتلفتون فى توجس ، ويتفق الجميع فى الاغتراب عن عالم الإنسان وقيمه السامية ومسراته الهادئة . ومن حولنا تتحقق منجزات كبيرة وإصلاحات أساسية .

الأستاذ/ محمد الحيوان

كلمـــة حـــب

قال سفير مصر فى تل أبيب : إن العلم المصرى يرفرف فى (تـل أبيب) بفعل الرياح .. وليس بسبب علاقات الود بين الجانبين .

وكيف يكون الود وإسرائيل مستمرة فى سياستها البشعة ضد الشعب الفلسطينى ؟

وقال إن سياسة إسرائيل يمكن أن تؤدى إلى إغراق سفينة السلام .. كما أنه يمكن أن ينسحب العلم المصرى من تل أبيب إذا لم تتوصل الأطراف المعنية إلى حل لقضية الشعب الفلسطينى .

أنباء وآراء

شيخ الأزهر يحذر من خطر الأمية الدينية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على أن الأمية الدينية التى تعيشها معظم الدول الإسلامية هى العقبة التى تقف أمام أى تقدم حضارى لجميع الشعوب الإسلامية ، جاء ذلك فى افتتاح الدورة التدريبية للطلاب الوافدين من العالم الإسلامى التى عقدت مؤخرا .

قال شيخ الأزهر : إن العلم هو المخرج الوحيد لنا من الفرقة والتدهور الذى تفشى فى العالم الإسلامى . وإنه كلما ازداد العلم ارتفعت الأفكار واطمأنت القلوب .

●●

أخطار على المسلمين فى غرب أفريقيا

الأخطار التى تهدد المسلمين فى غرب أفريقيا كثيرة ومتعددة . فالإرساليات التنصيرية تمارس نشاطاً كبيراً .

والبهائية تملك قوى طائلة ، وتجند أفراداً مدربين على مستوى عال من الكفاءة .

رئيس المعهد الإسلامى بجمهورية مالى الشيخ / على جالو يحذر المسلمين من البهائيين والقاديانيين المنتشرين فى غرب افريقيا .

المسلمون فى مالى ٩٠٪ والمسيحيون ٢ ١/٢٪ ، ٧ ١/٢٪ ، وثنيون ، والحركات التنصيرية تركز نشاطها بين المسلمين أكثر من الوثنيين . ومع ذلك فالوثنيون يدخلون الإسلام عن قناعة بأنه الدين الحق .

●●

الإقبال على الإسلام فى ألمانيا الغربية

أعلنت هيئة تسجيل السكان فى (هامبورج) من إحصاءات قامت بها أكدت وجود زيادة مضطردة فى عدد الألمان الغربيين الذين يعتنقون الإسلام .

أعلن ذلك (ما نفريد سورج) رئيس الهيئة .

●●

أوزال يتعرض لحملة عنيفة لأداء فريضة الحج

تورجوت أوزال رئيس وزراء تركيا تعرض الأسبوع الماضى لحملة عنيفة شنتها عليه

إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح

صحف المعارضة فى بلاده لأنه قام بأداء فريضة الحج هذا العام بدعوى أن هذا العمل من جانب يتنافى مع شعار العلمانية الذى ترفعه وتقوم عليه الدولة فى تركيا منذ أطاح كمال أتاتورك بالخلافة الإسلامية وألغى الكتابة بالحروف العربية وأحل محلها الحروف اللاتينية ، ودعا المرأة إلى السفور وترك الحجاب ، وذلك منذ عام ١٩٢٣ ..

هذه أول مرة يقوم فيها مسئول تركى كبير بأداء فريضة الحج منذ الثورة الكمالية التى تصور البعض أنها أطاحت بالإسلام فى تركيا إلى الأبد ، ولكن بعد خمسين سنة يعود الإسلام أقوى ما يكون .

تزعم الحملة على رئيس الوزراء عناصر إنتهازية ممن يتجرون بالشعارات الشيوعية والعلمانية .

● ●

الإيدز .. كارثة حضارة زائفة

تقرير عن ديسمبر ١٩٨٧

كشفت التقارير العلمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أن واحدا من كل ٦١ طفلا ولدوا خلال الشهر الماضى فقط فى مدينة نيويورك يحملون فيروس وباء الإيدز ! ظهرت هذه الحقيقة المرعبة خلال تنفيذ قرار صحى يستوجب فحص دم كل مولود جديد فى مدينة نيويورك خلال شهر ديسمبر (كانون الأول) المنصرم للاختبار . وغالبية أباء وأمهات هؤلاء المواليد المصابين هم من الشاذين جنسيا أو من مدمنى المخدرات أو كلتا العادتين . وقد أنذرت السلطات الصحية فى المدينة ، أنه إذا ما استمر معدل الإصابة بين المواليد بهذا الشكل ـ وهم يتلقون الفيروس عن طريق دم الأم أثناء فترة الحمل ـ فإن أمريكا ستشهد خلال سنوات قليلة كارثة لا يمكن حصر نطاقها .

● ●

العالم العربى وأوروبا

فى العاصمة النمساوية فيينا معرض ضخم دائم عن المخطوطات الإسلامية منذ القرن الثامن .

وقد ضم المعرض ثلاثمائة مخطوطة عربية وإسلامية من مجموع ألف وستمائة مخطوطة تملكها المكتبة النمساوية التى تعد واحدة من اكبر المكتبات فى أوروبا وأعرقها وأغناها بالمطبوعات والمخطوطات العربية والإسلامية القديمة والحديثة .

←

أنبـــاء وآراء

وتشمل المخطوطات المعروضة جميع المعارف والعلوم السائدة والمنتشرة عند المسلمين فى العصور الإسلامية المزدهرة وذلك لإطلاع الزائر للمعرض على الدور الهام الذى قام به المسلمون فى إيصال الحضارة اليونانية واللاتينية إلى أوروبا من خلال التراجم والبحوث الإضافية للمؤلفات والمخطوطات القديمة بالإضافة إلى شتى العلوم التى اكتشفها ووضعها المسلمون فى العصور المزدهرة .

وقد تم تصنيف المعرض الذى يحمل عنوان (العالم العربى وأوروبا) إلى ١٢ باباً هى : المخطوطات القرآنية والإسلام والمسيحية والفلسفة والرياضيات والفلك والطب والعلوم الطبيعية والجغرافيا والتاريخ وتاريخ الأدب والموسيقى وفن الكتاب والطباعة .

يشاهد الزائر فى مدخل المعرض خارطة للأرض للشريف الأدريسى الذى توفى فى سنة ٥٦٠ هجرية ١١٦٥ ميلادية وهى من منشور المجمع العلمى العراقى .

●●

توصيات مجمع الفقه الإسلامى تطلب الحد من ظاهرة انتشار المربيات الأجنبيات

مجمع الفقه الإسلامى الذى انعقد مؤخرا فى جدة أصدر عدة توصيات فى مقدمتها : تطهير وسائل الإعلام والإعلانات التجارية من كل ما يثير الشهوة ويدفع إلى الانحراف . وجعل المواد الدينية مواد أساسية فى كل مراحل التعليم ، وتدريس كل العلوم من منطلق إسلامى .

تضمنت التوصيات أيضاً : العمل على تنشئة الأجيال الجديدة تنشئة صحيحة ، والقضاء على ظاهرة استخدام المربيات الأجنبيات خصوصا غير المسلمات .

●●

« أينا » وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

ترحب مجلة الأزهر بإنشاء « وكالة الأنباء الإسلامية الدولية - أينا - » بجدة ص . ب ٥٠٥٤ راجية لها السداد والتوفيق ؛ فقد كان الميدان الإسلامى عامة خاليا من « وكالة أنباء » تخصه ، وتعنى بالخبر فى ذاته دون توجيه معين يخرجه عن إطاره ، كما تعنى بشئون العالم الإسلامى : قضاياه ونشاطاته وإن هذه الوكالة لحرية بأن تقوم كافة المراكز الإسلامية بتزويدها بأخبارها ومعلوماتها حتى يتسنى للوكالة أن تزود المسلمين فى كل مكان بتعريف شامل عن إخوانهم فى مختلف مواقعهم فتقع الألفة والترابط الذى يريده الإسلام . قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ .

وفى ذلك سبيل كريم فى المبادرة إلى قطع دابر الفتن التى تتربص بالعالم الإسلامى .

أكبر تجمع اقتصادى إسلامى

الرئيس التركى كنعان إيفرين افتتح فى أواخر ذى الحجة ١٤٠٨ هـ مؤتمر التعاون الاقتصادى والتجارى للدول الإسلامية « كوفسيك » الذى عقد باستنبول .

بحث المؤتمر الذى استمر ثلاثة أيام كيفية تنفيذ توصيات المؤتمرات الاقتصادية الإسلامية بإنشاء سوق إسلامية مشتركة على غرار السوق الأوروبية المشتركة . كما طرح على أعضاء المؤتمر مشروع إنشاء نظام للأفضليات التجارية بين أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى ، وتقديم دراسة بخصوص إنشاء شبكة للمعلومات التجارية بين الدول الإسلامية .

حضر المؤتمر وزراء الاقتصاد والتجارة فى خمس وأربعين دولة إسلامية من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى .

فهرس العدد

- **جــــوار قريــــش**
  د . على أحمد الخطيب ١٢٩
- **ضـياء الحـق .. إلـى الله** ١٣٣
- **لـماذا يحلـف الله بمخلوقاتــه ؟**
  فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ١٣٤
- **أيـات موسـى التسـع**
  حلمى الخولى ١٤٢
- **لا طيــرة ولا صَفَــر**
  الأستاذ الدكتور رءوف شلبى ١٤٧
- **تطويــر الكفــاءة القتاليــة**
  لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ١٥١
- **البحـث عـن الديانـات القديمـة**
  د . عبد الجليل شلبى ١٥٩
- **رسـل الأزهـر فـى بـلاد النيـجر**
  جمال الدين أبو العيون ١٦٣
- **فضـل الإسـلام علـى البشريـة**
  فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١٦٨
- **كتاب الخراج لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم**
  الأستاذ الدكتور على أوزاك ١٧٥
- **مسئوليـة المدرسـة والإعـلام نـحو ابنائنـا**
  الأستاذ محمد عبد السميع شبانة ١٧٩
- **الفتــــاوى**
  للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين ١٨٣

بـاب مـن أعـلام الأزهـر

- **عبد العزيـز البشـرى (جاحــظ العصـر الحديـث)**
  للدكتور محمد رجب البيومى ١٨٦
- **الشيـخ محمد بـن سعيـد عيـاد الطنطـاوى**
  المستشار محمد عزت الطهطاوى ١٩٢

بـاب الشـعر والشعـراء
إشـراف د . حـسن جـاد

- **تضــرع وإنابــة (شعــر)**
  للشيخ محمد زكى إبراهيم ٢٠٠

- ايـــــام (شعـــــــر)
للشاعرة نور نافع ٢٠١
- عندمــا يتنفــس الصبـــح (شعـــر)
للشاعر محمد عبد الخالق ندا ٢٠٢

العلــوم الكونيــة

- خصائــص المنهــج العلــمى فــى التــراث الإسلامــى
للدكتور أحمد فؤاد باشا ٢٠٤
- نظريــة الاختيــار الأمــثل وتطبيــقاتها
للدكتور محمد إبراهيم حسين ٢٠٩
- طرائـــــــف ومواقـــــــف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٢١٤
- مــــن روائــــع الماضـــــى
فضيلة الإمام الأكبر الأسبق محمد الخضر حسين
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات ٢١٦

اللغــة والأدب والنقــد

- إمــام النحــاة وقضيــة الاستشهــاد بالحديــث
الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل ٢٢٤
- حقيقــة الإســلام تســفر للــرافعى العبقــرى
محمد عبد الرحمن صان الدين ٢٢٩
- الإبـــــداع الأدبـــــى
الدكتور عبد الله محمد أبو هشة ٢٣٣
- مــــن خيــــر ما نشـــــر
إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجة ٢٣٦
- انبــــــاء وآراء
أحمد عبد الرحيم السايح ٢٤٠

القســـم الانجليـــزى
إشــراف د . أنس النجار

- المقالـــة الثانيـــة
عبد الحكيم أحمد طه ٢٤٧
- المقالـــة الأولـــى
د . أنس مصطفى النجار ٢٥٢

all muslims, a commulative concentrated dose of fundamental information of facts with which every muslim should be very well acquainted. It was an act of precision teaching and optimized instruction.

Another aspect learned from the Hadith was the methodology and science of interrogation. The prupose was precision teaching, the questions asked bv Angel Gibriel were precise, distinct, methodical, sequential and graded from the simplest to the most difficult. This manner of interrogation was in itself an approach to teaching and information; with its preciseness, sequence and grading, the listener would gain the exactness of the reply; and therefore recognize the size of its dimensions. On the other hand, the reply to the questions was complete with no redundancy or repetition, free from tautologism to avoid any mental distraction to the listner. The purpose of the whole scenario between the Angel Gibriel, and the Prophet was to educate the companions the exactness of the various grades of the Muslim faith. Both the questioner and answerer knew the exact replies, the ultimate projection was precision teaching and optimized instruction to the companions present at the time the event took place.

The first questions involved the essentials of Islamic faith which should be precisely known by all Muslims; a knowledge pertaining to his understanding and belief; for that reason, the reply was definitive and conclusive. The last question was about the Day of Judgement, the knowledge of which is selectively particular to the supreme Divine Transcendent knowledge. For that reason, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave no definitive reply; instead, the Prophet described the premonitory predictive signs and portents of the Hour; and recited from the Holy Quran "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour" (Surat Luqman, XXXI, 34).

From the text of the Hadith, it is realized that the Creed of Islam is a gradation of category and grading of performance. The initial grade is the identity for the majority and the common; the middle grade is for the pious, those who subject their inner belief to conform with their identity; the final grade is that of rank, distinction and excellence, achieved only by the very few. This grading instigates the Muslim to ascendancy and motivates his incentives for promotion on the path. The path to Allah demands the intention, the effort, the genuine endeavor and devotion. The reward is certain, the reward is from Allah, the All-Knowing, the All-Cognizant.

" ... Allah knows best where (and how) to carry out His mission ... " (Surat Al-Anaam, VI, 124) "It is not fitting for a man that Allah should speak to him except by inspiration or from behind a veil, or by the sending of a messenger to reveal with (Allah's permission, what (Allah) wills, for He is most High Most Wise. And thus have We by our command sent inspiration to thee, thou knewest not (before) What was Revelation, and what was Faith; but We have made the (Quran) a light, wherewith We guide such of our servants as We will; and verily thou dost guide men to the straight way" (Surat Al-Shura; XLII, 51, 52).

The process of the Holy Revelation was that the Divine Power used the Angel Gibriel as the extention arm to contact the human race represented by the Prophets (in this case the Prophet Muhammad - prayers and peace from Allah upon him). This contact was achieved to deliver a message. to all mankind, a message of enlightenment and emancipation.

Sometimes, the Angel Gibriel appeared in the apparition of a human with special signs of his angelic nature that were recognized only by the Prophet. That was the appearance of Gibriel on the occasion of the present Hadith. Gibriel appeared as a beautiful human, handsome in looks and elegant in manner, black hair and white garments. He was a stranger to the assembly, unknown to them; yet showed no signs of the weary tired traveller. However, the significance and importance of the theme of the discourse between the Angel Gibriel and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) focussed the serious attention of the assembly, and rendered the personality of the newcomer a very trivial matter indeed. Some authorities believe that the Prophet himself was denied by divine will (on that very occasion) the recognition of the Angel Gibriel, so that the question and answer session would be from one human to another. The cardinal optimized significance of the questions asked, and the direct specific comprehensive exact answers; entailed in their totality, sequence, and clarity, the most precise axioms of Muslim Theism. These premises were presented in the most logical sequence, in a manner to realize with ease and comprehension the structural dimensions of Islamic Theology in a paradigm presented as a conversation between the Angel Gibriel and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The whole incidence was overwhelming and unusual in its set up, in the personalities involved, and most of all in the dialogue of question and answer between the Angel Gibriel and the Prophet. It was to the companions, and remains to

schooling to instruct, to educate, and to indoctrinate the congregation into pinnacles of human enlightment - the Oneness of Diety, and the eternal message of the Holy Revelation, the Holy Book, the Holy Quran. This honoured assembly was mastered by the Prophet himself; the subjects of discourse were the Holy Quran, its text, interpretations, legislations, concepts, doctrines and teachings. The Prophet would answer questions related to worldly matters and religion, to death; and would discuss matters of propagation and promotion of Islam and matters of strategy and defence. The encyclopedia of reference was the Holy Quran, and the traditions of the Prophet; the master of the assembly was the Messenger of the Holy Book; the attendants were the companions of the Muhagereen and Ansar; and the subject matter of conversation (was always the most benificial knowledge that was ever expounded for the enlightenment of mankind.

The Angel Gibriel would descend with the Holy Revelation to deliver its sacred text to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the apparition of the Angel Gibriel to the Prophet would take different forms and styles. Sometimes the seraphic form of Gibriel would meet with the bodily form of the Prophet; and in this case, by Divine will, the bodily form of the Prophet would adjust in order to cope with the demands of the Angelic encounter. Other times, the Angel Gibriel would dwell within the Prophet and instill the text of the Holy Revelation into the perceptive depth of the Prophet. In this case, the Prophet would undergo a severe trance of physical exhaustion, abstractedness and enchantment, silence, profuse sweating, and pounding respiration. After recovery, the Prophet would relate to the companions what he had received of the Revelation.

With this understanding, we can realize that the real function of Prophethood is to link the infinite domain of heavens with the finite domain of the earth; between the creations, and their Creator; between the singular limits of energy, and the universal boundlessness of energy. The constitutions of Prophets were so constructed by Divine purpose to endure the burden of the link between the heavens and earth. With the usual human precepts, the constitution of Prophethood was beyond normal dimensions. They were ordained with Divine intelligence, knowledge, strength, guidance and protection. These qualities make them exceptional human individuals, characterized by exceptional Divine qualities that differentiate them from the usual human capabilities. The text of the Holy Quran indicates such meanings in several contexts.

LESSONS FROM THE HADITH

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXX1, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

The text of the Hadith indicates that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him was sitting in the Mosque at Al-Madinah, and around him were a group of companions from the Muhagereen and Al-Ansar. That tutorial gathering was by far the most exalted, heightened assembly of persons ever known in human history. It was a perpetual

march, Al-Muthanna defeated all Persian and alien resistance. He convened with the heads of Arab tribes resident south of Iraq and came to terms to their advantage against Persian rule. Abu Bakre inquired about Al-Muthanna and was told that the man was from the tribe of Bani Bakre ibn Wayil, a tribe inhabiting the west coast of the Persian Gulf, north of Al-Bahrain. Al-Muthanna at the head of his tribe had assisted Al-Allaa ibn Al-Hadramy in his battle against the apostates at Al-Bahrain. The man was known to be of noble birth and of authority in his tribe, known for his valour, chivalry, and adamant leadership . Abu Bakre knew that the Arab tribes in Iraq under the Persian rule were severely subjugated and living under very oppressed conditions; and that these tribes of Bani Lakhm, Taghlib, Iyad, Namre, and Shayban were very eager and willing to contact their roots in the Arab Peninsula.

Abu Bakre reconsidered, and the decision to infitrate the borders of Iraq was a better choice for Muslim expansion than a confrontation with the Romans across the Syrian borders. The Persian Empire was weakening, it lost its influence on the eastern and southern regions of the Arab Peninsula, the Imperial family was in continual dispute and treason, and the governing authority was in disorder. All this would be to the advantage of any Muslim penetration in Iraq. To this decision, the thinking of Abu Bakre grew more inclined. Al Muthanna ibn Harithah came to Al Madinah to convene with Abu Bakre and to explain the exact situation in the south of Iraq, and to invoke Abu Bakre the opinion that Muslim troops should infiltrate into these regions, overtake these lands and annihilate the persian influence in these territories. Abu Bakre finally conceded to the opinion of Al Muthanna ibn Harithah Al Shaybani, the first man to lead Muslim worriors across the northern borders of the Arab Peninsula into Iraq. This was the prelude to the conquest of Iraq by the Muslims, and th downfall of the Persian Empire.

Allah upon him) was to safeguard the northern borders of the Arab Peninsula, and to stipulate in the understanding of Islamic strategy, the importance of such territorial security. On the other hand, these regions north of the borders were well known to the Arab tribes of the Peninsula especially those of Makkah and Al-Madinah in lieu of their very frequent trade journeys to Syria and the several tribes of Arab descendency resident in Iraq. Also, several Arab tribes had some of their clans living as nomads inhabiting the desert stretches north of the Arab Peninsula extending into Syria and Iraq. These considerations crystalized the optimal importance of these regions in the thinking of the Muslim Arabs south of the borders. In the mind of Abu Bakre, this particular issue received special deliberation and speculation. He realized that the Arab Peninsula with its geographical confines would eventually become too limited for the future religious, social and economical aspirations and realizations of the growing united Muslim nation. On the other hand, the territorial safeguards of the northern borders, and the mitigation of the anti-islamic influence the Persian and Roman powers; could not be achieved merely by territorial security of the borders. Last but not least, it was the sacred duty of every Muslim to summon people for the path of Allah. With these considerations in mind, and the fact that Abu Bakre recognized the necessity to solidify the Arab tribes bv directing them to one active goal, one that conformed with their nature to strife for gallantry, valour, and bravery. Abu Bakre desired to utilize all those unidirectional rationalities in the service to summon for the path of Allah, at least the Arab tribes inhabiting the neighbouring desert expanses of Syria and Iraq. Abu Bakre in deep silence thought in the true humbleness of the man that desired no perosnal worldly glory, the decision to engage the Muslim nation in a military confrontation with the Roman legions accross the borders in Syria was certainly not an easy decision. He consulted the compansions, war veterans, pious men; he remained silent and in deep thought, supplicating to Allah to grant him the wisdom to the decision that would be beneficial to Islam and the Muslim nation.

As Abu Bakre was preoccupied and concentrated in thought, news reached him that Al-Muthanna ibn Harithah Al-Shaibany was travelling north from Al-Bahrain along the Persian Gulf, leading Muslim worriors from the Arabs of those lands, fighting his way victoriously to reach the borders of Iraq, cross them to become in the precincts of the delta of the Euphrates and Tigress rivers. During his

that he was an ordinary human being, not given the Divine selected qualifications of prophethood. With this very realistic understandings, Abu Bakre administered the affairs of the Muslim nation, and succeeded in the realization of a very coherent political unity that became very apparent soon after the wars against the apostates. This political unity was basically pivoted on two main aspects. Unity cf belief in Islam,establishing common laws of human and civil rights;and the fact that Al-Madinah was the center of authority, and the seat of opinion.Abu Bakre gained this authority by the people themselves to govern them in accordance with an established constituion which was the Holy Quran and the Honourable Sunnah of the Prophet. A constitution that was absolutely accepted in all details by both the ruler and the ruled. A constitution that was fully respected and conserved by every Muslim; and practised to its detail in the life of the individual, and the life of the Muslim nation at large throughout the Arab Peninsula. The acceptance of the Holy Quran and Hadith as sources of Islamic ministership, certianly resulted in establishing terms of mutual understanding and uniformity between the administrative authority at Al-Madinah and the Muslim population of the various arab tribes. Those were the sources of stability and uniformity dominating the internal affairs of the Muslim nation after the wars against the apostates within the geographical limits of the Arab Peninsula.

Outside the geograhical boundaries of the Arab Peninsula, the situation was very different indeed. The Arab Muslim nation in the Peninsula was neighboured by two major strongly dominant empires; the Persian Empire to the East and north east; and the Eastern Roman Empires to the north, and north west. These two empires had developed deep rooted territorial and social influences and relationships with the Arab tribes nearest to their borders. The two strong powers were in continual dispute and enmity. The field of aggression between them was Syria and Iraq, where the heat of battles were always kindled and ignited. The most contemporaneous of these wars to the Islamic reign was when the Persians defeated the Romans out of their strongholds in Syria, Palastine, and even in Egypt. The Persians took the Holy Cross from the church in Jerusalem. Twenty years later, the Romans retaliated and regained the territories of Syria and Palestine, and the Holy Cross. The terms of armistice between the two powers took place in 628 AC, and continued to the time of Abu Bakre.

The policy of the Prophet (prayers and peace from

ascertained of the Reality and Truth of their Faith. Among the great men in the history of Mankind, Abu Bakre will most certainly rank as a rare specimen of human greatness to face alone the mutiny of a nation, refuse compromise, to struggle in fierce battles, to gain Divine support, to emerge triumphant to the pinnacle of eminence, and amidst the grandeor of authority, to milk the ewes of his elderly neighbours with extreme humbleness, without appearances or false distinctins. Abu Bakre, the Khalifah of Rasul Allah, was indeed the greatest of the great.

The territories of the Arab Peninsula were the only regions under the jurisdication of the Muslim administration at Al-Madinah. Abu Bakre divided these regions into governorates of independent administration, and appointed a commissioner on his behalf to minister the affairs of the region. He appointed Attab ibn Ussayd for Makkah, Osman ibn Abi Waqqas for Al-Tayf, Al-Muhager ibn Ummayah for Al-Yaman, Zeyad ibn Labeed for Hadaramout, Yaala ibn Ummayah for Khawlan, Abu Mousa Al-Ashari for Zubayd and Rafaa, Muaz ibn Jabal for Al-Jund, Gareer ibn Abdullah Al-Bagly for Najran, Abdullah ibn Thawr for Garsh, Al-Alaa ibn Al-Hadramy for Al-Bahrain. The functions of each commissioner was to lead the prayers, decide judiciary and tribunal matters, look into disputes, decide and implement penalties, plan and develop finances, ensure and establish the overall wellfare of the region within his jurisdication. No judges were appointed in the reign of Abu Bakre, and the commissioner was himself responsible for all judiciary matters. Every commissioner was to answer Abu Bakre at Al-Madinah in all matters of office. These commissioners were optimally selected with justified suitability. Attab ibn Ussayd of Makkah, and Osman ibn Abi Waqqas of Al-Tayf were appointed by the Prophet himself and remained in office during the reign of Abu Bakre. At Al-Madinah, Abu Bakre at the head of authority appointed Omar ibn Al-Khattab in charge of all matters of arbitration, legal actions, and magistration. Abu Ubaydah ibn Al-Garrah was responsible for the treasury and finances. Osman ibn Affan was to write all correspondance and official scripts for Abu Bakre.

The policy of Abu Bakre being the successor of the Prophet - Khalifat Rassul Allah was based on the precise understanding that he (Abu Bakre) had succeeded in guiding the muslim nation, administrating their affairs within the boundaries of Islamic Shariah, and according to the Holy Revelation and the Sunnah of the Prophet. Abu Bakre was highly knowledgeable in these matters and fully realized

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

THE ADMINISTRATION

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

The details of the War against the apostates consumed the major part of the functional life of Abu Bakre as Khalifah. The overwhelming triumph that Allah bestowed upon Abu Bakre was certainly miraculous originating from Divine support. He faced the fierce violance and apostasy of the tribes, and stood patient and firm to confront the flaming mutiny against Islam and against his person as the man responsible for implementing the Islamic Shariah. The whole Arab Peninsula stooped in obeisance and respect to the Muslim authority at Al-Madinah, and to the man who upheld the Words of Allah as the justified elements of his existance; the man who was championed by Divine Will to surfeited success. The man who with patience, humbleness, insight, forcasting sagacity, and above all unfaltering belief in Allah, and confident faith; planned and engineered widespread military strategy to subjugate the whole of the Arab Peninsula to the domain of Islam. The tribes that had apostated and renegated in rage, anger, and wild antagonism; now returned into Islam, calm, serene, content with willing eagerness and honest penance. Amidst all the man slaughter that took place, and the blood pools that were soaked into the desert sands; there were times of supreme forgiveness, pardon, and condonement shown on the part of Abu Bakre as he received the active heads of the renegades being sent to Al-Madinah as prisoners of war by the victorious Muslim armies. The war against the apostates lasted for about one year, during which Muslim worriors gave the grandest example of commitment to Belief, obedience in valour, bravery, boldness, gallantry, manliness and intrepidity. They emerged from the experience more steadfast, purified, solid, brilliant and agile, dynamic in thought, fully

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
Vol. 61, Part II
Safar, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Administration.
   By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Lessons From the Hadith.
   By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الأول ١٤٠٩ هـ
اكتوبر - نوفمبر ١٩٨٨ م
الجزء الثالث
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قريش

٢

أبت قريش إلا أن تجعل من « عهدة الجوار » « حلفاً » موجهاً إلى حربها ، وحرصت حرصاً بالغاً على هذا التفسير وتمسكوا به جماعات وَوِحْدَاناً :

فالجماعة القرشية التى طرقت مضارب اليَثْربيين بمِنَى صباح تلك العهدة خاطبت الأوس والخَزرج بقولها :

« إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله - ما من حَىّ من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم » .

وهذا الذى كان على لسان تلك الجماعة هو الذي خاطب به أبو جهل سعد بن معاذ - رضى الله عنه - حين رآه يطوف البيت فى جوار أمية بن خلف ، إذ قال له :

« أراك تطوف بمكة آمناً ، وقد أويتم الصباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أمَا - والله - لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى اهلك سالماً .. » .

وعلى هذا التفسير كان مُنْطلَقُ قريش حتى هددت بغزو « المدينة » .

← تفســـير قريـــش

هذا التفسير ـ وحده ـ بغض النظر عما صاحبه من ممارسات عدوانية ـ كان له خطره على المسلمين ، لا سيما وقد قرنته قريش بمطاردة اليثربيين حال قُفُولِهِم من منى ، بل إنه لَيُلْجِئُهُم إلجاءً إلى أخذ الحذر فالاستعداد للمواجهة إذا اندفع كفار قريش فى العدوان لينالوا المدينة .

وإن الأمر لشديد الحرج ؛ ذلك :

أنه ـ فى مجال تحليل القوى ـ نجد أن الإسلام ـ في المدينة ـ جَدَّ له خصوم من اليهود والمنافقين ، فضلاً عن انه ـ إبَّان تلك العُهْدة ـ كان بالمدينة نفر من المهاجرين يعدون على الأصابع ، فلم تكن الهجرة قد تمت ، ولم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أوى ـ بعد ـ إلى المدينة .

كذلك لم يُسلِم كثيرٌ من أهلها ممن ليسوا يهوداً ولا منافقين ، وهذا الفريق الأخير ـ فى ذاته ـ قوة لا يدرى المسلمون فى حساب مَنْ تكون ؟ !

فإذا تركنا مجال القوى إلى ما التزم به اليثربيون أنفسهم فى « عهدة الجوار » نجد نصها صريحاً ـ فى كل رواياتها ـ بالتزام الدفاع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصَحْبِهِ ـ رضوان الله عليهم ـ داخل المدينة ليس غير ، ولم تَجِدَّ ـ بعد ـ إضافة أو تغيير يتسع به نطاق العهد فينتهى وضعه إلى ما هو أحسن .

وإذاً فالكفة الراجحة للقوى ليست ـ فى تلك البداية ـ تميل إلى المهاجرين ، فضلاً عن حرصهم على ألا يكونوا مصدر خطر على المدينة ؛ وإذاً فقريش على حنقها وكمدها لم تندفع إلى هذا التفسير عن « ارتجال » في الأمور ، أو « عفوية » فى الأحداث :

إنها لتعلم أن الجوار « عهد » ، وإنه مُعرَّض لكل ما يتعرض له العهد !!

أليس « الجوار » عرضة للرَّد إذا طلب رَدَّهُ مُجيرٌ أو مستجير ! ؟

ألم يمر بنا استرداد ابن الدّغنَّة جواره لأبى بكر ـ رضى الله عنه ؟ !

وما كان ذلك حدثاً فريداً من نوعه :

فعقب عودة مهاجرى الحبشة إلى مكة لم يدخلها مَنْ دخلها منهم إلا بجوار ، فدخلها عثمان بن مظعون ـ رضى الله عنه ـ فى جوار الوليد بن المغيرة ، ثم آلمه أن يكون في جوار مشرك :

« فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وَفَتْ ذِمَّتُك ، وقد رددت إليك جوارك .

قال : لِمَ يابن أخى ، لعله آذاك أحد من قومى ؟

قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله - عز وجل - ولا أريد أن أستجير بغيره .
قال : فَانْطَلِقْ إلى المسجد فَارْدُدْ علىَّ جوارى علانية كما أجرتك علانية .
...... فانطلقا ، فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يرد علىَّ جوارى .
قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى أحببت ألا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ جوارَه . » .

إذاً :

هذا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون - رضوان الله عليهم - مازالوا بين ظهرانى مكة ، فلم لا يفكر القرشيون - بهذا الأسلوب من التفكير والتأويل - فى دفع اليثربيين إلى رد جوار محمد - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين ؟

أليس ذلك منطق الأحداث إن لم يكن المسار الطبيعي الذى تهدف إليه قريش ؟ فإذا نَجَحَتْ فى ذلك ، فقد نجحت فى أكثر من شىء :

نجحت في عزل قوة مرهوبة عن محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحبه - رضوان الله عليهم .

ونجحت فى إبقاء المؤمنين جميعاً داخل مكة .

وَأَمِنَتْ وقوع حرب بينها وبين يثرب .

وفازت ببادرة تمنع غير يثرب أن تقدم على « جوار » أو « حلف » مع محمد - صلى الله عليه وسلم - وإنه لتخطيط رهيب لاسيما ، أن النفر من المهاجرين إلى المدينة ناله شىء من ضيق بعض أهلها بهم قبل أن يُسلِموا :

فهذا سعد بن معاذ ، وأُسَيْد بن حُضَير ، وهما سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه رأيا مصعب بن عمير المهاجر الذي انتدبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتعليم مسلمى المدينة - وكان مصعب بصحبة أسعد بن زرارة - رضى الله عنهما - بحائط لبنى ظفر ؛ فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فوقف عليهما مُتَشَتِّماً فقال :

ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .

ومعه غلام قال بدوره - مخاطباً سعد : أتيتنا - فى دارنا - بهذا الرُّعيد الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .

وجاءهما سعد - فقال : والله يا أبا أمامة ، والله لولا ما بينى وبينك من القرابة[1] مارمت هذا منى ، أتغشانا - فى دارنا - بما نكره . » .

←

(١) سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة - وكنية الأخير أبو أمامة - رضى الله عنهما .

ولولا إسلام الرجلين - عقب ذلك - لوقع مالا تحمد عقباه .

فقريش سلكت مسلكاً ترى فيه نجاح أَرَبِهَا ، فإن رَدَّ هذا الجوار ، أو بقاء محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحبه فى مكة .. أى الأمرين يكون هو فوز يضاف لحسابها .

لكن قريشا فاتها أمر واحد ، لا تعرفه ، ولن تعرفه إلا إذا آمنت !

لقد ضاع من قريش فى حسابها موقع الإسلام من القلوب ... لقد آمن من آمن من اليثربيين ، وإنهم لعلى عُدَّةٍ واستعداد لأن يرضوا ربهم ورسوله على أى حال يواجهون ، فلم يعيروا قريشاً أدنى اهتمام ، وبقى الجوار قائماً ، فاندفعت قريش بثقلها إلى هدفها الثانى : بقاء محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحبه - داخل مكة ، فمارسوا مع المؤمنين ألوان ما تفننوا من عذاب حتى صار المسلمون ما بين مفتون فى دينه ، أو معذب فى أيديهم ، فما أَذِنَ لهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في الهجرة حتى كانوا بدورهم يتفننون - فى كيفية الخروج سراً تاركين الدور والمال ، وكل شىء يعوق ... تركوا كل ذلك لله - عز وجل - وأخذوا فى الرحيل خفية .

واستغرقت هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهجرتهم جميعاً ثلاثة أشهر فقط أو قريباً منها لأن المبايعة .. مبايعة الجوار « كانت فى ذى الحجة ومهاجرته - صلى الله عليه وسلم - فى ربيع الأول . وعن الحافظ ابن حجر - رضى الله عنه :

أن بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته - صلى الله عليه وسلم - شهرين ونصف شهر على التحرير . »(٢) ا هـ

تمت الهجرة على مدى هذا الزمن . وما كان يسيراً على نفوس المؤمنين ، فقد كانت فترة عصيبة جمعتْ فى النفوس الحذرَ إلى القلق ، واستشرافَ الخلاص إلى ترقب الفرص ، فمضى إلى المدينة من استطاع الرحيل ، فأما من قعد به المرض كسيدنا ضمرة بن جندب - رضى الله عنه - أو أعجزته الحيلة فلم يستطع الفكاك فقد بقى أسيراً فى مكة : رجلاً كان كهشام ابن العاص - رضى الله عنه - أو امرأة كأم سلمة ، وزينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التى منعها زوجها أبو العاص بن الربيع ، وبقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ينتظر أمر ربه ..

د. على أحمد الخطيب

---

(٢) الحلبية ٢/٢٤ ، ٢٥ .

تفسير سورة الفجر

الغنى ليس دليل الكرامة عند الله تعالى والفقر ليس دليل المهانة عنده

٢

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

١٥ - ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ .
١٦ - ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . . ﴾ إلخ .

لفظ (ما) فى قوله تعالى ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ﴾ صلة لتوكيد الكلام بعدها وليست للنفى ، ومن القواعد النحوية المقررة أن لفظ (ما) بعد إذا زائد وليس للنفى مطلقاً ، ومعنى ابتلاه امتحنه ، ومعنى ﴿ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ ضيقه .

وهاتان الآيتان مرتبطتان بقوله تعالى قبلهما :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ كأنه قيل : إن ربك سبحانه لبالمرصاد لأعمال عباده فى الدنيا ليحاسبهم ويجزيهم عليها فى الآخرة ، فلا تطلب إلى السعى من أجلها ، فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا وملذاتها ، فإن نال منها شيئا رضى ، وإلَّا سخط ، وكان اللائق ألَّا يهمه إلا مايطلبه الله عز وجل ، ولا يكون حاله كذلك .

والآية نزلت فى عتبة بن ربيعة وأبى حذيفة بن المغيرة ـ كما قاله ابن عباس ـ رضى الله عنهما . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالحكم عام يشمل كل إنسان ـ مؤمن أو كافر ـ .

والمعنى : فأما الإنسان إذا امتحنه ربه بالغنى ، فأكرمه بالمال ونعَّمه بالتوسعة عليه ، فيقول : « ربى أكرمنى » لأننى أهل لذلك ،

تفسير سورة الفجر

ولا يشكره تعالى على نعمته بالطاعة والإنفاق فى المبرات ، كإكرام اليتامى ، وإعطاء المساكين ، ولا يدرى أن الله أكرمه ونعَّمه ابتلاء وامتحانا ، لا لما يزعمه من علو قدره ، وأما إذا امتحنه فضيق عليه رزقه فيقول : « ربى أهاننى » وحط من قدرى ، فلم يعطنى كما أعطى من يساوينى ، ويحزن لذلك ، وربما انصرف عن طاعته لذلك .

والحق أن كثرة الرزق وقلته لا ترجعان إلى كرامة الإنسان أو هوانه على الله تعالى ، فالله يغنى من يشاء من المؤمنين والكفار ، ويفقر من يشاء منهما ، وكل من الغنى والفقر دُولَةٌ بين الناس ، ليمتحنهم. هل يشكرون أم يكفرون .

١٧ ـ ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ .

« كلَّا » كلمة زجر وردع عما قيل قبلها، أى كَلَّا لم أبتل الإنسان بالغنى لكرامة عندى ، ولم أبتله بالفقر لهوانه عندى ، بل ذلك لمحض القضاء والقدر ـ كما قال ابن عباس ، وقال الفراء : كلا فى هذا الموضع بمعنى : لم يكن ينبغى للعبد أن يكون هكذا ، ولكن يحمد الله على الغنى والفقر .

﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ انتقال من توبيخ الإنسان على ماقاله إلى توبيخه على ما يفعل ، والانتقال من الغيبة إلى الخطاب لتشديد التوبيخ والتقريع ، والجمع باعتبار جنس الإنسان ، أى بل لكم أفعال أشدُّ نُكْراً وشرا مما ذكر ، وأدل على تهالككم على جمع المال من غير تفكير فى حقوقه تعالى ، فلا تؤدون مايلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالبر والإحسان إليه .

فإن أَحَبَّ البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مُكْرَم » .

١٨ ـ ﴿ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾

طعامه بمعنى إطعامه ، كالعطاء بمعنى الإعطاء ، والمراد بالمسكين : مايعم الفقير ، فإنهما إذا افترقا اجتمعا ، وإذا اجتمعا افترقا ، والفقير أسوأ حالا من المسكين ، وقيل العكس .

والآية تستنكر منهم أن لا يحث بعضهم بعضاً على إطعام المسكين لبخلهم ، فالبخيل يحب أن يكون غيره مثله .

١٩ ـ ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾

التراث : الميراث ، واللَّمُّ الجمع ، يقال : لَمَمْتُ بالشىء أَلُمُّه لَمًّا إذا جمعته ، ومنه يقال : لَمَّ الله شعثَه ، أى جمع ماتفرق من أموره ، ويقال : دَارُكَ لَمُومَـةٌ ، أى تَلُمُّ الناس وتجمعهم .

وقال الليث : اللَّمُّ الجمع الشديد :

والمراد به هنا الجمعُ بين الحلال والحرام ، ومايحمد ومالا يحمد ، كجمعهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم فى الميراث فيأكلونه كما كانوا يفعلون فى الجاهلية ، فقد حَرَمُوا النساء والصبيان من الميراث ، فكانوا يجمعون نصيبهم إلى نصيب أنفسهم فيأكلونه ، ويقولون : لا يأخذ الميراث إلا من يقاتل ويحمى القبيلة ، وكانوا يعلمون من شريعة إسماعيل ـ عليه السلام ـ أن من حَرَموهم

يرثون ، فلم يبالوا بشريعة الله .

وقيل : يجوز أن يكون المعنى أنهم هم الذين يرثون المال ممن قبلهم ويحصلون عليه سهلا بلا تعب ، فيسرفون فى إنفاقه ويأكلونه أكلاً واسعا ، جامعا بين المشتهيات من الأطعمة والأشربة ، ولا ينفقون فى المبرات والخيرات ، ولا يفكرون فى الخراب والضياع اللَّذين ينتظرانهم ، ويعزى هذا المعنى للزمخشرى .

٢٠ ـ ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾

أى تحبون المال حباً كثيرا ، لا تبالون بجمعه من حلال أو من حرام ، لأنكم لا تفكرون فى الحساب والجزاء .

٢١ ـ ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾.. الآيات

هذه الآية : استئناف جىء به بطريق الوعيد ، تعليلا للردع السابق ، أى ماهكذا يكون الأمر من انكبابكم على الدنيا وجمعكم لها ، فإن من فعل هذا يندم ولا ينفعه الندم .

والدَّك الطرق والكسر ـ كما قال الخليل ، وتكرره للدلالة على الاستيعاب ، فليس الثانى توكيداً للأول ، وهو مثل قولك : جاءوا رجلا رجلا ، وعلِّمتُ الحسابَ بابا بابا ، أى إذا دكت الأرض دكًّا متتابعا حتى تلاشى كل ماعليها من جبال وتلال وحصون وقصور وغيرها ، وذلك حين زُلْزِلَتْ مرة بعد أخرى فكسر بعضها بعضا ، ومنه قولك : دُكَّ الشىء أى هدم ، وإذا حصل هذا أصبحت الأرض دكاء ، أى متساوية لا شىء فيها مرتفع عن الآخر ، ومنه سُمِّى الدُّكَّانُ لاستوائه فى الانفراش ، وذلك عند النفخة الثانية للبعث والحساب ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَآ أَمْتاً ﴾

٢٢ ـ ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾

معلوم من الدين بالضرورة أن الله تعالى لا يوصف بالتحول والانتقال من مكان إلى آخر ، فهو ـ سبحانه ـ موجود قبل خلق المكان والزمان ، وحاضر بعد خلقهما حضور علم بما يجرى فيهما ، وعلى هذا يفسر مجيئه تعالى فى هذا اليوم بمجىء أمره وقضائه .

وقيل المعنى : وجاءهم الرب ـ سبحانه ـ بالآيات العظام ، وهو كقوله ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾

وقيل : جعل مجىء الآيات مجيئا له ـ تعالى ـ تفخيما وتعظيما لشأن تلك الآيات .

وقيل : إن مجيئه ـ تعالى ـ كناية عن زوال الشبه فى ذلك اليوم ، وقد صارت المعارف ضرورية ، كما تزول الشبه والشك عند مجىء الشىء الذى كان يشك فيه ، وكلها تأويلات عظيمة للمراد من الآية الكريمة .

والمراد من مجىء الملائكة « صفا صفا » حضورهم مصطفين حول الخلائق ظاهرين لهم ، وقد كانوا فى الدنيا لا يرونهم ، وذلك تعظيما لخطورة الموقف فيه وتهويلا له ، وإبرازا لعظمة العلى القدير .

←

(١) سورة طه : الآيات ١٠٥ ـ ١٠٧ .

تفسير سورة الفجر

٢٣ ـ ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾

المقصود من المجيء بها إظهارها وإبرازها لأهل الموقف ، فهو مجاز عن المعنى المذكور . وهو كقوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾

أى يومئذ تدك الأرض ويجيء قضاء ربك ، ويجيء الملائكة صفا صفا ، وتظهر جهنم لأهل الموقف ـ يومئذ يحدث ذلك ـ يتذكر الإنسان ما فرط فيه بتفاصيله ، بمشاهدة آثاره وأحكامه ، أو بإحضار الله له فى ذهنه ، أو باطلاعه على كتابه .

ويجوز أن لفظ (يتذكر) بمعنى يتعظ ، أى يومئذ يحدث ذلك يتعظ الإنسان ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أى ومن أين تنفعه الذكرى وقد فات أوانها ، فهى إنما تنفعه إذا كانت فى الدنيا ، ولكنها لم تحصل فيها بل فى الآخرة التى هى وقت الجزاء لا وقت الاتعاظ والمتاب .

٢٤ ـ ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

هذه الآية جواب لسؤال تقديره : ماذا يقول عند تذكره ؟ أى يقول الإنسان المستحق للعذاب عند تذكره معاصيه : ياليتنى قدمت فى الدنيا الأعمال الصالحة من أجل حياتى فى الآخرة .

٢٥ ـ ٢٦ ـ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾

الجمهور يقرؤون « لايعذِّب » بكسر الذال مشددة ، والضمير فى قوله « عذابه » يرجع إلى الله تعالى ، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله .

والمراد من العذاب هنا التعذيب ، كما يستعمل العطاء بمعنى الإعطاء ، ومنه قول الشاعر :

وبعد عطائك المال الرِّتاعا

: أى وبعد إعطائك المال الرِّتاع ، والرِّتاعُ هى الإبل الراتعة فى مرعاها .

والوثاق بفتح الواو وكسرها مايوثق ويربط به مثل السلاسل والحبال ، والضمير المضاف إليه فى « وثاقه » راجع إلى الله كسابقه ، وكل من عذاب ووثاق مفعول به للفعل الذى قبله ، وليس مفعولاً مطلقاً ، فإن المراد لا يفعل عذاب الله ووثاقه أحد ، كما قالوه فى قوله تعالى ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ أى مانفعل إلا ظنا (٢) فكأنه قيل : لا يفعل عذاب الله ووثاقه للكافر ولا يباشرهما أحد سوى الله تعالى ، وفيه تعظيم عذاب الله ووثاقه لهذا الإنسان الذى تقدم شرح أفعاله وأقواله .

وعود الضمير إلى الله تعالى هو اختيار ابن عباس والحسن(٣) .

وقيل إنه عائد إلى الإنسان الذى تقدم ذكر سيئاته ، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول به لا إلى الفاعل ، أى لا يعذب ولا يوثق أحد من زبانية جهنم أحدا من أهل النار مثل مايعذبونه

(٢) راجع الألوسى .

(٣) راجع القرطبى .

ويوثقونه ، فهو أشد أهل النار عذابا ووثاقا ، لأنه أشدهم سيئات أقوال وقبائح أفعال .

قال الألوسى : الظاهر أن المراد به جنس المتصف بما ذكر .

وقيل : أمية بن خلف . لأن هذه الآيات نزلت بسببه : أهـ بتصرف يسير .

وقرىء لا يعذَّب ولا يوثَق بالبناء للمفعول ، فيكون معناه كالوجه الثانى فى قراءة الكسر ، وفى الآية آراء أخرى فمن أرادها فليرجع إلى الموسوعات .

٢٧ - ٣٠ - ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى ﴾ هذه الآيات حكاية لما يقال لأهل التوحيد والطاعة ، الذين اطمأنت نفوسهم وسكنت لمعرفة الله ، بعد حكاية من اطمأن بالدنيا وسكن إليها ، وهذا النداء إما أن يكون يوم القيامة ، وإما أن يكون فى الدنيا ، فإن كان فى الآخرة كان المعنى : يقول الله لها إمَّا بالذات .. كما كلم الله موسى .. وإما على لسان ملك - يقول - ياأيتها النفس المطمئنة الساكنة بصدق الإيمان والثقة بوعد الله : إرجعى من مكان حسابك إلى موضع عناية ربك فى الجنة دار الكرامة ، راضية بثوابك الجزيل ، مرضية من الله تعالى ، فادخلى فى زمرة عبادى الصالحين ، وادخلى جنتى لتتمتعى فيها معهم بمالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

والمراد بالنفس : الذات على هذا التأويل :

وقيل : إن هذا النداء للنفس بمعنى الروح ، والمراد بربها صاحبها وجسدها ، وهذا نداؤها عند البعث ، أى ارجعى إلى جسدك الذى فارقته فى الدنيا : وإن كان هذا النداء فى الدنيا فهو عند قبض الروح ، وأيد هذا الرأى بما أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وغيرهما عن ابن جبير قال : « قُرِئت عند النبى - صلى الله عليه وسلم - ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . . . ﴾ الآية . فقال أبو بكر رضى الله عنه : إن هذا لحسن ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن المَلَك سيقولها لك عند الموت » .

والمعنى على هذا : ارجعى بالموت إلى عالم قدس ربك ، راضية بما تؤتين من النعيم ، أو راضية عن ربك مرضية عنده تعالى - فادخلى فى زمرة عبادى الصالحين المقربين الذين يسكنون حظائر القدس ، وادخلى جنتى التى أعددتها لذوى النفوس المطمئنة ، والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

في رياض السُّنة النبوية المطهَّرة

مرحبا بصاحب النسب الزكى وسيد البشر فى الدنيا والآخرة

روى مسلم - فى كتاب الفضائل - بسنده قال : حدثنا محمد بن مهران الرازى ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعاً عن الوليد قال ابن مهران : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى عن ابى عمار شداد ، أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل .
واصطفى قريشا من كنانة .
واصطفى من قريش بنى هاشم .
واصطفانى من بنى هاشم .

وهذا الحديث عن النسب الزكى يضع سيدنا ومولانا محمداً - صلى الله عليه وسلم - فوق معايير « الدراسات الاستراتيچية » الحديثة التى تتنبأ بسلوك الزعماء ، ومستقبل سلوكيات القادة ، ونجاحهم أو فشلهم ، أو القاسم المشترك الذى يمكن به التعامل معه .

فسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بهذا الاصطفاء أعلى وأكرم من أن يقاس بمقاييس علماء البشر ، ولا استدراك من الناحية (الإيمانية) للمسلم على هذه القيمة ، غير أننا نحب أن نفسر - أو أن نشرح - خصائص هذا الاصطفاء وليكون نبراساً للقيم الحضارية التى أرساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كمصدر لها فهو القدوة والأسوة حسبما وجه القرآن الكريم أمة المسلمين للتأسى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ الأحزاب : ٢١ .

ويختص نسب النبى صلى الله عليه وسلم بخصائص عدة منها :

١ - البقاء إلى جوار البيت الحرام .
٢ - الفروسيـــة .
٣ - حفـظ الأســرار .
٤ - البحث عن مكارم الأخلاق .

(*) الكاتب : وكيل الأزهر الشريف .

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى

٥ ـ الرحمــــة .

وبيان ذلك :

(أ) البقاء إلى جوار البيت الحرام :

إن عدنان هو : الجد الذى يثبت إليه نسب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ علمياً وتاريخياً .

* لقد ولد لعدنان ولدان :

● عك بن عدنان ● ومعد بن عدنان .

أما عك فقد : نزح إلى اليمن وتزوج من الأشعريين .

وأما معد فقد : استقر بمكة مجاوراً بيت الله الحرام الذى رفع قواعده سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أصل هذه الدوحة الشريفة .

* ثم ولد له : نزار ، وقضاعة ، وقنص .

أما نزار فقد : استقر بمكة .

وأما قضاعة فقد : انتقل إلى حمير فى بلاد سبأ .

وأما قنص فقد : هلك .

* ثم كان من نزار أولاده : ربيعة ، وأنمار ، وأياد ، ومضر .

لم يستقر واحد منهم إلى جوار البيت الحرام سوى : مضر . ومن خصائص مضر أنه : ما رآه أحد إلا قدره وأحبه ، فهو صاحب كنف موطأ .

فسلسلة النسب الزكى مستقرة حول البيت العتيق ، فهو جوار طاهر فى كنف بيت عتيق مُعَظَّم فى آباء ممجدين مؤثلين .

* ثم كان من مضر ولداه : غيلان ، وإلياس .

أما غيلان فقد : أفسد الدين .

وأما إلياس فقد : صان ملة إبراهيم وحافظ على الشرائع التى ورثها البيت الإسماعيلى من جدهم إبراهيم ، وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ .

* تقول مصادر السيرة النبوية المعتمدة :

إن الياس أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام وكان فى العرب مثَل "لقمان الحكيم فى قومه"[1] .

(ب) الفروسيـــة :

* ومن إلياس كبير قومه كان ثلاثة نفر : عامر ولقبه : مدركة .

وطابخـه .

وقمعــة .

كان عامر (مدركة) هو : الفارس المقدام الشجاع وهو الجد فى السلسلة الشريفة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستحق هذا اللقب لأنه . أدرك كل عز وفخر .

أما الآخران فقد : كانا كسولين .

(جـ) حفـظ الأســرار :

* ثم ولد له : خزيمة ، وهُذَيل .

←

(١) السيرة الحلبية ، جـ١ ص ١٦ ، ١٧ .

وكان خزيمة : أشرف الناس نفسا فأنجب أربعة : كنانة ، وهى التى : اصطفاها الله من ولد إسماعيل . وأسد ، وأسدة ، والهون .

وكان كنانة هو : جد النبى - صلى الله عليه وسلم - فقد اختص بأنه يكن ويحفظ أسرار الخلق وهى صفة أمانة الأسرار للمجتمع .

تقول المصادر الموثوق فيها علمياً :

قيل له كنانة : لأنه لم يزل فى كِنٍّ قومه بستره على قومه وحفظه لأسرارهم ، وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج إليه العرب لعلمه وفضله وكان يأنف أن يأكل وحده .

* ثم كان منه : النضر . ومالك ، وعبد مناف ، وملكان .

وسمى النضر : لنضارته ، وحسن طلعته ، وبهائه .

(د) البحث عن مكارم الأخلاق :

* ثم كان من النضر مالك ، ويخلد .

يقولون فى المصادر الوثيقة للسيرة ، سمى مالكا لأنه : ملك أمر العرب .

* ومنه كان فهر ، وفهر هذا هو : قريش وسمى بذلك : لأنه كان يقرش : يعنى يفتش عن خلة[٢] المحتاج ليسدها ويقيل عثرته ، وكان أبناؤه من بعده يقرشون أهل الموسم بمعنى : انهم يقضون لهم حوائجهم .

* ومن فهر كان أبناؤه : غالب . ومحارب . والحارث . وأسد .

وكان غالب هو : جد النبى - صلى الله عليه وسلم - لأنه كان يغلب على الحق .

ومن غالب كان : لؤى وتميم .

وكان لؤى هو : جد النبى - صلى الله عليه وسلم - ، ومنه : كان كعب ، ومنه : كان مرة ، ثم كان كلاب ، وكان كعب يجمع قومه«يوم العروبة»وهو«يوم الجمعة»أو يوم الرحمة ويقال : إنه أول من سَمَّى يوم الجمعة بذلك لاجتماع قريش فيه إليه .

وكلاب : اكتسبها من كثرة استخدامه لكلاب الصيد ، واسمه : حكيم .

وكلاب هو مجمع جدى النبى - صلى الله عليه وسلم - لأبيه وأمه لأنه أنجب :

قصيا : جد النبى - صلى الله عليه وسلم - لأبيه ، وزهرة : جد النبى - صلى الله عليه وسلم - لأمه .

ومن خصائص قصى :

الحجابة : وهى حراسة الكعبة .

الرفادة : إطعام أهل المواسم فى الحج .

اللـــواء : حق إعلان الحرب وعقـد الجيوش .

السقاية : سقاية الحجيج الماء بلا مقابل .

الندوة وهى : الشورى .

ومن قصى كان أولاده : عبد مناف وهو جد النبى ﷺ وعبـد الدار ، وعبـد العـزى ، وعبد قصى .

أما عبد مناف فقد : امتاز فى ظل والده بالوقار والاحترام لذاته .

وكان عبد الدار هزيل المقام فرأى قصى أن

(٢) اى حاجة المحتاج .

يعطيه شيئاً من الشرف فوزع وظائفه على أولاده . فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة ، وهى صفات : الكرم والجود والسخاء المتكرر الدائم وأعطى عبد الدار اللواء ليرفع من ضعفه .

(هـ) الرحمـــة بالضعفـــاء :

* ثم كان من عبد مناف رجال هم : هاشم ، والمطلب ، وعبد شمس ، ونوفل .

وكان هاشم كريماً يحفظ له التاريخ أن قريشاً أصابتها مخمصة وهو فى بلاد الشام فاشترى دقيقاً وكعكاً . وقدم مكة فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا ، وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى لذلك : هاشما .

يقول الكاتبون القدامى : كان هاشم يحمل ابن السبيل ، ويؤمن الخائف ثم ورث هاشم خصائصه فى العدل الاجتماعى إلى المطلب أخيه ، ثم ورثها عبد المطلب بن هاشم من عمه المطلب .

وعبد المطلب له خصائص أضفت عليه ألقاباً فهو : (مطعم طير السماء) وهو : (شيبة الحمد) وهو رجل مجاب الدعوة كانت قريش تستسقى به مطر السماء وسمى لذلك : بالفياض .

* ومن عبد المطلب كان عبد الله الذى جعل الله منه المصطفى الخاتم سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - الذى حمل من أرومته هذه الخصائص العليا :

— الجوار إلى بيت الله العتيق والبقاء على ملة إبراهيم الحنيف .

— الفروسية والإقدام والشجاعة .

— شرف النفس وعلو الهمة .

— حفظ الأسرار والأمانة .

— مكارم الأخلاق وفضائلها .

— رعاية الضعفاء وحماية المحاويج .

وبهذه الخصائص الوراثية التى تعتبر قاعدة فى الدراسات الاستراتيجية يكون سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - على السنام من ذروة المجد والشرف المؤثل لجميع زعماء العالم قديماً وحديثاً ، وإذن فما هرطق به قليلو الثقافة وضعفاء التفكير من المستشرقين وكتاب الغرب الحاقدين من أمثال : لامانس ، وموير ، ودر منجم ، إنما هو محض افتراء مزيف لا يعتمد على توثيق من مصدر أمين ، ولا يصدر من عقل محترم لنفسه يعرف أصول النتائج من مقدماتها ، ولا سيما ، ماقاله الكاتب الفرنسى (جاستون فييت) .

فما هو الا استخفاف بالعقلية العلمية وزاد لمحبى ومروجى الشائعات والأكاذيب من كتاب يحبون الجهل الماجن على العلم الموثق .

ونحن-العرب المسلمين بما لنا من أمجاد فى الفتح الإسلامي والحضارة العالمية-نثق كل الثقة فى أصول البيت النبوى الكريم الشريف ، وفى القيم الحضارية التى تدثرت به والتى انبثقت عنها .

ثانيا : القيم المنبثقة من النسب الزكى :

(١) رفعة النسب وعدالة الحكم :

القيمة الحضارية الأولى المنبثقة عن هذا النسب أن العدل فى الحكم لا يتحقق بصورة جدية وصادقة إلا إذا كان نسب الحاكم نقيا

شريفا لأن عوامل الوراثة فيه ترجح جوانب العدالة على ما يناقضها من خلال فى الذات وفى السلوك .

وحول هذا ينبغى أن يفهم معنى الحديث الشريف : (الأئمة من قريش)[٣] وبقية الأحاديث التى تثبت شرف النسب الزكى مما رواه مسلم : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من بنى قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) .

وما رواه البيهقى عن الحاكم قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله أخرجنى من النكاح ولم يخرجنى من السفاح » .

ولقد شهدت الحياة الإنسانية قلقا فى كثير من الأنظمة فى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية لتخلف المجتمعات الإنسانية عن هذه القيمة الحضارية .

ويبقى للإسلام وحده أنه الذى يحافظ على القيم الحضارية فى إحقاق العدل عن طريق طهارة الوراثة ، وفى الحديث الشريف : « أنا جد كل تقى » .

ولذا فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوصى جماعة المسلمين باختيار هذا النقاء فى الأصول فيقول : « إياكم وخضراء الدمن »[٤] « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »[٥] .

(ب) استمرارية النقاء لضمان استمرارية إقامة العدل :

وقد فهم بعض المفسرين قول الله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ أنه انتقال الوراثة فى أصلاب أجداد النبى ﷺ من جد طاهر نقى مؤمن إلى جد مثله فى الطهارة والنقاء والإيمان .

ولذا فإن وصية النبى ﷺ لجماعة المسلمين : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »[٦] فالإدامة على الطاعة تمنع وقوع المعصية وإن قلت الطاعة كمًّا فإنها كطاعة تبقى كيفاً محصناً من الوقوع فى المعاصى ، وهو قدر كاف فى استمرارية النقاء والطهر .

وفى السنة : « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل » متفق عليه .

فالدوام على الطاعة : يوجد رأياً عاماً اجتماعياً يتحول إلى ضبط اجتماعى يعقبه انضباط فى السلوك الأخلاقى والعمل الإدارى ومحاسبة النفس .

(جـ) مكارم الأخلاق غاية نبيلة لاحترام الكيان البشري :

فإذا مادعا محمد بن عبد الله ﷺ إلى مكارم الأخلاق فإن له من أرومته وأجداده أصلاً وسنداً .

وعندما تشهد أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله

(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه الديلمى والدارقطنى وذكره الواقدى .
(٥) الديلمى عن ابن عمر ، وابن عساكر عن عائشة ، والحلية عن أنس ، وكنز العمال .
(٦) متفق عليه .

عنها ـ بأن النبى ﷺ : « كان خلقه القرآن[7] ».

دعوته ﷺ لمكارم الأخلاق لها أصل فى أرومته ولها سند فى تطبيقاته وسلوكه .

والقيمة الحضارية تعنى : أن من يعلن شعاراً عليه أن يجد له فى سلوكه سنداً وله فى أصله تاريخ .

وإذن فمقياس صدق الزعماء وميزان الحكم عليهم ليس هو الشعار الذى يرفع ، ولا الكلام الذى يقال ، ولكن العمل الذى يصدر عنهم ، والأصل الذى يتواءم مع السلوك الذى يمارسونه ، وقديماً قالت العرب : « كل إناء بما فيه ينضح » .. وهو مثل مضطرد لا يتخلف حسب وقائع الأحداث فى التاريخ .

وقديماً قال الشاعر :

تضف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد سجل القرآن الكريم هذه القيمة الحضارية فقال الله ـ « جل شأنه » :
﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ .
« سورة البقرة ـ ٤٤ » .

وفى حياة الدعوة والداعية الصادق جعل الله قوله متأخراً عن ممارساته ، فكان ﷺ يعمل أولاً ثم يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .
« سورة فصلت ـ ٣٣ » .

ثالثاً : الممارسات الحضارية للنبى ﷺ :

من الممارسات الحضارية للنبى ﷺ شمائله التى لاتحصى ولاتعد ، ولكن سنا من شعاعها نلقيه هنا كعلامة على الطريق .

* عدله : ﷺ فقد شهدت به قريش من قبل البعثة فقد ارتضوه حكماً يوم وضع الحجر الأسود فى الكعبة .

وإذا كان الفضل ماشهدت به الأعداء فقد قال النضر بن الحارث لقريش : « قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر ، لا والله ماهو بساحر » .

تقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « ماخير رسول الله ﷺ فى أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه[8] .

* وكرمه : فقد ثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ أجود الناس ،وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ،فَلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[9] .

وفى الآثار الوثيقة : أن رسول الله ﷺ ماسئل عن شىء فقال : « لا »[10] .

يقول أنس ـ رضى الله عنه ـ : كان رسول الله ﷺ « لايدخر شيئاً لغد » .

---

(٧) متفق عليه .

(٨)راجع الشفاء ، للقاضى عياض جـ١ ص ٨٢ ـ طبع مطبعة الحلبى .

(٩) ، (١٠) الشفاء جـ١ ص ٦٥ ورواه مسلم فى كتاب الفضائل .

* العفو عند المقدرة : ومن كرمه النفسى عفوه عند قدرته على أخذ الحق ممن ظلمه وموقفه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم فتح مكة[11] مشهور ، وموقفه من الرجل الذى اخترط عليه السيف وهو نائم وقال : من يمنعك منى ؟

فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الله » فوقع السيف من يد الرجل فعفا عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ[12] .

تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « مارأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منتصراً من مظلمة ظُلِمَهَا قط مالم تكن حرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما ضرب خادماً ولا امرأة[13] .

وجىء إليه برجل فقيل : هذا أراد أن يقتلك ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ لن تراع ، لن تراع ، ولو أردت ذلك لم تسلط علىّ)[14] .

* أمانته على رعيته : جاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأله ، فقال له : (اجلس سيرزقك الله) ، ثم جاء آخر ، ثم آخر ، فقال لهم : (اجلسوا) فجاء رجل بأربع أواق فأعطاها إياه ، وقال يارسول الله : إن هذه صدقة ، فدعا الأول فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثانى فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية ، وبقيت معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوقية واحدة فعرض بها للقوم فما قام أحد ، فلما كان الليل وضعها تحت رأسه فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلى .

فقالت عائشة ـ رضوان الله عليها ـ : يارسول الله هل لك شىء ؟ قال (لا) قالت فجاءك أمر من الله ؟ قال (لا) .

قالت : إنك صنعت منذ الليلة شيئاً لم تكن تفعله فأخرجها وقال : (هذه التى فعلت بى ماترين إنى خشيت أن يحدث أمر من أمر الله ولم أُمْضِهَا)[15] .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر مع أصحابه فأمر أصحابه أن يهيئوا الطعام بإصلاح شاة فقال رجل : يارسول الله علىَّ ذبحها ، وقال آخر : على سلخها ، وقال آخر : على طبخها .. فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وعلىَّ جمع الحطب) .

فقالوا : يارسول الله نكفيك العمل .

فقال) « علمت انكم تكفوننى ، ولكن اكره أن اتميز عليكم ، وإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكره من عبده أن يراه متميزاً على أصحابه » .

وكتب الشمائل زاخرة بخصائصه الشريفة التى تؤكد فى أسلوب علمى الممارسات الحضارية التى انبثقت عن النبوة الخاتمة

(١١) إمتاع الأسماع جـ ص ٣٨٦ .

(١٢) الشفاء ، جـ١ ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٣) الشفا للقاضى عياض .

(١٤) روى بلفظ آخر فى مسلم كتاب الغزوات .

(١٥) راجع ، محمد المثل الكامل ، للمرحوم محمد احمد جاد المولى ص ٢٦ .

والتى يقوم على منوالها مجتمع الأمن والرخاء والاحترام لجميع أفراد المجتمع .

وتحضرنى مقالة عالم بوذى من علماء جنوب شرقى آسيا وهو يصور إعجابه الشديد بشخصية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول : « كان محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - أكمل زعماء العالم قاطبة لأنى أجد فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلالا مختلفة وأخلاقا جمة وخصالا كثيرة لم أرها اجتمعت فى تاريخ العالم لإنسان واحد فى آن واحد .

فقد كان ملكا دانت له أوطانه كلها يصرف الأمر فيها كما يشاء . وهو مع ذلك متواضع فى نفسه ، يرى أنه لا يملك من الأمر شيئاً . وأن الأمر كله بيد ربه . وتراه فى غنى عظيم تأتيه الإبل موفورة بالخزائن إلى عاصمته ، ويبقى مع ذلك محتاجا ، ولا توقد فى بيته نار لطعام الأيام الطوال . وكثيراً مايطوى على الجوع .

وتراه قائداً عظيماً يقود الجند القليل العدد الضعيف العُدَد فيقابل بهم ألوفا من الجند المدجج بالسلاح الكامل ثم يهزمهم شر هزيمة .

ومع ذلك نجده محبا للسلام يؤثر الصلح ، ويوقع شروط الهدنة على القرطاس بقلب مطمئن ، وجأش هادىء ومعه ألوف الصحابة وكل منهم شجاع مقدام باسل ، وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه .

وتشاهده بطلاً شجاعاً يصمد وحده لآلاف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم وهو مع ذلك رقيق القلب رحيم رءوف متعفف عن سفك قطرة دم .

وتراه مشغول الفكر بجزيرة العرب كلها بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته وأولاده ، ولا من أمور فقراء المسلمين ومساكينهم ويهتم بأمر الناس الذين نسوا خالقهم وصدوا عنه فيحرص على إصلاحهم .

وبالجملة إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - إنسان بمعنى الكلمة يهمه أمر العالم كله وهو مع هذا متبتل إلى الله ، منقطع عن الدنيا فهو فى الدنيا وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله ، لم ينتقم من أحد قط لذات نفسه ، وكان يدعو لعدوه بالخير ويريد لهم الخير لكنه لا يعفو عن أعداء الله ولا يتركهم ، ولا يزال ينذر الذين قد صدوا عن سبيل الله .

إنك تراه - صلى الله عليه وسلم - زاهداً فى الدنيا عابداً يقوم الليل لذكر الله ، ومناجاته كما تحكى شمائله أنه الجندى الباسل المقاتل ، وتراه رسولاً حصيفا ونبيا معصوما ، وفى الساعة التى تراه فاتحا للبلاد ظافراً بالأمم يضطجع على حصير من خوص . ويتكىء على وسادة حشوها من الليف الخشن .

وإذا خطر لبال أحد أن يدعوه بسلطان العرب يكون أهل بيته فى فاقه وشدة عقب استقباله الأموال العظيمة الآتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية فيضعها فى فناء المسجد أكواما ويوزعها على أهل الحاجة ، وتأتيه بنته وفلذة كبده فاطمة تشكو إليه ما تكابده من حمل القربة والطحن بالرحى والرسول - صلى الله عليه وسلم - يومئذ يقسم بين المسلمين ما أفاء الله عليه من عبيد وإماء فلا تنال ابنته من ذلك إلا الدعاء لها بكلمات يعلمها إياها كيف تدعو بها ربها » .

وجاء عمر ذات يوم إلى حجرة النبى - صلى الله عليه وسلم - فأجال بصره فيها فلم يجد إلا حصيراً من خوص ، وكل ما كان فى البيت صاع من شعير فى وعاء ، وعلى مقربة منه شنٌّ معلق على وتد .. هذا كل ماكان يملكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يتمالك عمر من البكاء .

فقال له الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « مايبكيك ياعمر ؟ » .

فقال عمر : ومالى لا أبكى : إن قيصر وكسرى يتمتعان بالدنيا وينعمان بنعيمها ، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يملك إلا ما أرى ؟ !!

فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - : « أما ترضى ياعمر أن يكون ذلك نصيب كسرى وقيصر من نعيم الدنيا وتكون لنا الآخرة خالصة من دون الناس »[١٦] ؟ .

ومما لا ريب فيه أنه لا يستحق إنسان أن يكون قدوة للعالم فى جميع مناهج الحياة إلا إذا اجتمعت فيه مثل هذه الخلال الشريفة كلها والخصال الإنسانية الكاملة بأجمعها مما يحتاج إليه الناس كافة فى معايشهم فتكون لهم فى سيرته أمثلة كثيرة ، وفى هديه أمور متنوعة ، تستنير بها كل طوائف الإنسانية وكل فرقة من أمة البشر فيتخذونه فى أنفسهم سننا وأدبا ومناهج من حياته الشريفة لحياتهم الاجتماعية والعائلية .

وبذلك يكون الشخص العظيم المقتدى به هاديا للناس بأعماله وأخلاقه وخصاله[١٧] .

تلك شهادة رجل شرقى من بلاد الهند وهو على ملة نضعها فى مواجهة تهافت الفكر الأوروبى الذى يتعرض لأمور بيته - عليه الصلاة والسلام - فيطعن أو يسب ، وهو يدعى زوراً الحيدة العلمية فى البحث ليصدقه من احب أن يستخف عقله باسم الاستشراق أو العلمانية .

فهل يستطيع أحد من زعماء العصر الحديث أن يقيم من نفسه فى المجال الحضارى قدوة أى قدوة لشعبه مثلما كان محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - للعالمين قدوة حسنة ؟ .

إن آخر جملة تتحدى بها الحضارة الإسلامية جميع نظم الحضارات أن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - قال فى أخريات حياته : (من كنت قد جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه)[١٨] . فلم يجد واحداً من جموع الأمة يقول له - صلى الله عليه وسلم - لى عندك قود على رغم طول الممارسات السياسية والعسكرية والاجتماعية .

وهذا هو مفهوم رجل الدولة الحضارى . وهو الأمر الصعب الذى لا يستطيع الحصول عليه رجل دولة فى القديم أو فى الحديث .

فالعبرة فى نظم الحكم إذن ليست هى الثيوقراطية أو الديمقراطية أو الديكتاتورية بل هى لغة الحضارة الجادة . ورجلها صاحب الشمائل الرفيعة الذى يصلح أن يكون قدوة حسنة لجميع الناس .

(١٦) صحيح البخارى .
(١٧) بتصرف عن « الرسالة المحمدية » للسيد سليمان الندوى ص ٨٧ - ٨٩ .
(١٨) ابن كثير - البداية والنهاية ٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

طلع البدر علينا

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى *

يطيب للمسلمين أن يرددوا بألسنتهم وقلوبهم فى كل مناسبة تتعلق برسولهم الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء أكانت فى مولده أو بعثته أو هجرته هذه العبارة المأثورة من نشيد مشهور، صاغته العاطفة الصادقة، وأملاه الإيمان العميق، والحب الشديد للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك النشيد هو :

طلع البدر علينا ...

والبدر هو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أنار بولادته وبعثته وهجرته وتعاليمه الكائنات وبدد الظلمات وأسعد المخلوقات .

وأهل البلاغة يقولون : إن هذا التعبير من قبيل الاستعارة التصريحية التى أقيم فيها المشبه به مقام المشبه ، فالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشبه البدر فى الإشراق والوضاءة والجمال والعلو والرفعة ، والتعبير بالاستعارة أبلغ من التعبير الحقيقى لأنه يؤكد المعنى ويقرره فى الذهن ويثير العاطفة والشعور والإحساس .

وليس هذا التشبيه بكثير على من اختاره الله واصطفاه ونقاه من العيوب وكساه من حلل الكمال ماكساه حتى قال فيه شاعر الإسلام :

خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء
فأجمل منك لم تر قط عينى
وأحسن منك لم تلد النساء ..

الشعراء فى ذلك عالة على القرآن :

والشعراء والأدباء جميعهم فى مدحهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصفه عالة

←

(*) الكاتب بوزارة التربية والتعليم .

طلع البدر علينا

على القرآن الكريم ، فليس بعد مدح الله لنبيه مدح ، وليس بعد وصفه إياه وصف ، والله ـ جل وعلا ـ وصفه بحسن الخلق فقال فى حقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤) .

ودعا إلى التأسى به ـ وناهيك بما فى ذلك من امتداح ضمني ـ فقال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب ٢١) وكفى بذلك شرفا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولم يكتف القرآن بهذا بل وصفه بما استعاره الشعراء منه مما يدل على البهاء والجمال والإشراق . قال عنه إنه نور ، وقال عنه إنه سراج منير ..

فقد قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة ١٥ ، ١٦) .

قال بعض المفسرين : إن النور هنا هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

جاء فى تفسير القرطبى : نور أى ضياء . قيل : هو الإسلام . وقيل : محمد عليه الصلاة والسلام ،عن الزجاج .

وقد جاء هذا الوصف صريحا فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ (الأحزاب ٤٥ ، ٤٦) .

قال القرطبى : سراجا منيرا هنا استعارة للنور الذى يتضمنه شرعه ، وقيل : سراجا أى هاديا من ظلم الضلالة ، وأنت كالمصباح المضىء . ووصفه بالإنارة لأن من السرج مالا يضىء إذا قل سليطه ـ زيته ـ ودقت فتيلته .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : جلا الله به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون ، كما يُجْلَى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به ، أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار .

وأورد ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية من سورة الأحزاب ما أورده الإمام أحمد فى مسنده عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرنى عن صفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التوراة ، قال : أجل والله ، إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن « ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .. وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » مسند الإمام أحمد ٣/ ١٧٤ .

وفسر ابن كثير السراج المنير بقوله : أى أمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس فى إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند .

العلاقة بين الحس والمعنى :

وغنى عن البيان أن المشبه لا يعنى انه هو المشبه به بعينه ، فليس من المعقول أن يكون الشجاع هو الأسد ذاته ، كما لا ينبغى أن يكون الهادى هو المصباح نفسه بما فيه من

زيت وفتيل . وقد فهم المفسرون ذلك . ولكنهم ربطوا بين الصورة الحسية والمعنوية ، وأرادوا بذلك أن المظهر ينبىء عن المخبر ، وكمال الصورة الظاهرة يعنى جمال الصورة الباطنة فى أكثر الأحوال بين عامة البشر ، ولكنه أمر حتمى بالنسبة للأنبياء والرسل ، ولم يبعث الله رسولاً إلا وهو مرآة لقومه ، ومثل كامل لهم فى الصفات الجسمية والخلقية ، حتى يأنس إليه الناس ، وتستريح إليه الأفئدة وتقبل على كلامه ، فقد جبلت النفوس على الميل إلى الجمال والنفور من القبح .

وقد نجى الله الأنبياء من الأمراض المنفرة - على كثرة مايتعرضون له من بلاء - حتى لا ينفر منهم الناس ...

فليس غريباً أن يصف الواصفون النبى - صلى الله عليه وسلم - بالنور قياساً على القرآن الكريم ، وقد سبق إلى ذلك كعب بن زهير فى قصيدته المشهورة « بانت سعاد » حيث قال :

إن النبى لنـور يستضاء بـه
مهند من سيوف الله مسلول

وواضح من تشبيهه بالنور أنه بلغ الغاية فى الجمال والكمال الحسى والمعنوى .

وقد ذكر القاضى عياض فى كتابه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » مايشير إلى ذلك بقوله « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - أعلى الناس قدراً وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا .. إنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة وجدته - صلى الله عليه وسلم - حائزا لجميعها محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك ، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .. »

وشبيه بذلك ماذكره صاحب الشمائل المحمدية ..

وقال القاضى عياض : أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه فى حسنها ، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أحاديث على وأنس بن مالك وأبى هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين ، وابن أبى هالة وأبى جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس . وغيرهم :

وليس فى ذلك مبالغة ، ولكنه بعض ما يستحقه هذا النبى الكريم الذى جمع الله له فضائل الأنبياء جميعا الحسية والمعنوية ..

أمثلة من هذه الأخبار :

- جاء فى أسد الغابة لابن الأثير :

سأل معاوية أحد المعمرين واسمه « أمد ابن أبد » وكان يقيم بحضرموت ، وقد أتت عليه ثلاثمائة سنة ، استدعاه فقال له : هل رأيت محمداً ؟ فقال أمد : ومن محمد ؟ قال : رسول الله . قال : سبحان الله ، ألا عظمته مما عظمه الله سبحانه ؟ ألا قلت : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ نعم . قال : صفه لى . قال : رأيته بأبى وأمى فما رأيت قبله ولا بعده مثله - أسد الغابة ١/١٣٦ .

- وروى أبو عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للرُّبَيِّع بنت معوذ : صفى لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يابنى ، لو رأيته لرأيت الشمس طالعة .

أسد الغابة ١/١٠٨ .

- وروى معرض بن معيقيب قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأن وجهه

← طلعَ البدر علينا

دارة القمر ، ورأيت منه عجبا ـ أسد الغابة ٥/ ٢٢٩ .

ـــ وأخرج الدارمى والبيهقى عن جابر بن سمرة قال : رأيت النبى فى ليلة أضحيان - أى مقمرة مسفرة - فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو كان أحسن فى عينى من القمر .

ـــ وأخرج الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة قال : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأن الشمس تجرى فى وجهه .. - الرسول لسعيد حوى جـ١ ص ١٩ - .

ولقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يدرك ما أعطاه الله من نعمة وأسبغ عليه من فضل :

عن أنس قال : وفد وفدٌ من اليمن وفيهم رجل يقال له ذؤالة بن عوقلة اليمانى فوقف بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : يارسول الله ، من أحسن الناس خُلقاً وخَلقا طرا ؟ قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : أنا ياذؤالة ولا فخر - أسد الغابة ٢/ ١٨١ .

إن كل أوصاف الجمال الخِلقى والخُلقى جمعت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكأن الله أراد أن يجمع لخاتم الأنبياء والمرسلين كل مزاياهم وسوابق فضلهم ..

وليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

وصفه كعب بن مالك حين نزلت آيات التوبة فقال : فانطلقت إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - فإذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمون وهو يستدير استدارة القمر - أسد الغابة ٤/ ٤٨٩ .

وقالت مارية خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما مسست بيدى شيئاً قط ألين من كف رسول الله - صلى الله عليه سلم - أسد الغابة جـ٧ ص ٢٦٢ .

ـــ وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : مسح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خدى فوجدت ليده برداً وريحاناً كأنما أخرجها من جَوْنَة[1] عطار - الرسول لسعيد حوى جـ١ ص ١٩ - .

وإن ريحه الطيبة تنتقل إلى غيره وتلازم من يمسه . حدثت أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد قالت :كنا عند عتبة ثلاث نسوة ، وإن كل واحدة منهن تريد أن تكون أطيب ريحاً من صاحبتها ، وكان عتبة أطيب ريحاً منا ، وكان إذا خرج عرف بريح طيبة فسألته عن ذلك فقال : أخذه الشرى - طَفْحٌ جلدى ذو بثور - على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشكا ذلك إليه ، فأمر به فقعد بين يديه ثم تفل النبى - صلى الله عليه وسلم - فى يده ومسح بها ظهره وبطنه - أسد الغابة جـ٣ ص ٥٦٨ .

(١) سلة .

وجاء فى الشفا : ذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر : لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمر فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه .

وصف أم معبد له :

ولقد نزهه الله عن كل وصف يشين الرجل فى منظره أو يعيبه فى خلقته ، ولقد أوردت كتب الأخبار والأحاديث أوصاف الواصفين له التى أجمعت على تحليه بكل كمال ، ومن ذلك وصف أم معبد له ، وقد ذكره ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة فى ترجمة حبيش بن خالد جـ١ ص ٤٥١ . قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجله ، ولم تُزْر به صعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، وفى عنقه سطع ، وفى لحيته كثافة ، أزج ، أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا بائن من طول ، ولا تزدريه عين من قصر ، غصن بين غصنين وهو أنضر الثلاثة منظرا(٢) .

وأخرج مسلم عن أبى الطفيل أنه قيل له : صف لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كان أبيض مليح الوجه ..

لقد جمع الله لنبيه الحسن من أقطاره ، وزادته أخلاقه الكريمة حسنا على حسن واضافت له فوق كماله كمالا . إنه خيرة الله من خلقه ، فينبغى لهذه الخيرة أن تكون فوق جميع البشر جمالاً وبهاء وصفاء ونقاء ...

وإذا كان الله قد نقاه فى حسبه ونسبه وزينه فى كماله وأدبه فليس عجيبا أن يسوى خلقته على أبدع مثال وأن تكون له آية الحسن والجمال ، وما أصدق قول أبى طالب عمه فى مدحه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقول ابن رواحة فيه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة
لكان منظره ينبيك بالخبر

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

---

(٢) أبلج : البلج إشراق الوجه وإسفاره ـ الثجلة : ضخم البطن ـ الصعلة : صغر الرأس .
الدعج : سواد العين فى شدة بياضها ـ الوطف : طول شعر الأجفان ـ الصحل : بحة فى الصوت .
السطع : ارتفاع العنق وطوله ـ الزجج فى الحواجب : تقوس وامتداد مع طول أطرافها .

الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم

فى القرآن والسنة

ذكر سهل بن عبد الله التسترى : « أن موسى عليه السلام قال : يارب أرنى بعض درجات محمد وأمته . قال الله : ياموسى إنك لن تطيق ذلك ولكنى أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقى . قال : فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت أن تتلف نفسه من نورها قال موسى عليه السلام : يارب بماذا بلغت به هذه الكرامة ؟ قال : بخلق اختصصته به من بينهم الا وهو الإيثار ياموسى ، لا يأتينى أحد منهم عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتى حيث شاء » ، وإن الصلاة على رسول الله واجب نؤديه لنشكره لأننا اهتدينا بنور الإيمان على يديه يقول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ « الشورى ٥٢ » .

ندعو الله فيها لنصلى على رسول الله ﷺ ، وقد جاءنا بالإسلام ، وبالصلاة على رسول الله ﷺ لتصبح شخصية رسول الله ﷺ ماثلة فى قلوبنا حية بنورها .

الصلاة على النبى ﷺ والقرآن الكريم

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ « الاحزاب ٥٦ » ، قد اتفق العلماء من السلف والخلف فى المذاهب الأربعة كلها على وجوب الصلاة على النبى ﷺ بناء على نص هذه الآية التى تتضمن الأمر بها فقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين فى هذه الآية بأن يصلوا ويسلموا على النبى ﷺ بعد أن ذكر أن الله وملائكته يصلون عليه ، والأمر للوجوب مع ما فى سياق الآية من الحث على المأمور به .

قال الخازن فى تفسير هذه الآية : اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبى ﷺ ، ثم اختلفوا ، فقيل :

للأستاذ زكريا أحمد محمد نور

تجب فى العمر مرة وهو قول الأكثر .

وقيل : تجب فى كل صلاة فى التشهد الأخير وهو مذهب الإمام الشافعى ، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد .

وقيل : تجب كلما ذكر . واختاره الإمام الطحاوى من الحنفية ، والحليمى من الشافعية .

والواجب (اللهم صلِ على « محمد » وما زاد على ذلك فهو سنة) ، وجاء فى تفسير أبو السعود :

الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه .

وقيل يجب ذلك كلما جرى اسمه لقوله ﷺ « رَغِمَ أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علىّ » .

ثم قال أبو السعود فى تفسيره :

والذى يقتضى الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه ﷺ ان يصلى عليه كلما جرى اسمه الرفيع .

ويفهم من كلام أبى السعود فيما رواه عن غيره أن الغرض من الصلاة عليه ﷺ هو الاعتناء والاهتمام بإظهار شرفه وتعظيم شأنه .

هذا ولعل السر فى الترغيم المذكور فى الحديث على من لم يصلِ عليه عند ذكر اسمه ﷺ أن فى عدم صلاته عليه دليلا على ضعف الإيمان وقلة الاهتمام بشأن رسول الله ﷺ بدليل قوله « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين » .

الصلاة على النبى ﷺ أفضل العبادات

وصلاة الله على النبى ﷺ ثناء ورفع درجات ، أما الصلاة من الملائكة فهى دعاء الله وتقرب من رسول الله واتصال به ، ثم أمرنا بعد ذلك أن نصلى على رسول الله ﷺ فنطلب من الله أن يزيد الصلاة عليه وهو دعاء الرب وذكر له واتصال برسوله وكفى بصلاة الله على رسوله فضلاً عظيماً .

يقول ابن كثير فى تفسيره : إن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده عنده فى الملأ الأعلى ، ثم أمر الله تعالى الملائكة أن تصلى عليه ، ثم أمر الله تعالى العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعاً ويقول الله تعالى :

←

* الكاتب : واعظ الأزهر بأسيوط .

الصلاة على النبى ﷺ

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ « الأحزاب ٤١ _ ٤٣ » .

●■ ولقد قال النبى ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف[1] وتلك سنة الله التى فطر الناس عليها ، إن الله يتولى من أحبه بالصلاة عليه وملائكته فما بالك برسول الله وقد أحبه الله والله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً أرسل جبريل إلى أهل السماء فيقول : ياأهل السماء إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم ينادى ياأهل الأرض إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء وأهل الأرض ويكتب الله له القبول فى الأرض وفى السماء .

ولقد أكرم الله رسوله وأحبه وأثنى عليه بالصلاة عليه ، ولقد جعل الملائكة يصلون عليه ثم منَّ عليه بصفات خاصة كما منَّ على النبيين من قبله ثم اختصه بصفات كمالية سامية وأطلق عليه ﷺ صفتين عظيمتين من صفاته وهما : رءوف رحيم .

ولقد قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ « التوبة ١٢٨ » .

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلون على رسول الله ﷺ وهم يعلمون : أن من أفضل العبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ والقربى إليه طلب صلاتهِ ـ سبحانه ـ على رسوله ـ ﷺ بقولنا « اللهم صلِ على محمد » وغيرها من الصيغ الواردة عنه ـ ﷺ .

وفى الكتاب العزيز حث على هذه الصلاة لما فيها من اتباع لله ـ سبحانه ـ وملائكته ـ عليهم السلام ـ إذ يقول ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب ـ ٥٦) .

إن ـ فى صلاتنا على رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تَخَلُّقاً بأخلاق المولى ـ عز وجل وتَشَبُّهاً بالملائكة ، ثم هى طهارة لنا وتقرب إلى الله ـ تعالى ـ ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام .

الصلاة على النبى ﷺ فى السنة النبوية الشريفة

القرآن الكريم هو الأصل الأول فى الدين الداعى إلى السنة ، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين وهى المبينة للقرآن والمفصلة لإجماله والمستقلة بالتشريع ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » .

لقد صدقت يارسول الله فهانذا اعرض بعض الأحاديث الصحيحة فى فضل

(١) رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان .

الصلاة والسلام عليك بعد ذكر ما وفقنى الله لذكره فى مفهوم الصلاة عليك فى قرآنه .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ :« من صلى علىَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً » ونأخذ من هذا الحديث فضل الصلاة على النبى ﷺ لأنه يدل دلالة واضحة على أن صلاة واحدة من أى فرد من أفراد الأمة ذكراً كان أم أنثى على النبى ﷺ تجلب إليه عشر صلوات من الله عز وجل ، ومن المعلوم أن الصلاة من الله سبحانه وتعالى معناها الرحمة ، وأن الرحمة الواحدة من الله عز وجل تكفى لسعادة المؤمن ونيله الدرجات الرفيعة عند الله عز وجل . فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء . ونستضيف فى مقالنا هذا الإمام النسائى وصحيحه ليروى لنا عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى علىَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات » .

ويلفت النظر فى هذا الحديث كبير فضل الله تعالى على من يصلى على النبى ﷺ وروى الإمام الترمزى فى صحيحه عن أبى طلحة رضى الله عنه أنه قال : إن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر فى وجهه فقلت : إنا نرى البشر فى وجهك يارسول الله . فقال : أتانى الملك ، فقال يامحمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا .

وروى هذا الحديث النسائى والدارمى أيضاً بلفظ « جبريل » بدل « الملك » ، وهذا الحديث يدل على عظمة شأن رسول الله ﷺ عند الله عز وجل مع فضل من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم من أمته أو سلم عليه .

وروى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال : خرج رسول الله ﷺ حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خشيت أن يكون الله تعالى قد توفاه فجئت انظر فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال : مالك . فذكرت له ذلك يعنى خشيته من إطالة السجود فقال : إن جبريل قال لى : ألا أبشرك ، إن الله عز وجل يقول لك : « من صل عليك صلاة صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » .

ومن هذا الحديث استنبط استحباب السجود لله عز وجل عند شعور فضله أو إحساس كرمه فى أى شأن من الشئون . فقد أوضح رسول الله ﷺ فيما أجاب به لعبد الرحمن بن عوف أن سجوده وإطالته إلى هذا الحد فى خلوة مع ربه سبحانه كان شكرا له على هذا الفضل العظيم فى تعظيم شأنه وتشريف أمته ، ونعود إلى النسائى والدارمى ليحدثونا عن عبد الله ابن مسعود فقيه الصحابة رضى الله عنه وعنهم أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام » .

وفى سنن أبى داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام » . فمن

الصلاة على النبى ﷺ

هذين الحديثين نرى عناية الله سبحانه وتعالى بنبيه ورسوله محمد ﷺ كما نعلم أيضاً فضل السلام عليه ، وتشريف من يسلم عليه من أمته بشرف رد السلام من عنده ﷺ .

وفى شعب الإيمان يروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى علىَّ عند قبرى سمعته ومن صلى علىَّ نائياً - أى بعيداً أبلغته » فيرشدنا هذا الحديث أن كون رسول الله ﷺ فى قبره لا يمنعه عن سماع الصلاة لما له من حياة لا يعلم حقيقتها إلا الله العلى الخبير ، كما يرشدنا الحديث إلى أن المسافات البعيدة مهما كان بعدها لا تحول دون إبلاغ الصلاة والسلام إليه ﷺ وهذا فضل خاص من الله تعالى لنبيه ورسوله وأفضل خلقه محمد ﷺ .

روى الإمام الترمذى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة » فكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لتقريب صاحبها إلى رسول الله وأولويته باللحوق به والفوز بشفاعته يوم القيامة حينما يشفع للمؤمنين من الأمم كلها وحتى لا يبقى فى النار من قال : لا إله إلا الله ومات عليها .

أما سبب أولوية من يكثر الصلاة على النبى بذاته النبوية يوم القيامة والفوز بشفاعته فلا يخفى على المتأمل وهذا وعد الله لنبيه ، ولقد روى الإمام الترمذى فى صحيحه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة - أى ذنبا وخطيئة - فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » . وهذا الحديث يرشدنا إلى وجوب ذكر الله عز وجل والصلاة على النبى ﷺ فى كل مجلس من مجالس المؤمنين مرة واحدة على الأقل بدليل قوله ﷺ « إلا كان عليهم ترة » فعلى المؤمنين بالله ورسوله أن لا يغفلوا فى المجالس عن ذكر الله والصلاة على نبيه ، فإن الغفلة آفة القلوب وباعثة على ارتكاب الذنوب والابتعاد عن علام الغيوب .

زكريا احمد محمد نور

الدِّينُ رُوحُ الإنسَانْ

للأستاذ محمد صابر البرديسي

> عن العباس عن النبي - ﷺ - أنه قال : (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالإِسلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا) . « رواه مسلم » .

أولاً : اللغة :

ذَاقَ : اخْتَبر طَعْمَهُ وَخَبَرَه وَجَرَّبَه .

ثانياً : ما يشتمل عليه الحديث :

١ - أفلح من آمن بالله .

٢ - إذا ساء الاعتقاد ساء العمل .

٣ - جزاء من أساء .

٤ - ذاق طعم الإيمان من عرف الله وعمل بتعاليمه .

البيــــان

١ - أفلح من آمن بالله : إن من نعم الله على عباده ، وأعظمها وأجلها قدراً أن هداهم للإيمان ﴿ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾(١)

فمن يهديه الله إلى الإيمان ، يفرح بذكر الله ، ويندفع إلى القيام بفرضه ونفله ، طيبة بذلك نفسه ، منشرحا بها صدره ويتحقق وعد الله له بالفلاح فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) وعد الله الصادق الذى لا يخلف وعده .

الفلاح فى الدنيا والآخرة .

الفلاح الذى يحس المؤمن بحلاوته ، ويجد

←

* الكاتب : مدير مكتب الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية .

(١) سورة الحجرات آية ١٧ .

(٢) سورة « المؤمنون » آية ١ .

مصداقه فى واقع حياته ، وما يدخره الله لعباده المؤمنين فى الآخرة ، من النجاة والثواب والرضوان .

والإيمان ، اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، وأداء للأركان ، فليس الإيمان التسمى باللسان ، والانتساب إليه بالعنوان ، ولكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(٣) .

وعلى المؤمن أن يظهر إيمانه علانية للناس ـ فى غير رياء ـ بحيث يرونه يصلى مع المصلين ويؤدى شعائر الدين ، فالعمل بالشرائع يوحد المسلمين ويؤلف بين قلوبهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويجعلهم أهلاً للنصر على عدوهم . والتردد على المسجد من علامات الإيمان .

هذا هو الإيمان الكامل ، وهو دين الله ، دين الإسلام .

يقدم للبشرية الأساس السليم والصحيح للإيمان عقيدة وعملاً ، إنه يقدم للبشرية المنهج الصحيح لما ينبغى أن يقوم عليه نظام حياتهم كلها .

وجاء الإسلام خاتم الأديان ليؤكد الشرائع السماوية الصحيحة المنزلة قبله وليصدقها ويهيمن عليها .

ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويكل واقعهم إلى شريعة الله ، كما يكل ضمائرهم إلى الله .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾(٤) .

إن الدين الإسلامى منهج كامل صالح للحياة البشرية كلها فى كل زمان ومكان ، وهو دين يسر وسماحة وطمأنينة واعتدال .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٥)

لقد شاء الله أن يجعل ما حصل عليه الإنسان من خير إنما يكون ثمرة للجهد ونتيجة للعمل ورغبة فى الهدى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ . وشاء الله أن يبلغ المرء من هذا كله بقدر ما يبذل من الجهد ، وما ينفق من الطاقة ، وما يصبر على الابتلاء .

هـذا هو الإيمـان الذى جـاء بـه محمد ـ ﷺ ـ الذى لا يحقق ثمرته إلا الاجتهاد قدر الطاقة ، وبمجاهدة ما فينا من ضعف بشرى ، وهوى فى داخل النفوس .

٢ ـ إذا ساء الاعتقاد ساء العمل :

إن النـواحى الروحـانية والأخـلاقية

(٣) سورة الحجرات ١٤ .

(٤) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٥) سورة الحج آية ٧٨ .

والدعائم الإيمانية لها أهمية بالغة بالنسبة لسلامة الإنسان ورفاهيته وهى قوة بناءة وحركة دافعة إلى النمو والازدهار، وتحقيق الذات، فى أسلوب نظيف، فالنواحى الإيمانية الروحانية تزيد من فهمنا للعالم الذى نعيش فيه وتعيننا على تحسين وسائل الإنتاج، وتوزيع الضروريات ووسائل الاستمتاع بالحياة، بالطريقة المثلى وتقلل من الآلام واضطراب الحياة.

إن المشكلة التى نعانى منها اليوم ويعانى منها العالم مشكلة أخلاقية، ولو سار الناس على أسس أخلاقية دينية إيمانية لعرفوا كيف يستخدمون العلم لتحقيق صالح البشرية ورفاهيتهم.

ويمتاز الإسلام بجمعه بين مطلب الروح ومطالب الجسد فى صياغة حكيمة تجلب سعادة الدنيا والآخرة فلا يحرم المسلم نفسه من متعة مادية ولا ملذة جسدية، مادام يتناولها عن طريقها المشروع ويحسن كما أحسن الله إليه.

قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٦).

وعلى المؤمن أن يعتقد أن الله سخر له ما فى الكون يستخدمه فيما يعود عليه بالخير وعلى الإنسانية بالسعادة والرفاهية .. قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٧) ..

أما من أساء الاعتقاد فى الله واتخذ إلهه هواه، وضل سعيه فى الحياة، فقد ساء عمله وإذا ساء العمل ساءت النتيجة، لأن الاعتقاد الباطل، آثام وأغلال وتسقط النفس وترتد بها إلى أسفل سافلين.

٣- جزاء من أساء الاعتقاد:

وكل من أساء الاعتقاد وضل طريق الصواب كان فى أسوأ حال، وأشد اضطراب، ولا يغرنك ما تراه عليهم من مظاهر الترف والنعيم، فهم فى داخلهم فى جحيم، غير ما ينتظرهم فى الآخرة من عذاب اليم ..

هو الإسلام ما للناس عنه
إذا ابتغوا السلامة من غناء
إذا انصرفت شعوب الأرض عنه
فبشر كل شعب بالشقاء

وقد توعد الله سبحانه وتعالى كل من أساء اعتقاده، وأعرض عن دينه، وترك طاعة ربه بأن لا يجعل له حظاً سعيداً فى الدنيا، فلا تقر عينه ولا يطمئن قلبه بل هو دائماً فى خوف وفزع، وهؤلاء هم حزب الشيطان وأصدقاء الرذيلة وهم الخطر الأكبر على النفوس الطيبة يجذبونها بوسائلهم الخبيثة وحبائلهم الماكرة.

علينا أن نبتعد عن هؤلاء، وأن نعيش دائماً مع قيمنا ومثلنا وإيماننا بالله، فلا تكون سعادتنا فى مال نكتنزه، أو فى سلطان يصل

←

(٦) سورة المائدة ٨٧ ـ ٨٨ .

(٧) سورة الجاثية ١٣ .

الدين روح الإنسان

إلى أيدينا ، إنما سعادتنا فى صلاة خاشعة نستودعها أرواحنا وقلوبنا ، وصلة قوية بالله تهوِّن علينا كل متاعب الحياة ، واشراقة روح تكون لنا فى لحظات اليأس طوق النجاة ، وتلك هى السعادة فى ذروتها .

٤ - ذاق طعم الإيمان من عرف الله :

إن أساطين المسلمين الفاتحين المنتصرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن كتب الله لهم العزة والتمكين لم يتح لهم هذا الفتح ولم يحقق لهم هذا النصر إلا بتمسكهم بهذا الدين وعملهم بتعاليمه وجعلهم الكتاب والسنة لهم بمثابة الإمام ، فقادهم إلى الأمن والإيمان ، والسعادة والاطمئنان ، وعاشوا فى ظله فى عافية واسعة ونعمة باسقة .. وفى عصورهم ارتقت حضارة الإسلام رقيا لا يتماثل ولا يُضَاهى ولا يُنَال فأوجدوا حضارة نضرة جمعت بين الدين والدنيا وكانوا ممن قال الله فيهم : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(٨) .

والحياة الدنيا قد اتسعت الآن فى حس الناس وواقعهم اتسعت رقعتها بما استحدثوه من وسائل الحياة والمتاع .

ولو قام هذا كله على أساس من المعرفة بالله ، وعلى أساس من الحقيقة العميقة ، حقيقة أن الله هو الذى استخلف الإنسان فى الأرض ، وسخر له ما فيها ، وزوده بالمواهب والاستعدادات التى تعينه على الخلافة ويسر له طيبات الحياة كلها ، وأنه مبتلى فى هذا كله ، ليحاسب فى الآخرة على ما قدم فى حياته الدنيا ، ولو قام عمله على هذا الأساس الصحيح لازداد الناس إيماناً وازداد قربهم من الله ، ومنهجه القويم ، الممثل فى الإسلام ، والله الهادى إلى سواء السبيل وهو الموفق .

محمد صابر البرديسى

(٨) سورة الحج ٤٠ ـ ٤١ .

عهد الحديبية
وآثاره الاستراتيجية

للـواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

﴿ إنَّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً . لِيَغفرَ لكَ اللهُ ماتقدّمَ مِن ذنبِكَ وما تأخَّرَ ويُتمّ نعمتهُ عليْكَ ويَهديكَ صِراطاً مُّستقيماً . ويَنصُرَكَ اللهُ نَصراً عَزيزاً ﴾

صدق الله العظيم

شوق المسلمين إلى مكة :

● كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة بعد الهجرة يصلى إلى بيت المقدس ، وكان يتطلع إلى نزول الوحى عليه بالتوجه إلى بيت الله الحرام ، فنزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة ١٤٤) وكان ذلك فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

● وكان المسلمون منذ هجرتهم إلى المدينة يحنون لرؤية وطنهم الذى أخرجوا منه بغير حق ويتشوقون لزيارة المسجد الحرام الذى تمتلىء نفوسهم بتقديسه وتعظيمه ، لكن قريشاً آلت على نفسها أن تصدهم عنه دون سائر العرب ، وكان ذلك منها تعسفا وظلما ، فالبيت العتيق لم يكن ملكا لها ، ولكنه كان ملكاً للعرب جميعاً ، وإنما كانت فى قريش سدانة (خدمة) الكعبة وسقاية الحاج وما إلى ذلك من العناية بالبيت ورعاية زائريه .

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَالَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

(الأنفال ٣٤) .

←

عهد الحديبية

الخروج لزيارة البيت :

● وفى ذى القعدة عام ٦هـ خرج الرسول صلى الله عليه وسلم معتمرا لا يريد حربا ودعا العرب من غير المسلمين إلى الاشتراك معه وقد بلغ عدد المسلمين ألفا وأربع مائة ، قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : « كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة » (رواه البخارى) وساق المسلمون الهدى أمامهم ولم يحملوا من السلاح إلا السيوف فى أغمادها .

● لكن قريشا لما بلغها نبأ خروج المسلمين دفعت خالد بن الوليد على رأس قوة بلغ عدد فرسانها مائتين عسكرت بذى طوى ، وهو موضع قريب من مكة لمنع المسلمين من دخولها .

الرسول يتجنب الاصطدام :

● لكن الرسول صلى الله عليه وسلم علم بخروج قوة خالد - وكان قد وصل إلى عسفان - فغير طريقه واتخذ طريقا وعرا غير مطروق لكى يتجنب الاصطدام بها حتى وصل إلى (ثنية المُرَار) عند بئر الحديبية .

تبادل الرسل بين الطرفين :

وقد جرى تبادل الرسل بين الطرفين على النحو التالى :

● رسل قريش :

١ - كان أول من بعثته بديل بن ورقاء الخزاعى فى رجال من خزاعة فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته .

٢ - ثم بعثت مكرز بن حفص بن الأخيف فسمع ماقيل لسابقه .

٣ - ثم بعثت الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإطلاق الهدى حتى يراه فتأثر الحليس بما رأى ولم يصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اقتناعا منه بأنه جاء معتمراً ، بل عاد ليخبر قريشا بذلك ، فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك ، فغضب وقال : والله ماعلى هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله معظماً له ؟ والذى نفس الحلبس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ماجاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، فقالوا له : مه ، كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا مانرضى به .

٤ - ثم بعثت عروة بن مسعود الثقفى فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يأت يريد حربا ، وخلال وجود عروة فى معسكر المسلمين رأى بنفسه من آيات حب المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجعله يقول لقريش : إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله مارأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشىء أبداً .

● رسل النبى ﷺ الى قريش :

١ ـ بعث النبى صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى إلى قريش وحمله على بعير له ، لكن قريشا عقرت البعير ، وأرادت قتل خراش لولا أن منعته الأحابيش ، فخلوا سبيله .

٢ ـ ثم بعث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فبلغهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ماكنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال : « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا إلى البيعة .

بيعة الرضوان :

عن يزيد بن أبى عبيد قال : « قلت لسلمة بن الأكوع : على أى شىء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت » (رواه البخارى) .

وإنهم لكذلك إذ ترامى إلى المسلمين أن عثمان لم يقتل ، ثم جاء عثمان بنفسه إليهم فأبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم تبق عند قريش ريبة فى أنه وأصحابه إنما جاءوا لزيارة البيت وتعظيمه .

المفاوضات المباشرة وتوقيع الصلح :

● ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له : « ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فو الله لا تَحدَّث العرب عنا أنه دخلها علينا عَنْوةً أبداً » .

● وقد أثارت شروط الصلح وماجرى عند كتابتها غضب المسلمين وغيظهم حتى لقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله ، ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال الرسول : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى .

● ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه لكتابة العهد وقال له : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أمسك ، لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : **اكتب « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردَّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن**

← عهد الحديبية

يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وانك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وانه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك فاقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السيوف فى القُرُب ، لا تدخلهابغيرها » .

● فلما فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم قَدِمَ إلى هَدْيه فنحره ثم جلس فحلق رأسه وتبعه فى ذلك المسلمون ثم عاد وعادوا إلى المدينة .

الدروس المستفادة والآثار « الاستراتيجية »

أولا : مبدأ المحافظة على الهدف :

لقد كان هدف الرسول - صلى الله عليه وسلم - زيارة البيت ، ولم يكن يريد قتالا ، وقد ظهر من سير الحوادث كيف حافظ على هدفه ولم يسمح لأعمال المشركين أن تخرجه عنه :

● خرج محرماً فى شهر حرام والسيوف فى أغمادها .

● أشرك معه العربَ غير المسلمين ليبين لقريش أنه يريد أداء فريضة فرضها الإسلام كما كانت فرضاً موروثاً معروفاً منذ عهد إبراهيم - عليه السلام - .

● تجنب الاصطدام بقوة خالد .

● ولما أغارت قوة أخرى على معسكره وأسرهم المسلمون أطلق سراحهم .

● وعبر عن مقاصده أكثر من مرة من خلال الرسل المتبادلة بين الطرفين .

ثانيا : الحديبية فتح مبين :

● فى طريق عودة المسلمين إلى المدينة نزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة الفتح : « فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها ، فقال : يارسول الله ، أو فتح هو ؟ قال : نعم » (رواه الشيخان) .

● وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية » (رواه البخارى) .

● وقد حظى أهل الحديبية بأعظم تكريم فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : أنتم خير أهل الأرض ، وكنا ألفا وأربعمائة » (رواه البخارى) .

● والحق أن الأيام أثبتت أن (عهد الحديبية) حكمة سياسية وعسكرية كان لها أكبر الأثر فى مستقبل الإسلام ، وفى مستقبل العرب كله ، وهو مايتضح من دراسة آثارها الاستراتيجية .

يتبع

البحث عن الديانات القديمة

٣

د. عبد الجليل شلبى

مازالت الحفريات والكشوف الأثرية تجلو من غوامض الديانات القديمة معالم ذات اهمية كبيرة ، ويلفت النظر وجود تشابه بين الديانات والطقوس حتى بين الأقطار المتباعدة ، وعنى الباحثون بوجود التشابه والربط بين ديانات الشرق القديم والأصول التى جاءت فى الكتاب المقدس .

وقد تحدثت عن قصة الطوفان ورأى علماء « الانثروبولچى »[1] فيها ، ولا يزال فيها متسع واتحدث اليوم عن عقوبة القصاص ، ـ النفس بالنفس والعين بالعين ... إلخ ـ والمشكلة فى هذه العقوبة انها ممتدة فى أعماق التاريخ القديم . ولا يعرف إلى الآن متى بدات :

ففى سفر التثنية من الكتاب المقدس تفاصيل واسعة عن هذه العقوبة ، بعضها مقبول كقتل الشخص فى مقابلة من قتله ، وبعضها غير مقبول كقتل صاحب الثور النطاح إذا هو أخبر به ولم يَجُذَّ قرونه ولم يكبحه ، وجاء فى القرآن الكريم ﴿ ... كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ... ﴾إلخ ، والقاعدة

←

(*) الكاتب : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأسبق .

(١) علم تعريف طبائع الإنسان وأحوال معيشته وفنونه وأدواته ومستنبطاته . (يونانية) .

← البحث عن الديانات القديمة

الفقهية هى أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ما ينسخه ، وهذا يشمل الشرائع والأعراف ، ولا يعنينا بعد هذا أن نسأل متى بدأ هذا القانون أو العرف ؟ ولا من أين جاء ؟

وبعض الباحثين فى أصول الديانات يرون أن قوانين التوراة نقلت نقلا من قوانين الملك البابلى « حمورابى » ، وشاع هذا الرأى شيوعا يقرب من الإجماع ، وقوته الحفريات التى أجريت فى سقى الرافِدَيْن ، وعارض بعض اللاهوتيين فى هذا معارضة شديدة وَأَدْلَى كل من الفريقين بحجج لست الآن بصدد ذكرها وتأييد بعض الآراء ودحض الآخر .

وقد عاش حمورابى هذا قبل موسى بنحو ستمائة عام ، ـ وجاء ذكره فى سفر التكوين باسم « امرافل » ـ وقد ترك مجموعة من القوانين تتكون من « ٣٦٥٤ » مادة ، وجدت منقوشة على حجر بركانى يبلغ ارتفاعه ثمانية أقدام . ووجد منصوباً فى مقبرة الإله « مردوخ » كبير آلهة البابليين ويبدو أن نصْبه فى المعبد ليكتسب صفة القداسة ورضا الآلهة عنه ، وهذه اللوحة الحجرية توجد لها صورة فى كتب التاريخ ، ويوجد فى أعلاها صورة للملك حمورابى وهو يتسلم هذه القوانين من الإله الشمس ، والذى يسترعى النظر أن هذه القوانين مرتبة ترتيباً دقيقاً يشبه ترتيب قوانيننا الحديثة وأنها مستفيضة شاملة . ولم تبق لوحة القوانين فى موضعها حتى عثر عليها الباحثون ، ولكن حدث أن (العيلاميين) حاصروا بابل بعد عهد حمورابى ونقلوا اللوحة معهم إلى عاصمتهم (سوسة) ، ولكنها كسرت إلى ثلاث قطع ، وبقيت كذلك حتى سنة ١٩٠١ ، حيث كانت حملة أثرية فرنسية بقيادة الأثرى الكبير دى مرجان De Mar-gan تعمل هناك فعثرت على هذا اللوح ـ فضمت بعضه إلى بعض ونقل إلى متحف اللوفر بباريس ، والذين حلوا رموز هذا النقش وأيضاً المشرعون المحدثون يعجبون لهذا التقدم التشريعى ، الذى فصل هذه المواد الشاملة فتحدث عن قوانين الكنسيين . والمحامين والأطباء ورجال الأعمال والتجار والزراع حتى أصحاب الحرف . وهذه القوانين تعكس صورة الحضارة التى عاش فى ظلها البابليون فى الألف الثانى قبل الميلاد ، وطبعـا لم يكن حمورابى مبتكـر هذه التشريعات ، بل هو دون ريب جمعها من قوانين سابقة ، وله فضل هذا التجميع والتنسيق ، فما مدى تأثر العبرانيين بهذه القوانين ؟

عنى العالم اللاهوتى الأمريكى ـ (فرد جلادستون براتون Fred Gladestone Bratton) ـ بعرض عدد من نصوص العقوبات التى فى لوحة حمورابى ، وبما جاء فى سفر الخروج من الكتاب المقدس ، وبين أن الصورة واحدة ، وأنها فى كثير من المواد تنقل الصيغة حرفيا ، وذهب يستدل على هذا النقل بأدلة كثيرة منها : أن القوانين تنشئها الحالة الاجتماعية التى تكون عليها الشعوب ، وأن العبرانيين يوم أن كانوا فى سيناء حين تلقى

موسى ـ عليه السلام ـ وصاياه كانوا فى مرحلة اجتماعية متأخرة لا تناسبها هذه القوانين البعيدة عن حياتهم ومداركهم . وقد دخلوا أرض كنعان بعد أربعين سنة يتيهون فى الأرض فوجدوا لديهم قوانين حضارية ، وقد سبق أن بسط البابليون نفوذهم على أرض كنعان ، فلا يبعد أن يكونوا قد وَرَّثُوا الكنعانيين قوانينهم ونقلها عنهم العبريون ، ثم إن إبراهيم أبا العبريين عاش وعاش معه الذين هاجروا معه فى بابل ، قبل أن ينزحوا إلى أرض الكنعانيين . وأقوى من كل ذلك معيشة العبرانيين فى بابل أيام سبيهم على يد نبوخذ ناصر . ولم تظهر الكتابات العبرية إلا بعد العودة من السبى .

وفى سنة ١٩٥٢ أعلن الدكتور نوح كريمر N.Kramer الأستاذ فى جامعة بنسلفانيا اكتشافه لصيغ قانونية نقشها على الأحجار أيضا الملك السومرى ـ (أور ـ نامو Ur. Nummu) ـ وهذا الملك قد عاش قبل حمورابى ، ولم يكن كشْفُ الأستاذ كريمر عن طريق الحفريات ، ولكنه وجد فى المتحف التركى فى استامبول لوحة مقاسها ٤ × ٨ بوصة ، ووجد معها مجموعة من الألواح الفخارية ، تبلغ أربعة آلاف قطعة ، وكانت كلها مختزنة فى المتحف منذ سنة ١٨٩٠ ، أى منذ مدة تزيد على ستين عاما . ووجد القوانين التى عليها تشترك مع قوانين حمورابى فى موادها ولكنها أقل منها نظاماً وأقل شدة فى عقوبتها ، أو على حد تعبيره (أقل بربرية) واستنتج هو والباحثون الأثريون أنه لابد أن تكون هناك مجموعات قانونية أخرى مطمورة هنا أو هناك ، جمعت منها قوانين (يور ـ نامو) ثم قوانين (حمورابى) ، وفى كل مرحلة تاريخية ينالها حظ من التنقيح والتهذيب حتى انتهت إلى العبرانيين فى صورتها الأخيرة .

ولا يقف أخذ الكتاب المقدس عند قوانين العدالة والتشريعات الاجتماعية ، بل تجد أيضا الأسفار الأدبية قد اعتمدت على أسس من مخلفات البابليين ، ومن هذه الأسس كتابات شعرية لرجل عابد تقى يدعى (تابو ـ يوتول ـ بل Tabu-Utul-Bel) ويرجع تاريخ هذه الكتابة إلى ألفى سنة قبل الميلاد ، وهذا الرجل التقى يشكو ظلم الأقدار ، وإذا وازنا هذه الشكوى وموقف صاحبها نجد أنها قريبة الشبه جداً من قصة أيوب التى جاءت فى العهد القديم .

هذا التقى ـ تابو يوتول ـ بل ـ يضرع إلى الآلهة فى السماء ، ويشكو تسلط الشيطان على مشاعره ، ويصوغ ابتهالاته فى عبارات شعرية جميلة :

أينما وليت وجهى لا أجد إلا الشيطان ـ الشيطان .

أثقاله تتزايد علىّ كل حين ، وقد عمى علىّ طريق الاستقامة .

طالت ضراعتى للإله ولكنه أبدا لم يول وجهه نحوى .

وصليت كثيراً إلى « الآلهة» ولكنها أبدا لم ترفع رأسها تجاهى .

انظر أمامى وخلفى ولكن الأثقال تحيط بى .

من الذى يعرف أفكار الآلهة فى السماء .

←

البحث عن الديانات القديمة

صليت كثيراً وقربت القرابين ولكننى محاط بالمضايقات شأن من لم يصل يوماً ولم يقدم قرباناً(٢) .

وأخيراً يلتفت إليه مردوخ ـ كبير الآلهة ـ ويرسل إليه رسولا يزيل عنه مضايقاته .

وفى سفر أيوب فى العهد القديم نجد صبراً طويلاً وبقاء على عبادة « يهوه » ولكن الكوارث تتوالى عليه ، ونجد أصابع الشيطان وراءها ، فالشيطان يغرى ـ يهوه ـ بضرب أيوب بكارثة ويقول للإله إنه عابد لأنه يتمتع بنعمك ، فإذا سلبت منه نعمة المال فسيكفر ، فيسلبها منه ولكنه لا يكفر ، ويقول الشيطان هذا لأنه يتمتع بالأولاد ، فيميت يهوه أولاده ولكنه لا يكفر ، فيقول الشيطان هذا لأنه متمتع بالصحة ، فيضربه الإله بالأمراض ، ولكنه باق بعد كل ذلك على إيمانه .

وأخيراً يعيد يهوه إليه ماسلب منه .

مع مافى ابتهالات أيوب وضراعاته من عبارات شعرية رائعة تبدو سذاجة خيال الكاتب ، إذ لا ينبغى للإله العليم أن يكون ألعوبة فى يد الشيطان ، ثم ما ذنب أيوب الصالح حتى يلاقى كل هذه الكوارث .

وتبدو فى النصين فكرة ربط الكوارث والمضايقات بالأعمال السيئة ، كما تبدو فكرة استجلاب السعادة الدنيوية بالأعمال الصالحة ، وهى أفكار قديمة متداولة ، **وتبدو فيهما فكرة تجسيم الإله ، وظهوره فى العواصف والرعود** ، وأحداث الطبيعة العنيفة ، فهى مكررة فى النص البابلى وفى سفر أيوب : « أجاب الرب أيوب من العاصفة وقال : من هذا الذى يظلم القضاء بكلام بلا معرفة ... أين كنت حين أسستُ الأرض ... من وضع قياسها .

واعتذر أيوب فقبل الله اعتذاره « وزاد على كل ما كان لأيوب ضعفاً ... وبارك آخره أيوب أكثر من أولاه ... » .

وفى النص البابلى أن الآلهة ـ أو مردوخ ـ أرسل له ساحراً فأصحه من أمراضه ، ومع تشابه النصين فى عدة مواقف يمتاز سفر أيوب بجوانب روحية ومغزى أخلاقى ، ولهذا لا يقول الباحثون : إنه صورة أو نسخة من الأصل البابلى ، ولكن لا يبعد أن يكون مشتقاً منه ومبنيا عليه .

وهناك جانب آخر لم يلتفت إليه الشراح الذين تحت يدى كتاباتهم ، وهو أن ظهور الإله فى ظلة من الغمام ، وفى ثورة الطبيعة ـ وهو معلن فى الديانة البابلية ـ واضح أيضاً فى نصوص التوراة ، فقد تراءى الله لإبراهيم فى عمود من السحاب الكثيف من بين شقى

---

(٢) لا يفوت القارئ أن هذا النص وثنى فليس (تابو ـ يوتول ـ بل) إلا بابلى على دين قومه . والعرض هنا إنما هو للإشارة إلى مابين هذا النص والذى يليه من جزئيات متشابهة .

ذبيحة ليبرم معه عهده ، وكذلك تجلى[٣] لموسى على الجبل فى صورة السحاب والدخان .

واللاهوتيون المحدثون الذين لا يستريحون لفكرة النقل عن الأصول البابلية لا ينفون هذا النقل نهائياً ، ولكن يرجعون إلى العقائد البابلية القديمة التى كانت شائعة حتى من قبل وفود الأجداد العبرانيين على أرض بابل ، وهى تختلف عما جاء فى سفر التكوين عن بداية الخليقة ، وخلق السماء والأرض قبل خلق الإنسان ـ وهى لدى البابليين أقرب إلى ديانة اليونان ، إذ تبدو فيها معارك الآلهة واختلافاتهم حتى ظهر بينهم مردوخ وتولى رياسة الآلهة والتصرف فى الكون ، على نحو ماحدث لآلهة اليونان قبل ظهور (زيوس) .

ومهما يكن من أمر هذه الديانات كلها فهى ليست قليلة الأهمية لدى الباحث الإسلامى ، بل هى حقا ذات جاذبية وتشويق ـ ثم تُرِى ماتمتاز به العقائد والتشريعات الإسلامية من دقة ومنطق .

ويجد الناشئون المعنيّون بدرس مقابلات الأديان مجالاً فسيحاً شائقاً فى مثل الموازنة بين تشريعات القرآن وتشريعات الكتاب المقدس والتلمود .

عبد الجليل شلبى

---

(٣) ... ليس التجلى ـ فى الآية الكريمة ـ معناه : ظهور ذات الله ـ عزوجل ـ للجبل ... حاشا لله تعالى .. من هذا القول وأشباهه .. إنما التجلى هو أثر له ـ سبحانه ـ يبديه فى شىء يختاره ـ عزوجل ـ لتحقيق مراده ، وكان ـ فى هذا المقام ـ قدراً من نور الحُجُب .

وفى الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمثيل لهذا القدر من النور ـ أشار إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأصبعه ، وقد وضع إبهامه على المفصل الأعلى لخنصره ـ صلى الله عليه وسلم . يريد : أنه قدر صغير من هذا النوع من النور الفذ . وهذا الحديث قال عنه الإمام الترمذى : حسن صحيح غريب قال الإمام البغوى ـ فى تفسيره للآية بمعالم التنزيل : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ .

قال ابن عباس : ظهرْ نور ربه للجبل : جبل زبير . ...

وعن سهل الساعدى : إن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قدر الدرهم فجعل الجبل دكا أى مستويا بالأرض ... » والله أعلم .... الخطيب .

التحذير من السفر إلى الغرب
وخطره على العقيدة والأخلاق

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين أما بعد :
فقد أنعم الله على هذه الأمة بنعم كثيرة وخصها بمزايا فريدة وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده شريعة ومنهج حياة وأتم به على عباده النعمة وأكمل لهم به الدين قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

ولكن أعداء الإسلام قد حسدوا المسلمين على هذه النعمة الكبرى فامتلأت قلوبهم حقدا وغيظا وفاضت نفوسهم بالعداوة والبغضاء لهذا الدين وأهله وودوا لو يسلبون المسلمين هذه النعمة أو يخرجونهم منها كما قال تعالى في وصف ماتختلج به نفوسهم ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَاتُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقال عز وجل :

﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

وقال جل وعلا :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ .

والآيات الدالة على عداوة الكفار للمسلمين كثيرة . والمقصود أنهم لا يألون جهدا ولا يتركون سبيلا للوصول إلى أغراضهم وتحقيق أهدافهم في النيل من المسلمين إلا

سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

سلكوه،ولهم فى ذلك أساليب عديدة ووسائل خفية وظاهرة فمن ذلك : ما تقوم به بعض مؤسسات السفر والسياحة من توزيع نشرات دعائية تتضمن دعوة أبناء هذا البلد وغيره من بلاد المسلمين لقضاء العطلة الصيفية فى ربوع أوروبا وأمريكا بحجة تعلم اللغات الأجنبية،ووضعت لذلك برنامجا شاملا لجميع وقت المسافر . وهذا البرنامج يشتمل على فقرات عديدة منها مايلى :

(أ) اختيار عائلة كافرة لإقامة الطالب لديها مع مافى ذلك من المحاذير الكثيرة .

(ب) حفلات موسيقية ومسارح وعروض مسرحية فى المدينة التى يقيم فيها .

(جـ) زيارة أماكن الرقص والترفيه .

(د) ممارسة الديسكو مع فتيات كافرات فاتنات ومسابقات فى الرقص .

(هـ) جاء فى ذكر الملاهى الموجودة فى إحدى المدن الكافرة ما يأتى : (أندية ليلية . مراقص ديسكو ، حفلات موسيقى الجاز الروك ، الموسيقى الحديثة . مسارح ودور سينما وحانات خبيثة) .

وتهدف هذه النشرات إلى تحقيق عدد من الأغراض الخطيرة منها مايلى :

١ ـ العمل على انحراف شباب المسلمين وإضلالهم .

٢ ـ إفساد الأخلاق والوقوع فى الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها فى متناول اليد .

٣ ـ تشكيك المسلم فى عقيدته .

٤ ـ تنمية روح الإعجاب والانبهار بحضارة الغرب .

٥ ـ تخلقه بالكثير من تقاليد الغرب وعاداته السيئة .

٦ ـ التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه وأوامره .

٧ ـ تجنيد الشباب المسلم ليكونوا من دعاة التغريب فى بلادهم بعد عودتهم من هذه الرحلة وتشبعهم بأفكار الغرب وعاداته وطرق معيشته .

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد الخطيرة التى يعمل أعداء الإسلام لتحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وبشتى الطرق والأساليب الظاهرة والخفية،وقد يتسترون ويعملون بأسماء عربية ومؤسسات وطنية

←

* الكاتب : مفتى المملكة العربية السعودية .

التحذير من السفر

إمعانا فى الكيد وإبعادا للشبهة وتضليلا للمسلمين عما يريدونه من أغراض فى بلاد الإسلام . لذلك فإنى أحذر إخوانى المسلمين فى هذا البلد خاصة ، وفى جميع بلاد المسلمين عامة من الانخداع بمثل هذه النشرات والتأثر بها ، وأدعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر، وعدم الاستجابة لشىء منها فإنها سم زعاف ، ومخططات من أعداء الإسلام تفضى إلى إخراج المسلمين من دينهم ، وتشكيكهم فى عقيدتهم ، وبث الفتن بينهم كما ذكر الله عنهم فى محكم التنزيل قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ الآية .

كما أنصح أولياء أمور الطلبة خاصة بالمحافظة على أبنائهم وعدم الاستجابة لطلبهم السفر إلى الخارج لما فى ذلك من الأضرار والمفاسد على دينهم وأخلاقهم وبلادهم كما أسلفنا وإرشادهم إلى أماكن النزهة والاصطياف فى بلادنا، وهى كثيرة بحمد الله والاستغناء بها عن غيرها فيتحقق بذلك المطلوب ، وتحصل السلامة لشبابنا من الأخطار والمتاعب والعواقب الوخيمة والصعوبات التى يتعرضون لها فى البلاد الكافرة . هذا وأسأل الله عز وجل أن يحمى بلادنا وسائر بلاد المسلمين وأولادهم من كل سوء، وأن يجنبهم مكائد الأعداء ومكرهم، وأن يرد كيدهم فى نحورهم كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمورنا وجميع ولاة أمور المسلمين لكل مافيه القضاء على هذه الدعايات الضارة والنشرات الخطيرة ، وأن يعينهم على تحقيق كل مافيه صلاح العباد والبلاد . إنه ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

رسل الأزهر

فى بلاد النيجر

(٣)

للسيد السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

٥ ـ فوفو :

من أجمل ما يسعد ضيوف النيجر أن يستقبلهم الأهالى هناك وعلى شفتى كل منهم ابتسامة ودودة قائلين « فوفو » أى « أهلاً وسهلاً ومرحباً » .

ولقد كان من يمن الطالع أن أصل إلى « نيامى » فى ليلة الإسراء المباركة من عام ١٣٩١هـ . (١٧ سبتمبر ١٩٧٩ م) ومعى أسرتى المكونة من زوجتى وشقيقى وابنتى (٧ سنوات) وابنى (٤ سنوات) . ونزلنا من الطائرة قبيل الفجر لنجد فى استقبالنا أعضاء السفارة والجالية المصرية ولفيفا من أصدقاء السفارة أذكر منهم الأخ محمد شنيب القائم بأعمال السفارة الليبية والأستاذ القاسم البيهقى من كبار رجال التعليم فى النيجر ومدير المدرسة العربية فى مدينة ساى والشيخ على صالح السودانى مدير المدرسة الابتدائية العربية الأهلية الليلية وغيرهم .

وفوجىء المستقبلون بابنتى وهى تهبط من الطائرة مستندة إلى ذراعى وساقها اليسرى موضوعة فى (الجبس) إثر حادث وقع لها فى مصر ، واقتضى بقاء ساقها فى الجبس لمدة ثلاثة أشهر كاملة ، ولم يكن فى الإمكان تأجيل سفرنا بسبب هذا الحادث ، فالدبلوماسى الملتزم جندى مجند ، وهكذا سافرنا والتحقت ابنتى بالمدرسة فى (نيامى) وهى تستند إلى عكازين .

وكنت قد حكيت لأسرتى فى مصر عن مشاهداتى وانطباعاتى عن النيجر لدى زيارتى السابقة لها فى أبريل الماضى ، وعن طيبة أهلها ووداعتهم ، وكيف أنهم يختلفون عن الصورة المشوهة التى أراد الاستعمار أن يصمهم بها بالزعم بانتشار الأوبئة الفتاكة بينهم ، وكذا الأمراض المتوطنة والحشرات السامة . وشرحت لهم أن (نيامى) لا صلة

←

لها إطلاقاً ببلاد « نيام نيام » المزعومة أو الوحوش الآدمية من أكلة البشر ، فكل هذه خرافات وأباطيل . وهكذا استقبلت أسرتى منزلنا الجديد بالاطمئنان والترحاب وقطعنا المسافة بين المطار والعاصمة وطولها حوالى ١٥ كيلو متراً فى دقائق معدودة ، واقتربت بنا عربة السفارة من عمارة النصر مع طلوع الفجر ، فبدت لنا من بعيد كالعروس ليلة زفافها .. واستقبلنا البستانى (أمارو أحمد) بباقة زهور جميلة حملها إلينا من حديقة العمارة . وما أن صعدنا إلى مسكننا بالدور السابع حتى رحنا نتسابق إلى الشرفات لنطلّ منها على الطبيعة الساحرة تحتنا ، وعلى حديقة الحيوان المقابلة للعمارة وفيها الزراف والفيلة والنّعام والطواويس الجميلة ، و (النسانيس) الأفريقية .

وبعد أن استرحنا من مشقة السفر نزلت إلى مكاتب السفارة فى الدور الأول حيث رحّب بى الزملاء ، وكان اليوم يوم عمل برغم أنه يوم جمعة (لأن العطلة الرسمية هناك يوم الأحد) ، فكان أول أمر أصدرته هو إنهاء العمل بالسفارة أيام الجمعة فى الساعة الثانية عشرة ظهراً بدلاً من الساعة الثانية لنتمكن من أداء صلاة الجمعة . وصحبنى الأخ (محمد أبو العطا) ملحق السفارة ، وانطلق بنا السائق هارون إلى المسجد الجامع الذى وجدناه مكتظاً لآخره بالمصلين الذين بدت عليهم الدهشة والارتياح معاً لسابقة لم يروا مثلها من قبل وهى وجود دبلوماسى عربى بينهم بالمسجد .

والمسجد الجامع فى نيامى مسجد كبير ، وهو يتوسط الحى الشعبى ، وله مئذنتان مرتفعتان ، كما أن فيه مقصورة مخصصة للسيدات ، وساحة واسعة يحيط بها سور كبير ، ولونه المميز هو اللون الأبيض ، وهو مفروش بالسجاجيد وتعمل به مراوح مهداة إليه من حكومة ليبيا .

ويجلس المصلون فى المسجد صامتين فى انتظار قدوم الإمام ، فلا أحد يتلو عليهم القرآن كما هو متبع فى مصر . وإمام المسجد هو الشيخ « أحمد سومايلا » (إسماعيل) ، وهو رجل طيب متقدم فى السن ، ولغته العربية محدودة ، ولكن الرئيس اختاره ليكون إماما تكريماً لذكرى والده الذى مات مكافحاً ضد الاستعمار ومدافعاً عن الإسلام .

ويقف الإمام وعلى رأسه عمامة سودانية كبيرة ، مستنداً إلى فرع شجرة طويل يابس ، ويلقى ـ أمام مكبر الصوت ـ خطبة الجمعة باللغة المحلية ، كما يلقى بالمثل خطبة باللغة العربية لا تختلف عن مثيلتها فى الأسبوع الماضى أو الأسبوع التالى ، ثم يصلى بالناس ركعتى الجمعة ، قارئاً فى الركعة الأولى سورة (الغاشية) وفى الثانية سورة (الجمعة) ، ثم ينتشر المصلون فور انتهاء الصلاة منصرفين إلى بيوتهم أو إلى متاجرهم وأعمالهم .

ولقد حكى لى المسلمون فيما بعد عن الاستعمار ، وكيف حاول القضاء على الإسلام بالحديد والنار ، فعمد إلى جمع الكتب العربية أينما وجدت وأحرقها ، ووضع القيود أمام سفر الحجاج ، وأنشأ

المدارس التبشيرية ، وجعلها سبيلا للتعيين في الوظائف الحكومية بحجة أن أبناءها وحدهم هم الذين يجيدون اللغة الفرنسية ، كما عمد إلى تغيير أسماء الطلبة المسلمين فيها إلى أسماء مسيحية ، وشجع الضباط والجنود الفرنسيين والمستوطنين الفرنسيين على الزواج من مسلمات في غيبة القانون ، كما فرض المناسبات المسيحية الكاثوليكية وأعياد مايسمونهم القديسين - عطلات يحتفلون بها رسمياً ومنع كلية اتصال أهل البلاد بجيرانهم من العرب .

وعلى الرغم مما بذله الاستعمار الفرنسى من جهود مستميتة لنشر الثقافة الفرنسية والعادات الغربية في بلد تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٨٪ إلا أنهم اعترفوا أخيراً بالهزيمة ، وبأن المنافس الوحيد الذي صمد أمامهم على مدى الأجيال كان هو القرآن الكريم واللغة العربية .

ولما نزلنا للتجول في شوارع العاصمة التى يسكنها حوالى ١٣٠,٠٠٠ نسمة ، منهم حوالى ٣٠٠٠ من الأوروبيين ، راعنا أنها **تنقسم إلى حيين متميزين : الحى الأوروبى بهدوئه وأضوائه وبيوته الجميلة ذات الحدائق الواسعة ، والحى الشعبى بفقره وإظلامه وأزقته الضيقة وبيوته المبنية بالطين أو بالأسمنت .**

وأحسسنا بالألم يعتصر قلوبنا ، خاصة وقد لمسنا في أهالى البلد الطيبة والسماحة والأمانة المطلقة . وعرف الأهالى أننا مصريون ، وأننا مسلمون مثلهم ، فكانوا يرحبون بنا على جانبى الطريق ، ويحيوننا كلما التقينا بهم بكلمة « فوفو » مصحوبة بابتسامتهم المضيئة ، تلك الابتسامة التى تحيى النفوس والتى تبعث فيها البهجة .. والأمل .. والسلام ..

الأذان :

على الرغم من شدة الحرارة ، ورتابة الحياة ، والهدوء الشامل الذى يبعث على السكينة والدعة ،إلا أننى لم أستطع أن أكف نفسى عن ترداد النظر إلى ساعتى عشرات المرات في كل يوم وكأنى في سباق مع الزمن .

فقد انشغلت منذ اليوم التالى لوصولى إلى النيجر بجدول مشحون بالزيارات والمقابلات ، بدءاً بزيارة وزير الخارجية وسائر الوزراء والمسئولين في الدولة للتعرف عليهم ، بالإضافة إلى زملائى من الدبلوماسيين الأجانب فضلاً عن الالتقاء بأبناء وطنى الذين تعتبر رعايتهم وتوجيههم فرضا واجبا علىَّ « فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » .

وقد مهد لعملية الاتصالات الرسمية (الحاج عيسى بوبى) مدير المراسم بوزارة الخارجية الذى زرته غداة وصولى ، وبدا لى ودوداً للغاية ، حيث دار الحديث بينه وبينى حول الروابط الإسلامية الوثيقة بين شعبى النيجر ومصر ، وكيف أن الدين الإسلامى هو الذى وحد بين أجناس النيجر المختلفة ، وهو بالتالى الذى يوجد بين شعبينا .

ولفت نظرى أن هذا الموضوع بالذات كان هو المحور الأساسى تقريباً الذى دارت حوله أحاديث المسئولين معى ، الأمر الذى أكد لى

قوة وصدق المشاعر الإسلامية لديهم ، ولذلك حرصت على أن يكون من بين زياراتى المبكرة زيارة (المعلم طولـو) رئيس الرابطـة الإسلامية الذى ردّ لى الزيارة بعد أسبوع هو وسائر أعضاء الرابطة وهم : إمام المسجد والفا ايدى (الفقيه إدريس) وجربا موسى وجربا تايير (الترزى) مبدين سعادتهم الفائقة لترددى على المسجد الجامع وآملين أن تمدّ مصر يد المعونة لمساعدتهم .

وبعد أيام وصلنى من الرابطة خطاب رقيق بالفرنسية يذكرون فيه أنهم يجدون من غير المناسب أن تكون المكاتبات بينهم وبين السفارات العربية الشقيقة باللغة الفرنسية ، ولذا فإنهم يأملون من سفارتنا أن تمدهم بآلة كاتبة عربية .. ولم أتردد فى إجابتهم إلى طلبهم ، وأهديتهم آلة كاتبة ممتازة ، من طراز « الممتازة » .

كذلك حضر لزيارتى الحاج (عمر أحمدو) سفير النيجر فى « الدول العربية » ، وذكر لى أنه معتمد فى ثلاث دول عربية فى آن واحد ، هى : المملكة العربية السعودية (رعاية مصـالح الحجـاج النيجيريـين هناك) ، والسودان (حيث توجد جالية نيجيرية كبيرة تتألف من المواطنين الذين يعودون من الحج ويستـوطنون السـودان) وليبيـا (ذات الاهتمامات الكبيرة بجيرانها) . وذكر لى الحاج عمر أنه زار مصر مرات عدة ، وقد سمع أن والدى هو المغفور له فضيلة الشيخ محمود أبو العيون (السكرتير) العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية سابقاً ، وأنه نقل ذلك لرئيس الجمهورية والمسئولين فى الدولة ، الأمر الذى عزز مركزى لديهم ، فصاروا يستقبلوننى فى كل مكان بالاحترام الكامل كما لو أن (الأزهر) نفسه قد انتقل إليهم فى (النيجر) .

وقد انتهزت فرصة زيارتى للرئيس هامانى ديورى فأهديته لوحة قرآنية كبيرة مكتوبا عليها بالخط الجميل ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ فتقبلها قبولاً حسناً ، ثم تحدثت معه عن قرب حلول شهر رمضان المبارك ، وكيف أن مصر اعتادت أن تبعث فى كل عام وفوداً من (القراء) إلى سائر الدول الإسلامية لإحياء الشهر الكريم فيها . واستأذنته فى أن أكتب إلى حكومتى لإيفاد اثنين من (القراء) إلى النيجر ، فرحب الرئيس ترحيباً كبيراً بالفكرة التى تحمس لها كذلك جميع إخوانى من أعضاء الجالية المصرية فى النيجر .

وشجعنى هذا التقبل من الرئيس على أن أتقدم إليه باقتراح آخر ، هو إذاعة القرآن الكريم وأذان المغرب من (إذاعة نيامى) خلال شهر رمضان المبارك مثلما نفعل فى مصر وسائر الدول العربية . ولم يتردد الرئيس فى الموافقة على اقتراحى من حيث المبدأ ، وأشار بأن أتحدث مع المسئولين فى الإذاعة لبحث تنفيذ الفكرة ... وذهبت لمدير الإذاعة جانى ايزاكا وشرحت له فكرتى ، وأوضحت له أن كل شىء جاهز عندى ... تسجيلات القرآن الكريم ... وأشرطة الأذان .. واستفسر منى

المدير عن موعد إذاعة الأذان فأجبته بأنه وقت غروب الشمس فى (نيامى) ، فعاد يستفسر عن الوضع بالنسبة لسائر المحافظات فى النيجر ، فقلت له إن هناك مايسمى بفروق التوقيت ، وعلى كل محافظة أن تراعى فروق التوقيت المحلى بها .. وأبدى المدير أنه شخصياً مقتنع بالفكرة ، ولو أنها فكرة جديدة كلية على أهل النيجر الذين يخشى ألا يتفهموا مسألة فروق التوقيت ، وأضاف أنه سيتباحث على كل حال مع المسئولين فى هذا الشأن ، ووعدنى خيراً ..

وتركت المسألة تأخذ دورها الروتينى اطمئنانا إلى أن عندى موافقة مسبقة من (رئيس الجمهورية) ... وكلما سألتهم عن الترتيبات طمأنونى إلى أن كل شىء يسير على مايرام ... وهكذا أعلنت أصدقائى من أبناء الجالية المصرية بهذا النبأ السار ، وحل أول أيام رمضان ، وجلسنا جميعاً ملتفين حول أجهزة الإذاعة والطعام أمامنا فى انتظار أذان المغرب ... ومرت الدقائق ببطء .. واختفت الشمس وراء الأفق واختفى معها تسجيل الأذان الذى كنا نترقبه بفارغ صبر !! وأصبت وأصيب الجميع معى بخيبة أمل كبيرة .. وأدركت أننى تسرعت فى مطلبى ، وأننى أردت أن أعطى القوم جرعة كبيرة من دواء لم يكونوا قد استعدوا بعد لتقبّله ، أو أن هناك ضغوطاً غير منظورة حالت دون تنفيذ ما اتفقنا عليه . وتعلمت من هذا ألا أتعجل الأمور قبل نضجها تماما ، فلكل غرس جَنْيُه ولكل حصاد وقته وأوانه ، وتصادف أن القراء الذين طلبتهم من وزارة الأوقاف لم يصلنا أى نبأ بشأنهم ، وهكذا مضت الأيام ثقيلة موحشة حتى انقضى من شهر رمضان معظمه ، وخابت عندى آمال كثيرة كنت أعوّل عليها للاحتفاء بهذا الشهر الكريم بالطريقة التى تتناسب مع قدره ومكانته . وقال لى قائل مخففا عنى مادمت قد أديت واجبك كاملاً ، فلا عليك ألا تجىء النتائج وفق ما تشتهى » .

طرائف

« الجبار والذئاب »

كان الخليفة أبو جعفر المنصور يمر يوما بمكان تكاثرت ذِئَابهُ حتى أضجرته ؛ فطلب مقاتل بن سليمان وحدثه فى هذا الأمر وسأله :

لم خلق الله الذئاب ؟

فأجاب مقاتل : ليذل بها الجبارين .

« لا تراجعنى »

كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عامل له فى المظالم فيراجعه العامل فيها .

فكتب إليه : أنه يخيل إلى أنى لو كتبت إليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلىَّ : أضأنا أم ماعزاً ؟! ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إلىَّ : أذكرا أم أنثى ؟!

ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إلىَّ : أصغيرا أم كبيرا ؟!

فإذا كتبت إليك فى مظلمة ، فلا تراجعنى فيها .

« نصيحة »

لا تجعلن دليل المرء صورته
كم مَخْبَرٍ سَمِجٍ فى منظر حسن

« المأمون وولده »

دخل المأمون يوما على أحد أولاده ، وهو يقرأ فى كتاب .

فقال له : ماهذا ؟

قال : كتاب يشحذ الفطنة ، ويغنى عن العشرة السيئة .

فقال المأمون : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسمه .

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

« وصية أب »

يابنى : إذا مر بك يوم وليلة ، وقد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله ـ تعالى ـ

فكم من مسلوب دينه ، ومنزوع ملكه ، ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره ؛ فى ذلك اليوم وأنت فى عافية .

« احذر »

ثلاثا فى ثلاث عند ثلاث .

الزهو بعلمك عند المناقشة .

والفَخْر بعملك عند الذين يعرفونك .

والتقصير فى الخير عند سنوح فرصته .

« قالوا »

الشهامة : أن تغار على حرمات الله .

والنجدة : أن تبادر إلى نداء الله .

والشجاعة : أن تسرع إلى نصرة الله .

والمروءة : أن تحفظ من حولك من عباد الله .

والسخاء : أن لا ترد لله أمراً ولا نهيا .

« دعاء »

اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة .

وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات .

وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل .

الفتاوى

إعداد/ عبد الحميد شاهين
على حامد

س : يوجد فى الحى مسجد جدد بناؤه على طابقين . ويريد بعض اهل الحى أن يجعل احد طابقيه دارا للمناسبات . فما الحكم .

جـ : المساجد لله ـ فإذا بنى مسجد أو جدد بناؤه جاز تخصيص طابق منه لمنفعة عامة .

لأنه إذا جاز لأهل المحلة هدم المسجد وبناؤه ، وبناء بيت فوقه للإمام ، وكذا هدم المسجد العتيق وصرف ثمنه لمسجد آخر ـ جاز كذلك إعادة بناء المسجد العتيق وبناء طابق فوقه أو تحته للمصلحة .

س : لى بنت من زوجى الأول الذى توفى ثم تزوجت من آخر له ابن من زوجة اخرى ـ فهل يجوز ان يتزوج ابن زوجى الحالى من ابنتى من زوجى المتوفى علما باننى انجبت بنتا من زوجى الحالى .

جـ : زواج الشاب من بنت زوجة أبيه من رجل آخر صحيح ولا عبرة أن أم الزوجة انجبت بنتا من والد الشاب فزواجهما صحيح

س : توفى رجل عن زوجة وأب وام وأولاد ذكور وإناث ، وإخوة واخوات اشقاء وشقيقات واخت لأب . فما نصيب كل وارث ؟ .

جـ : الزوجة ترث الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ـ قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾ .

وللأب والأم .. لكل منهما السدس فرضا .

قال الله تعالى : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ .

والباقى من التركة لأولاد المتوفى .. ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

ولاشىء للإخوة لأشقاء ولا للأخوات الشقيقات وكذلك لا شىء للأخت لأب لحجب هؤلاء بالأولاد الذكور .

س : رجل عقد على فتاة ثم مات قبل أن يدخل بها ، فهل عليها عدة وفاة وهل ترث .

جـ : المتوفى عنها قبل الدخول تجب عليها العدة ، وهى أربعة أشهر وعشرة أيام ـ لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشراً ﴾ .

فالآية عامة فى المدخول بها وغير المدخول بها .. والحكمة من ذلك إظهار حق الزوج ـ فى الحزن والأسف لوفاته ولها جميع حقوقها من المهر كاملا .. وترث من تركته لأنها زوجة له وإن لم يدخل بها ـ وميراثها الثمن إن لم يكن له زوجة غيرها وكان له ولد .. ولها الربع إن لم يكن له زوجة غيرها ، ولم يكن له ولد.

من أعلام الأزهر

عبد العزيز البشرى

كامل السيد أحمد شاهين

عبد العزيز البشري

جاحظ العصر الحديث

لقد اهتم البشرى بنفر من ائمة القراء فى عصره تشجيعا وتنويها ، فاحمد ندا وعلى محمود والسيد الصواف وحنفى برعى قد نالوا من احتفائه ماطار بذكرهم . والحق ان ترتيل القرآن كان فى حاجة إلى كاتب يرصد رجاله ، ويكشف عن منازعهم الصوتية ، ولابد ان يكون هذا الكاتب عالماً ازهرياً ليفهم أسرار الوقوف ، وتنوع القراءات ، ودقائق النحو والصرف ، ومايعرف بفن التجويد إظهاراً وإدغاماً ومَداً وغُنَّة وإخفاء ، ليقيم حكمه الفنى لا على الصوت وحده ، بل على مايحيط به مما يتصل بعلوم القرآن الكريم ، ونحن نرى مقرئى اليوم فى حاجة إلى نقد علمى فنى ، يقوم به متخصص بحاث ، لان اشرطة (الكاسيت) قد فتح بها المجال لإذاعة الجيد والردىء من انواع الإلقاء ، وإذا جاز ذلك فى الاغانى العاطفية ، فإن آيات الذكر الحكيم تستلزم تشددا يمنع الانحراف ، ولى فى هذا المجال مقال « هادف » اكتفى بالإشارة إليه .

وقد أخذ كاتب ما على البشرى أنه لم يخص المناحى الإسلامية بثمار قلمه على نحو ممتد كما فعل مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، وأنا أفرق بين الروح الإسلامي وبين الموضوع الإسلامى ، فالروح الإسلامى شعور عام يسيطر على الكاتب فى كل مايسطر بحيث يتقيد بضوابط الخلق المحمدى الرفيع ، فى كل موضوع يعالجه وإن لم يمت إلى قواعد الدين وتاريخ الإسلام بسبب ، فالصدق فى القول ، والارتفاع عن الإسفاف ، والإخلاص فى التوجيه ، والتماس الأعذار عند قيام أسبابها ، كل ذلك يندرج فيما نسميه الروح الإسلامى ، وهو ما التزم به البشرى دون نزاع ، فأنت لا تأخذ عليه شبهة انحدار تميل بقلمه إلى الإسفاف .

أما الموضوع الإسلامى فلم يكن من الكثرة فى نتاج البشرى ، بحيث نقرنه بالرافعى أو المنفلوطى رحمهما الله ، ولكن الكاتب قد تحدث فى فصول متتالية عن الهجرة النبوية ، وعن يسر الإسلام ، وعن أسباب

للدكتور محمد رجب البيومى

انتصاره فى النشأة الأولى ، لأن المجلات الأدبية كالرسالة والثقافة كانت تصدر الأعداد الممتازة فى المناسبات الدينية ، فتأتى بروائع ، المقالات لأمثال المراغى وشلتوت ومحمد عرفه والعقاد والزيات والرافعى وأحمد أمين ومحمد أحمد الغمراوى ، وعبد العزيز البشرى مع هؤلاء ، إن لم يكن فى طليعة هؤلاء ، وهو كاتب يتكىء على نفسه دائماً ، فلا يعمد إلى موضوع تاريخى ليشرحه بأسلوبه الأدبى مكتفياً ببلاغة العرض كما نعهد لدى بعض النظراء ، ولو فعل ماوقع فى الملام ، لأن المناسبة تدعو للذكرى ، ولكنه يتخذ من حادث كالهجرة متنفساً لخواطر وضيئة تبين انتصار الحق متى كافح عنه صاحبه ، مهما قامت الحوائل ، كما هو فى مقال آخر يتحدث عن يسر الإسلام ، ومواءمته للفطرة الإنسانية مما يجعله الدين الطبيعى للبشر ، وإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد شغلت الناس شغلا يحتمه الواقع الأليم ، حين تنطلق صفارات الإنذار كل مساء ، وحين تظلم الأماكن وتختفى الأنوار ، وحين يهاجر سكان المدينة إلى الريف إيثاراً للسلامة ، فإن هذه الحرب اللعينة قد فسحت باب المقارنة لدى الكاتب الكبير إذ ينتقل إلى الجهاد الإسلامى الأول فى عهد النبوة وما تلاه ليوضح كيف أوصى الإسلام بالرحمة والعفو والمن والفداء ، والإنذار قبل الهجوم ، وليبين كيف تحولت هذه الأخلاق الإسلامية الرائعة إلى مناقضات أليمة فيما نشاهد على أيدى الألمان والطليان والإنجليز ممن ينتمون إلى المسيحية دون أن يتقيدوا بتعاليم المسيح .

أجمل ما فى البشرى أنه لا يصوغ آراءه الإسلامية فى حديث وعظى يفقد تأثيره النفسى ، ولكنه يزاوج بين الفكرة والصورة مزاوجة تجعل المقال الدينى قطعة أدبية رائعة ، وهو حينئذ لا يتكلف الجودة ، لأنها من طبيعة أسلوبه المكين يصدر عنها كما يصدر النور عن شمس النهار .

لقد كان البشرى من القلائل الذين مهدوا إلى وظيفة الخيال فى التعبير الأدبى منذ أوائل هذا القرن ، فقد وقر لدى بعض المتأدبين حينذاك أن الخيال تزويق سطحى يبتعد عن الحقائق حين يأتى بألوان من المغالاة البعيدة ، وأكثرها تلفيق عقلى ، يحاول أن يجمع بين المتناقضات بأوهى رباط ، ولكن البشرى يفند هذا اللغو السطحى حين يؤكد أن الخيال الأدبى الصحيح مهما يغلُ(١) أو يحلّق ، ومهما يلون من الألوان فإنه مستمد فى

←

(١) المختار جـ ١ ص ١٠٦ .

← عبد العزيز البشـرى

تصرفه من الحقائق الواقعة ، مبتدىء منها منته إليها ، فمن الوقائع مادته ، وهى مستعارة فى كل مايبدع من ألوان ، والشاعر والكاتب لا يطلقان خياليهما فى فنون المعانى لمجرد العبث بقلب الأوضاع ، ومسخ الأشكال . إنما الغاية كل الغاية أن تجلو عليك هذه الأخيلة صوراً طريفة لهذا الذى أدركته من الواقع ، أو تترجم لك عما يدق عن فهمك من المعانى ، أو تكمل بين يديك ماترى أن الطبيعة قصّرتْ فيه ، والصورة الأدبية فى هذه الحالة وإن كانت خيالاً فى خيال فإنها لقوة موضعها ، ودقة صنعها ، تشبه عندك الصور الواقعية بل قد تلتبس عليك بالحقائق الثابتة .

أقول هذا مستشهدا بموجز أتصرف فيه من كلام الكاتب الكبير لأؤكد أن البشرى فيما يصدر من البيان على دراية تامة بأثر الخيال الأدبى فى التعبير ، وأنه إذا كان من رجال الإسلوب المبين فى هذا العصر ، فإنه لم ينحُ هذا المنحى إلا بعد طول تأمل واقتناع ، على أنه جاوز الخيال الجزئى فيما يعرف بالاستعارة والكناية والتشبيه إلى الخيال الكلى ، الذى يجعل الخيال إطاراً متسعاً لموضوع عام ، يسبح الكاتب فى نواحيه ، وهذا الإطار الفسيح يخلق من الجدة والطرافة والبراعة فى أدب الكاتب مايدهش به القارىء دهشاً يأخذ عليه كل متجه ، إذ يفجؤه بالطريف غير المتوقع ، مفاجأة تنزل من النفس منزلة الارتياح الهانىء إذا أتت من بابها الطبيعى غير المتكلف ، فحققت للكاتب مايريد .

لقد دعت الإذاعة الحكومية منذ نشأتها الأولى عبد العزيز البشرى ليُلقى كلمة فى افتتاحها ، وتوهم السامعون أنهم سيسمعون محاضرة عن فوائد المذياع ، ولو فعل الأديب ذلك لصادف مقتضى الحال دون نشاز ، ولكنه أطرف السامعين إطرافاً بوثبة من وثبات الخيال الكلى البهيج ، حين تخيل أعرابياً أقام عمره الأطول فى البادية ، ثم زار المدينة فجأة ، ليرى صندوق المذياع يتكلم ! فما عسى أن يقول الأعرابى فى هذا الخشب الناطق كالإنسان ، هنا يتجلى الخيال الكلى المصور كأبدع مايكون الخيال حين يعرك إنسان أذن الصندوق ، فتحمر حدقته ، ثم يسمع له حسيس مالبث أن استحال زمزمة وهمهمة ، يقول البشرى على لسان الأعرابى وقد سماه الشيخ عدلان :(٢) .

هنا والله خلْتُ أن الأرض زلزلت علىّ وأحسست قلبى يتمشى من الروع فى صدرى ، فجمعت ثوبى للهرب ، فجذب صاحبى فضل ردائى ، ولو تركنى ما أصبت المهرب إذ تخاذلت ساقاى ، وأظلم مابينى وبـين الطريق ، وجعلت ألتمس آية الكرسى أعتصم بها من هذا الشيطان ، فأذهبهـا الرعب عنى ، ولما رأى صاحبى هول مابى ، قال : خفض عليك ياشيخ ، قلت : وهذا العفريت ؟ قال : لن ينالك منه مكروه فما يجد له من

(٢) المختار جـ ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

إساره فكاكا ، قلت : أيسجن سليمان المردة فى قماقم من نحاس . وأنتم لاتبالون أن تسكنوها فى جماجم من الخشب ، فقام عنى وعرك الأذن الثانية للصندوق ، فسرعان ما سكن هديرها ، وإذا العفريت يتحدث فى لين صوت ، واطمئنان نبرة كما يتحدث عرفاء القوم إذا اجتمعوا ، وإذا هو ينطق بالحكمة بعد الحكمة ، ويرسل العبرة بعد العبرة ، فأفرخ ذلك من روعى حتى كادت ترتد إلى نفسى ، ثم قام الرجل فعرك أذن الصندوق مرة ثالثة ، فجعلت عينه تدور فى محاجره حتى استقر ، ولم يرعنى إلا أن أسمع صوتاً كشدو الغناء ، راح يشتد ثم يلين فيشف ، ويحلق ثم يهبط ويسف ، وآناً يطرد ويستوى ، ثم ينثنى ويلتوى ، والكبد تتياسر معه وتتيامن . والقلب يتطاير ثم يجتمع ويتطامن ، والنَّفَسَ يرتفع كلما ارتفع ، ويقع معه حيثما وقع !

ثمانى صفحات رائعات كلها من هذا الطراز ، أفيتسع المجال لنقلها ؟ أم نكتفى بالإشارة إلى ما أبدع الخيال الكلى لدى البشرى من بدع آسر ، وقول ساحر !

وإذا كان الموضوع السياسى مما يكتب عادة بأسلوب تقريرى لا صلة له بالخيال ، فإن الأستاذ البشرى قد شاء له إلهامه البديع أن يكتب فى السياسة دون أن يغفل الاستعانة بالخيال تجسيداً للحقائق ، وتصويراً لها ، فكان ما أسعد به القراء فى هذا المجال آية الآيات ، فحين انهزمت إيطاليا مدحورة فى الحرب العالمية الثانية ، وسقط المارشال جرزيانى قائد إيطاليا فى ليبيا ، وحاكمها المستعمر ، وكان قد تعّقب الأحرار من أبناء البلاد وزعمائها تقتيلاً وتشريداً ، وعلى يده الآثمة تم إعدام البطل الشهيد (عمر المختار) ، وقد حسب أن مركزه السياسى سيتوطد حتى الممات ، حاكماً مستعمراً فى الغرب الإسلامى ، ثم أبدت الأحداث ماجعله ضحكة ساخرة بين الهازئين !

هنا تجيش الخواطر فى نفس الأديب العربى الكبير إذ يرى هزيمة الطاغية عقاباً صادقاً لما اقترفه فى حق الأحرار ، وفى مقدمتهم عمر المختار ، وهنا يستعين بخياله الوثاب ليكتب على لسان عمر المختار ، ومحل إقامته جنة عدن مع الشهداء والصديقين خطاباً إلى المارشال جرزيانى ومحل إقامته جهنم فى اللظى المحرق ، ليحدثه عما أسلف فى حقه من جور فادح وعما انتقم به الله عاجلاً غير آجل حين أخزاه بالفضيحة النكراء ، ويصل الخطاب إلى صاحبه فيكتب رداً باكيا يكاد يقطر حسرة وخزيا لما اجترم ، وفى الخطابين عرض دقيق لأحداث سياسية خطيرة ، وتحليل « فنى بارع » لنكبات إيطاليا المتلاحقة فى الشرق والغرب ، وتعليل دقيق لهذه النكبات التى جلبها الهر الضعيف حين ارتدى كذبا ثوب الأسد المقدام ، فكشفته الحرب كأسوأ مايكشف به رعديد جبان ! وكم كان البشرى بارعاً حين ابتدأ رد جرزيانى بهذا المطلع البارع(٣) .

←

(٣) قطوف : للأستاذ البشرى جـ ١ ص ٥٢ .

عبد العزيز البشرى

« سيدى المختار ، السلام عليك ورحمة الله ، ولا شك أن هذا إخبارٌ لا دعاء ، فأنت من مثواك فى الجنة فى رحمة دونها كل رحمة ، وفى سلام ليس يعد له سلام ، وإنى أشكرك شكراً جليلاً على خطابك الذى فرضت فيه لى ضميراً ، إذ ظننتنى أتمثلك فى صباحى ومسائى ، وفى غدوى ورواحى ، بما أسلفت إليك ، وما أجرمت عليك ، إذ الواقع أنك لم ترد لى على خاطر ، اللهم إلا ساعة فضضت كتابك ، وأزلفت عينى إلى توقيعك ! على أنى جد مشغول بالجزع على ماكان إلى الآن ، والهول والذعر مما يكون بعد الآن .

ومضى الخطاب يعرض تاريخ إيطاليا ، وفشل جنودها الحربى المتلاحق ، وكيف صبّحوا الأبرياء العزل بالدمار ، حين زين لهم الشيطان أن يملكوا المستعمرات كانجلترا ، وتكون النتيجة الهزيمة الفاضحة أمام من ؟ أمام البانيا وأمام اليونان وأمام طرابلس ، يقول البشرى على لسان جرزيانى :

تقول لى فى كتابك : إنك لـو كنت « ماريشالا » فى رواية تمثيليه ، لكسرت على الأقل طبقا ، أو صدعت كرسياً ، أو قرضت بأسنانك ستاراً ، الا فاعلم ياسيدى أن الله قد عقد لسانى ، فى هذه الحرب ، ورمى يدى بالشلل ، وهيهات الفعل أو القول لأشل اليد معقود اللسان ، وإذا كانت هذه الأهوال الكارثة قد علمتنا ، فقد علمتنا شيئاً واحداً ، هو أن الحرب ليست جيوشا تزم الأفق ، ولو زودت بجميع الفواتك والمهلكات ، ولا هى أساطيل تزحم نواصى البحار ، ولا هى طيارات تسد جو السماء ، إنما الحرب أولاً وأخيراً هى الرجال ! » .

هكذا تحدث عبد العزيـز فى صميم السياسة الدولية ، وهكذا جاء حـديثه السياسى فى إطار بديع من خياله الرائق ، وتصويره الأنيق .

قلت : إن البشرى قد انفرد بتصويره الرائع فى (مراياه) ، وقلت إن كثيراً من الأدباء قد حاكوه فبعدوا وما قاربوا وهم فى غير هذا المجال ذوو لَسنٍ مبين ، وذكرت عدة أسماء ، ولم أذكر بينهاً اسم الأديب الكبير الأستاذ محمد الههياوى رحمه الله ، لأن الههياوى تأثر بالبشرى حقا إذ كان السابق إلى رسم الصور الإنسانية فى المرآة بجريدة السياسة ، فأتاح للههياوى أن يعارضه فى مجلة الكشكول وبين الرجلين الكبيرين من التقارب الأدبى ما تقام له الموازين النقدية فى مجال الترجيح ، ولو جمع الههياوى صوره الرائعة فى سفر خاص كما جمعها البشرى لكتب لها خلوداً أدبياً إذ يسهل تداولها مجموعة فى حيز خاص ، ولكن الههياوى كتب أكثر من ألف مقال فى شتى الصحف ولم يجمع منها شيئاً ، ومن بينها صوره الكاريكاتورية فى الكشكول ، ولنا أن نضع أمام القارىء بعض ما قاله البشرى فى الدكتور محجوب ثابت مقرونا ببعض ماقاله الأستاذ الههياوى ليرى كيف انتقل أثر البشرى إلى صاحبه ، لا بمعنى أنه أخذ منه مالم يكن لديه ، بل بمعنى أنه نبهه إلى مالٍ ثمين كان فى خزينته دون أن يعلم من أمره شيئاً !

قال الأستاذ البشرى[٤] :

« لا شك فى أن الدكتور محجوب ثابت يُعد بحق فى ميراثنا القومى ، ولو ـ لا أذن الله ـ جرى عليه القدر لكان لابد للأمة من محجوب ثابت بأى طريقة من الطرق ، نعم هو فى ميراثنا القومى لا يقل عن آثار سقارة ، وجامع السلطان حسن ، ومقابر الخلفاء ، ولقد أصبح على الزمان جزءاً من تقاليدنا الأهلية ، كحفلة المحفل ، وركبة الرؤية ، وشم النسيم ، ولما فكر المرحوم محمود بك رشاد فى جعل العلم المصرى محلى بصور بعض الآثار القديمة ، فرعونية وإسلامية ، لم ير المصور بدا ، من أن يرسم بجانب الهرم ، وأبى الهول ، وجامع برقوق ، وحضرة سيدى أبى السعود ، صورة الدكتور محجوب ثابت ! » .

وقال الأستاذ محمد الههياوى فى الدكتور محجوب ثابت :

« قد تَروعك منه هيئة البواب ، ورثاثة الأثواب ، وقد تلقاه وهو فى أجمل هيئته فتحكم أنه آيبٌ من سفر بدد ليله ونهاره ، وحمل ترابه وغباره ، وربما كان الصواب أنك لقيته ولم تنقضِ ساعة منذ خرج من الحمام مغتسلاً نظيفاً ، وهو طيار كأنما خلقه الله جناحى حمامة ، يسمع الناس أن الحرب وقعت فى طرابلس فلا يكاد اليقين بوقوعها يأخذ مكانه فى نفوسهم ، حتى يسمعوا أن طبيباً مصرياً لحق بالمقاتلين يعالج الجرحى ، ويداوى المرضى ، ثم يكون هذا الطبيب محجوب ثابت ، وتتحدث الأنباء أن الحرب وقعت فى البلقان فيذهب الناس فى تصديقها مذهب الشك ، ثم تجىء أنباء أخرى بأن الدكتور محجوب ثابت هبط ميدان القتال فى بعثة من الأطباء ينشر الرحمة ويكشف الآلام فيصبح الشك يقيناً »[٥] .

وفى كتاب عبد العزيز البشرى الذى ألفه الدكتور جمال الرمادى نماذج شتى للمرايا التى عورض بها البشري ، ولعلها تسعف من لا يستطيع الوصول إلى مجلدات الكشكول ، ودونها الصِّعاب !

وبعد ، فهل كان مثل البشرى فى ألمعيته المتوقدة ، وبصره الناقد ، وإحساسه الدقيق ، وقدرته البليغة على التصوير الساحر مستحقاً لهذا الهجوم الجرىء الذى شنه الدكتور زكى مبارك[٦] على أسلوبه المطبوع ، فيرميه « بأنه يتصيد الأوابد ، من مجاهيل القاموس واللسان والأساس ، وتلك حال المبتدئين من الناشئين ، كما يندر أن تجد فى نثره صفحة خلت من التكلف ، ويندر أن تشعر بأنه خلا لحظة إلى قلبه يستلهمه ويستوحيه ، فهو مشدود فى كل وقت بزمام التفصح الثقيل ! » .

إن الذى يفند هذا الادعاء ليس أمراً

(٤) فى المرآة ص ٤٣ .

(٥) عبد العزيز البشرى : للرماوى ص ٢٥٧ .

(٦) مجلة الرسالة (٢٠ يناير سنة ١٩٤١) العدد (٣٩٤) .

عبد العزيز البشرى

عسيراً ، ولكنه قراءة ماأسلفنا من مختارات البشرى فى هذا البحث ، ومتابعة ماعقبنا به من الخواطر الأدبية ، ففى ذلك مايعصف بهذا الاتهام ليصير هباء فى الفضاء ! وقد صَاوَلَهُ الدكتور زكى مبارك أكثر من مرة ، ولم يشأ أن يرد عليه ، وربما فهم من ذلك أنه لايأبه لمثله ، فواصل الانتقاد ، ولكن الحق أن البشرى أحد أمراء البيان فى هذا العصر وحسبه أن يكون جاحظ الأدب الحديث .

وما دمنا قد ألمحنا إلى نقد الدكتور مبارك لأسلوب البشرى فإننا لانتحرج من الإشارة إلى بواعث بعيدة عن المجال النقدى المحايد ، كانت بين الدوافع المغرية بتنقص البشرى ، إذ سبق أن تورط الدكتور مبارك فى الحكم على عمل علمى للأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري ، حين زعم أن شرح الشيخ لنهج البردة كان من تأليف ولده عبد العزيز ، وهو زعم باطل لأسباب أوضحتها من قبل فى مجلة الأزهر(٧) ، وقد ارتاع عبد العزيز لهذا الافتيات الصريح ، لأنه فى جوهره الدقيق يطعن فى ذمة شيخ الأزهر الإمام الأكبر حين قبل أن ينسب إليه مالم يقل ، كما يطعن فى مقدرته العلمية حين عجز عن شرح أبيات شعرية تقال فى مدح رسول الله ﷺ ، مع أن الشيخ الباجورى شيخ الأزهر الأسبق قد شرح بردة البوصيرى ، ولامية كعب بن زهير فى مدح الرسول الكريم ، هنا رد البشرى رداً عاصفاً ، وكان عَلَيَ مبارك أن يؤثر السكوت ، ولكنه كرر فى إلحاح ، فتغيرت النفوس ، ومهما يكن من شىء فقد انتقل الجميع إلى رحمة الله ، وبقيت الحقائق فى أيدى الباحثين ، كما بقى أدب البشرى صفحة وضيئة فى سجل البيان العربى ، يَرِدُها القراء فى احتفاء بالغ وشوق شديد .

د . محمد رجب البيومى

---

(٧) مجلة الأزهر : عدد ذى الحجة سنة ١٣٩٩ هـ نوفمبر سنة ١٩٧٩ م .

الأستاذ المرحوم

كامل السيد أحمد شاهين

للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى

من خير الرجال وأحسنهم أخلاقاً وأعلاهم علماً ، وأوفرهم ذكاء ومعرفة واسعة ، ذواقة فى نقد الشعر وكلام العرب ، طلق المحيا باسم الثغر ، شديد الوقار ، كثير الاحتشام ، حسن السمت ، تقابله فتشعر أنك فى محضر رجل عظيم قوى الإيمان صافى السريرة .

مولده ونشأته :

ولد بقرية كفر عليم مركز قويسنا محافظة المنوفية فى يناير سنة ١٩١٦م وتربى فى رعاية والده المرحوم الأستاذ السيد أحمد شاهين أحد علماء الأزهر الشريف ، وكان ـ حين ولادته ـ يعمل مدرسا بمعهد أسيوط الدينى ، ثم نقل إلى كلية الشريعة بالقاهرة ليقوم بتدريس الفقه وأصوله على مذهب الإمام الشافعى ، فوالده أحد حملة العالمية / درجة تخصص المادة (الدكتوراه) ، وظل بها حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى عام ١٩٥٥ .

أشرف ـ رحمه الله ـ على تربية نجله وأتاح له أبوه نشأة ذكية وهيأ له أسباب الثقافة التى تؤهله لكلية اللغة العربية ، فامتاز صاحب الترجمة ـ أثناء وجوده بالكلية ـ بفضيلة التوفر على تحصيل العلم والتنافس فيه .

تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤١ ثم نال إجازة التدريس سنة ١٩٤٣ وباعتباره أول دفعته عينته وزارة المعارف بالأسكندرية بمدرسة أميرية ثم نقل إلى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية بالقاهرة عام ١٩٤٥ ثم نقل إلى معهد القاهرة عام ١٩٤٧ ثم سافر إلى بعثة فى السودان فى نفس العام ، وقد ودعه بمحطة القاهرة مساءً وفد من أصدقائه الحميمين أمثال الدكتور أحمد الشرباصى ـ رحمه الله ـ والدكتور على محمد العمارى أمدَّ الله فى عمره وقد انتحوا بالشيخ كامل ناحية بعيدة عن ضوضاء القطر المزعجة وتباروا فى إلقاء الكلمات الفياضة إجلالاً وتكريماً للزميل العزيز الذى يعتبر عندهم شخصية فذة لها ذكراها التى لا تغيب عنهم .

كامل السيد أحمد شاهين

ثم عاد بعد انقضاء فترة بعثته ليقوم بالتدريس بمعهد القاهرة فترة وجيزة انتقل بعدها إلى الكويت فى بعثة ثانية وظل يعمل بها حتى تولى مشيخة معهدها الدينى ، ثم عاد بعدها ليكون عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر ـ كلية البنات الإسلامية ـ وظل يعمل بها حتى اختاره الله إلى جواره عام ١٩٦٧ .

مؤلفاته : له كتاب فى علم الصرف لم أعثر عليه ، وله كتاب فى علمى العروض والقوافى يسمى اللباب يدرس لطلاب الأزهر بالمعاهد الثانوية للصفين الأول والثانى الثانويين (القسم الأدبى) وقد بذل فيه جهداً عظيماً ، وفى الحق إنه كتاب منقطع النظير يكاد لا يكون فى ميدانه مايماثله ، وقد قال عنه الأستاذ كامل مبينا منهجه :

دعانى إلى تصنيف هذا الكتاب ماوجدت من إعراض الطلاب عن هذا العلم ، واستسخافهم له ، وبرمهم به مع سهولته ويسره ودنو مطلبه ، ولقد هديتُ إلى أن سر هذا الضيق هو الطريق الذى درج عليه التأليف فيه فالمؤلف يحشد نحو خمسين مصطلحا عروضيا ويطلب إلى التلميذ أن يستوعبها حفظاً وإدراكاً دون أن يفهم ماخلقت لأجله وما تفيد فيه ، ثم رأيتهم يرتبون البحور على حسب الدوائر التى ألفها الخليل وهى تقضى بجعل الطويل أول بحر مع أنه يوزن بتفعيلتين ، والطالب فى أول أمره لا يستطيع أن يزن بـ (صنجتين) ولا يتاح له ذلك إلا بعد التدريب على غيره من البحور ذات التفعيلة الواحدة المكررة .

١ ـ ولما كانت قواعد التربية الأولى تقضى الا يُدعى الطالب إلى حفظ شىء يجهل مرماه فقد نثرت المصطلحات العروضية فى البحور نثراً ، وعرضت لها عند الحاجة إليها وإن دعا ذلك إلى التكرير فنحن فى أمس الحاجة إليه للتذكير .

٢ ـ كانت قواعد التربية تقضى بأن ينتقل الطالب من السهل إلى الصعب ، فقد بدأت بالبحور ذوات التفعيلة الواحدة المكررة ثم بالبحور ذوات التفعيلتين المكررتين ، ثم بالأبحر ذوات التفعيلات المختلفة ليكون الطالب عند عبور الأبحر الأولى على مرانة تمكنه من جواز مابعدها وهكذا .

٣ ـ ورغبة فى أن يدرب الطالب على التقطيع التزمتُ أن يكون كل مثال فى كل ضرب عبارة عن بيتين أقوم بتقطيع أحدهما ، وأدع الآخر للطالب ليقطعه مستعينا بالبيت الذى سبق تقطيعه .

٤ ـ وإتماما للفائدة أتبعت كل بحر بتدريبات متنوعة مصنفة غير جارية على نحو مسبوق ، ولا متأسية طريقاً عُرف بل هى بكر عذراء ، ثم أتبعت كل طائفة من البحور بتطبيقات عامة ليتبين بها الطالب جملة قوته ويعرف حقيقة إدراكه .

٥ ـ وقد وجدت أن العروضيين إذا أخذوا من التفعيلة شيئا ووافق الباقى تفعيلة أخرى مألوفة حولوا مابقى من التفعيلة الأولى إلى التفعيلة الأخرى ـ وهذا ـ وإن كان أحسن فى المذاق إلا أنه يحسن مع المبتدىء أن تبقى التفعيلة إذا حذف منها شىء ـ على حالها ، ليتعرف على هذا المحذوف مثلا إذا دخل

الحذف (مفاعلن) صارت (مفاعى) أما إذا حولت إلى فعولن كما يفعل العلماء فذلك جدير بأن يصرف الطالب عن التعرف على مابها من تغيير .

٦ - ... ولقد عمدت إلى السهولة واليسر والبسط فى البيان لأننى رأيت أن الإيجاز فى هذا العلم لا يلائم عقل الشباب الذى ليست له دراسة سابقة ، على أنه كثيراً مايغرى بالاستظهار ويصرف عن الفهم والتدبر ، وإذا كان للتعليم فى مصر آفة تفسده وتحول دون الانتفاع به فإنما هى الاعتماد على الذاكرة ، والانصراف عن النظر والتفكير ، فإن رأى الأساتذة والطلاب فى هذا الكتاب طولاً فلا يروعنهن ذلك ؛ فإنه من اليسر والوضوح بحيث يستطيع الطالب أن ينعم فى النظر فيه فإذا هو ملم بما قصدت إليه إلماما كافيا ويقول رحمه الله فى ص ٧ (مقدمة فى معرفة علمى العروض والقوافى وبيان الحاجة إليهما) نظمت العرب الشعر تعبيراً عن عواطفها فى الحب والغزل وانفعالاتهم فى الحماسة والنخوة ونظمته إشاعة لأمجادها وتسجيلاً لآثارها ونظمته وصفاً لما يحيط بها من أطلال وديار وحيوان ، ومايقع تحت أبصارها من مجالى الطبيعة ، نظمته فى كل ذلك وفى غير ذلك مما تتبعته فى كتب تاريخ الأدب العربى ، وكانت فى نظمها هذا قاصدة إلى التأثير وحمل السامع على أن يشارك الشاعر فيما يعتمل فى صدره ويشع فى نفسه وكانت أدوات هذا التأثير ثلاثا :

أولاها : انتقاء التعبير المثير بذاته .

وثانيتها : وضع هذا التعبير فى قالب موسيقى هزاز .

وثالثتها : التزام لوازم فى آخر هذه القوالب

كامل السيد شاهين

تصون هذا التأثير وتزيده .

وقد وضعت علوم ثلاثة لهذه الأدوات الثلاث فوضع علم النقد الأدبى إن صح (أن) ماظهر منه يسمى علما وهو يتضمن علم البلاغة - الذى يتناول الوقوف على المطابقة لمقتضى الحال وطرق التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة من حيث إن كلا من المطابقة وتنوع التعبير لهما مدخليّة فى التأثير ، ووضع علم العروض لضبط القوالب الموسيقية وحصرها وبيان مايجوز أن يدخل إجراء هذه القوالب من تحوير بزيادة أو نقص لا يختل به النغم ، ومايمتنع من ذلك لأنه يختل به ويخدش أذن الشاعر المطبوع ووضع علم القافية لبيان مايلتزم فى أواخر أبيات القصيدة من لوازم حتى يكون لها نظام واحد فلا تضطرب موسيقاها ولا يفسد ترتيبها .

كامل السيد أحمد شاهين

وعلم العروض وعلم القافية عِلمان ينبغى للأديب الإحاطة بهما حتى ذى الطبع المصقول والأذن المميزة .

(أ) ذلك أن بعض القوالب الموسيقية التى يعبرون عنها بالبحور تجده شديد التقارب حتى ليخرج الشاعر من بحر إلى بحر من غير تنبيه ويتورط فى هذا الخلط كبار الشعراء وصغارهم على السواء ، والوازنون من علماء العروض هم الذين يستطيعون أن يردوهم عن هذا الخلط ، ويمدوهم بما هو الصواب .

وإذا كان ذوو الطبع المواتى والأذن المرهفة يتورطون فى شىء من هذه الأخطاء فغيرهم من الأوساط ، ومن دون هؤلاء أقرب إلى الخطأ ، وأدنى من التخبط ولا يعصمهم إلا تعلم العروض واتخاذه ميزاناً لما ينتجون .

(ب) والممارسة الطويلة لعلم العروض تعين على إظهار المواهب الشعرية المستورة وتفتح المغاليق من الفطرة الشاعرة .

(جـ) على أن كثيراً من التراث الأدبى لا يفهم إلا حيث كان القارىء ملما باصطلاحات علمى العروض والقافية ، انظر إلى قول القائل :

وبقلبى من الجفاء مديد
وبسيط ووافر وطويلُ

لم أكن عالماً بذاك إلى
أن قطع القلب بالفراق الخليل

فمن ذا الذى يفهم البيتين وما فيهما من (معنى وتورية) إذا لم يكن عالما بمصطلحات العروض ؟

وكثيراً ما يطالعك فى كتب النحو والصرف أن الشاعر ارتكب مخالفة من المخالفات ، لأن الوزن ألجأه إلى ذلك ، فإذا لم تكن على بينة من أمر الوزن فكيف تستريح إلى مثل هذه التعديلات ، لا جرم أنك ـ إذا جهلت الوزن ـ مضطر إلى تقبلها تلقينا تلقينا لايعتمد على إدراك وحاشاك أن تطمئن نفسك إلى مثل هذا الموقف ؟

وإذا صح ذلك مع شاعر قديم عرفه العلماء فكيف أنت بالشاعر الذى لم تقف على خبره إذا ارتكبت مخالفة ما : أتردها إلى ضرورة الوزن وأنت تجهله ، أم تبادر إلى تخطئته وأنت لم تستبن أمره ؟ وفى القافية قد يستعمل الشاعر بعض الاصطلاحات التى وضعها العروضيون ، ولقد أولع بذلك المعرى كما فى قوله :

بعد عن الناس خير من لقائهم
فقربهم بالحجى والدين إزراء

كالبيت أفرد لا (إيطاء) يدخله
ولا (سناد) ولا بالبيت (إقواء)

فأبو العلاء حين يعتزل الناس ، يأمن على نفسه من النقص فى العقل والدين وهو فى هذا كالبيت المفرد الذى ليس بعده بيت آخر ، فإنه لا يتصور أن يدخله الإيطاء ولا الإسناد ولا الإقواء ؟ فهل تستطيع أن تدرك الشبه بين أبى العلاء المعتزلى وبين البيت المنفرد إذا لم تعرف ما الإيطاء وما السناد وما الإقواء ؟

ولقد يخون الطبع المواتى فى القافية كما يخون فى الوزن فلقد رووا عن النابغة :

مسقط النصيف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتَّقَتْنا باليد

بمخضب رخص البنان كأنه
عنم يكاد من اللطافة يعقد !!

فهذا عيب ظاهر وقع فيه فحل من فحول الجاهلية . فما الظن بغيره من أوساط الشعراء وخفافهم ؟

وفى الحق أن لنا أن نفخر بهذا المُؤَلَّف الذى ألفه هذا العالم الجليل فيسر الله ـ سبحانه ـ له أن يكون درة لا يعلقها (زبد) ولا يعقلها إلا العالِمون .

طريقته فى الكتابة :

كان له أسلوبه المتميز الذى يسره لقلمه تذوق الأدب العربى تذوقاً دقيقاً عميقاً فى مجالاته المختلفة متسما بالصدق والقوة فصارت له سليقة عربية خالصة جعلت لألفاظه اتساقاً حلوا وطلاوة جذابة(١) .

كانت الكتابة سلاحه فى الدفاع عن قضاياه والذود عن حماه ، محتفظاً فيها بشخصيته وطابعه المنبثق عن ينابيع الإلهام الصادقة فى نفسه ، وقد حدثت بصفحات الرسالة محاورات أدبية ومعارك قلمية فى البلاغة كان قطباها الأستاذ / أمين الخولى والدكتور على العمارى فأدلى الأستاذ كامل بدلوه فى الدلاء لا ليقف بجانب زميله بالفصل الدراسي بالكلية الأستاذ العمارى ولكن ليقف إلى جانب الأستاذ الخولى فى كتابه ومحاضراته بالجامعة (تجديدات فى البلاغة ، أو البلاغة بالجامعة) فنشأت معارك قلمية تمحصت بسببها حقائق وتبينت طرائق بين الفريقين فكان يرى الخولى أن آراءه تعطى مفهوماً جديداً وابتكاراً وتخفيفاً وتجعلنا ننظر إليها نظرة جديدة غير التى ألفناها حتى يعد مجدداً أَوْحَد ، وكان يرى الأستاذ العمارى أن تجديدات الأستاذ الخولى تحمل فى ثناياها معاول هدمها ثم كان الحق مع الأستاذ الدكتور العمارى ، فإن آراء الخولى لم تعش ، عاش صاحبنا حياته فى وقت ارتفعت فيه هنا وهناك فى البلدان العربية صيحات كثيرة تدعو الأدب للمشاركة فى النضال والوقوف مع الشعب العربى فى معاركه وجعلت شعارها (الأدب فى سبيل الحياة)(٢) وتنكرأن يكون الأدب للأدب أو الأدب لذاته « أو الفن من أجل الفن » وكانت مجلة الرسالة ميداناً يدعو إلى التسلح بالعلم والتحرر من ربقة التقليد الذى لا أصل له فى قوميتنا .

وكان الأستاذ كامل يمتاز بالعاطفة المتأججة والإحساس المشبوب يجارى فيه الأقدمين بمتانة نسجه القوى وألفاظه المنتقاة وكان يجهر بآرائه وهو بها مقتنع . متصلا فى ذلك بحبل الإسلام المتين غير ذائب فى الدعوات الشاذة والمروق الفاتن ، وكان وعاء ذلك مجلة الأزهر ، ومجلة الرسالة وغيرهما .

وإليكم نماذج من بعض ماكتبه الأستاذ كامل على صفحة الرسالة مناشداً وزارة

---

(١) ... وكلمة للتاريخ :
لقد كان أحمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الأزهر ، وكنت أعمل معه (أمينا للتحرير) فكانت هناك عدة مقالات لكاتبين لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة ـ كان الزيات يحرص على قراءة مقالاتهم ، بل كان يحتفل لها باستعداد خاص لا أجده يستحضره لغيرهم من الكتاب ، فى مقدمتهم الأستاذ كامل صاحب الترجمة ، وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الداعية المعروف .... د /الخطيب .

(٢) الشعر والشعراء فى العراق للأستاذ أحمد أبى سعد (المقدمة) .

كامل السيد أحمد شاهين

المعارف الإصلاح والتنظيم وحسن التجهيز وهى بلا شكٍ آراء علمية متطورة، كتب بعنوان: (وعلى هذا فنحن ندور).

هاهو ذا العام الدراسى قد ابتدأ بعد أن تحيفته عوامل وأسباب نستكره الخوض فيها، ونرجو أن تكون عوامل خير واستعداد وتهيؤ لا عوامل تخوف واستيحاش وإجفال ـ بدأ العام الدراسى بعد شهور خمسة قضتها الوزارة فى فتح المدارس وتنظيم المصروفات، وإجراء التنقلات والترقيات وغير هذا مما هو من نصيب المدرس أو الناظر أو المراقب وكلهم بحمد الله يقظ مفتح العين مترقب عامل دءوب متنسم لأخبار الترقيات والعلاوات متخصص فى تطبيق الكادر سباق إلى ذوى الحظوة المقربين ليقفز درجة أو ينال مرتبة، وقد أبلت وزارة المعارف بلاءها السنوى فَنَال من نال وحُرم من حرم، وبات الجميع بين مفطور القلب أسوان ومفتر الثغر فرحان.

وأما الذى نسيته الوزارة والقوامون على تصريف شئونها وأغفلته شر إغفال ولم يذكرها به مذكر فذهب ضياعاً وراح هدرا فهو حق التلميذ، فللتلميذ الحق الأول لدى وزارة المعارف وليس حقه هذا فى مصروفات تزاد أو تنقص ولافى غذاء يخفف أو يجود....

ابتدأ العام الدراسى ونظرنا فإذا المقررات هى هى وإذا الكتب هى هى منذ عشرة أعوام حتى لكأنما سار هذا الموكب الحافل من المدرسين والمفتشين طوالها لا يلمسون عيبا ولا يحسون عوجا، ولا يرضون عنها بديلا، وكأنهم رضوا ما آتاهم المفتشون ولصقاؤهم من كتب خالدة باقية على الزمن يتغير كل شىء ولا تتغير، وتعيش فى جو يجر التلميذ والمدرس إليه كرهوا أم رضُوا، تعبوا أم استراحوا فإنما هو تأليف فلان أو فلان من الخيرة الأعلام الراسخى الأقدام! يتغير كل شىء ويتطور وتخرب الأرض وتعمر، وتقوم الحرب وتضع أوزارها، وتثور الشعوب وتخمد ثورتها، والكتب المدرسية ماضية فيما هى فيه، لا تتأثر بهذه الأحداث.

وأى عيب فى هذا؟

أليست حقائق الأشياء ثابتة مالها من زوال؟!!

آراؤه فى مناهج وزارة (المعارف):

يقول ـ بشأن الجمود على دراسة الأدب العربى فى إطار نماذج مرتبطة بالعصور متناسية من أعلام الأدب من تميز بوجهة أو مدرسة وما يستتبع ذلك من حفظ التلميذ لنصوص لا يتفاعل معها ولا إحساس له بعصرها ـ:

وقد اقترحنا علاج هذه المشكلة: أن يقرر مع العصر روايات لها فائدتها فى إنارة العصر المدروس وأحواله الاجتماعية فرب رواية تكون أجدى على التلميذ من قراءة كتاب من موسوعات أدب اللغة(٣).

اقترحنا أن تقرر رواية عنترة بن شداد مع العصر الجاهلى، ورواية شاعر ملك مع العصر الأندلسى. ورواية فارس بنى حمدان مع

(٣) أخذت وزارة التربية والتعليم فيما بعد بهذا الاقتراح ... مجلة الأزهر.

العصر العباسى الثانى ، وأن تنشأ روايات أخرى لهذا الغرض عينه يراعى فيها الإكثار من الشواهد والتحرى بطابع العصر فلذلك فائدته وجدواه ، وقلنا إن التاريخ الأدبى مغلول بالتاريخ السياسى مقيد به ، ومع اعترافنا بقيم الأحداث السياسية فإننا نرى أن متابعة تاريخ الأدب للتاريخ السياسى خطوةً خطوة وشبرا شبرا مما يتضمن الإسراف على حقائق الأدب وتطوره إلى أبعد مدى ، وقلنا إن الدراسات النثرية فى الأدب لم تأخذ حظاً وأفيا من الدراسة وإن الشعراء خطوا خطوة واسعة على حين أهمل أمر كثير من الكتاب ، ولو أننا تتبعنا الأعمدة التى وضعها الكاتبون فى أدب اللغة لتطور الكتابة لوجدناهـم قد راعوا ناحية الوظيفة ، فجعلوا من الكتاب الموظفين أعمدة على حين بقى غيرهم لا يعرف ولا يشار إليه ففى هذه الطريقة تجد (عبد الحميد) وهو موظف ثم بعد تجد (ابن العميد) ثم بعدهما تجد (القاضى الفاضل) وهما موظفان كذلك ، فيملأ العجب جوانحك وتتساءل فى استغراب ودهش . أين إبراهيم بن المهدى وهو ذو أسلوب فى النثر مبتدع ؟ وأين الجاحظ سيد كتاب عصره والذى سوّى لنفسه طريقة لا تزال تؤتسى إلى يومنا هذا ، وهذان مثلان من مثل كثيرة ليس هذا مقام تتبعها ، وأيا ماكان فإنه يجب أن يخطط تاريخ الكتابة تخطيطا جديداً ويخص بقسط من العناية أوفى ، قلنا هذا كله وسمعنا إطراء وثناء وبدت لنا الآذان مفتحة والنفوس منشرحة وَوُعِدْنا بالنظر فكان النظر فى كل شىء إلا فى حق التلميذ فقد بَقِىَ على قِدَمِهِ .

وكم كان بودى أن أنشر مادار بين الأستاذين الجليلين العمارى وشاهين من آراء ونقد فى علوم البلاغة دارت رحاها على صفحات مجلة الرسالة لتعيد من تلك الثروة التى تساعد الثقافة وتؤازر صرح البلاغة لكن .. حيث لا متسع فليتتبعها القارىء ـ إذا أراد ـ فى هذه المصادر :

بدأ الكتابة على صفحات الرسالة الأستاذ الدكتور على العمارى المقال الأول فى العدد ٨٦٧ السنة الرابعة عشرة الاثنين ٦ من شوال سنة ١٣٦٥ ـ ٢ من سبتمبر سنة ١٩٤٦ رداً على الأستاذ أمين الخولى بعنوان البلاغة فى الجامعة ، ص ٩٦٧ .

وفى العدد ٦٨٩ الاثنين ٢٠ من شوال سنة ١٣٦٥هـ ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٤٦ ص ١٠٣٩ مؤازرة من الأستاذ على الطنطاوى الأديب السورى المعروف للأستاذ على العمارى .

وعن علوم البلاغة فى الجامعة المقال الثانى العدد ٦٩٠ الاثنين ٢٧ من شوال سنة ١٣٦٥ الموافق ٢٣ من سبتمبر ١٩٤٦ ص ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ وبقية ب ص ١٠٥١ .

وشكر من الأستاذ العمارى للأستاذ الطنطاوى لتأييده ومناصرته فى صفحة البريد الأدبى للرسالة ص ١٠٩٥ العدد ٦٩١ الاثنين ٥ من ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ـ ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٤٦ .

ورد من الأستاذ / كامل شاهين بالرسالة العدد ٦٩٢ الاثنين ١٢ من ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ـ ١٧ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١١١٨ ، ص ١١١٩ بعنوان علوم البلاغة بين القدامى والمحدثين وهو يناصر الأستاذ أمين الخولى ويدافع عنه .

←

← كامل السيد أحمد شاهين

ويتحدث الأستاذ العمارى بالعدد ٦٩٣ الاثنين ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ـ ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١١٣١ بنفس العنوان السابق علوم البلاغة فى الجامعة .

وفى العدد ٦٩٤ الاثنين ٢٦ من ذى القعدة ١٣٦٥ هـ ـ٢١ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١١٦٦ يتحدث الأستاذ العمارى ويرد على نقد مع البلاغيين الذى كتبه الأستاذ كامل شاهين فى عدد الرسالة ٦٩٢ تحت عنوان علوم البلاغة بين القدامى والمحدثين .

وفى العدد ٦٩٦ الاثنين ١٠ من ذى الحجة سنة ١٣٦٥ ـ ٤ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ يرد الأستاذ كامل شاهين على الأستاذ على العمارى بعنوان ردٌ على ردٌ ص ١٢٣٧ .

وفى العدد ٦٩٨ الاثنين ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٣٦٥ ـ ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١٢٨٣ يتحدث الأستاذ شاهين رداً على الأستاذ العمارى بعنوان (موازين البلاغة بين القدامى والمحدثين) .

وفى العدد ٧٠١ الاثنين ١٥ من المحرم سنة ١٣٦٦ ـ ٩ من ديسمبر ١٩٤٦ يتحدث الأستاذ على العمارى بعنوان علوم البلاغة فى الجامعة ص ١٣٥٩ .

وفى العدد ٧٠٣ الاثنين ٢٩ من المحرم سنة ١٣٦٦ هـ ـ ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٦ ص ١٤٢٠ يتحدث الأستاذ العمارى بالعنوان السابق يرد على الأستاذ أمين الخولى وعلى زميله الأستاذ شاهين .

وشاءت الأقدار أخيراً أن يصهر الأستاذ العمارى إلى الأستاذ كامل شاهين ويتزوج أخته ويمتزج العلم بالصداقة والمعرفة بالنسب ويُحكم العلم أواصر المودة والقربى بينهما فتتوثق العرى وتتوطد العلائق ..

علمــه :

كان ـ رحمه الله ـ على نجابة باكرة وعقلية نادرة ، لا شرود بها ولا تفاوت ، وكان أستاذنا الشيخ أحمد شفيع السيد ـ رحمه الله ـ يقول « إننى أسهر الليل وأظله من أجل هذا الطالب » ويقصد : الطالب كامل شاهين ، وكان المتنافسَ معه علمياً الدكتور على العمارى أبقاه الله فكانا معاً فى فصل واحد .

ولقد ظهر علمه المنير وأفقه الواسع فى كتابه العروض المسمى باللباب وأضاءت فسمات نفسه العريضة صفحات الرسالة بما سكبه عليها من علم عاطر وأدب عامر .

اخــلاقــه :

نسيج وحده لجودة رأيه وبعد همته ونبل شيمه ، وما كان ذلك إلا من استجماع لبه وكياسته وكان متديناً إذا ماخلا لنفسه اتجه إلى الله عابداً مصلياً مُنَزِّها مُقَدِّساً ، على صوت خفيض عندما يتحدث وأدب وافر يؤلمك أن تفتقده . عف اللسان غاضا عن العورات .

وفــاتــه :

طواه الردى ـ رحمه الله ـ فى السادسة من صباح غرة ربيع الآخر ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٦٧/٧/٨ . مشيعـا إلى مقـره بـ(البساتين) بين جلة من إخوانه العلماء يتقدمهم زميله وصهره زوج أخته الدكتور على العمارى .

ولفضيلته من الولد أربعة منهم ثلاثة ذكور ، وجميعهم تخرج بعد تعليم جامعى تام رحمه الله وأجزل ثوابه ، ونفعنا بما ترك من تراث جيد رفيع المستوى .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

إلى الرسول

مولد رسول الرحمة

فى رحابك يا رسول الله

إلى الرسول في يوم ميلاده

مدحتك مفتونا بشرعتك الغرا ... وتلك لعمر الحق آيتك الكبرى
وما في يد التاريخ انصع صفحة ... سواها ، ولا أعلى مكانا ولا قدرا
انرت بها الدنيا فلم يكب سائر ... ولا ضل في أنوارها البرُّ والبحرا
وقدمتها للعالمين هداية ... فأرشدت مِدْلاجا وانقذت مضطرا
وحررت مغلولا وقومت مائلا ... وناصرت مغبونا وادبت مغترا
فأخرجت للدنيا صناديد قادة ... إذا مادجا ليل الورى طلعوا زُهْرا

✪ ✪ ✪

وُلدت يتيما لم تُمتَّع بوالد ... يراك على هام الدنا ابنه البكرا
وَودَّعت أُمًّا فارقتك حبيبة ... فيالمصاب فادح يقصم الظهرا
وفى ظل بيت الله عشت طفولة ... قد امتلأت نُبْلا وقد عبقت طهرا
ولم ترض ان تحيا على الناس عالة ... وفى العمل الخلاق ما يجلب الخيرا
فتاجرت في مال الطهور خديجة ... فباركتها ربحا واعليتها ذكرا
وفى رعيك الأغنام درس مهذب ... يعلمنا فن السياسة والصبرا
واى جلال عم اغنامك التى ... إذا قورنت ازرت بقيصر أو كسرى

✪ ✪ ✪

وفكرت في دنيا عجيب مذاقها ... فآنا تُرى شهدا وآونة مرا ..
وابصرت ارضا افرخ الشر فوقها ... وقد أشْعلت حربا وقد اظلمت جورا
ووادّ بنات ما اقترفن خطيئة ... وَخَمْرًا اضاعت عقل من شرب الخمرا
لقد خالط الجدب العقول فأجدبت ... الم ترهم من جدبهم عبدوا الصخرا

● الشاعر : موجه التربية الدينية بالتعليم الثانوى بمنطقة شبرا التعليمية .

للشاعر: أحمد المنشاوى الوردانى

وفى الغار حيث الصمت والأمن وارف — تطلعت نحو الأفق تنتظر الفجرا
فضاءت بأفق الغار أَوَّلُ آية — بدأت بها فى كل مكرمة عصرا
وسرت بها فى البيد غيثا فأزهرت — وتاهت على روض الربى تلكم الصحرا
ولم تعد البيداء كهف مجانة — وقد سارت الآيات فى رحبها طهرا

٭ ٭ ٭

حملتَ من الرحمن خير رسالة — إلى عالم يستمرىء الشرك والكفرا
وأوذيت لم تعبأ ومن يحمل الهدى — فأهون شىء أن يرى الكيد والمكرا
وجمعت بالحب المقدس أنفسا — وَأَدّبْتَ لم تنطق سفاها ولا هجرا
وصنت على الأرض السلام بجحفل — يَرُدُّ ربيب الشر عن قصده قسرا
وما السلم إلا قوة مستعدة — تصون على الأحرار حصنهم الحرا
فمن نام فى مرعى الذئاب اقْتَنَصْنَهُ — وأنشبن فى أحشائه الناب والظفرا
لك المعجزات الخالدات على المدى — بتعميرها تعطى لأمجادنا عمرا
فهذا كتاب الله أعلى منارة — تقوم به الدنيا وتسمو به الأخرى
كتاب تحدى العالمين بيانه — عجائبه فى كل آونة تترى
وماضر اهل الأرض أن يهتدوا به — ويتخذوا من آيِهِ النهى والأمرا
إذا لم يكن إلاه ذكرى لأحمد — فما أعظم الهادى وما أطيب الذكرى
محمدُ ياخير الهداة ، لوت بنا — حوادث عاقتنا فلم نكمل السيرا
ومن قبل كنا سادة الناس كلهم — لنا العزة القعساء والنهضة الكبرى
تعلم منا الغرب من بعد جهله — ومِنْ عِلْمِنَا قد جاز أيامَهُ الغبرا
علوتَ على هام الكواكب ساريا — على مركب لا يعرف المد والجزرا
لعل بذِكْرَاكَ الكريمة يقظة — تحرك موتانا وتصهرهم صهرا
ليسترجعوا الماضى المجيد ويبتنوا — على صرحه مجدا يخلدهم ذكرا
ويرتفعوا فوق الخلاف ويلتقوا — ليأسوا جراحات بهم نغرت نغرا
ففيها لمن يبغى الكمال معارج — وفيها لمن ينسى معالمه ذكرى

مولد رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم

عمر عمران أحمد

من فيض نُورِك قد قَبَسْتُ بيانى ... وبطيب رَوْضِك غَرَّدتْ ألحانى
الروح فاز بنفحة علوية ... وسخا العطاء وزيد فى الإحسان
هاأنت فى ساح النبوة تجتلى ... وجه الهدى فى واحة الإيمان
من لى ونفسى تشتفى بحبيبها ... من لى سواه مطهرا أدرانى
الحب فى هذى البرية علة ... والحب فيك ذخائر ومعانى
ولئن تعذب فى المحبة عاشق ... فأنا السعيد بحبك المتدانى
إن كنت أظفر بالرضاء فإنه ... زاد الطريق ومرفأ الحيران
ولئن أويت إلى رحابك إننى ... ذو حظوة بخمائل الرضوان

⁂

النور يومض للأنام بشدة ... أمل السفين وطلعة الربان
وقفت له الأفلاك فى دوراتها ... والكون ثاب وأطرق الثقلان
ولد البشير فيا لها من ليلة ... غراء تسطع فى رُبَا الأكوان
تصبو السماء إليه وهى حفية ... وتناقلته ملائك الرحمن
وازدانت الدنيا وكل بقاعها ... نشوى تُبَارِكُ مقدم العدنانى
وضعته آمنة برفق لم تصب ... ألما كما يلقى بنو الإنسان
حُمِل الوليدُ لجده فتهللت ... منه الرؤى وتندت العينان

⁂

لك يانبى الله جئتك لائذا ... أَسْعِدْ بقربك طالبَ الغفران
لازال مولدك الشريف لنا هدى ... ومواعظاً دفاقة البرهان
وليذكر التاريخ مولد أحمد ... بالفخر والإجلال والعرفان

في رحابك يا رسول الله

صلى الله عليه وسلم

نور نافع

أَثقلتْهـا حرقــةُ النــدمِ — مهجةً تسعى على قدمِ
قد براها الوجد وانزلقت — ساقها من سيله العرم
كلما قامت تساقط من — بعضها بَعْضٌ ولم يقم
فإذا ما عندكم وصلت — فهي أوصال من العدم
خذ يديها يارسول بها — حبل ود غير منفصم
بين فوج جاء مقتحما — ثم فوج غير مقتحم
أين كأس يارسول لنا — أين وصل الزهر بالدِّيَم ؟
قل وعفوا إن طلبت لها — من سماء العارض العمم
جئتِ بالوعثاء فاغتسلي — جئت للمعصوم فاعتصمي
ياأبا الزهراء ليت لها — حين تسعى موضع القدم
ياحبيبي والهوى ذمم — هل ترى وفيت بالذمم ؟

من روائع الماضى

فضيلة كتمان السر

فضيلة من أسمى الفضائل . وخصلة من أكرم الخصال . تلك هى خاصية (كتمان السر) تقى الإنسان عثرات علاقته بالمجتمع ، وتحميه من السنة القيل والقال : قال الكاتب ـ رحمه الله :

عن ثابت بن أسلم البنانى ، عن أنس رضى الله عنه قال : « أتى علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجته ، فأبطأت على أمى ؛ فلما جئت قالت : ماحبسك ؟ قلت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة . قالت : ماحاجته ؟ قلت : إنها سر ، قالت : لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . قال أنس : والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به ياثابت » رواه مسلم[1] .

***

خلة من خلال المروءة والنبل ، وآية من آى الشرف والعقل ، وسمة من سمات المجد والرشد : تلك هى صيانة السر ، والمبالغة فى كتمانه ، والحرص عليه أن يمس .

وحسبك دليلًا على منزلة هذه الخصلة فى قلوب الناس قاطبة ، إجماعهم على امتداح صاحبها ، ووزنهم عقل الرجل وشرفه ، وهمته ومروءته ، بميزان حفظه للسر ودفنه له ؛ وقديماً قالوا : « صدور الأحرار قبور الأسرار » .

ومما لا ريب فيه أن الناس على حفظ الأموال أقدر منهم وآمن على حفظ الأسرار ، فليس كل أمين على المال حفيظاً على السر ؛

ولذا يبلغ المرء من الجهد والنصب فى تخير من يستودعه مكنون سره ، مالا يبلغ معشاره فيمن يستودعه نفيس ماله ؛ ويخاف على سره أن يذاع ، أكثر مما يخاف على ماله الضياع ؛ لأن المال غاد ورائح ، وأما السر

(١) وروى البخارى بعضه مختصراً .

لفضيلة الأستاذ الشيخ : طــه الســاكت
إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

فقد يكون فى إفشائه إزهاق روح أو تمزيق عرض .

***

وأولى الناس بأن يقدر هذه الفضيلة قدرها ، من تربوا فى حجر النبوة ، أو تأدبوا بآدابها ، واقتبسوا من نورها .

وهذه قصة رائعة فى كتمان السر ، يقصها ثابت البنانى عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وثابت هذا من سادة التابعين علما وفضلا ، وعبادة ونبلا ، وكان أثيراً لدى أنس ومقربا عنده ، يفضى إليه بذات نفسه ، ويبثه مكنون صدره ، ويختصه بأكثر ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القصة بينة جلية ، غنية عن البسط والشرح ، وإن تكن موجزة فهى ، على وجازتها ، ترجمة واضحة لمثل عليا فى أخلاق الخادم ومخدومه .

ففيها رفق المخدوم بخادمه ، والتخلية بينه وبين لداته وأترابه ، يلعب معهم لعبا طاهراً بريئا . وفيها الاهتشاش للصبيان والخدم ، وإيناسهم ، وتفريحهم بالتسليم والتحية . وفيها نباهة الخادم وحذقه ، وكتمانه سر مخدومه ، حياً وميتاً ، عن أقرب الناس إليه ، وأكرمهم لديه .

وموضع العجب فى خلق أنس ونبله ، أن يكتم حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] دون أن يستكتمه إياها ، ولو استكتمه لا عتذر بذلك لأمه ؛ وأجمل من هذا وأعجب ، أن يضبط نفسه وهو لا يزال يلعب مع الصبيان ، على حين يتطوع بالأسرار كثير من الشيوخ والشبان .

ولله در أم سليم[٣] ما أعظم تربيتها ، وأجل مدرستها[٤] وأكرم وصاتها لابنها ألا يخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا كائنا من كان ؛ لا جرم أنها فرحت بأن يكون ابنها موضع ثقة الرسول الأكرم ، فأحبت أن يزداد عنده ثقة وحبا ؛ ومن أحظى وأسعد ممن وثق به المعصوم وأحبه ؟!

لقد كانت أم سليم صادقة الفراسة ، كريمة الهبة ، إذ أتت بابنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه إلى المدينة وهو غلام حدث ، فقالت : يارسول الله هذا أنيس ، غلام يخدمك ، فادع الله له ؛ فدعا له وقبله . ولقد صدق فراستها أنه خدم النبى صلى الله عليه

(٢) قال شراح الحديث : هى حاجة من حاج بيته صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت من العلم ماوسع أنسا كتمانها .
(٣) اشتهرت بكنيتها هذه ، حتى كأنها اسمها لا تعرف بغيره ؛ وليس لها ولد يدعى سليما . وهى وابنها أنس وزوجها أبو طلحة وابنها عبد الله بن ابى طلحة من أعظم بيوتات الانصار شرفا وفضلا ، وحسبك أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يدخل بيتا بعد بيوت ازواجه غير بيت ام سليم ، فقيل له ؛ فقال إنى أرحمها ! قتل أخوها وأبوها معى !
(٤) إشارة إلى بيت حافظ إبراهيم وهو مشهور .

وسلم عشر سنين ، مقامه بالمدينة ، فما قال له أف قط ، ولا لشيء صنعه لم صنعته ؟ ولا لشيء تركه لم تركته ؟!

ذلك مثل من الطراز الأول فى الأمومة وتربيتها ، والبنوة وأدبها ، إلى جانب النموذج الأسمى فى حفظ السر وكتمانه .

***

ومثال آخر لا يقل عن سابقه جلالا وروعة ، فى كتمان السر وإن لم يستكتم ، يرويه البخارى عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما قال : لما تأيّمت حفصة من خُنيس بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد شهد بدراً ، توفى بالمدينة ـ لقيتُ عثمان بن عفان ، فعرضتُ عليه حفصة فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ؛ قال : سأنظر فى أمرى ، فلبثت ليالى ، فقال : قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا . قال عمر : فلقيت أبا بكر فقلت : إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلى شيئا ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبثت ليالى ، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه ؛ فلقينى أبو بكر فقال : لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أنى قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لقبلتها .

وموضع العبرة فى هذا المثال أن الصديق لو أجاب الفاروق لكان مفتاتا على النبى صلى الله عليه وسلم ، بل لكان مسيئا إلى حفصة وأبيها ؛ لأن دخولها فى حظيرة أمهات المؤمنين لايعدله شيء بعد الإيمان بالله ورسوله أما التعريض بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما تهابه السنة المؤمنين ، فضلاً عن سيد الصديقين ؛ على أن عدوله صلى الله عليه وسلم عنها كان محتملاً ، فلو أن أبا بكر اذاع بالسر أو عرَّض به ، ثم رغب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأخذ عمر من الهم والغم ، وهو الجلد الشجاع ، مالا قبل له باحتماله ! فليصمت الصديق إذاً ، وليؤثر الصمت ، إذا كان هو الحزم والكيْس ، على وجد الفاروق وغضبه ، حتى يقضى الله أمره .

وقد خار الله لعثمان ، وعمر وابنته جميعا ، فزوج ذا النورين خيراً من حفصة ، أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان عثمان قد تأيم من شقيقتها رقية ؛ وزوّج حفصة خيراً من أبى بكر ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ .

ولم يجد أبو بكر فى نفسه حرجا بعد أن أعلن النبى صلى الله عليه وسلم خطبته ، أن يعتذر لصديقه الذى عتب عليه وغضب ، لأنه لم يحر عند السؤال جوابا ، وتركه فى حيرة من أمره ؛ بل رأى حقا عليه فى باب المكارم أن يزيل مافى نفسه بإبداء المعذرة واضحة صادقة .

***

ومن هذا الطراز فى كتمان السر إلى أن يحين إبانه ، قصة الزهراء مع الصديقة رضى

الله عنهما : روى الشيخان عن عائشة قالت : كنَّ أزواجُ النبى صلى الله عليه وسلم عنده ، لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشى ، القرآن مرتين ، بعد أن كان جبريل يدارسه كل عام مرة فحسب ؛ وعلم أن سيكون أشد الناس حزناً عليه هى ابنته فاطمة التى لم يترك من بعده ذرية سواها ؛ فأحب أن يهوّن عليها وقع المصيبة الجلى رحمة بها وحنانا ؛ فلما جزعت بشّرها بأنها أقرب أهل بيته لحوقا به ، كما فى إحدى روايات مسلم ، وبأنها سيدة نساء المؤمنين فى الجنة .

فطنت الزهراء إلى أن مناجاة أبيها لها بهذا الحديث من الأسرار الخطيرة التى لابد من كتمانها فى حياته ، وإلا فلِمَ خصها بالنجوى دون أزواجه ؟

وعبثا حاولت الصديقة من بين أمهات المؤمنين أن تلج باب هذا السر ، لأن الزهراء ـ وهى أكرم ابنه لأعظم أب ـ قد أغلقته فأحكمت إغلاقه ، حتى إذا قضى الله قضاءه فتحته إذ لمتجد فى فتحه ضرراً ، بل رأت فيه نفعاً وخيراً . ومن هذا استنبط العلماء أن من السر مايجوز إظهاره ، وقد يستحب ، إذا انتهى أجله ، وقصدت المصلحة من وراء إعلانه ؛ وقد يجب إظهاره إذا كان وصية

بخير ، أو قضاء لدين أو أداء لحق ؛ وأما إذا لم يكن فى إظهاره مصلحة ، فمن الخير والإيمان أن يكتم أبداً ولو مات صاحبه .

هذه ثلاثة أمثلة من النماذج العليا فى كتمان السر ، فى كل واحد منها هدى لمن أراد أن يكون للأسرار كتوماً ، وللمروءات أهلا ، وللثقة والمكارم موضعا .

ماتخطىء مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فلما رآها رحب بها فقال : مرحباً بابنتى ! ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ؛ ثم سارها فبكت بكاء شديداً ؛ فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت . فقلت لها : خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسِّرار ، ثم أنت تبكين ؟ فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها : ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ماكنت أفشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره . قالت : فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما حدثتنى ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) ؛ فقالت : أما الآن فنعم . أما حين سارنى فى المرة الأولى فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن(٦) فى كل سنة مرة ، وأنه عارضه الآن مرتين ، وإنى لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله واصبرى ، فإنه نعم السلف أنا لك ! قالت فبكيت بكائى الذى رأيت ! فلما رأى جزعى سارنى الثانية ، فقال : يافاطمة ، أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ قالت : فضحكت ضحكى الذى رأيت .

رأى النبى صلى الله عليه وسلم أمارات تدل على اقتراب أجله ، ومنها مدارسته

(٥) تقول اقسمت عليك لما فعلت كذا اى إلا فعلت .

(٦) اى يدارسه إياه ، فيقرأ جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم يتابعه .

العلوم الكونية

أشعة الليزر ومجالات استخدامها

فى ٧ مايو عام ١٩٦٠ أعلن « تيودور مايمان » فى « مؤتمر أخبار نيويورك » عن اكتشافه لأول جهاز « ليزر » كمصدر جديد للضوء المركّز . ولم تمض بضع سنوات على هذا الاكتشاف حتى ظهرت آثاره الهائلة على حركة التقدم العلمى والتقنى فى مختلف المجالات ، ولا يكاد يمر يوم حتى نسمع عن طفرة علمية هنا أو هناك يكون لتقنية الليزر فيها دور كبير .

فما الأساس النظرى لعمل هذا المصدر ؟

وما طبيعة الأشعة الصادرة عنه ؟

وما آفاق استخداماته فى الحاضر والمستقبل ؟

نظرية عمل الليزر :

من المعروف أن الطابع الديناميكى لتقدم العلوم يتحقق بتواصل جهود العلماء وتنافسهم فى السبق إلى كشوف علمية جديدة ، وأن عملية التصحيح المستمرة لمسار المعرفة العلمية تتم بتراكم المعارف والخبرات عبر تاريخ طويل ، حتى تصل إلى الدرجة التى تسمح معها وقائع جديدة بظهور كشف علمى خطير ، على أنقاض معلومات نظرية وتجريبية قديمة . ومن يتتبع مراحل التطور التاريخى لنظرية الضوء بصورة عامة سوف يجد أن اكتشاف أشعة الليزر على يد مايمان فى عام ١٩٦٠ كان سيصبح مستحيلاً بدون مشوار طويل بدأه علماء الإغريق ، ثم تلاهم علماء الحضارة الإسلامية وفى مقدمتهم الحسن بن الهيثم مؤسس علم البصريات التجريبى ، ثم تتابعت جهود العلماء بعد ذلك فى عصر النهضة الأوربية الحديثة حتى توافرت معلومات أساسية هامة عن الذرات ومستويات طاقاتها وسلوكها وتطور نماذجها ونظرياتها .

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

وبقدوم عام ١٩٠٠ كان العالم المعروف « ماكس بلانك » قد توصل إلى نظرية جديدة من دراسته لتفسير توزيع الطاقة الإشعاعية الصادرة عن الأجسام الساخنة غير العاكسة المسماةُ « الأجسام السوداء » . وتقضى نظرية بلانك هذه بأن بعض الكميات الفيزيائية كالطاقة والشحنة تتخذ (قيما صغيرة غير متصلة) تسمى كمّات Quanta ، تزداد أو تنقص ، بالامتصاص أو الإشعاع ، بقيم غير متصلة أيضاً . وفى عام ١٩١٣ استخدم العالم الدانمركى « نيلز بور » نظرية (الكم الجديدة The quantum theory) لتفسير ابتعاث الضوء من الذرات بافتراض أن الإلكترونات التى تدور حول نواة الذرة لها مدارات مستقرة لا تشع فيها طاقة أثناء الدوران ، ويحدث الإشعاع فقط عندما ينتقل الإلكترون من مدارات ذات مستويات طاقة أعلى إلى مدارات ذات مستويات طاقة أقل . فعندما تكتسب الذرة طاقة من مصدر خارجى فإن إلكترون أو أكثر ينتقل من مداره المستقر إلى مدار أعلى غير مستقر ، وتكون الذرة حينئذ فى حالة مثارة Excited state ، ولكى تعود الذرة إلى حالة الاستقرار الأصلية Ground state فإن عليها أن تفقد تلقائياً ما اكتسبته من طاقة زائدة وذلك على شكل ضوء مكون من كمّات تعرف باسم « الفوتونات » Photons ويطلق على هذا النوع من الانبعاث الإشعاعى اسم « الانبعاث التلقائى » Spon-taneous emission . وفى عام ١٩١٧ افترض « أينشتين » أن الفوتون الذى سيتحرر تلقائياً من ذرة مثارة يمكنه أن يؤثر على ذرة أخرى مثارة ، ويحثها على أن تعود إلى حالتها المستقرة بإطلاق فوتون آخر له نفس طاقة الفوتون الأصلى ونفس طوره وطوله الموجى ، ويواصل الفوتونان انتشارهما معاً متلازمين فى نفس الاتجاه لكى يحثّا ذرات أخرى على إطلاق فوتونات إضافية تلحق بهما على نفس المنوال فى نظام متتابع . وبذلك تؤدى (فرضية) أينشتين إلى أن الضوء المنبعث بهذه الطريقة يكون ذا شدة عالية نتيجة لتداخل الفوتونات المكونة له ـ والتى لها نفس التردد والطور ـ تداخلاً بنائياً . وهذا النوع من الانبعاث الإشعاعى هو الشرط الضرورى لتوليد ماعرف بعد ذلك باسم أشعة الليـزر ، ويطلق عليه اسم « الانبعـاث المحثوث » Stimulated emission لكنه بدوره يحتاج إلى ظروف خاصة لتحقيقه عمليا .

ويمكن تبسيط النظرية الحديثة لعمل أجهزة الليزر بأن نفترض نظاماً معيناً من الذرات الموزعة فى مستويين فقط للطاقة :

أحدهما : هو مستوى الحالة المستقرة ، أو المستوى الأدنى .

والآخر : يمثل مستوى الحالة المثارة ولكى تنتقل ذرة ما من حالتها المستقرة إلى حالتها المثارة فإن ذلك يتطلب امتصاص فوتون

←

ضوئى طاقته تساوى الفرق بين طاقتى المستويين . وتحت ظروف الاتزان الحرارى Thermal equilibrium يتم توزيع الذرات بين المستويين طبقاً لقانون (ماكسويل - بولتزمان) ويكون عدد الذرات فى مستوى الطاقة الأدنى أكبر من عددها فى مستوى الحالة المثارة . وعندما تتعرض مجموعة من الذرات وهى فى هذه الحالة لفوتونات من الضوء ذات طاقة مساوية للفرق بين طاقتى المستويين فإنه يحدث أن تمتص بعض الذرات غير المثارة طاقة إضافية من فوتونات الضوء الساقط وتنتقل إلى مستوى الحالة المثارة ، كما يحدث أن بعض الفوتونات الساقطة قد تحثّ أو تحفز بعض الذرات المثارة على أن تهبط إلى المستوى الأدنى ، وينبعث نتيجة لذلك فوتون له نَفْسُ تردد وطور الفوتونات الأصلية الساقطة على النظام ، مما يعمل على زيادة شدّتها . وبتكرار عملية الإثارة والانبعاث المحثوث يتضخم الضوء وتنطلق أشعة الليزر على شكل حزمة رفيعة جداً لها طول موجى معين .

يتضح مما سبق أن تضخيم الضوء يتطلب أن تطغى عملية الانبعاث المحثوث للفوتونات على عملية الامتصاص ، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا انعكس توزيع الذرات فى النظام بحيث يكون عددها فى مستوى الحالة المثارة أكبر منه فى مستوى الطاقة الأدنى ، ويحدث مايسمى بحالة التوزيع « السكانى » العكسى أو المعكوس Inverted population .

لكن هذه الحالة غير طبيعية ولا تحدث تحت ظروف التوازن الحرارى إلا إذا كان نظام الذرات المستخدم ذا ثلاثة مستويات للطاقة Three - level system بدلاً من مستويين .

أحد هذه المستويات الثلاثة هو مستوى الطاقة الأدنى .

والثانى : هو مستوى الإثارة لعملية التوزيع العكسى .

والثالث:هو مستوى إثارة أعلى لا تدوم فيه الذرة إلا برهة قصيرة جداً بالمقارنة بفترة دوامها فى المستوى الثانى . بالإضافة إلى توافر وجود المستويات الثلاثة يجب القيام بعملية ضخ Pumping للطاقة ضوئياً أو كهربياً أو كيمائياً أو حرارياً - على حسب نوع الليزر - لكى يستمر تراكم الذرات فى مستوى الإثارة المطلوب .

هذا الضخ من شأنه أن يؤدى إلى رفع الذرات من المستوى الأدنى إلى مستوى الإثارة الأعلى ، ثم لا تلبث هذه الذرات أن تعود تلقائياً إلى مستوى الطاقة المطلوب لتتراكم هناك ويتحقق التوزيع « السكانى » العكسى .

ومن الناحية العملية يجب أن يتم اختيار نظام الذرات ذى المستويات الثلاثة للطاقة بدقة فائقة بحيث يكون معدل العودة التلقائية إلى مستوى الإثارة المطلوب لعملية التوزيع العكسى أكبر بكثير من معدل الهبوط إلى المستوى الأدنى .

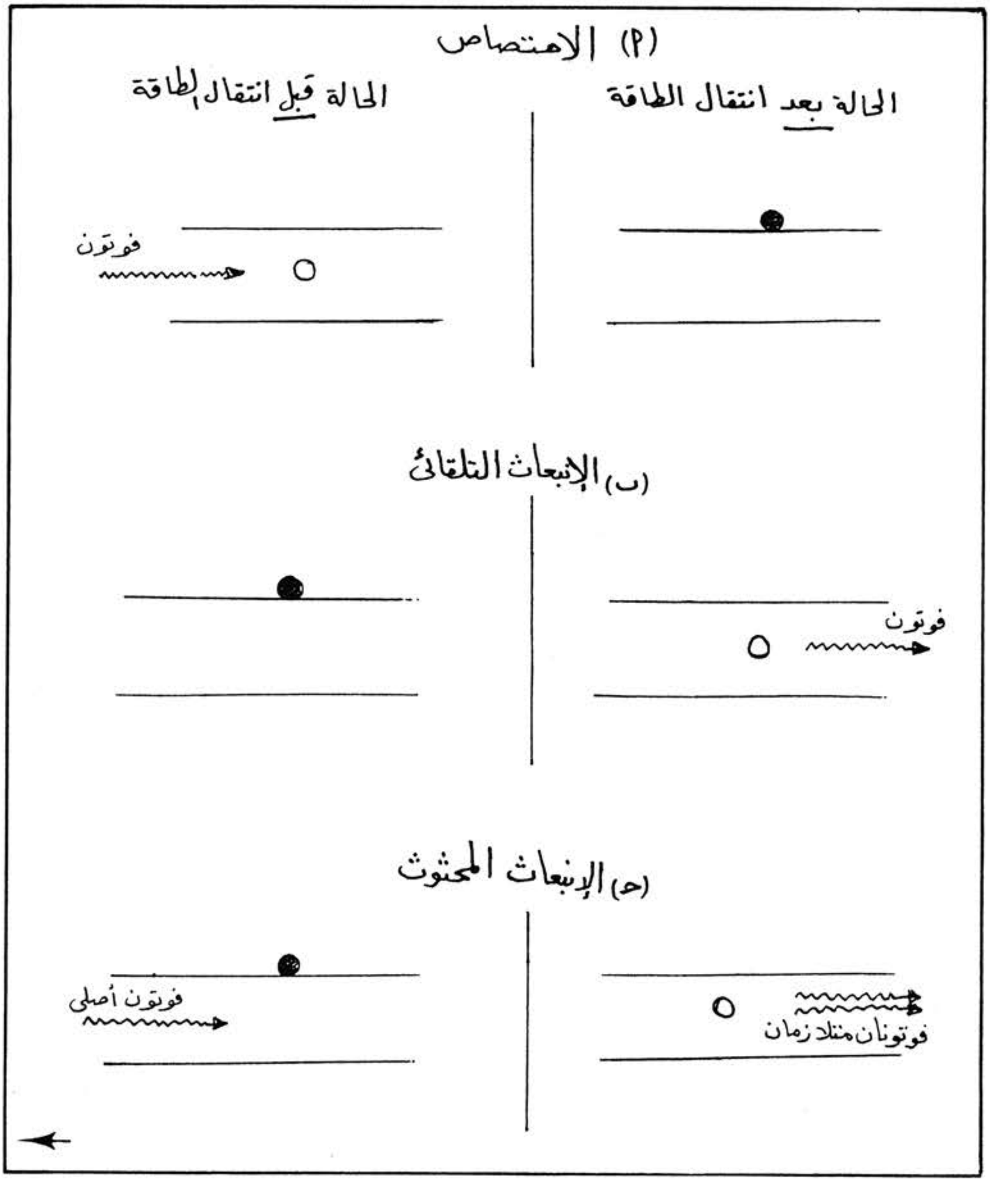

رسم يوضح الفرق بين الامتصاص والانبعاث التلقائى والانبعاث المحثوث قبل وبعد انتقال الطاقة بين مستويين .

انواع أجهزة الليزر :

تجدر الإشارة إلى أن اسم « الليزر » يطلق على الجهاز الذى يولد حزمة ضوئية مضخمة بطريقة الحث . وكلمة « ليزر » هى التعريب

أشعة الليزر

المتفق عليه للأصل الانجليزى Laser المستخدم فى معظم اللغات والذى يجمع الأحرف الأولى للعبارة الانجليزية :

« Light Amplification by the Stimulated Emission of Radiation »

وهى تعنى حرفيا تضخيم الضوء بطريقة الانبعاث المحثوث للإشعاع . ومنذ اكتشاف (مايمان) لأوَّلِ (ليزر) حتى الآن ظهرت أنواع عديدة لأجهزة الليزر نورد أمثلة لها فيما يلى :

١ ـ الليزر الياقوتى النابض Pulsed Ruby Laser :

هذا هو أول ليزر أنتجه (مايمان) مستخدماً بللورة ياقوت أحادية على شكل أسطوانة طولها بضعة سنتيمترات . يتكون الياقوت من أكسيد الألومنيوم مضافاً إليه أكسيد الكروم بنسبة (٠,٠٥) فى المائة (بالوزن) . تصقل نهايتا البللورة بحيث تكونان متوازيتين ومستويتين ، ثم تفضض إحدى النهايتين تفضيضاً كاملاً بينما تفضض الأخرى جزئيـاً بحيث يُسمح لانعكاس بعض الضوء ونفاذ بعضه الآخر . يستخدم مصباح تفريغ ذو قدرة عالية ليقوم بعملية الضخ وتسبب إضاءته الشديدة إثارة ذرات الكروم وحدوث التوزيع « السكانى » المعكوس . وعندما تعود الذرات المثارة إلى المستوى الأدنى ينبعث ضوء أحادى اللون طوله الموجى (٦٩٤٣) أنجستروم(*) ويقع فى منطقة الضوء الأحمر من الطيف المرئى ، ويعزى إليه تألق بللورة الياقوت باللون الأحمر . يمكن لهذه الفوتونات المنبعثة تلقائياً أن تبدأ عملية الحث ، وتولد الانعكاسات المتتالية بين نهايتى بللورة الياقوت تفاعلاً متسلسلاً يسفر عن تضخيم الضوء لدرجة تجعله ينطلق على شكل نبضات Pulses ضوئية شديدة .

إن الليزر الياقوتى لا يعمل إلا بشكل متقطع وذلك لأن عملية الضخ الضوئية لا يمكن أن تحدث إلا بصورة ومضات وأن الحرارة المنتشرة فى بللورة الياقوت تحتاج إلى وقت كاف لكى تتبدّد . ولقد أدخلت بعد ذلك تعديلات على الليزر الياقوتى زادت من القدرة العظمى للنبضات العملاقة التى يصدرها بحيث وصلت إلى أكثر من ٢٥ تيراوات(**) .

٢ ـ الليزر الغازى Gas Laser :

وفيه يستخدم خليط من غازى : الهليوم والنيون فى الحصول على أشعة ليزر متصلة ذات قدرة صغيرة لا تتعدى بضعة ميلى واتات . وفى هذا النوع من أجهزة الليزر يتم ضخ الطاقة كهربياً بواسطة التفريغ الكهربى Electric discharge الذى يؤدى إلى توزيع ذرات النيون فى مستويات الإثارة الممكنة حتى يتحقق التوزيع « السكانى » المعكوس ويشرع الليزر فى العمل دون توقف طالما أن عملية التفريغ الكهربى لا تزال مستمرة . وتنتقل الحزمة الضوئية فى أنبوبة الغاز جيئة وذهاباً

البقية ص ٣٥٥

(*) الانجستروم يساوى جزءاً من مائة مليون من السنتيمتر .

(**) التيراوات يساوى مليون مليون وات .

اللغة والأدب والنقد

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث

حمزة والإسلام..

بطولة عقيدة

إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

٥

نواصل فى هذه الحلقة الخامسة العمل الإحصائى الذى نتتبع فيه ما اورده إمام النحاة فى كتابه من احاديث قدمها بدون نسبة ، او تغير فى اللفظ ، محاولين كشف حقيقة موقفه من هذه القضية ..

الحديث الثامن :

قال سيبويه فى باب مايضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف حيث قال : « وذلك قولك : الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والمرء مقتول بما قَتلَ به إن خنجراً فخنجر ، وإن سيفا فسيف » وإن شئت أظهرت فقلت : إن كان خنجراً فخنجر ، وإن كان شرا فشر ، كأنه قال : « إن كان الذى عمل خيراً جزى خيراً » أو « كان خيراً » و« إن كان الذى قَتَل به خنجراً كان الذي يُقْتَل به خنجرا » والرفع اكثر واحسن فى الآخر ، لأنك إذا ادخلت الفاء فى جواب الجزاء ، استأنفت مابعدها ، وحسن ان يقع بعدها الأسماء ... »[١] .

تحليل هذا النص وتوثيقه :

شاع الاستشهاد بالجزء الأول من هذا الحديث بين النحاة المتأخرين ، وبخاصة ابن مالك الذى نص على أنه حديث .

قال فى كتابه الكافية الشافية فى سياق الحديث عن حذف « كان » مع اسمها : وفى الحديث « المرء مجزى بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » وفيه أربعة أوجه ، هذا اجودها ، وتقديره : إن كان عمله خيراً ، فجزاؤه خيراً »[٢] .

وقال فى شواهد التوضيح فى الموضوع نفسه : « وحذف كان واسمها ، وبقاء خبرها كثير فى نثر الكلام ونظمه ، فمن النثر قول النبى صلى الله عليه وسلم ، « المرء مجزى

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٥٢ بولاق .

(٢) الكافية الشافية جـ١ ص ٤١٨ ، ص ٤١٩ .

للأستاذ الدكتور
سيد رزق الطويل

بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » . أى إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير ، وإن كان عمله شراً فجزاؤه شر »[3] .

استشهد ابن مالك فى هذين الموضعين بهذا الجزء من الحديث على ماستشهد به سيبويه ، مع اختلاف فى لفظ الحديث لا يتغير معه موطن الشاهد ، فعلى رواية سيبويه « الناس مجزيون » وعلى رواية ابن مالك « المرء مجزى » كما نلحظ أن ابن مالك فى الموضعين أشار إلى أنه حديث شريف .

أما تخريج هذا الحديث :

فقد جاء فى مختصر المقاصد ص ٢٠٥ برقم « ١١٣٣ » ذكر الحديث بهذا اللفظ ، وقال : ورد عن ابن عباس موقوفاً .

وقال صاحب كشف الخفاء جـ١ ص ٣٩٨ تحت حديث : « الجزاء من جنس العمل » : وقع فى كتب النحاة كشروح الألفية ، وتوضيحها : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » .

وكأن صاحب كشف الخفا لا يراه حديثا ، ويؤيد ذلك ماجاء فى مختصر المقاصد من أنه موقوف على ابن عباس رضى الله عنهما .

الحديث التاسع :

قال سيبويه : « وأما حيهل التى للأمر فمن شيئين ، يدلك على ذلك « حى على الصلاة » وزعم أبو الخطاب أنه سمع من يقول « حىّ هلَ الصلاة »[4] .

ورد فى هذا النص جزء من حديث شريف رواه البخارى فى باب الأذان ، ورواه مسلم فى صحيحه باب الأذان أيضاً جـ١ ص ٢ ص ٢٨٧ .

وتردد الاستشهاد بهذا الجزء من الحديث فى كتب النحو بعد سيبويه .

ونلحظ أن سيبويه يعزز استشهاده بنقل من الأخفش الكبير أبى الخطاب يذكر فيه أنه سمع هذه العبارة من العرب الفصحاء دون أن يشير إلى أنه حديث ، وهى بلا ريب عبارة إسلامية ، وفى أغلب الظن جزء من حديث .

الحديث العاشر :

قال سيبويه فى باب « ماينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام ، أو لم يكن على إضمار الفعل المتروك إظهاره » : « ومن ذلك قول بعض العرب : أغُدَّةً كغُدَّةِ البعير ، وموتا فى بيت سلولية » ؟ أى أأُغَدُّ غُدَّةً كغدةِ البعير وأموت موتا فى بيت سلولية »[5] .

أخرج البخارى هذه العبارة بهذا النص « غدةٌ » بالرفع من غير استفهام مع الأحاديث فى باب غزوة الرجيع ، على لسان عامر بن الطفيل »[6] .

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ٧١ ، ت محمد فؤاد عبد الباقى ـ م لجنة البيان العربى ـ القاهرة ١٩٥٧م .

(٤) الكتاب جـ٣ ص ٣٠٠ (هارون) .

(٥) الكتاب جـ١ ص ٣٢٨ (هارون) .

(٦) عامر بن الطفيل ، كان سيد بنى عامر فى الجاهلية ، اسلم ثم ارتد ، فدعا عليه الرسول الكريم هو واربد بن قيس اخو لبيد لأمه فقال : « اللهم اكفينهما بما شئت » ، فأنزل الله على أربد صاعقة ، وأخذت عامرا الغدة ، مجمع الأمثال للميدانى جـ٢ ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

وقد استشهد السهيلي بهذا الجزء من الحديث فيما استشهد به سيبويه .

قال السهيلي (٥٨١هـ) : وأما قول عامر بن الطفيل « أغُدَّةً كغدّةِ البعير » ؟ فقد أورده سيبويه فى كتابه ، فقال : « أغدة كغدّة البعير ، وموتا فى بيت سلولية » ؟ وحيلة سيبويه من باب المصادر المنتصبة بالأمثال المختزلة التى لا يجوز إظهارها لقيام المنصوبات مقامها فكأنه قال : « أأُغَدُّ غُدَّةً » ؟ و« أأموت موتا فى بيت سلولية »(٧) .

تقول الدكتورة خديجة الحديثى : ولما كان هذا القول منسوباً إلى عامر بن الطفيل وليس من الحديث النبوى فهو خارج عن الاحتجاج بالحديث ، لكنه قول من أقوال العرب الذين يحتج بكلامهم لكونه ممن عاش فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من فصحاء العرب وسادتهم »(٨) .

وهذا الحكم محل مناقشة :

ذلك لأن الحديث الشريف فيه من كلام الصحابى الذى روى ، فقد يصف شيئا ، أو يقص حدثا أو يحكى واقعة ، وفيها عبارات وكلمات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينظر لمجموع ذلك على أنه حديث ، ومن هنا أخرجه البخارى فى باب غزوة الرجيع .

فإذا وثقنا فى النص المرويّ نثق به بكل تفصيلاته ، والاحتجاج بأى جزء منه يعد احتجاجا بالحديث ، لأنه فى جو الحديث وفى سياقه .

ولم يقل أحد بأن المقصود بالحديث هو الأجزاء التى هى من « قيل » رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو قلنا بهذا للزم أن نخرج الأحاديث التى تتناول أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصف تقريراته .

على أن هذا الجزء من الحديث ذكره سيبويه باعتباره قولاً مسموعاً من العرب ، وعلى هذا النهج استشهد به السهيلى فى القرن السادس ، وهذه خطة سيبويه فى كل ماتناوله من الأحاديث كما أسلفنا .

الحديث الحادى عشر :

يقول سيبويه فى باب « تسمية المذكر بالمؤنث » : واعلم أنك إذا سميت المذكر بصفة المؤنث صرفته ، وذلك أن تسمى رجلا بـ« حائض » أو « طامث » ... ثم يقول : « فأما ماجاء من المؤنث لا يقع إلا لمذكر وصفا ، فكأنه فى الأصل صفة لسلعة أو نفس ، كما قال : « لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة » والعين عين القوم . وهو ربيئتهم ، كما كان « الحائض » فى الأصل صفة لشىء لم يستعملوه »(٩) .

استشهد سيبويه فى هذا النص بحديث شريف .

وهذا الحديث رواه الترمذى فى كتاب

(٧) أمالى السهيلى د . محمد البنا ـ م السعادة ـ القاهرة ص ١٢٠ ، ص ١٢١ .

(٨) موقف النحاة ص ٤٧ .

(٩) الكتاب جـ٢ ص ٢٠ بولاق .

الحج ، باب ماجاء فى كراهية الطواف عريانا(١٠) .

وسار على نهجه فى هذا الاستشهاد الزجاج فى باب « ما كان من المؤنث على أربعة أحرف سمى به مذكر » قال : « اعلم أن ماكان على أربعة أحرف وكان مؤنثا ، أصلا فى المؤنث أم مشتقاً للمؤنث ، سميت بهمذكرا ، لم ينصرف المعرفة ، وأنصرف فى النكرة .. قال : والمؤنث الذى يكون صفة للمذكر ، نحو قولهم : « رجل ربعة » و« رَجُل نُكَحَةً » و« جَمَل خُجَأة » قال الخليل : لفظ المذكر فى هذا الذى وصف بالمؤنث بمنزلة « سلعة » كما جاء فى الخبر : « لا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة مسلمة »(١١) .

ففى هذا النص استشهد الزجاج بالحديث جريا على منهج سيبويه .

بل إننا نلحظ أنه رفع الاستشهاد إلى الخليل بن أحمد ، كما فعل سيبويه فى كتابه ، وما يعرضه سيبوبه فى كتابه من رأى الخليل أو غيره دون أن يناقشه فهو من رأيه .

ورواية الحديث عند الزجاج تختلف عن رواية سيبويه ؟ إذ نرى الأول أضاف لفظ « مؤمنة » قبل « مسلمة » .

الحديث الثانى عشر :

قال سيبويه فى باب إنّ وأنَّ « مبهنا المواطن التى تفتح فيها الهمزة ، والتى تكسر فيها » : وتقول : « لبيك إن الحمد والنعمة لك » ولو شئت قلت : « أن » ، ولو قال إنسان : إن « أن » فى موضع جر فى هذه الأشياء ، ولكنه حرف كثر إستعماله فى كلامهم ، فجاز فيه حذف الجار ، كما حذفوا « رُبَّ » فى قولهم .

وبلد تحسبه مكسوحا

لكان قولا قويا ... »(١٢) .

فى هذا النص من كلام سيبويه جزء من حديث شريف هو « لبيك إن الحمد والنعمة لك » أخرجه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الحج .

وأخرجه مسلم فى باب الحج ١٩ ، ٢٠ باب ماجاء فى التلبية .

ورواه مالك فى الموطأ ـ كتاب الحج ـ باب العمل فى الإهلال .

كما جاء فى سنن النسائى ـ مناسك الحج .

ولا نكاد نرى أحداً من النحويين استشهد بالحديث فى هذا الموضع بعد سيبويه سوى ابن السراج (٣١٦هـ) قال فى ذكر المواضع التى تقع فيها إن وأن : وتقول : « لبيك إن الحمد والنعمة لك » وإن شئت قلت : أنَّ الحمد »(١٣) .

---

(١٠) جاء هذا الحديث بلفظ : « لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يطوف بالبيت عريانا .. » الترمذى جـ٣ ص ٢٢٥ رقم الحديث ٨٧١ .

(١١) ماينصرف ومالا ينصرف للزجاج ـ ت هدى قراعة ـ القاهرة ١٩٧١ ص ٥٥ .

(١٢) الكتاب جـ٣ ص ٢٦٨ هارون .

(١٣) الأصول فى النحو لابن السراج ـ ت د . عبد الحسين الفتلى ، م النعمان ـ النجف سنة ١٩٧٣ جـ١ ص ٣٠ .

حمزة والإسلام

بطولة عقيدة

في يوم صفت سماؤه واعتدل هواؤه خرج فتى الفتيان حمزة بن عبد المطلب إلى الصيد في أرباض مكة ، قد رضي عن نفسه وعن فرسه ، فجال وصال فيها يصيد ويستريض ، لا يعرف الهم سبيلا إلى قلبه ، لا يفكر فيما تفكر فيه قريش ، ولا يهتم بأقاويلهم ومايهدفون إليه في أحاديثهم وتجمعاتهم ، ولكنه في ذلك اليوم حدث له عند عودته مادعاه إلى أن يخوض فيما يخوضون فيه وأن ينازلهم في ميادين تنتظره منذ ست سنين .

قال ابن إسحاق حدثني رجل من أسلم كان داعية : أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض مايكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو التيمي في مسكن لها تسمع ذلك . ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعاً من قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قريش ، وأشد شكيمة ، فلما مرَّ بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عمارة ، لو رأيت مالقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام ، وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبَّه وبلغ منه مايكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجَّة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول مايقول ؟ فرُدَّ ذلك على إن استطعت ، فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإني والله قد

للأستاذ : السيد حسن قترون

سببت ابن أخيه سبا قبيحا . وتم حمزة على إسلامه ... فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ماكانوا ينالون منه[1] .

وقد ذكرت لك إسلام حمزة لأعطيك صورة عن مكانته وبطولته قبل أن يكون أسد الله وأسد رسوله .

وحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم غير شقيق وأمه هالة بنت أهيب بنت عم آمنة بنت وهب وآمنة أم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهو أخوه من الرضاعة أرضعته ثويبة مولاة عمه أبى لهب ، كما أرضعت عبد الله بن جحش وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، فهو حبيب إلى قلب رسول الله ويشار إليه بالبنان من المسلمين .

ولقد هاجر إلى المدينة فيمن هاجر ونزل على سعد بن خيثمة وآخى رسول الله بينه وبين زيد بن حارثة ، ولما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواته عقد أول لواء لحمزة قالوا : بعثه رسول الله سرية فى ثلاثين راكبا خرجوا من المدينة حتى بلغوا قريبا من سِيفِ البحر يعترض لعير قريش وهى منحدرة إلى مكة قد جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلاثمائة راكب فانصرف ولم يكن بينهم قتال .

وكانت غزوة بدر فكان بطلها المعلم وفارسها المقدَّم ، وبدأت المعركة بمقاتل من قريش هو الأسود بن عبد الأسد المخزومى وكان شرسا سيىء الخلق حلف ليشربن من حوض المسلمين أو ليهدمنه ، وانطلق نحو الحوض فخرج إليه حمزة ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره يسيل الدم من رجله ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يبرَّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

وكانت المبارزة إذ خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا برز من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة .

فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا أى القرشيون : مالنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يامحمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، واستجاب الرسول للنداء فأخرج إليهم أقرب الأقرباء قائلاً : قم ياعبيدة بن الحارث ، قم ياحمزة ، قم ياعلى ، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ فرد عليهم عبيدة وحمزة وعلى ، قالوا : نعم أكفاء كرام ، فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ـ عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد بن عتبة ، فقتل حمزة شيبة ، وقتل على الوليد ، واختلف عتبة وعبيدة بينهما ضربتين كلاهما جرح صاحبه جرحاً قاتلاً ، وكر حمزة

(١) الحديث والأحاديث التالية عن مراجع السيرة النبوية على صاحبها ازكى السلام وأسمى التحية .

حمـزة والإســلام

وعلى بأسيافهما على عتبة فقضيا عليه . واحتملا صاحبهما إلى موقع المسلمين .

وسأل أحد أسرى قريش عبد الرحمن بن عوف : من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : ذلك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

وجاءت غزوة أحد التى أوقد نارها كفار قريش ثأراً لقتلاهم ولما أصابهم فى بدر ، لقد أعدوا للحرب عدتها وأوقفوا مكاسبهم من تجارتهم التى نجا أبو سفيان بها عليها ، وكان تآمُرٌ على حمزة من هند بنت عتبة وبنى نوفل ، واختاروا لاغتياله وحشى بن حرب غلام جبير بن مطعم ، وقد وعده جبير بالعتق ووعدته هند بالمال والذهب ، وحين كانت الحرب فى أشد وقدتها قتل وحشى حمزة خلسة أو اغتيالاً .

وقد سئل وحشى بعد أن أسلم كيف قتلت حمزة ولِمَ ؟ يقول : كنت غلاماً لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ، وكان عمه طعيمة قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلَّما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وابصره حتى رأيته فى عُرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا فو الله إنى لأتهيأ له أريده واستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلى يابن ... فضربه ضربة فما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت تحت سرته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينهض نحوى فغلب وتركته وإياها حتى مات . ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت إلى المعسكر ، فقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق وأنال العتق .

فلما فتحت مكة هرب إلى الطائف خوفاً من الرسول صلى الله عليه وسلم فلما ارتأت الطائف الإسلام امتلكه الهم والغم وعميت عليه المذاهب . يقول : فقلت : ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فو الله إنى لفى همى إذ قال لى رجل : ويحك إنه ـ والله ـ مايقتل أحدا من الناس دخل فى دينه ، وتشهد شهادته . فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدعه إلا بى قائماً على رأسه أَتَشَهَّدُ بشهادة الحق . فلما رآنى قال : أوحشى ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال : أقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟ فحدثته فلما فرغت من حديثى . قال : ويحك ، غيب عنى وجهك فلا أرينَّك ، فكنت اتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله .

ولا جدال فى أن مقتل حمزة أدخل على قلب رسول الله وصحابته حزناً جسيماً ، ومما زاد فى الأحزان أن المشركين بقروا بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أكلها فلفظتها .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب حيث استشهد ، فنظر إلى منظر لم ينظر إلى شىء قط كان أوجع لقلبه منه ونظر إليه قد مُثِّلَ به فقال : رحمة الله عليك فإنك كنت ـ ماعلمت ـ وصولا للرحم فعولا للخيرات ولولا حزن من

بعدك عليك لسرنى أن أتركك حتى يحشرك الله من أرواح شتى . أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك . فنزل جبريل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بخواتيم النحل .

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَاتَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ.إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

فعفا رسول الله وصبر ونهى عن المثلة ، وكفر عن يمينه[٢] .

وعن ابن عباس قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات . ثم اتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ـ كما هو عدد الشهداء يوم أحد .

لم يأخذ الفقهاء بهذا الحديث ، فالشهيد عندهم لا يغسل ولا يصلى عليه . لقوله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم : « لفوهم فى دمائهم فإنه ليس من جريح يجرح فى الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يدمى ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك ... » .

وفى شأن الشهداء نزل قوله تعالى من سورة آل عمران :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق :

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عيناه بالدموع فبكى ثم قال : لكن حمزة لا بواكى له ، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل امر نساءهم أن يتحزمْنَ ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالوا : ولما سمع رسول الله بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : أرجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن . قال ابن هشام ونهى يومئذ عن النوح .

ويتصل بذلك أن النبى عند منصرفه إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش ، فلما لقيت الناس نُعِى إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ :

« إن زوج المرأة منها لبمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

مات حمزة عن ولدين : (يعلى) و(عمارة) وأنجبا ولا عقب لهما . وبنت اسمها « أمامة » اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة ولكل حجة ، وكل منهم يريد أن تكون عنده ليكفلها ، فقضى بها رسول الله لجعفر بن أبى طالب من أجل أن خالتها أسماء بنت عميس كانت زوجة له .

رضى الله عن حمزة أسد الله وأسد رسوله . وكان يقال : اللهم ارض عن خيرى الناس حمزة والعباس .

---

(٢) انظر تفسير ابن كثير ، نهاية سورة النحل .

الأعلام الإسلامى الطباعى

فى الدول غير الإسلامية فى أفريقيا

اصبح المسلمون يواجهون بالوان عديدة من الغزو الفكرى عبر قنوات الإعلام الشرقى منها والغربى بقصد زعزعة عقيدتهم ونشر « ايدلوچيات » غريبة بينهم تهدف إلى استقطابهم إلى الشرق تارة وإلى الغرب اخرى .

وأعطى العصر الحديث بما أحدثه من ثورة « تكنولوچية » هائلة فى حقل الاتصال فرصاً هائلة للتأثير على المسلمين ، وتنافست أمم شتى فى تلقين العربى والمسلم ماتريده من مبادىء وأفكار ، وقامت أجهزة إعلامية خاصة للتبشير من قلب العالم الإسلامى . كعوامل مساندة للمبشرين المنتشرين فى شتى بقاع المسلمين بنسب متفاوتة .

وتحظى أفريقيا ـ بقدر كبير ـ باهتمام الجهات الموجهة للتبشير . حيث نجد المبشر يلبس زى الطبيب أو المهندس الزراعى أو المدنى .. وتساعد هذه الجماعات أجهزة إذاعية حديثة . محلية وخارجية . تمولها الكنيسة وتشرف عليها ، وتدرب العاملين بها على أحدث الأجهزة وتتيح لهم التعرف على أوضاع المناطق المستهدفة ودراستها . بغية الاقتراب من أهل البلاد وميولهم وظروفهم ولهجاتهم ، وهم يسعون جادين لتنصير أفريقيا خلال سنوات قليلة .

لذا رأينا أن هذه الدراسة قد اكتسبت اهميتها من المنطقة التى حددها الباحث : « الدول غير الإسلامية فى أفريقيا » واختار منها أثيوبيا ليطبق على إعلامها ، دراسته وذلك باعتبارها أقدم دولة نصرانية فى أفريقيا ..

وقد حوت الدراسة عشرة فصول عدا المقدمة والنتائج .

فى الفصل الأول : تحدث عن الإعلام الإسلامى الطباعى وتطوره .

وفى الثانى : عن آهدافه ومنهجه فى الدعوة .

وفى الثالث : عن معوقات الاتصال وصعوبة تغيير الاتجاهات .

للأستاذ عاطف شحاته زهران

وفى الرابع : عن الجوع وتغيير الاتجاهات فى أفريقيا .

وفى الخامس : عن الغزو الفكرى والتصورات غير الصحيحة عن الإسلام .

وفى السادس : عن القائم بالاتصال فى مجال الإعلام الإسلامى الطباعى .

وفى السابع : عن الاتصال فى إطار المنظمات والهيئات والجامعات الإسلامية .

وفى الثامن : عن الاتصال الإسلامى بأثيوبيا عبر التاريخ .

وفى التاسع : عن الإسلام فى أثيوبيا فى الوقت الحاضر .

وفى العاشر : عن الإعلام الإسلامى فى أثيوبيا . ونحن نعرض لبعض الفصول من الكتاب .

لقد رأى المؤلف أن هذا العصر يشهد مدا إسلاميا . وهناك محاولات متعددة لوضع العراقيل أمامه . فقد أطلق البعض على الإسلام نعوتا غريبة عنه مثل : العنف والدم والقتل والدمار . نتيجة الجهل بالدين الحنيف[1] . وصدر الكتاب فى ٤٣٦ صفحة عن دار المعارف بمصر .

ويرى ـ ونحن نوافقه ـ أن دور الإعلام الإسلامى يجب أن يتقدم ليعبر عن الإسلام تعبيرا موضوعيا قائماً على الوضوح والصراحة بهدف تزويد المسلمين وغير المسلمين بالمعلومات الصحيحة والحقائق الواضحة التى تعبر عن جوهر الدين.

الأهداف والمنهج :

فى الفصل الثانى من هذه الدراسة تحدث المؤلف عن عالمية الدعوة الإسلامية . وأهداف الاعلام الإسلامي ومنهجه فى الدعوة .

فالإسلام يتميز منذ ظهوره بأنه دين دعوة من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية كما يقرر (توماس أرنولد) فالقرآن يأمر بالدعوة ، وينهى عن الإكراه فى الدين ، ولم تأت مهمة تبليغ الرسالة فى تاريخ الإسلام بعد فترة من بدء الدعوة ، ولكنها ألقيت على عاتق المؤمنين منذ البداية ص ٨٥ .

وقد حدد للإعلام الإسلامى هدفين أساسيين .

أحدهما : هدف تنسيقى تركيبى ، والآخر انتقائى توجيهى .

فالأول : يعمل على تماسك الأمة الإسلامية ، واعتصامها بحبل الله . أما الهدف الانتقائى التوجيهى فهو إلقاء الضوء على كل جديد مع دراسته وتقويمه بمعايير الإسلام وعلى هدى مبادئه بحيث يتحرك الإعلام الإسلامى دائما على قاعدة قوامها

←

(*) الكاتب : بإدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية .

(١) نرى ـ ومعذرة ابتداء للمؤلف ـ أن ذلك ليس جهلا بالدين فهذه الجهات دارسة للإسلام جيدة جدا لكنها تتعمد التشويه .... مجلة الأزهر .

الإعلام الإسلامى

« الثبات فى الأصول والتطور فى الفروع »(٢) ومن هنا كانت أهم مهام الإعلام الإسلامى تتمثل فى تقديم الإسلام كما فى القرآن والسنة ، ودحض مفتريات أعداء الإسلام وأباطيلهم وتأكيد معنى الحرية والوحدة الإسلامية ، ودعم اللغة الفصحى ، وبعث الفكر الإسلامى الأصيل ، وبناء الحضارة الإسلامية والثقافة العربية من خلال الوسائل الإعلامية والربط بين الدين والأخلاق ، وبين الدين وكل معطيات الحضارة ص ٩٦ ، ٩٧ .

وتحدث المؤلف عن الغزو الفكرى فى الفصل الخامس وعالج موضوعه وأشار إلى إشاعة التصورات غير الصحيحة عن الإسلام . وقد اتخذ أعداء الإسلام اتجاهين لتحقيق مآربهم :

أحدهما : مقاومة الإسلام بنشر شائعات حاقدة عن الإسلام والمسلمين بقصد تشكيك المسلمين فى دينهم ، وتكوين صور شائهة عن الإسلام لدى غير المسلمين .

الثانى كان عبر التبشير ودعاوى الاستشراق . بعد أن تهيأ المناخ بتشويه الإسلام قانونا وتاريخا وحضارة .

والإعلامى المسلم يجب أن يخطط ليواجه ذلك كله تخطيطا مدروسا ليعرف جمهوره الذى سيخاطبه ، والمؤثرات الواقعة عليه ووجهات النظر التى سبق طرحها . والتى تمس هذا الإعلام من قريب أو من بعيد ... ص ١٤٣ .

الدراسة التطبيقية :

وفى الجزء الأخير من الكتاب تحدث المؤلف عن الإعلام الإسلامى الطباعى فى إحدى الدول غير الإسلامية فى أفريقيا . واختار أثيوبيا ليجرى عليها دراسته التطبيقية . وعلل لاختياره ذلك بما يعانيه المسلمون فيها من اضطهاد ، وما يواجهون من تحديات كبيرة . ويمثل هذا الجزء قطب الدائرة فى الكتاب .

وحدد الباحث عدة أغراض لدراسته وحاول التعرف على اتجاهات الصحافة الأثيوبية فى العصر الحاضر . واكتفى بالتطبيق على صحيفتين .

إحداهما : تصدر بالانجليزية وهى : The Ethiapion Herald وهى تابعة لوزارة الإعلام والإرشاد الوطنى فى البلاد . وتصدر فى ست صفحات . والثانية : صحيفة أسبوعية تصدر باللغة العربية وهى : (العلم) وتصدر عن نفس الجهة . واختار عينات دراسته من الأعداد الصادرة فى سنة ١٩٨٢ . وأجرى عليها تحليلات خرج منها بنتائج منها :

١ ـ احتلت القضايا السياسية المقام الأول فى اهتمام الصحافة الأثيوبية .

٢ ـ تمثل الاهتمام بالقضايا الاقتصادية فى التركيز على جعل الملكية العامة هى الأساس فى الدولة ، وتوزيع المواد الأساسية

(٢) كنا نود أن نجد تحديداً لهذا التطور نفهم منه مداه ، ولا يكون بهذا الإطلاق الذى يمكن استغلاله لدى الطاعنين على الإسلام فيتخذونه قاعدة ترمى إلى التحلل من هذه الفروع ... مجلة الأزهر .

توزيعا عادلاً على الجمهور ، وفضح النظام الإقطاعى .

٣ ـ القضايا الدينية لم تنل أى اهتمام فى الصحيفتين فى فترة الدراسة .

الإعلام الإسلامى فى إريتريا :

بالرغم من ضم اريتريا إلى أثيوبيا الا أنها يمكن النظر إليها على أنها منطقة لها كيانها الخاص وثقافتها المستقلة وطابعها الخاص . وإعلامها المختلف عن الإعلام الأثيوبى .

ومنذ ضمها إلى أثيوبيا أصبحت تتعرض لثلاثة أنواع من الإعلام هى : الإعلام الحكومى ، والإعلام الحزبى والإعلام الصادر عن حركات التحرير الاريترية ..

نتائج الدراسة :

وفى الختام عرض المؤلف للنتائج التى أسماها : مقترحات الدراسة ، وتزيد على العشرين مقترحا منها :

١ ـ تأسيس هيئة للدعوة الإسلامية فى الخارج تتولى التنسيق والإشراف بين كافة الجهات الإسلامية .

٢ ـ التنسيق بين أجهزة الدعوة فى البلاد الإسلامية .

٣ ـ رسم خريطة للإعلام الإسلامى فى الخارج توضح فيها كيفية الإعلام للأقليات الإسلامية ، وطرق الإعلام عن الإسلام بين أصحاب الأديان السماوية غير الإسلام ، ووضع اللادينيين فى العالم .

٤ ـ إجراء دراسات ميدانية للأماكن التى ستوجه إليها الدعوة الإسلامية فى كل منطقة .

٥ ـ الأخذ بمبدأ التخصص فى الإعلام الإسلامي .

ملاحظات أخيرة :

(ا) لقد استطاع المؤلف أن يتغلب على مشكلة تواجه الباحثين الإعلاميين . حين نجدهم يصبغون بحوثهم بالصبغة الغربية مما يشعرك أنها مؤلفات غربية لكتاب ليسوا من بنى جلدتنا . وقد استطاع المؤلف أن يتغلب على هذه الظاهرة وصبغ كتابه بالصبغة المعقولة . وهذه ميزة تحسب له .

(ب) لما كان الإعلام الطباعى هو المقصود بالدراسة هنا دون سواه . فقد ضاعف المؤلف من اهميته على حساب غيره من الوسائل الأخرى التى يمكن ان تؤدى دوراً أكثر فعالية فى هذه المنطقة بالذات (افريقيا) حيث تنتشر الأمية والفقر ، وعندئذ يصبح الاتصال عن طريق الإذاعة والاتصال الشخصى اهم وأجدى بين قوم لا يقرءون وفيهم من لا يجد ثمن الصحيفة .

(جـ) كان من الأولى أن يقوم الباحث بدراسة ميدانية تعطى نتائج اوثق بعد معايشة المنطقة التى اختارها لدراسته التطبيقية . وإن كانت ثمة ظروف حالت دون ذلك المح لها فى كتابه مما اضطره للاعتماد على المطبوعات لتحليلها واستخراج بعض النتائج منها ، مع التسليم بأن المطبوعات تتحكم فيها عوامل شتى كالرقابة وغيرها مما يجعلها لا تعبر تعبيراً صادقاً عن مجتمع الدراسة .

(د) وقع خطأ فى ص ١٩٠ من الكتاب حيث ذكر قول الله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . . ﴾ فقال آية (٥) من سورة آل عمران والصواب أنها رقم ٤ من سورة إبراهيم ، ونأمل أن يتنبه لذلك فى الطبعة التالية .

من خير ما نشر

حوار محمد عبد القدوس :

العمل بالشريعة أمر

فى البداية قلت لفضيلة الإمام الأكبر : الشعب بجميع فئاته ، طالب ويطالب بتطبيق الشريعة ، والوصول إلى الإسلام منهج حياته ، ما رأى فضيلة الإمام فى الأسلوب الأمثل الذى يحقق للشعب مطالبه ؟

أجابنى قائلاً : إن العمل بالشريعة الإسلامية أمر من الله سبحانه وتعالى فى كتابه القرآن الكريم وعلى لسان رسوله محمد ﷺ لا تقبل مخالفته ، فإن طاعة الله واجبة ، ولا شك أن الإسلام عقيدة وشريعة .. منظم لحياة الناس وصلاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. فضلاً عن تنظيم طرق عبادتهم لله تعالى : وهى الخمس التى بنى عليها الإسلام ولا يقبل من مسلم أن يمارى فى شىء من ذلك .. والشعب مطلوب منه أن يكون مسلماً محققاً أصول العقيدة والشريعة .. يدل على ذلك التكاليف التى نص عليها القرآن صراحة .. فإنها تخاطب المسلمين جميعاً : أفرادا وأمة ..

وإذا كان السؤال يبتغى التعرف على منهج التطبيق الرسمى للشريعة فى أمور : التقاضى ، والنظم الإدارية ، والاقتصادية ، والسياسية ، فإن الأمر يحتاج إلى إعداد واستمداد كل هذا من الأصول الشرعية فى القرآن والسنة مع الاستنارة والاستفادة بأقوال السابقين من المجتهدين بمراعاة تغير الأعراف والعادات وغير ذلك مما يجب اعتباره عند التشريع .

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى :

هذا ديننا

مأساة الإسلام تكمن فى أن ناسا يتقدمون بتقاليد الشعوب على أنها تعاليم الوحى بل إنهم يتقدمون بالأخطاء التاريخية على أنها توجيهات سماوية ! وستبقى الحضارة الغربية الحديثة حاكمة ، ما بقى هؤلاء يدعون ويكابرون ، ولن تصح مسيرة العالم إلا بعودة الإسلام ذاته على أيدى أولى الألباب ومن لهم قلوب .

الدكتور محمد على محجوب

إعدام تجار المخدرات علنا

ظاهرة إدمان المخدرات وكيف نقضى

إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

عليها . الحل هو إعدام المهربين وتجار المخدرات علنا وفى ميدان عام حتى يراهم من تسول له نفسه أن يحترف هذه اللعبة المدمرة ليس عندى حل غير هذا .. لابد من إعدام التجار والمهربين وعلاج المدمنين وتسجيلهم فإن عاد إلى الإدمان بعد الشفاء لابد من عقوبة رادعة بالعزل عن المجتمع وفى ذلك عبرة لمن يعتبر .

للأستاذ : وجيه أبو ذكرى

عندما يصبح الإعدام رحمة !!

الشجاعة فى التهريب ، تأتى من أمر واحد ، هو عدم الحسم فى العقوبة ، فالقانون ـ برغم أن عقوبة الجلب هى الإعدام ـ لم يعدم حتى الآن مهرباً مصرياً واحداً . يقال : ثمة ثغرات فى الإجراءات ، ويقال ويقال ويقال .

ولكن .. مما لا شك فيه أن مصر مستهدفة .. وأن الأنواع الجديدة من المخدرات هى قنابل حقيقية تسقط على مصر فتدمر شبابها ، وأن القضية أخطر بكثير من تصور أى مسئول ، وأنه لا حل لها إلا الإعدام علنا لمهربى المخدرات والتجار .. والعمل على علاج المدمنين .

يا كُلَّ من له علاقة بهذه الظاهرة الخطيرة التى هبت كالعاصفة السوداء على مصر ابتداء من عام ١٩٧٩ : إن العاصفة قد قتلت مئات من الشباب ، وأمرضت آلافاً أخرى ، ودمرت عشرات من البيوت ، وتسللت إلى الفتاة المصرية لأول مرة فى تاريخ مصر .

يا كُلَّ من له علاقة بهذه الظاهرة : اعدموا بلا رحمة قتلة شباب مصر وفتياتها .. وصدقونى .. القضية أخطر مما يتصوره أى مسئول .

للأستاذ : مصطفى أمين

فكرة

فى الوقت الذى كان تليفزيون إسرائيل يذيع فيه نبأ إطلاق القمر الصناعى الإسرائيلى ، كان تليفزيون بلادنا يذيع نبأ إطلاق الرغيف الطباقى الجديد . ولا يمكن أن نلوم مصر وحدها .

إن هذا الحدث الخطير يستدعى أن تعقد الدول العربية والإسلامية مؤتمرا فوراً وأن تبحث كيف يمكن أن تتعاون معا لتحول هذا التخلف العلمى إلى تقدم علمى ، ولدى هذه الدول من الأموال الطائلة ما يمكن أن يجعلنا نسبق إسرائيل علمياً . وهذا يقتضى قبل كل

← من خير ما نشر

شىء أن نوقف فوراً الخلافات العربية والنزاعات الإقليمية .

إننا نعلم أننا جميعاً فى خطر إذا استمرت هذه الخلافات الصغيرة التى تجعلنا صغارا فى عالم لا مكان فيه إلا للكبار . فى استطاعتنا لو اتحدنا أن نطلق مئات الأقمار .

الأستاذة / نوال مصطفى

كل يوم

الإعدام فى ميدان عام .. إنه الحل الذى يطالب به الشعب كله قصاصا من هؤلاء المتوحشين .. الذين فقدوا آدميتهم تماماً .. وتلاشت الرحمة من قلوبهم .. إنهم النوعية الجديدة التى انتسبت إلى البشر .. مرتكبو جرائم الاغتصاب البشعة التى بدأت تتكرر بشكل ملفت ومخيف فى الآونة الأخيرة .

والموقف الآن يحتاج فعلاً .. إلى إعادة النظر من رجال القانون .. لجعل جريمة الاغتصاب من جرائم الأمن العام ، وأن تتم محاكمة المغتصبين فوراً .. وعلنا ..

ربما يرتدع المتوحشون .

الأستاذة / امتثال محمد الجاحر .

اللغة القومية والتعليم

يجب أن يسود التخاطب والتعامل باللغة العربية السليمة الميسرة ـ قدر الإمكان ـ كما يجب الحث على تشجيع النشء على تلاوة وحفظ سور وآيات من القرآن الكريم ، لأن لغة القرآن وأسلوبه قمة البلاغة ، ومن نشأ فى رحابه وتعود على تلاوته مع الأحاديث الشريفة سهلت عليه اللغة العربية الواضحة ، وصح نطقه من حيث مخارج الحروف ووضوح التخاطب السليم .

نفايات مشعة للبيع !

ذكرت صحيفة « لاريبوبليتا » أن إحدى الشركات الأمريكية عرضت على رجل أعمال بنمى أن يستورد بصورة سرية « ١٥٠ » طناً من النفايات المشعة من أوروبا لكى يدفنها فى بنما ، وأن يتم استيرادها باعتبارها منتجات كيماوية إلا أن رجل الأعمال البنمى ـ رفض العرض .

للأستاذ : صلاح حافظ

كمبيوتر .. انجليزى .. أو فرنسى لماذا ؟

قررت وزارة التربية والتعليم أن تضيف إلى مناهجها دراسة الكمبيوتر .. ثم اختارت أن تشترى للمدارس « كمبيوترات » انجليزية وفرنسية ، بعضها توقفت مصانع الخواجات عن إنتاجه ، ومعظمها عاجز عن التخاطب إلا باللغات الأجنبية .

وقد تبينت أن فى العالم « كمبيوتر » عربياً لم أسمع به منذ سنوات ، لماذا لم تتجه الوزارة رأساً إلى كمبيوتر عربى ، بدلاً من أن نبدد فلوسنا سنوات على « كمبيوترات » ترطن بلغات أخرى .. ثم نعود نطلب « فلوس »

جـديدة للتعـريب وشراء « الكمبيوتـر » العربى ؟

وأنا لا أكتب إعلاناً . إنما أثير قضية . وأنبه إلى إنجاز عربى يستحق التحية . وإلى تقصير عربى فاضح فى مساندة هذا الإنجاز والاستفادة منه .

وذكر التقرير أن نسبة الإصابة فى أفريقيا تشكل ١٣٪ من المجموع العالمى وأن المجموع العالمى للإصابة يتراوح ما بين ٥ ، ١٠ ملايين شخص .

وذكر التقرير أن الإصابة فى مصر بلغت ٣٢ شخصاً نصفهم مصريون وجميعهم أصيبوا نتيجة نقل دم .

تقرير لمنظمة الصحة :

الإيدز يهدد نصف البشرية

كشف تقرير لمنظمة الصحة العالمية عن إحصاءات مخيفة حول انتشار مرض الإيدز فى العالم أكد فيه أن استمرار انتشار المرض بالمعدلات الحالية يمكن أن يصيب نصف البشرية فى الحقبة القادمة .. وذكر التقرير أنه فى هذه الحالة يصبح للإصابة بالمرض تأثير كبير على القوى البشرية وبالتالى على الإنتاج .

أشعة الليزر. بقية.

بين مرآتين تصنعان من مواد عازلة كهربياً Dielectrics لها معامل انعكاس يزيد على ٩٩٪ ويبدو شعاع الليزر الصادر عن خليط (الهليوم - نيون) ذا لون أحمر فاتح (٦٣٢٨ أنجستروم) ، لكنه يضم أيضاً طولين موجيين فى المنطقة تحت الحمراء . ولقد ظهرت حديثاً أنواع ليزر مشابهة تستخدم بخار المعادن مثل ليزر (الهليوم - كادميوم) الذى يشعّ فى المنطقة الزرقاء (٤٤١٦ أنجستروم) والمنطقة فوق البنفسجية (٣٢٥ أنجستروم) ويستفاد منه فى التفاعلات الكيميائية الضـوئية : Pholochemical reactions .

٣ - أنواع أخرى :

توجد الآن مجموعة كبيرة من أجهزة الليزر التى تختلف أسماؤها باختلاف المادة الليزرية التى تستخدمها . فهناك الليزرات التى تستخدم أشباه الموصلات والليزرات السائلة والليزرات الأيونية وغيرها . وفى الوقت الحاضر أصبح بالإمكان الحصول على أشعة ليزر ذات أطوال موجية مختلفة تغطى المدى بين المنطقتين دون الحمراء وفوق البنفسجية . وفى ليزرات المحاليل العضوية يمكن توليد مدى طيفى عريض نسبياً وذلك عن طريق اختيار المحلول العضوى المناسب ، حيث يبلغ المدى الطيفى لكل محلول حوالى ٤٠ نانو متراً(***) ، وبإجراء عملية توليف لأشعة الليزر الناتجة يمكن الحصول على أطوال موجية ضيقة أو متلاحمة .

أ . د . أحمد فؤاد باشا

(***) النانومتر يساوى جزءاً من الف مليون من المتر .

أنباء وآراء

حول الهيئة التأسيسية للمجلس الاسلامي العالمى للدعوة الاسلامية والاغاثة

*** لقد انعقد فى رحاب الأزهر الشريف ـ المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية لبحث شئون الدعوة الإسلامية فى الفترة من ١٥ ـ ١٩ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ ٤ ـ ٨ من مارس سنة ١٩٨٨ م .**

*** وكان من ضمن مقرراته وتوصياته فى البند « ثالثا » : « التنسيق بين الجهات القائمة على شئون الدعوة الإسلامية ، وعن الإغاثة فى العالم الإسلامى » .**

وفى سبيل ذلك : وافق المؤتمر على مايلى :

أولا : ضرورة تنسيق جهود العاملين فى هذين المجالين وذلك بإنشاء (المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة) .

بمراعاة أن يضم هذا المجلس المنظمات والمؤسسات التى تعمل فى مجال الدعوة والإغاثة وإعداد الدعاة ، والتى يمتد نشاطها خارج حدود بلد المقر .

ثانيا : يختص المجلس بالتخطيط والتنسيق والتعاون والمتابعة .

ثالثا : وتقوم فى كنف هذا المجلس ثلاث إدارات فرعية متخصصة هى :

(أ) إدارة الإغاثة وتضم الجهات العاملة فى الإغاثة .

(ب) إدارة إعداد وتدريب الدعاة : وتضم الجهات العاملة فى هذا النوع من التعليم والتدريب .

(جـ) إدارة تمويل الدعوة والإغاثة : وتضم الجهات العاملة فى تمويل الدعوة والإغاثة .

رابعا : يتولى الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الدعوة لاجتماع تأسيسى لصياغة النظام الأساسى واللوائح التنظيمية لهذا المجلس وفروعه فى أقرب وقت ممكن .

خامسا : يضم الاجتماع التأسيسى الجهات الآتى ذكرها :

١ ـ الأزهر الشريف بمصر .

٢ ـ رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

٣ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد .

٤ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت .

٥ ـ منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم .

إعداد : السيد خضير
عمر البسطويسى

٦ ـ لجنة مسلمى أفريقيا بالكويت .
٧ ـ الرياسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض .
٨ ـ رابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب .
٩ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط .
١٠ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى بجدة .
١١ ـ اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة .
١٢ ـ بيت الزكاة بالكويت .
١٣ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بمكة المكرمة .
١٤ ـ وكالة الإغاثة الإسلامية بالخرطوم .
١٥ ـ لجنة الإغاثة الكويتية بالكويت .
١٦ ـ اتحاد الهلال الأحمر العربى بالرياض .
١٧ ـ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس بالأردن .
١٨ ـ مؤسسة اقرأ بجدة .
١٩ ـ ممثلو وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية التى يمتد نشاطها فى أمور الدعوة والإغاثة خارج موطنها وهى القائمة فى البلاد الآتية :

(أ) جمهورية مصر العربية .
(ب) المملكة المغربية .
(جـ) الجمهورية العراقية .
(د) دولة الكويت .
(هـ) دولة قطر (رياسة المحاكم الشرعية) .
(و) دولة الإمارات العربية المتحدة .
(ز) المملكة الأردنية الهاشمية .

* ولقد كان هذا القرار تتويجا لقرارين سابقين :

أحدهما : اتخذه المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة الذى انعقد فى القاهرة فى الأزهر الشريف فى الفترة من ١٨ ـ ٢٤ من صفر ١٤٠٦ هـ ـ ١ ـ ٧ من نوفمبر ١٩٨٥ م .

والآخر : فى المؤتمر الذى عقده المجلس الأعلى العالمى للمساجد فى مكة بتاريخ ٧/١٠/١٩٨٧ م .

* وقد جاء فى الفقرة (رابعا) من البند (٣) من توصيات وقرارات مؤتمر بحوث الدعوة الإسلامية (على الوجه السابق) مايلى :

(يتولى الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الدعوة لاجتماع تأسيسى لصياغة النظام الأساسى واللوائح التنظيمية لهذا المجلس وفروعه فى أقرب وقت ممكن) .

* ولقد اجتمع ممثلو هذه الجهات الثلاث بالأزهر الشريف يوم الخميس ٢٧ من شعبان ١٤٠٨ هـ ـ ١٤/٤/١٩٨٨ م وناقشوا معالم النظام الأساسى لهذا المجلس واللائحة التنفيذية له .

* وعهدت هذه اللجنة إلى شيخ الأزهر صياغة مشروعى النظام الأساسى واللائحة التنفيذية لهذا المجلس ودعوة المؤسسين الذين اعتمدهم المؤتمر إلى الاجتماع لنظرهما

← أنبـاء وارآء

بالأزهر الشريف بالقاهرة فى يومى الأربعاء والخميس ١٠ و ١١ من صفر ١٤٠٩ هـ ـ ٢١ و ٢٢ من سبتمبر ١٩٨٨ م .

* هذا : وقد احتوى النظام الأساسي فى مادته الأولى أن هذا المجلس يسمى : (المجلس الأعلى العالمى للدعوة والإغاثة) ويكون مقره الرئيسى القاهرة .

* كما بينت المادة الثانية مهام هذا المجلس واحتوت المادة الثالثة بيان الجهات المؤسسة وأجازت المادة الرابعة لكل هيئة أو جماعة أو منظمة لها نشاط فى مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة الانضمام إلى المجلس بالإجراءات المحددة فى هذا النظام .

* ونصت المادة الخامسة على أن تكون القاهرة هى المقر الدائم لاجتماعات المجلس وله أن يجتمع فى أى مكان يحدده المجلس بأغلبية أعضائه الحاضرين .

* ثم تتابعت أحكام النظام الأساسى محددة زمن دور الانعقاد السنوى العادى ، والانعقاد بصفة غير دورية ، وسياسة المجلس واختصاصاته ، وأن قراراته ملزمة لأعضائه سواء صدرت بالإجماع أو بالأغلبية ، وتشكيل الأمانة العامة للمجلس ، وبيان هيئات المجلس وتشكيلاتها واختصاص كل هيئة ، والموارد المالية ، كما رتب هذا النظام تشكيل لجان متخصصة فى مهام المجلس المتنوعة .

* وأن الأزهر الشريف يسعده أن يرحب بالسادة المشاركين فى الاجتماع التأسيسى للمجلس العالمى الإسلامى للدعوة والإغاثة بوصفهم ممثلين لهيئاتهم المؤسسة لهذا المجلس للنظر فى جدول الأعمال المقترح على النحو التالى :

١ ـ مناقشة مشروع وثيقة إنشاء المجلس ومشروع اللوائح المالية والإدارية :

٢ ـ انتخاب رئيس المجلس ونائبه .

٣ ـ تعيين الأمين العام للمجلس ونوابه .

٤ ـ انتخاب المكتب الدائم : الرئيس والمساعد .

٥ ـ النظر فى طبيعة الموظف الذى سيعمل فى لجان المجلس .

٦ ـ كيفية التمويل وإدارته .

٧ ـ مايستجد من أعمال .

* والله نسأل أن يحقق الخير وأن يهدينا إلى سبيل الرشاد .. .

٢ من صفر ١٤٠٩ هـ

١٣ من سبتمبر ١٩٨٨ م

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

جدول أعمال
اجتماع المجلس التأسيسى للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

١ ـ مناقشة مشروع وثيقة إنشاء المجلس الأعلى العالمى للدعوة الإسلامية والإغاثة وإقراره ومشروع اللائحة المالية والإدارية الخاصة به .

٢ ـ انتخاب رئيس المجلس ونائبه .

٣ ـ تعيين الأمين العام للمجلس ونوابه .

٤ ـ انتخاب المكتب الدائم : الرئيس والمساعد .

٥ ـ النظر فى طبيعة الموظف الذى سيعمل فى لجان المجلس .

٦ ـ كيفية التمويل وإدارته .
٧ ـ ما يستجد من أعمال .

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

قرار بالنظام الأساسى للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

تقديم :

لقد جاء دين الإسلام خاتما للرسالات السماوية وجاء محمد ـ ﷺ ـ خاتما للأنبياء والمرسلين : بعثه الله إلى الناس كافة ، فكانت دعوته عامة لا تتوقف عند زمن ، ولا يحدها إقليم ، ولا تقتصر على جنس أو لون أو فئة من البشر .

كانت دعوة للناس جميعا ولكل زمان ومكان . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1] فلما انتقل الرسول ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة . انتقل واجب الدعوة ـ على سبيل فرض الكفاية إلى أمته : إلى المسلمين جميعا : حكاما ومحكومين ـ يقوم بها بالنيابة عنهم خاصتهم من علماء الإسلام : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2] .

من أجل هذا كان نشر الدعوة الإسلامية ، وتوضيح مبادئها ، وتصحيح مفاهيمها وتبليغها للناس أجمعين ، فى مشارق الأرض ومغاربها من واجبات العلماء والفقهاء بأمور الدين .

وهى رسالة من أسمى الرسالات وأعظمها ، لاسيما بعد أن اتسعت آفاقها ، وتنوعت مجالاتها ، وتواصلت أساليب العرض لألوان الفكر فى زمننا هذا حتى غدا تلبيس أحكام الإسلام بكثير من المفاهيم التى يبثها أعداء الله أمراً واقعا ، مما اقتضى ضرورة تخصيص مجموعات من العلماء لهذه المهمة يقومون بأمرها ويصححون المفاهيم الخاطئة ، لتستقيم مع الأصول الصحيحة لعقيدة الإسلام .

ولقد يزيد من صعوبة مهمة الداعية ـ بجانب ماتقدم ـ نمو أعداد المسلمين ، وانتشار جماعاتهم فى كافة بقاع العالم ، واتساع نطاق بلادهم وأوطانهم ، مع تباين اللغات واختلاف البيئات .

مما أدى إلى قيام هيئات ومؤسسات وجمعيات كثيرة ، تحمل مسميات عديدة فى مختلف البلدان ، تباشر مهمة الدعوة كل على حسب جهده ، وطاقته ، دون تنسيق أو تخطيط .

ومن ثم تَنَادَى بعض المصلحين من رجال الدعوة إلى ضرورة التنسيق بين أجهزة الدعوة ، لتحقيق الفائدة المرجوة منها ، على نطاق أوسع ، بحيث تتكامل جهود المؤسسات والهيئات والجمعيات العاملة فى هذا الميدان .

←

(١) الآية (٢٨) من سورة سبأ .
(٢) الآية (١٢٢) من سورة التوبة .

وهذا بعينه ما رددته المؤتمرات الإسلامية فى كثير من اجتماعاتها ، ونخص منها المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية (المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية) الذى عقد بالقاهرة فى ١٨ ـ ٢٤ من صفر ١٤٠٦ هـ ـ الموافق ١ ـ ٧ من نوفمبر ١٩٨٥ . ومؤتمر المجلس الأعلى العالمى للمساجد المنعقد فى مكة المكرمة بتاريخ ١٣ ـ ١٥ من صفر ١٤٠٨ ـ الموافق ٦ ـ ٨ من أكتوبر ١٩٨٧ . والمؤتمـر الحادى عشر لمجمـع البحوث الإسلامية (شئون الدعوة الإسلامية) الذى عقد بالقاهرة فى ١٥ ـ ١٩ من رجب ١٤٠٨ هـ ـ الموافق ٤ ـ ٨ من مارس ١٩٨٨ .

حيث تدارس الموضوعات التالية :

(أ) التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .. والتنسيق بين الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة ..

(ب) وضع الأقليات الإسلامية فى العالم ومسئولية المسلمين تجاهها ..

(جـ) القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

* وكان من مقرراته إزاء الموضوع الأول : (إنشاء مجلس إسلامى عالمى للدعوة والإغاثة) .

ولقد حدد المؤتمر معالم عمل هذا المجلس وما يتفرع عنه .. وأناط بالأزهر الشريف بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت إعداد مشروع النظام الأساسى واللوائح التنفيذية لهذا المجلس وفروعه .

ثم دعا شيخ الأزهر معالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى الدكتور / عبد الله عمر نصيف ، ومعالى الشيخ يوسف الحجى ـ الأمين العام للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت لاجتماع عقد بمكتب شيخ الجامع الأزهر الشريف يوم الخميس الموافق ٢٧ من شعبان ١٤٠٨ هـ ـ ١٤ أبريل ١٩٨٨ م . نوقشت فيه معالم النظام الأساسى لهذا المجلس واللائحة التنفيذية له .

ثم دعيت الهيئة التأسيسية للمجلس للاجتماع بالقاهرة يومى الأربعاء والخميس ١٠ ، ١١ من صفر سنة ١٤٠٩ هـ ـ ٢١ ، ٢٢ من سبتمبر ١٩٨٨ م لنظر هذا النظام فأقرته على الوجه التالى :

النظام الأساسى
للمجلس الإسـلامى العالمى
للـدعـوة والإغاثة

المادة الأولى : ينشأ مجلس عالمى يسمى « المجلس الإسـلامى العـالمى للـدعـوة والإغاثة » . يكون مقره الرئيسى (القاهرة) .

المادة الثانية : يقوم المجلس بالتنسيق والتخطيط لكل ما يتعلق بشئون الدعوة الإسلامية والإغاثة فى العالم وبصفة خاصة فى الأمور التالية :

١ ـ دراسة الوسائل والإمكانات التى تساعد على نشر الدعوة الإسلامية فى كافة بقاع العالم .

٢ ـ بحث ودراسة المشكلات التى تواجه أجهزة الدعوة واقتراح الحلول الملائمة لها ، ودراسة التقارير التى تضعها الجهات العاملة

في حقل الدعوة الإسلامية وإصدار التوصيات بشأنها .

٣ ـ العمل على دعم القيم الدينية والالتزام بها في أجهزة الإعلام المختلفة .

٤ ـ متابعة ودراسة أحوال الأقليات الإسلامية ، ودعمها استرشادا بما يتوافر من دراسات ومن تقارير المراكز الإسلامية لهذه الأقليات .

٥ ـ تعزيز الجهود المبذولة لنشر الدعوة الإسلامية ، والتعريف بالإسلام ، وتحقيق التضامن بين المسلمين في مختلف بلاد العالم .

٦ ـ حماية الدعوة الإسلامية ، ووسائلها ، وبث التعاليم والقيم الدينية الصحيحة ، والتصدى للتيارات والمذاهب المناهضة للإسلام وذلك بكافة الطرق المشروعة .

٧ ـ دعم أواصر التعارف والتضامن بين الشعوب الإسلامية بالتنسيق في عقد المؤتمرات والندوات واللقاءات ومخيمات الشباب الإسلامى .

٨ ـ إيفاد الدعاة بعد اختيارهم وتدريبهم لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية الصحيحة إلى مختلف البقاع وبخاصة إلى مجتمعات الأقليات الإسلامية .

٩ ـ تخصيص المنح الدراسية لأبناء الشعوب والأقليات في الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية . والتنسيق في هذا بين الجهات المانحة ، وضمان حسن اختيار الدارسين وكفالتهم .

١٠ ـ إعداد وطبع ونشر وتوزيع المصحف الشريف وترجمات معانيه ، وكذا الكتب والمجلات والرسائل التى تُعرِّف بالإسلام في قيمه ومبادئه ، وكذلك المطبوعات التى تدفع عن الإسلام ما يوجه إليه من فرية أو يلحق بمبادئه من تزييف . ونشر مطبوعات هذا المجلس على الناس بمختلف اللغات .

١١ ـ متابعة وتوجيه المساعدات التى تقدم إلى الشعوب الإسلامية في حالات الكوارث والنكبات العامة تحقيقا لمبدأ التكافل والتضامن بين المسلمين .

١٢ ـ تشجيع وإنشاء الكليات والمعاهد والمساجد التى تعمل على نشر الثقافة الإسلامية في الأقطار المختلفة ، وإقامة مراكز إعداد وتدريب الدعاة .

١٣ ـ متابعة وتشجيع المدارس والمساجد التى تخصصت في تحفيظ القرآن الكريم في كافة الدول الإسلامية .

١٤ ـ توفير الدراسات والمعلومات والإحصاءات التى يمكن الاستفادة منها في أعمال المجلس .

١٥ ـ الاستفادة من الخريجين من الجامعات والمعاهد وإلحاقهم بمراكز إعداد وتدريب الدعاة ومعاونتهم في الالتحاق بالأعمال المناسبة لهم .

المادة الثالثة : يتألف المجلس من الهيئات والمنظمات والجمعيات التى أقر المؤتمر عضويتها وهى :

١ ـ الأزهر الشريف .	بالقاهرة
٢ ـ رابطة العالم الإسلامى .	بمكة المكرمة
٣ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية .	بالكويت
٤ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى .	ببغداد
٥ ـ منظمة الدعوة الإسلامية .	بالخرطوم
٦ ـ لجنة مسلمى افريقيا .	بالكويت
٧ ـ رابطة الجامعات الإسلامية .	بالمغرب

أنبـاء وآراء

٨ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال . بالرباط
٩ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى . بجدة
١٠ ـ اتحاد البنوك الإسلامية . بالقاهرة
١١ ـ بيت الزكاة . بالكويت
١٢ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية . بمكة المكرمة
١٣ ـ الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة . بالخرطوم
١٤ ـ لجنة الإغاثة . بالكويت
١٥ ـ اتحاد الهلال الأحمر . بالرياض
١٦ ـ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس . بالأردن
١٧ ـ مؤسسة (اقرا) . بجدة
١٨ ـ الندوة العالمية للشباب . بالرياض
١٩ ـ جمعية الإصلاح الاجتماعى . بالكويت
٢٠ ـ جمعية الإصلاح الاجتماعى . بالبحرين
٢١ ـ جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعى بدبى
٢٢ ـ جمعية احياء التراث الإسلامى . بالكويت
٢٣ ـ إدارة احياء التراث الإسلامى . بقطر
٢٤ ـ الرياسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد . بالرياض
٢٥ ـ مؤسسة الملك فيصل الخيرية . بالرياض

٢٦ ـ وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية فى البلاد التالية :

أ ـ جمهورية مصر العربية .
ب ـ المملكة المغربية .
جـ ـ الجمهورية العراقية .
د ـ دولة الكويت .
هـ ـ رياسة المحاكم الشرعية بدولة قطر .
و ـ دولة الإمارات العربية .
ز ـ المملكة الأردنية الهاشمية .

المادة الرابعة : لكل هيئة ، أو جماعة ، أو منظمة ، لها نشاط فى مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة خارج إقليمها حق الانضمام للمجلس بناء على طلب تودعه الأمانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس فى أول اجتماع له يعقد بعد تقديم الطلب .

المادة الخامسة : يتكون المجلس من الأعضاء المؤسسين والمنضمين إليه وتكون القاهرة المقر الدائم لاجتماعات المجلس وله أن يجتمع فى أى مكان آخر يحدده المجلس بأغلبية أعضائه الحاضرين .

المادة السادسة : للمجلس دور انعقاد سنوى فى شهر المحرم من العام الهجرى بدعوة من رئيسه ، أو نائبه عند غيابه للنظر فى جدول أعماله .

المادة السابعة : يجوز للمجلس أن ينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك بناء على دعوة الرئيس ، أو طلب خمسة على الأقل من أعضائه ، ولا يدعى المجلس للانعقاد إلا بموافقة الأغلبية المطلقة لأعضائه على الحضور .

المادة الثامنة : ينتخب المجلس رئيسا له ونائباً للرئيس لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة التاسعة : يكون لكل عضو فى المجلس صوت واحد .

المادة العاشرة : مايقره المجلس يكون ملزما لجميع الأعضاء سواء كان القرار بالإجماع أو بالأغلبية المطلقة .

المادة الحادية عشرة : فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى هذا النظام يكتفى بأغلبية أصوات الأعضاء الحاضرين .

المادة الثانية عشرة : يتمتع المجلس بأهلية قانونية بالنسبة لما يلى :

(أ) تملك الأموال الثابتة والمنقولة

والتصرف فيها وقبول الهبات والتبرعات والوصايا والأوقاف التى تخدم أغراضه .

(ب) التعاقد .

(جـ) التقاضى .

المادة الثالثة عشرة : يكون للمجلس أمانة عامة تتألف من أمين عام وعدد كاف من الموظفين .

المادة الرابعة عشرة : يختار المجلس من بين أعضائه الأمين العام لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة ، ويكون الأمين العام الممثل القانونى للمجلس وينوب عنه أمام الهيئات الأخرى ، ويرأس الجهاز التنفيذى للمجلس .

المادة الخامسة عشرة : اختصاصات الأمانة العامة : تتولى الأمانة العامة بإشراف الأمين العام للمجلس الأمور الآتية :

١ ـ الأعمال التمهيدية لمؤتمرات واجتماعات المجلس واللجان الأخرى وتبليغ قراراته إلى الأعضاء .

٢ ـ طلب اقتراحات الأعضاء قبل انعقاد المؤتمر أو المجلس .

٣ ـ أعمال أمانة سر المجلس واجتماعاته ومؤتمراته واللجان الأخرى وتوجيه الدعوة إلى الأعضاء .

٤ ـ تقديم تقرير سنوى للمجلس عن أعماله .

٥ ـ تحضير مشروع الميزانية والحساب الختامى .

٦ ـ تنسيق وطبع المقترحات وإرسالها إلى الأعضاء قبل انعقاد المجلس أو المؤتمر بشهر واحد على الأقل .

٧ ـ تنفيذ قرارات وتوصيات المجلس .

٨ ـ تزويد أعضاء المجلس بما تتلقاه من معلومات ومقترحات .

المادة السادسة عشرة : موارد المجلس المالية :

١ ـ الاشتراك السنوى لعضوية المجلس ويحدد كل عضو بإقرار يرد إلى أمانة المجلس قيمة اشتراكه خلال ثلاثة شهور على الأكثر من تاريخ تصديق المجلس على هذا النظام على ألا يقل عن ثلاثة آلاف دولار أمريكى سنويا .

٢ ـ التبرعات والهبات والوصايا والأوقاف التى يوافق عليها المجلس وتتفق مع أغراضه .

٣ ـ عوائد استثمار أموال المجلس .

المادة السابعة عشرة : يتبع المجلس اللجان الدائمة الآتية :

١ ـ لجنة التعليم والدعوة ومقرها القاهرة .

٢ ـ لجنة الإغاثة العامة ومقرها جدة .

٣ ـ لجنة المعلومات والمتابعة ومقرها مكة المكرمة .

٤ ـ لجنة التمويل والاستثمار ومقرها الكويت .

٥ ـ لجنة النشر والإعلام ومقرها بغداد .

ويختار المجلس رؤساء هذه اللجان .

المادة الثامنة عشرة :

(أ) تشكل هيئة رئاسة المجلس من رئيس المجلس ونائب الرئيس والأمين العام ورؤساء اللجان الدائمة التى يشكلها المجلس .

(ب) يمثل الرئيس المجلس أمام الهيئات الرسمية والدولية وفى المناسبات .

المادة التاسعة عشرة : تختص هيئة رئاسة المجلس بالآتى :

١ ـ متابعة أعمال التنسيق بين المنظمات

والهيئات والجمعيات العاملة فى مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة والتخطيط لها .

٢ ـ متابعة تنفيذ قرارات وتوصيات المجلس .

٣ ـ التوجيه والإشراف العام على جميع اللجان والهيئات القائمة على تحقيق أهداف هذا المجلس .

٤ ـ النظر فى الأمور الهامة التى لا تدخل فى اختصاص لجان المجلس .

المادة العشرون : تتألف لجنة التعليم والدعوة من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

١ ـ الأزهر الشريف	بالقاهرة
٢ ـ رابطة العالم الإسلامى	بمكة المكرمة
٣ ـ مؤسسة « اقرأ » الخيرية	بجدة
٤ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى	بالرياض
٥ ـ بيت الزكاة	بالكويت
٦ ـ اتحاد البنوك الإسلامية	بالقاهرة
٧ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى	ببغداد
٨ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية	بالكويت
٩ ـ منظمة الدعوة الإسلامية	بالخرطوم
١٠ ـ رابطة الجامعات الإسلامية	بالمغرب
١١ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى	بالكويت
١٢ ـ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية .	بالأردن
١٣ ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .	بالمغرب

المادة الحادية والعشرون : تختص لجنة التعليم والدعوة بالمسائل الآتية :

- وضع خطط ومشروعات تبليغ الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية (المرحلية ـ والسنوية) إلى الناس كافة وعرضها على المجلس لإقرارها .
- تحديد أهداف مرحلية يسعى الداعية إلى تحقيقها .
- اقتراح إنشاء المؤسسات التعليمية والثقافية (مهنية وتربوية وتعليمية) ودعمها كالمدارس والجامعات والمكتبات والأندية الثقافية ومراكز إعداد وتدريب الدعاة .
- وضع خريطة احتياجات المسلمين فى الدول المختلفة من الدعاة .
- اقتراح عدد المنح الدراسية المطلوبة للراغبين في الدراسة بالمدارس والجامعات الإسلامية ، وشروط منحها ، ووضع أسس الاستفادة القصوى من هذه المنح والعمل على حل مشكلات الدارسين
- اقتراح أفضل السبل والوسائل لتطوير التعليم وأساليب الدعوة وفقا لتطورات المعاهد .
- دراسة المشكلات التى تواجه الدعاة فى كل دولة .
- متابعة تنفيذ خطط الدعوة والتعليم ونشر الثقافة الإسلامية .
- وضع برامج إعداد الدعاة وتدريبهم للقيام بمهمة الدعوة بمراعاة تغاير البيئات الإسلامية فى العرف والعادة ، وإنشاء المراكز اللازمة لذلك .
- تقديم تقرير سنوى للمجلس عن نشاطه فى هذا المجالْ وبما تم تنفيذه من خطط التعليم والدعوة .

المادة الثانية والعشرون : تتألف لجنة الإغاثة العامة من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .بجدة

- منظمة الدعوة الإسلامية. بالخرطوم
- الهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت العالمية.
- البنك الإسلامى للتنمية. بجدة
- لجنة الإغاثة. بالكويت
- صندوق التضامن الإسلامى.
- اتحاد البنوك الإسلامية. بالقاهرة
- الوكالة الإسلامية الأفريقية بالخرطوم للإغاثة.

المادة الثالثة والعشرون : تختص لجنة الإغاثة بالمسائل الآتية :

- وضع خطط المساعدات ، وإعانات الإغاثة ، وسياسة توزيعها بما يكفل كافة احتياجات الأفراد والجماعات الإسلامية من كساء وغذاء وإيواء وعلاج وتعليم وما يحتاجه كل ذلك من إقامة مستشفيات ودور علاج ومؤسسات ثقافية وتعليمية وأندية ومكتبات وغير ذلك بما يحقق كفالة الشخصية المسلمة وتنميتها دينيا واجتماعيا وصحيا وعلميا واقتصاديا .
- التنسيق مع الجهات الدولية والعالمية للإغاثة .
- بيان أولويات توزيع المساعدات والإعانات على خريطة سكان العالم الإسلامى .
- بحث الطلبات الخاصة بالمساعدات التى تقدم أو ترد للمجلس .
- تقديم تقرير سنوى عن نشاط المجلس فى هذا المجال .
- متابعة تنفيذ خطط الإعانات والمساعدات .

المادة الرابعة والعشرون : تتألف لجنة التمويل والاستثمار من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

- الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت .
- البنك الإسلامى للتنمية بجدة .
- اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة .
- مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض .
- رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .
- مؤسسة اقرأ الخيرية بجدة .

المادة الخامسة والعشرون : تختص لجنة التمويل والاستثمار بالمسائل الآتية :

- وضع خطة عامة لجمع التبرعات ومتابعة تنفيذها .
- تشكيل لجان فرعية لجمع التبرعات فى الدول والبلاد المختلفة من مصادرها الشرعية هبات / تبرعات (نقدية أو عينية) إعانات - أوقاف - وصايا ، والتى تقدم من الأفراد والهيئات : (أهلية أو حكومية دولية أو محلية) مادامت لا تتعارض مع أهداف ومقاصد المجلس .
- وضع خطة عامة لاستثمار أموال المجلس للاستفادة من عوائدها فى تحقيق أغراضه تعرض على المجلس لإقرارها .
- للجنة أن تستعين فى تحقيق أغراضها بخبراء المال والاقتصاد والاستثمار الإسلاميين وخبراء الشريعة .
- تقديم تقرير سنوى بحجم أموال المجلس وعوائده .

المادة السادسة والعشرون : تتألف لجنة المعلومات والمتابعة من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

١ - الأزهر الشريف القاهرة .

٢ ـ رابطة العالم الإسلامى مكة المكرمة .
٣ ـ مؤسسة الملك فيصل الخيريـة بالرياض .
٤ ـ مؤسسة اقرأ الخيرية بجدة .
٥ ـ البنك الإسلامى للتنمية بجدة .
٦ ـ وزارة الأوقاف العراقية .
٧ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بجدة .
٨ ـ منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم .
٩ ـ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن .
١٠ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط .

المادة السابعة والعشرون : تقوم لجنة المعلومات والمتابعة بجمع وتبادل المعلومات والإحصاءات والبيانات عن كل ما يتعلق برسالة المجلس من مختلف بلدان العالم والمراكز الإسلامية بالخارج وتنظيم الاستفادة منها وتزويد المجلس ولجانه للاستعانة بهذه المعلومات فى إصدار قراراته وتوصياته .

المادة الثامنة والعشرون : تتألف لجنة النشر والإعلام من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

١ ـ الأزهر الشريف بالقاهرة .
٢ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد .
٣ ـ وزارة الأوقاف الكويتية .
٤ ـ رابطة العالم الإسلامى .
٥ ـ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس فى الأردن .
٦ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت .
٧ ـ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية فى المملكة الأردنية الهاشمية .
٨ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض .
٩ ـ رابطة علماء المغـرب والسنغال بالرباط .

المادة التاسعة والعشرون : تختص لجنة النشر والإعلام بالمسائل الآتية :

١ ـ وضع الخطط والدراسات الكفيلة بالنهوض بالإعلام الإسلامى فى الوسائل المسموعة والمقروءة والمشاهدة .
٢ ـ إعداد مشاريع برامج تليفزيونية وإذاعية بما يخدم أهداف المجلس .
٣ ـ وضع الخطط والدراسات الكفيلة بمواجهة الإعلام المعادى للإسلام والمسلمين .
٤ ـ اقتراح خطط للتنسيق بين المنظمات والهيئات العاملة فى مجال الإعلام الإسلامى .
٥ ـ التنسيق بين الجهات القائمة على طبع المصحف الشريف وترجمة معانيه إلى اللغات الأخرى .
٦ ـ متابعة ماينشر ضد الإسلام والرد عليه .
٧ ـ إعداد موضـوعات الـدراسات ، واقتراح تأليف الكتب ، والتنسيق بين الأجهزة القائمة بها فى المجالات الآتية :
(أ) عرض الإسلام وتوضيح مبادئه لغير المسلمين .
(ب) نشر الكتب التى تعرِّف بالإسلام وبالثقافة الإسلامية .
(جـ) مواجهة الفرق والتيارات الهدامة

التى تستهدف العقيدة الإسلامية وتناهض القيم الدينية الصحيحة .

٨ ـ اقتراح أسماء الدراسات والكتب التى ينبغى ترجمتها إلى اللغات الأخرى .

٩ ـ التنسيق بين الأجهزة العاملة فى الإعلام خارج العالم الإسلامى .

١٠ ـ التنسيق فى الإعلام الخاص بالقضايا الإسلامية الرئيسية .

أحكام عامة

المادة الثلاثون : للمجلس أن يعتبر أى عضو لا يقوم بواجباته المنصوص عليها فى نظامه الأساسى منفصلا عن المجلس وذلك بقرار يصدر عن ثلثى الأعضاء الحاضرين .

المادة الحادية والثلاثون : إذا رأى أحد الأعضاء الانسحاب من عضوية المجلس عليه أن يقوم بإبلاغ عزمه على ذلك كتابة إلى رئيس المجلس قبل دورة انعقاد المجلس بثلاثة أشهر على الأقل وعلى المجلس البت فى طلبه فى أول جلسة تعقب تقديم الاستقالة أو الانسحاب .

المادة الثانية والثلاثون : يكون تعديل النظام الأساسى للمجلس بموافقة ثلثى أعضائه وإذا لم يتوافر هذا النصاب يعاد عرض التعديل المقترح على المجلس فى الجلسة التالية وعندئذ يكفى موافقة ثلثى الحاضرين .

المادة الثالثة والثلاثون : الهيئات التى تتقدم بطلب الانضمام إلى المجلس يجوز دعوتها لحضور جلساته وجلسات اللجان بصفة مراقب إلى حين البت فى طلب العضوية .

المادة الرابعة والثلاثون : ترفع تقارير اللجان إلى هيئة رئاسة المجلس للبت فيها .

المادة الخامسة والثلاثون : على رؤساء اللجان الدائمة إبلاغ الأمين العام بالمواعيد المقترحة لاجتماعات هذه اللجان ، وجدول أعمالها حتى يجرى التنسيق بينها .

وعلى الأمين العام إخطار جميع أعضاء المجلس بذلك ويحق لكل عضو حضور أية لجنة منها والمشاركة الكاملة فى أعمالها .

المادة السادسة والثلاثون : يعتبر هذا النظام سارى المفعول بمجرد توقيعه من الأعضاء ولكل عضو أن يصدق على هذا النظام بالطرق المقررة لدى الجهة التى يمثلها .

● **كما قرر أعضاء المجلس ما يأتى :**

١ ـ تفويض هيئة رئاسة المجلس فى إصدار اللائحة المالية والإدارية .

٢ ـ إرسال برقية شكر للسيد رئيس الجمهورية لاستضافته أعضاء المجلس وتفويض فضيلة رئيس المجلس فى القيام بذلك . وبرقية أخرى للسيد الدكتور رئيس مجلس الوزراء ..

٣ ـ التصديق على ما انتهى إليه المجلس من انتخاب :

(أ) فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : رئيسا للمجلس .

(ب) السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم نائبا للرئيس .

(جـ) السيد كامل الشريف رئيس المكتب التنفيذى للمؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس أمينا عاما للمجلس .

كما وافق المجلس على تسمية رؤساء اللجان على الوجه التالى :

(د) الأستاذ الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى رئيسا للجنة المعلومات والمتابعة بمكة .

(هـ) معالى الشيخ يوسف الحجى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية رئيسا للجنة التمويل والاستثمار بالكويت .

(و) الدكتور فريد ياسين القرشى رئيس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بجدة رئيسا للجنة الإغاثة بجدة .

(ز) السيد الدكتور بشار عواد معروف أمين عام المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد رئيسا للجنة النشر والإعلام .

(حـ) الأزهر الشريف :

لجنة التعليم والدعوة

ويفوض فضيلة شيخ الأزهر فى اختيار أحد علماء الأزهر رئيسا لها .

٤ ـ أن يرسل كل عضو من أعضاء المجلس تقريراً مفصلا عن الهيئة أو المنظمة التابع لها ونشاطها فى داخل المقر وخارجه والنظام الأساسى الذى تسير عليه على أن يصل ذلك فى مدى شهر من تاريخ انعقاد الجلسة .

٥ ـ يكون مكتب شيخ الأزهر هو المقر المؤقت حاليا والذى ترسل عليه المراسلات (ويكتب على المظروف خاص بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة) .

٦ ـ تفويض رئيس المجلس فى قبول الهبات والتبرعات والوصايا والأوقاف التى ترد للمجلس .

٧ ـ الموافقة على انضمام هيئة الأعمال الخيرية بعجمان (دولة الإمارات العربية المتحدة) إلى عضوية المجلس .

تنويهـــات

١ ـ وافق المجلس على إصدار بيان صحفى لأعمال المجلس يتضمن :

- انعقـاد الهيئـة التـأسيسيـة للمجلس .
- الموافقة على النظام الأساسى له .
- إن مهمة المجلس الرئيسية هى التنسيق بين الهيئات والمنظمات الإسلامية التى تتولى شئون الدعوة والإغاثة .
- اتخاذ القاهرة مقراً له .

٢ ـ على اللجان تحديد مواعيد اجتماعاتها وجداول أعمالها وإبلاغ ذلك للأمين العام للتنسيق وإخطار الأعضاء بها .

٣ ـ الأعضاء المشاركون فى اجتماعات اللجان أو هيئة المجلس أو دورته (عادية أو غير عادية) يتحمل كل منهم نفقات سفره وإقامته مدة انعقاد اللجنة أو الهيئة أو المجلس فى أى مكان يكون الانعقاد .

هذا : وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السادة الحاضرين على هذا اللقاء الطيب المثمر سائلا المولى جل وعلا العون والتوفيق ..

ثم رفعت الجلسة وقد أشرفت الساعة على الثـالثة من بعـد ظهر يـوم الخميس ١٤٠٩/٢/١١ هـ الموافق ١٩٨٨/٩/٢٢ .

الرئيـــس
شيـــخ الأزهــــــر
جاد الحق على جاد الحق
١٦ من صفر ١٤٠٩ هـ
٢٧ من سبتمبر ١٩٨٨ م

بيان ختامى عن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة الإسلامية والإغاثة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد

فإنه فضلا من الله ونعمة وبتوفيقه سبحانه ، قد اجتمعت الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى يومى الأربعاء والخميس ١٠ ، ١١ من صفر ١٤٠٩ هـ الموافقين ٢١/٢٢/ من سبتمبر ١٩٨٨ فى جلسات متعاقبة تدارست خلالها مشروع النظام الأساسى للمجلس .. وقد أقرت الهيئة هذا النظام وأصدرته .

حيث تقرر فيه اتخاذ القاهرة مقراً للمجلس ، وأن يتكون من هيئة رياسة يرأسها رئيس المجلس ، ومن لجان خمس هى : لجنة الدعوة والتعليم ومقرها القاهرة ، ولجنة الإغاثة العامة ومقرها جدة ، ولجنة المعلومات والمتابعة ومقرها مكة المكرمة ، ولجنة التمويل والاستثمار ومقرها الكويت ، ولجنة النشر والإعلام ومقرها بغداد .. وأن تكون هيئة رياسة المجلس مكونة من : رئيس المجلس ، ونائبه ، والأمين العام للمجلس ، ومن رؤساء اللجان سالفة الذكر .. كما وافقت الهيئة التأسيسية بالإجماع على اختيار شيخ الأزهر رئيساً للمجلس ، والسيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب نائباً للرئيس ، والسيد الأستاذ محمد كامل الشريف أميناً عاماً للمجلس .. وقد نص النظام الأساسي على أن مدة رئيس المجلس ونائبه أربع سنوات ومدة الأمين العام ثلاث سنوات .

ثم انعقدت الهيئة بوصفها المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، واتخذت ما يلي من قرارات وتنويهات :

أولاً : وافق المجلس على انضمام هيئة الأعمال الخيرية في عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة إلى عضويته .

ثانياً : قرر المجلس تفويض رئيسه فى قبول التبرعات والهبات والوصايا والأوقاف التى ترد إلى المجلس .

كما تحددت قيمة الاشتراك السنوى لعضوية المجلس ، والمواصفات التى تشترط فى الهيئات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية التى تتقدم للانضمام إليه مستقبلاً ، وإجراءات القيد فى العضوية ..

والمجلس يعلن للناس كافة ، وللمسلمين خاصة فى جميع الأقطار والأمصار أن مهمته العمل على تنسيق جهود وأعمال الجهات والمؤسسات والهيئات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة ، ويضع فى

← أنبـاء وآراء

اعتباره دعوة الناس جميعاً إلى العمل الإنسانى والإسلامى بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو مبدأ الإسلام الذى جاء به القرآن في قول الله سبحانه فى سورة النحل ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ..

وإنه بحمد الله قد سادت بين السادة أعضاء المجلس روح الأخوة التي وصفها الله فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وكانت المشورة فى جلسات المجلس فى نطاق الحوار الهـادف ، وتمت كل مقـررات المجلس بالإجماع .

وقد أنهى المجلس أعماله بتوجيه الشكر والتقدير إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك على استضافة مصر الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقرر إرسال برقية تحمل هذا الشكر ، وكذلك شكر السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء والحكومة المصرية عامة لترحيبها بهذه الاستضافة ، وتيسير أعمال المجلس ، حتى أنهى أعماله في هذه الدورة .

وفى ختام الجلسة .. وجه شيخ الأزهر تقديره للسادة أعضاء المجلس المشاركين فى اجتماعاته على الروح الطيبة التى سادت اللقاءات ، والجدية التى مارس كل الحاضرين فى ظلها أعمالهم ...

وعلى الله قصد السبيل .. وهو ولينا ونعم النصير ..

شيخ الأزهـــــر
جاد الحق على جاد الحق
١١ من صفـر ١٤٠٩ هـ
٢٢ من سبتمبر ١٩٨٨ م

« اللجنة العليا للدعوة الإسلامية »

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الدورة العالمية العاشرة لأئمة ودعاة العالم الإسلامى والممثلين لأكثر من ثلاثين دولة إسلامية ، كما قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج على الدارسين فى الدورة التثقيفية التى نظمها الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى ، والاتحاد الدولى للبنوك .

حضر الاحتفال الشيخ عبد الله العقيل الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامى ، والدكتور أحمد النجار الأمين العام للاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية . وفضيلة الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية والمشرف على هذه الدورات . كما حضره سفراء الدول العربية والإسلامية ، وعدد كبير من العلماء والدعاة .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● تفسير قريش . د . علي أحمد الخطيب	٢٥٧
● تفسير سورة الفجر . للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير	٢٦١
● في رياض السنة النبوية المطهرة . للأستاذ الدكتور رءوف شلبي	٢٦٦
● طلع البدر علينا . للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني	٢٧٥
● الصلاة على النبي ﷺ . للأستاذ زكريا أحمد نور	٢٨٠
● الدين روح الإنسان . للأستاذ محمد صابر البرديسي	٢٨٥
● عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية . للواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ	٢٨٩
● البحث عن الديانات القديمة . للدكتور عبد الجليل شلبي	٢٩٣
● التحذير من السفر إلى الغرب . لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	٢٩٨
● رسل الأزهر في بلاد النيجر . للسفير جمال الدين محمود أبو العيون	٣٠١
● طرائف ومواقف . للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٣٠٦
● الفتاوى . للشيخ عبد الحميد شاهين، للشيخ علي حامد	٣٠٨
من أعلام الأزهر	
● عبد العزيز البشرى . د . محمد رجب البيومي	٣١٠
● كامل السيد احمد شاهين . للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى	٣١٧
الشعر والشعراء — إشراف د . حسن جاد	
● إلى الرسول ﷺ في يوم ميلاده . للشاعر أحمد المنشاوى الوردانى	٣٢٦
● مولد رسول الرحمة ﷺ . للشاعر عمر عمران أحمد	٣٢٨
● في رحابك يارسول الله . للشاعرة نور نافع	٣٢٩
● من روائع الماضي لمجلة الأزهر . إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٣٣٠
● العلوم الكونية : اشعة الليزر ومجالات استخدامها . للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٣٣٤
اللغة والأدب والنقد	
● إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث . د . سيد رزق الطويل	٣٤٠
● حمزة والإسلام . للأستاذ السيد حسن قرون	٣٤٤
● الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية . للأستاذ عاطف شحاته زهران	٣٤٨
● من خير مانشر . إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام، عادل رفاعي خفاجة	٣٥٢
● انباء وآراء : إعداد : عمر البسطويسي، السيد خضير	٣٥٦
القسم الانجليزي — اشراف د . أنس النجار	
● المقالة الثانية . للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه	٣٧٧
● المقالة الاولى . د . أنس مصطفى النجار	٣٨٢

believers, and also chaste women among the people of the book revealed before your time; when ye give them their due dowers, and desire chastity, not lawdness, nor secret intrigues. (Surat Al-Maida, V, 6). With these directions, Muslims are allowed to eat the food of the people of the book" except what is specifically restricted in the generality of food. Muslims men are permitted to marry women from among the people of the book with their consent. Also Muslims should not discuss matters pertaining to religions except with respect, rationality and wisdom, and no compulsion should be excercised. This understanding is well instructed in the Holy Quran "And dispute ye not with the people of the book, except with good means; unless it be with those of them who inflict wrong and injury. Say, we believe in the Revelation, which has come down to us and in that which came down to you. Our God and your God is One and it is to Him we submit (in Islam). (Surat Al-Ankabut, XXIX, 46). In reality, Muslims and the "people of the book" should coexist in peace in coutries of Muslim faith and in coutries of non Muslim faith. The call to Allah through Islam is everlasting and continual in example,and in wisdom; and Allah provides the final light of guidance to the Path of Truth and Reality. The Christians and the Jews are non-believers according to Islamic analysis. The Jews remained to believe only in the message of Mousa, and the Christians remained to believe only in the message of Christ. According to Islamic understanding, religious messages complete each other, the message of Mousa, then the message of Christ, and finally the message of Muhammad which completes the overall dimensions of the totality and wholesomeness of Theism and Belief that is offered to mankind from Allah for guidance.

The second category of unbelievers are those who are not the "people of the book", those who worship other gods, those who worship idols, those who worship nature, and those who are heretics. Those are few among human societies, for mankind by his nature and instinct is in search for the Creator, and the call and impulse for belief remains rooted in mankind. With this category of unbelievers, Muslim should not deal except in emergency, should not eat their food, should not intermarry, and all dealings and transactions should be limited to obligatory needs. However, any pacts or promises should be respected to its terms.

The outward display of presentation in submission to Islam is indeed the perpetual balance and equilibrium of real freedom of faith. Since the heart is the actual seat of belief, Islam in its outward presentation of a verbal statement and functional actions, Iman remains to be inherent in the heart, with no authority except Allah to its reality of proof. Let us now understand the exact dimensions of the pillars of Islam - the verbal statement of "there is no god save Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah"; and the four functional actions of Salat, Fasting, Zakat, and Hajj.

money transactions have all been particularized and chartered in an Islamic system of social practices. Any attempt to defraud, corrupt, degrade these values is in reality an act of treason to Muslims, and therefore an act of hypocrisy to Islam. No man with conviction of faith, piety in his heart can infringe on these values with blemish and deformity except a hypocrite.

Now, we return to the alternations of Islam as external functional appearances and practices, and Iman as inherent conviction and unfaltering belief. Sometimes this inherent conviction and unfailing faith exists in the heart of man, but the external appearances and practices are non-existant or take place in secrecy. This condition may actually take place, and several examples are known of people who conceal their faith and belief in Allah. They expose themselves as non-Muslims by deleting the external appearances and practices of Islam. The reasons being beyond their capabilities to confront the social and family consequences and declare the totality of Islam, by performing its external practices and gaining its identity. These individuals are considered non-Muslims, in our judgement. They do not enjoy the rights of Muslims, and are not subject to the ordinances and duties of muslim jurisprudence. In the judgement of Allah, those individuals are believers. However, they should have the strength and confidence through their faith and true conviction to jump the hurdle of difficulty and commit themselves to the external features and practices of Islam, perform them with zeal and gain the qualification, the rights, the ceiling of the identity, and the recognition in the face of the Muslim society and Ummah.

The last situation, is the case where there is no external appearances of practices and therefore no social identify as Muslim; and there is also no belief or faith inherent in the heart. In this case, the individual is not a muslim and not a believer, in the judgement of Allah and society. The Holy Quran, and the honourable Sunnah categorized this class into two, and gave definition, characterization to each and justified the proper connections of Muslims with them. The first class of these non-Muslims are those that qualify under the term "the people of the book. These are precisely the Christians who follow the Mesiah - Jesus son of Mary (peace be upon them) and who practice the doctrines of the Gospel. Included in this class, are also the Jews, the followers of Moses (peace be upon him) who practice the doctrines of Torah. The Holy Quran has provided directions to Muslims of their relationship with the "people of the book". This day all things good and pure are made lawful to you. The food of the people of the book is lawful unto you and yours is lawful unto them. Lawful unto you in marraige are chaste woman who are

This type of hypocrisy appeared with the rise and ascent of the new creed of Islam and the call for human reform. It appeared during the life of the Prophet (prayers and peace be upon him) at Al-Madinah, particularly from among the Jews. The Prophet knew the signs of hypocrisy, suspected, but did not exploit their realities in search of their truth. It was only through the Holy Revelation that these hypocrities were exposed. In the text of the Holy Quran "The hypocrites are afraid lest a Sura should be sent down about them, showing them what is really passing in their hearts" (Surat Al-Tawba, IX, 64). "Certain of the desert Arabs round about you are hypocrites as well as among the Al-Madinah folks; they are obstinate in hypocrisy. Thou knowest them not: We know them, twice shall We punish them, and in addition shall they be sent to a grievous penalty" (Surat Al-Tawba, IX, 10). With this understanding, any accusation of hypocrisy after the completion of the Revelation, is unfounded, even if true. Only Allah knows the reality of the inner self of the individual. In the text of the Holy Quran" (Allah) knows the deceit of the eyes, and all that the hearts of (men)conceal (Surat Ghafer, XL, 19).

The second type of hypocrisy is the hypocrisy in the rituals of worship; Prayers, Fasting, Zakat, and Hajj. These are all external practices which are prescribed, and to which every Muslim is committed to perform and practice according to the canons pertaining to each. In their reality and depth, these rituals of worship are laudation, glorification, eulogy, praise, and tribute to Allah. If they are done, with reverence, sincerity and candidness, Allah accepts and rewards. If they are performed as outward appearances to impress the Muslim identity with self devotion and conviction, the utlimate end is with Allah alone. It is well versed in Islamic teachings that Prayers are the intimate link between man and his Creator; and so are the purposes of the other rituals or worship. In the face of external appearances, we deal and judge with what is visually seen, or is verbally said; but Allah knows well the inner self and what the hearts conceal. Even if evidence and proof exist of hypocrisy in worship, we as human can only interfere with advise and councel but certainly cannot withdraw the Muslim identity from others.

The third form of hypocrisy is that which takes place in social dealings and relationships. This is a very common feature in current materialistic societies which has unfortunately infused and proliferated in Muslim societies as well. Islamic doctrines and teachings cared particularly with the precision and honesty of social dealing and relationships. Exactness of terms and conditions, meticulous contracitng systems, accuracy in measures and weights, specifications of

community, and a pious believer in the judgement of Allah. The practice of the external features of Islam are rewarded by Allah alone.

On the other hand, when the external practice and presentation exist alone without the depth of adoration and devoted worship; the individual is considered a Muslim in the community; but unfaithful and unbelieving in the judgement of Allah. Such an individual is subject to all the jurisprudences of Islam, enjoys all the rights, and bears all the duties of Muslims. His heart is empty of reality and true faith, vacant from Iman. He is not rewarded from Allah for his "external practices" of Islam, which become mere appearnaces without intention and without conviction of faith. The Holy Quran differentiates distinctly between Islam and Iman.

"The desert Arabs say : "We believe" - say "Ye have no faith, but ye only say we have submitted; for faith has not yet entered your hearts. But if you obey Allah and His Apostle, He will not belittle any of your deeds, for Allah is Oft forgiving - Most Merciful".

"Only those are believers who have believed in Allah and his apostle, and have never since doubted, but have striven with their belongings and their persons in the cause of Allah: Such are the sincere ones."

Say "what will ye instruct Allah about your religion? But Allah knows all that is in the heavens and on earth. Allah has full knowledge of all things".

They impress on thee as a favour that they have embraced Islam. Say "count not your Islam as a favour upon me; nay, Allah has conferred a favour upon you that he has guided you to the faith, if you be true and sincere".

"Verily, Allah knows the secrets of the heavens and the earth, and Allah sees well all that ye do". (Surat Al-Hujurat, X LlX, 14,15,16,17,18).

It is worthwhile at this stage to understand the dimensions of the vicious term "hypocrisy", a term that no one can prove, and no one can defend. Hypocrisy generally means that one exhibits contrary to his inner reality; and with this characterization, hypocrisy becomes the pool of corruption, desgrace, weakness, cowardice, deciet and fraudulence. In Islamic understanding, hypocrisy can be classified into three major categories. The first is hypocrisy in the faith, in which the hypocrite shows the outward appearances and practices of Islam, and hides within himself his inner reality of unbelief.

One with no associate, and that Muhammad is His Messenger and Prophet; to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat); to observe fasts during the month of Ramadan; and to perform Pilgrimage for those who are able.

The concept of display and presentation of the submission incurs the understanding that Islam is a social characterization of the individuals of the Ummah, it is an identity of the Islamic society, the external morphological social features of the muslim community. It does not discriminate between the different human groups or races, this is evident in the Holy Quran; "O mankind ! We created you from a male and a female, and made you into nations, and tribes, that Ye may know each other. Verily, the most honoured of you in the sight of Allah, is he who is most righteous...>" Surrat Al-Hujurat, XLIX, 13). It is evident that in the text of the Holy verse, Allah addresses all mankind at large in its totality from the origin of its creation from male and female; and to its ultimate purpose of peaceful coexistance, and the pinnacle of preference is righteousness.

Islam also rejects the identity of geography; the Earth submits in absoluteness to the properties of its creation; with the understanding that the Earth is muslim. Irrespective of the identity of belief of the humans who inhabit a particular region, the Earth en mass is muslim. Geographical divisions, political segmentation, historical impacts, may affect global changes and differences; nothing, however, can affect the embracing universality of Islam inherent in all creation. Also, nothing can affect the diffusion of Islam into human minds, wherever mankind exists.

The external features and "presentation" of Islam are evident in the five ordinances which constitute a statement and four actions. The verbal confession of a statement and the performance of the four actions are essentially external functions of the appearance. These external practices may imbibe the inner love of true faith to surmount to the beauty and grandeur of devoted worship "Iman"; or may remain superficial, naked and devoid, unable to achieve the inner love of true faith, and by time degenerate to risk falling into the pitfalls of hypocrisy and falseness. In this context, it is necessary to elaborate on the understanding of Islam as "external features and presentation", and Iman as the piousness of devoted worship". When these external presentations and features of Islam are combined with "Iman" as the belief in Allah, His angels; His Holy Scriptures; His Apostles, the day of judgement; and fate good or bad; the ultimate situation is that this particular individual is a Muslim amidst the Muslim

WHAT IS ISLAM ?

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXl, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

Islam is the surrender, resignation and absolute obedience to the Message of Allah as delivered by His Messenger Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) in the Holy Revelation of the Quran. This Message precipitated into certain injunctions, precepts, ordinances and decrees that have developed into sacramental doctrines of Islamic theism. The display and presentation of this submission is the strict practice and performance of the five pillars of Islam without addition or deletion. The witness that Allah is

rebel tribes in that area, as ordered by Abu Bakre at the start of the Iraqi campaign. That situation was disappointing to the Khalifah at Al-Madinah, to the Muslim worriors under the command of Ayyad. The only compensation for everybody was the Muslim victory in the south of Iraq. Khalid felt very stagnant, remaining for a year without active combat. He could not disobey Abu Bakre, however, he could manipulate his activities to suit the orders of Abu Bakre. He decided to move north to Al-Anbar and Ein Al-Tamre.

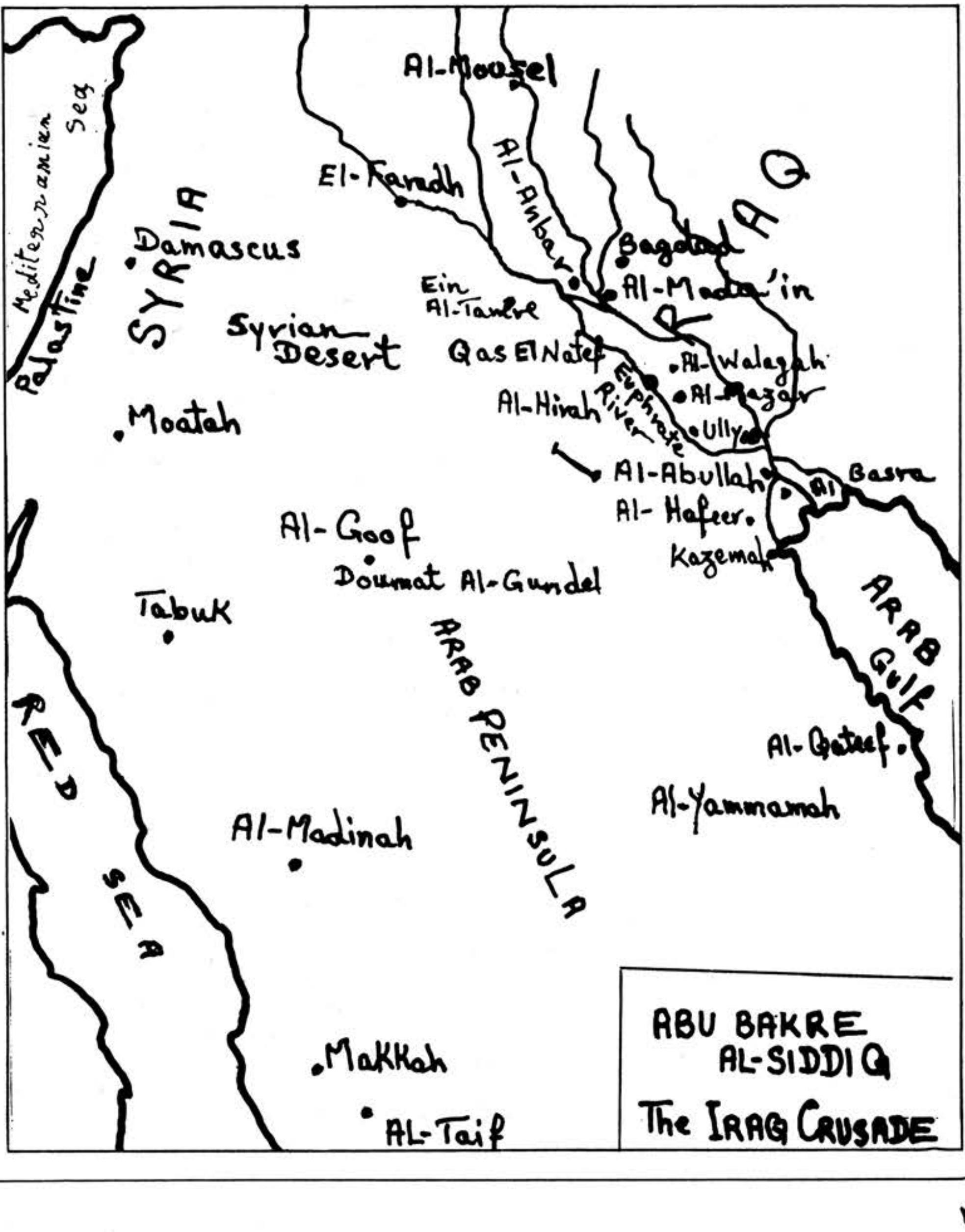

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
The IRAQ CRUSADE

This attitude of behaviour on the part of the Persians and Christian Arab tribes did not demote the active thinking of Khalid ibn Al-Walid. Khalid considered that the real safeguard of Muslim presence in the territories occupied was by the capture of Al-Hirah, the main city in the south of Iraq. The governor of Al-Hirah was a Persian called Azathbah who acted on behalf of the King of Persia. Al-Hirah was the capital of the old Arab Iraq, and held a special favour and prestige in the hearts of the Arab tribes of Iraq. Azathbah recruited his troops and ordered his son to cut the waters flowing into the river to Amgeshia. The boats carrying the Muslim troops were marooned on the dry river bed. Khalid recognizing what had happened, speeded with his horsemen to the mouth of the river, attacked the son of Azathbah and his men, defeated them and opened the waters to flow into the river. The ships carrying the Muslim troops were again sailing afloat to reach the vicinity of Al-Hirah. Azathbah fled affected by the death of his son, and the death of Ardasheer, King of Persia. The inhabitants of Al-Hirah took refuge in the city bastions and prepared to defend the city. After a brief siege, the people of Al-Hirah requested a peace treaty, and that was arranged between Khalid ibn Al-Walid and several governers of the districts of Al-Hirah, in return of a compensation (Jiziah) to be paid annually to the Muslims in return for offering protection to the people of the districts of Al-Hirah. These districts included Qus Al-Nateff and others. The people of Al-Hirah were allowed the full freedom to practice their Christian faith and to have the property of their lands and trade. The news of these peace treaties reached Abu Bakre at Al-Madinah, who approved the treaties and wrote to Khalid his further instructions.

Khalid took Al-Hirah as his headquarters, and proclaimed it the first Islamic capital outside the Arab Peninsula. He left the civil and social administration to members of its population with full justice and freedom to prevail. This new policy introduced by Muslim occupation created an atmosphere of social order, peace, stability, social and individual self respect. The people of Al-Hirah and all the occupied territories in the south of Iraq, from the coast of the Arab gulf south to the precincts of Al-Mada'in north; had never experienced such social justice and prosperity during the days of the Persian occupation. Khalid ibn Al-Walid organized his troops and stationed strongholds in strategic places. The strict order of Abu Bakre to Khalid, was to remain at Al-Hirah and not march to Al-Mada'in until further isntructions. Khalid remained at Al-Hirah for one whole year without any fighting engagement.

During that time, Ayyad ibn Ghanm found difficulty at Doumat Al-Gundel, and was not successful in subjugating the

Abu Bakre to the Muslim commanders in Iraq. Khalid ibn Al-Walid garrisoned the main body of his troops at Al-Mazar, and commissioned guard forces to be stationed at Kazimah, Al-Hafeer, Al-Basrah, and at Al-Abullah. He remained at Al-Mazar, awaiting news of the Persian forces.

The new Persian command under Bahman Jazawiah decided to recruit Christian Arab Tribes to fight the Muslims alongside the Persian forces. This massive consortium of troops marched south from Al-Mada'in to Al-Walagah to prepare for a decisive battle against the Muslims. The news of the Persians reached Khalid ibn Al-Walid at Al-Mazar. He planned his strategy, secured his supply lines and moved north with the bulk of his forces to confront the combined forces of Persians and Christian Arab tribes at Al-Walagah. After a severe battle, the Muslims were victorious. The spoils of battle were very abundant, which was lawfully divided among the Muslim worriors after the share of the treasury at Al-Madinah which was sent to Abu Bakre with news of the victory, and request for instructions of strategy and general policy. The commands of Abu Bakre were always to be just, humble, honest, not to plunder, not to kill children, women, old men, or any body who did not take part in combat against Muslims; and to allow farmers the free cultivation of their lands and trade.

The defeated Christian Arab tribes became very distressed with the disaster at Al-Walagah, more so than the Persians themselves. These tribes took the initiative and contacted the Persian command to arrange for another confrontation against the Muslims with a combined strength of Persian and Christian Arab tribal forces. They arranged to join forces at Ullyass on the Euphrates River between Al-Hirah and Al-Abullah under the command of Bahman jazawiah. Khalid ibn Al-Walid strategically circled back to Al-Hafeer to safeguard his back, and then marched north to Ullyass on the Euphrates River. At Ullyass, Khalid engaged the Christian Arab tribes and defeated them. The Persian forces then went into battle against the Muslims. The encounter was vehement, and fierce fighting took place, which ended after rigorous efforts with triumph for the Muslims. After the victory at Ullyass, Khalid overtook Amgeshia. Again, the spoils of battle were collected and distributed, sending the share of the treasury to Abu Bakre with heralds of the triumph. The decisive military superiority of the Muslims was a severe blow to Persian pomp and arrogance. The Persian military establishment became distorted and very reluctant to venture into another confrontation against the Muslims. The Christian Arab tribes were dispersed in the deserts and in the lands between the Euphrates and Tigress Rivers.

Persian rule. Khalid ibn Al-Walid recruited about ten thousand worriors from the Muslims who fought on his side during the wars of the apostates. Khalid arranged to meet with Al-Muthanna at Kazemah. Khalid divided the total Muslim forces into three contingents. The first commanded by Al-Muthanna, the second by Addii ibn Hatem Al-Taii, and the third commanded by Khalid. The destination was Al-Hafeer a village of water wells to the north west of Kazimah. The Persian commander Hormuz gathered his troops to confront the Muslim forces. Both armies faced each other, and both Khalid and Hormuz went into a duel in which Khalid killed Hormuz. The Persian army rapidly dispersed and retreated. Khalid ibn Al-Walid commanded Al-Muthanna to pursue them. Al-Muthanna continued his pursuit of the retreating Persian troops to reach Al-Basrah, then Al-Abullah and further penetrating the lands north to reach the environs of Al-Mazar on the tributaries of the Euphrates River.

The policy dictated by Abu-Bakre was very strictly implemented. The farmers of Iraq in the territories overrun by Muslims were left in peace to cultivate their lands without any interference. They were relieved from the tyranny and subjugation of the Persian rule. Khalid divided the spoils of war between his worriors, after sending the lawful share of one-fifth to Abu Bakre to be put in the mulsim treasury. Khalid secured his lines of supply and posted security forces at strategic points. The first victory over the Persian forces on the battlefield raised the enthusiasm and eagerness of the Muslim worriors fighting outside the Arab Peninsula. Their presence in what was to them foreign lands, was instigated essentially by their duty to strive for the call to the path of Allah and to summon to Islam. This was perpetuated by their love for adventure, gallantry, and the strength in triumph, and lawful rewards from the spoils of battles.

Al-Muthanna ibn Harithah reached south of Al-Mazar where his scouts informed him that the Persian armies were gathering at Al-Mada'in under the command of Qaren ibn Qeryans. These armies were travelling south to Al-Mazar. Al-Muthanna wrote to Khalid informing him of the exact situation. On receiving that information, Khalid hurried with his troops to reinforce Al-Muthanna at Al-Mazar. There at Al-Mazar, the Muslim armies went into combat with the Persian forces, and once more, the Muslim armies were victorious. The defeated Persian forces retreated to the river mounted ships and prevented the Muslims from following them. The victorious Muslim armies remained at Al-Mazar re-organizing their ranks, collecting and dividing the spoils of war. The farmers were assured of thier land ownership, property, trade and social rights. This was specifically and repeatedly instructed by

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
THE IRAQ CRUSADE
(Part 1)

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

Abu Bakre took time to deliberate and consider in the resignation and self denial of a true muslim. The decision to allow Muslims to infiltrate across the northern borders into Iraq was not any easy decision. He consulted companions of the Prophet, war veterans, pious men, and people with foresight and wisdom. He deeply supplicated to Allah to grant him the decision that would be for the benefit of Islam and Muslims. Al-Muthanna ibn Harithah Al-Shaibany had already penetrated the Iraq borders with Muslim worriors travelling north along the Arab Gulf to reach the environs of Kazimah south of Al-Basrah. Al-Muthanna ibn Harithah came to convene with Abu Bakre at Al-Madinah, to explain the exact situation and invoke Abu Bakre to the decision to cross the Iraq borders and emancipate Arab tribes and Iraqi farmers from the yoke and oppression of the Persian rule. Abu Bakre finally conceded; inherent in his mind the deep desire for the spread and propagation of Islam, the Muslim crusade into Iraq.

Abu Bakre ordered Al-Muthanna to continue fighting the Persian troops in the territories south of Iraq. When the news of victory reached Abu Bakre, he decided to support Al-Muthanna by sending other Muslim troops into Iraq. Abu Bakre commissioned Kalid ibn Al-Walid to recruit Muslim troops and march north from Al-Yammamah where Khalid was residing and to meet with Al-Muthanna. Abu Bakre also commanded Ayyadh ibn Ghanm to march north from Al-Madinah to Doumat Al-Gundel to subdue the rebels in that area, and then travel east to Al-Hirrah into Iraq territory. Abu Bakre ordered the Muslim commanders crossing into Iraq to be very linient and just with the Iraqi farmers, not to fight them, not to take them prisoners, to allow them cultivate their land and trade their crops, and to relieve them from the dire affliction of the

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 61, Part III

Rabie Al-Awal, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.

The Iraq Crusade.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. What is Islam ?

By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

وضاع جوار قريش!

للعرب تعليق رائع على « حَدَثٍ » لم يتوافر له عنصر « الإحكام » فأودى بفاعله :

فقد أراد مَنْ لا يحسن السباحة أن يعبر نهراً ، فأتى بقراب لجلد حيوان ونفخه بِفَمِهِ حتى كَدَّسَهُ هواء ، ثم أَوْكى رقبته بوكاء[1] ، واندفع به فى النهر كحزام واق ، حتى إذا توسط النهر انحل الوكاء ، فتسرّب الهواء ، وغرق هذا العابر ، فقالت ـ فيه ـ العرب :

« يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوك نَفَخ » .

أى : أنت صانع هلاكك ومدبره ، فما ائتمر عليك أحد ، ولا أقحم نفسه عليك إنسان ، وصار التعليق مَثَلاً لمن يُوَبَّخُ على فشله بما كسبت يداه .

وهذا المثل أصدق ما يكون على قريش ، وهى تمارس ألوان العدوان على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين ـ رضوان الله عليهم ـ وبخاصة بعد وقوع « عُهْدَة الجوار » مع المدنيين ، فإنها حين كانت تأتمر بالمؤمنين إنما كانت تأتمر برءوس زعمائها حتى ألقت بهم فى « أتون بدر » فما بعدها فذهبوا وقوداً للجحيم .

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ
نوفمبر ١٩٨٨ م
الجزء الرابع
السنة الحادية والستون

وممارسات قريش العدوانية هذه إنما انطلقت من شيء واحد ، هو اعتبارهم « المدينة » عدوا محارباً يُعِدُّهُ محمدٌ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقضاء عليهم ، فتبادروا للتصدى لهذا « العدو » بكل سبيل . ومن هنا كانت هذه الممارسات التى اتخذت طابعين :

طابع سريع التنفيذ له ممارساته .

وطابع بطيء التنفيذ طويل المدى مستمر الضربات إلى أن يتم تنفيذ « حلم » القوم بالسيادة على المدينة .

وقد لا تكون هاتان السياستان تكونتا من القوم سريعاً عقبَ العهدة ، لكن ممارساتهما وُجِدَتا على أى حال ، ونشطتا فى تتابعهما :

فكان بعضها سافراً ضد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وبعضها سَوْماً من عذاب المؤمنين بمكة .

وبعضها عدواناً مباشراً على المدينة أو أهلها .

ولقد أمكن ـ بعون الله تعالى ـ حصر هذه الممارسات ، ولكن .. لعلها ليست كل شيء فعلمها عند ربى .

ولا ننسى أن نُذكِّرَ المتابِعَ لهذه الحلقات بحرص مؤمنى مكة ، من كان منهم بالمدينة ، أو كان بمكة ، وفى مقدمتهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ألا يورطوا المدينة فى أذى فضلاً عن أن يكونوا سبباً فى دفعها إلى حرب ؛ فهم يبغون السلامة ، يريدون أن يكونوا ضيوفاً كراما خفافاً يفرغون لرسالة ربهم، وينصحون بها فى دعوة خالصة التقوى، نقية السريرة .

وأبت قريش إلا ما تريد ؛ فقد كان لا يرضيها إلا ردع هؤلاء المهاجرين ، ثم درسٌ قاسٍ ينزل بالمدينة وأهلها تسترد قريش بعده زعامة الجزيرة ..

أبت قريش ، وأبى الله إلا ما يريد .

ولقد قدمنا ـ فيما مضى من حديث ـ بعض هذه الممارسات ، وسوف نشير إليه سريعاً ليتوافر لنا حصر الجميع فى إطار واحد ؛ قلنا :

- كان تفسير « عهدة الجوار » بأنها حلف لمحاربة قريش هو ـ فى ذاته ـ عدوان أوَّل موجه إلى المدينة .
- تَبِعَهُ ـ ثانياً ـ مطاردة اليثربيين مطاردة جماعية تبغى إلحاق الأذى بهم عقب قفولهم من مِنى إلى ديارهم عقب الحج ، وتمكنهم من أذى سعد بن عُبادة ـ رضى الله عنه ـ ولولا جوار أنقذه لكان من الهالكين .. وذلك عدوان واضح على المدينة .
- فَمَنْعُ قريشٍ أهلَ المدينة من ممارسة الشعائر الدينية بالأرض الحرام بعد هذا العدوان ، فلم يتمكن من أدائها إلا من دخلها منهم بجوار من مكىّ ، ووقعت هذه المصادرة للمدنيين فقط من بين سكان الجزيرة ، والعدوان ـ على المدينة فى هذا الأمر ـ واضح .
- إنزال العذاب بالمؤمنين فى مكة ، والتفنن فى ألوانه حتى جأروا منه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .
- وقفت قريش تمنع المؤمنين من الهجرة لاعتبارها كُلَّ مهاجِرٍ قوة تضاف إلى خصمهم فى

المدينة ، من أجل ذلك رصدوا عيونهم على المسلمين فماهاجر من هاجر منهم إلا خفية .

● فلما وقعت الهجرة ، وتمكن منها من هاجر سعت قريش إلى إرجاع المهاجرين بأسلوب مختلف عما فعلته فى الحبشة ، فقد طلب سفيرا قريش إلى الحبشة إرجاع المهاجرين جميعاً إلى مكة ، فلم يتحقق من ذلك شىء فَرَأَوْا - بالنسبة للمدينة - إعادتَهم وِحْداناً ، وتقدمهم - إلى ذلك - أبو جهل نفسه ؛ فقد احتال ، ومعه شقيقه الحارث بن هشام لإعادة أخيهما لأمهما « عَيَّاش بن أبى ربيعة » رضى الله عنه ، حدث ذلك ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا زال مقيماً بمكة لم يبرحها ، فذهبا إلى أخيهما المهاجر بالمدينة ، ومكرا به ، وأتياه من حيث برّه بوالدته وحدبه عليها حتى أقنعاه بالعودة معهما ؛ لأنها « نذرت ألا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك » فَرَقَّ لها ، ولم تصرفه كلماتُ عُمَرَ إذ قال - يثنيه : « إنه - والله - إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ؛ فوالله ، لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لا ستظلت » .. وما أن كانوا بظاهر المدينة حتى عَدَوَا عليه فأوثقاه ، وأعانهما عليه الحارث ابن يزيد القرشى من كنانة ، ودخلا به مكة موثقاً ، وجلداه نحوا من مائة جلدة ، فَعَلاَ ذلك كله ليجعلا من عياش عبرة لمن تحدثه نفسه بالهجرة ، ونادى أبو جهل - فى أهل مكة :

« هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا » .

وتبعه فى ذلك أناس ، واستمرت ممارسة هذا اللون دهراً طويلاً .

● ثم كان تآمرهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقتله ، جاء فى "الدرر" ص ٥٨ :

« فلما رأت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى (المدينة) وقد دخل أهلها الإسلام ، قالوا : هذا شَرٌّ شاغل لا يطاق . فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم » وفى « الحلبية » ٢/٢٥ .

« إن هذا الرجل - يعنى النبى - صلى الله عليه وسلم - قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنَّا - والله - لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه ، فأجمعوا فيه رأيا » .

فكان إجماعهم على قتله - صلوات الله وسلامه عليه - فبَيَّتوه ورصدوه وأنجاه الله - سبحانه - وخرج سليماً ، وقد أُذِنَ له فى الهجرة صحبة الصديق - رضى الله عنه .

وليس يعنى ذلك أن التفكير والتدبير لقتله - عليه الصلاة والسلام - قد انتهى بهجرته ، فقد توالت هذه المؤامرات بعينها حتى اشترك فيها منافقون ، وقام لها يهود .(٢) .

● استولت قريش على ما أمكنها من أموال المهاجرين المستضعفين ، ومنهم صهيب الرومى - رضى الله عنه - لم يُترك لهجرته حتى تَرَكَ لهم ماله .

● الاستمرار فى مقاومة الدعوة ، فمن ذلك ما فعلوه حين علموا بما حدث بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسُراقةَ بن مالك ؛ فقد تحدث سراقة إلى قومه - وكان زعيماً مطاعاً فيهم - بما كان من شأنه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَأَمَارات صدقه وبره ، واشتهر ذلك عنه . قال ابن كثير :

« فخاف رؤساء قريش مَعَرَّته ،(٣) وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم ، وكان سراقة

أمير بنى مُدْلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ إليهم : فى أبيات تضمنت :

بنى مُدْلج إنى أخاف سفيهَكم   سُرَاقَةَ مُسْتَغْوٍ لِنَصْرِ محمدِ
عليكم به ألَّا يُفرِّق جمعكم   فيُصْبحَ شَتَّى بعد عِزٍ وسؤدد »

قال : « ذكر هذا الشعر (الأموى) فى مغازيه ـ بسنده ـ عن أبى إسحاق ، وقد رواه أبو نُعَيم ـ بسنده ـ من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد ـ فى شعر أبى جهل ـ أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً »(٤) .

● فتحت قريش ذراعيها لإيواء المنافقين من « المدينة » وبخاصة من تقدم منهم بأذى للمسلمين كذلك سعوا إلى اليهود لتكوين جبهة ضد المؤمنين ـ فى عقر دارهم ـ وتلك من سياسات قريش طويلة المدى ، من ذلك أنه :

استقبلت قريش الحارث بن سويد مرحبة به ، وكان منافقاً خرج مع المسلمين (يوم أحد) فلما التقى الجمعان عدا على المُجَذَّر بن زياد البلوى فقتله ولحق بقريش فآوته(٥)

ثم كان أبو سفيان « فأرسل رجالاً من قريش إلى المدينة فحرقوا بعض نخلها ووجدوا أنصارياً فقتلوه » وهكذا امتدت أيديهم إلى التخريب فى المدينة .

● جلب السلاح لمحاربة المسلمين وهذه إحدى سياسات قريش لإشعال الحرب ـ فِعلاً ـ وتلك السياسة هى التى دفعت بالمؤمنين المهاجرين إلى رصد قوافل قريش لإنهاك اقتصادها ، وقد استطاعت سرية لعبد الله بن جحش ـ رضى الله عنه ـ أن تصادر قافلة منها فاستاقوا عِيرَها إلى المدينة،وكانت عيون المسلمين على علم بنشاط قريش لجمع السلاح قبل (بدر) وسجل ذلك شعراً المؤمن الكفيف عبدُ أبو أحمد بن جحش ـ رضى الله عنه ـ ومن أبياته فى ذلك قوله :

إلى الله وجهى والرسولِ ومن يُقِمْ   إلى الله يوماً وجهَهُ لا يُخَيَّبُ
وكُنَّا وأصحاباً(٦) لنا ، فارقوا الهُدى   أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كَفَوْجَيْنِ أَمَّا منهما فَمُوَفَّقٌ   على الحق مَهْدِيٌّ ،وفوجٌ مُعَذَّب

● ثم تصل قريش إلى أوج غرورها ـ قبل بدر-إذْهددت كتابة بحرب المدينة ، واستباحة حرماتها بعد هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها ، فأطاحت ـ بيدها ـ مالها من حصانة،إن كانت،فلم يجد المسلمون بدا من اتخاذ أسباب السلامة ، وتطويق ما أمكن من قوافل قريش ؛

فكان من ذلك وقائع ، روى أبو داود فى سننه ـ رضى الله عنه ـ بسندِهِ ، قال :

إن كفار مكة كتبوا إلى ابن أُبَىّ ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ ـ بالمدينة ـ قبل وقعة بدر :

(إنكم آويتم صاحبنا ، وأنا نُقسم بالله لَتُقَاتِلُنَّهُ أو لَتُخْرِجُنَّهُ ، أو لنسيرَنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتلَ مقاتلتكم ونستبيح نساءكم) .

فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبى ، ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلما بلغ ذلك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَقِيَهُم فقال :

لقد بَلَغَ وعيدُ قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ،

تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » .

فلما سمعوا ذلك من النبى - صلى الله عليه وسلم - تفرقوا »[٧]

وبعـــد ..

فمن الملاحظ أن أحداثاً من هذه الممارسات وقعت بعد (بدر) وليس يعنى وقوعها بعد بدر أن ليس لها نظير من قبل بدر ، فقد كانت مؤامرات آثمة تحاك فى الظلام ، ومثلها عادة يحتاط له فلا تصيبه عين التاريخ ، وكم من أحداث تمت فى الظلام حتى خفيت عن معاصريها ، فضاعت وضاع معها التاريخ .

هذا ، ثم إن أعتى هذه الممارسات فعلاً وأشرسها ضراوة كان قبل بدر حتى انتهى إلى هذا التهديد السافر بغزو المدينة ، ولست أدرى : بم أصف كُتَّابا غربيين ومن جاراهم من شرقيين عابوا على المسلمين رصدهم لتجارة قريش .

أكان ذلك عن جهل بالتاريخ ؟!

أم هو الحقد على الإسلام والمسلمين ؟!

أم هما معا لتشويه منزلة النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه - وصحابته المرضيين - رضوان الله عليهم ؟!

أيما كان :

فقد أذن الله - سبحانه - لرسوله صلى الله عليه وسلم - فى القتال بعد هجرته - عليه الصلاة والسلام . وأمام القارىء ممارسات قريش التى يجب أن تواجه ، وتُرْصَد ، ويُقْضَى عليها ، فكانت سراياه - صلى الله عليه وسلم - وغزوته قبل بدر ، وهى سرايا وغزوات قام بها المهاجرون - فقط - وانتهت إلى :

أ - تأمين الطريق أمام المسلمين بما أقامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عهود مع بعض القبائل كالعهد بين المسلمين ومجدى بن عمرو الجهنى بـ(العيص) بلد قريب من المدينة) ومصالحته لبنى ضمرة فى غزوة (ودّان) وحِلْفه - صلى الله عليه وسلم - معهم - على نصرة المسلمين ومحالفته لبنى مدلج وحلفائهم فى غزوة العُشَيْرة .

ب - استطاعت بعض السرايا - كما مر - أن تحيط بقافلة وتَفُتَّ بذلك فى عضد قريش، وبإذنه - سبحانه وتعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - فى القتال - صار قتاله - عليه الصلاة والسلام للأعداء على مبادىء خمسة كان المبدأ الأول منها :

« اعتبار مشركى قريش محاربين لأنهم بدءوا بالعدوان ، فصار للمسلمين قتالُهم ومصادرة تجارتهم حتى يَأْذن الله بفتح مكة ، أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين »[٨]

ثم وجه - عليه الصلاة والسلام - إلى القرشيين سهماً صائباً، إذ نَصَّت وثيقة الموادعة التى وضعت فى المدينة -بعد الهجرة وقبل بدر- على إسقاط "جوار" قريش نفساً ومالاً ، فجاء فيها:

« ٢٠ ب (وإنه لا يُجير مشرك مالا لقريش ، ولا يحول دونه على مؤمن) »
وفى « ٤٣ (وانه لا تجار قريش ولا من نصرها) »[٩] .
وهكذا فقدت قريش ـ فى ضوء سياسة هادئة صبورة رشيدة موفقة :
١ ـ أمان الطريق .
٢ ـ جوارها المتبادل بينها وبين القبائل .
٣ ـ أرضا لقبائل يمكن توجيه الحرب منها ضد المدينة .
أو بلسان العصر « أصبحت قريش فى عزلة » فإن من يحارب مع قريش سوف يحارب قريشاً إذ المهاجرون بعض قريش ، وذلك ما تأباه العرب .

د. على أحمد الخطيب

الهوامـــش

١ ـ ربطها بحبل

٢ ـ راجع لابن الأثير ـ اسد الغابة ـ الترجمة رقم ٤٠٩١ ط الشعب . حيث : مؤامرة صفوان بن أمية وعمير بن وهب بن خلف الجمحى القرشى لقتله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانظر بمراجع السيرة الشريفة ، وبخاصة « الشفاء » للقاضى عياض شيئاً من هذه المؤامرات ، فَبِثَمَّةَ : بيان عمن اخترط سيفا لقتله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو راقد ، ولمنافق مَرَّ بفرسه فى سرعة جنونية ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائم على شريط ضيق أسفله مهوى وَعْرٌ ، يريد بذلك الا يتمكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النجاة فى الوقت المناسب لسرعة المفاجأة ، ثم امر الشاة المسمومة .. إلخ كل ذلك ... والله محيط بكيدهم حافظ لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ تطلق المَعَرَّة ، ويراد بها : الأذى والمساءة والمكروه ، والغُرْم ، والإثم ، والشّدَة . إلخ ..

٤ ـ ٢/٢٤٩ .

٥ ـ روى ايضاً انه قتل معه قيس بن زيد احد بنى ضبيعة ، ولم اعثر على هذا الصحابى ـ رضى الله عنه ـ بأسد الغابة .

٦ ـ كذا بالنصب .

٧ ـ سنن أبى داود ٢/١٣٩ ، ١٤٠ ط أولى سنة ١٣٧١ مصطفى البابى الحلبى . وانظر . د/ محمد حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٤٨ ط ٣ الإرشاد ـ بيروت ١٣٨٩ .

٨ ـ انظر للشيخ محمد الخضرى بك ـ نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص ١٣٤ ، ١٣٥ مطبعة الآداب مصر ١٣٢٨ .

٩ ـ انظر ابن كثير ٢/٣٢٣ ود/ محمد حميد الله ـ المرجع السابق ص ٤٤ و٤٦ .

ميلاد الرسول

صلى الله عليه وسلم

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

درج الناس فى هذا العصر على أن يقيموا الأحفال والمادب فى مناسبات اجتماعية ، وسياسية ، تنوعت من جيل إلى جيل ، وكان تاريخ ولادة إنسان أى إنسان محل الاحتفاء من أهله وذويه يكرمونه فى حياته ، ويذكرونه بعد مماته وسرت هذه العادة بين المسلمين فانبروا فى جهات عديدة من أوطانهم يتلهفون على استقبال كل يوم مشهود لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل أيامه صلوات الله وسلامه عليه مشهودة معدودة فى الأيام الخوالد .

وإذا كان المسلمون يذكرون اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول : يستقبلونه بالفرح والسرور ، باعتباره تاريخ يوم ازدانت فيه الإنسانية بولادة الرسول الذى اصطفاه الله ختاما لأنبيائه ورسله واختصه بمعجزات عديدة توجت بالقرآن الكريم ، كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد .

فإن مولده صلى الله عليه وسلم كان إرهاصا ببلوغ الإنسانية رشدها ، وأنها تأهلت لتلقى رسالة الله إلى الناس ـ الإسلام ـ كلمة الهدى ودين الحق ، وأن ولادته فى (مكة المكرمة) قد أشاعت فيها النور والسرور ، والصفاء والدعة وأذنت بتجديد دعوة إبراهيم فى بيت الله الحرام ، وأنه بهذه الولادة وبذات المولود اعتدل الزمان ، وخشع لذكره الكهان وتصدع ـ رهبة لدينه ـ الإيوان ، بالرغم من ولادته فى كنف اليتم ، فلم تتسابق إليه المراضع ، بل ظفرت به مرضع لأنها لم تظفر آخر المطاف بغيره .

نذكر ـ نحن المسلمين ـ ، بل ، بنى الإنسان ـ أن الله سبحانه شاء لنوره وبرهانه أن يشرقا فى هذا المنزل المتواضع كما شاء أن يظهر مجده وسلطانه فى هذا اليتيم الوادع ، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمى لتكون آيته مبهرة للعيون والأفئدة ، ودعوته أبرع فى العقول والألباب ..

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

جلت حكمة الله ، فلو اتخذ رسله من الملوك لا تهمت المعجزة والتبس على الناس أمر القدرة ، قدرة الله الكبير المتعال .

ولد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، مثل الله الأعلى للإنسان الكامل ، الذى رباه الله وأدبه ، وصوره خَلْقا وخُلُقا سويا ليرسم الأخلاق بالمثل ويعلم الدين بالعمل وينظم الحياة بالقدوة .

نعم : فقد اجتمع فى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ماتفرق فى جمع الناس من خصال الرجولة ، وخلال البطولة ، وخلائق النبل ، مع أن بيئته العامة لا تملك من ذلك إلا القليل متفرقا فى الأفراد والزمان .

كانت ولادته وحياته صلى الله عليه وسلم قانونا إلهياً خالداً لصاحب الدين ولصاحب الدنيا كذلك ، وما تزال وسائل الجهاد التى حدد بها أسلوب العيش وأقام بها ميزان المجتمع عناوين فخمة فى صفحات العلم والسياسة والأخلاق .

فلقد رعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه واتجر فى مال زوجه فكان فى جلائل الأمور كما كان فى صغيرها صادق العزم ، كريم العهد وثيق الذمة ، راجح العقل حلو المعاشرة ، لين العطف ، وصفته زوجه خديجة فقالت : (يحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق) .

لقد جهر بدعوته إلى الله بعد أن خَافَتَ بها فى قومه ثلاث سنين ، وتألبت عليه عناصر الشر فما صرفته عن عزمه ، ثم تجلت فيه مواهب الكمال الإنسانى حيث حشد قوة النفس وقوى الصدق ، فجاهد بالصدق ، وجالد بالصبر ، وصاول بالرأى وحاور بالمنطق ، وتلك مزيَّته على سائر النبيين والمرسلين إذ كان كل نبى وكل رسول يبرز على قومه فى بعض المزايا ، لكن رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم قد أتم الله عليه مانقص فى غيره ، فكان رسولا للدين وللدنيا وللتشريع ومع هذا فهو علم فى البلاغة ، ودستور فى السياسة ، وقائد فى الحرب .

فهلا تذاكرنا - نحن المسلمين - ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلق قويم ، فهو الأمين وهو الصادق وهو الوفى بالعهد وبالوعد وهو بالمؤمنين رءوف رحيم .

هلا تذاكرنا طريقه فى الدعوة إلى الله حيث أثنى الله سبحانه عليه فى كتابه فقال فى سورة آل عمران(1) : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

فهل لأولئك النفر من المسلمين الذين غلظت قلوبهم ، وانغلقت عقولهم فأساءوا إلى الدين بهذه الغلظة التى اتخذوها وسيلة فى الدعوة إلى الله وأشاعوا الخلف بين المسلمين ، وأقاموا الفرق والجماعات المتصارعة باسم الدين وأشاعوا أوصافا وأخلاقا يأباها الإسلام وأحيوا مواتا من الفكر الضال المضل ، هل لهؤلاء فى هذه الذكرى المباركة التى تمر بنا - أن يقرءوا سيرة رسول

---

(1) الآية : ١٥٩

الله صلى الله عليه وسلم وسنته فى فهم وتدبر وأن يتمثلوا طريقته وينهجوا سبيله فى الدعوة إلى الله ، فلا قسوة ولا جفوة ، ولا غلظة ، ولا سفاهة فى القول ، وإنما كما قال الله فى سورة النحل(٢) ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

وكما قال فى سورة التوبة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

هل لأولئك الذين يتبارون فى الدعوة إلى الفتن واختلاق أسباب الاختلاف والنزاع أن يعلموا أن الله سبحانه حذر من صنيعهم فقال فى سورة الأنفال(٣) ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

وهل لأولئك الذين يثبطون المسلمين ويدخلون عليهم اليأس فى دينهم ودنياهم أن يتفهموا قول الله سبحانه فى سورة الأحزاب(٤) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيرًا ﴾ .

فيقدموا البشارة والبشرى ، ويدعوا إلى الصفاء والنقاء ، والأخوة وحسن التعامل فى شئون الدين والحياة ، ويعدلوا عن بث اليأس فى القلوب ويعرضوا أحكام الإسلام ميسرة مبشرة لا منفرة .

هل لأولئك الذين لاهم لهم إلا نبش القبور وإظهار ماالندثر ، من فكر نسب إلى المسلمين زوراً وبهتاناً ، أو غلوا فى الدين من غير سند أن يذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الذكرى قال فيما رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه :

(يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) .

وقال فيما رواه ابن حبان عن أبى هريرة :

(إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ..)

وهل لبعض الأقلام التى دأبت على أن تقول فى الإسلام بغير علم أن تكف عن هذا وأن تكتب فيما تحسن ، حتى لا تخسر اسمها وتبور بضاعتها .

فى ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يراجع المسلمون ـ حكاما ومحكومين ـ موقعهم الآن بين الأمم وما صاروا إليه من فرقة وهوان ـ فتقطعت بينهم أواصر الأخوة التى جمعهم بها على الإسلام ، والألفة والمودة التى نشأ عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم حيث كان الصف الإسلامى واحداً مستقيما لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا ، وكان المسلمون كالجسد الواحد قيادتهم واحدة ودستورهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

←

---

(٢) الآية : ١٢٥

(٣) الآية : ٤٦

(٤) الآيتان : ٤٥ ، ٤٦

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

فى هذه الذكرى المباركة ينصح الأزهر الشريف المسلمين : حكاما ومحكومين أن يتمسكوا بدينهم ويرجعوا إلى ربهم ، ويوثقوا صلاتهم حتى يكونوا على قلب رجل واحد ، لاتتوزعهم الأهواء ، ولايستقطبهم الأعداء ، بل يكونون يدا على من سواهم ذلك قول الله فى كتابه فى سورة آل عمران(٥) .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . .

لنتذكر أن الإسلام جاء وسطا وأنه دين الله وليس مذهبا من مذاهب البشر وأن فى كتاب الله تبيانا لكل شيء فما حاجتنا أن نتجه شرقا أو غربا أو شمالا أو جنوبا وأن نستورد مذاهب وأفكارا ليست من الإسلام فى شيء .

لنذكر نحن المسلمين أن الله دعانا إلى التوبة ومحاسبة النفس فلننظر ماذا بقى فى نفوسنا من الإسلام وماذا فى أخلاقنا من أخلاقه ، وهل أدينا الأمانة أم أضعناها ، وهل أقمنا شرع الله أم غفلنا عنه وانبهرنا بكل جديد وإن كان ضاراً غير مفيد .

لنذكر كيف جمع الإسلام الشعوب المختلفة على مائدة القرآن فصارت أمة واحدة وثيقة العرى لم تتفرق إلا بعد أن أحيا أعداؤها فيما بينها ـ الشعوبية والعرقية ، وصولا إلى تمزيق صفها وإبعادها عن معالم دينها ، وصرفها عن ملتها وعن قرآنها .

فما أجدر المسلمين ـ وقد حلت بهم هذه الذكرى العطرة ـ أن يخشعوا إجلالا لها . فقد جاء صاحبها بالتوحيد وبالوحدة وبالسلام والوئام والمحبة .

وإنه لجدير بالزعماء والرؤساء أن يجدوا سبيلاً فى جمع الكلمة ووحدة الصف وأن يتخذوا منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم سبيلاً إلى هذا العمل الفريد المجيد ..

وباسم الأزهر الشريف أهنىء المسلمين عامة بحلول هذه الذكرى ، ذكرى ميلاد الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه ، كما أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء .

وأدعو الله أن يوفقهم إلى قيادة شعوب الأمة الإسلامية إلى ماتستقيم عليه الحياة حتى يرتفعوا بأمتهم ويحتلوا مكان الصدارة فى الوجود ، ولايكون هذا إلا إذا اتخذوا ـ فى السر والعلن ـ من أحكام الله منهاجاً ومن سنة رسول الله علاجاً ، ومن سيرة السابقين الصادقين فى الإسلام قدوة وإماماً .

صلى الله وسلم على صاحب هذه الذكرى وهدى الأمة إلى الاقتداء به تحقيقا لدعوته ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ . . ﴾

---

(٥) من الآية : ١٠٣

وفد نجران المسيحي

فى سورة آل عمران

لفضيلة الشيخ :
مصطفى محمد الحديدى الطير

هذا المقال من الآثار الطيبة لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الحديدي الطير العالم العامل المعروف الذى مضى إلى لقاء ربه تاركاً بين أيدينا تفسيره للقرآن الكريم ومراجعته للتفسير الوسيط ، ومؤلفاته العديدة فى العقيدة وما اختلف من شئون المسلمين ، وعلمه المدون الذى وقع حجة للإسلام لدى المناوئين ، وسيرة فذة - فى هذا العصر - بما جمعت من خلق كريم .

ذلك مما قدمت يد فضيلة الدكتور مصطفى محمد الحديدي - رحمه الله - نبراساً وعبرة لمن يذكر ويعتبر ، ويود ان يلقى الله - عز وجل - على شىء مما قدم الراحل الكريم .

فلأسرته من المجلة والعاملين بها خير العزاء ... صبر جميل والله المستعان ...

مجلة الأزهر .

كان العرب فى أطراف الجزيرة العربية ، ينتظرون ما يسفر عنه الكفاح بين نبينا محمد ﷺ وبين قريش ، فإن ظفرت قريش فهم معهم ، لأنهم وثنيون مثلهم ، ولأنهم أئمتهم وقدوتهم ، فهم أهل بيت الله الذى يقدسه العرب أجمعون ، كما أن أهل الكتاب منهم لم يكونوا مقرين بنبوته ﷺ ، ولكنهم مع ذلك لايريدون مجابهته ، فلعل النصر يكون فى جانب قريش ، فيكفونهم خطر المواجهة معه ، فإن كان فى جانبه ﷺ فقد أمنوا من انتقامه منهم .

فلما فتح المسلمون مكة فى السنة الثامنة الهجرية واستسلمت لهم قريش ، بل ودخلوا فى دين الله أفواجاً ، لما حدث ذلك أقبلت القبائل العربية على الإسلام ، وأهل الكتاب على المصالحة فأرسلوا وفودهم لتحقيق أحد هذين الأمرين ، وكان عدد الوفود وفيراً ،

وفد نجران المسيحى

فمن أجل هذا سمى هذا العام عام الوفود ، ومن هذه الوفود وفد نجران المسيحى ، وفيما يلى بيان مادار بينهم وبينه ﷺ ، وما نزل فى شأنهم من الآيات فى سورة آل عمران .

بيان ماكان من أمرهم

ذكر محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ، أن وفد نجران كانوا نصارى ، وفدوا على رسول الله ﷺ بالمدينة فى ستين راكباً ، فيهم من أشرافهم أربعة عشر رجلًا ، وفى هؤلاء ثلاثة يرجع أمرهم إليهم (العاقب) أمير القوم وصاحب آرائهم ، واسمه عبد المسيح (والسيد) ثمائهم - أي ملجؤهم - وغياثهم فى الشدة ، وصاحب مجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وثالثهم أبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل ، ويلاحظ أن كلمتى (العاقب والسيد) لقبان شرفيان ، وليسا اسمين لهما ، وقد تقدم بيان اسم كل منهما ، فدخلوا على رسول الله ﷺ إثر صلاة العصر ، عليهم ثياب الحَبِرات[1] - جبب وأردية - فقال أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - : « مارأينا وفداً مثلهم جمالاً وجلالة » .

وحانت صلاتهم فقاموا فصلوا فى المسجد النبوي إلى المشرق ، فقال النبى ﷺ : « دعوهم » ثم أقاموا بها أياماً يناظرون رسول الله ﷺ فى عيسى ، ويزعمون أنه ابن الله ، إلى غير ذلك من أقوال شنيعة مضطربة فى شأنه ، ورسول الله ﷺ يرد عليهم بالبراهين الساطعة وهم لايبصرون ، ونزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى نيف وثمانين آية ، إلى أن دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة - أي الملاعنة بأن يقول كلا الطرفين : ولعنة الله على الكاذب أو على الظالم منا .

هذه خلاصة ماذكره ابن اسحاق .

والأصل فى المباهلة اللعنة والدعاء بها ، ثم شاعت فى مطلق الدعاء ، كما يقال : فلان يبتهل إلى الله تعالى فى حاجة .

وجاء فى رواية ابن جرير عن الربيع قال : إن النصارى أتوا رسول الله ﷺ فخاصموه فى عيسى ابن مريم وقالوا له : مَنْ أبوه ؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان ، فقال لهم النبى ﷺ : ألستم تعلمون أنه لايكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى - أي نعم نعلم ذلك - ، قال : ألستم تعلمون أن ربنا حى لايموت ، وأن عيسى يأتى عليه الفناء ؟ قالوا بلى ، قال ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّم على كل شىء ، يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً إلا ماعُلِّم ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء ، وأن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ، ولايحدث الحدث ؟ قالوا بلى ، قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غُذِّىَ كما يُغَذَّى الصبى ، ثم كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ، فعرفوا ثم

(١) جمع حَبِرة ، ضرب من الثياب اليمانية .

ابوا إلّا جحوداً ، فأنزل ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ . . ﴾ الآيات .

والواقع أن هذا الوفد وغيره من المسيحيين مضطربون فى عقائدهم فى عيسى - عليه السلام - فهم يقولون تارة هو الله ، وأخرى هو ابن الله ، وثالث عقائدهم فيه انه ثالث ثلاثة ، ويعبدون الصليب ، فأنزل الله صدر سورة آل عمران ، ذكر فيها اختلاف أمرهم فيه ، وأبطل جميع مقالاتهم ، واثبت وحدته تعالى فى الربوبية ، فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وأنه وحده له الخلق والأمر لاشريك له فيه ، ورد عليهم ماابتدعوا من الكفر ، وماجعلوه له من الأنداد ، وبيّن انه لا إله إلا هو وأنه الحى الذى لايموت - وقد مات عيسى فى قولهم - كما اثبت أنه القيوم القائم على ملكه لايزول وقد زال عيسى ، إلى غير ذلك مما جاء فى النصوص القرآنية فى صدر (آل عمران) .

حججهم فى ربوبيته

١ - وهؤلاء وأمثالهم يحتجون لربوبيته ، بأنه كان يحيى الموتى ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ، ولا يشاركه فى مثل ذلك أحد .

٢ - وأنه لم يكن له أب ، وأنه تكلم فى المهد ، وصنع مالم يصنعه أحد قبله من ولد آدم .

٣ - وأن الله تعالى يقول : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فلو كان واحداً لقال : فعلت وأمرت وخلقت وقضيت ، ولكنه هو وعيسى ومريم - كذا قالوا .

الرد على تلك الدعاوى والحجج

١ - هذه المزاعم كلها باطلة ، فإن إحياءه للموتى محصور فى عدد يعد على الأصابع ، لتكون معجزة تؤيده لدى بنى إسرائيل الذين زعموا أن موسى السامرى خلق لهم عجلاً جسداً له خوار ، وأنهم عبدوا العجل لذلك ، كما عبدوا آلهة الشعوب المجاورة كما نصت عليه كتبهم ، فكان من اللائق ، أن تكون معجزة نبيهم أكبر مما صنعه السامري ، ولكي ينزلوا عن غطرستهم وكبريائهم .

ولو فكروا قليلاً لعلموا أن الله تعالى هو الذى أحياهم ، فهو الذى خلق الخلائق كلها قبل عيسى وبعده وفى عهده باعترافهم ، وأن عيسى ليس له شىء من كل ذلك إلا فى العدد المحدود الذى يعد على الأصابع ، وكما أنه تعالى خلق جميع الخلائق فقد خلق عيسى وصوره فى بطن أمه ، ولا يستطيع هؤلاء المجادلة فى ذلك .

ثم إن هذه المعجزة صغيرة جداً بالنسبة لمعجزة بعض الأنبياء ، فالنبى صالح أخرج لقومه ناقة من الصخر وخلفها وليدها ، وكان من أمرها أنها تغذى قوم صالح يوماً كاملاً من لبنها والماء لها فى هذا اليوم ، وفى اليوم التالى يكون الأمر بالعكس ، فهل إحياء أربعة - مثلاً - يماثل ما فعله صالح ، والنبى موسى أعطى عصا خشبية انقلبت حية والتهمت مافعله سحرة فرعون ، وضرب بها البحر ، فانشق فيه اثنا عشر طريقاً بعدد أسباط قومه ، فعبروا على أرض يابسة والماء عن يمينهم وشمالهم لا يضيرهم ، وضرب بها الصخر فانفجر بهذه الضربة اثنتا عشرة

← وفـد نجـران المسيحـى

عينا ، لكل سبط منهم عين ، وكل ذلك مسجل فى كتبهم ، فهل إحياء الخشب وإتيانه بهذه العظائم أعجب ، أم إحياء أربعة من الآدميين .

ونبينا محمد ﷺ كانت له معجزات أعجب ، فقد طلبت منه قريش أن يروا القمر منشقاً ، فدعا الله تعالى ، فانشق القمر شقين على مرأى منهم جميعاً ، ومثل هذا الحدث الأكبر كان من شأنه الإضرار بالأرض وأهلها وبالمجموعة الشمسية ، ولكن الله حفظ الجميع وتمت أعظم معجزة ، وفيها يقول الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ وله معجزات أخرى ، فيها ذكرى للذاكرين .

أما « خلق عيسى كهيئة الطير من الطين فبإذن الله ، وقد حدث مثل هذا لأبى الأنبياء ابراهيم ـ عليه السلام ، فقد طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فقال الله له ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ فذبحها وخلط بعضها ببعض ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً كما أمره ربه ، ثم دعاهن بأسمائهن فأتوه سعيا .

وقد حدث لإبراهيم معجزة أخرى لاتقل عن إحياء الموتى ، وهى أنه حين القاه المَلِكُ الوثنى فى النار جعلها الله عليه برداً وسلاماً ، فانتقلت من الضد إلى الضد .

أما إبراء المسيح عيسى للأسقام وإخباره بالغيوب ، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، فإن ذلك من تمام معجزته التى أجراها الله علي يديه ، ليصدقه بنو إسرائيل الذين عبدوا العجل وآلهة الشعوب من حولهم كما تقدم .

ويضاف إلى ذلك أن مثل هذا الإحياء للموتى ، ماحدث من إبراهيم بإذن الله ، وقد روى القرآن قصته فقال فى سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . وعلى هذا لايختص عيسى بإحياء الموتى ، والأمر فى كل هذه المعجزات راجع إلى الله تعالى فهو الذى أجراها على يد أنبيائه لتكون معجزات لهم ، وآيات على أنهم مرسلون من الله ، فهى بمثابة أن يقول الله : صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى ، وقد خص كلاً منهم بما يناسب عصره فيها .

٢ ـ أما إخبار عيسى ـ عليه السلام ـ بالغيب ، فقد شاركه فيه يوسف عليه السلام ولم يختص به كما زعم وفد نجران المسيحي ومن على دينه ، فلما كان يوسف فى السجن قال لرجلين سجينين معه ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا . . ﴾ (٢) .

أما إبراء الأسقام فقد حدث من غيره ، فقد رد النبى ﷺ عين قتادة فى مكانها فكانت أحسن عينيه ، كما عالج عينى علىٍّ من رمد شديد ، فشفى فوراً ، إلى غير ذلك . وكثير من

(٢) سورة يوسف ـ من الآية ٣٧ .

الصالحين يحدثون عن الغيب ، بل إن الطير قد تحدث عن الغيب لسليمان ـ عليه السلام ـ فى قصته مع ملكة سبأ ، فقد أخبره عن عظمتها فى قومها ، وأنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وهذا أعجب من تحدث الإنسان عن الغيب .

٣ ـ وقد زعم الوفد المسيحي من آل نجران أن عيسى ابن الله ، لأنه ولد من غير أب وهذا استنباط فاسد ، واستدلال كاذب ، فقد حدث ماهو أعجب من ذلك قبل أن يخلق عيسى بآلاف السنين ، فقد خلق آدم من التراب ولم يكن له أب أو أم ، ولم يستحق آدم عندكم وعند غيركم أن يوصف بالبنوة لله تعالى ، وإنما وصف بأنه عبد الله كسائر الأنبياء ، فلماذا لم تجعلوه ابن الله مع أن خلقه أعجب من خلق عيسى ، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣) .

والله تعالى خلق الإنسان أربعة أنواع : من ليس له أب ولا أم وهو آدم ومن له أب وليس له أم وهو حواء ، فقد خلقت من أحد أضلاع آدم . ومن له أم وليس له أب وهو عيسى . ومن له أب وأم وهو سائر البشر ، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير .

ألا فليعلم هؤلاء أنه لاحاجة لله فى أن يكون له ولد ، فإن الولد يطلب لكى يكون وارثاً لأبيه بعد موته ، أو يعينه فى شيخوخته ، والله تعالى حى لايموت ، ولاتعتريه شيخوخة ، فهو الذي خلق كل شىء ودبره ، فما وجه الحاجة إلى ولد يكون لله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

٤ ـ وأما أن الله تعالى حين يتكلم يقول : خلقنا وحكمنا ، وهذا يدل على أنه ثلاثة . « الأب والابن ومريم » عند طائفة من المسيحيين ، أو هم الأب والابن وروح القدس عند طائفة أخرى منهم ، فهو كلام فارغ لايصح أن يقوله عاقل ، فإن المعظم لنفسه يقول فعلنا وقضينا ومن أولى بالتعظيم وبالعظمة من الله تعالى .

وإذا كان الله تعالى موجوداً وحده قبل خلق الكائنات وبعد خلقه لها ، أفليس من السفه أن يزعم بعضهم بعد خلق أم عيسى وابنها ـ أو بعد خلق عيسى وروح القدس (جبريل) أن يزعموا ـ أن الله ثالث ثلاثة .

عبادتهم للصليب !

ماأغرب عقيدة هؤلاء الناس ، يزعمون أن عيسى ابن الله أو أنه هو الله ، ثم يزعمون أنه صلب ومات ، ولذلك عبدوا الصليب .

كيف يعرض الإله نفسه أو ابنه للقتل من مخلوقاته ، ومن الذى كان يدبر الكون فى أيام هذه الخرافة ، يقولون إنه فعل ذلك تكفيراً لخطايا عباده ، ويحهم ، أعجز الإله عن أن يقول للخاطئين من عباده عفوت عنكم ، وماهذه السياسة الخرقاء ـ أن يعرض نفسه لأكبر جريمة يفعلها عباده ، وهى القتل تكفيراً لخطاياهم ، ولا توجد خطايا أعظم من قتل الإله أو ابنه ، فهو بذلك يحملهم على ارتكاب أكبر الجرائم فى الوقت الذى يريد فيه تكفير خطاياهم ، وتتميماً لهذه الخرافة عبدوا الصليب الذى زعموا أنه صلب عليه ، أي عبدوا هيكل الجريمة ، إنها لإحدى الكبر .

(٣) آل عمران ـ ٥٩ .

وفـد نجـران المسيحـى

يقول الله تعالى ﴿ وَمَاقَتَلُوهُ وَمَاصَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ حيث جعل صورة يهوذا الخائن كصورة عيسى فى الوقت الذى رفع فيه عيسى إلى السماء ، فأخذوه وقتلوه ، وكان يقول لهم أنا يهوذا ، فيقولون له : إذا كنت يهوذا فأين عيسى ، فيجيبهم قائلاً : إذا كنت عيسى فأين يهوذا ، وهكذا تمت لعنة الله على هذا الخائن .

وقد كتب القديس برنابا فى إنجيله هذه القصة على هذا النحو ، ونفى قتل عيسى ، كما أنه كتب عن سيدنا محمد ﷺ وعن رسالته كتابة عظيمة ، فجزاه الله عن الحق خير الجزاء وهذا الإنجيليباع فى المكاتب الكبرى فينبغى للمسلم أن يضمه إلى مكتبته .

المبــــــاهلة

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَاجَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ . وتعليقاً على هذه الآية نقول : بعد أن أسمع النبى ﷺ وفد نجران ماجاء من الآيات فى شأن الله وشأن عيسى التى وصلت إلى نيف وثمانين آية من سورة آل عمران ، أصر هذا الوفد على موقفه من الإسلام ، حيث رفضوا الإيمان بما جاء به محمد ﷺ ، ولازموا عقائدهم فى الله وفى المسيح ، وقد تقدم بيانها ـ بعد أن حدث ذلك أمر الله نبيه أن يدعوهم إلى المباهلة ومعنى الآية : فمن جادلك فى شأن عيسى بعدما جاء من العلم بشأنه فى الآيات التى صدرت بها سورة آل عمران ، فقل لمن جادلك فى شأنه ، اقبلوا بالرأى والعزيمة يَدْعُ كل منا أبناءه ونساءه ونفسه ، ثم نتباهل ـ أي يدعو كل منا أن ينزل الله *لعنته على الكاذبين فى شأن عيسى .

وكذلك فعل نبينا محمد ﷺ فدعاهم إلى المباهلة ثقة منه بأن الحق فى جانبه ، ولكنهم خافوا ولم يحضروا للمباهلة ، أخرج البخاري ومسلم (أن العاقب والسيد أتيا رسول الله ﷺ فأراد أن يلاعنهما ، فقال أحدهما لصاحبه : ألا تلاعنه ، فوالله إن كان نبياً فلاعننا لا نصلح ولا عقبنا من بعدنا ، فقالوا له : نعطيك ماسألت ، فابعث معنا رجلاً أميناً ، فقال ﷺ : « قم ياأبا عبيدة ، فلما قام قال : هذا أمين هذه الأمة ») .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس (أن ثمانية من أساقفة أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ منهم العاقب والسيد ، فأنزل الله ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا . . ﴾ الآية ، فقالوا : أخرنا ثلاثة أيام ، فذهبوا إلى بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ، واستشاروهم ، فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه ، وقالوا :هذا هو النبي الذى نجده فى التوراة ، فصالحوا النبى ﷺ على ألف حلة[٤] ، فى صفر وألف في رجب ودراهم) . وفى الموضوع روايات أخرى ، وحسب القارىء ماتقدم ، والله تعالى أعلم ..

---

(٤) الحُلَّة هى البردة : وهى كساء أسود مربع ، قاله صاحب المختار .

حاجة البشرية إلى هداية الإسلام وعلمه

٣

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبي

روى البخارى بسنده قال : حدثنا محمد بن العلاء قال : حدثنا حماد بن سلمة عن بريد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير .

وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا .

وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

رواه البخارى فى كتاب العلم
ورواه مسلم فى كتاب الفضائل

مثل مابعثنى الله به :

المثل يطلق فى اللغة على الشبيه يقال : مِثْلُهُ وَمَثَلُهُ كما يقال شبهه وشبهه ، ويطلق على مايضرب به من الأمثال كقولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، ويداك أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخَ ، والصيف ضيعت اللبن .

والمراد بالمثل فى الحديث الشريف : الصفة العجيبة المرغبة فى الخير .

● الهدى : ما يدل على أبواب الخير والبر والمعروف والنجاة .

● العلم : له إطلاقات كثيرة منها : الإيمان ، ومنها كذلك معرفة الأدلة الشرعية ، ويجوز أن

يدخل في مفهوم العلم هنا كل مايدل البشرية على الخير والسعادة في الدنيا والآخرة .

● كمثل الغيث نظير المطر الذى ينتظره الناس بلهفة ، لأن الغيث معناه المطر الذى يأتى عند شدة الحاجة إليه .

● أصاب أرضا : جملة حالية تفيد تحقق نزول الغيث على الأرض إشارة إلى تحقق نزول الوحى إلى الأمة التى اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس .

● فكان منها نقية : يعنى طيبة ، وهى صفة لموصوف محذوف تقديره : أرض طيبة ، يوضح لنا حذف الموصوف مارواه مسلم في حديثه : طائفة طيبة .

● قبلت : من القبول بمعنى أنها بطبيعتها مهيأة لاستقبال الغيث ، وأنها في انتظاره وفى تشوق إليه لاستعدادها لقبوله .

● فأنبتت الكلأ (الفاء) للترتيب مما يدل على أن استعداد الأرضَ كان طيباً ، فترتب على استقبالها الماء أنها أنبتت الكلأ : الزاد الصالح للآن وللمستقبل ؛ لأن الكلأ يطلق على النبات : رَطْبِهِ ويابسه قال أهل اللغة الكلأ : العشب رطباً كان أو يابساً ، وسمى بذلك لأنه يكلأ الناس في معاشهم بمعنى يحفظ لهم معاشهم .

● والعشب : هو النبات الرطب . وذلك من عطف الخاص على العام .

● وكان منها أجادب : قسم من الأرض النقية التى تمنح الناس بذاتها عطايا والأجادب هى الأرض الصلبة التى لا تشرب الماء ، ولا يتسرب في تربتها ، وتحفظه للناس لينتفعوا به وهو جمع اختلف علماء اللغة في مفرده فقيل : وَاحِدُهُ أجدب مثل أفضل وأفاضل ، وقيل : وَاحِدُهُ أجدُب بضم الدال مثل أكلب جمع كلب .

● وفى رواية أخرى « أجارد » جمع واحدة جرداء ، وهى الصلبة التى لا تنبت .

● فنفع الله بها الناس : الضمير في (بها) عائد إلى الأرض الصلبة ، لأن طبيعتها التى أمسكت الماء هى السبب في الانتفاع بالماء ؛ إذ لو كانت من النوع الذى يتشرب الماء كالأرض الرملية لما انتفع بمائها أحد ، وقيل : الضمير عائد إلى الماء وهو في نظرى ضعيف ؛ لأن لفظ الماء مذكر قال أهل اللغة : الماء معروف ، والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام ، وأصله موه بتحريك الميم والواو ، وجمع القلة أمواه ، وجمع الكثرة مياه ... الخ .

● وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هى قيعان ؛ إعادة الفعل (أصاب) للإفادة بالتغاير بين طبيعة هذه الأرض عما سبقها : فإن كانت الأرض الأولى طيبة تنقسم إلى قسمين :

فمنها مايقبل الغيث في ذاته فينبت الكلأ والعشب .

ومنها ما لا يقبل في ذاته بل يحفظه بذاته فينتفع الناس منه - بالرِى أو الرَّى - ففيها اتحاد في النفع كل حسب صلاحياته التى فطر عليها .

أما الصنف الثالث فهو قيعان أرض سبخة مالحة غير قادرة على النفع ، لا في ذاتها ولا بذاتها ، فهى لا تمسك الماء مثل

الأجادب ، ولا تنبت كلأ ولا عشبا مثل الأرض النقية .

وبهذا الحديث يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد قسم المجتمع الدولى الذى بعث رحمة إليه أقساماً ثلاثة :

● صنف من الناس يقبل الإسلام فيرقى به ذاتيا ، ويرقى به الناس حضارياً فينفع نفسه بالإيمان ، وينفع الناس بهذا الإيمان فى إرساء حضارة قائمة على الإيمان بالله وبقية عقائد الإسلام .

● وصنف يحمل الإسلام إلى الناس لينتفعوا به ويعيشوا على حضارته فهو مصدر خير للبشرية ، وقد قامت الحياة الإسلامية فى الأندلس على هذا الأساس حيث نقل المسلمون إلى أوروبا حضارة الإسلام ثم انزووا داخل خصوماتهم فنفعوا أوروبا بالعلم والإسلام ، ولم ينتفعوا هم بهذه الحضارة التى غربوا عنها فيما بعد .

● وصنف لا يصلح معه الرشاد والنور والهداية ولا يستجيب لنداء الله والحق والمنطق الفصيح الواضح .

وفى نفس الوقت فإن الحديث يشير إلى ظاهرة تاريخية وهى أن المجتمع الدولى ـ إبان بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ـ كان فى حاجة ماسة إلى هدايته عليه الصلاة والسلام ؛ فقد كان فى كل صقع من أصقاع الأرض من يتشوق إلى الهداية بعد أن ضلت العقائد وغَيَّرَ أتباع الرسل مانُزِّل إليهم من عند ربهم وطفح الكيل فى أوروبا بالرق وعبادة البشر وضلت الأخلاق طريق الإنسانية الحميدة وصارت القلة القليلة من البشرية هى صاحبة الحرية فى كل ماتصنع وصارت الأكثرية مثل البهائم فى رق رقيق داخل مجتمع بهيم الأرض والعرض والناس يملكها شرذمة ممن سموا أنفسهم بالنبلاء ، وبات الحكم مابين مؤسسة عسكرية تغدر كل يوم وتقتل كل ساعة ، كما كان الحال فى الدولة الرومانية القديمة ، أو وارث يملك الناس ويتحكم فى رقابهم .

ويمشط كلٌ حين المجتمع فى طبقات متعددة كما كان الحال فى دولة الفرس .

أو جور وهوى نفس تلعب به الأهواء كما كان فى الجزيرة العربية حيث كان الدستور الذى يحكم هو غلبة القبيلة فكذاب ربيعة عندهم خير من صادق مضر والعكس سليم ومتواتر .

بينما كانت الحياة الإنسانيَة أيضا فيها من يتشوف عن حرارة إلى الحرية والأمن والكرامة فكانت بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

* لتصحيح العقائد التى زاغ عنها أهلها .
* وتضع كرامة الإنسان فى رحاب الإيمان بالله الذى يضمن لها موازين العدل والكرامة .
* ولتقيم العلاقات الإنسانية على الرحمة والمودة والتعاون والبر والمعروف .
* ولتضع نظاماً اقتصادياً يهدف إلى الرخاء والطمأنينة بدل النهم والشراهة والتكالب .
* ولتقيم مجتمع العدل والقسطاس والإخاء .
* وترفع مكانة العلم والمعرفة .
* ولتضع الحرب أوزارها فى الثأر والبطولة

والنهب والسلب والتوسع الامبراطورى ونهب ثروات الشعوب .

● ولتلغى التفرقة العنصرية والطبقية الاجتماعية وترفع لواء ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

هذه الهداية التى جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأخذ بيد البشرية ينتفع بها من شرح الله صدره للإسلام فيفقه دين الله على أنه انضباط لشئون الحياة فى شتى مجالاتها فينتفع بها فى نفسه فقط ، أو ينفع بها نفسه وغيره فيعلم الناس كما تعلم ، ويزرع ويتاجر ويعمل لينفع نفسه وينفع أهله ومجتمعه فأحوال المسلمين لا تعدوا النفع فى الذات وكف شر النفس عن الناس ، أو النفع فى الذات والنفع للغير وهى الصورة الإسلامية التى يرغب فيها الحديث الشريف .

والقسم الثالث الذى لا يرفع بذلك رأسا ؛ لأنه مستهتر يزين له الشيطان هواجس عقله وحدسه وظنه : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ . ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً . . . ﴾ إلخ ماتوسوس به أمانى الغافلين عن المحجة البيضاء .

وتدور أحوال الناس على هذه الوتيرة فالإسلام كالإخاذ[1] ينهل منه كل حسب قدراته وينأى عنه من لم يشرح الله صدره للهداية فإنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .

● ومن لطائف هذا الحديث الشريف أنه مثل الإسلام بالهدى والعلم وليس فى الهدى عنف ، ولا فى العلم انحراف عن الحق . والدعوة إلى هذا الدين لا يجوز أن تخرج على مبادىء هذا الدين من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

فإن الإسلام يقرر : أنه ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .
﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ . ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ . ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ .

وعلى الذين يتصدون للدعوة أن يعرضوا أنفسهم على هذا الحديث فيفهموا : نقيه من أجادبه ، من قيعانه .

ويعرضوا عقولهم على : من فَقُهَ وانتفع ، ومن لم يرفع بذلك رأسا .

ورحم الله حجة الإسلام الإمام الغزالى إذ يقول فى (التهافت) : وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه .

● ومن لطائف هذا الحديث أيضا : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان واقعيا ؛ فإنه

(١) أى الغدير .

عليه الصلاة والسلام شبه أصناف البشر فى قبولهم للهداية والعلم ، ورفضهم إياها بأصناف الأرض وقرر أن نزول الهدى والعلم - وحياً من عند الله - لا يستلزم اتحاد الناس جميعاً فى القبول فقط أو الرفض فقط ولا ادَّعَى أنه لن يحيد أحد عما جاء به لأنه جاء بالحق الواضح .. فالحق الواضح له أهله يتبعونه ويحبونه ويحبهم .

وهذا هو الفارق الأساسى بين أسلوب النبوة وأسلوب الزعيم والقائد الذى يود أن يرغم الناس على قبول فلسفته إن بالتبعية الخرقاء ، أو السوط المتجبر ، أو الخوف الذى يخلع القلوب .

● ومن لطائف هذا الحديث أنه لم يحصر جميع حالات الإنسان من قبوله الهداية والعلم أو رفضهما فتحا لباب الأمل فى القبول على الله وشرح الصدر للدخول فى دين الله ؛ بل اكتفى صلى الله عليه وسلم بالمراكز الأساسية التى تدور حولها أحوال البشر من قبول للهداية والعلم وانتفاع بهما على تغاير فى نسب هذا القبول وهذا الانتفاع أو عدم قبولهما إذ لو تم الحصر لكان كالمنع والإخبار فى ثبات كل صاحب حالة على ما هو عليه ،لكنه صلى الله عليه وسلم وهو بالمؤمنين رءوف رحيم أشار إلى ركائز الهداية والقبول والرفض كمجالات يتحرك فيها الوجدان البشرى ، فعسى الله أن يشرح الصدور والقلوب والعقول لتدخل فى دين الله أفواجا فكم تحول من قبل صناديد من الكفر إلى الإيمان مثل هند بنت عتبة وأم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ...

وفى العصر الحديث كم من قسيس أسلم وعظيم من أوروبا رضى بالإسلام دينا وصلى الله على سيدنا محمد الرحمة المهداة فقد أوتى جوامع الكلم وصدقه الله فى كل ما قاله فهو لا ينطق عن الهوى وسوف تظل البشرية فى حاجة إلى هدايته وعلمه وسوف يدخل فى دين الله الحنيف رجال لهم قدم عال برهانا دائما على أن محمداً حقا هو رسول الله إلى العالمين .

(أ . د . رءوف شلبى)
وكيل الأزهـــر

عهد الحديبية
وآثاره الاستراتيجية

ثالثا : الآثار الاستراتيجية للحديبية :

١ ـ اعتراف قريش لأول مرة ـ فى تاريخ الصراع ـ بالمسلمين طرفا مساويا لها .

٢ ـ إقرار قريش للمسلمين « بحق » زيارة البيت وإقامة شعائر الحج وينطوى ذلك على اعترافها بأن الإسلام « دين مقرر معترف به » من أديان شبه الجزيرة .

٣ ـ أصبحت المنطقة التى تقع جنوب المدينة منطقة أمينة بعد أن كانت قبل ذلك مصدر الخطر الأكبر الذى يهدد الدعوة ويهدد المسلمين .

٤ ـ وانحصر بذلك الخطر فى المنطقة الشمالية التى تضم خصمين : هما اليهود فى خيبر وما حولها ، والأعراب شمال المدينة ، الأمر الذى يمكن المسلمين من القضاء على هذين الخصمين ، ليصبحوا بعد ذلك متفرغين للتحول ـ فى الوقت المناسب ـ نحو الخصم الأكبر : قريش ، وإلى هدفهم الرئيسى : مكة المكرمة .

٥ ـ ومن نتائج الهدنة التفريق بين قريش وحلفائها الطبيعيين يهود خيبر الذين كانوا لا ينفكون يحرضون القبائل على المسلمين .

٦ ـ وفتح المجال لعقد محالفات مع القبائل التى أصبحت لا تتهيب الانضمام إلى المسلمين مادامت قريش قد التزمت بتأمين من يدخلون فى عقد محمد عليه الصلاة والسلام ، وخير دليل على ذلك أن خزاعة كانت تميل قلبيا إلى المسلمين ، وكان الإسلام قد انتشر بين أفرادها لكنها لم تستطع أن تحالف المسلمين خوفا من بطش قريش ، فلما عقد عهد الحديبية أعلنت ـ قبل أن يجف مداده ـ حلفها للرسول ﷺ .

قال الزهرى : « فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده »[1] .

٧ ـ وفى ظل مناخ الهدنة المستقر زاد الإسلام انتشارا ، فزادت بالتالى قوة جيش المسلمين حتى أصبحت عشرة آلاف مقاتل فى فتح مكة[2] فى السنة الثامنة للهجرة بعد أن كانت فى غزوة الخندق عام ٥ هـ ثلاثة آلاف .

٨ ـ وكسب المسلمون عطف كثير من

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : القسم الأول (حـ ١ ، ٢) ص ٦٠٦ .

(٢) المرجع السابق : القسم الثانى (حـ ٣ ، ٤) ص ٣١١ ـ ٣١٤ .

ل . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

القبائل وكثير من قريش نفسها بسبب موقفها من المسلمين ومنعها إياهم من زيارة البيت وتعظيمه ، وقد وصل هذا التعاطف حد التهديد بقيام حرب أهلية في صفوف قريش وهو ما تمثل في تهديد زعيم الأحابيش الحليس بن علقمة لقريش بأن ينفر برجاله نفرة رجل واحد إذا هي لم تترك المسلمين يزورون البيت .. ولقد كان هذا التعاطف من جانب القبائل من العوامل التي سهلت على المسلمين عملية فتح مكة فيما بعد .

٩ ـ وعاد المسلمون الذين كانوا هاجروا إلى الحبشة إلى المدينة بعد أقل من شهرين من عهد الحديبية[٣] .

١٠ ـ ومهدت الحديبية لما جاء بعد ذلك بشهرين من بدء مخاطبة الرسول ﷺ الملوك ورؤساء الدول الأجنبية يدعوهم إلى الاسلام[٤] .

رابعا : التزام المسلمين بالعهد :

● وقد شاء الله أن يبدأ تطبيق شروط الصلح عمليا من جانب المسلمين منذ اللحظات الأولى لإبرامه ، وذلك أن (أبا جندل بن سهيل بن عمرو) جاء إلى المسلمين وهو يتعثر في قيوده إذ كان من المسلمين الممنوعين من الهجرة ، فانتهز فرصة وجود المسلمين عند الحديبية وهرب إليهم ليحموه ، لكن الرسول ﷺ قال له : « ياأبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا العزم بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله . وإنا لا نغدر بهم »[٥] .

● وقد شاء الله أن يكون هذا الشرط الذى أخذته قريش على المسلمين بأن يردوا إليها من يلجأ إليهم وظنته كسبا لها ، وبالا عليها إلى حد أنها طلبت بنفسها تعطيله ، وذلك أن أبا بصير بن أسيد الثقفي رضي الله عنه فر من قريش بعد إسلامه ولجأ إلى المسلمين فأرسلت في أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فأمره الرسول ﷺ بالرجوع معهما ، فرجع فلما قارب ذا الحليفة عدا على أحدهما فقتله وهرب الآخر منه ، ثم رجع إلى المدينة فقال : يارسول الله وفت ذمتك أما أنا فقد امتنعتُ بديني أن أفتن فيه أو يعبث بي ، ثم غادر المدينة حتى نزل (العيص) على ساحل البحر في طريق تجارة قريش إلى الشام وانضم إليه سبعون رجلا من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة ، فقطعوا طريق التجارة على قريش حتى استغاثت برسول الله ﷺ تسأله أن يؤويهم

(٣) الأحابيش : قوم من العرب رماة سموا بذلك لاسودادهم أو لتجمعهم أو نسبة إلى حبشي (بضم الحاء وسكون الباء) جبل بأسفل مكة .

(٤) ابن هشام : القسم الثاني ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .

(٥) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

فلا حاجة لها بهم ، فآواهم عليه الصلاة والسلام[٦] .

خامسا : القيادة العسكرية الناجحة فى نظر الاسلام

● إن القيادة العسكرية الناجحة هى التى تستطيع أن تجمع بين نمطى القيادة : الإقناعية والإرغامية فى توازن دقيق ، وإن القائد الناجح هو الذى يستطيع « بقدرته وكفاءته » أن يقنع مرءوسيه بقبول قراراته والأهداف التى يختارها ، كما يستطيع « بقوته » أن يرغمهم بسهولة على قبول قراراته وأهدافه إذا اقتضت مصلحة العمل ذلك .

وهذه القيادة الناجحة هى التى نجدها واضحة فى دراستنا لأعمال الرسول ﷺ العسكرية :

● فقد جرت سنته ﷺ على أن يستشير أصحابه ، لكنه فى عهد الحديبية لم يفعل ذلك ، فقد كان يصر على نواياه السلمية التى تؤمن له الاستقرار الضرورى لانتشار الإسلام ، وكان يقصد من التفاهم مع قريش أهدافا بعيدة جداً ليس من مصلحة الدعوة ولا من مصلحة المسلمين الإخبار عنها .

● فيكون عليه الصلاة والسلام بذلك قد جمع بين النمطين ، بأن جعل القيادة الإقناعية هى الأساس ، وجعل القيادة الإرغامية عند الضرورة ، كذلك تنتهى بنا دراستنا إلى أن المرءوسين - أمام هذا الأسلوب فى القيادة - سوف يطيعون قائدهم « اقتناعا لا خوفا » لأنهم سوف يقنعون أنفسهم بأنه لابد أن هناك ما يبرر ما ذهب القائد إليه ، وذلك لثقتهم فيه ، وحبهم له ، وتقديرهم لقدرته وكفاءته .

● وخير دليل على ذلك أنه لم يقع من المسلمين - برغم ما واجهوه فى الحديبية من مواقف مثيرة للغضب والدهشة - مثل ما وقع فى صفوف قريش من مظاهر الخروج عن الطاعة إلى حد التهديد بالحرب الأهلية كما ظهر من موقف الأحابيش ، بل كانوا مثالا لضبط النفس والطاعة والانضباط والثقة فى حكمة القائد .

سادسا : الهدنة ثمرة لامتلاك المبادأة :

● لقد كان المتصور أن تسفر المفاوضات بين سهيل والرسول ﷺ عن الاتفاق على نقطة واحدة هى أن يرجع المسلمون إلى المدينة هذا العام على أن يأتوا للعمرة فى العام المقبل ، فقد كان لب المشكلة هو أن قريشا كانت تخشى على هيبتها ومكانتها إذا هى سمحت للمسلمين بدخول مكة وخاصة بعد أن حاولت منعهم بالقوة (قوة خالد) ، وعلى الجانب الآخر فإن المسلمين إذا أصروا على دخول مكة فسوف

(٦) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة ، والمراد أننا نكف عنك وتكف عنا .. والإسلال : السرقة الخفية ، والإغلال : الخيانة .

ينشب القتال وهو ما لا يريدونه ، ولم يكن من مقاصدهم حين خرجوا من المدينة ، فيكون الحل الوسط للخروج من هذا الموقف هو « تأجيل » الزيارة للعام المقبل ، والدليل على ذلك أن تعليمات قريش إلى سهيل بن عمرو « اقتصرت » على هذا المعنى : « ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا » .

● أما أن يتضمن الصلح بالإضافة إلى ذلك قيام هدنة لعشر سنين ، فذلك أمر لا يخفى على الباحث المدقق :

إنه دليل واضح على « تغيير اتجاهات قريش » نحو الرسول ﷺ والمسلمين ، وعلى « تحولها » من موقف العدو المتربص الذى صمم على القضاء على الإسلام والمسلمين ، إلى موقف المهادنة ومراجعة النفس وإعادة النظر فى المواقف ، وهنا يبرز التساؤل عن السر فى هذا التغيير وهذا التحول ؟

● الحق أن هذا التحول والتغيير فى موقف قريش واتجاهاتها هو ثمرة لانتزاع المبادأة منهم بعد الخندق عام ٥ هـ ، ففى هذه الغزوة ألقت قريش بكل ثقلها لغزو المدينة ، وأضافت إلى هذا الثقل « كل » ما تستطيع حشده من قوى أخرى حليفة كالقبائل العربية واليهود ، لكنها مع ذلك فشلت فى تحقيق هدفها ، وهنالك رصد الرسول القائد ﷺ بفراسته « ملامح الضعف فى خصمه » وقدر أن قريشا قد فقدت الأمل فى الانتصار عليه بعد ذلك ، فكان قراره الخطير الذى انتزع به المبادأة من يدها فقال : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » (رواه البخارى) .

● فلا مراء فى أن الرسول ﷺ كان يفاوض قريشا من « موقع قوة » ، وأنه لو كانت قريش مازالت تملك المبادأة والقدرة على معاودة الكرة لغزو المسلمين ، لما رضيت بقيام الهدنة عشر سنين .

محمد جمال الدين محفوظ

مع القرآن الكريم

الأحرف السبعة

لم يسجل التاريخ لأمة من الأمم من العناية بكتابها تعليماً وحفظاً مثل ما سجل لهذه الأمة المحمدية من العناية البالغة بالقرآن الكريم حفظاً وتحفيظاً ودراسة وتدويناً لكل ما له صلة بهذا الكتاب العزيز من قرب أو بعد ـ مدى القرون من فجر الإسلام إلى اليوم وإلى ما شاء الله، وذلك بعض مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[1] ﴾

يستظهره الصغير والكبير والناشىء والكهل فى المدن والقرى وأصقاع الإسلام كلها. فلا يكاد يسهو تالٍ عن كلمة منه أو حرف أو حركة فى أبعد هذه المواطن حتى يجد فوراً من يرده إلى الصواب ويرشده إليه، وكان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يعمل بغاية الاهتمام على تحفيظ صحابته كل ما نزل من القرآن إثر نزوله ويحضهم ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ على تعلم القرآن وتعليمه قائلاً: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[2] وكم من حديث صحيح ورد فى هذا الصدد.

ولم يكن الأمر موقوفاً على مؤمنى مكة، فما أن أخذ الإسلام ينتشر فى المدينة حتى بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مصعب بن عمير رضى الله عنه فى العقبة الأولى إليها لِيُقْرِىءَ الأوس والخزرج القرآن، ويعلمهم أحكامه، قال ابن كثير ـ ٢/١٨١: « فنزل مُصْعَب على « أسعد بن زرارة » فكان يسمى بالمدينة: المُقْرِىء ».

وكانت صُفَّةُ المسجد النبوى بعد الهجرة كدار أو (فصل) للقراء يتدارسون عليها القرآن ويتعلمونه، ثم يُعلِّمُونه فحمله عنهم من عَلِمَهُ لأهل البلاد المفتوحة على تجدد الفتوح، وكان جماعة من كبار الصحابة قد تفرغوا لتعليم الناس القرآن فى المدينة المنورة بأمر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى امتلأت المدينة بالقراء، فكان لمعاذ بن جبل ـ ثم لابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ عناية

---

(١) الحجر آية ٩.

(٢) رواه البخارى والترمذى وأبو داود والبيهقى ـ انظر فيض القدير للمناوى ج ٣.

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

عظيمة بتعليم القرآن وأَحْرُفِهِ لأناس لا يحصيهم العدّ فى مكة المكرمة ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه قد عَلَّم القرآن وأحرفه لعدد عظيم من أهل الكوفة ، ويرفع بعض ثقات أهل العلم عدد هؤلاء إلى نحو أربعة آلاف قارىء ما بين متلق منه مباشرة، أو آخذ عمن أخذ منه . كذلك كان أبو موسى الأشعرى يصنع صنيعه بالبصرة وقد حدث الحافظ ابن الضُّريس أبو عبد الله محمد بن أيوب البجلى فى كتابه « فضائل القرآن » عن مسلم بن إبراهيم عن قُرَّةَ عن أبى رجاء العطاردى البصرى الصحابى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « كان أبو موسى يطوف علينا فى هذا المسجد ـ يعنى مسجد البصرة ـ فيقعدنا حَلَقاً حَلَقاً يُقرئنا القرآن » اهـ .

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يعلم القرآن كل يوم بجامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويُقَسِّم المتعلمين عشرة عشرة ، ويعين لكل عشرة عريفاً يعلمهم القرآن ، وهو يشرف على الجميع يراجعونه إذا غلطوا فى شىء . انظر (تاريخ دمشق لأبى زرعة الدمشقى ، وتاريخ ابن عساكر) .

وهكذا كان أصحابهم وأصحاب أصحابهم[٣] وهاهو الإمام ابن عامر ـ رضى الله عنه ـ أقدم القرّاء السبعة طبقة كان له ـ وحده ـ بدمشق أربعمائة عريف يقومون بتعليم القرآن بإشرافه[٤] .

القراءات المتواترة

سبق لنا ـ فى عشر مقالات تَتَالَتْ ـ إحاطة القارىء بإفاضة عن القراء العشرة وقراءاتهم ، فأحاط لكل قراءة بأكثر من مثال ، وينبغى أن نسرع بتدارك ما قد يسبق إلى الذهن . فقد يفهم إنسان أن معنى القراءات السبع أو العشر أن « كل آية تقرأ بسبعة وجوه أو عشرة » .. وليس الأمر كذلك ، وإنما وجه الواقع ـ فى هذا الأمر ـ أن بعضا من آى الذكر الحكيم ورد فيه أكثر من حَرْف ، يعنى أكثر من قراءة ، فالأحرف هى القراءات فى مصطلحنا فهى إذاً قراءات واردة فى « أبعاض » من الكتاب العزيز ، مروية بواسطة الأئمة السبعة ، بل العشرة تواترا ،

(٣) راجع « تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحِرَف والصنائع والمعاملات الشرعية » للعلامة أبى الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعى التلمسانى المتوفى ٧٨٩ هـ .
(٤) ... كان بحسب من اجترأ على هذا الإمام بالنقد ، ثم جنح إلى نقد القراءات المتواترة أن يُلم ـ أولاً ـ بعلم الحروف ، ويسلك سبيل هذا العالم الفذ حتى يكون فى مستوى نقده فأبسط قواعد النقد إلمام الناقد وعلمه بالفن الذى ينقده ، ورحم الله العلامة ابن الجزرى فقد أفاض ـ فى بحث ممتع ـ فى « النشر » للرد على هؤلاء .

فيكون إنكار شيء من تلك القراءات في غاية الخطورة :

ذلك أن من القراءات المتواترة ـ وقد علمنا ميدان ورودها بدقة ـ ما تَعْلَمُ الجماهير تَواتره بالضرورة ، فإنكار شيء منه يعتبر ردًا لما جاء به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحكم ذلك معلوم .

ومنها ما يَخْفَى فلا يعلم تواتره إلا حذاق القراء المتفرغين لذلك الفن ؛ فلا يجوز لأحد أن ينكره خاصة إذا أقيمت له الحجة عليه ، وإلا التحق بالقسم الأول .

ولولا هذا التحقيق لكان للإمام الجليل محمد بن جرير الطبري وللإمام الزمخشري تطاول على القراءات ما كان ينبغي أن يكون ، فكلاهما ـ رضوان الله عليهما ـ إمام فرد في التفسير ، وحجة فيه ، شق له طريقاً هو صاحب أعلامه ، ومقيم سوائه ، والمرشد إلى بُنَيَّاتِهِ . وكان دلو الطبري ـ رحمه الله ـ في القراءات محدوداً ، واعتماده على ما ألف يعتبر من بدايات التأليف في هذا الفن فهو غير كاف للإحاطة بشئونه ، وكان اعتماده على ماألفه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ـ وليس كتابه كل شيء . فإنه من بدايات التأليف في هذا الفن . ورحم الله الجميع وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء .

إنما نريد أن ننبه إلى ما يجب على المسلم من الاحتراس الشديد بصدد هذه القراءات فلا يذهب إلى إنكارها .

المتواتر بيد الأئمة المختصين

يعتبر ما في التفسير لأبي عمرو الداني ، و « حرز الأماني » للشاطبي(٥) من قراءات الأئمة السبعة ـ كله متواتر إلا في مواضع يسيرة بَيَّنَهَا أهلُ هذا الفن ، وكذا القراءات الثلاث المكملة للعشر كما في « المنجد(٦) » و « النشر الكبير » ، وفي الأول منهما ـ أعني المنجد ـ بسط ما يحصل به تواتر العشر في كل طبقة مع أنه لم يستوف سرد قرائها .

هذا ، واختلاف هؤلاء القراء ـ فيما وقع الاختيار عليه لدى كل منهم ، بعد اعترافهم بتواتر قراءات الآخرين وتجويز القراءة بها ، سواء اعتبرناها : وجوه قراءة واحدة ، أم هي الأحرف السبعة ـ محفوظ مدى الدهر .

والأول رأى القائلين بأن الأحرف السبعة كانت في مبدأ الأمر ثم نسخت بالعرضة الأخيرة في عهد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلم يبق إلا حرف واحد ، ومنع من الست الباقية لمصلحة ، وإليه جنح ابن جرير ومن تبعه .

---

(٥) الإمام الداني هو الحافظ أبو عمرو سعيد بن عثمان الداني الأندلسي صاحب تصانيف كثيرة ت ٤٤٤ هـ والإمام الشاطبي هو الإمام القاسم بن فيرة مؤلف الشاطبية وغيرها من علوم القرآن كعلم الرسم والفواصل وعدد الآى وعلم العربية .

(٦) « المنجد » من أهم كتب ابن الجزري طبع بتحقيق الدكتور عبد الحى الفرماوى .

والثانى : رأى القائلين بأنها هى الأحرف السبعة المحفوظة ، كما هى فى العرضة الأخيرة .

ولقد تواترت الأحاديث فى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وتشعب التفسير فيها ، والواقع أن القرآن الكريم كان ينزل معظمه بلغة قريش ، أى على حرف واحد إلى أن فتحت مكة ، وبدأ الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وأخذت وفود القبائل العربية المختلفة تتوافد ، فأذن الله - سبحانه وتعالى - على لسان نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يقرءوه على لغاتهم ولهجاتهم تيسيراً لهم لصعوبة تحولهم من لغتهم إلى لغة النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بمرة واحدة . فمن كانت لغته نطق الحاء عَيْناً مثلاً - لا يُحْمَلُ على نطقها حاءً كالأصل ، والأمثال كثيرة يدل على ذلك حديث أبىّ بن كعب رضى الله عنه عند البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

قال الإمام الطحاوى فى « مشكل الآثار » : إنما كانت السبعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم ، فوَسَّع لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب ، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -فقدروا بذلك على حفظ ألفاظه فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها ا . هـ .

فأما قول ابن عبد البر الذى نقله القرطبى - رضى الله عنهما :(بأن تلك السبعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد). اهـ .

فهذا القول مماثل لما ذهب إليه الإمام ابن جرير ، وهو مردود ، فإن العرضة الأخيرة اشتملت على الأحرف السبعة ، كذا قاله ابن الجزرى .

وقد أطال الطحاوى النفس فى (مشكل الآثار) فى الجزء الرابع منه (١٨١ - ١٩٤ هـ) فى تمحيص هذا البحث بما لا تجد مثله فى كتاب سواه ، ومن جملة ما يقوله فيه - بعد أن أخرج حديث (ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب[٧]) : « فكان فى هذا الحديث ما دل على أن السبعة الأحرف هى التى ذكرناها وأنها مما لا تختلف معانيها ، وإن اختلفت الألفاظ التى يلفظ بها ، وأن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه . وإن كان الذى نزل على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - إنما نزل بألفاظ واحدة ا . هـ »

قال الإمام الشافعى - رضى الله عنه - فى اختلاف الحديث - عند كلامه على (اختلاف ألفاظ التشهد فى الصلاة) :

(٧) ليس معنى الحديث إطلاق الحرية للقارىء فإنما ذلك مرتبط بالسماع ، لا أن يقرأ كما يشاء .

وقد اختلف بعض أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى بعض ألفاظ[٨] القرآن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يختلفوا فى معناه فأقرهم وقال : « هكذا أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » .

قال الشافعى ـ رحمه الله ـ عقب ذلك : فما سوى القرآن من الذكر أولى أن يتسع هذا فيه إذا لم يختلف المعنى .

وقال السخاوى ـ رحمه الله ـ مثله ، وسبقه لنحوه يحيى بن سعيد القطان ، فإنه قال : القرآن أعظم من الحديث ورخص أن تقرأه [أى القرآن] على سبعة أحرف .

وأسند الخطيب فى الكفاية (٢١٠) إلى يحيى بن سعيد أنه قال : أخاف أن أضيق على الناس تتبع الألفاظ ؛ لأن القرآن أعظم حرمة ووسع أن يقرأ على وجوه إذا كان المعنى واحداً . اهـ .

وفى فتح البارى ـ عند شرح حديث عُمَر وهشام فى اختلافهما فى قراءة سورة الفرقان ، وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » . أى من المُنَزَّل ، وفيه إشارة إلى الحكمة من التعدد المذكور ، وهو التيسير على القارىء ، وهذا يقوى قول من قال : المراد بالأحرف « تأدية المعنى باللفظ المرادف ، ولو كان من لغة واحدة ؛ لأن لغة هشام (بلسان قريش) وكذلك عمر فقد اختلفت قراءتهما » نبه على ذلك ابن عبد البر .

وذهب أبو عبيد وآخرون إلى أن المراد اختلاف اللغات وهو اختيار ابن عطية ـ يعنون أفصحها ـ وقد أنزل أولا بلسان قريش ، ثم سهل على الأمة أن يقرءوه بلسان غير قريش وذلك بعد دخول كثير من العرب فى الإسلام .

وحاصل ما ذهب إليه هؤلاء : أن معنى قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أى نزل موسعاً على القارىء أن يقرأه على سبعة أوجه ، وذلك لتسهيل قراءته إذ لو أُخِذُوا بأن يقرءوه على حرف واحد لشق عليهم ، ثم ذكر ابن حجر ما قاله ابن قتيبة ـ فى (مشكل القرآن) من أن الهذلى يقرأ (عتى[٩] حين) ، والأسدى يقرأ (تِعْلَمُون) بكسر التاء ، والتميمى (يهمز) والقرشى (لا يهمز) فيسر عليهم بمَنِّه ، ولو كان المراد أن كل كلمة منه تقرأ على سبعة أوجه لقال مثلاً : أُنْزِلَ القرآنُ سبعة أحرف ، وإنما المراد أن يأتى فى الكلمة وجه أو وجهان أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة .

وقال ابن عبد البر : أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف ـ اللغات .

---

(٨) أى قرأ كل منهم بقراءة من تلك القراءات .

(٩) أى عَتَّى لا حَتَّى لأنه هكذا طبيعة لسانه .

ولاحظ ابن حجر أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهى ، أى إن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها فى لغته ، بل المراعى فى ذلك السماع من النبى - صلى الله عليه وآله وسلم .

فتلخص - من ذلك : أن القراءات السبع المدونة فى « التيسير[10] » وفى « الشاطبية » قراءات متواترة فى أبعاض القرآن . لا خلاف فى ذلك .

وهذه القراءات المتواترة إلى اليوم :

إما وجوه حرف واحد كما تقول فى البُخْلِ : البَخَل ، وفى حتى : عَتَّى .. إلخ . وتكون الست الباقية نسخت فى عهده - صلى الله عليه وسلم .

وإما أن تكون هى هى الأحرف السبعة بعينها كما هى محفوظة فى العرضة الأخيرة المعروفة بـ « الجمع النبوى » وفى جمع « أبى بكر » رضى الله عنه وجمع « عثمان » الذى كان نسخاً دقيقاً عن صحف أبى بكر رضوان الله عليهم أجمعين .

ومصاحف عثمان - رضوان الله عليه - هى التى وزعت على الأمصار، واشتغل المسلمون بالنسخ خمس سنين متوالية ثم من بعد ذلك إلى ما شاء الله .

وخلاصة القول أن أولئك الأئمة الكرام الذين نسبت إليهم هذه القراءات لم يخترعوها ، وإنما عكف كل منهم على (حرف) منها لا مدخل للرأى فيه ولا للقياس فأتقنه فنسب إليه ، ولا خلاف فى تواترها بحال .

والله - سبحانه - ولى التسديد .

إبراهيم عطوة عوض

تنويــــه

سقط سهوا فى العدد الماضى اسم الدكتور مرعى مدكور مؤلف كتاب : الإعلام الإسلامى الطباعى فى الدول غير الإسلامية فى افريقيا . والذى قدمت المجلة عرضا له على صـ ٣٤٨ بقلم عاطف شحاتة زهران . لذا لزم التنويه .

---

(١٠) التيسير للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى .

المؤمن يأتي الطاعة راغبا

لا يريد إلا وجه الله

***يفكر فى شرف الحق وضعة الباطل ، يفكر فى عظمة الخالق المبدع عز سلطانه أنه رب العالمين ، وأنه يحب الحق ويكره الباطل ، وأن من اتبع الحق استحق رضوانه فكان سبحانه وتعالى وليه فى دنياه وآخرته ، فما يختار له إلا كل ما يعلمه خيرا له وأنفع وأشرف حتى يتوفاه راضيا مرضيا ، فيرفعه إليه ويقربه لديه ويحله فى جواره منعماً مكرماً فى النعيم المقيم والشرف الخالد العظيم الذى لا تبلغ الأوهام عظمته .**

أما من ركن إلى الباطل فقد استحق سخط رب العالمين وغضبه وعقابه فإن آتاه شيئاً من نعيم الدنيا فإنما ذلك لهوانه عليه ليزيده بعدا عنه وليضاعف له العذاب الأليم فى الدنيا والآخرة ، هذا العذاب الذى لا تبلغ الأوهام شدته .

فالمؤمن إذاً هو الذى يأتى الطاعة راغباً يفكر فى نسبة نعيم الدنيا إلى رضوان رب العالمين ، وكذلك نعيم الآخرة . ونسبة بؤس الدنيا وشقاوتها إلى سخط رب العالمين ، وعذاب الآخرة . ويتدبر قول الحق سبحانه عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ . وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ . وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ . وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . الآيات البينات من الآية ٣١ إلى ٣٥ من سورة الزخرف .

ومفهوم هذا أنه لولا أن يكون الناس أمة واحدة لابتلى الله المؤمنين بما لم تجر به العادة من شدة الفقر والضر والخوف والحزن .

(*) الكاتب : مفتش بشئون القرآن ــ منطقة القاهرة ــ .

لفضيلة الشيخ

محمد محمد على الرماح

وحسبك أن الله عز سلطانه ابتلى أنبياءه وأصفياءه بأنواع البلاء ـ هذا حديث كعب ابن مالك فى الصحيحين قال : قال رسول الله ﷺ :

« مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الرياح تصرعها مرة وتعدلها مرة أخرى حتى يأتى أجله ، ومثل المنافق كمثل الأرزة المجزية التى لا يصيبها شىء ، حتى يكون انجعافها مرة واحدة » .

ومقصود الحديث تهذيب المسلمين فيأنس المؤمن بالمتاعب والمصائب يتلقاها بالرضا والصبر والاحتساب راجيا أن يكون بلاؤه خيرا له عند ربه ، ولا يتمنى خالصا من قلبه النعم ولا يحسد أهلها ولا يسكن إلى السلامة وما فيها من نعم ولا يركن إليها بل يتلقاها بحذر وخوف خشية أن تكون إنما هيئت له لاختلال إيمانه بخالقه ، فترغب نفسه إلى تصريفها فى سبيل الله فلا يخله إلى الراحة ولا يبخل ولا يعجب بما أوتيه ولا يستكبر ولا يغتر .

أخرج الترمذى وغيره من حديث سعد بن أبى وقاص قال : **سئل النبى ﷺ : أى الناس أشد بلاء ؟**

قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان صلبا فى دينه اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة هون عليه .

وقد ابتلى الله أيوب عليه السلام بألوان من البلاء أشار إليها الكتاب العزيز ، وابتلى يعقوب عليه السلام بفقد ولديه وفى القرآن الكريم تصوير لشدة حزنه وبلائه ، وابتلى محمداً عليه الصلاة والسلام بما نراه فى أوائل السيرة فكلفه ربه أن يدعو قومه إلى ترك ما نشأوا عليه من الشرك والضلال ويصارحهم به سراً وجهراً ليلاً ونهاراً ويدور عليهم فى نواديهم ومجتمعاتهم وقراهم واستمر ﷺ على جهاده هذا نحو ثلاث عشرة سنة يتلقى أذاهم مع أنه قد عاش فيهم من أربعين سنة أو تزيد لا يعرف قومه منه إلا الخير يمدهم به ما أمكنه من سبيل ، ثم كان على درجة عظمى من الحياء والغيرة وعزة النفس . ومن كانت هذه حاله يشتد عليه غاية الشدة أن يؤذى ، وأن يتطاول عليه ويسخر منه هذا ويسبه ذاك ، وثالث يبصق فى وجهه ، ورابع يحاول أن يضع رجليه على عنقه إذ سجد لربه ، وخامس يضع سلى الجزور على ظهره إلى من يأخذ بمجامع ثوبه ويخنقه ، وآخر ينخس دابته لتلقيه على الأرض وذاك عمه أبو لهب يتبعه حيث ذهب يؤذيه ويحذر الناس منه ويقول : إنه كذاب ، إنه مجنون . وصنف يغرر به السفهاء من الناس فيرجمونه بالحجارة حتى تسيل قدماه دما ، وصنف يحصره وعشيرته فى أحد شعاب مكة ليهلكوا جوعا ، ويميلون على أتباعه بمختلف ألوان

← المؤمن يأتى الطاعة

العذاب من الصخر المُحَمَّى إلى الإلقاء فى النار ، فقد ألقوا بواحد من أتباعه ـ عليه الصلاة والسلام ، على قطع تتلظى من النار فما أطفأها إلا ودك[1] ظهره .

ذلك كله وغيره .. وما كان رسول الله ﷺ يدعوهم إلا لما ينفعهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

ذلك هو محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قدوتنا فى الطاعة رغبة لله ، وفى الله ، وعلى ذلك كان صحابته الراضون المرضيون ، وعلى ذلك من أراد الخير من أمته عليه الصلاة والسلام .

محمد محمد على الرماح

للتصحيح

وقع خطأ ص ٣٠١ من العدد الماضى إذ ورد فيه التاريخ التالى السطر الثامن : « عام ١٣٩١ هـ ١٧ سبتمبر ١٩٧٩) وصحته ١٧ سبتمبر ١٩٧١ .

---

(١) دهن لحم ظهره .

البحث عن الديانات القديمة

٤

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

مع أن الحفريات فى مصر وارض الرافدين ونهر الهند وفى آسيا الصغرى كشفت عن حضارات ومدنيات عريقة . كانت الحفريات فى ارض فلسطين اقوم عند المؤرخين والباحثين فى تاريخ الاديان ، هذا لانها كشفت عن طقوس وتقاليد دينية تتصل مباشرة بالكتاب المقدس واعمال اليهود المقيمين فى ارض المعاد .

وذهب المعنيون بهذا التاريخ يلتمسون من الآثار التى كشف عنها فى هذه البقعة مصداقا لما جاء فى نصوص العهد القديم وأدلة على صحته كله .

وأشهر ماكشف عنه فى فلسطين هى لفائف البحر الميت ، وهى لفائف مطوية كتبت على الجلود وأوراق البردى ، ثم حفظت فى أنابيب فخارية كبيرة ، ووجد منها أسفار كتبت باللغة العبرانية ، ونسخة كاملة من العهد القديم ، ولكن الذى نال اهتماماً أكثر هو ماتحدثت به هذه اللفائف عن رهبان اليهود ورمزهم المتحنثة ونظام حياتهم الديرية أو المترهبة ، ويبدو أنها ـ لم يكشف عنها إلا من نحو ستين عاما كانت قد تركت آثارا انتقلت إلى المسيحية بعد زمن متأخر من ظهورها ، ففى أوائل القرن السادس الميلادى قام الراهب

←

(*) الكاتب : الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية .

البحث عن الديانات القديمة

« بندكت النورسى Benedict Of Norsia . بإنشاء عدد من الأديرة فى إيطاليا ، وسن لها نظاما لا يكاد يختلف عن نظام الجماعات اليهودية فى « وادى القمران » والبحر الميت ، وهذه أول ديرية مسيحية ، والمنهج اليهودى البارز فيها هو اكتفاؤها الذاتى ، بعمل الديريين فى الزراعة فيما حولهم ، وأيضا فى أعمال غير زراعية ، وبذا يخرجون مايكفيهم ولا يعيشون على الهبات والعطايا .

ولا أتحدث الآن عن الجماعات اليهودية التى كشفت عنها لفائف البحر الميت ، وإنما أورد شيئا مما يتوافق فيه هذه الكشوف ونصوص الكتاب المقدس .

وممن اعتزوا بكشوفات فلسطين وأولوها عناية فى كتبهم المؤرخ اللاهوتى « فريد جلادستون براتون Fred . g. Bratton » وكتابه « تاريخ الكتاب المقدس » من الكتب التى نالت شهرة ودرست بالجامعات الأمريكية . ومن كلامه : أن كل ضربة معول فى تراب فلسطين وراءها قصة تاريخية ، ذلك أن هذه الأراضى كانت مراداً لحضارات متتالية ، لكثرة الممالك والحكام الذين توالوا عليها من الكنعانيين والفلسطينيين والبابليين والآشوريين والفرس والمصريين واليهود ثم الدول الأوروبية العديدة ، وكل دولة أو حكومة حكمتها تركت بها آثاراً ما غير أنه لا طبيعة التربة الفلسطينية مما يحفظ الآثار ـ كما فى مصر والعراق . ولا العبرانيون ـ الذين هم مثار البحث ـ كانوا ذوى عراقة فى الحضارة أو ذوى آثار تخلد ؛ فتراث اليهود روحى بحت يتمثل فى كتبهم المقدسة وحياتهم الدينية ، والمصدر الأساسى لتاريخهم هو العهد القديم وماكتب حوله أو ألحق به .

ويبدأ تاريخهم السياسي بدخولهم أرض كنعان على يد (القائد يوشع) ـ خليفة النبى موسى (عليهما السلام) ـ وقبل ذلك لم يكن لهم قرار سياسي ، وإذن فآثارهم التى تنبىء عن تاريخهم وتصدق كتابهم تلتمس فقط فى هذه البقعة . واتخذ الباحثون مدينة بيسان (بتشان) Beisan وقلعتها القديمة مركز بحث لحفرياتهم ، وعمل هناك عدد من البعثات ربما كان أشهرها وأنشطها هى البعثة التى أعدها متحف جامعة بنسلفانيا الأمريكية ، وأسندت رياستها إلى الباحث الأثرى الكبير (الدكتور آلان رو Alan Rowe) وقد استطاع بحفرياته أن يكشف عن الهجومات المتتالية على الربوة أو القلعة التى كانت تسمى بها بيسان ، وأن يظهر الصلة بين أديان الأمم العديدة التى توالت حكوماتها على هذه البقعة من منذ سنة ١٥٠٠ ق م حتى العصور الوسطى حيث كانت مستعمرة رومانية .. وقد تكشفت له طبقات ومستويات عديدة .

فمن الآثار المصرية وجد تمثال لرمسيس الثالث . ونقش كتابى لرمسيس الثانى يقول إنه استخدم عمالا ساميين فى بناء مدينة له بمصر . وهذا يوافق ، أو هو قريب مما جاء فى سفر الخروج : « فجعلوا عليهم (على بنى إسرائيل) رؤساء تسخير كى يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ، ورعمسيس » .

ومن آثار البابليين كشف عن معبد إله الحرب « داجون » والإلهة عشتروت

Ashtereth . ووجد مكتوبا على جدار القلعة : إن الفلسطينيين ـ فى حروبهم مع بنى إسرائيل ـ نصبوا أو ثبتوا جثمان الملك شاءول على الجدار ، وشاءول هذا هو سول Saul ـ الذى جاء فى القرآن الكريم باسم طالوت ـ الذى كان يحارب جالوت . وقصته جاءت فى سفر صموئيل الأول آخر قضاة بنى إسرائيل ، وفيه تفاصيل تزرى بهذا الملك ـ أول ملك لإسرائيل : قال السفر : وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى .. وضرب الفلسطينيون يوناثان وأبيناداب وملكيشوع أبناء شاءول ، واشتدت الحرب على شاءول فأصابه الرماة .. فانجرح جداً . فقال لحامل سلاحه : « استل سيفك واطعنى .. فلم يشأ .. فأخذ شاءول السيف وسقط عليه .. فجاء الإسرائيليون وسكنوا بها .. الأردن » .

« وفى الغد لما جاء الفلسطينيون ليعروا القتلى وجدوا شاءول وبنيه الثلاثة .. فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه .. ووضعوا سلاحه فى بيت عشتاروت وسمّروا جسده على بيت شان » .

والعبارة مذكورة فى سفر الأيام الأول بتغيير طفيف . ومنه : ووضعوا سلاحه فى بيت الهتهم وسمروا رأسه فى بيت داجون .

ومن الخلافات التى لا علاقة لها بالحفريات أنه ذكر (سفر صموئيل) أن الإسرائيليين أخذوا جثة شاءول فأحرقوها ، وفى سفر الأيام : أخذوا جثة شاءول وبنيه وجثث بنيه . إلى يابش ودفنوا عظامهم .

قال الدكتور براتون : إن كلا المعبدين ـ معبد داجون ، ومعبد عشتروت ـ كان غنيا بالآثار المتصلة بديانة الكنعانيين والفلسطينيين . ففى وسط الصالة الكبيرة وبجانب بقايا عمود محطم من البازلت يوجد عامود مصرى أقيم تذكارا للإله أنتيت Antit أو عشتروت ، وفوق رسم الالاهة نقش فيه : عنتيت (عشتروت) ملكة السماء ، سيدة جميع الآلهة » .

هذه الآلهة هى التى صارت عند البابليين « إشتار » ، وعند الرومان فينوس وهى رئيسة الآلهة عند الكنعانيين .

أما معبد داجون فكان يحوى بهوا واسعا سعته ٧٣ × ٢٦ قدما ، وبه ثلاثة ممرات كالتى فى المعبد السابق ـ معبد عشتروت ـ وساحة تماثيل للآلهة ، وصورة لرمسيس العظيم على رأسه خوذة الحرب ، وهو يرمى عن قوسه أسيرين من الكنعانيين ، وفى مواجهته إله الحرب « داجون » وهو يمسك بيديه مفتاح الموت والحياة . وقد جاء فى سفر صموئيل الأول فى الحديث عن معركة الفلسطينيين ! « وأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون ، وأقاموه بقرب داجون » . وجاء ذكر داجون أيضا فى سفر القضاة فى الحديث عن شمشون الجبار الذى خدعته دليلة ، إذ اجتمع الفلسطينيون ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ... » .

والواقع أن هذه النصوص التى يفخر بها أنصار العهد القديم لا تدل على شىء أكثر من أن معلومات تاريخية مذكورة فى العهد القديم صدقتها بحوث الآثاريين والحفائر من قريب أو من بعيد . ولكن أى الجانبين مستند للآخر ؟ وهل ذكر هذه النتف العارضة يكفى دليلا على صدق كل ما قيل ؟

البقية ص ٤٣٦

دور الأزهر في

استقدام الطلاب الوافدين

أولا : الأزهر الشريف

١ - دور الأزهر الثقافى فى أفريقيا :

للأزهر الشريف دور فى انتشار الثقافة العربية فى افريقيا ، فإن كثيراً من بلدانها ارسلت بابناء لها مبعوثين إلى الأزهر منذ القرن الخامس عشر ، جاءوا لدراسة القرآن الكريم والتفقه فى الدين ، ودراسة العربية وتعتبر الأروقة التى انشئت به للطلبة الوافدين من كل جنس شاهدا حيا على ما له من أثر فى ميدان التعاون الثقافى الإسلامى .

ولم تقتصر جهود الأزهر فى هذا المجال على قبول الطلاب الذين يفدون إليه من جميع الأقطار ، بل إنه يقوم إلى جانب هذا بالنصيب الوافر فى نشر الثقافة الإسلامية والعربية والتعريف بالإسلام فى جميع أنحاء العالم عن طريق البعوث التعليمية التى يوفدها إلى مختلف الأقطار ، والكتب الدينية والعربية والمصاحف التى يرسلها إلى الجماعات والأفراد . وعن طريق التوجيه العلمى والدراسى للمعاهد الإسلامية فى الخارج ، والإرشاد الدينى الذى يقدمه للمسلمين فى مختلف البلاد بواسطة الرسائل والمحاضرات والإفتاء فيما يعرض لهم من وقائع ومشكلات .

والمبعوثون من الأزهر للدول الأفريقية فئات :

منهم المدرسون للمواد الدراسية فى المراحل التعليمية المختلفة .

ومنهم الوعاظ وأئمة المساجد .

ومنهم المبعوثون بهدف الدعوة الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية .

---

* الدكتورة رجاء إبراهيم سليم .

حصلت على درجة الأستاذية « الدكتوراه » عن موضوعها : « التبادل الطلابى بين مصر والدول الأفريقية » . بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة .

وعلى درجة التخصص « الماجستير » عن موضوعها : « الطلبة الوافدون الدارسون فى الولايات المتحدة من جامعة « ويسترن متشجان » .

للدكتورة
رجاء إبراهيم سليم

ومنهم رؤساء البعثات وأعضاء المجالس الإسلامية . وقد ازداد انتشار الإسلام عن طريق هذه البعثات الإسلامية فى كثير من الدول الأفريقية .

ويقوم الأزهر الشريف ـ عن طريق المراكز الإسلامية ، وعن طريق مبعوثيه فى الدول الأفريقية برعاية الجوانب العلمية المختلفة فى شئون المسلمين بالدول التى بها مراكز إسلامية والدول التى ليس بها مراكز إسلامية ، وذلك بهدف إفادتهم دينيا وعلميا فى أحوالهم وشئونهم ومتطلبات حياتهم الشخصية كعقود الزواج والفتاوى الشرعية والاستفسارات الدينية ، وتثقيفهم دينيا : وذلك عن طريق تعليم اللغة العربية لمن يرغب فى ذلك وشرح القرآن الكريم ، وتنظيم محاضرات تتناول الأحداث الإسلامية ودلالتها ، وإصدار مجلات دورية ونشرات تتناول أخبار المسلمين وشئونهم كما يزود هذه المراكز بالكتب والأثاث وما تحتاجه من مدرسين .

وبعض هذه البلدان أنشىء به معاهد دينية ذات برامج عربية إسلامية .

كذلك يقوم الأزهر بتزويد مكتبات هذه المعاهد بالمصاحف المحققة التى تعد للتوزيع بعد فحصها فحصا دقيقا بواسطة لجان خاصة ، وكذلك الكتب الدينية . ومن المعاهد التى حظيت بنصيب كبير من العناية فى هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر :

فى الصومال : معهد الدراسات الإسلامية ، ومعهد (برعو) الدينى .

وفى السودان : معهد أم درمان الدينى ، ومعهد (الأحفاد) والمعهد الدينى بحلفا ، ومعهد شجْرة جوردون والمعهد الدينى فى ملكال ، ومعهد جوبا .

وفى إريتريا معهد أسمرة الدينى .

ويهتم مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف ، بعقد المؤتمرات بهدف ربط الأزهر وعلمائه بالمسلمين خارج حدود مصر ، وبخاصة الدول الأفريقية ، ويدعى لهذه المؤتمرات المهتمون بشئون الإسلام والمسلمين فى هذه الدول ولبحث الحلول لمشكلات المسلمين : سواء كانوا جاليات أو أكثرية تمثل قاعدة الوطن .

ومن المؤتمرات المشابهة لمؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية . مؤتمر الجامعات الأفريقية بالكونغو كينشاسا عام ١٩٦٧ ، ومؤتمر الخرطوم عام ١٩٧٠ ، ومؤتمر أكرا عام ١٩٧٠ .

وقد عقد المجمع منذ إنشائه حتى عام ١٩٨٣ تسعة مؤتمرات ، وبلغت مؤتمراته حتى الآن أحد عشر مؤتمرا .

وقد قام المجمع بدور كبير فى استقدام الطلاب من جميع أنحاء العالم ، وتيسيرا على كثير من الطلاب الوافدين إلى الأزهر ، أعدت لهم دراسات خاصة فى اللغة العربية ، يفيد

دور الأزهر فى استقدام الطلاب

منها طلاب البلاد الناطقة بغير اللغة العربية تمهيداً لإلحاقهم بالفرق الدراسية التى تناسبهم . وتعميما للفائدة من هذه الدراسات الخاصة ، تم تعديلها بحيث تشمل - إلى جانب دراسة اللغة العربية - دراسة العلوم الإسلامية لمن يريد من هؤلاء الوافدين للتزود بالثقافة الإسلامية والعربية ، دون الانتساب إلى الدراسة النظامية فى معاهد الأزهر .

٢ - دور الأزهر فى استقدام الطلاب الأفريقيين :

أنشأ الفاطميون الجامع الأزهر عام ٣٦١ هجرية ليكون المسجد الرسمى للقاهرة العاصمة الجديدة ، وليتلقى به الطلاب أصول المذهب الشيعى ، وليكون مركزا لنشر الدعوة الفاطمية ، ومناهضة الخلافة العباسية فى بغداد ، والخلافة الأموية فى قرطبة ، بغية انتزاع زعامة العالم الإسلامى منهما . ولقد ظهرت فكرة الدراسة بالجامع الأزهر فى أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمى عام ٩٧٥ م (٣٦٥ هـ) .

كان نظام الحلقة الدراسية هو أساس الدراسة ، على أن الجامع الأزهر بدأ يأخذ مكانته فى النهوض بالحياة الثقافية فى مصر ، وبخاصة فيما يتعلق بالثقافة المذهبية ، منذ عهد الخليفة العزيز بالله ولما قامت الدولة الأيوبية السنية المذهب على أنقاض الدولة الفاطمية الشيعية ، قضت على كل أثر للشيعة ، وكان الأزهر هدفا أساسيا للحملة على التشيع ، وكان تعطيل صلاة الجمعة بالأزهر إيذانا بإهمال شأنه ، فقلت مكانته التى كانت له أيام الفاطميين .

انتعش الأزهر فى العهد المملوكى بعد النكسة التى أصابته على يد الأيوبيين وعادت مرة أخرى مكانته العلمية ليكون حفيظا على لغة القرآن ، وعلوم الشريعة ، وصار الأزهر فى العهد المملوكى مسجدا للعبادة ، وجامعة عليا للدراسات الإسلامية والعربية ومركزا لأعمال الدولة الرسمية . وبلغ عدد طلاب الأزهر حينذاك ٧٥٠ طالبا من أبناء الريف المصرى ومن الفرس والأفارقة ومن شمال أفريقية ، وخصص لكل جنسية من هؤلاء رواق يقيمون به ، وكان نظام الأروقة قائما فى الأزهر منذ عام ٨٠٨ هجرية ، ١٤١٥ ميلادية .

أ - الأروقـــة :

من التقاليد التى اشتهر بها الأزهر أنه خصص لكل طائفة من طلابه رواقا يقيمون فيه إقامة مجانية طوال سنوات دراستهم .

والرواق : جناح أو عدة حجرات أو حجرة واحدة تخصص لإقامة الطلبة . وكان للطلبة المصريين القادمين من خارج القاهرة رواق خاص بهم ، وللطلبة الوافدين من كل قطر من أقطار العالم الإسلامى رواق يفرد لهم .

وإلى جانب التقسيم الجغرافى الإقليمى للأروقة كان هناك تقسيم آخر يقوم على أساس المذهب الدينى الذى يعتنقه الطالب ، وكانت بعض أروقة الغرباء تكتظ بالطلبة القادمين من

بلاد كان السفر بينها وبين مصر ميسرا . كالشام وشمالى أفريقية ، مثل رواق الشام ورواق المغاربة ، فى حين كان عدد الطلبة قليلا نسبيا فى أروقة أخرى نظرا لقدومهم من بلاد نائية جداً بالنسبة لوسائل المواصلات فى ذلك الوقت كبخارى وما جاورها .. وبخارى - حاليا - داخل نطاق البلاد الروسية .

وكان لكل رواق رئيس يسمى « شيخ الرواق » ينتمى إقليميا إلى طلبة الرواق وكان شيخ الرواق يرعى مصالحهم ، وتخاطبه الجهات المسئولة فى شئونهم . ولم يبدأ استخدام الأروقة مساكن للطلبة إلا فى عصر متأخر ، **هو** عصر دولتى المماليك البحرية والشراكسة ، ثم شهد العصر العثمانى نشاطا ملحوظا فى إنشاء أروقة جديدة ، وانكمشت بعد ذلك حركة بناء الأروقة فى عصر « محمد على » وخلفائه .

كانت الأروقة تكفل للطلبة حياة متكاملة فى جوانبها العقلية والروحية والجسمية ، وكان لكل رواق كبير مكتبة يشرف عليها قيم ، وكان فى معظم الأروقة أماكن تسمى (خلوات) يتعبد فيها من يرغب الخلوة من الطلبة .

وكانت الأروقة الموجودة الخاصة بأفريقيا **هى** :

١ - رواق شمال السودان ، ورواق شرق السودان ورواق السنارية ، ورواق دارفور ، ورواق جنوب السودان وهذه الأروقة خاصة بالسودان .

٢ - رواق الجبرت ، ويتبع هذا الرواق الوافدون من الحبشة وإريتريا والصومال وزنجبار .

٣ - رواق أوغندا وجنوب أفريقية ، ويتبعه الوافدون من الكونغو وشرق أفريقيا .

٤ - رواق صليح ويتبعه الوافدون من السودان الفرنسى وتشاد .

٥ - رواق البرناوية ويتبعه الوافدون من نيجيريا وساحل العاج والسنغال وباقى أفريقية الغربية .

٦ - رواق المغاربة ويتبعه الوافدون من تونس والجزائر ومراكش .

ولعل من أهم خصائص أروقة الأزهر أنها لم تطبق سياسة التمييز العنصرى على الطلبة الغرباء ، ولم تأخذ بنظام الطبقية ، فكانت الأروقة تستقبل بنى الإسلام دون تمييز عنصرى أو طبقى أو لونى أو اقتصادى . وكانت سياسة الباب المفتوح التى أخذت بها الأروقة فى قبول الطلبة تطبيقا عمليا لمبادىء الإسلام .

وقامت الأروقة بدور بارز فى دعم الترابط بين الشعوب الإسلامية فى المشرق والمغرب ، وكان لها فى سبيل دعم هذا الترابط وسيلتان :

أولاهما : تكوين قاعدة شعبية واسعة ، تمثلت فى الطلبة الغرباء ، وكان **هؤلاء** يعودون إلى أوطانهم بعد انتهاء دراستهم ، وسرعان مايشغلون المناصب القيادية فى مجالات القضاء والافتاء والتدريس .

أما **الوسيلة الثانية** : فى دعم الترابط بين الشعوب الإسلامية ، فقد تمثلت فى الصفوة الممتازة فى المجتمعات الإسلامية فى المشرق والمغرب ، ونعنى بها كبار علماء المسلمين

دور الأزهر فى استقدام الطلاب

الذين وفدوا للأزهر ، وبعد أن ينزلوا ـ فترة ـ ضيوفا على بعض كبار علماء الأزهر ، كانوا ينتقلون إلى أروقة الطلبة الوافدين حيث ينزل كل عالم فى الرواق المخصص لأبناء إقليمه . ومن أشهر هؤلاء العلماء ابن خلدون ، وشمس الدين الفنارى ، والمقرى ، والزبيدى ، وابن سوده المرى الفارسى .

استمر نظام الأروقة بالجامع الأزهر نفسه قائما منذ دولتى المماليك البحرية والشراكسة وطوال العصر العثمانى ، ثم حكم محمد على وخلفائه إلى مابعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . ثم صدر قرار من مجلس الوزراء فى نوفمبر ١٩٥٤ ببناء مدينة جامعية تخصص لسكنى طلبة الأزهر كبديل عصرى لنظام الأروقة ، أطلق عليها اسم « مدينة ناصر للبعوث الإسلامية » وتسمى حاليا (مدينة البعوث الإسلامية) وبقيت مشيخة الأروقة قائمة حتى الآن لتقوم بإشرافها المعهود .

ومنذ قيام ثورة ١٩٥٢ خصص للطلاب الوافدين من شتى الأقطار العربية والإسلامية معهد يضمهم باسم معهد البعوث الإسلامية ، ورحب الجامع الأزهر بأبناء المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية للدراسة بالمجان .

وكانت الدراسة على نوعين : الأول ، معهد البعوث الإسلامية ، والدراسة فيه ثلاثة مستويات (ابتدائى ثانوى ، عال)[1] والثانى . المعاهد الدينية والكليات .

وقد قرر المجلس الأعلى للأزهر بجلسته المنعقدة فى ١٦ أبريل ١٩٥٥ شروط التحاق الطلبة الوافدين بالدراسات العالية وأقسام الإجازات بالأزهر ، منها أن يؤدوا امتحانا عاما فى المواد الأساسية للكشف عن مدى استعدادهم ، وعلى أساس هذا الامتحان تحدد السنة الدراسية التى يلتحق بها الطالب ، بحيث لاتجاوز السنة الأولى بالكليات ، ووضع المجلس نظاما يكفل لطلاب البعوث الإسلامية فى جميع المعاهد والكليات حفظ أجزاء من القرآن الكريم . كما وضعت قواعد تنظم طريقة الالتحاق والدراسة فى معاهد وكليات جامعة الأزهر ، وقد تم تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين للدراسة فيه . وتتفاوت القيمة المادية للمنحة طبقا لمرحلة التعليم التى يلحق بها الطالب (مرحلة المعاهد الإعدادية والثانوية ، ومرحلة الجامعة ، ومرحلة الدراسات العليا) . هذا بالإضافة إلى أن هناك أعداداً كبيرة من الطلاب الوافدين يأتون على نفقة حكوماتهم ، أو على نفقة هيئات إسلامية أو يدرسون ويقيمون على نفقتهم الخاصة .

يتبع د . رجاء إبراهيم سليم

(١) هذا التقسيم كان خاصا بالبعوث الإسلامية للطلبة الوافدين ، ثم ـ بعد ذلك ـ مع ظهور المعادلات سمح لهم بدخول كليات الجامعة الأزهرية . وصار هذا المعهد مقصورا على المرحلة الثانوية .

رسل الأزهر في بلاد النيجر

بوبو هاما

٤

للسيد السفير

جمال الدين محمود أبو العيون

كان رئيساً للجمعية الوطنية (البرلمان) ورئيساً لحزب التقدم النيجيرى والحزب الحاكم الذى يعد رئيس الجمهورية سكرتيراً عاماً له ، وكان مهيب الطلعة ، ضخم الجثة ، داكن السمرة ، نفاذ العينين ، كما كان خطيباً مفوهاً ، يتكلم الفرنسية بطلاقة ، ويخلب ألباب السامعين ، وكان مشهوراً بغليونه الذى لا يفارق فمه اينما كان .

وكنت فى الأيام الأولى من الشهر المبارك شديد القلق لعدم وصول القارِئَيْن المصريين اللذين وعدتنا بهما وزارة الأوقاف ، وفى اليوم السابع عشر من رمضان فوجئت بوصول القارِئَيْن: الشيخ أحمد شحتو والشيخ أحمد الدياسطى ، وكانا فى حالة يرثى لها من التعب والإرهاق ، ولما استفسرت منهما عما ألم بهما ، وعن سبب تأخرهما طوال هذه المدة حكيا قصة المغامرة التى وقعت لهما فقالا :

— « فى وزارة الأوقاف وقع خطأ غير مقصود ، وبدلًا من أن يعطونا تذكرتى سفر إلى (نيامى) حجزوا لنا على (فورت لامى) ، (انچامينا) حالياً ، ولم ننتبه لهذا الخطأ لجهلنا باللغات الأجنبية ،

←

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

وفى « فورت لامى » استقبلونا فى السفارة مندهشين وصاحوا فينا:« ما الذى أتى بكم يا مشايخ ؟ وإيه الحكاية ؟ أنتم هنا فى تشاد ولستم فى « النيجر » !! وأسقط فى أيدينا .. ماذا نفعل ؟ وكيف نتصرف ؟ وتذاكرنا لا تصلح إلا للعودة إلى مصر ؟ .. وماذا بعد العودة ؟ هل نعلن على الناس جهلنا ونقول: إننا « تهنا فى السكة » ؟ .. كلا .. والله لا يكون هذا أبدا .. ولابد من مواصلة السفر إلى « نيامى » ولو على حسابنا الخاص .. وسألنا فعلمنا أنه لا يوجد طيران مباشر إلى نيامى ، بل لابد من السفر أولاً إلى ياوندى (فى الكاميرون) ومنها إلى كوتونو (فى داهومى) ثم إلى نيامى ، واستغرقت رحلة العذاب هذه ١٧ يوماً .. حتى كدنا نقطع الأنفاس ، خاصة ونحن لا نستطيع التفاهم بأية لغة أجنبية، ولولا أن هيأ لنا الله فى مختلف المطارات من المسلمين من كانوا يأخذون بأيدينا، ويستضيفوننا بفضل من الله فى رمضان ، ثم بما أراد الله لزينا الأزهرى من احترام .

ودهشت كثيراً لهذه القصة ، وأعجبت ـ والحق يقال ـ بشجاعة الشيخين، وحسن تصرفهما ، فطمأنتهما ، وأكدت لهما أنهما سيلقيان منا كل رعاية .، وسنعوضهما بإذن الله عن كل مالقياه من متاعب ، وبالفعل بادرنا بالاتصال بالحاج « عيسى بوبى » وبالرابطة الإسلامية،فسرعان ما اهتموا للأمر وحجزوا للشيخين استراحة (بنجالو) فى حديقة فندق جراند أوتيل ؛ كما خصصوا عربة رسمية لتنقلاتهما ، وبهذا استراح بالهما واستبشرا خيراً ..

ثم إنى دعوت الشيخين لتناول الإفطار بمنزلى بصحبة المترجم المرحوم الحاج عمر ملى ، وهو خريج كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف .. وهنا تتجلى شخصية المصرى الأصيل الذى قل أن يوجد له مثيل فى العالم أجمع ، إذ ما كاد الشيخان يفرغان من تناول الشاى بعد الإفطار حتى ألحا علىّ فى السماح لهما بالتوجه للمسجد الجامع لإحياء الليلة فيه . وعبثا حاولت تأجيل هذه الرغبة للغد حتى ينالا قسطا من الراحة بعد رحلتهما الشاقة ، فقد أصرا على مطلبهما .

وتوجهنا للمسجد الجامع ، فوجدنا أبوابه مغلقة ، لأن الناس هنا يفضلون صلاة التراويح فى الزوايا أو الساحات الشعبية ، ولكن الحاج عمر ملى قام بفتح أبواب المسجد ، وبعد أن صلينا العشاء والتراويح جماعة ، بدأ الشيخان التلاوة ، وتناهت إلى أسماع الناس الأصوات الجميلة ، فدهشوا ودفعهم الفضول للقدوم إلى المسجد ، ومالبث أن انتشر النبأ ، فتوافد الناس زرافات ووحداناً لرؤية الشيخَيْن المصريين وسماع تلاوة القرآن الكريم ..

ولست بمستطيع ، مهما أوتيت من بلاغة ، أن أصف هنا مشاعر الناس وأحاسيسهم تجاه الشيخين ، فقد راحوا يتطلعون إليهما

وكأنهما هابطان من عالم غير عالمنا ، واحتشدوا حولهما فى شبه مظاهرة ، وربما جرؤ البعض على الاقتراب ليمسح بيده على طرف جبة أحدهما تبركاً ، أو ليهوى على كتفه بقبلة محبة واحترام ثم يتراجع مسرعاً وكأنما تجاوز حدوده .

وكان علينا فى الليالى التالية أن نتهيأ لاستقبال الجماهير المتدفقة ، خاصة بعد أن تم تركيب مكبر للصوت فى ساحة المسجد ، وصار يتردد عليه يومياً إمام المسجد ، وأعضاء الرابطة الإسلامية ، والسفارات الإسلامية ، وأغلق الشيخ على صالح السودانى مدرسته الليلة ليحضر المدرسون والطلبة وعددهم يقارب المائتين .

كما حضر السيد « مودور زاكارا » وزير المالية والمشرف على الشئون الدينية ، والذى حدد لنا موعداً لمقابلة رئيس الجمهورية لتقديم القارِئَيْن إليه .

وكانت مقابلة القارئين للرئيس أكثر من موفقة .. فقد حضرتها وحضرها معنا وزير المالية وأعضاء الرابطة الإسلامية ، وبعد أن استمع الرئيس إلى تلاوة من آيات الذكر الحكيم قبل أنامل يديه ورفعها إلى جبهته احتراماً وتعظيماً ، ثم أعرب عن شكره لاهتمام أخيه الرئيس السادات وحكومته بإيفادِ الشيخين للنيجر ، وأمر بتسجيل أشرطة إذاعية للقارئين ، ولكيلا تحرم محافظات النيجر الست الأخرى من البركة ، قرر سفرهما بالطائرة ، ومع كل منهما مترجم يتكلم العربية ، إلى مدن : مارادى، وزغدد وأجاديس، وتاوا، وديسا، ودوسو . وقد تأثرت كثيراً وتأثر معى الشيخان الفاضلان لهذه المقابلة ، ورغم إرهاقهما ومشقة السفر فقد رضيا عن طيب خاطر بأداء هذه المهمة ، وتشريفاً لمصر وتكريماً لسفارتنا .

ولقد أحدثت زيارة الشيخين المصريين ضجة إعلامية كبرى ، فقد نشرت صحيفة « أخبار النيجر » شبه الرسمية صور مقابلاتنا مع الرئيس ، بالإضافة إلى نداء من الرابطة الإسلامية ، وأمام المسجد الجامع بدعوة المسلمين للاحتفال بليلة القدر المباركة فى المسجد مع مشاركة القارئين المصريين فى الاحتفال الذى تقرر إذاعته على الهواء ..

والطريف أن وكالة الأنباء الفرنسية اهتمت للنبأ (أو انزعجت منه) فاتصلت بنا تليفونياً تستفسر عن البعثة المصرية وحقيقة المهمة التى قدمت من أجلها . وقد أكدنا لها أنها مجرد بعثة دينية بمناسبة شهر رمضان ولا خطر على أحد !! ..

وفى اليوم التالى صحبت القارئين لمقابلة الرئيس بوبوهاما فى مكتبه ، ولما وصلنا إلى

رسل الأزهر في بلاد النيجر

دار البرلمان تركت الضيفين فى قاعة الانتظار ، بينما استأذن لهما من الرئيس . ومررت فى طريقي بثلاث حجرات للحرس والسكرتارية والمكتبة حتى وصلت إلى مكتب الرئيس الفخم الذى يتصدر حجرة طولها حوالى عشرة أمتار أو يزيد ..

وبسلمت على بوبوهاما بالاحترام اللائق ، وهنأته بشهر الصيام ، فقال « أنا مريض ولذا فأنا مفطر » ، وبعد أن شرحت للرئيس مهمة القارئين استأذنته في دعوتهما

وعدت بعد دقائق بالشيخين المعممين ، ودخلنا مكتب بوبوهاما ، وإذا بى أفاجأ بمنظر لن أنساه ما حييت .. فقد اختفى غليون بوبوهاما ، واختفت معه كل « أدواته» فقد استحيا الرجل أن يبدو مفطراً أمام القارئين المصريين ، فأخفى « العدة » كلها احتراماً لحملة القرآن الكريم

ليلة القـــدر

ليلـة القـدر .. ومـا أدراك مـا ليلـة القدر .. ؟ ! ما شاء الله .. هذا هو المسجد الجامع وقد فتحت أبوابه ، وتلألأت أنواره ، وانبعثت من مكبرات الصوت فيه أصوات قرائنا الرخيمة وهم يتلون آيات الذكر الحكيم ، وازدحمت ساحته على سعتها بالمسلمين الذين توافدوا من كل مكان للمشاركة فى الاحتفال بالليلة المباركة ، وعلى رأسهم الرئيس بوبوهاما ، ووزراء الدولة ، والسفارات الإسلامية ، والجالية المصرية ، وأعضاء الرابطة الإسلامية ، وغيرهم

وأذيع هذا الحفل ، الذى شهدته العاصمة (نيامى) لأول مرة ، على الهواء ، فترددت فى كل أنحاء النيجر أصوات التلاوة المباركة ، والتواشيح الدينية ، والصلاة على الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكلمات الخطباء وفى مقدمتهم بوبوهاما الذى سجل شكره لحكومة مصر وشعبها على هدية رمضان التى دلت على الإخاء العميق بين الشعبين ، وهكذا أمضينا ليلة لا تنسى من ليالى العمر بفضل الله ، ثم بوجود القارئين المصريين اللذين أشاعـا فينا ما لا مزيد عليه من البهجة والسرور .

وحان موعد سفر القارئين . وكنت قد أبرقت لمصر لحجز تذاكر العودة لهما على أقصر الطرق وأقلها مشقة ، فجاءنى الرد

بالحجز لهما على أطول الطرق وأقلها نفقة ، وهو طريق نيامى ـ كوتونو ـ دوالا ـ فورت لامى ـ الخرطوم ـ القاهرة !! ..

وتغاضيت عن هذا الرد ، وقررت أن أتصرف على مسئوليتى ، فحجزت لهما عن طريق نيامى ـ باريس ـ القاهرة مباشرة ليصلا مصر فى ليلة العيد وينعما بقضائه مع أولادهما وأهلهما ، فهذا أقل تكريم لهما .

وفى مطار نيامى احتشد المودعون ، وفى مقدمتهم وزير المالية السيد مودور زاكارا وسفير الجزائر والقائم بأعمال ليبيا وأعضاء الرابطة الإسلامية والجالية المصرية ، وتعانق الجميع ، وبكى الكثيرون منهم لهذا الوداع المؤثر ..

سافر الشيخان .. ولكن بقيت ذكراهما عطرة تتردد ردحاً طويلاً فى النيجر ، سواء فى قلوب الأهلين ، أو عن طريق الإذاعة التى راحت تذيع تلاوة القرآن الكريم بصوتيهما ثلاث مرات يومياً ، وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل .

وهلَّ عيد الفطر المبارك بأنواره على مصر وسائر الدول العربية فى يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، وكان المفروض أن يحتفل به النيجر فى نفس اليوم كالمعتاد ، لولا عقيدة راسخة فى النفوس هناك ، وهى أن العيد إذا صادف يوم جمعة ، فإن هذا يكون نذير شؤم على البلاد ، وعليه فقد أعلن أن يوم العيد يوافق يوم السبت ٢٠ نوفمبر ، ومن ثم توجهنا لأداء الصلاة فى ظاهر المدينة ، اتباعاً للسنة الشريفة ، عند قرية آرليف الصغيرة فى طريق المطار ، وحضر الصلاة رئيس الجمهورية وكبار المسئولين والسفارات الإسلامية ورجال الدين وغيرهم ، وبعد الصلاة انتقلنا إلى رئاسة الجمهورية لنقدم التهانى إلى الرئيس .

وكنت قد أعددت مفاجأة العيد لشعب النيجر الذى شرفنى وأكرمنى خلال شهر رمضان ، فارتديت بمناسبة العيد الـ « جراند بوبو » ، وهو الزى الشعبي السائد فى البلاد ، وهو مكون من ٣ قطع ، سروال وقميص داخلى وحرملة فضفاضة ، واخترت اللون الأبيض ، بالإضافة إلى طاقية بيضاء وضعتها على رأسى .. ولا أستطيع أن أصف هنا مدى السرور والابتهاج الذى قوبلت به وأنا فى هذا الزى الذى اعتبرونى به واحداً

منهم ، كما لا أنسى صوت الإمام وهو يصيح بعربيته المحدودة : « هذا حسن .. هذا حسن .. » ، وهكذا صرت أرتدى هذا الزى الوطنى الجميل فى كل المناسبات الدينية ، فضلاً عن يوم الجمعة .. والواقع أننى وجدته مريحاً للغاية ، ومناسبا لجو البلاد الحارة ، فهو يسمح بدخول الهواء مكيفاً بين طياته فلا يتسبب فى عرق ولا سخونة ..

وكانت المفاجأة الكبرى بعد ذلك دعوة كريمة تلقيناها من رئيس الدولة ديورى هامانى وقرينته الحاجة عائشة ، هى الأولى من نوعها ، حيث دعانى ومعنا عشرين من أعضاء الجالية المصرية ، لتناول العشاء فى قصره ثانى أيام العيد ، كما وجه دعوة مماثلة إلى كل من السفارات الإسلامية ، وهى سفارات : ليبيا والجزائر ونيجيريا ، وقد أذيعت أثناء الحفل تلاوة من آيات الذكر الحكيم ، وأناشيد مصرية ، وأغان نيجيرية ، فكان حفلاً لم يسبق له مثيل ، سعدنا به كما سعد به جميع أفراد الجالية المصرية الذين اعتبروه تشريفاً لهم وتكريماً لبلادهم ، مما انعكس بالتالى على ولائهم للسفارة وإخلاصهم فى عملهم .. وقد علمت أن البعض نصحوا للرئيس بعدم إقامة مثل هذا الحفل الذى قد يعد سابقة ملزمة ، ولكنه أصر على إقامته تعبيراً عن امتنانه لما قامت به سفارتنا المصرية لاحياء شهر رمضان المبارك .

كيف حدث ذلك ؟ وكيف تم هذا التلاحم السريع بين السفارة المصرية وحكومة وشعب النيجر ، ولما ينقضى شهران على وصولى ؟ لا أجد تفسيراً لذلك سوى الشوق الدفين للإسلام الذى ظل حبيسا فى صدور أهل النيجر لأجيال طويلة ، والتعطش الشديد لتعويض ما فاتهم ، وإحساسهم بإخلاص السفارة فى نواياها تجاههم وصدق مشاعرها نحوهم ذلك أننى بفضل الله لم أمارس عملى منذ وصولى إلى النيجر كدبلوماسى يمثل دولة أجنبية ، بل اعتبرت نفسى - وبحق - واحداً منهم فقد أحببتهم بغير حدود .. وفتحت لهم صدرى ومكتبى ومسكنى فى كل وقت وبغير رسميات .. لقد وجدت أهل النيجر على الفطرة السليمة ، بعيداً عن تعقيدات الحضارة

وشكلياتها ، مثلهم فى ذلك مثل الطفل البرىء الذى يلتقى بهذا فيحبه ويتعلق به ، ويلتقى بذاك فينفر منه ويعرض عنه ، تهديه إلى ذلك فطرته السليمة التى تميز بين الصديق والعدو مهما تخفى الأخير خلف قناع أو تفنن فى خداع .

حدث تقديم وتأخير

آخر الكلام فى العمود الاول من صفحة ٣٣٣ فى نهاية السطر الثالث قوله : «فاقبلت فاطمة تمشى»بقية هذا القول جاءت فى العمود الثانى من نفس الصفحة وهى قوله : ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً .

وآخر كلمة فى الصفحة وهى قوله:دراسته يتبعها القرآن مرتين : فيكون قوله وللمكارم موضعا هو آخر المقال .

الفتاوى

حكم كتابة القرآن على قواعد الاملاء

س ١ : هل يجوز كتابة القرآن حسب قواعد الإملاء ؟

محمد ناجى - اسكندرية

جـ : اتفق رأى المسلمين على وجوب كتابة القرآن الكريم على ما كتب عليه فى عهد الخليفة : عثمان بن عفان رضى الله عنه - حتى لا تمتد إليه يد التحريف أو التبديل على مر العصور ، والقراءة تكون بالتلقى والتلقين .

سئل الإمام مالك رحمه الله كما جاء فى المقنع : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ، فقال : لا ، على الكتابة الأولى ، ولا مخالف له من علماء الأمة ، وبعض العلماء يجيز الكتابة حسب قواعد الإملاء فى الألواح التى تمحى بالماء .

سجود التلاوة

س ٢ : ما الكيفية التى يؤدى بها سجود التلاوة ؟

يوسف عمر

جـ : سجود التلاوة عندما يقرأ المسلم المتوضىء بعض آيات القرآن التى يطلب فيها السجود عليه أن يكبر ويسجد ثم يكبر حال الرفع من السجود ولا يقرأ تشهدا ولا يسلم ، وسجود التلاوة سنة للقارىء إذا كان جالسا للقراءة متجها نحو القبلة والمستمع .

روى الإمام أحمد ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ، يقول ياويله - أمر - ابن آدم - بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيتُ فلى النار .

فى الميراث

س ٣ : توفى رجل عن ثلاث بنات ، وأولاد بنتين ، وابن ابن فمن يرث وما نصيبه ؟

جـ : فى تركة المتوفى وصية واجبة لأولاد البنتين بمقدار ما كانت تستحقه كل بنت منهما لو كانت على قيد الحياة طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول بها من أول أغسطس ١٩٤٦ فى حدود الثلث ، بشرط ألا يكون الجد

إعداد/عبد الحميد شاهين
على حامد

قد أعطى الأولاد مثل نصيب أصلهم .

والمسألة من خمسة عشر جزءا منها أربعة أجزاء وصية واجبة لأولاد البنتين ، جزءان لأولاد كل بنت يقسمان للذكر مثل حظ الانثيين .

والباقى أحد عشر جزءا ـ للبنات الثلاث ثلثاه بالتساوى والباقى لابن الابن تعصيبا ، والله أعلم .

س ٤ : توفيت سيدة ولها زوج وثلاثة بنين وبنتان فما نصيب كل من الورثة

محمود شاكر ـ بنها ـ

جـ : للزوج الربع والباقى للأولاد للذكر مثل حظ الانثيين .

فالمسألة : من أربعة للزوج ١ من ٤ . والباقى يقسم للذكر ضعف الأنثى .

والله أعلم

حكم تعليق الصور

س ٥ : ما رأى الإسلام فى تعليق الصور والتماثيل فى البيت ؟

خلف الله السيد ـ برخيل ـ البلينا

جـ : الصور إذا كانت مجسمة مكتملة الأعضاء كالتماثيل ، فقد اتفق العلماء على تحريمها ، واستثنوا من ذلك لعب الأطفال وإذا كانت غير مكتملة الأعضاء (كأن تكون نصفية ، أو كانت غير مجسمة ـ فقد حرم بعض الفقهاء تعليقها ـ وأجازها البعض وكرهها البعض) .

وأما الصور « الفوتغرافية » فإذا كانت نصفية فتجوز عند الجميع إذا اقتضتها الضرورة كوثيقة السفر وغيرها .

أما إذا كانت كاملة الأعضاء واتخذت للتقديس أو للإثارة كالصور العارية فحرام وفى ذلك جاء حديث الرسول ﷺ أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون .

البحث عن الديانات
بقية

فى كلا المعبدين ـ على أى حال ـ أشياء كثيرة مما يتصل بعبادة عشتروت من المحاريب والآنية والصناديق المقدسة ، والمصابيح والفازات والأكواب .. الخ ، وهذه كلها تعطى فكرة عن الطقوس والعبادات التى كانت متبعة بين قوم وثنيين .

وكشف هناك أيضا عن معبد كبير بناه الفرعون المصرى ستى الأول حول سنة ١٣٠٠ ق م ، وبعض هذا المعبد له سقف وبعضه مكشوف للسماء ، والجزء ذو السقف يحوى مذبحا أو على الأدق حجرة لتقديم الضحايا والقرابين ، وبه أفران حجرية ، وكميات كبيرة من الدقيق وآنية فخارية تحوى حبوب السمسم ، مما يوحى بأنها أطعمة مقدمة للآلهة .

وتحت هذا المعبد مباشرة وجد معبد آخر بنى فى عهد امنحتب الثالث فى نحو سنة ١٤٠٠ ق م ، وبين محتويات هذا المعبد المصرية وجدت تماثيل للإلاهة عشتروت متناثرة هنا وهناك ، واستمرت الحفريات أعمق وأعمق لتكشف عن معبدين كنعانيين يرجع تاريخهما إلى سنة ١٥٠٠ ق م . ولم يكونا على شاكلة المعابد السابقة ، ولكن يتجلى فيهما الطابع الكنعانى البحت .

والقاسم المشترك فى معابد الكنعانيين هو المذبح ، ويوجد عادة أمامه إناء للدم المسفوح أو الخمور ، تنساب إليه من حجر المذبح ، وقد استفاد العبرانيون من هذه المذابح واستعملوها بعد أن فتحوا بلاد الكنعانيين . ولكن الكنعانيين كانوا قد استردوا أراضيهم من الإسرائيليين إلى حين . وهذا الخلط بين المعابد يوضح كيف تغذت الديانة الإسرائيلية من جيرانها الكنعانيين وغير الكنعانيين .

وهكذا لم يكن الإسرائيليون موحدين فى كل عهودهم ، وهذا سر ماتفيض به الشكوى من شعب صلب الرقبة ، ترك ديانته السماوية ليعبد آلهة الأمم المجاورة ، وجاء فى القرآن شكوى النبى « إلياس » ـ « أليشع » من أن قومه يدعون « بعلا » ـ هو البلعيم إله الكنعانيين ، أما الكتاب المقدس ، فيتعدى الشعب ليصف الملوك ، ومنهم طالت ، وسليمان ، وداود ، بالانحراف وعصيان الرب[1] .

وكما توضح الحفريات صدق بعض الأحداث فى العهد توضح أيضا انحرافات الإسرائيليين .

عبد الجليل شلبى

---

(١) وهذا الجزء من كتابات العهد القديم ضد انبياء بنى إسرائيل إنما هو الاختلاق المحض الواضح فيه ـ جداً ـ التحريف ـ فإن الله سبحانه وتعالى ـ أعلمُ حيث يجعل رسالته ، وإنما جعلها سبحانه فى (المُصْطَفَيْنَ الاخيار) الذين اصطفاهم من بين خلقه اكمل اخلاقا وآدابا لم يمسسهم سوء فى العِرْض أو الدين ، وكان القرآن ـ وحده ـ الكتاب الذى كشف عن تلك الأباطيل وأعطى الأنبياء حقهم الكامل فيما كانوا عليه من عصمة لا يأتون معها إلا ماأمرهم به رب العالمين ، وهم الذين قاوموا حنث ووثنية بنى إسرائيل وكشفوا عن زيغهم فمال عليهم بنو إسرائيل ذبحا وتقتيلا . عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

أشواق وذكرى

أفيقي..!!

يا ظماء النفوس

أشواق وذكرى

للشاعر: مصطفى أحمد درديـر

يا إلهي وملجئي ورجائي ... ياغفورا ياراحم الضعفاء
صعدت أشواقي إليك دعاء ... فاض من قلبي فاستجب لدعائي
ملئت نفسي بالجوى فاستهلت ... عبراتي تشي بسر عنائي
وتعالت نجواى للملأ الأعلى ... أنينا يهز قلب الفضاء
هام عشقا بالنور قلبي وماحيلة ... من كان من تراب وماءٌ
وإذا ما سما لك القلب يوما ... شده نحو الأرض داعي اشتهائي
ياإلهي فاضت دموع اشتياقي ... لجلال الأنوار في العلياء
وأهاج الحنين في أضلعي ... آياتك العظمى فاستطال بكائي
في شراك الدنيا تعلق قلبي ... وتمادى في مُهْلك الاهواء
وغدا مفتونا بزهرتها لا ... يرعوى في صبح ولا إمساء
أيها القلب إنما العيش لهو ... وغرور مآله لانقضاء
فتبصر لا يخدعنك عن السير ... بساط مصيره لانطواء
وتذكرت المصطفى فصفت رو ... حي وحنت لذكره الوضاء
النبي الأمي لم يُحْصِ يوما ... فضلَه حاذقٌ من العلماء
صاحب الحوض واللواء وماحي ... كل شرك وخاتم الأنبياء
ما أظلت كالهاشمي سماء ... أو مشى مثله على الغبراء
أين مني محمد أين مني ... هديه يمحو حالك الظلماء
أين مني صحابة بينهم كنت ... سراجا متمم الأضواء
من حموا دينهم وساروا على درب ... الهدى والمحجَّة البيضاء
فاغفر اللهم الخطايا وكفر ... بالرضا ذنب عبدك الخطاء

أفيقى..!!

للشاعر: عبد الستار سليم

غفلت فطوقت جيدى الذنوب ... ويا للنفس إن نام الرقيب
تُعاقر حظها سفها وعيبا ... كأن حروف قصتها العيوب
وتأخذنى إلى الزلات قسرا ... وتجريحُ القتاد لها يطيب
تعاهدنى وتنقض كل عهد ... وتنوى أن تتوب .. ولا تتوب
إذا الاغراء عنّ لها بدرب ... يشوب العزم منها ما يشوب
فما تقوى على الإغراء إلا ... كما يقوى على الحلم الغضوب

●● ●●

ألا يانفس حسبك واستقيمى ... وثُوبى .. قد غوى من لا يثوب
أعابثة إذا ما الصبح وافى ؟! ... وعابثة إذا وافى المغيب ؟!
وتَسبيكِ الغوايةُ حيث كانت ... كما يسبى الفراشات اللهيب !!
أفيقى .. غُصّ بالأوزار حلقى ... وجلل شمس مسعاى الشحوب
إذا لم ترتدع نفس .. فذَرْوًا ... تذريها الشمائلُ والجنوب

ياظماء النفوس

للشاعر: رشاد محمد يوسف

ياظماء النفوس من كل صوب   إن قرآننا هو الينبوع
أقبلوا ترتووا فهذا معين   أصله طاهر نقى رفيع
واجتنوا من قطوفه دانيات   ساقها الخالق اللطيف البديع
ياظماء النفوس صحوة قلب   وخضوع لربكم ورجوع
حولكم عالم يضج من الظلم   حقوق الشعوب فيه تضيع
ونفوس العباد أرهقها الفقر   وغطى الحياة قهر وجوع
عاصفات الحروب تمعن فى البغى   وسفك الدماء سيل مريع
والأعاصير أحرقت كل شىء   جف قلب الثرى ومات الربيع
ياظماء النفوس هذا التردى   فيه للشر والضلال نزوع
عاد فينا «مسيلم» من جديد   فغوت فرقة وضل قطيع
صدقوا زعمه وهاموا حيارى   أنكرتهم شواطىء وربوع
سمموا الفكر والثقافة والعلم   فغطى الحروف سم نقيع
شوهوا الفن فاستحال خبالا   عبث دائم وفكر وضيع
وتراث الجدود وهو معين   كم تساقت بشاطئيه الجموع
قال عنه العداة : مصدر جهل   وجمود وشاع فيه الخضوع
فإذا ألصقوا الهوان بأصل   كيف بالله تستقيم الفروع ؟!
هم عداة الهدى فكل نبى   بيتوا غدره وساء الصنيع
اليهود اليهود شر أناس   ضاق موسى بغدرهم (ويسوع)
وعفا أحمد الكريم مرارا   وهم الشر والفساد الفظيع
ياظماء النفوس ليس بغير   الدين يرجى تقدم وسطوع

يا إنسان..

للشاعرة: نور نافع

سالت دموعك أيها الدَّنِفُ   وبدا عليك الوجد والكلفُ
إن الهوى يامنيتي تلف   ولقد شربت من الهوى مُرَّهْ
سالت وشاهد عشْقَك الناسُ   لما شربت وصبّرت الكاسُ
والروح بين الصدر أنفاسُ   والعين كل قوامها نظرهْ
دنِفٌ وللمعشوق عشاقُ   عرفوا الجوى والذل واشتاقوا
ليلا وإصباحا وما ذاقوا   من وصلهم فى حبهم قطرهْ
من أنت بين الصنف والعدد ؟   فى ملك ذاك الواحد الأحد
يامهجة ذابت من الكمد   ضمى الجراح وكفكفى العَبَرهْ
من أنت ياضعفا على ضعف ؟   ياسائراً لكن إلى الخلفِ
قدم تجرك خارج الصف   مالت بسيرك يمنة يسرهْ
لا حول ياإنسان لاقوهْ   تختال عند مشارف الهوهْ
لولا يدٌ لِلّهِ مرجوه   هل كل حين تسلم الجرهْ
قل لى فماذا أنت ياقلبى   حسبى أنا مما جرى حسبى
فالدرب يفضى بى إلى الدرب   وأغيب ثم أعاود الكرَّهْ
ياقلب جرك للهوى (عشمُ)   ومشى على أعقابك الندمُ
والعمر يامسكين منهزم   ياحسرة ياقلب ياحسرهْ
ياحسرة ياقلب لو ندرى   أن الزمان جرى وكم يجرى
لو كنت ترقب طلعة البدر   كل يرى فى بدركم بَدرهْ
ياسيدى ياعالما حالى   متجاوزا عن سوء أفعالى
إنى ألوذ بعهدك الغالى   أسرفتُ كم أوغلتُ ؟ كم مره ؟

من أعلام الأزهر

العالم العلامة الشيخ الجليل

مصطفى محمد الحديدى الطير

وطرف من حياته (رحمه الله)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .. وبعد :

فلعل « أعلام الأزهر » تحظى لأول مرة بالحديث عن عالم جليل قدم نفسه بنفسه فانتفع هذا الباب بذلك دون قصد منه ، وهذا هو العالم العامل فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الحديدى الطير رحمه الله .

لقد أعد القدر اللقاء ..

فقد انطلق شاب راشد ـ إن شاء الله ـ إلى منزل الشيخ « بالمطرية ليحدثه الشيخ عن شيء من تاريخ حياته افتتاحا من الشاب إلى الحديث عن العلامة الجليل الشيخ « محمد أبو زهرة » لاصطحابهما فترة من الزمن ليستطيع هذا الشاب . الأستاذ ناصر وهدان أن ينتفع بهذا التاريخ فى رسالته عن الشيخ « محمد أبو زهرة » وهى رسالة ماجستير يعكف على تأليفها .

من هنا طرق الأستاذ وهدان منزل الشيخ أكثر من مرة وتوسع فى هدفه حين أراد أن يلم إلماماً دقيقاً بحياة فقيدنا .. فقيد الأزهر الأستاذ الشيخ الطير فكان هذا الحديث النادر الفريد لباب « من أعلام الأزهر » ويتميز هذا اللقاء بما أملاه الشيخ عليه رحمة الله وأذن له فى نشره وختمه بتوقيعه ، وكان ذلك أحسن ما نقدمه عن الفقيد رحمه الله ..

أحمد الحواص

التقيت به فى منزله على مدى أربعة لقاءات فحكى لى طرفاً من تاريخ حياته فقال : الأمور التى مرت بى كثيرة ، ويحتاج سردها إلى ترتيب حتى تكون الموضوعات مترابطة قدر الطاقة ، ولكن أسأل الله أن تسعفنى الذاكرة بذلك .

إعـــداد : الأستاذ نـاصر وهـدان
تقـديـم : الأستاذ أحمد محمد الخواص

* مولده ونشأته

ولدت فى « ١٩٠١/٩/٧ م » بمدينة المنزلة التابعة لمحافظة الدقهلية ، وباسمها تسمى بحيرة المنزلة ، أكبر البحيرات القديمة ، وهى مدينة قديمة قبل الفتح الإسلامى ، ثم فتحها « عمرو بن العاص » كما هو مسجل فى التاريخ ، وكانت مشهورة بالمنسوجات الفاخرة ، وقد بنى فيها « عمرو » مسجداً ، وقد رأيت بقايا مئذنته ، وحوائطه المتداعية .
وكان التعليم يقوم به الفقهاء فى « الكتاتيب » وأشهرها كُتَّاب الشيخ « مرسى حمادة » فكان غالب تلاميذه من أبناء الأثرياء ، فالتحقت به فترة ، ثم حضر من تركيا الشيخ « محمد بطل » بعد إقامة طويلة فيها وكان من أبناء هذا الإقليم ، واشترك مع الشيخ « مرسى حمادة » على أن يديرا هذه المدرسة[1] التى بناها الأهالى بالجهد الذاتى ، وكانت تسمى مدرسة « الأنصارى » لقربها من قبره الذى تعلوه قُبَّة ، واستمرت الدراسة على هذا النحو حتى بعث أهل البلد إلى مدير الدقهلية يطلبون ضمها إلى مدارس مديرية الدقهلية .
وكان يشرف على التعليم (المستر/ دانلوب الإنجليزى) فكان خصماً للتوسع فى بناء المدارس ، وكان ناظر المعارف - أى وزيرها - وقتئذ (سعد باشا زغلول) ، وكان يحاربه فى سياسته ، ويَحُضُّ على بنائها ، وكان يذهب لافتتاحها بنفسه ، فلما أخبره مدير الدقهلية بطلب الأهالى أمره بضم المدرسة ، وتعيين المعلِّمين اللازمين لها ، ولم يكتف بذلك ، بل حضر لافتتاحها ونحن بها ، وكان يوما مشهوداً .

* تعليمه (القسم الابتدائى بالأزهر)

ولَمَّا أتممت دراستى بها التحقتُ بمعهد (دمياط) الدينى ، وكانت الدراسة به وقتئذٍ

(١) التى هى كُتَّاب الشيخ حمادة .

فى جامع (البحر) ، ومدرسة ملحقة به ، وكان تابعاً للأزهر ، وكانت الدِّراسة فى قانون الأزهر وقتئذٍ على ثلاث مراحل (الابتدائية ، الثانوية ، والعالية) وكانت الدِّراسة فى كل مرحلة مدتها خمس سنوات .

وكانت الدراسة فى معهد (دمياط) وقتئذٍ مقصورة على القسم الابتدائى ، وكان يدرس به من العلوم كثير وخطير ، ولكن الطلبة كانوا يستوعبونها وينجحون فيها ، وكان زمن الدراسة يومياً للمواد المختلفة من ساعتين إلى ساعة ، وكانتْ تبدأ من الساعة الثامنة ، وتنتهى فى الخامسة ، يتخللها فترة لصلاة الظهر والغداء ، وكان الطلاب يصلون الفجر فى المسجد يؤمهم شيخ المعهد ، ويبقى معهم حتى مشرق الشمس ، فيذهب الطُّلاب للإفطار على عجل ، ثم يعودون إلى المعهد قبيل الثامنة ، وكان يُدَّرس فى هـذه الفترة « العَرُوض ، والقوافى ، والتفسير ، والبيان ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والحساب ، والجبر ، وتدبير الصِّحَّة إلى جانب العلوم الأساسية . وكان شرح (القَطْر) فى النَّحو يُدَّرس فى السنة الثالثة الابتدائية ، مع أنه كان يُدَّرس فى بعض الأوقات فى دار العلوم ، مع أنها من المعاهد العليا ، وكان استيعاب هذه العلوم الضخمة ونجاحهم فيها يعتبران إعجازاً أو شبيهاً بالإعجاز ، والفضل فى ذلك يرجع إلى تقوى الطلاب ، وامتناع المعوقات ، وتفرغهم للعلم .

وإن تعجب فعجب أن يُمْتحن طالب الشهادة الابتدائية تحريراً وشفوياً فى علوم القسم كلها ، وتبلغ سبعة وعشرين علماً ، وبالاطلاع على قانون رقم (١٠) يُعْرَف ذلك .

ثورة سنة (١٩١٩)

قام بهذه الثورة (سعد باشا زغلول) ، يعاونه فيها صفوة من زعماء الأمة ، وكان الاعتماد فيها على الطلبة ، وبخاصة طلبة الأزهر ، وقد ضَاعَتْ هذه السنة على طلاب الأزهر وحدهم ، دون باقى الطلاب ، لشدة بلائهم فيها .

وقد قضيتُ هذه السنة مريضاً ببلدى (المنزلة) فلما عادتْ الدراسة فى سنة (١٩٢٠م) عُدتُ إلى معهد (دمياط) محطماً من المرض ، ومع هذا نجحتُ فى جميع العلوم ، وكان ترتيبى (٤٦) على مستوى جميع المعاهد .

* القسم الثانوى

كان العمل فى هذا القسم دائبا ، وقد تفتَّحت فيه جميع الطاقات ، ثم بدا لنا أن نطلب قصر الدراسة فيه على أربع سنوات ، فاستجابوا لهذا الطَّلب مشروطاً بالنجاح فى بعض مواد السنة التالية تحريريًّا عقب الأجازة السنوية ، وكُنَّا وقتئذٍ فى السنة الثانية ، فذاكرنا المادتين المطلوبتين من السنة الثالثة ، فنجحتُ ، ومعى (١٧) سبعة عشر طالبا ، ولم ينجح (٢٣٣) طالبا ، وقد تعبوا كثيراً فى اعتبارهم ناجحين ، حتى أُجِيبُوا إلى مطلبهم ، ولما تقدمتُ لنيل الشهادة الثانوية الأزهرية نجحتُ ، وكنتُ (السادس) على مستوى جميع المعاهد الثانوية .

* القسم العالى

كانت الدراسة فيه شاقة لصعوبة علومه ، وبخاصة فى السنة الأخيرة ، حيث قرر الشيخ (المراغى) تدريس كتاب (الإحكام فى أصول الأحكام) للآمدى ، وإلغاء كتاب (جمع الجوامع) وكلاهما فى علم أصول الفقه ، وكان (الإحكام) كتاباً غير مشروح ، وأسلوبه غير مألوف فتعب فيه المدرسون والطلبة ، وكان يدرسه لنا الشيخ (طه المرصفى) فكان يقاسى كثيراً فى تحضير الدرس ، وقد لاح لى أن أعاون الشيخ ـ فى البحث بأسلوب الطالب لا بأسلوب الباحث ، فكان يَعْجب لما وفقنى الله فيه ويقرُّه ، واشتهر شرحى للجزء الخاص بنا بين الطلاب ، وكانوا يتمنون طبعه ، ولكن الله ـ تعالى ـ لم يقدره .

والامتحان فى الشهادة العالمية تحريرى ، وشفوى ، ويعطى لكل طالب مقدار معين من ثلاثة علوم هى « الأصول والفقه والبيان » تحضر المعلومات المتعلقة بها ، ويناقش فيها واحداً بعد آخر ، ثم يمتحن شفوياً فى سائر العلوم من غير تعيين .

وقد طالعت لأحد زملائى تعيينه ، فعجبت اللجنة للمعلومات التى جاء بها ، وهنأته على ما وفق إليه وكان خبر الكتاب قد وصل إلى كبار العلماء ، فزارنى الشيخ « محمود شلتوت » الذى كان شيخاً للأزهر بعد ذلك ، وكان معه الشيخ « محمد الشافعى الظواهرى » من قدامى أساتذتى ـ فقال كل منهما : جئنا لنسمعك لأن موعد امتحانك غداً ، وجعلا يناقشاننى فى علم الأصول حتى انتهيت ، فقلت : ما رأيكم ؟ فقال كلاهما : ستكون الأول ، ولم يصل أحد إلى مثل ما وصلت إليه ، فشكرت لهما ، وذهبت فى صباح الغد لأداء الامتحان الشفوى ، فعجبت اللجنة لهذه المعلومات ، وتجاوزوا القانون فبشرونى بأننى سأكون أول العالمية بعد ضم التحريرى إلى الشفوى .

وكانت النتيجة كما قالوا ، فكنت أول العالمية سنة ١٩٢٩ م فى عهد مشيخة الشيخ « المراغى » الأولى ، وحصلت على جائزة من الملك « فؤاد » مقدارها ستون جنيهاً ، وهى تساوى الآن آلاف الجنيهات كما أخذت جائزة من وقف « رياض » باشا ، وأخرى من وقف « زينب » هانم .

* قسم التخصص القديم

أنشئت بعد العالمية أقسام وشعب للتخصص فيها ، والحصول على أرقى الشهادات ، وقد تخصصت فى شعبة « التفسير والحديث وعلم النفس والتربية » وكلتا الشهادتين ـ العالمية والتخصص ـ بتوقيع الملك « أحمد فؤاد » ، والحاصل على شهادة التخصص يحصل على لقب « العلامة » أى صاحب العلم الكثير .

* بعثة الصين

كان الأزهر يريد إرسال بعثة إلى الصين سنة ١٩٣٢ م فأُلِّفتْ لجنة لاختيار الذين تخرجوا من فرقتنا ، وممن تخرجوا قبلها ،

من أعلام الأزهر

وبعد ظهور النتيجة كنت الأول عليهم جميعاً ، فاستدعيت لمقابلة فضيلة شيخ الأزهر ، وكان فى مكتبه عالم من الصين اسمه « نعمة الله ماهنداو » فعرف كلينا بالآخر ، وقال العالم الصينى : « إنه سيكون صديق البعثة فى بلاده » . وذكر أنه ابن لصاحب مجلة إسلامية فى مدينة « بكين » تدعى « شروق الإسلام » ـ غير أن والدى عارض فى سفرى لتقدمه فى السن ، فاعتذرت وسافر من بعدى .

وكانت لجنة الاختبار من أعلى الشخصيات فى الأزهر ، فقد كان رئيسها شيخ الأزهر وقتئذ وهو الشيخ « محمد الأحمدى الظواهرى » ، وأعضاؤها وكيل الأزهر ، والشيخ « عبد المجيد سليم » مفتى الديار المصرية ، و« خالد باشا حسنين » المشرف على العلوم الحديثة فى الأزهر .

* التدرج الوظيفى

كنت الأول فى مسابقة بعثة الصين سنة ١٩٣٢ ، ثم مدرساً بمعهد القاهرة الأزهرى ، فمدرساً أول به ، فعميداً لمعهد « دمياط » الأزهرى إلى سبتمبر « ١٩٦٦ م » ، فأستاذا للتفسير بالدراسات العليا بكلية أصول الدين ، فعضواً باللجنة العلمية الدائمة لترقية هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، فعضواً بمجمع البحوث الإسلامية .

* مجمع البحوث الإسلامية

أثناء عضويتى بالمجمع شاركت فى اللجان الرئيسية فى بحوث علوم القرآن ، وعلوم السنة بالمجمع ، وكنت عضواً فى لجنة التفسير الوسيط ، فرئيساً لها منذ سنة ١٩٦٨ م حتى الآن سنة ١٩٨٨ م .

ومما حدث لى أنه منذ ثلاث سنوات تحدث إلىَّ بالتليفون أستاذ أمريكى فى العلوم السياسية بجامعة شيكاغو ، وزميل فى الرابطة المصرية الأمريكية بمصر ـ تحدث إلىَّ بأنه يريد لقائى لتوجيه أسئلة عن الدين الإسلامى ، وقال لى : « سمعت ثناء عليك ممن سألتهم عن الشخصية الدينية التى يمكن الحصول على معلومات دقيقة منها عن الغرض الذى أريده ، فقيل لى : إنه الشيخ / مصطفى الطير ، وأعطونى رقم التليفون ، ويسعدنى أن تحدد موعداً ومكاناً للقاء ، وحددت له مجمع البحوث الإسلامية ، بمدينة نصر على أن يكون اللقاء فى الساعة العاشرة صباحاً من يوم الأربعاء التالى لهذه المحادثة . ومن عجب أننى حضرت فى نفس الموعد فوجدته ينتظرنى فى الصالة ، وأدرك كلانا أنه هو الشخص المقصود لكل منا .

وذهبنا إلى حجرة التفسير الوسيط ، حيث توجد اللجنة فى انتظار حضورى لعقد جلستها الأسبوعية ، وقد تحدث « المستر / ليونارد بانيدر » باللغة العربية الركيكة ، وأبدى لى رغبته فى أن يحصل على معلومات عن الدين الإسلامى من المصادر الصادقة غير المغرضة ، ويسعدنى أنهم دلونى عليك وحثونى على لقائك ، وكل ذلك بمسمع من

أعضاء لجنة التفسير ، وهى مؤلفة من أصحاب الفضيلة الشيخ « محمد مرسى عامر » والشيخ « عبد المهيمن الفقى » ، والشيخ « سيد شريف » ، والشيح « إبراهيم السويركى » ، وفضيلة الشيخ « مصطفى الطير » رئيس اللجنة .

وقد توجَّه بأول سؤال ـ ضمن سبعة أسئلة[٢] ، عن الإسلام وهل هو دين ودولة أم هو دين فقط فبدأت أجيبه عن هذا السؤال ، وكان يكتب ما أقوله ، فطلبت منه الورقة التى يكتب فيها ، فوجدت كلاماً غير مستقيم لضعف الرجل فى العبارة من الناحية العربية ، وقلت فى نفسى : « لعله يأخذ الحديث فيحرفه لعدم فهم ما أقول لضعفه فى اللغة العربيـة ، فقلت له : « مستـر / ليونارد .. الأسئلة حاضرة عندك كلها . فقال : نعم ، فقلت : أملها على هذا الأستاذ ، وأشرت إلى الشيخ « إبراهيم السويركى » فأملى عليه سبعة أسئلة ، وقلت له : « متى تريد الجواب عليها ؟ فقال : إنى مسافر إلى أمريكا بعد أربعة أيام ، وسأعود بعد أسبوعين ، فقلت : إذن ستجد الإجابة على أسئلتك كلها مكتوبة ومستوفاة .

وهذه الأسئلة والاجابة عليها فى كتابنا « عطاء الرحمن من شريعة القرآن » ابتداء من صفحة « ١٩٤ » وقد استوعب الرد تسعاً وثلاثين صفحة من الكتاب .

وقد عالجت فى هذا الكتاب أمور الشباب ، وحالة الضياع والحيرة عند بعضهم ، فعالجتُ هذه الحالة ، معالجة علمية دقيقة سهلة ، وطبعت الكتاب فى المجمع ليكون الكتاب قليل التكاليف ، ويباع بسعر التكلفة .

والواقع أن مسألة الشباب وقراءتهم للكتب الأجنبية ، وانتشار المادية ، وغيرها مما أثر فى مجرى حياتهم فشعرت بأبـوتى لهؤلاء الشباب ، وأن على الأب أن يعالج شئون أبنائه برفق وهو الذى كان ، ولذلك تجد الكتاب محتوياً على موضوعات مثيرة ، وستعرفها من قراءة فهرس الكتاب .

ومن قبل هذا الكتاب ألفت كتاب « نافذة على الإيمان » لنفس هذا الغرض ، واتبعت أسلوباً جديداً فى التدليل على وجود الله ـ تبارك وتعالى ـ يجد القارىء بعد قراءته راحة وطمأنينة فى صدره .

وموضوعاته ، موضوعات هامة ، فى علاج أخلاق الشباب ، ودلالتهم على خالق السموات والأرض ، وغير ذلك من موضوعات ستثير فى نفسك منادياً يناديك « ادع الله أن يثيب هذا المؤلف على ما قصده من تأليف هذين الكتابين وسواهما » .

* الأوسمة والنياشين الحاصل عليها

ومن مظاهر التقدير التى حُظِيتُ بها طوال فترة حياتى العلمية ، أننى حصلت على وسام

(٢) راجع كتاب « عطاء الرحمن من شريعة القرآن » ص ١٩٥ وما بعده للمؤلف ـ ط / مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٥ م .

العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر الشريف .

وقبل ذلك كنت الأول فى شهادة العالمية سنة ١٩٢٩ م وحصلت على جائزة المملكة المصرية من الملك « فؤاد » ، وعلى جائزة أخرى من وقف « رياض » باشا ، وعلى جائزة ثالثة من وقف « زينب » هانم ، كما تقدم بيانه .

* الجهود الوطنية البارزة التى قام بها

فى فترة الشباب ، وبعد تخرجى مباشرة أذكر أننى - بحمد الله - أغلقت مدرسة تبشيرية بمدينة « المنزلة - دقهلية » ، وكانت تديرها « مس / اسطنسن » وقد أوشكت أن تُنَصِّرَ فتاة اسمها « وفيقة الشرقاوى » فأنقذتها ، وفتحت مدرسة استوعبت جميع تلميذات المدرسة البروتستانتية وكل ذلك تم بسلام وحكمة ، والحمد لله رب العالمين سنة ١٩٣٢ م .

إنتاجه ، ونشاطه العلمى

من أهم المؤلفات والبحوث العلمية التى نشرت لى :

١ - عقد الجمان فى تبيان غريب القرآن .

٢ - توضيح النسفى فى التفسير .

٣ - تيسير النهاية فى فقه الشافعية .

٤ - الإسلام يحارب الجوع .

٥ - هادى الأرواح .

٦ - غذاء الأرواح .

٧ - الهجرة المحمدية .

٨ - التفسير المعاصر من عهد الإمام « محمد عبده » إلى اليوم . « انتفع به كثير من طلاب الدراسات العليا من مصر والبلاد العربية ، فى تحضير رسائلهم نحو هذا الموضوع » .

٩ - نافذة على الإيمان « أُلِّفَ لهداية الشباب الحائر » .

١٠ - عطاء الرحمن من شريعة القرآن « أُلِّفَ لنفس الغرض السابق » .

١١ - البابية ، والبهائية ، والقاديانيـة ، والمهدية فى نظر الإسلام .

١٢ - كشف الغطاء عن الربعين الأولين من سورة النساء .

١٣ - أقباس من نور الحق « جزءان » .

١٤ - من أمجاد الرسالة المحمدية .

١٥ - أصدق الأنباء فيما تشابه من أخبار الأنبياء .

إلى غير ذلك من كتب أخرى - مخطوطه - فضلاً عن الأنشطة العلمية التى أقوم بها منها :

١٦ - تحرير مقال « دراسات قرآنية » شهرياً بمجلة الأزهر .

١٧ ـ بحوث أكاديمية إسلامية بمجلة الأزهر ، وفى غيرها من المجلات والصحف العربية .

١٨ ـ رياسة لجان التفسير ، والحديث ، ومتشابه السنة فى مجمع البحوث الإسلامية .

١٩ ـ مقرر لجنتى التفسير والحديث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية « سابقاً » .

* أمنية الشيخ

لقد كانت أمنيتى أن أكتب (معانى للقرآن الكريم) صالحة للترجمة إلى اللغات الأجنبية ولكن الصحة واهنة ، والله يختار لذلك من يراه أهلاً لكتابته بعدى .

وبعد ..

هذا هو العالم العلامة الشيخ الجليل / مصطفى الطير ـ رحمه الله ـ وتلك نبذة مختصرة عن حياته ، ومشواره العلمى ، فقد كان ـ ذخراً ـ للإسلام والمسلمين ، ندعو الله أن يتغمده برحمته .

أجرى الحوار
ناصر وهدان

ملحق اللقاء

مراجع البحث

١ ـ ثلاثة لقاءات تمت بمنزل الشيخ أولها بتاريخ الأربعاء « ١٧/٨/١٩٨٨ م » . وآخرها بتاريخ الخميس « ١/٩/١٩٨٨ م » . ولقاء رابع بتاريخ الاثنين « ١٩/٩/١٩٨٨ م » .

٢ ـ مقال مكون من ثلاث صفحات كتبه الشيخ بخط يده بعنوان « طرف من حياتى » .

٣ ـ استمارتان كتبهما الشيخ :

الأولى بتاريخ : ١٦/٩/١٩٨٠ م بملفات مدير الشئون الإدارية بالمجمع .

والثانية بتاريخ : ٢٥/٤/١٩٨٧ م بملفات الأمانة الفنية بالمجمع .

٤ ـ سجل أعضاء المجمع :

فصل بعنوان / نبذة عن أعضاء المجمع الحاليين ـ دورة « ٤ » ص ٢٦ .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

القصاص

أساس صالح للعقاب

من السنن البدهية في الحياة أن يكافأ فاعل الخير على فعله وأن يجازى مرتكب الشر عما اقترفت يداه . وجاء الإسلام وأقر هذه السنة وجعل بعض العقوبات الناجمة عن جرائم نفسية أو باطنية من اختصاص المولى عز وجل لأنه وحده الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور .

أما الجرائم الظاهرة ، والتى يمكن إثباتها ، فقد وضعت لها عقوبات دنيوية محددة يوقعها الحاكم ، أو من ينوب عنه في الإطار الذى يحدده الإسلام وحسب حجم الجريمة وهو مايعرف بالقصاص . قال الكاتب ـ رحمه الله :

نبذة تاريخية :

الجريمة قديمة قدم الإنسان ، وباقية مابقى المجتمع الإنسانى ، والإجرام ظاهرة اجتماعية يستحيل محوها والقضاء عليها مادام الإنسان لا يستطيع أن يعيش منفرداً ، إذ أن الاختلاط بين أشخاص تتعارض مصالحهم ، وتتباين طباعهم ، وتختلف طرق تربيتهم ، وتتغاير ظروفهم لابد أن يؤدى إلى الاحتكاك ، وكثيراً مايؤدى الاحتكاك إلى الإجرام . وإذا كانت الشرائع الدينية والقوانين الوضعية تنهى عن الجريمة وتعاقب عليها ، فليس الغرض من ذلك القضاء النهائى على الإجرام ، بل إنقاصه إلى أقل قدر ممكن .

ولعل أول جريمة ارتكبت على سطح الأرض ـ فيما نعلم ـ هى جريمة القتل حين قتل قابيل أخاه هابيل ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ

للأستاذ الدكتور
أحمد محمد إبراهيم
إعداد وتقديم :
عبد الفتاح حسين الزيات

الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ .

وتعتبر جريمة القتل من أخطر الجرائم على المجتمع لأنها تفقد الإنسان حياته ، ولذا فعقوبتها فى كل القوانين من أقسى العقوبات ، وغالبا يعدم القاتل .

وليس اعتبار القتل خطراً وليد التقدم الحديث ، ولكنه اعتبار عرفه المجتمع منذ وجد . ففى الزمن القديم كانت كل قبيلة تحيا مستقلة عن غيرها ، ولها نظامها وقانونها الذى هو كلمة الرئيس الأعلى الواجبة التنفيذ هذا فيما يتعلق بالقبيلة فى داخلها ، أما علاقة القبيلة بغيرها من القبائل فلا حكم إلا للقوة ؛ فالحق للقوى ولو كان معتديا . وكان الاعتداء على أحد أفراد القبيلة يعتبر اعتداء على القبيلة بأجمعها ، يتضامن الجميع فى الانتقام من الجانى وقبيلته التى ترى هى أن من واجبها حماية الجانى والدفاع عنه ، وكثيراً ماقامت الحروب الطويلة بين القبائل المختلفة لأتفه الاعتداءات . وكان من المعتقد أنه إذا لم ينتقم من الجانى وقبيلته فقد حكم على القتيل بالهلاك الأبدى ، ولن يذوق شبحه الحائر طعم الراحة ؛ وبذلك كان للانتقام للدم صفة تكفيرية ؛ فهو بالنسبة لأولياء القتيل واجب دينى ومقدس لا يمكن التخلص منه دون أن يتعرضوا لبغض الميت واستنكار الأحياء[1] .

والقصاص شريعة موسى عليه السلام ، وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ . والنص على القصاص موجود بالتوراة المتداولة الآن ؛ فقد جاء بسفر التثنية : نفس بنفس ، عين بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل[2] .

وعلى العكس مما تقدم نص إنجيل متى ؛ فقد جاء فيه :

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من

(١) القانون الجنائى لجرسون ص ١٦ ، ١٧ .
(٢) الإصحاح ١٩ آية ٢١ وانظر ايضا آية ٤ ـ ١٤ وسفر الخروج الإصحاح ٢١ آية ١٢ ـ ٢٧ وسفر العدد الإصحاح ٣٥ آية ١٦ ـ ٣١ .

← مــن روائــع الماضــى

لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين(٣) .

ثم جاء الإسلام فأوجب القصاص وأجاز لولى الدم أن يعدل عنه إلى الدية : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤) .

ولما كانت الأحكام الجنائية للشريعة الإسلامية هى الهدف الأساسى لمهاجمى التشريع الإسلامى ، والمعقل الذى يتحصن خلفه المنادون بترك العمل به ، فقد رأينا أن نبحث اتفاق القصاص مع وظيفة العقوبة فى العصر الحديث ، حتى إذا أثبتنا أن القصاص أصلح أساس للعقاب انهارت دعاوى مهاجمى الشريعة وطالبى عدم العمل بها .

• وقبل أن نشرع فى إثبات مانحن بسبيله نتكلم أولاً عن عقوبة الإعدام وعن العقوبات البدنية .

١ ـ عقوبة الإعدام

كانت عقوبة الإعدام مقررة فى القديم لكثير من الجرائم وخصوصاً تلك التى تمس الحكم والحاكمين ، وبتطور الزمن نقصت الحالات التى يحكم فيها بالإعدام إلى الحد المعقول ، ولم يكتف البعض بهذا الإنقاص بل طالب بإلغاء عقوبة الإعدام . وأول من رفع الصوت بالمطالبة بالإلغاء ، العالم الإيطالى بكاريا فى أواخر القرن الثامن عشر ، وقد سمح بوجود عقوبة الإعدام فى أوقات الاضطرابات السياسية . ووافق چان چاك روسو فى عقده الاجتماعى على بقاء عقوبة الإعدام على ألا تطبق إلا على الذين يسبب وجودهم فى المجتمع خطراً . وانقسم أنصار المدرسة الوضعية على أنفسهم ، فبينما نرى لمبروزو وجار وفالو يوافقان على بقائها ، نرى فرى يريد أن يستبدل بها الحبس المؤبد(٥) .

ويستند أنصار إلغاء عقوبة الإعدام إلى عدة حجج لا يجد أنصار إبقائها صعوبة فى دحضها . وفيما يلى هذه الحجج والرد عليها :

١ ـ عقوبة الإعدام غير مشروعة لأن حياة الفرد ملك له وهى شىء مقدس ، فليس لأحد فى الوجود أن يسلبه هذه الحياة ، ولو كان المجتمع نفسه . ثم كيف يأمر القانون بالإعدام فى الوقت الذى يعاقب فيه على القتل ؟

وأما القول بأن العقوبة ليست مشروعة فيرد عليه بأن لكل عقوبة شرطين جوهريين إذا توافرا أصبحت العقوبة مشروعة ، وهما :

---

(٣) الإصحاح الخامس آية ٣٨ ـ ٤١ .
(٤) سورة البقرة آية ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٥) فارير ص ١٧٠ . لوران ص ٩٢ .

(أ) أن تكون عادلة .
(ب) أن تكون ضرورية .

ويرد على هذه الحجة بكل سهولة ، فأولاً لا قيمة لقولهم كيف يأمر القانون بالإعدام مع أنه يعاقب على القتل ؛ لأن ما يحرم على الأفراد ليس من الضرورى أن يحرم على المجتمع . والدليل على أن للمجتمع حقوقا لا نقر بها للفرد ، أن أموال الأشخاص وحرياتهم محمية لا يجوز أن يعتدى عليها ، إلا أن للمجتمع الحق فى المصادرة والحكم بالغرامة وله أن يحبس الشخص ، وبذلك يعتدى على ماله وعلى حريته اعتداء قد يمتد إلى طول الحياة(٦) .

أما أن عقوبة الإعدام عادلة فلا نزاع فيه متى بلغت الجريمة الدرجة القصوى من الخطورة .

وأما أنها ضرورية فلا نزاع فيه كذلك ؛ فهى ضرورية لاستئصال المجرم وقاية للمجتمع من شره متى ثبتت خطورة نفسيته ، وهى ضرورية لزجر الغير وردعه ردعاً كافياً حتى يمتنع عن ارتكاب الجريمة .

ومتى كانت عقوبة الإعدام عادلة وضرورية فقد حازت كل صفات المشروعية(٧) .

٢ ـ عقوبة الإعدام فظيعة وقاسية ووحشية وليست إلا إحياء لعهد البربرة القديم ، وهى تتنافى مع ماوصل إليه المجتمع من تقدم ورقى ومدنية .

ولكن ليست هذه الحجة إلا حجة جوفاء لا تسمن ولا تغنى من جوع ؛ حقا إن الإعدام أقسى عقوبة عرفها الإنسان ، إذ يترتب عليها فقد الحياة . ولكن ماهى هذه الحياة التى يطلب منا ألا نقسو عليها هذه القسوة وأن نكون عليها محافظين ؟ إنها حياة شخص انتهك حرمة المجتمع وخرق قوانينه ؛ حياة شخص ارتكب أفظع الجرائم وأقساها وأخطرها حتى استحق أن يحكم عليه بالإعدام .

وأما القول بأن الإعدام بربرة تتنافى وحالة المجتمع ، فليس إلا حجة الضعيف العاجز . هل كل شىء لا يروق فى نظرنا نصفه بأنه بربرى حتى تستبشعه عقول الدهماء ؟ إن هذا مالا يصح أن يلجأ إليه عالم معتد بعلمه .

ثم ماهى المدنية وماهو التقدم والرقى ، تلك الكلمات التى يتشدقون بها ظانين أنهم يطعنون بها خصومهم فى الصميم ؟ هل المدنية ألا ينال المجرم جزاء ماقدمت يداه ؟

هل التقدم أن نترك كل قديم مهما كان حسناً مفيداً ؟ هل الرقى أن نسمو بالمجرمين على الأفراد الوادعين ، فلا نحوط حياة الأخيرين بسياج قوى من حماية القانون ، بأن نفهم المعتدين بأنهم سينالون أقسى عقاب إن

(٦) مذكرات القللى ص ٣٨٥ . لوران ص ١٨٧ « بدوى وشيرون ص ١٨٠ » .

(٧) دروس على بدوى فى علم العقاب .

من روائع الماضي

اعتدوا على هؤلاء المسالمين ؟ الواقع أنها سفسطة ومغالطة تستند إلى خداع الكلمات .

وما أجمل تلك الجملة التى قالها الأستاذ الفونس كار « نحن نود إلغاء عقوبة الإعدام ولكن ماذا قدم السادة السفاكون » ؟ ونحور نحن هذه الجملة فنقول « نحن مرغمون على إلغاء الإعدام إذا شاء المجرمون ذلك » .

٣ ـ وإن أقوى حجة لأنصار الإلغاء هى قولهم إن عقوبة الإعدام متى حكم بها ونفذت أصبح من المحال أن نصحح آثارها إذا ثبت أن الحكم بها قد بنى على أدلة غير صحيحة .

ورغم مالهذه الحجة من الوجاهة والقيمة فإنها لا تكفى لتبرير إلغاء عقوبة الإعدام ؛ بل الواجب فى هذه الحالة هو أن نأخذ أشد الحيطة قبل الحكم بها ، فعلى القاضى أن يتثبت من قوة الأدلة التى قدمت له ، وأن يكون دقيقا فى بحثه مترويا فى عمله ليكون حكمه أقرب ما يكون إلى العدالة ، وفضلا عن ذلك يجب أن يعد قاتلا من يتعمد تقديم دليل غير صحيح يحكم بمقتضاه بالإعدام ، ويجب أن يمتد العقاب أيضا فيشمل من يقدم بإهمال هذا الدليل .

واستحالة إلغاء أثر عقوبة الإعدام تنطبق أيضا على العقوبات المقيدة للحرية ، فما دام الحكم قد نفذ كله أو جزء كبير منه فلا قيمة للإلغاء ، لأن الظلم قد وقع مهما اختلف مقداره[٨] .

وليست هذه الحجة فى ذاتها إلا حجة نظرية ؛ فالخطأ القضائى فى الحكم بالعقوبة ـ إعداما كانت أم حبسا ـ نادر . وتزداد هذه الندرة فى الإعدام إلى درجة لا مثيل لها ، بحيث يمكننا أن نقول إنه قد تمر أعوام دون أن يحدث فى العالم مرة .

٤ ـ الإعدام عقوبة قاسية لا مبرر لها ، لأن فى الإمكان أن نستعيض عنها بعقوبات أخرى كالحبس المؤبد .. ولكن إذا كانت عقوبة الإعدام قاسية فإن العقوبة التى تستبدل بها تعادلها فى القسوة بل وقد تزيد عليها ؛ فقد فضل بعض السجناء الانتحار على هذا العذاب الذى لا آخر له .

٥ ـ وثم حجة أخرى يستمدونها من الإحصاءات الجنائية وهى قولهم : إنه لوحظ قلة الإجرام فى البلاد التى ألغت عقوبة الإعدام .

وما معنى هذا ؟ هل معناه أن عقوبة الإعدام تشجع على ارتكاب الجرائم ؟ لقد ألغت بعض الدول عقوبة الإعدام وعمل بهذا الإلغاء زمنا ، رجعت بعده هذه الدول عن رأيها وأعادت عقوبة الإعدام إلى الوجود مرة ثانية . فمثلاً ألغيت فى إيطاليا عقوبة الإعدام سنة ١٨٨٩ ولكنها أعيدت سنة ١٩٢٦ بالنسبة لبعض الجرائم السياسية . وفى سنة

البقية ص ٤٦٨

(٨) مذكرات القللى ص ٣٨٦ .

العلوم الكونية

أشعة الليزر ومجالات استخدامها

الجغرافيا عند العرب

أشعة الليزر
ومجالات استخدامها

(٢)

خصائص أشعة الليزر :

ربما يوجد الآن من يطرح سؤالاً هاماً هو : ما الفرق إذن بين ضوء الليزر والضوء الطبيعي ؟ ونجيب :

إن ضوء الليزر يمتاز عن الضوء المنبعث من المصادر العادية باربع خصائص هامة هي :

(أ) الشدة العالية : وذلك لأن موجات الأشعة المنبعثة من المادة الليزرية تكون كلها متطاورة مع بعضها البعض ، وتكون طاقتها الكلية عالية التركيز . أما الذرات فى جميع المصادر الضوئية العادية فإنها غالباً ما تعمل مستقلة عن بعضها البعض ، أى أن ابتعاث (فوتون) من إحدى هذه الذرات لا يوجد بينه وبين ابتعاث (فوتون) من ذرة أخرى أى تنسيق أو ترابط . نتيجة لهذا يتكون شعاع الضوء العادى من خليط معقد من الأمواج الكهرومغناطيسية الصادرة عن ذرات مختلفة .

وليست كل هذه الموجات بطبيعة الحال متوافقة فى الطور مع بعضها البعض ، ولذا فإنها تجعل شعاع الضوء فى النهاية أقل كثيراً فى الشدة عما إذا كانت جميع الذرات قد أجبرت على أن تبعث (فوتوناتها) معا وهى متطاورة كما فى حالة الليزر .

(ب) صِغَر التفرّق : فحزمة الليزر تكون بعد خروجها من المصدر أقل تفرقاً أثناء انتشارها من حزمة الضوء العادى ، ولذا نجد أن طاقتها لا تتبدد بسرعة .

(جـ) أحادية الطول الموجى : وهذا يعنى أن أشعة الليزر تكون ذات لون محدد الطول الموجى ، بعكس الضوء العادى الذى يتألف من خليط من الأمواج المكونة لِطيْف كهرومغناطيسى عريض نسبياً .

(د) التلازم فى الزمان والمكان : وهى خاصية هامة لا يتمتع بها الضوء العادى الذى ينبعث من مصادره المختلفة بطريقة عشوائية .

آفاق استخدامات الليزر :

كل تطبيقات الليزر فى مجالات البحث العلمى والطب والهندسة والفلك وملاحة

للدكتور أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء بكلية علوم القاهرة

الفضاء ، وغيرها تعتمد على الاستفادة من الخصائص المميزة لأشعة الليزر . فهناك مثلاً تطبيقات عديدة تعتمد على الشدة العالية لهذه الأشعة وزيادة تركيزها للحصول على طاقة عالية جداً تؤدى إلى ارتفاع موضعى عال فى درجة الحرارة يصل إلى عدة آلاف درجة خلال جزء من الثانية . وبذلك يمكن حفر ثقوب صغيرة جداً فى أصلب المواد كالماس ، وفى المعادن والصخور والأسنان وشفرات الحلاقة وغيرها . كذلك تجد هذه الخاصية تطبيقات هامة فى عمليات قطع المعادن أو توصيلها ، وفى عمليات اللحام الدقيق Mic-rowelding كما فى الدوائر المتكاملة Inte-grated Circuits بدون حدوث أكسدة بالقرب من منطقة اللحام . وفى المجال الطبى يستفاد من أشعة الليزر فى عمليات لحام الشبكية فى العين فى زمن لا يتعدى جزءا من ألف من الثانية بدون جراحة أو إزعاج للمريض . وهناك استخدامات أخرى لأشعة الليزر فى الجراحة . وفى علاج بعض الأورام وإحداث تدمير موضعى للأنسجة غير المرغوب فيها فى جسم الإنسان .

أما خاصية التلازم Coherence فى أشعة الليزر ، فقد أمكن الاستفادة منها على نطاق واسع فى مجال الاتصالات Communica-tions على غرار ما يتم بالنسبة لموجات الراديو . فالأشعة الصادرة عن ليزر غازى مثلاً تماثل الموجة الحاملة Carrier Wave فى (الراديو) ، إلا أن الأولى يكون ترددها أعلى مائة مليون مرة . وإذا أمكن تعديل ضوء الليزر فإنه يمكن تحميله بالمعلومات . ولما كان عدد القنوات التى يمكن بثّها على الموجة الحاملة يزداد بازدياد ترددها ، فإننا نستطيع أن نتصور مقدرة شعاع واحد من الليزر على نقل كل المعلومات الموجودة حالياً فى قنوات (التليفزيون) و (الراديو) و (التليفون) و (التلكس) وغيرها . لكن امتصاص الضباب والمطر والسحاب والدخان لأشعة الليزر يعوق انتشارها لمسافات بعيدة عبر الغلاف الجوى . وتهدف الدراسات التى تجرى فى هذا المجال إلى إيجاد حلول عملية سهلة لهذه المشكلة . وقد أثبتت التجارب فى الوقت الحاضر نجاح البث (التليفزيونى) بالليزر بشكل رائع .

وبالنسبة لخاصية صغر التفريق أو الانتشار الزاوى Angular Spread لأشعة الليزر فيستفاد منها فى أغراض الإشارة Signalling والاتصالات الفضائية بين محطة فضاء والأرض أو بين صاروخ ومحطة فضاء . وإن اكتشاف جيروسكوب الليزر Laser gyroscope قد أسهم فى تقدم الملاحة فى الفضاء ، كما أن جهاز (واجد المدى Range Finder) الذى يعمل لقياس المسافة بنفس فكرة الرادار يستخدم فى أغراض حربية ومدنية وعلمية عديدة . فأصبح مهندسو العمارة وكثير من فنون الهندسة

الأخرى يستخدمون أشعة الليزر فى قياس المسافات والارتفاعات بدقة بالغة تصل إلى جزء من الميلليمتر . أما العسكريون فقد استخدموه فى العديد من التطبيقات ومنها تصويب قذائف ومدافع الطائرات من الجو بإحكام بالغ . وقد عكف الباحثون مؤخراً على تطوير وتحديث أنواع جديدة من (واجدات المدى) تعمل فى مختلف الأجواء وذلك ضمن ما يطلق عليه مشروع حرب النجوم أو حرب الكواكب . وتهدف هذه التجارب إلى تصنيع ليزرات طويلة المدى يتم توجيهها من مستعمرات فضائية نحو الصواريخ عابرة القارات لتعطلها فى الفضاء أو تدمرها قبل بلوغ أهدافها .

ولا تقف استخدامات الليزر هذه الأيام عند هذا الحد ، بل إن محاولة حصرها هنا يبدو أمراً مستحيلاً ، ولكن يكفى أن نشير إلى بعض التجارب الهامة التى تجذب انتباه الباحثين فى الوقت الحاضر ، ويؤمل أن تسفر فى المستقبل القريب عن نتائج هامة توجب إدخال تعديلات جوهرية على كثير من النظريات والمفاهيم العلمية كما نتصورها اليوم . من بين هذه التجارب نذكر على سبيل المثال :

١ ـ تجربة قياس بُعد القمر عن الأرض :

وتعرف باسم Lunar Laser Ranging Experiment (LURE) وقد بدأ تنفيذها فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ مع أولى خطوات الإنسان على سطح القمر فى إحدى رحلات سفينة الفضاء أبوللو ١١ ، وذلك عندما قام رواد الفضاء على هذه السفينة بوضع جهاز يحوى مائة مرآة صغيرة لكى تعكس نبضات أشعة الليزر الموجهة إليها من محطات أرضية فى أماكن مختلفة فوق قارات الأرض . ودون دخول فى التفاصيل الفنية لهذه التجربة يمكن القول بتبسيط شديد أن حساب بُعد القمر عن الأرض يتم بتوجيه نبضة ليزر مكثفة التركيز من الأرض إلى المرايا العاكسة على سطح القمر ، ولأن الليزر من نوع الموجات الكهرومغناطيسية التى تتحرك فى الفضاء بسرعة الضوء المساوية لمقدار ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر فى الثانية ، فإنه يمكن حساب بعد القمر عن الأرض بعد قياس الزمن الذى تستغرقه نبضة الليزر ذهاباً وإياباً[١] .

وكان غرض الفريق العلمى القائم على هذه التجربة هو تسجيل ودراسة متوسط بعد

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول مكونات هذه التجربة واحتياطات إجرائها وخصائص المرايا العاكسة الموجودة على سطح القمر وأجهزة إرسال أشعة الليزر واستقبالها على سطح الأرض وأنواع الساعات المستخدمة لقياس الزمن بدقة تصل إلى جزء من الألف مليون من الثانية يمكن الرجوع إلى المقالة التالية :

J. Faller and F. Wampler, « The Lunar Laser Reflector », pp 38- 50, in Scientific American magazine, March 1970.

القمر عن الأرض بصورة مستمرة من أماكن مختلفة على سطح الأرض على مدى عدة سنوات أو أكثر . ومن هنا فإن الأهمية البالغة لهذه التجربة لا تكمن فقط فى مجرد تحديد هذه المسافة ، ولكن أيضاً فى تحليل ودراسة مدى التغير الذى يحدث فى قياس هذه المسافة مع مرور الشهور والأعوام .. فهذا من شأنه أن يساعد على حل عدد من القضايا العلمية الهامة المتعلقة بحركة كل من الأرض والقمر وبنظرية تزحزح القارات وبنظريات الجاذبية وغيرها .

وبالرغم من أن التحاليل العلمية لنتائج تجربة LURE لا تزال فى بداياتها إلا أنها قد بدأت تؤتى ثمارها باقتراح إدخال تصحيح يقدر بحوالى مائة متر على القيمة المعروفة حالياً لبُعد الأرض عن القمر (حوالى ٣٨٤ ألف كيلو متر) . وأخذ مثل هذا التصحيح فى الاعتبار سوف يتطلب بطبيعة الحال إعادة النظر فى القيم والثوابت الفيزيائية المعروفة حالياً مثل ثابت الاختلاف المركزى المدارى للقمر . وثابت الجذب العام وغيرهما .

ويوالى فريق علماء تجربة LURE جهودهم لتحسين ظروف القياس بصورة مستمرة ، وذلك بوضع عدد أكبر من المرايا العاكسة على سطح القمر واستخدام نبضات أكثر من أشعة ليزر ذات نوعية أفضل ، مما يعمل على زيادة كمية الأشعة المنعكسة ويمكّن من استخدام (تلسكوبات) ذات حجم أقل لملاحظة النبضات . فهذا يزيد كثيراً من دقة القياسات ويقلل من احتمالات الخطأ .

٢ ـ المصايد الليزرية ..

فى عام ١٩٨٦ نجح فريق من العلماء فى إجراء أول تجربة لاصطياد ذرات بمفردها لبضع ثوان داخل حجم صغير يبلغ حوالى ألف ميكرومتر مكعب(*) وذلك باستخدام القوى المتولدة فى النقطة البؤرية Focal Point لحزمة أشعة الليزر . وخلال العامين الماضيين واصل العلماء نجاحاتهم لعمل مصايد ليزرية تمسك بالفيروسات والجراثيم الفردية ، بل حتى بعض الأحياء الدقيقة متعددة الخلايا ، بحيث يمكن التحكم فى تحريكها بسهولة ومتابعة فحصها أثناء مشاهدتها من خلال ميكروسكوب ضوئى ذى مقدرة تكبير وإيضاح عالية . ويفسر الباحثون نظرية عمل هذه المصايد المستخدمة فى الأبحاث البيولوجية بافتراض وجود قوة حاذقة تسمى قوة التدرج Gradient Force تنشأ فى حزمة الليزر عندما تكون غير متجانسة الشدة . فإذا ما ركزت الحزمة بالقدر الكافى فإن الجسيمات المراد اصطيادها تنجذب لتمكث فى البؤرة ، حيث يكون الضوء أكثر شدّة ، ويكفى تحريك الحزمة للتحكم فى تحريك الجسيمات الحبيسة .

من ناحية أخرى ، ينشغل فريق آخر من العلماء فى الوقت الحاضر بنوع آخر من المصايد الكهرومغناطيسية التى تعتمد على تأثير الليزر فى عملية تحول أيونات بعض الغازات من حالة التحرك العشوائى -Ran

←

(*) الميكرومتر يساوى جزءاً من مليون من المتر .

أشعـــة الليـــزر

dom motion إلى حالة بللورية -Crystal line state تنتظم فيها الأيونات بطريقة هندسية ، بحيث تبدو كما لو كانت مجمدة فى بنية نظامية متماثلة تشبه كثيراً بناء البللورات العادية . وفى هذا النوع من المصايد الكهرومغناطيسية يتم جمع عدد قليل من الذرات المتعادلة بتبخير قطعة من فلز فى غرفة مفرغة من الهواء ، ثم يسمح بمرور حزمة الكترونات عبر الغرفة لتأيين هذه الذرات . ويستعان بعد ذلك بحزمة ليزر موجهة ضد اتجاه حركة الأيونات لتعمل على إيقافها تقريباً فى مركز المصيدة عن طريق تبريدها المباشر إلى درجة حرارة منخفضة جداً تبلغ بضع ميلى درجات فوق الصفر المطلق(**) . ويؤمل فى المستقبل القريب أن تسهم هذه التجربة فى حل كثير من القضايا الهامة المتعلقة بكشف الغموض عن الكيفية التى تتغير بها النظم الفيزيائية المختلفة من حالات نظامية إلى حالات عشوائية .

وأخيراً ، نتوقع أن نشهد دون انقطاع تطبيقات جديدة لأشعة الليزر التى ما تزال فى انتظار جهود الباحثين والعلماء للإفادة الكاملة من كل خصائصها المميزة .

ا . د . احمد فؤاد باشا

تنبيه إلى خطأ من الناسخ لكتاب مناسك الحج للإمام محمد الخطيب الشربيني

ورد فيه فى هدية ذى الحجة ١٤٠٨ ص ٣٧ النص الآتى : فإذا وصل إلى منى يبدأ برمى جمرة العقبة فيرميها بسبع حصيات ، ثم يحلق رأسه أو يقصر ، ثم يذبح إن كان معه هدى ، ثم يسير إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ، ثم يسعى إن لم يمكن سعى بعد طواف القدوم وقد حل له كل شىء حرم عليه بالإحرام إلا النساء .

والصواب : وقد حل له كل شىء حرم عليه بالإحرام حتى النساء . فليصحح .

(**) الصفر المطلق يقل عن الصفر المئوى بمقدار ٢٧٣,١٦ درجة مئوية .

الجغرافيا عند العرب

للأستاذ ماهر الشيمى

كان رجال الكنيسة الرومانية ـ فى العصور الأولى للمسيحية ـ يجهرون بأن دراسة الكون وأوضاع الأرض لن تفيد الإنسان فى تحقيق أمله فى الحياة الآخرة . وأدى ذلك إلى عزوف الإغريق والرومان عن الرغبة فى المعرفة ، وإلى اعتبار هذه الأمور ضربا من السحر . واستمر الحال كذلك فى أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادى .

وكان العرب أول من خرج على هذه المعتقدات . إذ بعثوا النظريات الإغريقية القديمة ، وأخذوا من الثقافات القديمة فى مصر والهند وفارس . ومن يدرس الأدب الجغرافى عند العرب فى العصر الوسيط يجد نظريات وأفكارا تقترب من معلوماتنا الجغرافية الحديثة مثل نظرية « الإقليم الرابع أعدل الأقاليم »(١) وهو مايعبر عنه الآن بالمناطق معتدلة الحرارة أو العروض الوسطى .

غير أن العرب القدامى لم يستعملوا لفظ (جغرافيا) للدلالة على العلم الذى يدرس الأرض ، وهو لفظ إغريقى ، وإنما كانت لديهم اصطلاحاتهم الخاصة التى استحدثوها ، مثل علم الأطوال والعروض إشارة إلى ماكان يعرف قديماً باسم « الكوزموجرافيا » ، وعلم تقويم البلدان ، وعلم المسالك والممالك ، وعلم عجائب

←

(*) الأستاذ ماهر الشيمى الوكيل الثقافى لمنطقة القاهرة الأزهرية .

(١) مضمون النظرية أن نصف الكرة الشمالى فقط هو المأهول بالسكان وبكثافات سكانية متفاوتة بحسب درجة الحرارة السائدة . ولذلك قسم إلى سبعة نطاقات عرضية عرفت بالأقاليم السبعة . والإقليم الرابع يتوسط هذه الأقاليم .

البلدان . وكلها تعتبر الآن علوماً جغرافية مستقلة انبثقت وتفرعت عن علم الجغرافيا العام .

وكانت عناية العرب بالجغرافيا مبعثها ظروف البيئة إلى حد كبير . فقد نشأوا فى بيئة تحتم عليهم أن يلموا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا بالمعلومات الجغرافية المختلفة ، إذ لم يكن فى مقدورهم أن يرتحلوا فى الصحراء إلا إذا عرفوا شيئا عن النجوم والكواكب التى تلمع فى سمائهم الصافية ويتخذون منها علامات ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، وما كان لهم أن يتنقلوا بإبلهم وأغنامهم وهى أثمن ما لديهم إلا إذا عرفوا موارد المياه ومنابت الكلأ ، وعرفوا الوحوش ومواطنها من البادية .

كذلك اشتملت أشعار العرب على الكثير من الحقائق الخاصة بوصف بيئتهم الطبيعية ، وأصبح الشعر العربى القديم مصدراً هاما من مصادر الكتابات الجغرافية الأولى بما حوى من أسماء الأودية والآبار والجبال وغير ذلك من المعالم الجغرافية ، وكان « الأصمعى » - رحمه الله - وقد عاش فى القرن الثامن الميلادى ، وهو من علماء اللغة ، يعرف جغرافية بلاد العرب معرفة الحاذق الخبير . وظلت هذه الصلة الوثيقة بين الجغرافيا واللغة العربية حتى عصر متأخر ، فنجدها فى معجم ياقوت الحموى[٢] ، وهو من المراجع الجغرافية ، كما نجدها فى تاج العروس[٣] للزبيدى وهو من معاجم اللغة العربية .

ونستطيع أن نرجع ظهور علم الجغرافيا عند العرب وتطوره بعد ذلك إلى عوامل ذاتية وأخرى خارجية :

فأما الأولى : فأهمها الدين الإسلامى الحنيف الذى يحث على السير فى الأرض والاعتبار بالأمم الغابرة . قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ . (١٠٩ - يوسف)

ومنها الوضع السياسى ، فاتساع الدولة الإسلامية أدى إلى قيام أخوة روحية واسعة النطاق . كما أدى إلى زيادة أهمية المعلومات عن أطراف العالم الإسلامى ، وأصبح من الضرورى معرفة الطرق التى تربط بين أجزاء هذه الدولة الفسيحة . أضف إلى ذلك تلك الشعوب المختلفة التى ضمتها الدولة الإسلامية . فكان على العرب أن يدرسوا أوضاع وأحوال هذه الشعوب .

ومن هذه العوامل أيضا التجارة ، فقد كانت الطرق التجارية برية وبحرية تربط الدولة الإسلامية ، بل وتجاوزتها إلى أواسط أفريقيا وشرق ووسط أوروبا وجنوب ووسط وشرق آسيا . ومن الطبيعى أن يرحل كثير من المسلمين فى طلب الرزق تطبيقا لتعاليم القرآن الكريم .

﴿ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] .

(٢) معجم البلدان .

(٣) « تاج العروس من جواهر القاموس » .

(٤) سورة الجمعة : آية ١٠ .

ولذلك نبغ فى الجغرافيا كثير من التجار المسلمين مثل سليمان البصرى ، وابن حوقل الموصلى ، والبشارى المقدسى ، ويـاقوت الحموى .

ويعتبر التنقل والترحال فى حد ذاته عاملا آخر ، إذ أن هناك ميلا غريزيا لدى العرب للبحث والاطلاع ، وقد كان هذا من اكبر عوامل إغناء المعرفة الجغرافية . فنجد أن معظم جغرافيى العرب من الرحالة :

مثـل « أبى إسحق الاصطخـرى » ، و« الشريف الإدريسى » ، و« أبى الحسن المسعودى » ، و« ابن بطوطة » وغيرهم . ومما شجع على كثرة الترحال شعور العربى أنه فى بلده ، مادام فى ديار إسلامية ، فضلاً عن أن كلمة « عربى » كان لها هيبة فى سائر أقطار العالم ، فكان الرحالة العرب يلقون من كرم الضيافة وحسن المعاملة مايحبب إليهم الرحلات والأسفار .

كذلك كان طلب العلم عاملاً هاماً . فقد تحمل الرحالة العرب فى سبيله المشاق وركبوا الصعاب ، وخاصة أن الإسلام يحث على ذلك ، قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٥) . فأصبح الترحال فى طلب العلم منذ القرن الأول للهجرة أشبه بالضرورة . ففى طلب العلم رحل رجال من الأندلس إلى بخارى ، ومن بغداد إلى قرطبة . وتعددت مراكز الثقافة فى ديار الإسلام . وكان رجال العلم يتنقلون فى طلبه من إقليم إلى آخر يدرسون على أيدى جهابذة العلماء ويلتقون بأعلام الفقهاء المحدثين واللغويين والأطباء والفلاسفة . فقد رحل « الحافظ بن طاهر القدسى » (المتوفى فى عام ٥٠٧هـ) فى طلب العلم إلى العراق والحجاز ومصر وسوريا وأصفهان والأهواز . كما دخل « أبو ريحان البيرونى » الهند قبل أن يتم المسلمون فتحها وأخذ عن البراهمة علومهم وبرع فيها ودونها فى كتابه « عجائب الهند » .

وأما العوامل الخارجية : فتشمل تأثر الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقـافات كالفارسية واليونانية : وذلك ابتداء من القرن الثانى للهجرة . ففى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (٧٥٤ ـ ٧٧٥م) بدأ اطلاع العرب علـى « الـعلـوم الـريـاضيـة » و« الكوزموجرافية » . ويروى أن هنديا وصل إلى العراق عام ٧٧٢م وعرض مؤلفا يبحث فى علم الفلك أعجب به المنصور فأمر أن يترجم إلى العربية ، كما أمر بتأليف كتب أخرى على منواله . وقد ساهم الخلفاء العباسيون مساهمة كبيرة فى تشجيع البحوث العلمية ، فأسس هارون الرشيد « بيت الحكمة » لترجمة أمهات الكتب واستخدم المترجمين من كل البلاد دون نظر إلى جنسياتهم أو دينهم وكان معظمهم من الآراميين النصارى الذين يتقنون اليونانية والسريانية والعربية فى آن واحد . وقد ترجمت فى ذلك الوقت كتب كثيرة : منها كتابى « بطليمـوس » و« مارنيـوس الصورى »(٦) وبلغت هذه النهضة أوجها فى

(٥) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

(٦) نسبة إلى صور وهو جغرافى رومانى ظهر فى القرن الأول الميلادى . ويعتبر مؤسس الجغرافيا الرياضية .

الجغرافيا عند العرب

عهد المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٣م) الذى جمع الكتب من مختلف جهات العالم وعمل بالأخص على جمع المؤلفات اليونانية ، وقد كلفه ذلك الكثير من الأموال . وفيما يروى عن أنه كان يدفع للمترجمين وزن كتبهم ذهباً .

وقد ترتب على ذلك كله أمران :

الأول : ذلك التراث الهائل من العلوم والمعرفة الذى خلفه لنا الأجداد .

أما الأمر الثانى : فهو ذلك النشاط الكشفى الذى أعقب هذه الفترة فلم يزد اطلاع العرب على الكتب الجغرافية لليونان والهنود والرومان إلاّ رغبة فى الاستكشاف .. وبذلك كان النشاط التجارى مصحوباً بالاكتشافات الجغرافية ، وأصبحت الكتب الجغرافية العربية من أهم الآثار الأدبية العلمية التى خلفتها العصور الوسطى :

ففى أفريقيا توغل العرب فى الصحراء الكبرى بعد أن فتحوا الشمال الأفريقى كله ، ولم يأت القرن الرابع الهجرى إلا وقد بلغوا بحيرة « تشاد »(٧) . وكانت الطرق تتوغل فى قلب القارة منطلقة من ثلاث مدن شمالية : هى طرابلس ، والقيروان ، ومراكش ، وكانت رحلة القوافل بين الساحل الشمالى للقارة وتشاد تستغرق تسعة شهور . وكانوا يحملون من تلك البلاد التبر ، والجلود ، والعاج ، وريش النعام . ويحملون إليها الملح ، والتمر ، والحرير ، والتوابل . كما انتشر العرب على ساحل إفريقيا الشرقى ، وأسسوا مدينة « مقديشو » ، و« ممباسا » ، وبمبا (فى جزر زنجبار) ، وغيرها .

أما فى آسيا : فقد توسع العرب عن طريق البر والبحر ، ومن أهم طرقهم فى وسط آسيا « طريق خراسان العظيم » الذى يبدأ بمدينة بغداد ومنها يجتاز (جبال زاجروس) ممتداً عبر البوادى والمرتفعات إلى « بخارى » و« سمرقند » . ثم يصل إلى حدود الصين ، ويتفرع منه طريق آخر إلى الجنوب الشرقى يصل إلى الهند عن طريق « كابول » .

ومنذ القرن الثامن الميلادى ، بدأ العرب يتوافدون على الصين واتسعت تجارتهم معها . وتخبرنا الوثائق التاريخية أن العرب كانوا يعدون بعشرات الألوف فى موانىء الصين فى القرن التاسع الميلادى ، وقد دخلوها من مرفأ « كانتون » . ولم يأت القرن العاشر حتى استحوذوا على معظم تجارة تلك البلاد ، وحتى أصبحت السفن الصينية ذاتها يقودها ربابنة من العرب . وتركزت التجارة فى أيدى عائلات كبيرة كونت فيما بينها مايشبه الشركات الآن . ويقول الجغرافى ابن حوقل(٨) : إنه قابل فى البصرة تاجراً اسمه أبو بكر أحمد السيرافى يملك كل السفن التى تنقل البضائع إلى الهند ، والصين ، وشرق أفريقيا ، وتغص مخازنه بالأحجار الثمينة ، والعطور ، والحرير . ويضيف ابن حوقل : أن المسلمين فى الموانىء الصينية كانوا يتمتعون بكامل الحرية فى أعمالهم

(٧) عند التقاء حدود النيجر ونيجيريا وتشاد الآن .

(٨) عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى .

وشئون دينهم ودنياهم ، وكان لهم قاض ينظر فى أمورهم ، كما كانت لهم أحياء خاصة يقيمون فيها . وقد أشار ابن بطوطة أيضاً إلى ذلك فى رحلته .

كذلك كانت هناك الطرق البحرية التى سلكها العرب للوصول إلى أقطار الشرق الأقصى . فقد قصدوا ساحل « مالابار » فى الهند ، ومنه إلى سيلان ، ثم تابعوا سيرهم عن طريق خليج (البنغال) إلى « جزر أندونيسيا » ، وأسسوا جاليات إسلامية قوية فى « سنغافورة » ، و« بورنيو » ، و« جاوة » ، و« سومطرة » ، فضلاً عن (الصين) .

ونتيجة لازدهار التجارة العربيـة فى الشرق ، ازدهر ميناء عدن بدرجة كبيرة جعلت المقدسى يسميها (دهليز الصين) لأنها كانت مركزاً تلتقى فيه طرق المواصلات البحرية بين الصين ، والهند ، وبلاد العرب ، ومصر ، وشرق أفريقيا .

كذلك توسع التجار المسلمون فى أوروبا . فـدخلوا بـلاد الـروس حتى أصبحت (استراخان) و(كييف) وموانىء البحر الأسود مألوفة لديهم . وكانوا يستبدلون بضائع البلاد الجنوبية التى يجلبونها كالفواكه المجففة ، والأقمشـة ، والعطور ببضائع البلاد الشمالية كالرقيق ، والفراء ، والجلود ، والعسل ، والشمع ، والأخشاب . ووصل بعض التجار المسلمين إلى (براغ)(٩) التى كانت أكبر سوق للرقيق فى أوروبا فى ذلك الوقت .

وكان العرب يقطعون البحر المتوسط بطوله فى ستة وثلاثين يوماً من أقصى الغرب إلى ساحل الشام شرقاً ، وكان على من يريد أمراً فى هذا البحر فى القرن العاشر الميلادى أن يكسب صداقة العرب وودهم كما فعل تجار « نابولى » بإيطاليا .

وكان التجار المسلمون أينما ذهبوا يحملون معهم الدين الإسلامي الحنيف ، واللغة العربية ، ولهذا انتشر الإسلام فى أعماق القارة الأفريقية فضلاً عن سواحلها الشرقية والغربية . كما انتشر أيضاً فى جزء كبير من بلاد الصين ، وفى جزر أندونيسيا ، والهند ، وأجزاء من شرق ووسط أوروبا ، وانتشرت مع الإسلام اللغة العربية واحتلت منزلة كبيرة فى كثير من بلاد أفريقيا وآسيا .

ماهـر الشيمى

(٩) عاصمة تشيكوسلوفاكيا الآن .

طرائف

« نصيحة »

قال عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ، قال لى أبى : إنى أرى أمير المؤمنين ـ يعنى عمر ـ رضى الله عنه يدنيك ويقربك ، فاحفظ عنى ثلاثا :

إياك أن يجرب عليك كذبة ،
وإياك أن تفشى له سرا ،
وإياك أن تغتاب عنده أحداً .

« إنها مشغولة »

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ يطعم الناس بالمدينة ـ وهو يطوف عليهم ـ وبيده عصا ، فمر برجل يأكل بشماله ، فقال : ياعبد الله كل بيمينك . قال : يا عبد الله إنها مشغولة ، فمضى ثم مر به ـ وهو يأكل بشماله ـ فقال : يا عبد الله كل بيمينك ، قال : ياعبد الله إنها مشغولة ـ ثلاث مرات ـ قال : وما شغلها ؟ قال : أصيبت يوم مؤتة ـ قال فجلس عمر عنده يبكى ، ويقول له : من يوضئك ؟ من يغسل رأسك وثيابك ؟ من يصنع كذا وكذا ؟ فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام وما يصلحه وما ينبغى له ، حتى رفع أصحاب محمد ـ ﷺ أصواتهم يدعون لعمر ـ رضى الله عنه ـ مما رأوا من رقته للرجل واهتمامه بأمر المسلمين .

« لا تقم على باب حتى تدعى إليه »

أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذن له فقال له الحاجب : اكتب كتابا وخَفِّفْهُ أوصله لك . فقال : لا أزيد على أربعة أسطر .

فكتب فى السطر الأول : الأمل والضرورة أقدمانى عليك .

وفى السطر الثانى : ليس مع العدم صبر على الطلب .

وفى السطر الثالث : الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء .

وفى السطر الرابع : إما « نعم » مثمرة ، وإما « لا » موئسة . فوقع كسرى بأربعة آلاف درهم ـ أى لكل سطر ـ فانصرف بستة عشر ألف درهم .

« بم ضبطت مملكتك ؟ »

قيل لكسرى ذى الأكتاف ، وكان ضابطاً لملكته : بم ضَبطت مملكتك ؟ .

قال بثمانى خصال : لم أهزل فى أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ، ووليت

ومواقف

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

للغنى لا للهوى ، وعاقبت للأدب لا للغضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة ، وملأتها محبة من غير جرأة ، وأعطيتها القوت ، ومنعتها الفضول .

« كيف سوقكم »

دخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قوم يحدثهم .

فقال : كيف سوقكم ؟

قالوا : كاسدة .

قال : غششتم .

قال : وكيف متاعكم ؟

قالوا : ردىء .

قال : كذبتم .

قال :وكيف كثرته ؟

قالوا : قليل !

قال : حلفتم .

أى بغشكم كسدت ، وبكذبكم رَدُئَتْ ، وبحلفكم قلّت .

« صديقى »

هون عليك فكل الأمر ينقطـع
وخل عنك عنان الهم يندفـع
فكـل هم له من بعـده فرج
وكل أمر إذا ما ضاق يتسـع
إن البلاء وإن طال الزمان به
فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

« العاقل والأحمق »

العاقل إذا أحبك بذل جهده فى المودة والنصرة ، وإذا أبغضك رفع عن الظلم(١) قدره ، وإذا أحسنت إليه اعترف وشكر ، وإن أسأت إليه ستر واعتذر .

والأحمق إذا قربته تكبر ، وإذا أبعدته تكدر ، وكلما رفعت من قدره درجة انحط من قدرك عنده درجة .

« حقا »

ظالمان يأخذان غير حقهما : رجل وسع له فى مجلس فتربع وتفتح ، ورجل أهديت إليه نصيحة فجعلها ذنبا .

« دعاء »

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ، ولا إلى الناس فنضيع .

---

(١) أى ترفع عن أذيتك فلا يفعلها .

١٩٣٠ أعيدت بالنسبة لجرائم القتل ذات الظروف المشددة . وهذا الإلغاء ثم الإعادة يدل على أن الحجة المستمدة من الإحصاءات ليست قاطعة لأنها ليست عامة .

وحقيقة الأمر فى ذلك كما قال جبريل تارد « أننا إذا نظرنا إلى البلاد التى ألغيت فيها عقوبة الإعدام نجد أن نسبة الإجرام قد قلت قبل إلغاء الإعدام نظراً لعوامل مختلفة ، وترتب على ذلك أن عقوبة الإعدام قد بطل تطبيقها فى العمل أو كاد . لذلك رأى المشرع أن يلغيها بنص صريح . فهبوط الإجرام فى هذه البلاد لم يكن نتيجة لإلغاء عقوبة الإعدام بل هو سابق على ذلك الإلغاء . وربما كان الأقرب إلى الصواب أن يقال : إن إلغاء عقوبة الإعدام فى هذه البلاد نتيجة لنقص الإجرام لا سبب له »[٩] .

٦ ـ عقوبة الإعدام تمنع من إصلاح المجرم مع أن الغاية الأولى للعقاب هى إصلاحه . ويرد على ذلك بأن العقوبة كما تكون إصلاحية تكون أيضاً استئصالية ، ولم يقل أحد بأن عقوبة الإعدام تطبق على كل مجرم ، بل إن ذلك يكون مقصوراً على المجرمين الخطرين أو جزاء لارتكاب جريمة خطيرة .

٧ ـ عقوبة الإعدام غير مفيدة فالمجرم حين يقدم على ارتكاب الجريمة لا ينظر إلى الحد الأعلى للعقاب المقرر للجريمة بل يفكر فى كيفية الفرار من يد العدالة . ثم إن المجرم قد يجد فى الإعدام مجالاً للزهو والافتخار .

والواقع أن القول بأن المجرم لايفكر فى العقوبة لا يمكن أن يصح إلا بالنسبة للمجرم بالصدفة ، أما المجرم الذى اتخذ الإجرام حرفة له وصناعة فإنه يفكر أولاً فى العقاب وفى طريقة تنفيذه[١٠] .

والقول بأن المجرم يجد فى الإعدام مجالاً للزهو والافتخار حين يتظاهر بالشجاعة وقت التنفيذ ، قد يكون صحيحاً فى بعض الأحوال ، ولكن هذا الشعور بالزهو لا يحدث إلا بعد ارتكاب الجريمة والحكم بالعقاب . وليس من المتصور أن يرتكب شخص جريمة من الجرائم بدافع الزهو والافتخار بإظهار عدم المبالاة عند تنفيذ عقوبة الإعدام .

---

(٩) مذكرات القللى ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(١٠) فارير ص ٣٩ . لوران ص ١٩٧ .

اللغة والأدب والنقد

امام النحاة وقضية الاستشهاد

نظرات فى اللغة وأصولها

إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

٦

نواصل في هذه الحلقة استقراء ما استشهد به سيبويه من أحاديث نبوية على صورة ما، ثم نعقب على ذلك بتحديد معالم الموقف الذى كان عليه إمام النحاة إزاء قضية الاستشهاد بالحديث النبوى .

الحديث الثالث عشر :

يقول سيبويه فى باب « ما ينتصب لأنه خبر للمعروف المبنى على ما هو قبله من الأسماء المبهمة » .

والأسماء المبهمة : هذا وهذان وهذه .. وهى وهو وأنا ونحن .. وما أشبه هذه الأسماء ، فأما المبنى على الأسماء المبهمة ، فقولك : « هذا عبد الله منطلقا » و « هؤلاء قومك منطلقين » وقد يكون هذا وصواحبه بمنزلة « هو » يعرف به فتقول : « هذا عبد الله فأعرفه » إلا أن « هذا » ليس علامة للمضمر ، ولكنك أردت أن تعرف شيئا بحضرتك ، وقد تقول : « هو عبد الله » وأنا عبد الله فاخرا أو موعدا ، أى أعرفنى بما كنت تعرف ، وبما يبلغك عنى ، ثم يفسر الحال التى كان يعلمه عليها ، أو تبلغه ، فيقول : « أنا عبد الله كريما جوادا » « وهو عبد الله شجاعا بطلا » ويقول : « إنى عبد الله .. مصغرا نفسه لربه » ، ثم يفسر حال العبيد فيقول : « آكلا كما يأكل العبد ، شاربا كما يشرب العبد »[١] .

فى هذا النص استشهد سيبويه بحديث أو جزء من حديث ، وهو قوله : « إنى عبد الله آكلا كما يأكل العبد ، شاربا كما يشرب العبد » .

وقد ورد هذا الحديث فى عدد من كتب السنن ، مع اختلاف فى اللفظ عن رواية سيبويه ففى كتب الحديث جاء لفظ « يأكل » بدلا من « آكلا » فى رواية سيبويه ، والتى هى موضع الشاهد .

(١) الكتاب ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٦ وص ٢٥٨

بقلم أ. د. السيد رزق الطويل

جاء فى شرح السنة للبغوى جـ ١١ ص ٢٨٧ عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله ، كل ـ جعلنى الله فداءك ـ متكئا ، فإنه أهون عليك ، فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ، قال : « لا ، بل آكل ، كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

وفى مسند الإمام أحمد ، باب الزهد حـ ٥ ص ٦ جاء الحديث مرسلا ، بلفظ « إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

ويرى بعض الباحثين إخراج هذا النص من بين الأحاديث التى استشهد بها سيبويه ، وذلك لأن الطريقة التى استشهد بها لا توحى بأنه حديث .

وأن الصياغة تختلف عن الروايات التى ورد بها الحديث فى كتب السنن .

وموطن الاستشهاد وهو « آكلا » يختلف فى لفظه وفى إعرابه عما ورد فى كتب السنن(٢) وفى تقديرى أن هذه الملاحظات لا تخرج هذا النص من قضية الاستشهاد بالحديث .

وذلك لأن هذا هو منهج سيبويه فى كل ما يستشهد به من أحاديث ، ولو أخذنا بملاحظة الباحث لأخرجنا كل الأحاديث التى عثر عليها فى الكتاب .

أما اختلاف الصياغة فهو ظاهرة معروفة فى رواية الأحاديث حسب ظروفها وأسانيدها المختلفة ، ولا يمكن أن يستشهد سيبويه بهذا النص على صورته تلك إلا إذا تواتر على أذنه سماعه بالصورة التى استشهد بها ، وهذا أمر لابد من تحقيقه لا فيما استشهد به من أحاديث فحسب بل من عبارات نثرية يسمعها أو يرويها عمن يثق به ممن سمعها من الأعراب .

وقد استشهد المبرد ـ متابعا لسيبويه ـ بهذا الحديث فى الموضوع نفسه ، دون أن يشير إلى أنه حديث ـ كما فعل سيبويه ـ قال المبرد : « ولو قلت : أنا عبد الله منطلقا ، لم يجز ؛ لأن « المنطلق » لايؤكدنى ألا ترى أنك لو قلت : « أنا عبد الله منطلقا » لكان المعنى فاسدا ؛ لأن هذا الاسم لا يكون لى إلا فى حال الانطلاق ، ويفارقنى فى غيره ، ولكنه يجوز أن تقول : « أنا عبد الله » ـ مصغرا نفسك لربك ـ ثم تقول : آكلا كما يأكل العبيد ، وشاربا كما يشرب العبيد »(٣) .

والفرق الذى نلحظه بين المبرد وسيبويه يتمثل فى اختلاف واحد فى روايتيهما ، وهو لفظ العبد فى رواية سيبويه بينما هو العبيد فى رواية المبرد ، وهو لا يؤثر فى موضع الاستشهاد بينهما بشىء .

←

---

(٢) مجلة المجمع الأردنى ص ٥٣ ، ٥٤ ـ العدد المزدوج ٣ ، ٤ .

(٣) المقتضب للمبرد حـ ٤ ـ ص ٣١١ .

غير أن رواية سيبويه أقرب لما ورد فى كتب السنة ، وبخاصة رواية الإمام أحمد ، والتصرف الذى فعله سيبويه أنه وضع اسم الفاعل « أكلا » موضع المضارع يأكل والعلاقة بينهما وثيقة ، بل قالوا إن المضارع سمى بذلك لمضارعته اسم الفاعل فى وقوعه صفة وصلة وخبرا وحالا ، ولا يؤخذ هذا على سيبويه ، لأنه - فيما يبدو - لم يضع فى حسابه أنه يستشهد بحديث ، وإلا لساقه كما تساق الأحاديث .

الحديث الرابع عشر :

أورد السهيلى فى أماليه حديثا ذكر أنه رآه فى كتاب سيبويه .

يقول السهيلى : وأما : بَيِّنَتُكَ أو يمينه - بالرفع - فهذا اللفظ بعينه مسطور فى كتاب سيبويه ، وذكر فيه النصب باضمار الفعل ، كأنه قال : « أحضر بينتك » وأجاز باضمار المبتدأ وتقديره « المحكوم به بينتك »(٤) .

وهذا الحديث الذى أثبته السهيلى لم يشر إليه أحد من الكاتبين عن سيبويه ، أو من وضعوا الفهارس لشواهده ، ومع ذلك فلا أستبعد وجوده فى الكتاب ؛ لأن استخراج شواهد الحديث من الكتاب عمل ليس بالهين ، نظرا لمنهج سيبويه فى تناول الأحاديث ، وعرضه لها ، كما يعرض المسموع من كلام العرب وأمثالهم ، وعباراتهم السائرة .

وهذا الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

موقف سيبويه من الاستشهاد بالحديث

على ضوء ما عرضناه من الأحاديث التى عثر عليها فى الكتاب ، وتخريجنا لها ، والموازنة بين رواية سيبويه لها ، وروايتها فى كتب الحديث ، والصورة التى كان عليها استشهاد سيبويه بها وموقف النجاة الأوائل الذين أتوا بعده حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، نستطيع أن نتبين - على وجه دقيق - موقف سيبويه ، وأن نعرض عناصر هذا الموقف الذى قد يكون فيه تفسير شامل لموقف النحاة جميعا من قضية الاستشهاد النحوى بالحديث الشريف .

ويمكن أن نوجز عناصر الموقف فيما يلى :

١ - لم تكن قضية الاستشهاد بالحديث قضية مطروحة للبحث بين النحاة الأوائل :

هذا أمر لا ينبغى أن يغيب عن تصورنا ؛ لأن الدراسة المعاصرة لقضية الاستشهاد بالحديث وقع كثير منها فى أخطاء منهجية ؛ إذ قامت على تصور أن النحاة الأوائل ابتداء من الخليل بن أحمد حتى أوائل القرن السادس رفضوا الاستشهاد بالحديث ، أو كانوا معارضين لذلك ، ومن هنا أخذوا يدافعون عن الحديث الشريف ، وعن فصاحته .

---

(٤) أمالى السهيلى - ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ .

مع أن هذا الخلاف لم يظهر بصورة واضحة إلا فى القرن السابع .

كما ثبت أن النحاة الأوائل جاءت الأحاديث فى كتبهم ، وإن كانوا لم يصرحوا بأنها حديث ، أو يذكروها منسوبة إلى رسول الله ﷺ .

فعل هذا سيبويه فى كل ما ورد فى كتابه من الأحاديث التى أحصيناها ، وذكرنا تخريجها وسار على منهجه جمهرة من النحاة الأوائل ، ولم يخالف عن هذا المنهج فيما رأيت إلا الفراء الذى كان يصرح بأنه حديث ، وكذا الصيمرى من نحاة القرن الرابع ، ومكى بن أبى طالب من نحاة القرن الخامس .

ومعنى هذا أن النحاة الأوائل ، وبخاصة من كانوا فى القرون الثلاثة الأولى كانوا يلتمسون الشواهد على قواعدهم مما يصل إليهم من كلام فصيح شعرا كان أو نثرا ، وسواء أكان النثر حديثا أم غير حديث ، الذى يهمهم الاطمئنان إلى أن قائله فصيح ، فالذى أخذوه من الحديث كان عبارات شائعة فى عصرهم ، تناقلتها ألسنة الفصحاء ، فأخذ بها سيبويه ، وسار على منهجه مَن بعده ، ولم يكن هذا التصرف من النحويين يحمل رفضا للاستشهاد بالحديث ، كما تصور بعض المعاصرين ، وإنما كان عملا منهجيا يهدف إلى تتبع الفصيح .

مع تقرير ملاحظة جديرة بالاعتبار ، وهى أن علوم الحديث فى هذا العهد المتقدم ، لم تكن قد استوت على سوقها بعد من ناحية التدوين الشامل ، ونقد الحديث ، والرجال ، ووضع الضوابط والمقاييس الدقيقة على الصورة التى انتهت إليها الآن ، وإلا لو كانت علوم الحديث بصورتها تلك أمام النحاة الأوائل لعدوها المصدر الثانى للاستشهاد بعد القرآن الكريم ، ومقدمة على الشعر العربى القديم .

٢ - الحديث واللحن ، والرواية بالمعنى :

قالوا فى تعليل عدم كثرة استشهاد النحاة الأوائل بالحديث ، وعدم ذكرهم لما يروونه من أحاديث على صورة لا تدل على أنها حديث ، بل يقولون : قالت العرب كذا ، ومن كلامهم كذا ، أو قالوا كذا ، إن وراء هذا ظهور اللحن فى بعض الأحاديث المروية ، وكثرة الرواة من الأعاجم وإجازة بعض المحدثين رواية الحديث بالمعنى .

وبادىء ذى بدء أقول : إن سيبويه نفسه عاش التجربة ، واشتغل أول أمره بالحديث ؛ لأن دراسته هدف أساسى للإنسان المسلم ، والعلم به نافع ، ثم عدل عنه إلى النحو بعد أن استبان له أن دراسة النحو ضرورة ؛ لأنها تصحح كل مسموع من الحديث أو غيره ، فقد جاء سيبويه لحماد بن سلمة ، يستملى منه الحديث ، فاستملى منه قوله صلى الله عليه وسلم « ليس من أصحابى أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء ، فصاح به حماد : لحنت ياسيبويه ، إنما هذا استثناء ، فقال سيبويه : والله لأطلبن علما لا يلحننى معه أحد ، ثم مضى ولزم الخليل وغيره ..

لاشك أن هذه الحادثة كان لها صدى فى نفس سيبويه ، وأن إمكان وقوع اللحن من دارسى الحديث وكاتبيه ، ولاسيما من غير الفصحاء ، أو من غير العرب الخلص أمر محتمل الوقوع .

← إمـــام النحـــاة

يضاف إلى هذا أن جمهرة العلماء تشهد بوقوع اللحن من بعض الرواة لبعض الأحاديث وبرهان ذلك ما يلى :

ذكر الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى البستى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ صورا متعددة للأحاديث التى وقع فيها اللحن سواء فى تصريف الأسماء أم فى أبنية الأفعال أم فى الإعراب .

ففى النوع الأول قال : روى عن النبى ﷺ أنه قال : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالـين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

الرواية الصحيحة بتحريك اللام فى الخلف ، وقد رواه بعضهم بسكون اللام فأزال الخبر عن وجهه وأحال معناه ؛ لأن الرسول ﷺ : لم يقصد بقوله هذا ذم عدول حملة العلم ، إنما أراد به مدحهم ، والثناء عليهم ، وإنما الخلف بسكون اللام خلف السوء ، فقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾[٥] .

وأما الخطأ فى تصريف الفعل ، فساق له الخطابى هذا الحديث : روى « أنه أتى بأسير يَرْعَد ، فقال لهم : « أدفوه » يريد أدفئوه من الدفْء ، ولم يكن من لغته الهمز ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان يريد به معنى القتل لقال : دَافُوه أو دَافُّوه - بالتثقيل - يقال دافيت الأسير ، ودافقته إذا أجهزت عليه .

وأما الإعراب وما يختلف من معانى الأحاديث باختلافه ، فكقوله : « ذكاة الجنين ذكاة أمه » الرواية بضم الذكاتين على مذهب الخبر ، وقد حرفه بعضهم ، فنصب الذكاة على مذهب الأمر لينقلب تأويله فيستحيل به المعنى عن الإباحة إلى الحظر .

ثم يختم الخطابى هذا الباب بقوله : ومن تتبع هذا الباب فى الحديث وجد منه الكثير ، وفيما أردته دليل على ما أردت ، فواجب على من دأب فى طلب الحديث ، ولهج بتتبع طرقه أن يعنى أولا بإصلاح ألفاظه وإحكام متونه لئلا يكون حظه من سعيه عناء لا غناء معه ، وتعبا لانجح فيه »[٦] .

معنى هذا أن اللحن كان شبه ظاهرة ، وأن التصدى للحديث يحتاج لدراسة نحوية سابقة ، ومن هنا تحرج النحاة الأوائل من كثرة الاستشهاد بل إنهم أمعنوا فى التحرج عندما لم يصرحوا بأنه حديث .

ولا يزال الحديث فى البحث موصولا بإذن الله .

دكتور السيد رزق الطويل

---

(٥) انظر غريب الحديث للخطابى حـ ١ مقدمة المؤلف .

(٦) المرجع السابق .

العقاد

بين نبوءة الإمام محمد عبده وتجهم الزعيم مصطفى كامل لنزعته

للأستاذ : السيد حسن قرون

فى العام القابل ١٩٨٩ ، وفى ٢٨ من شهر يونية يحتفل تلاميذ العقاد ومريدوه وقارئوه وعشاق اللغة العربية والمتبتلون فى رحاب الشريعة الإسلامية بمرور مائة عام على ميلاد « الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد » ـ هكذا كان يكتب تحت عنوان مقاله فى الصحف والمجلات ـ إن شاء الله ـ

وأنا لا أسبق الأيام حين أنبه فى هذا العام ١٩٨٨ ، وفى ذكرى ميلاده فى الثامن والعشرين من يونية على واجب الأدباء والنقاد والمريدين وتلاميذ العقاد لا بذكرى هذا العام وإنما بما يجب أن يعمل فى العام القابل ؛ لأن الدول المتحضرة والأمم صاحبة الماضى العظيم لا تهمل العبقرية فى بلادها ولا تغمض العيون عن رواد الثقافة فيها ، والعقاد يجيء فى مقدمة من نُغْنَى بنتاجهم الأدبى والعلمى وموقفهم الوطني على مدى خمسين عاماً ، أو تزيد ، تعرض فيها للسجن والتشريد والقلق لا خوفاً على نفسه ، وإنما الخوف على وطنه حين كان الاستعمار الانجليزي يجثم عليه ويكتم أنفاسه ، ولقد عاش العقاد حتى رأى بعينيه المستعمر يحمل عصاه على عاتقه ويرحل ، وكثير ممن عاصروه أو جاءوا بعد رحيله يعرفون مواقف العقاد الوطنية والسياسية والأدبية والعلمية ، ولكنى أتجه بهم ومعهم إلى البذرة الأولى ، والنبتة النامية حين ترعرعت لتشير إلى فذ فى الذكاء والطموح وأرمية البطولة ، ولذا كان همى أن أقدم للقراء نبوءة الإمام محمد عبده ، وموقف الزعيم مصطفى كامل من تلك النبوءة حين بدت تباشيرها :

يقول العقاد فى كتابه « أنا » ـ صدر

العقاد بين محمد عبده ومصطفى كامل

الكتاب عقب وفاته (١٢ مارس ١٩٦٤) ، وفى يولية من نفس هذا العام . والعنوان « الإنشاء فى المدرسة » ، وبعد أن بين وسائل التشجيع للناشئة ، والموضوعات التى كان يُطلب إليهم الكتابة فيها ، وغالباً فى ذلك الحين كانت تجىء على هذا النحو فى المدرسة الابتدائية ، أيهما أفضل العلم أم المال ؟ الذهب أم الحديد ؟ الصيف أم الشتاء ؟ الرأى أم الشجاعة ، السيف أم القلم ؟ الحرب أم السلم ؟

وكان من عادة التلميذ عباس محمود العقاد أن يختار أضعف الجانبين حتى اختار الجهل مرة فى مفاضلة بينه وبين العلم .

والمدرس المحبوب هو الشيخ محمد فخر الدين يعتبر اختيار الأضعف فى المفاضلة دليل القدرة ومرانة القلم ، وأنا لا أستغرب موقف العقاد من العلم فله قصيدة يقول فى آخرها :

لا رحم الرحمن فيمن مضى
من علَّم العالم أن يكتبوا

يقول العقاد : وكان المدرس يعرض كراستى على كبار الزُوَّار بين ماكان يعرضه من كراسات التلاميذ فلما زارنا الإمام الأستاذ محمد عبده ذات شتاء أراد الكراسة فتصفحها باسما ، وناقشنى فى بعض مفاضلاتها ، ثم التفت إلى الأستاذ وقال ما أذكره بحروفه .

« ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعدُ .... » .

ونطق بعدُ بضم الدال غير واقف على السكون ، ويعلق العقاد على وقوف الإمام على المتحرك بأن هذا الاتجاه هى مدرسة كان من أساتذتها الزعيم سعد زغلول الذى جعل من خطباء ثورة ١٩١٩ خطباء يحرصون على بيان الفصاحة والقدرة البيانية هرباً من قول القائلين : « سكن تسلم » فهم لا يهربون من الحقيقة ولا يحرصون على السلامة .

ويعترف العقاد بأن كلمة الإمام « ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد » ، كانت ولا ريب حافزاً قوياً بين الحوافز الكبرى ، وجاءت بعد عزيمة سابقة فأعانتها ودفعت عنها عوارض التردد والإحجام . وكم للتشجيع من آثار تتجلى فى الأعمال الكبار ، لذا لا تهمله التربية الحديثة .

ومن هذا لا نعجب إذا وجدنا العقاد حين يتحدث عن أساتذته ـ أن يضع فى مقدمتهم مدرس الإنشاء الأستاذ الفاضل مدرس اللغة العربية والتاريخ الشيخ محمد فخر الدين الذى كان يبغض الصيغ المحفوظة ويسخر منها ، ويفضل الذى يعبر بإنشائه غير مقتبس من غيره ، وكما هو متطور فى اللغة لغة التعبير له نظرة عملية فى درس التاريخ ، فالعناية بالوطنية وبثها فى أنفس التلاميذ هى المهمة الأولى ؛ لأن سلطان الاحتلال الأجنبي كان قد بلغ مداه فى مطلع القرن العشرين ، وَمَدْحُ الأستاذ ، فيه ولا ريب عرفان بجميله عليه ؛ فهو الذى قدم كراسته للإمام ، ولولا هذا ما كانت النبوءة ولا كان التشجيع ، ولقد كان هذا داعياً إلى حب العقاد للإمام وتلميذه سعد زغلول وسأتعرض لهذا بعد ذلك .

هذه النبوءة المحبوبة ! فماذا كان من الزعيم الشاب مصطفى كامل ؟

فى كتاب « مع العقاد » للدكتور شوقى ضيف ـ أطال الله بقاءه (صدر الكتاب أيضاً سنة ١٩٦٤) ، يقص علينا قصصا يتعلق بسلوك العقاد مع الأدب والناس ، تخرج العقاد من المدرسة الابتدائية سنة (١٩٠٣) وهو يحمل فى صدره آمالاً عراضا ذكرها المؤلف مثل ميله إلى الجندية لو انتظم فى المدرسة الحربية ، وكان يلمح فى داخله شغفاً بأزهار الحديقة المدرسية ، كما كان يلمح تعلقاً بمعرفة طبائع الحيوان .. جعله هذا يتمنى لو دخل مدرسة زراعية ولم يتحقق له شىء من هذا .. ولكن تحقق له شىء آخر هو ميدان الأدب . يقول الدكتور شوقى ضيف :

وبقى مدة فارغاً من العمل ، فتبرع بالتعليم فى المدرسة الإسلامية الخيرية فى بلدته « أسوان » ، ويريد أن تقبل فراغه ، ويسوق القدر له حادثاً يجعله يصدف عن مصطفى كامل ؛ ذلك أنه قدم إلى أسوان بموسم الشتاء فى سنة ١٩٠٤ ، ومعه الكاتبة الفرنسية « مدام چوليت آدم » ، وكاتبة انجليزية من حزب الأحرار تدعى « مسز يونج » وكان ناظر المدرسة يراسل صحيفة « اللواء » ودعاه إلى زيارة المدرسة ، فزارها مع رفيقتيه ، ودخل حجرة السنة الرابعة ، وتصادف أن كان التلاميذ يأخذون درساً فى اللغة العربية ، فأملى عليهم قول أبى العلاء المعرى :

والمرء ما لم تُفد نفعاً إقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

وترجمه للسيدتين الأجنبيتين باللغة الفرنسية بطلاقة ، ثم طلب من التلاميذ أن يشرحوه فاضطربوا ولم يحسنوا الشرح ، وحينئذ تدخل عباس قائلاً :

« إن الغيم الذى يحجب الشمس المحرقة فى أسوان ولا يمطر ولا يسير يُعد نعمة محبوبة » .. وهذا الشرح من العقاد يعد فكرة طريفة ، مع أنّ البيت ينفى النفع عن الغيم ؛ لأن التشبيه يقتضى ذلك ، فالذى لا ينفع بإقامته أهله سحابة لم تمطر . وانتظر العقاد من مصطفى كامل أن يبدى ارتياحاً لما أورد على سمعه من حسن التخلص ، « ولكنه تجهم له وزوى وجهه ، وكأنما خدش فى الفتى الأسوانى كرامته » ونحن نعرف موقف العقاد من الحزب الوطني ولم يكن على وفاق مع زعيمه الأول ، ولكنا نراه يرثى « محمد فريد » فى قصيدة باكية ، يقول فى مطلعها :

أطلقت وجدانى ومثلك يطلق
فالنفس تألم والجوانح تخفق

ومنها يخاطبه :

كم غيرت منك السنون وبدلت
ووفاء نفسك ثابت لا يقلق

ما من هوى إلا نسيتَ ولا أذى
إلا لقيتَ وما الختام محقق

سجن ومجهدة وبعد أحبة
ووداع آمال وسقم موبق

وهى قصيدة طويلة تجدها فى ديوان العقاد (الجزء الثالث) .

العقاد بين محمد عبده ومصطفى كامل

والمهم عندنا موقفه من مصطفى كامل ، فقد أظلم ما بينهما بسبب شرح بيت من شعر المعرى ، والمعرى حين أنشده لم يدر فى ذهنه ما دار فى ذهن العقاد ، وما دار فى ذهن العقاد ليس بعيداً عن المعانى الشعرية ، ولا تدفعه الشروح الموضحة لأهداف المعرى فى النفع والضر ، والزعيم مصطفى كامل أهم ما يريده من أبناء الشعب أن يكونوا نافعين ، ولكن العقاد يذهب بالنفع حسب ما تفيد العبارة .. واقرأ معى البيْت مرة أخرى وتأمل معناه .

وتجد العقاد يهتم بالأستاذ الإمام محمد عبده ويدرس حياته دراسة موسعة ويؤلف فيه كتاباً جعله فيه فى منزلة الخلفاء الراشدين هداية وقدوة وسلوكاً فكرياً وعملياً ، ولما تولى سعد زغلول وزارة المعارف سنة ١٩٠٧ أجرى معه العقاد حديثاً قالوا عنه : إنه أول حديث صحفى أجراه صحفى مع وزير . وتطور الأمر حسب مجريات الأيام والأمانى الوطنية فكان العقاد لزعيم ثورة ١٩١٩ كاتب مصر الأول أو كاتب الوفد الأول كما يقولون .

وعاش العقاد بعد سعد زغلول فألف فيه كتاباً يعد قمة فى التأليف لعالم السير ، وعنوان الكتاب « سعد زغلول سيرة وتحية » .

ولما نقل رفات سعد من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجوار داره سنة ١٩٣٦ ، على ما أذكر نظم قصيدة نشرتها الأهرام عنوانها « فاز سعد » ، كانت مقطوعة المطلع :

عرف النفىَ حياة ومماتاً
وأصاب النصر روحاً ورفاتاً
كلما أقصوه عن دار له
رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتا وهو من
كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا
تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبذا الخلد ثمارا للذى
غرس المجد ونماه نباتا

وهى قصيدة جديرة بالدرس والنقد وصناعة الشعر الحديث ، ومن الواجب حين الاحتفال ، بذكرى مرور مائة عام على وفاته أن تكون مثل هذه القصيدة فى عمل أدبى رائع تقع عليه الأبصار وتدرس فى ظلالها سيرة الزعيم سعد زغلول .

وإذا احتفلنا بنبوءة الإمام وجعلناها من عناصر الدفع إلى الأمام ليتفوق الناشىء عباس العقاد ، وليكون هو مدرسة جديدة تصنع الأبطال فى الوطنية والأدب والسياسة والتضحية والمعرفة الواسعة والثقافة التى تتخطى الحدود وتخلط المجلوب بالموجود .. وما من شك فى أن العقاد علم نفسه بنفسه ، وأفاد من ثقافات عصره ، وسهر لياليه .. قالوا : إنه كان يقرأ فى اليوم والليلة عشر ساعات ، وقراءة الأذكياء ليست كقراءة غيرهم ، فهم يلتقطون ما لا يراه الناس العاديون .

ونحن نعرف أن المعرى النابغة المتفرد فى الحفظ واختزان ما يلقى عليه نظم الشعر وسنه إحدى عشرة سنة ، ولكن العقاد نظم الشعر وهو فى التاسعة من عمره ، وقد وعت الكتب ما نظم فى ذلك الحين ، وكان نظمه فى العلوم وفوائدها من ذلك الشعر قوله :

علم الحساب له مزايا جمة
وبه يزيد المرء فى العرفان
والنحو قنطرة العلوم جميعها
ومبين غامضها وخير لسان
وكذلك الجغرافية تهدى الفتى
لمسالك البلدان والوديان
وإذا عرفت لسان قوم يا فتى
نلت الأمان به وأى بيان(1)

وهو فى اللغة والنحو لا يقل عن المتخصصين ، وأعانه على الأداء وكثرة العطاء إتقانه للغة الانجليزية ؛ فبها عرف عوالم محجوبة فجلبها إلى محيط العربية بفهم وفطنة فأغنى وأقنى ولا تحسبنى أقول من موقع الحب والإعجاب وتعهدى لأدبه شعراً ونثراً ، وإنما أعرفه من محاوراته ومجادلاته مع أعلام عصره ، فكان يدخل المعركة الفنية أو الثقافية ويخرج منتصراً بالحق والصدق ، ولو رجعت إلى حواره مع الأديب الطموح مصطفى صادق الرافعى لعرفت مكانة العقاد من اللغة والنحو وفهم الشعر ، ولا أنسى جدالهما حول قول العقاد لضميره :

الآن فاذهب تستريح فإننى
سأظل أقعد بعدها وأقوم

فكان رأى الرافعى جزم « تستريح » لتكون « تسترح » لأنها مجزومة فى جواب الأمر « اذهب » ، لكن العقاد يستجهله ويقول له : إن قصد الجزم جزم الفعل وإن لم يقصد لا يجزم ، ويقول له شىء من اثنين إما أن تؤمن بالقرآن وإما أن تكفر فالله يقول : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي .... ﴾ برفع الفعل يرثُ ولم يجزم لأنه لم يقصد الجزاء .. إلى كثير من هذا النوع الذى يدل على تعمقه فى النحو ومذاهبه ، ولو قرأت رده على الأب « أنستاس مارى الكرملى » ، الذى تعرض لشعر العقاد فى مجلة لغة العرب التى يصدرها فى بغداد ، وَعُنِىَ بالنحو كثيراً فى منصوبات أبيات الشعر لوجدت فى الرد عجبا !

يقول الناقد : « وقال من قصيدة الشتاء فى أسوان :

ما طبُّ جالينوس قيس بطبه إلا غرور
وقيس حال من « طب جالينوس » وإذا وقع الماضى حالا وجب تصديره بالواو وقد ، أو بقد ، أو بالواو وحدها ، نعم ورد مثل « كما انتفض العصفور بلله القطر » ، ولكن هذا لا يقاس عليه » ، انتهى النقد .. وكان رد العقاد :

لا ياجاهل يقاس عليه ويقاس ، ففى القرآن الكريم : ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ثم ساق من الشعر العربى الذى يحتج به ولا سيما العصر الجاهلى ثمانية شواهد بدأها بقول مثلم بن رياح :

تصبح الردينيات فينا وفيهم
صباح نبات الماء أصبحن جوعا

وختمها بقول كعب بن زهير :
سحَّ السقاة عليها ماء مَحْنِيَةٍ
من ماء أبطح أضحى وهو مشغول

---

(1) الأوفق عندى أن يقول : « وأى أمان » .

العقاد بين محمد عبده ومصطفى كامل

وقال له : « هل يكفيك هذا أو نزيد ؟ » ، (ساعات بين الكتب ـ مثال من النقد) تأليف العقاد والمجال هنا لا يتسع لكل الشواهد ، ولا لبعض ما جاء فى هذا الرد على النقد .

وإنما أذكر المثال لهذا العبقرى الذى لا يرضى بما دعا إليه الجاحظ من فهم المرفوعات والمنصوبات والمجرورات دفعاً للخطأ دون التعمق ، لكنه هو لا يخطىء ويصر على التعمق ومباراة الدارسين فى كل تخصص .

وفهمه للشعر هدى إلى مدرسة نقدية حديثة نحن فى حاجة إليها لتعميق الشعور وإفساح الخيال لحركة الكلمة وانطلاقها مع أخواتها فى السياق لتعطى المتعة فى النفس والروح والوجدان ، مثال واحد أقدمه لك فى نقد الشعر وفهمه . والكلام جواب عن سؤال عن ابن الرومى وشعره(٢) .

يقول العقاد عنه :

هو عندى ـ بغير خلجة من الشك ـ وحيد شعراء العالم من مشرقه إلى مغربه ومن قديمه إلى حديثه فى ملكة الوعى والتصوير .. وهى أنفس الملكات التى يرزقها رجال الفنون ، فلا يضارعه فى هذه الملكة شاعر عربى ولا شاعر أعجمى ، ولا يناظره فيها فحل من فحول التشبيه والتصوير فى أدب اليونان والرومان ، ولا فى أدب الغربيين المحدثين ، ولم أعرف بين أدباء الأمم الأخرى التى اشتهرت بدقة التشبيه ـ كأدباء الصين واليابان ـ من يجرى فى غباره أو ينسج على غراره . ومثل واحد يغنى عن مئات الأمثال وهو وصفه لحقل الكتان حيث يقول فى بيتين اثنين :

وجلسٍ من الكتان أخضر ناعم
توسنه دانى الرباب مطيرُ
إذا أطردت فيه الشمال تتابعت
ذوائبه حتى يقالَ غديرُ

فالواعية الفنية وحدها هى التى تغريه بوصف حقل من حقول الكتان التى مرت بألف شاعر منذ الخليقة ولم يلتفتوا إليها ؛ لأن حقل الكتان لا يحسب من موضوعات الوصف التقليدية بين شعراء التقليد ، فليس هو بروضة من رياض الورد والياسمين ، وليس هو بستاناً من بساتين الفاكهة والثمرات ، ولا هو بمتنزه من متنزهات الحسان أو موعد من مواعيد الغرام .. فانظر كيف علق هذا المنظر بوعيه اللاقط المستوعب ؟ وكيف أحصى عليه كل ما يحصيه التصوير فى شرط النقد الحديث بعض طول المشاهدة والمراجعة لآيات الأساتذة من نوابغ التصوير ..

واذكر كيف صنع ذلك بداهة وابتداعاً غير عامد ولا متنبه وهم يتعمدون ما يسجلون من ملاحظات النقد ويتنبهون إليه .

فالنقد الحديث يشترط على المصور النافذ البصر والبصيرة أن يستوعب المنظر فلا يفوته اللون ولا الملمس ولا الزمان ولا جو المكان ولا

(٢) السؤال كان منى سنة ١٩٤٢ ، ونشر فى مجلة الرسالة وموجود فى بعض كتبه .

الحركة التى تشيع فيه إن كانت فيه حركة ، أو السكون الذى يشمله إن كان به سكون .

وكل أولئك تجده فى البيتين الاثنين مطبوعاً منقولاً إليك نقل البداهة عن تلك الواعية المستوعبة التى لا تفوتها مدركة من مدركات الحس والخيال : لمح اخضرار اللون ، ونعومة الملمس ، وأحاط بوقت الصورة كما مثلت أمامه فهو وقت الوسن ، وأحاط بجو المكان فهو المكان الذى يطل عليه رباب مسف فويق الأرض يؤذن بالمطر القريب ، وأحاط بالحركة وبمصدرها من ريح الشمال فإذا رءوس الشجر تموج بالحركة الذاهبة الآيبة فكأنها صفحة غدير ؛ لا موضع لنقص فى الصورة ولا محل فيها لزيادة ، وليس أصدق من الوعى الذى أحسن اللقط وأحسن التمثيل فى لمحة عين وفي بيتين اثنين . ثم يقول : مثل هذا القياس الذى تقاس به الواعية الفنية لم يكن مقياسَ أولئك النقاد الذين جهلوا فضل ابن الرومى وأشادوا بفضل سواه .

وهكذا يفهم الشعر العقاد ، وفهمه هذا يفجر فى النفوس معانى تفسح المجال لعلوم البلاغة وفقه اللغة من أقرب طريق .

وما من شك فى أنه يعلم ما يريد من صناعة القلم حين كان يفاضل بين العلم والجهل والْحرب والسلم فى كراسة الإنشاء ، وبنظرة الفراسة عَبَّر الإمام عن مستقبل العقاد ولم تصدمه تجهمات الزعيم مصطفى كامل ؛ لأن الفتى عرف طريقه وسار فيها إلى الأمام ولم ينظر إلى الوراء إلا فى شعر الفكاهة والازدراء ، فلنحتفل بذكراه العام والعام القابل - وليكن لنا معه لقاء ..

السيد حسن قرون

تصحيح

فى عدد شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٩ وفى مقال « من روائع الماضى » ، صفحة ٣٣٣ حدث تقديم وتاخير فى نهاية السطر الثالث عند قول الكاتب : فاقبلت فاطمة تمشى يتبعه ما جاء فى أول السطر الرابع من العمود الثانى : (ما تخطىء) وما جاء فى آخر العمود الثانى والذى ينتهى بكلمة (مدارسته) يتبعه من أول السطر الرابع من العمود الأول : فتكون الجملة : مدارسته القرآن .

نظرات فى اللغة وأصولها

للعلامة ابن القَيِّم

هذه نظرات تشهد بعلو كعب ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى اللغة وأصولها ، تدل على نظرات صائبة من إمام فقيه ، تنوعت معارفه ، وزكت أعماله ، وآتت ثمارها .. تتبعناها فى مظانها لما فيها من فوائد جمة . ووفاء بحق هذا الإمام المستنير الثبت الحجة ، تتمة لما نشرناه عنه فى هذا الجانب اللغوى .

الصوت والحركات :

يعلل ابن القيم حركات الإعراب والبناء ، ويشير إلى أن الحركة على الحرف ليست له وإنما هى للعضو اللافظ ، وحين نقول : إن الحرف متحرك فإنما ذلك على سبيل التجاوز لا الحقيقة ، ويرى أن الحركة بعض الحرف ..

ويوضح معنى الجزم بالانقطاع الذى لا نتاج له ، لعدم مده ، بخلاف الصوت الخفى للفتحة أو النصبة ، والذى إذا مُدَّ كان ألفا ، ولماذا كانت حركات الإعراب وكان البناء .. نستمع إليه يقول :

« قولهم : حرف متحرك ، وتحرك الواو ، ونحو ذلك .. تساهل منهم ، فإن الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيز إلى حيز ، والحرف جزء من الصوت ، ومحال أن تقوم الحركة بالحرف ، لأنه عرض والحركة لا تقوم بالعرض وإنما المتحرك فى الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذى يخرج منه الحرف :

فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق ، فيحدث مع ذلك صوت خفى مقارن للحرف : إن امتد كان واوا ، وإن قصر كان ضمة ، (كما ذكر ابن جنى أن الحركة بعض الحرف) .

وكذلك الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف ، وحدوث الصوت الخفى الذى يسمى فتحة أو نصبة وإن مدت كانت ألفا وإن قصرت فهى فتحة .

للدكتور: توفيق محمد شاهين

وكذلك القول فى القصر .

والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف ، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك ، أى ينقطع ، فلذلك سمى جزما اعتبارا بانجزام الصوت وهو انقطاعه ، وسكونا اعتبارا بالعضو الساكن .

فقولهم : فتح وضم وكسر هو من صفة العضو .

وإذا سميت ذلك : نصبا ورفعا وجرا وجزما ، فهى من صفة الصوت ، لأنه يرتفع عند ضم الشفتين ، وينتصب عند فتحهما ، وينخفض عند كسرهما ، وينجـزم عند سكونهما .

ولهذا عبروا عنه بالرفع والنصب والجر عن حركات الإعراب ، إذ الإعراب لا يكون إلا بعامل وسبب . كما أن هذه الصفات التى تضاف إلى الصوت من رفع ونصب وخفض إنما تكون بسبب وهو حركة العضو .

واقتضت الحكمة اللفظية أن يعبر بما يكون عن سبب عما يكون عن سبب وهوالاعراب .وأن يعبر بالفتح والضم والكسر والسكون عن أحوال البناء ، فإن البناء لا يكون بسبب ، وأعنى بالسبب العامل . فاقتضت الحكمة أن يعبر عن تلك الأحوال بما يكون وجوده تغييراً له ، إذ الحركات الموجودة فى العضو لا تكون إلاّ بآلة ، كما تكون الصفات المضافة إلى الموصوف .

وعندى : أن هذا ليس باستدراك على النحاة ، فإن الحرف وإن كان عرضا فقد يوصف بالحركة تبعاً لحركة محلية ، فإن الأعراض وإن لم تتحرك بأنفسها فهى تتحرك بحركة محالها .

وعلى هذا فقد اندفع الإشكال جملة .

وأما المناسبة إلى ذكرها فى اختصاص الألقاب فحسنة ، غير أن كثيراً من النحاة يطلقون كلا منها على الآخر ، ولهذا يقولون فى قام زيد مرفوع علامة رفعه ضمة آخر ، ولا يقولون : رفعة آخره ، فدل على إطلاق كل منهما على الآخر .(١) .

* * *

الاشتقاق والمصدر :

وقد فرق علماء اللغة بين المصدر الصريح والمصدر المؤول ، وبينوا أنواع الاشتقاق

←

(١) بدائع الفوائد : ١/٣٤/٣٥ .

وأصل علماء أصول اللغة « أنواع الاشتقاق ، وقعدوا فقهها وبينوا الفروق بينها ، وبذلك قرت التعاريف والمفاهيم بين المدارس النحوية واللغوية ، على نحو ما زخرت به كتب النحو وأصول اللغة .

ولكن الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - بعقله الواعى ، وألمعيته يضع يدنا على موطن الاستعمال الدقيق ، وبيان ثمرة الخلاف ، وبخاصة فيما من شأنه أن يجعل الحكم مختلفا ، والنتيجة ، وكذلك إذا كان ذلك وجهيا - بمعنى التلاقى فى بعض الوجوه ، أو لا . ويرينا كيف وظف الفقهاء الفاظ اللغة وجاءت أحكامهم تبعا لذلك .

ويذكر تدليلا على ذلك الفرق بين « تمليك المنفعة ، وتمليك الانتفاع » : فالأول يملك به الانتفاع والمعاوضة ، والثانى - تمليك الانتفاع - يملك به الانتفاع دون المعاوضة . ويخرج على تلك القاعدة :

إجارة ما استأجره ، لأنه ملك المنفعة بخلاف المعاوضة على البضع : فإنه لم يملكه وإنما ملك أن ينتفع به . وكذلك اجارة ما ملك أن ينتفع به من الحقوق كالجلوس بالرحاب وبيوت المدارس والربط ونحو ذلك لا يملكها ، لأنه لم يملك المنفعة ، وإنما ملك الانتفاع . وعلى هذا الخلاف تخرج إجارة المستعار :

فمن منعها كالشافعى وأحمد ومن تبعهما ، قال هو قد ملك المنفعة ، ولهذا يلزم عنده بالتوقيت ، ولو أطلقها لزمت فى مدة ينتفع بمثلها عرفا ، فليس له الرجوع قبلها[٢] .

• • •

الاضافة والمشترك :

ويفرق بين حقوق المالك وحقوق الملك ، ونتيجة الخلاف فى هذه الاضافة ، يقول : حقوق المالك شىء ، وحقوق الملك شىء آخر :

فحقوق المالك تجب لمن له على أخيه حق ، وحقوق الملك تتبع الملك ، ولا يراعى بها المالك . وعلى هذا حق الشفعة للذمى على المسلم : من أوجبه جعله من حقوق الأملاك ، ومن أسقطه جعله من حقوق المالكين .

والنظر الثانى أظهر وأصح ، لأن الشارع لم يجعل للذمىّ حقا فى الطريق المشترك .. كما يرى الإمام أحمد[٣] .

وتتعدد المعانى بسبب المشترك اللفظى ، فتأتى ألفاظ المشترك المعنوى ، وتعطى دليلا على ملاحظة وبقاء الفروق اللغوية فيما بين المترادف ، تلمح أحيانا ، وتنسى إذا تنوسى الأصل عند الاستعمال .. وتتنوع المعانى تبعا لاختلاف حروف الربط ، يقول :

(الخبر إن كان عن حكم عام يتعلق بالأمة : فإما أن يكون مستنده السماع فهو الرواية : وإن كان مستنده الفهم من المسموع فهو الفتوى) .

---

(٢) بدائع الفوائد : ٣/١ .

(٣) السابق : ٢/١ .

وإن كان جزئيا يتعلق بمعين مستنده المشاهدة والعلم فهو الشهادة .

وإن كان خبرا يتعلق بالمخبر عنه والمخبر به هو مستمعه أو نائبه فهو الدعوى .

وإن كان خبرا عن تصديق هذا الخبر فهو الإقرار .

وإن كان خبرا عن كذبه فهو الإنكار .

وإن كان خبرا نشأ عن دليل فهو النتيجة ، وتسمى قبل أن يحصل عليها الدليل مطلوبا .

وإن كان خبرا عن شيء يقصد منه نتيجته فهو دليل وجزؤه مقدمته[٤] .

ومثال آخر في هذا المقام يوضح الموضوع ، يقول :

« شهد » في لسانهم لها معان :

أحدها :

الحضور ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ وفيه قولان .

أحدهما من شهد المصر في الشهر ، والثاني من شهد الشهر في المصر متلازمان .

والثاني : الخبر ، ومنه : (شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر ، أن رسول الله ﷺ ـ نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح) .

والثالث : الاطلاع على الشيء[٥] ومنه : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٦] .

الترادف :

الترادف ركن من أركان التنمية اللغوية لاشك في ذلك .. ومع ثباته وثبوته واستقلاله بنفسه في العربية إلا أنه لا يمكن التغاضي أحيانا عن الفروق اللغوية بين ألفاظ الترادف ، وبخاصة إذا لم تنس بكثرة الاستعمال ، أو لمح الأصل والفرع أو نسيان الأصل ..

يشير إلى ذلك ابن القيم حين يفرق بين الشهادة والرواية ، يقول : (الفرق بين « الشهادة ، والرواية » .

أن الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على مر الأزمان .

والشهادة تخص المشهود عليه وله ، ولا يتعداهما إلا بطريق التبعية المحضة فإلزام المعين ـ أي عند الشهادة ـ يتوقع منه العداوة وحق المنفعة والتهمة الموجبة للرد ، فاحتيط لها ـ للشهادة ـ بالعدد والذكورية ، وردت بالقرابة والعداوة ، وتطرق التهم .

ولم يفعل مثل هذا في الرواية التي يعم حكمها ولا يخص ..

فلم يشترط فيها عددا ولا ذكورية ، بل اشترط فيها ما يكون مغلبا على الظن صدق المخبر وهو العدالة المانعة من الكذب ، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط ...) .

←

---

(٤) السابق : ١/٧ .
(٥) السابق : ١/٨ .
(٦) سورة البروج : ٩ .

ويأتى بمسائل على هذه القاعدة ، منها :

الإخبار عن رؤية هلال رمضان ، من اكتفى فيه بالواحد جعله رواية لعمومه للمكلفين فهو كالأذان . ومن اشترط فيه العدد ألحقه بالشهادة لأنه لا يعم الاعصار ولا الأبصار ، بل يخص تلك السنة وذلك المصر فى أحد القولين ، وهذا ينتقض بالأذان نقضا لا محيص عنه .

وعلى هذا أيضاً : الجرح للمحدث والشاهد . ومنها الترجمة للفتوى والخط ـ والشهادة وغيرها . ومنها المخبر عن نجاسة الماء .. هل يشترط فى ذلك التعدد لأنه بمنزلة الشهادة ، أو لا يشترط كالرواية والحكم ؟

ويرى : أن القاعدة السابقة لا تجرى على ما بيد الإنسان وتحت تصرفه :

يقول : (قبول قول القصاب فى الذكاة ليس من هذا الباب ـ باب الشهادة والرواية ـ بل هو من قاعدة أخرى ، وهى : أن الإنسان مؤتمن على ما بيده ، وعلى ما يخبر به عنه) .

فإذا قال الكافر ـ يعنى الكتابى ـ هذه ابنتى ، جاز للمسلم أن يتزوجها .

وكذا ، إذا قال هذا مالى جاز شراؤه وأكله .

فإذا قال : هذا زكيته جاز أكله .

فكل أحد مؤتمن على ما يخبر به مما هو فى يده ، فلا يشترط هنا عدالة ولا عدد .

ويقول : (إذا كان المؤذن يقبل قوله وحده مع أن لكل قوم فجرا وزوالا وغروبا يخصهم ، فلأن يقبل قول الواحد فى هلال رمضان أولى وأحرى)(٧) .

العين والمشترك اللفظى :

وعلماء اللغة (أصول اللغة) أشبعوا لفظ العين كلاما ، وتشريحا وتفريعا ، وابن القيم يدلى برأيه فى اللفظ بفلسفة مستقلة ، مستقاة من الإطلاقات والاستعمال وما يتعلق باختلاف المعنى لها تبعا لتنوع الاستعمال ، والانتقال بها من الحقيقة إلى المجاز ، يقول ابن القيم :

(العين ، يراد بها حقيقة الشىء المدركة بالعيان أو ما يقوم مقام العيان ، وليست ـ اللفظة على أصل موضوعها ، لأن أصلها أن يكون مصدرا وصفة لمن قامت به ، ثم عبر عن حقيقة الشىء بالعين ، كما عبر عن الوحش بالصيد ، وإنما الصيد فى أصل موضوعه مصدر من صاد يصيد .

ومن هنا لم يرد فى الشريعة عبارة عن نفس البارى سبحانه وتعالى ، لأن نفسه سبحانه غير مدركة بالعيان فى حقنا اليوم .

وأما عين القبلة ، وعين الذهب ، وعين الميزان ، فراجعة إلى هذا المعنى .

(٧) بدائع الفوائد ١/٥ ـ ٧ بتصرف .

وأما العين الجارية فمشبهة بعين الإنسان لموافقتها لها فى كثير من صفاتها .

وأما عين الإنسان فمسماة بما أصله أن يكون صفة ومصدرا ، لأن العين فى أصل الوضع مصدر كالدين ، والزين ، والبين ، والأين ، وما جاء على بنائه ..

ومما يدل على أنها مصدر فى الأصل قوله تعالى : ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾[٨] ﴿ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾[٩] فالعلم والحق مصدران مضافان إلى اليقين فكذلك العين . هكذا قال السهيلى ـ رحمه الله تعالى ـ وفيه نظر :

لأن إضافة عين إلى اليقين من باب قولهم نفس الشيء وذاته ، فعين اليقين نفس اليقين والعين التى هى عضو سميت عينا ، لأنها آلة ومحل لهذه الصفة التى هى العين ، وهذا من قولهم : امرأة ضيف وعدل ، تسمية للفاعل باسم المصدر والعين التى هى حقيقة الشيء ونفسه من باب تسمية المفعول بالمصدر كصيد .. أ هـ .

فأصل « العين » المصدر أو الصفة فى الوضع ، وبعض استعمالاتها لصفة تلمح فى المشابهة بهذا الأصل أو مايشابه ، وذلك فى الصفات ، ورد ماراه السهيلى لأن الإضافة من إضافة الشيء إلى نفسه[١٠] .

ثم يرد توهم السهيلى مرة ثانية فى أن إضافة العين إلى البارىء سبحانه حقيقة لا مجازاً فى قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[١١] ويرد عليه وعلى المعتزلة ما قالوه فى الصفات ويفند قولهم من وجوه ، بما ينصر مذهب أهل السنة والجماعة ..

كما يشير إلى ما ذكره حذاق اللغة وفقهها من أن الأصل اللغوى فى الوضع كثيرا ما ينسى وتنسى حقيقته ، ورب مجاز كثر واستعمل حتى نسى أصله وتركت حقيقته ، كما فى بعض استعمالات لفظ « العين » ، وغيره من ألفاظ المشترك .

ولا يكتفى ابن القيم ببحث اللفظ وإطلاقاته ، ولكنه يرينا ما قيل فى استعمالاته بطرق مختلفة ، من حيث التعدى بحروف مختلفة ، أو من حيث اللزوم ، فيحكى مثلا ما حكاه السهيلى ـ رحمه الله تعالى ـ فى استعمالات لفظ « العين » ثم يستدرك عليه بما يدل عليه الجمع والأفراد حين الاستعمال ، مما يدل على حسه اللغوى ، وبعد نظره وثاقب فكره ..

يقول ولحرف الجر دخل كبير فى تنوع المعنى ، ويشير إلى ذلك ابن القيم : (قال : ومن فوائد هذه المسألة ـ مسألة الإرادة

---

(٨) التكاثر : ٥ .
(٩) الواقعة : ٩٥ .
(١٠) بدائع الفوائد : ٢/٢ .
(١١) طه : ٣٩ .

والمحبة وتلازمها أولا ، عند الأشاعرة وغيرهم أن يسأل عن المعنى الذى لأجله قال تعالى :

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[١٢] بحرف على ، وقال تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾[١٣] بالباء ، ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[١٤] وما الفرق ؟

فالفرق : أن الآية الأولى وردت فى إظهار أمر كان خفيا ، وإبداء ما كان مكتوما ، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنّعون سراً ، فلما أراد أن يصنع موسى ويغذى ويربى على حال أمر وظهور ، لا تحت خوف واستسرار دخلت « على » على اللفظ تنبيها على المعنى ، لأنها تعطى الاستعلاء ، والاستعلاء ظهور وإبداء ، فكأنه يقول سبحانه وتعالى : ولتصنع على أمن لا تحت خوف .

وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة .

وأما قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، و﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فإنه إنما يريد برعاية منا وحفظ ما تقدم أ هـ هذا كلامه ، أى كلام السهيلى رحمه الله ..

ويعقب ابن القيم بقوله :

ولم يتعرض - رحمه الله تعالى - لوجه الإفراد هناك (على عينى) ، والجمع هنا (بأعيننا) ، وهو من ألطف المعانى للآية .

والفرق بينهما يظهر من الاختصاص الذى خص به موسى فى قوله تعالى : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ ، فاقتضى هذا الاختصاص الاختصاص الآخر فى قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ فإن هذه الإضافة إضافة تخصيص

وأما قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ و﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فليس فيه من الاختصاص ما فى صنع موسى على عينه سبحانه وتعالى ، واصطناعه إياه لنفسه ، وما يسنده سبحانه إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع قد يريد به ملائكته ، كقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ وقوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ ، ونظائره فتأمل ا - هـ .

يتبع

(١٢) طه : ٣٩ .
(١٣) القمر : ١٤ .
(١٤) هود : ٣٧ .

من خير ما نشر

عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعي خفاجة

الأستاذ / محمود مهدى

عفوا .. أبا الزهراء

إن الاحتفال الأمثل بهذه الذكرى الشريفة (ذكرى مولد الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم) هو أن نحتفل بقيام تعاليم الإسلام وهدى رسول الإسلام فى نفوسنا ، ونطبقها فى تعاملاتنا ونجعلها النبراس الذى يضىء طريقنا ويهدينا إلى سواء السبيل هذا هو الاحتفال الأمثل . اما أن نقيم السرادقات ونلقى الكلمات التى لا يتجاوز تأثيرها لحظة النطق بها ونشترى الحلوى لإشاعة الفرحة بين أبنائنا ، وينتهى الأمر بعد ذلك فليس هذا من الواجب علينا تجاه ذكرى مولد رسولنا الكريم فى شىء ! إن الله سبحانه وتعالى أراده أسوة حسنة لنا حيث قال عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ .

وأمرنا أن نأخذ ما جاءنا به ، وأن نترك ما نهانا عنه فقال وقوله الحق : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهوا ﴾ .

فهل نحن الآن على مستوى هذا الأمر ، أين نحن من هذا الاتباع ، والسير على منهاج الرسول فيما نأخذ ونترك : أم أننا شىء ، وما جاءنا به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شىء آخر ؟!

دعوة العرب لمساندة مصر فى معركتها من أجل البناء

طالبت صحيفة (الأنباء) الكويتية الأمة العربية بالوقوف بجانب مصر فى معركة البناء الداخلى مثلما وقفت معها مصر فى معركتى الحرب والسلام .

من خير ما نشر

وقالت الصحيفة إن من حق مصر التى تؤكد كل يوم (أصالة) وجهها العربى الناصع لأشقائها العرب أن يساندوها وهى تواجه تحديات الضغوط الاقتصادية . ودعت الصحيفة الدول العربية الغنية إلى تخفيض أو إسقاط ديونها لمصر ومساعدتها فى مواجهة أعباء ديونها الخارجية .

الأستاذ / نجيب محفوظ

حياتنا السياسية بلا جذور... القاعدة الشعبية

حكومة وأحزاب نعم ولكن بلا قاعدة شعبية ... ووطن بلا قاعدة شعبية كعمارة بلا أساس يحملها ، ويقال إننا مطحونون بأزمة اقتصادية حصرت كل فرد فى هموم ذاته وأقامت بينه وبين الحياة العامة حاجزاً غليظاً من (اللامبالاة) ! ولكن الأزمة كما تدعو إلى الانحصار فقد تدفع إلى الانتماء والالتفاف حول ينابيع الأمل ...

القاعدة الشعبية ضرورة لا غنى عنها ، إنها حصن ضد الأعاصير الخارجية ودعامة تستند إليها النهضة الداخلية ، هى الجهاز العصبى للأمة تستمد منه وحدتها وأمنها وتكافلها مثلما تستمدها من القانون وجهاز الأمن ، لا يجوز أن تفوت ساعة من غير أن نفكر تفكيراً جاداً كيف (نوجدها) وكيف ندعمها لتكون لنا المأوى عند الشدة والمنطلق إلى آفاق التقدم والحضارة .

تليفون للصم

أنتجت إحدى الشركات البريطانية جهاز (تليفون) للمصابين بالصمم يتكون من آلة كاتبة مع شاشة تليفزيونية بالإضافة إلى جهاز التليفون العادى وبدلا من أن يرد الشخص الأصم بالصوت يقوم بكتابة مايريده لتستقبله شاشة جهاز آخر وبالتالى يستطيع الصم تبادل الأحاديث التليفونية ، ويبلغ ثمن الجهاز ١٨٢ جنيهاً استرلينيا .

مادة الثقافة الاسلامية بالجامعات

قررت رابطة الجامعات الإسلامية فى اجتماعها الأخير بكوالالمبور عاصمة ماليزيا تدريس مادة الثقافة الإسلامية فى كل الجامعات التابعة لها وتم تشكيل لجنة من الخبراء لوضع مناهج هذه المادة ولجنة أخرى لوضع كتاب (نموذج) يكون مرجعاً بين أيدى القائمين على تدريس هذه المادة .

الأستاذ / محمد الحيوان

حقوق الفلسطينيين

أمريكا تتحدث عن حقوق الإنسان فى كوبا ونيكاراجوا وبولندا .. وتنسى حقوق الإنسان

فى فلسطين .. وعندما اعترفت أخيراً بذلك قالتها وهى تعتذر لإسرائيل !

اخطار التدخين كما ظهرت فى المؤتمر العربى الأول :

دخان السيجارة يحتوى على ١٥ مادة مسببة للسرطان

كل ١٣ ثانية يموت شخص بسبب أمراض التدخين

أكدت المناقشات والأبحاث التى شهدتها جلسات المؤتمر العربى الأول لمكافحة التدخين خطورة مشكلة التدخين على الصحة العامة والعلاقة المباشرة بين السيجارة وحدوث العديد من الأمراض الخطيرة التى يأتى على رأسها أورام الجهاز التنفسى وبخاصة سرطان الرئة إذ أن ٩٠٪ من نسبة الإصابة به ترجع إلى التدخين كما أن نسبة إصابة المدخن بالسرطان كرتفع (١٠) أضعاف نسبته بين غير المدخنين إلى جانب المخاطر الناتجة عن التدخين ، والتى تصيب الأجنة بالتشوهات الخلقية فى الأطراف والأسنان ونقصان الوزن عن المعدل الطبيعى .

كذلك أكد المؤتمر أنه لا يجوز للشخص المدخن باسم ممارسة الحرية الشخصية أن يؤذى الآخرين بالتدخين .

أنباء وآراء

كرم الرئيس محمد حسنى مبارك ـ رئيس جمهورية مصر العربية أحد عشر عالماً من كبار المفكرين من أمريكا وفرنسا وألمانيا والسعودية وتونس والسودان بجانب عدد من المفكرين المصريين وذلك فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف لعام ١٤٠٩ هـ الذى أقيم بقاعة محمد عبده بجامعة الأزهر .

* * *

اكتشف العلم الحديث فوائد كبرى لاستخدام السواك مصداقاً لحديث السيدة عائشة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) .

فقد أثبتت التجارب فائدة تصنيع مجموعة من المستحضرات الصيدلية الجديدة من السواك تضم مطهراً للفم وأقراص استحلاب كمعجون للأسنان .

* * *

صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ـ والذى ترأسه مصر ـ يقوم برعاية القيم الدينية فى المجتمعات الإسلامية ويهتم بدراسة المشكلات لهذه المجتمعات والإرشاد لما يصلحها .

واستطرد فضيلته بأن هذا المجلس الذى يضم الهيئات الإسلامية البارزة فى البلاد العربية والإسلامية يعنى أول ما يعنى بالتصدى للتيارات والمذاهب المناهضة للإسلام ، ثم بالتنسيق بين الهيئات الإسلامية فى مجال الدعوة ، ونشر الثقافة الإسلامية التى تبرز الوجه المضىء للإسلام .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر ارتياح الأزهر الشريف وحرصه على ما جاء بالخطاب الذى وجهه الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف الذى أقيم بقاعة محمد عبده بجامعة الأزهر يوم ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٣ من أكتوبر ١٩٨٨ م .

وقال فضيلته : إن الأزهر قد أصدر كتاباً بعنوان (بيان للناس) من جزءين أوضح فيهما الحكم الشرعى لكثير من القضايا الفكرية والاجتهادية التى شاع فيها الخطأ هذه الأيام فى كثير من أقطار العالم الإسلامى .

وطالب فضيلته أجهزة الإعلام أن تحرص على بث الفكر الإسلامى الصحيح ، وأن تذيعه بين الناس على كافة المستويات ، حتى يستبين الرشد من الغى .

* * *

قرر الرئيس الباكستانى بالإنابة « غلام إسحاق خان » وضع القرار الجمهورى

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم فوده

الخاص بتطبيق الشريعة الإسلامية موضع التنفيذ الفعلى فوراً ، وينص القرار على أن تكون الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للقوانين فى البلاد وتحويل المحاكم الإقليمية إلى محاكم شرعية إسلامية واعتبار أى قانون يتعارض مع القرآن الكريم والسنة النبوية باطلاً لا نفوذ له . كذلك يقضى القرار الجمهورى الذى كان قد أصدره الرئيس الراحل محمد ضياء الحق فى الخامس عشر من يونيه ١٩٨٨ بتعيين علماء للإفتاء نوابا للمدعين العموميين بالمحاكم لإبداء الرأى فى كل مايتعلق بتفسير الشريعة والسنة والقرآن الكريم ، وتعيين علماء الدين قضاة بالمحاكم .

* * *

تُفتتح الجمعية العربية للتربية الإسلامية بالتعاون مع المركز العالمى للفكر الإسلامى الموسم الثقافي لعام ١٤٠٩ هـ بندوة عن الأزهر والتعليم يتحدث فيها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق ويدير الندوة الدكتور سليم العوا وذلك بمقر الجمعية بالدقى .

* * *

عقد بالكويت المؤتمر الدولى لكبار العلماء والمفكرين الاقتصاديين الإسلاميين ، وهو المؤتمر الذى دعت إليه ونظمته الهيئة الإسلامية العالمية وذلك لمواجهة ما تعرضت له بعض الدول الإسلامية مثل السودان وبنجلاديش والصومال من كوارث قضت على كثير من المواد الضرورية فى تلك الدول وشردت آلافاً من الأسر فى هذه البلاد .

تجسيد قيم الاسلام هدف السودان

أكد الدكتور وزير العدل السودانى والأمين العام للجبهة الإسلامية القومية : أن تجسيد قيم الإسلام فى المجتمع السودانى هو الغرض الحقيقى منذ أن نال السودان استقلاله فى عام ١٩٥٩ . مؤكداً أن الصيغة التى طرحت من خلال الشريعة الإسلامية اليوم أكثر اكتمالا من كل الصيغ التى عرفتها الديمقراطيات فى العالم .

وقال الوزير فى تصريحات له : إن الحكومة السودانية تولى اهتماما أكثر إلى علاقاتها بالدول العربية والإسلامية .

دعوة الدول الاسلامية إلى تطبيق الشريعة

دعا ملتقى الفكر الإسلامى الثانى والعشرون الذى عقد بالجزائر دول العالم الإسلامى إلى ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وتنسيق كافة التشريعات بينها على هذا الأساس ، كما دعا إلى العمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد الفتوى فى الشئون العامة المتجددة فى الأمة الإسلامية على أن يقتصر إصدار الفتوى على الجهات الإسلامية العلمية المتخصصة .

أنبـــاء وآراء

الفلبين وسبل النهوض بالدعوة الاسلامية

أوصى الملتقى الثانى عشر للدعاة الذى عقد فى الفلبين بضرورة عقد مؤتمر شامل لجميع العلماء والدعاة والمثقفين المسلمين فى الفلبين لبحث سبل نشر الدعوة الإسلامية والتصدى للمذاهب والحركات المعادية للدعوة الإسلامية فى ضوء نتائج هذا المؤتمر والمؤتمرات المحلية التى عقدت من قبل . وأوصى الملتقى فى ختام أعماله فى مدينة « سيبو » بالفلبين بضرورة طبع الكتب والنشرات التى تكشف عن الآراء الباطلة التى تنشر ضد الإسلام والمسلمين وترجمتها لمواجهة خطر الإدعاءات الهدامة . وقد تركزت أعمال الملتقى الذى نظمه المجلس المحلى لمساجد الفلبين حول سبل النهوض بالدعوة الإسلامية فى الفلبين وتطوير عمل الدعاة والهيئات والجمعيات الإسلامية القائمة على مهمة الدعوة الإسلامية فيها وتوحيد وتنسيق جهودها .

بدء تطبيق الشريعة الاسلامية فورا

شارك فى الملتقى أكثر من مائة وخمسين عالما من مختلف أنحاء العالم الإسلامى . عقد المؤتمر بمدينة الجزائر العاصمة فى الفترة من ٣٠ أغسطس إلى ٥ سبتمبر ،

أصدر المؤتمر مجموعة من التوصيات كان من أهمها العمل لتوحيد أوائل الشهور القمرية والأعياد والمواسم الإسلامية باعتبار ذلك مظهراً من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية ، وإنشاء مركز لدراسات الوحدة الإسلامية يعمل على تحقيق هذه الوحدة بين المسلمين مترفعا عن التعصب والحساسيات السياسية والمذهبية والطائفية .

فهـــرس العـــدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « وضاع جوار قريش » د . على أحمد الخطيب	٣٨٥
● ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٣٩١
● وفد نجران المسيحى فى سورة آل عمران لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير	٣٩٥
● فى رياض السنة المطهرة د . رءوف شلبى	٤٠١
● عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية لواء محمد جمال الدين محفوظ	٤٠٦
● مع القرآن العظيم : الأحرف السبعة لفضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض	٤١٠
● المؤمن يأتى الطاعة راغبا لا يريد إلا وجه الله محمد محمد على الرماح	٤١٦
● البحث عن الديانات القديمة د . عبد الجليل شلبى	٤١٩
● دور الأزهر فى استقدام الطلاب الوافدين د . رجاء إبراهيم سليم	٤٢٢
● رسل الأزهر فى بلاد النيجر للسفير جمال الدين أبو العيون	٤٢٧
● الفتاوى عبد الحميد السيد شاهين	٤٣٤
باب الشعر والشعراء إشراف د . حسن جاد	
● أشواق وذكرى للشاعر مصطفى أحمد دردير	٤٣٨
● الغيقى للشاعر : عبد الستار سليم	٤٣٩
● ياظماء النفوس للشاعر : رشاد محمد يوسف	٤٤٠
● ياإنسان للشاعرة : نور نافع	٤٤١
● من أعلام الأزهر « مصطفى محمد الحديدى الطير » للأستاذ أحمد محمد الخواص	٤٤٢
● من روائع الماضى « القصاص أساس صالح للعقاب » إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٤٥٠
باب العلوم الكونية	
● أشعة الليزر ومجالات استخدامها د . أحمد فؤاد باشا	٤٥٦
● الجغرافيا عند العرب للأستاذ ماهر الشيمى	٤٦١
● طرائف ومواقف إعداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤٦٦
باب اللغة والأدب والنقد	
● إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث د . السيد رزق الطويل	٤٧٠
● العقاد بين نبوءة الإمام محمد عبده وتجهم الزعيم مصطفى كامل لنزعته للأستاذ السيد حسن قرون	٤٧٥
● من خير ما نشر عبد الفتاح السيد عبد السلام عادل رفاعى خفاجة	٤٨٩
● نظرات فى اللغة وأصولها للأستاذ توفيق محمد شاهين	٤٨٢
● أنباء وآراء د . أحمد عبد الرحيم السايح	٤٩٢
القسم الانجليزى اشراف د . أنس النجار	
● المقالة الثالثة فاطمة محمد سرىّ	٤٩٧
● المقالة الثانية عبد الحكيم أحمد طه	٥٠٣
● المقالة الأولى د . أنس مصطفى النجار	٥١٠

and we have believed. Our Lord ! forgive us our sins, blot out from us our iniquities, and take to Thyself our souls in the company of the righteous."
Our Lord ! Grant us what Thou didst promise unto us through Thine Apostles and save us from shame on the day of judgement: For Thou never breakest They promise." (Surat Al-Imran III, 193,194).

"Our Lord ! Rescue us from this town, whose people are oppressors; and raise for us from Thee one who will protect; and raise for us from Thee one who will help". (Surat Al-Nesaa IV, 75).

"Verily, my Lord Hath guided me to a way that is straight, a religion of right the path trod by Abraham the true in faith and he certainly jointed not gods with God."
Truly, my prayer and my service of sacrifice My life and my death, Are ali for God The Cherisher of the Worlds." (Surat Al Anaam-VI, 161, 162).

SUPPLICATIONS FROM THE HOLY QURAN

Collected By :

Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

"They prayed: Our Lord ! Pour out constancy on us And make our steps firm: Help us against those That reject faith." (Surat Al-Baqara, II, 250).

"On no soul doth Allah Place a burden greater Than it can bear. It gets every good that it earns, And it suffers every ill that it earns. Pray: Our Lord ! Condemn us not If we forget or fall Into error; our Lord ! Lay not on us a burden Like that which Thou Didst lay on those before us; Our Lord ! lay not on us A burden greater than we Have strength to bear. Blot out our sins, And grant us forgiveness. Have mercy on us. Thou art our Protector; Help us against those Who stand against Faith". (Surat Al-Baqara, II, 286).

"Our Lord ! Let not our hearts deviate Now after Thou hast guided us, But grant us mercy From Thine own Presence; For Thou art the Grantor Of bounties without measure. Our Lord! Thou art He That will gather mankind Together against a Day about which There is no doubt· for Allah never fails in His promise." (Surat Al-Imran III, 8,9).

"Our Lord ! forgive us Our sins and anything We may have done That transgressed our duty: Establish our feet firmly, And help us against Those that resist Faith." (Surat Al-Imran III, 147).

"Our Lord ! we have heard The call of one calling us to Faith 'Believe ye In the Lord

Allah is The Constraining and The Munificient, implying the power of restrain, and of liberal donation; The Degrading and The Enhancing implying the power to elevate and denounce; The Exalting and The Abasing, implying gifting those with contentment and self control with sagacity; and degeneracy for those with greed avarice and self conciet. The Advancer and The Retarder. These opposing dualities indicate the Divine infinite power along the whole spectrum of opposites, such as those that are common phenomena encountered in human life.

Allah is also The Judge, The Just, The Subtle, The All-Wise, The All-Cognizant, The Congregator, The Splendid, The Guidance, The Superb, The Sufficer, The Vigilant, The Responder, The Benevolent, The Glorious, The Equitable, The Laudabe, The Longanimous, The Prodigal, The August and Liberal.

The Apellations of Allah as recognized by Islam depict and imply His Attributes by which we invoke him to guide our pathway through the realities of life. Mankind should endeavour to recognize, understand and cherish these Divine Attributes in the hope of attaining knowledge and wisdom to gain the grandeur and supremacy of truth.

"And Allah has the Most Magnificient Names, So invoke Him by Them" (Surat Al-Araf, VII, 180).

The Compassion of Allah is through Divine Wisdom, embracing the whole creation, the young and old, the strong and weak, the healthy and sick, the living and the dead, mankind and other creations; in this life and in the hereafter. In an authentic Hadith that Allah said "O mankind, I created compassion and made it hundred parts; I kept ninety nine to myself, and gave you only one part by which they become compassionate among themselves; and by which a mare lifts up its hoof not to stamp her sibling."

The Sovereignity of Allah stipulates the preponderance of Dominion and Will. Everything is under His rule. Even those who reject are under the soverignity and subordination of the undisputed supremacy of Allah.

The Consumate and the Guardian, ascribing the Divine Deity free from imperfections, His attributes free from deficiency, and His Dealings free from blemish or injustice. All perfection is to Him alone and all consummation in existence is an effecuate of Divine Providence.

Allah is The Almighty, The Compeller, The Proud, The Vanquisher. The power and might are unparallelled compellent and irresistable in superiority and grandeur.

The Creator, The Evolver, and The Fashioner; creating out of non-existance by act of the will; designing the causation to exist; evolving the process of development by plan; fashioning the form shape and qualities of the final creation. The creation precedes evolution, and evolution precedes fashioning the characters and traits.

Allah is The Oft-Forgiving, The Exonerating, The Ruthful; designations implying repeated recurrent forgiveness, deliverance from punishment, relief from guilt, conferring benefaction by granting extreme mercy.

The Bestower, The Donor, The Revealer, The Bounteous, The All-Embracing, The Beneficient. These appellations indicate the affluent and munificient grants to all creations. Gratuties are countless, giving the means to maintain life and sustain existance. Through guidance, the obscure is revealed and the enigmatic is disclosed through Divine Providence. His bounty involves pardon instead of retribution, excess in granting fulfills the promise in magnanimity and grace. All in the absolute expance of His infinite embrance of all creation in wisdom and justice. His Beneficience enfolds all goodness, kindness, charity, tolerance and generosity.

fourth name is "Al-Muqiet" The Sustainer Who provides all sustenance for His beings, and maintains their physical and moral existance. This entails infinite knowledge and infinite potentials. The fifth name is "Al-Qayyoum" the Dominating, an appletation that denotes, the essence of his Absolute Self-Subsistence, and all beings rely on Him for subsistence. Nothing is conceived to exist or last except through His will. His Ruling is Autonomous, and His Existence is of necessity essential in His Entity and His Attributes. The existence of every other thing is dependent on His will, and everything is completely and absolutely in need of Him. The smallest microorganism and the most highly developed and cultured human being; are equally completely and absolutely in need of Him. The sixth name is "Al-Samad" The Sanctuary; this implies He Who is not in need of anything or anybody, different from the creations who are constantly in need of Him. All turn to Him as the Sanctuary, Refuge and Haven of those in distress. He is the Ultimte Sanctuary.

Seven of the appellations of the Supreme Being are attributes that designate the detail that are privilage only to Divinity. "Al-Aleem" The All-knowing, His knowledge is absolute and thorough, of the hidden and the obvious. "Al-Samie" The All-Hearing, nothing is beyond His hearing perception though it be inaudible, and infinitesimal "Al-Baseer," The All-Seeing, nothing is beyond His vision, though it be invisible. "Al-Hayi" The Omniscient, designating the infinite, everlasting, transcendent, eternal, radiant, immutable qualities of the Supreme Being of universal knowledge and infinite wisdom. "Al-Wahid" The One, undivisible and unpaired, the immutable Diety Who has no associate or partner. The Absolute One from eternity to infinity for ever to come. Nothing is the like of Him, Single One in unique absolute truth. "Al-Qader" The Potent with exclusive, entire and indivisble unshared power to do or not to do according to His Will and Providence. The Omnipotence of the Supreme Being implies the power to affect any or all ends by absolute effective capability. "Al-Baqi" The Sempiternal, the extrême in eternity with transcendent everlasting infinite existance and continuity, with the perservation of all attributes and designations.

The remaining names of Allah are attributes that are inferred to the infinite universality and wholesomeness of perfection, Unfallibility, Glorification, Sanctity, Transcendence, Omnipresence, Oneness, Sovereignity, Guardianship, Wisdom, Justice, Clemency, Benevolence and the other qualities inherent in the most magnificient names of Allah. These appellations as quoted from the text of the Holy Quran must be conceptualized as specific characteristics and in collective totality and integration attributable only to the Supreme Being.

deity is refuted utterly; for if the gods agree, there will be excess, and if they disagree, there would be disruption of universal cohesion.

The Supreme Being of Allah is not divisible into structures, and is not stuctured from divisions. The Oness of Allah is not compounded, it is a unique Oness of integrity and wholesomeness that is undivisible. The supreme Being of Allah is unborn, and gives no birth; for who of the father or son would reign as god ? Allah takes no consort, for a spouse would be of His like, or of His creation. If from His like, she becomes a partner, and if from His creation, she will be wanted and indispensible. The reality is contrary to both situations, Allah has no partner, and is never in need of His creations. The Holy Quran specifically indicates this meaning "Say: He is Allah, the One and Only, Allah the Sanctuary. He begetteth not nor is He begotton; and there is non like unto Him" (Surat Ikhlas, CXII, 1,2,3,4).

The Oness of Allah is inherent in His attributes and appellations, the greatest and most inclusive and exclusive. Inclusive because it designates The Diety in Whom all the Divine Attributes inhere without exception, and exclusive because only The Diety can be named Allah. The appellations of Allah are specific only of the Supreme Being, eternal, infinite and unconditioned in designation. His Existance is by essence perdurable, everlasting and unending. The creations of Allah show matching as well as diversity and contrasting characteristics; nevertheless congruous to His Divine Dispensation of an infallible integral and balanced order pevading His creations. All appelations of Allah are attributes of infinite perfection suitable only for His Sovereignity.

Six of the names of Allah are absolutely specific to the Supreme Being. The first is "Allah" a designation of Glory and Transcendence - only The Deity can be named Allah. There is no god but Allah - The Omniscient with infinite powers of perception and ratiocination. No slumber can sieze Him nor sleep. His dominion is beyond the cellestial expance of the universe. The second name is "Al-Rahman" The Merciful, implying compassion and willingness to forbear punishment, and to deliver grace and divine benignancy. Such extreme infiniteness of mercy is beyond the human heart and mind to understand or visualize. He is Merciful of this world and of the Hereafter, and the Compassionate of the Hereafter. The third name is "Al-Quddus" The Holy; an attribute of Holiness of such perfection and wholeness that it is incontestably beyond all measures of description, sensibility, thought, or comprehension. The Holy designates His divine actuality. The

namely, the functional actions of Salat, Fasting, Zakat, and Hajj. The roofing of the building is the Iman which offers protection against the uncertainties of the mind. The ornamentation and beauty of the building is reciprocal to Ihsan, the stage of grandeur, absolute impeccable belief.

The ground foundation of Islam, the Shehadah, "there is no god save Allah, and Muhammad is the Messenger of Allah. The statement that "there is no god save Allah" is a declaration of the Oness of Allah in absoluteness as Supreme Being, in Attributes, in Divine functions and Providence. The Oneness of Allah as Supreme Being must transmit the exact understanding of non-duality, undivisibility and unrecurring. There is nothing the like of Him, not embodied in matter, infinite transcendant and dimensionless, unrestricted to time or place, unaltered and beyond perception of the scenes. Supreme in power dominion and preponderance of sovereignty; beyond all measures of description, sensibility, thought or comprehension, needing none yet is needed by all for their existance. Creator of the universe out of non existence by an act of will. All-knowing with knowledge absolute and thorough of the hidden, the obvious, macroscopic, microscopic, the beginning and end, the cause and effect. The majestical beyond conception by the mind, eternal, all prevading in knowledge, mercy, wisdom, justice and omnipotence. The sublime of utmost perfection and absoluteness of potency. The Holy Quran states "He is the Creator of the heavens and the earth... there is nothing whatever like unto Him, and He is the One that is All-Hearing, All-Seeing" (Surat Al-Shura, XLII,11). "To Him is due the primal origin of the heavens and the earth. How can He have a son when He hath no consort. He created all things and He hath full knowledge of all things. That is Allah, your God, there is no god but He. The Creator of all things, then worship ye Him. And He hath power to dispose of all affairs. No vision can grasp Him, but His grasp is over all vision. He is above all comprehension, yet is acquainted with all things" (Surat Al-Anaam, VI, 101, 102, 103).

The proof of the Oness of Allah is indicated in the Holy Quran "If there were, in the heavens and the earth other gods besides Allah, there would have been confusion in both. But glory to Allah, the Lord of the Throne high be He above what they attribute to Him" (Surat Al-Ambiyaa, XXI, 22). This verifies the fact that the duality of gods would cause dispute, confusion, and therefore deficiency of the universal system; contrary to the perfect efficiency of the universal system which dominates the cosmic creation. There is no duality of domination, one system, One Creator, One Controller, One Guardian, One Dominating. The duality of

THE PILLARS OF ISLAM

By :

Abdel Hakim Ahmad Taha

There is no god save Allah

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXl, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38 The Book of Faith)

The structural relationship between the pillars of Islam, Iman, and Ihsan; is analogous to a residential building. Such building must have a ground; and the ground foundation of Islam is the verbal statement of the Shahadah, the confession "that there is no god save Allah, and that Muhammad is the messenger of Allah". The initial segment indicates the Oness of Allah, and the second segment indicates the reality of the message of Muhammad embodied in the Holy Revelation. Having defined the ground foundation, the structure must possess four pillars for its erection,

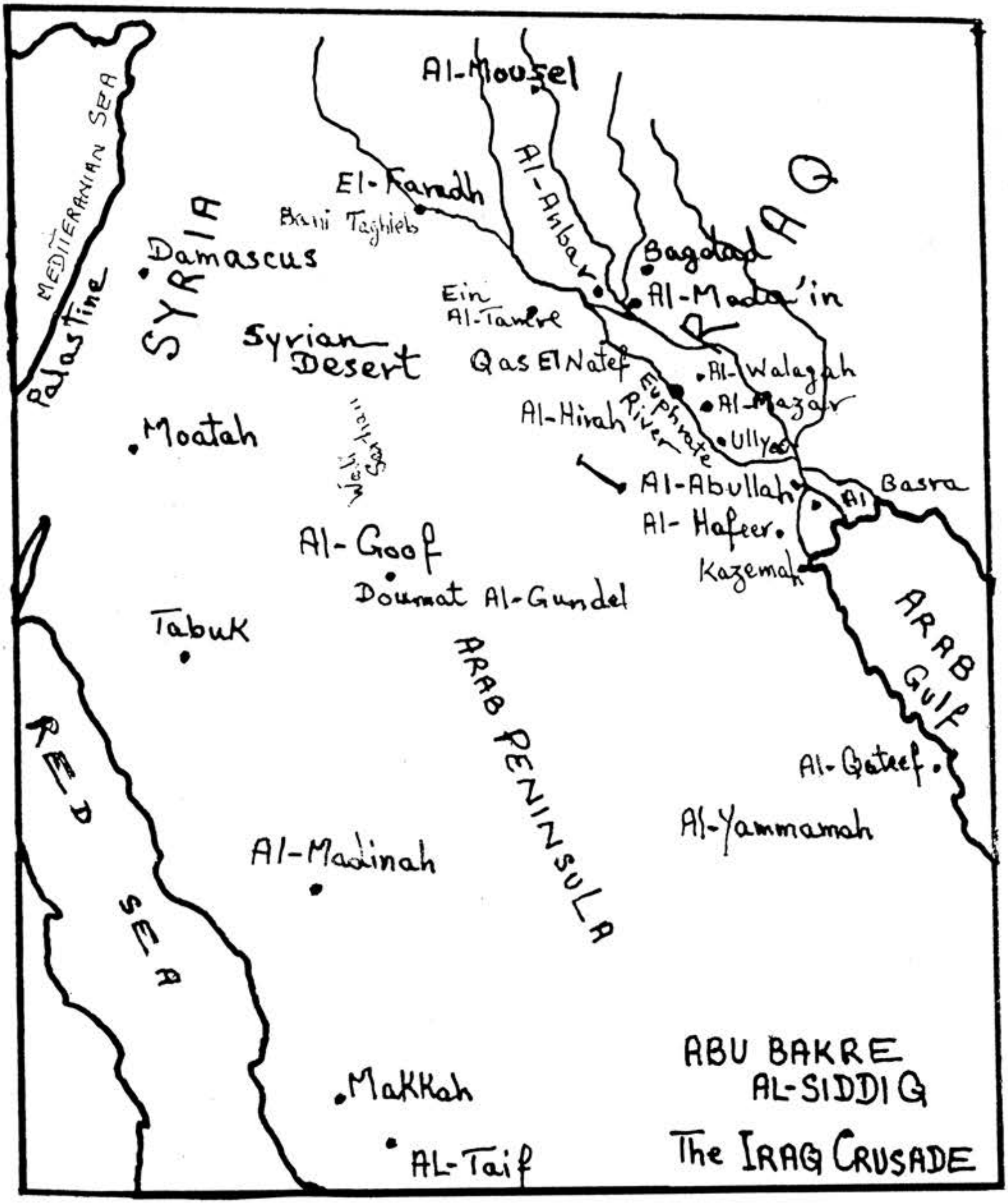

Al-Mousel
MEDITERANIAN SEA
Palastine
SYRIA
Damascus
El-Faradh
Bani Taghlieb
Al-Anbar
IRAQ
Bagdad
Al-Mada'in
Ein Al-Tamre
Syrian Desert
Qas El Natef
Al-Walagah
Al-Mazar
Al-Hirah
Euphrate River
Ullys
Moatah
Al-Abullah
Basra
Al-Hafeer
Kazemah
Al-Goof
Doumat Al-Gundel
Tabuk
ARAB PENINSULA
ARAB Gulf
Al-Qateef
Al-Yammamah
RED SEA
Al-Madinah
Makkah
Al-Taif
ABU BAKRE AL-SIDDIQ
The IRAQ CRUSADE

of the army were arriving at Al-Hirah. No body in the Muslim army knew or discovered his absence. Certainly the Persians and the nomad tribes were completely unaware that the Muslim army was moving from Al-Faradh to Al-Hirah without Khalid ibn Al-Walid in command.

Abu Bakre came to know of Khalid's pilgrimage after the return of the pilgrims to Al-Madinah. Abu Bakre remained silent and did not intimidate Khalid for his action except on a latter occasion. Khalid remained at Al-Hirah in command of the Muslim forces, and in his thoughts, he was planning his strategy to attack and capture Al-Mada'in the capital of the Persians in Iraq. Such undertaking initiative had to be with the definite consent of Abu Bakre, the Khalifah at Al-Madinah. Khalid remained at Al-Hirah in expectation of his purpose to defeat the Persians at Al-Mada'in, however, what the days kept in the destiny of the unknown was very different to what Khalid had in mind. The capture of Al-Mada'in was on the hands of another man, and at a time after the death of Abu Bakre. The military leadership and distinction of Khalid as a worrior in Islam found its function in another field of battle, in Syria and Palastine against the colossals of the Roman legions of the Eastern Roman Byzantine empire.

to prolong, a situation that made Khalid ibn Al-Walid resort to certain tactics and maneuvers of his own innovations. These resulted in achieving superiority of the Muslims over the Roman legions and their supporters from the nomad tribes. The death toll among the Romans and those with them was enormous.

The consequences of the Muslim victory over the Roman legions at Al-Faradh had far reaching repercussions and implications. The Roman legions with their reputation as an invincible military power, were defeated by a much smaller Muslim force that was far removed from its mother land. A force that had already achieved in several successive encounters decisive triumph over Persian and nomad tribal forces in Iraq. This Muslim military leadership and infrastructure of men and their system of belief, had the zeal and agility of spirit to infilterate and remain triumphant in alien territory for more than one year. These Muslim forces crowned their spectacular victories over the Persians and nomad tribes in Iraq; by reaching Al-Faradh facing the Romans in Syria, and defeating them on their own grounds in the first Roman-Muslim confrontation. The astounding achievements of the Muslims instigated the Romans in Syria and the Persians in Iraq to reconsider matters with a different perspective, since their prestigious authority was affected by Muslim presence in these regions. Abu Bakre as the planner and founder of the Muslim strategy at home and across the border was also evaluating the situation in wisdom and precognitive intelligent profoundness.

Khalid ibn Al-Walid remained at Al-Faradh after the defeat of the Roman forces, for two weeks; and announced the return of his forces to Al-Hirah. The time was the second half of Zu Al-Qidah, and Khalid felt an unresisting desire to perform pilgrimage to visit and adorn the holy shine of the Kabbah in Makkah; the annual season of pilgrimage was nearing in the following month of Zu Al-Hijjah. He decided to go, unable to overcome the driving force that overwhelmed his entire self. His absence might drive his enemies to indulge in a military enterprise against the Muslim forces; and upon this probability he decided to keep his absence on pilgrimage secret. Khalid did not dare to inform Abu Bakre of his intentions, and was ready to bear the consequence of such unpredicted conduct on his part. Khalid earnestly hoped for pardon from Abu Bakre in lieu of his surmounting victories in Iraq. Khalid spread news among his men that he was leading the vanguard flank of the army on its way back to Al-Hirah. With few of his men, Khalid speeded to Makkah, performed pilgrimage and completed its functional rituals, and returned to his army at Al-Hirah at the time when the rear battalions

Iraq, left the ground open infront of the triumphant Muslim forces. These forces moved freely without opposition or resistance along the bank of the Euphrates river, travelling north to reach Al-Faradh on the boundaries between Iraq and Syria. The Muslim administration at Al-Madinah had never considered to reach a position of such had never considered to reach a position of such strategic criticality, a position between the Persian occupied Iraq and the Roman occupied Syria. Abu Bakre Al-Siddiq himself when he first conceded to Al-Muthana ibn Harithah to infilterate with his troops into Iraq, and further supporting him with Khalid ibn Al-Walid; never at that time planned or imagined that Muslim forces would occupy such territories deep north into Iraq, to become at a stone-throw distance from the Roman Legions in Syria at that time. Nevertheless, the Roman presence in Syria never left the mind of Abu Bakre, and had always remained a major issue in his thinking and deliberation. Sending Muslim forces under Ayyadh ibn Ghanm to Doumat Al-Gundel to subdue rebels was certainly to secure the northern borders of the Arab Peninsula against any tendency of Roman expansion. Doumat Al-Gundel was at the head of the road to Al-Hirah in Iraq, and at the mouth of Wadi Sarhan which leads to Syria. A city of such geographical strategy is justified to gain the optimal importance in the Muslim security strategy. From the days of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him; to the time of Abu Bakre who afforded to leave Muslim forces there under the command of Ayyad ibn Ghanm for a whole year.

Khalid ibn Al-Walid remained with the Muslim forces at Al-Faradh for one month, such unsurpassed confidence of a leader. The Persians in Iraq to the East, the Romans in Syria to the West, and the alien scattered defeated nomad tribes swarming the whole land between Al-Faradh and Doumat Al-Gundel. The Roman forces neighbouring Al-Faradh resented the long stay of the Muslims. This resentment was accentuated by the humiliated enmity of the tribes of Taghleb, Al-Namre and Iyyad, who proded the Romans to confront the Muslims. The Roman legions moved to the west bank of the Euphrates river opposite the Muslim forces camped on the east bank. The Roman leaders negotiated with Khalid which party was to cross the river, and Khalid answered that the Romans were to cross the river if they wanted to confront the Muslim forces in battle. The Roman legions crossed, and as they did so, Khalid arranged his forces and prepared his men for battle. As the Romans reached the east bank, the Muslims were ready for them, working their swords into their shoulders. The Roman legions and their supports greatly outnumbered the Muslim forces, and were able to achieve good footing on the east bank of the river, and were capable of resisting the Muslim forces and making a stand against them. The fighting appeared

tribes now at Doumat Al-Gundel became twice their number, many retreating tribes from Al-Hirah, Al-Anbar, and Ein Al-Tamre gathered at Doumat Al-Gundel to oppose the Muslim forces under the command of Ayyadh in revenge for their previous defeats against Muslims under Khalid. When the news reached Doumat Al-Gundel that Khalid was approaching, the heads of the tribes disputed in their decision of how to confront the Muslim forces under Khalid ibn Al-Walid, who became a legend for victory on the battlefield.

Akaydir ibn Abd Al-Malik Al-Kandii was the ruler of Doumat Al-Gundel, and was the one to lead the mutiny against Al-Madinah. Ibn Abd Al-Malik had previously experienced the skill and strategic dimensions and capabilities of Khalid during the Expedition to Tabuk at the times of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Akaydir ibn Abd Al-Malik convened with the heads of tribes and advised them to make truce with Khalid.The tribes refused and insisted to confront Khalid, under the leadership of Al-Zudii ibn Rabeeah. Akayder surrendered himself to Khalid, and was sent prisoner to Abu Bakre at Al-Madinah. Khalid ibn Al-Walid appraoched Doumat Al-Gundel leaving the city between his forces and those of Ayyadh ibn Ghanm. The battle started, Khalid fighting the tribes confronting his forces, and Ayyadh fighting those opposing his forces. The Muslim forces on both fronts were victors and defeated the tribes, attacked their fortifications and compelled them to surrender to the triumphant Muslim forces. After the victory at Doumat Al-Gundel, Khalid ordered Al-Aqra ibn Habis to return to Al-Anbar.

The absence of Khalid ibn Al-Walid away from Iraq, motivated the Persians and the tribes supporting them to find that a suitable chance for them to insurge against the Muslim forces at their various locations. On hearing these news, Khalid speeded back together with Ayyadh ibn Ghanm. On reaching Al-Hirah, Khalid appointed Ayyadh to defend Al-Hirah, and ordered Al-Qaqa ibn Amre to confront the consortium of insurgent forces of Persians and tribes. Khalid decided to raid the tribe of Taghleb personally in its dewllings, being the largest tribe leading the uprising against the Muslims. Al-Qaqa defeated the Persian forces who were scattered and massacred in the retreat. In the meantime, the Muslim forces was now ready to deal with the tribe of Taghleb who were also completely defeated in their dwellings. The spoils of war were collected, distributed among the Muslim worriors with one fifth sent to Al-Madinah.

The conclusive defeat of the Persian forces and supporting tribes of Huzayl and Taghleb in this region of

authorized Al-Qaqaa ibn Amre Al-Tamimi to command the Muslim troops remaining at Al-Hirah. He moved north with the main bulk of his forces along the bank of the Euphrates river towards Al-Anbar, with Al-Aqra ibn Habis commanding the vanguard. The Muslim forces besieged the city of Al-Anbar for sometime, till the Persian commander Shirzad finally capitulated, and surrendered the city to the Muslims. Khalid gave the command of the city to Al-Zuberqan ibn Badre, and moved with his forces west to Ein Al-Tamre.

The Muslim forces reached Ein Al-Tamre after three days of rugged toilsome travel across desert country. Mihram ibn Bahram commanded the Persian forces at Ein Al-Tamre. The Persian forces were supported by several nomad tribes under Oqqah ibn Abi Oqqah. It was agreed that the nomad tribes under Oqqah would confront the Muslim forces at the start, and that the Persian forces would join the battle later if there was need for that. The tribal forces under Oqqah attacked the Muslim army, but were defeated and retreated followed by Muslim forces. When Mihran saw the defeat of the tribes, he escaped while protected by some of his men. The Muslim forces stormed the forticfications of the Persian and occupied the fortifications or Ein Al-Tamre. Most of the occupants of these fortifications were killed, except forty children in a private enclosure in the fortress studying the Holy Bible. The progeny of some of these youngesters later became leading figures in Islamic theology as Muhammad ibn Sirrin, and the hero conquerer of Al-Andalus in Spain, Mousa ibn Nussayr. After Khalid ibn Al-Walid established Muslim occupation of Al-Anbar and Ein Al-Tamre, he send one fifth of the spoils of battle to Al-Madinah with Al-Walid ibn Oqbah as special envoy to Abu Bakre. Al-Walid related to Abu Bakre the details of the situation in Iraq during that year that passed at Al-Hirah. Abu Bakre became more anxious about the situation at Doumat Al-Gundel, and therefore dispatched Al-Walid ibn Oqbah with reinforcements to support the situation of Ayyadh at Doumat Al-Gundel.

Al-Walid ibn Oqbah found Ayyadh in a stagnant situation, with the rebel tribes having the upper hand from the strategic standpoint. Al-Walid discussed the situation with Ayyadh, and finally adviced him to send for Khalid ibn Al-Walid. The messenger of Ayyadh reached Ein Al-Tamre the same day that Khalid had captured the city. Khalid was thrilled and immediately arranged to march to Ayyadh at Doumat Al-Gundel three hundred miles south west of Ein Al-Tamre. Khalid wrote to Abu Bakre of the situation, appointed Owaym ibn Al-Kahil Al-Asslami in command of Ein Al-Tamre, and marched with his troops in the direction of Doumat Al-Gundel, across a vast expanse of rough desert to reach Ayyadh in ten days. The

ABU BAKRE AL- SIDDIQ

THE IRAQ CRUSADE

PART II

By :

Anas Moustafa EL- Naggar, M.D., Ph.D

Al-Hirah was established as the nucleus of Muslim activity in Iraq, and the stronghold of their military strategy. The civil administration was governed totally by members of the inhabitants of Al-Hirah with complete authority to govern the affairs of the population. Khalid ibn Al-Walid as commander of the Muslim forces in Iraq was basically concerned with Persian military movements, and the position of the nomad tribes who supported Persian presence in Iraq. Khalid remained for one year at Al-Hirah as instructed by the Khalifah Abu Bakre Al-Siddiq. His orderes were to remain at Al-Hirah until Ayyadh ibn Ghanm had finished with the mutiny of some tribes at Doumat Al-Gundel; and to proceed together to Al-Mada'in the capital of the Persian - occupied - Iraq. Ayyadh ibn Ghanm was not successful in subjugating the rebel tribes at Doumat Al-Gundel. This situation was very disappointing, and detered the progress of the Muslim crusade in Iraq. Khalid ibn Al-Walid became restless after remaining a whole year at Al-Hirah without any combat activity. He considered that a waste of time and resources, however, he could never disobey Abu Bakre and move to Al-Mada'in alone, without Ayyadh ibn Ghanm.

During that period of restlessness and deliberation, Khalid ibn Al-Walid received news that massive Persian troop movements was taking place around the districts of Al-Anbar and Ein Al-Tamre north of Al-Hirah. Khalid considered that strong Persian forces in this district threatened the Muslims at Al-Hirah and all the occupied territories south; also, such forces would render the capture of Al-Mada'in a very difficult task. These considerations motivated Khalid to move out of Al-Hirah towards Al-Anbar; and since he was not moving to Al-Mada'in he would not be disobeying the authority invested in Abu Bakre as Khalifah. Khalid ibn Al-Walid

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, Part IV

Rabie Al-Akhar, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

==

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.

The Iraq Crusade, Part II.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.

There is no god save Allah.

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Supplications from the Holy Quran.

Collected by: Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of the Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ
ديسمبر ١٩٨٨ م
الجزء الخامس
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوار في الإسلام

رأينا : كيف صاحب « الجوار » الدعوة ؛ بل كيف احتواها فعملت فى إطاره على مراحلها المختلفة منذ بدأ - عليه الصلاة والسلام - الدعوة الجهرية .

لقد كان « الجوار » فى كُلٍّ درعَ الدعوة وغطاءها .

وهو درع وغطاء كشفت عنه « السيرة النبوية الشريفة » بكل وضوح ؛ فلا غرو ان يكون وَضْعُه درسا للدعاة .

ثم استقر الأمر :

فصار « الجوار » واحدا من معالم السياسة الخارجية فى الإسلام ، ذلك انه « عهد » ينتظم فى سلك ما للدولة من حق فى إبرام العهود المختلفة التى تهدف - جميعا - إلى ما فيه نفع للمسلمين ورفعة شانهم : امنا وعيشا ودفاعا .

والجوار - دون شك - جامع لكثير من مكارم الأخلاق ؛ فإنه يعنى حماية إنسان - أو جماعة - نَفْساً وعرضا وأهلا ومالا .

ثم هو - من بعد - ضرورة تواجه الدولة فى شئون لا تجد بدأ من إمضائها .

ثم هو - فى مقدمة ذلك كله - واحد من سُبُل الدعوة إلى الله - تعالى - وتيسير بلاغها للناس ، يقول الحق - جل وعلا :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة ٦ .

والآية الكريمة وردت فيمن بينهم وبين المسلمين حرب ، أى فى الحَرْبِيّين، وهى تعنى : أن فَرْدا ، أو أكثر ، منهم لا علم له بالإسلام ، ويود أن يعلمه من مصادره الأمينة ، فيتقدم إلى المسلمين طالبا دخول بلادهم ليتعلمه ويفقهه ، فوجب عليهم :

أ - الإذن له بالدخول وحمايته .

ب - والإذن له بالإقامة .

جـ - وبيان ما جاء من أجله .

د - ثم توفير الأمن له حتى يخرج من البلاد سالما حتى مأمنه(١) .

والآية الكريمة واضحة فى وجوب توفير تلك الإجراءات جميعا ، فضلاً عن طلبها تعليمه ، وقد وضعت الأساس فى « حق الإقامة » و « مقدارها » كما يراه ولى الأمر .

ثم صار لها أغراض كثيرة : كأداء رسالة ، أو تجارة ، أو طلب صلح أو هدنة ، فكل

(١) فإذا هداه الله - سبحانه - إلى الإسلام - أثناء إقامته - صار واحدا من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم .

رسول بأمر من هذه أو غيرها مما فيه مصلحة الدولة والمسلمين ينبغى « الإذن » له وتأمينه حتى يؤدى رسالته فى « جوار » إسلامى تام ، وحصانة كاملة شريطة أن يلتزم باحترام شعائر الإسلام - مدة إقامته - فلا يستبيح ببلادنا منكرا من الأمور ، أو يعمل على الإضرار بها ، وتلك شروط لا حيف فيها ، فلازلنا نسمع ونقرأ عن طرد « دبلوماسيين » لقيامهم بالتجسس فى البلد المضيف .

قال ابن كثير - رضى الله عنه - فى تفسير الآية : « أى إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله ، وتنتشر دعوة الله فى عباده » .

وَنَقَل عن مجاهد - رضى الله عنه - قوله :

إنسان يأتيك ليسمع ما تقول ، وما أُنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فَتُسْمِعَه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه .

قال ابن كثير - تعقيبا على ذلك :

« ومن هذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعطى الأمان لمن جاءه مسترشداً أو فى رسالة . كما جاءه - يوم الحديبية - جماعة من الرسل من قريش ، منهم : عروة بن مسعود ، ومكرز بن حفص ، وسهيل بن عمرو وغيرهم ، واحدا بعد واحد يترددون فى القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند مَلِكٍ ولا قيصر ، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك . وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم .

ولهذا لما قَدِم رسولُ مسيلمة الكذاب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له - عليه الصلاة والسلام :

أتشهد أن مسيلمة رسول الله ؟

قال : نعم .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لولا أن الرسل لا تقتل لضربتُ عنقك » .

وتلك حصانة فى أمر الرسل صريحة .

قال ابن كثير :

« والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام فى أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب ، وطلب من الإمام ، أو نائبه ، أماناً أعطى أمانا مادام متردداً فى دار الإسلام وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه » .

ولعلمائنا ـ رضوان الله عليهم ـ بشأن الإقامة تفصيل يتناول :

أ ـ مدتها .

ب ـ وحال طالبها : حربيا كان أم معاهدا .

ولهم فى ذلك فِقْهٌ دولى لم يُسْبَقُوا إليه .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

كلمة شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي

كلمة شيخ الأزهر عن حقوق الطفل في الإسلام

بيان الأزهر والمجلس الإسلامي العالمي

الدولة الفلسطينية

الدولة الفلسطينية
أمــل فى الأفــــق

تواترت الأنباء فى الصباح الباكر ليوم الثلاثاء الخامس من ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ ، ١٥ من نوفمبر ١٩٨٨ م ، بأن المجلس الوطنى الفلسطينى قد اصدر قراراً بالإجماع بإعلان قيام الدولة الفلسطينية تحت الاحتلال استنادا إلى الحقوق التاريخية والطبيعية للشعب الفلسطينى وعلى الشرعية الدولية المتمثلة فى قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ والخاص بتقسيم أرض فلسطين تحت الانتداب البريطانى إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية .

إن مجرد صدور القرار بالإجماع من المنظمات الفلسطينية ابرز املا وضعه فى الأفق العالمى ترنو إليه ابصار امة طالما نادت به ، وتنادت إليه ، تلك امة الإسلام عربها وعجمها ، اسودها وابيضها ، تحتويه القلوب التى فى الصدور ، تحنو عليه وترتجيه ، باعتبار ان هذه الدولة الفلسطينية ستكون ردءا وحمى لهؤلاء المشردين من العرب ، المنتظرين للعودة إلى تراب فلسطين ومقدساتها ، إلى ارض المجد والجهاد ، ارض كان إليها الإسراء ومنها المعراج ، وكانت عليها صلاة الأنبياء بإمامة رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

إن إعلان الدولة الفلسطينية : قرار ترقبه العرب والمسلمون كافة ، بل وأحرار الناس فى كافة أنحاء الأرض فى زمن تعالت فيه الأصوات وتكاثرت المواثيق التى تتنادى بحقوق الإنسان وبحق تقرير المصير للشعوب ، ومن المؤسف أن أغنياء زعماء بنى الإنسان فى هذا العصر أخذوا هذه الزعامة بالقوة والإرهاب ، وهم الذين تعلو أصواتهم إعلاناً عن هذه الحقوق ، وفى الوقت ذاته ، هم أولئك الذين استعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً وهم الذين استنزفوا خزائن الأرض لدى الشعوب التى وقعت فريسة بغيهم وعدوانهم ، وحين رحلوا تركوها وقد نشروا فيها الفساد وبدلوا الأعراف والعادات ، وهزءوا بالقيم التى كانت سمة لهذه الشعوب .

وقد كانت فلسطين من هذه البقاع التى منيت بهذا الاستعباد . وما رحل عنها الانتداب

بقلم: فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

البريطانى إلا وقد سلمها للصهيونية تحقق عليها أحلامها ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ وطغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد .

كل ذلك قد كان بعد إذ اختلف أهل فلسطين على أنفسهم ، وغفلوا عن حماية أرضهم وعرضهم ورحلوا يبتغون الأمن والأمان فى أى مكان .

ولكن جيل « أطفال الحجارة » أشعلوا الثورة وأضاءوا الشعلة . التى تعيد النور إلى الصدور وتقود إلى استرداد الحق وتطهير الأرض وحماية العرض ، وفك إسار القدس ..

هذه ثورة أطفال الحجارة التى شبت عن الطوق بعامها الأول واجتمع حولها الكبار بالإكبار والإجلال يزكون نهجها ويمدونها بما ينميها ويشد من أزرها .

وها هى هذه الثورة تبنت ذلك الأمل الذى بدا فى الأفق « الدولة الفلسطينية » والتى سارعت أمتها باحتضانها فى المحافل الدولية تثبت أقدامها وتعلى من شأنها ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ . وهذا شأن الامتثال لأوامر القرآن ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وإن الأزهر الشريف ـ وقد التقى غداة هذا القرار بالزعيم الفلسطينى « ياسر عرفات ، أبى عمار » ـ ليؤكد على أن قرار المجلس الوطنى الفلسطينى قد جاء فى أوانه وأن ثماره دانية القطوف إذا ما اتحدت كلمة المنظمات الفلسطينية واتحد زعماؤها داخل الأرض العربية المحتلة وخارجها على جعل هذا الأمل واقعاً ذا كيان ، مصونا من العبث والنكوص . وإذا ما التزموا بأمر الله سبحانه ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

لا سيما وقد جربوا التنازع الذى توالت نكباته والشقاق الذى تناثرت به الجهود ، وتفرقت عليه القوى ، وعليهم أن يلتزموا الوفاء بالعهود وبالعقود ، والا يتركوا مجاهدى « الحجارة » الذين أذكوا النار ـ نار الثورة لاسترداد الحق ـ بعد أن أهيل عليها التراب .. الا يتركوا هؤلاء للضياع فقد صيروا الحلم أملاً بزغ فى الأفق فليجعلوه واقعاً تسترد به القدس ، وتقام به الدولة الفلسطينية لتكون خطوة متقدمة نحوَ النصر الكبير الذى يترقبه المسلمون ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

بشأن مفتريات بريطاني هندي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

وبعد :

فقد ورد إلى الأزهر الشريف أنه صدر في بريطانيا كتاب بعنوان « آيات شيطانية Satanic Verses » . لمن يدعى / سليمان رشدى ـ من أصل هندى ويحمل الجنسية البريطانية يتعرض بالتجريح لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ ، ويسىء إلى زوجاته وأصحابه رضى الله عنهم . فى أسلوب قصصى : فيه أكاذيب وافتراءات من وهم الخيال لبعدها عن حقائق الإسلام .

ويبدو أن ما دفعه إلى هذا حنق الملاحدة على الإسلام ، والرغبة فى الارتزاق من أيدى أعداء هذا الدين الحنيف .

ولقد أثار هذا الكتاب قلق الأوساط الإسلامية فى بريطانيا فنهضت الجمعيات والمنظمات الإسلامية هناك للنشر تنديداً بالكتاب ، وتعريفا بما يحمله صاحبه فى قلبه من سوء ، ثم رفعت إلى القضاء دعوى ضد دار النشر التى تعاونت معه .

ولقد عقد كل من مجلس سفراء الجامعة العربية ، ومجلس أمناء المركز الإسلامى فى بريطانيا جلسات خاصة لاتخاذ مايجب عمله تجاه هذا الجرم الصريح .

وإن الأزهر الشريف ثقة منه بهذه الأنباء التى تواترت عما يحمله هذا الكاتب وكتابه من سوء المقال عن الإسلام ورسوله ﷺ وآل بيته وصحبه ليدعو الهيئات والمؤسسات الإسلامية فى بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول هذا الكتاب .

كما يدعو الدول الإسلامية والعربية إلى حظر دخول الكتاب إليها وإلى مقاطعة دار النشر التى أصدرته ومنع مطبوعاتها من التداول فى البلاد الإسلامية .

ويدعو الأزهر الشريف منظمة المؤتمر الإسلامى إلى أن تأخذ دورها فى مواجهة مثل هذا التزييف لتاريخ الإسلام وحقائق سيرة رسول الله ﷺ .

ويشكر الأزهر كلا من حكومة باكستان وحكومة الهند على مسارعتهما إلى التقرير بمنع دخول هذا الكتاب وحظر تداوله بالبلدين .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات والمؤسسات الإسلامية أعضاء المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة للقيام بما يجب إزاء هذا النشر الخبيث ، وإلى حين اجتماع هيئة رئاسة هذا المجلس فى الشهر القادم .

هذا : ولخطورة المعلومات التى وردت إلى الأزهر عن هذا الكتاب وكاتبه ، ومافيه من إلحاد وأباطيل عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وآله وأصحابه قد وُجِّهَتْ الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية إلى اتخاذ إجراءاتها لمنع دخول هذا الكتاب إلى جمهورية مصر العربية وحظر تداوله فيها .

كلمة شيخ الأزهر في

المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فإن هذا المؤتمر الذى حظى بهذه النخبة الممتازة من العلماء الذين أفاء الله عليهم بالعلوم والمعارف المتنوعة ، ترتاد بحوثهم ومحاضراتهم وحوارهم ، جوانب عامة وهامة ، تتصل بالحياة الإنسانية ، وتتواصل مع التراث العلمى للإنسان ، ولاسيما ذلك الذى خلفه علماء الإسلام ، وكان زادا وعماداً لهذه الحضارة التى يتسابق العالم على تنميتها وامتداد ازدهارها والتخفيف من آثارها التى أنتجت الكثير من رسائل التدمير للإنسان ولكل ذى حياة على أرض الله .

وها هم السادة الأجلاء المشاركون فى إثراء هذا المؤتمر ، بل هذين المؤتمرين :

المؤتمر العالمى الخامس للطب الإسلامى .. والمؤتمر الثانى للإعجاز الطبى فى القرآن ..

يوجهون فى بحوثهم الدراسات الطبية إلى التواصل مع التراث الإسلامى الطبى والتلازم بين الفقه الإسلامى والدراسات الطبية المتنوعة من جراحات وعلاج ودواء ووقاية ، لمواجهة أمراض وأوبئة العصر والتعرف على أسبابها الواقعية والنفسية ودور المسجد فى الوقاية منها أو من بعضها ، ومواجهة الإسلام للجرائم : وقاية وعلاجا ، ومسئولية الكلمة وأمانتها وخطر التفريط والإفراط فى تجاوز أعبائها ، حيث قد تقود حرية التعبير إلى التدمير ، وإلى التحلل من كل القيم التى تهدى ولا تضل ، وتعصم ولا تفصم .

إن الأمل معقود أن تنبه البحوث والدراسات إلى ماحاق ويحيق بالإنسانية فى هذا العصر الذى تتسارع خطواته إلى استكشاف ما أودعه الله من أسرار فى مخلوقاته .. لا للانتفاع بها فى مسرات الإنسان المباحة فحسب - بل تخطت هذا إلى ابتكار أسباب وأساليب التدمير المتنوعة .

الأمر الذى يوجب على هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات العلمية .. أن تعمل على تصويب مسار الحضارة المعاصرة سلما وعلما ، واستمساكا بالقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، بعد أن استشرت الإباحية ، وانتشرت وظهرت الأوبئة والأمراض والأوجاع التى لم تعهدها الإنسانية فى تاريخها الطويل .

إن واجب العلماء أن يواجهوا هذا الواقع بالعلم والدين ، وبنشر الخلق القويم ، ولنواجه المشكلات التى تزاحمت فى المجتمع الإسلامى بالفحص الدقيق ، والتحليل الذى يستكشف كنه الداء حتى نصف الدواء الذى به يكون الشفاء بإذن الله .

ولقد كان للسلف من علماء المسلمين جهد كبير فى دراسة علم الطب وعلم الأدوية ، وتناقلوا أثرا يقول : العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان ، ولقد ساوى الإمام الغزالى بين علم الطب وعلم الفقه ، باعتبار أن الأول يبحث عن صحة جسد الإنسان وصلاحه ، والفقه يحدد أمور صلاح دينه ودنياه ، ومن المأثور عن العز بن عبد السلام :

(إن الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية ، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام) ..

وسبحان الله القائل :﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَمَايَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

* فترة انعقاد المؤتمر ١٠ - ١٣ من ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ ٢٠ - ٢٣ من نوفمبر ١٩٨٨ م .

كلمة شيخ الأزهر عن

حقوق الطفل في الإسلام

وتحفظاته على مشروع الأمم المتحدة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ ..

وبعد :

يسرنى أن أشرف بالمشاركة فى افتتاح (المؤتمر القومى حول مشروع الأمم المتحدة لحقوق الطفل) .
ويسعدنى أن أحيى هذا الحفل الكريم الذى اكتمل عقده لهدف إنسانى نبيل هو تقنين حقوق الطفل الإنسانى ، أى طفل من أى لون وأية جنسية ، وأية لغة ، فقيرا كان أو غنيا ينتمى إلى الأقوياء فى العالم أو إلى ضعفائه .

هذا المؤتمر الذى تنادت إلى الدعوة إليه . الجمعية المصرية للطب والقانون والرابطة المصرية للقانون الدولى بالتعاون مع المجلس القومى للطفولة والأمومة ومنظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسف) .

إن هذا المؤتمر إنما ينعقد لتأصيل حقوق الطفل وتقنينها على المستوى الدولى للإنسانية ورعاية تنفيذها ، واستدراك ماقد يكون من قصور أو تقصير فى العناية بالأطفال فى بعض المجتمعات الإنسانية ، وتدارك مايقع فى بعض هذه المجتمعات من إفراط فى الرفاهية وفى الحرمان منها على السواء .

وهذه ولاشك غاية محمودة ينبغى أن يجدَّ المجتمع الدولى فى الوصول إليها قصداً إلى تعميق الصلات الإنسانية ، ووصولاً بالإنسان كل الإنسان إلى التقارب ، والتساند والتعاون ، بدلا من التقاطع والتخاصم ..

إن الإسلام قد احتفى بالإنسان وكرمه ، وأصل ، وفصل حقوقه فى مراحل حياته المختلفة .
حيث أوجب أن ينشأ طفل الإنسان (حملا) فى ظل عقد زواج صحيح شرعى وحدد حقوقه قبل والديه من قبل ولادته ومن بعدها ، فله ذمته المالية - وهو حمل - فهو يرث ممن يتوفون قبل ولادته ، وتصح الهبة والوصية له ويتحمل فى ماله كافة الحقوق التى على الإنسان للغير كالنفقة وتمتد حقوقه - وهو بعد جنين حمل مستكن- فتتكاثر بسببه الواجبات على أمه الحامل رحمة من الله لهذا الإنسان ، وعلى أبيه نفقة ورعاية لهذه الأم الحامل وبسببه خفف الإسلام من بعض الالتزامات على الأم الحامل ، فقد رخص لها بالإفطار فى شهر رمضان متى خافت من الصوم ضررا على نفسها وحملها ، وفى الصلاة خففت عنها بعض شروطها واعتبرتها من أصحاب الأعذار بسبب الحمل وتربيته فيما بعد ولادته .

وحدد الإسلام واجبات كل من الأبوين نحو الأطفال فى مراحل العمر المختلفة وأناط بهما التعليم والتأديب مع الحنو والتلطف .

ووجه الإسلام إلى العناية بالتنمية العقلية والسلوكية للأطفال وتقويمها ، وتعويد الطفل تحمل المسئولية متى بلغ سن التمييز ، وأوجب العدل فى التعامل والرعاية للأطفال .

ووجه إلى العناية بالمعوقين والمتخلفين وضرورة تأهيلهم للحياة بما يتناسب وقدراتهم . ونظم الإسلام تبادل أدوار المسئولية عن الطفل بين الأبوين منذ ولادته ، وحتى يصير إنسانا سويا رشيداً يواجه أمور الحياة بنفسه ، ورعى الإسلام فى شريعته اليتامى واللقطاء حيث حث على إحسان تربيتهم وتعليمهم وحفظ وتنمية أموالهم ، وتمكينهم من كل حظوظ النجاح فى الحياة كغيرهم من الأطفال مع الرعاية والعناية والعطف والحنان .

إن الطفل أجمل زهرة فى حديقة الحضارة والحياة الإنسانية .. ومن هنا كان حقه فى الحياة والرعاية بتقديم الطعام الصحى المناسب ، والتربية التى تؤهله للعمل الذى يكتسب به رزقه بالطرق المشروعة ، والمعاملة التى طابعها الحب والحنو .

وإذا كان هذا المؤتمر ينعقد اليوم تتابعاً لانعقاد مؤتمرات وندوات سابقة للحوار حول مشروع اتفاقية دولية لحقوق الطفل التى لم يغفلها الإسلام ، فإنى أستأذن حضراتكم فى التحفظ ـ باسم الإسلام ـ على ماجاء بالمواد : السابعة ، والسابعة مكرر والعاشرة ، والحادية عشرة .

ذلك لأن نصوص تلك المواد قد أطلقت للطفل حرية التعبير بشتى طرقها وحرية الدين ، كما أطلقت حرية التبنى . وهى بهذا قد أغفلت مايلتزم به المسلمون من حماية للعقيدة والشريعة الإسلامية . عملا على إقرارها واستقرارها فى قلوب الأطفال المسلمين ، لاسيما واصطلاح النظام العام الوارد فى المادة السابعة بين المحميات اصطلاح لم يتفق واضعوه على تحديد مفهومه ومداه .

ولأن القول بحرية الدين للطفل يدعو إلى التحلل والتخلى عن الدين ، والإسلام يقرر أن الطفل يتبع خير الأبوين دينا ..

ولأن التبنى يرد فى الإسلام على صورتين :

إحداهما : استلحاق شخص معروف النسب إلى غير أبيه ..

والأخرى : استلحاق مجهول النسب يجعله ابنا للمقر بنسبه . مع أنه ليس كذلك فى الحقيقة والواقع .

والإسلام حرم التبنى فى هاتين الصورتين بنص القرآن الكريم .

وهذا لا يمنع من رعاية طفل مجهول النسب أو معروفه ـ رعايته ـ بالتربية والتعليم والإنفاق وبالوصية له والهبة إليه ، كل ذلك مباح دون تغيير لنسبه إن كان معلوما أو استلحاقه بنسب الغير إن كان مجهولا .

ذلك لأن الإسلام دعوة إلى الخير والبر والإحسان والتعاون على البر والتقوى ، فهو لا يمنع رعاية الطفل اللقيط ، بل يحث على العناية به والمحافظة على حياته وكفالته ، ويجرم كل اعتداء أو إهمال يضر به ، أو يودى بحياته .

ثم ملحوظة عامة على الصياغة التى عرض بها المشروع باللغة العربية إذ ينبغى أن يعاد النظر فى صياغة بعض النصوص على وجه يؤدى إلى تحديد مفهومها فى نطاق مفردات وأساليب التعبير العربى ، متوافقا مع مايكون فى اللغات الأخرى المعتمدة لتحرير الاتفاقات الدولية .

هذه كلمة عاجلة ، إثر قراءة عابرة لمشروع اتفاقية دولية لحقوق الطفل ألمحت فيها إلى بعض معالم حقوق الطفل فى الإسلام وأهم مالوحظ على نصوص هذا المشروع .

والأمل أن يجرى حوار المؤتمر فى رفق وأناة يتناسب مع حقوق الطفل زهرة امتداد الحياة الإنسانية دون أن يغفل الدين وأثره البالغ فى الرعاية والعناية بنمو هذه الأزهار وتقويمها ومبلغ علمى أن الإسلام قد أصل وفصل فى هذا المجال ، وصوب ماوقعت فيه الإنسانية من قبله ومن بعده من أخطاء نحو الأطفال مما لا يتسع الوقت لعرض مثل منها ، وأنصح الباحثين والمؤتمرين أن يتخذوا من شريعة الإسلام سنداً ومدداً ففيها الدواء لكل داء والحكم العدل لكل قضية .
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . .

بيان الأزهر والمجلس الإسلامي العالمي
بمناسبة

الانقلاب الغاشم

على المالديف يوم الخميس ٣ ١١ ٨٨

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه .

لقد تحدثت وكالات الأنباء والصحف أمس عن الأحداث التى تعرضت لها المالديف من عدوان آثم لطائفة من المرتزقة على ـ مالى ـ عاصمة هذا البلد الوادع الآمن المسلم الذى أقام بناءه على الإسلام ، والقرآن ، والذى يجاهد رئيسه الرئيس مأمون عبد القيوم ، وصحبه ، فى سبيل تنميته بالعلم والتعليم والإيمان .

ولقد تحدثت الأنباء عن احتجاز عدد من الرهائن يبلغ نحو الألفين ، بينهم عدد من الوزراء ، كما تحدثت عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى ومايتبع هذا من تخريب وترويع للآمنين الضعفاء من أبناء مالاديف .

وإن المسئولية الآن ـ كل المسئولية ـ تنادى الشعوب الإسلامية كافة ، والزعماء خاصة ، أن يسارعوا إلى مساندة هذه الدولة المسلمة وهذا البلد الذى يُرفع فيه الأذان ويتلى القرآن ، هذا البلد الذى يجاهد لإعلاء كلمة الله فى ظلمات المحيط وآفاق البحار .

إن الأزهر الشريف ليدعو الأمة الإسلامية والشعوب والهيئات والزعماء والحكومات إلى الانتصار للحق ، وَجمع الكلمة واتخاذ موقف حازم ، وحاسم لإعادة الأمن المُرَوَّع فى المالديف ، وأن يسارعوا إلى إسعاف هذا الشعب ورئيسه وحكومته بالتأييد والمعونة المادية والمعنوية حتى يتمكن من دفع هذا العدوان وردعه .

وإنه باسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أدعو الهيئات الإسلامية كافة إلى العمل على نجدة إخواننا فى المالديف ودفع الضر عنهم ، وشد أزرهم حتى نرضى الله ورسوله عملا بوصيته ﷺ .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وإنه باسم الأزهر الشريف ، وباسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أدعو منظمة المؤتمر الإسلامى إلى المبادرة للوقوف بجانب المالديف ، ومساندتها للحفاظ على أمنها واستقلالها بكافة الوسائل التى تملكها ، وحث الحكومات الإسلامية وكافة المسلمين على البذل والعطاء لنجدة وإغاثة هذا الشعب المسلم .

وإنه باسم الأزهر الشريف وباسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أهيب بشعب المالديف ورئيسه وحكومته أن يكونوا صفا واحداً فى رد العدوان عن أرضهم ، وأن يحافظوا على وحدتهم ، وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يعلموا أن المحنة : منحة من الله لأَخْذِ الأهبة للجهاد والتضحية ، ولتجديد الثقة بالنفس والتوكل على الله سبحانه بعد الأخذ بأسباب النصر .

والله معكم ـ وإن تنصروا الله ينصركم .

شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة
جاد الحق على جاد الحق

من النفس اللوامة

إلى العمل الصالح

قد تعجب من ان (النفس الأمارة بالسوء) جهاز إرسال واستقبال فى وقت واحد ، فهى التى تامر ، وهى التى تستقبل الأمر لتاتمر به وتنفذه .

وقد تعجب من ان (النفس اللوامة) جهاز إرسال واستقبال أيضاً ، فهى التى تلوم وهى التى تستقبل اللوم لتصغى إليه ، وتنتفع به .

ولكن لماذا العجب ؟ والنفس فى لغة العرب تطلق على الروح ، وعلى الجسد ، وعلى الإنسان جسدا وروحا . والله تعالى يقول فى سورة الزمر : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أى من آدم أبى البشر .

ما أنت إلا نفسك ، وما نفسك إلا أنت . فمن نفسك إلى نفسك الأمر بالسوء ، ومن نفسك إلى نفسك اللوم على ما يوجب اللوم .

وكل ذى عقيدة صحيحة يشعر فى داخله بأن له من نفسه على نفسه رقيبا هو الضمير ، وأن عليه من دينه سلطانا هو الوازع الدافع إلى الخير ، الرادع عن الشر .

ولا سلطان للشيطان إلا على أتباعه ، فله دوره فى إضلال من استجاب له من البشر ، ولكنه عاجز عن إضلال المتحصنين بالدين المتسلحين باليقين ،العائذين برب العالمين .

وسوف يبرأ الشيطان من أتباعه يوم القيامة :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ(١) وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ـ الآية ٢٢ من سورة إبراهيم .

وعلامة الهدى والتوفيق والنجاة أن

(١) أى مغيثكم .

للأستاذ/ حامد بدر

يستيقظ الضمير ، ويذعن المؤمن لوازع الدين ، فتقوم النفس اللوامة بمراقبة ومؤاخذة صاحبها على تفريطه فى حق الله ، وحق الناس ، وحقها . فهى بكثرة لومها للمسىء تحاسبه بلا توان على ما يتعرض له من تقصير ، وكثيراً ما تمنعه من الوقوع فى معصية يهم بارتكابها فتحول بينه وبين الوقوع فيها . وإذا تورط فى خطيئة فهى لا تكف عن تأنيبه حتى يثوب إلى رشده ، ويتوب إلى ربه . ومن لا تلومه نفسه على تقصير ، ولا يؤنبه على معصية ضمير ، فلا وارع له ولا هدف .

اقام الله على الإنسان من دينه وعقله وسريرته وازعا يدفعه إلى الخير ، ويحذره من الشر حتى يصبح ويمسى مالكا لزمام نفسه ، مسيطرا عليها ، أمرا لها بطاعة الله ، ناهيا لها عن الهوى .

فالنفس الأمارة بالسوء هى التى تأمر صاحبها بالمعصية حيث لا يمنعه وازع من دين .

والنفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها إذا وقع فى معصية أو هم بارتكابها . والنفس المنهية عن الهوى هى نفس من خاف مقام ربه فنهاها عن ارتكاب المعاصى ، فاستحق أحسن الجزاء :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ـ الآيتان ٤٠ و ٤١ من سورة النازعات .

وبالرغم من أن اللوم لا يكون إلا على التقصير فإنه من النفس إلى النفس دليل على السير فى طريق المتاب ، والنفس التى لا تكف عن اللوم كلما دعا إليه داع إنما هى نفس مؤمنة متحررة متفاهمة مع الحق ، ولديها استعداد للإنابة والارتقاء . فهى لوامة أى كثيرة اللوم لأنها غير راضية عن الكثير مما يدعو إلى اللوم ، وهى لذلك قلقة تريد أن تطمئن ، واطمئنانها مرهون برضاها ، ورضاها مرهون بالاستقامة الموصلة إلى رضا الله . فهى ماضية فى طريقها لتكون النفس المطمئنة الراضية المرضية التى خاطبها الله تعالى فى القرآن الكريم مبشراً ومكرماً بقوله جل جلاله :

﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ـ الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من سورة الفجر .

● ● ●

ولا يلوم العاقل غيره قدر ما يلوم نفسه ، فكلما كان اللوم موجها من النفس إلى النفس كان دليلاً على الشجاعة والقدرة على مواجهة النفس بأخطائها ابتغاء الارتقاء بها .

أما كثرة لوم الإنسان لغيره على كل هفوة فهو ضرب من التسلط البغيض ، والتجنى

من النفس اللوامة

الملول وهذا اللون ينبغى أن يكون له إطاره من الحكمة واختيار الحال المناسبة لتوجيهه لتكون له فائدته ، وهو مفيد حينئذ إذا قصد باللوم التقويم والتحذير من التعرض للوقوع فيما تسوء عاقبته ، فلا شك أن أشد اللوم فى تلك الحال أخف كثيرا مما يصيب الضال لو ترك فى ضلاله بلا نصيحة أو إرشاد .

والوازع الدينى أكبر أثرا عند المؤمنين من القصاص فى الدنيا ؛ لأن المؤمن موقن بأنه محاسب فى الآخرة على ما قدم فى دنياه مما أطلع عليه البشر وما لم يطلعوا عليه ، وما عوقب عليه فى الدنيا وما لم يعاقب عليه ، وأن العقاب فى الآخرة أشد وأخزى ، وأن الله - تعالى - بكل شىء عليم ، وكل ما يكسبه الإنسان من خير أو شر ، من قول أو عمل أو نية مسجل فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ - آل عمران ٣٠ .

وإذا كان الوازع الدينى لا يوجد إلا حيث يوجد الإيمان فإن الوازع الدنيوى وهو القصاص ضرورى لتأمين المجتمع بمقاومة الجرائم وإرهاب وردع المجرمين الذين لا يخيفهم سوى عقاب عاجل يرونه أو يذوقونه فى الدنيا ، ولا يخافون يوم الحساب وهو آت وقريب ، وإن كانوا فى شك منه مريب .

كما يحاسب المرء على العمل ويجازى عليه ، يحاسب على القول ويجازى عليه . فكل كلمة طيبة أو غير طيبة للإنسان مسجلة له أو عليه ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ - ١٨ ق .

والقول الطيب يصعد مقبولا ، ومثله العمل الصالح ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ - ١٠ فاطر .

وفى تفسير الجلالين لقول الله تعالى ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ - ٢٤ الحج - : (هدوا) فى الدنيا (إلى الطيب من القول) وهو لا إله إلا الله (وهدوا إلى صراط الحميد) أى طريق الله المحمودة ودينه .

وفى ضوء هذا التفسير يصح لنا إضافة (الدعوة إلى الله) إلى مفهوم القول الطيب ، فقول : (لا إله إلا الله) تعبير عن العقيدة الصحيحة ، ويتصل بالعقيدة الصحيحة كل قول يحمل توجيها إلى السلوك الإسلامى الدال على الإذعان لما اقتضاه التوحيد ، وقضت به شريعة الله تعالى . ويؤيد ذلك المفهوم آيات كريمة أخرى زف القرآن بها أجمل البشرى إلى الذين (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) ، فنالوا هذا التكريم بالتوحيد والاستقامة ، وبأحسن القول الذى هو دعوة إلى الله مع عمل صالح وإسلام :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا

مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ـ ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ فصلت .

ثم بين لنا القرآن بعد ذلك ما تنتجه (مقابلة الإساءة بالإحسان) من خير عاجل فى الدنيا ، فبكلمة لينة معبرة عن التسامح وسعة الصدر تجىء رداً على إساءة يتحول العداء إلى صداقة وصفاء . ومقابلة الإساءة بالإحسان صفة يتميز بها أهل الصبر ، ولا يتحلى بها إلا من وصفه الله بأنه ذو حظ عظيم :

﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ـ ٣٤ ، ٣٥ فصلت .

وفى هذه الآيات الكريمة يجد المؤمن طبًّا نفسيا يقيه شر البغضاء ، ويحول بينه وبين ما قد يتعرض له من عداوة وشقاق بينه وبين أخيه ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ـ الآية ٨٢ من سورة الإسراء .

ومن القول الطيب كل قول نافع كالتعليم والتهذيب والتوجيه إلى الخير والتحذير من الشر . وهذا القول ينبغى أن يطاع . وقد نوه القرآن الكريم بالمؤمنين الذين يستمعون الحسنى فيتقبلونها ويقولون : سمعنا وأطعنا ، وبالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه :

﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ـ ٢٨٥ البقرة .

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُو الْأَلْبَابِ ﴾ ـ ١٨ الزمر .

ومن رجحان العقل التفكير قبل النطق ، واجتناب اللغو . وفى الحكمة « إذا كمل العقل قل الكلام » .

ويقولون : « إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » وهو قول لا يقبل على إطلاقه ، فعندما يكون للكلام قيمة فهو خير من السكوت ، بينما يجب إمساك اللسان عن الفحش والغيبة والوشاية والكذب .. وقد نهى الله عن الجهر بالسوء من القول إلا المظلوم فإن الله سميع لشكواه ، عليم بحاله ، مجيب لدعوته :

﴿ لَّا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾ ـ ١٤٨ النساء .

والسكوت حرام إذا تعين الكلام وسيلة لتغيير منكر ونصرة حق .

﴿ إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ـ ٧ محمد .

والعلماء المتقون العاملون تجد خشيتهم لله علما ، وعلمهم خشية ، وهذا ما يوحى به النص القرآنى الكريم ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ـ ٢٨ فاطر .

ومن خشى الله حق الخشية لم يخش أحداً سواه ، فلا يتردد فى قول الحق والاعتراض على المنكر لعلمه أن السكوت على منكر إقرار له واعتراف به ومشاركة فيه[٢] .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يأتيان بخير النتائج إذا صدرا من أهل التقوى والاستقامة ، لا من الذين يقولون ما لا يفعلون ، الذين استحقوا المقت الكبير من الله :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ـ ٢ ، ٣ الصف .

وما أروع الصمت تفكيراً فى صنع الله وقدرته ونعمته وحكمته ، وخوفا من هيبته تعالى ونقمته ، وطمعا فى كرمه وفضله ورحمته . وما أنفع الكلمة تأتى نتيجة لهذا التفكير البعيد المدى ، فكأن التفكير هو القول والقول هو الصدى ، وكأن حراسة من الله تسبق الكلمة وتلحقها فهى بين حراستين فى كلتيهما هدى .

وكم من كلمة تشع نوراً ، وتقشع ديجوراً ، ويقام بها عدل ، ويدفع بها جور ، وتحيا بها فضيلة ، وتموت لها رذيلة .. ورب كلمة تقال ، عثرتها لا تقال .

فقل واعمل ما شئت فى مراقبة رب العالمين ، ودع كل قول أو عمل يبعد عن رحاب المؤمنين :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ـ ٧٠ ، ٧١ الأحزاب .

قرار حظر

صرح فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد أصدر قراره عام ١٩٦٨ القاضي بحظر تداول أو نشر رواية « أولاد حارتنا » التى ألفها الكاتب نجيب محفوظ سواء أكانت مقروءة أم مسموعة أم مرئية .

والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية تلفت الأنظار إلى هذا الحظر ، وتدعو المسلمين إلى ضرورة الالتزام به ، وبالله التوفيق ..

---

(٢) ليس كل سكوت على منكر إقراراً له .. فليراجع القارىء لتفصيل هذه القضية مقال الدكتور وكيل الأزهر بنفس هذا العدد ..... مجلة الأزهر .

فى رياض السُّنة النبوية المطهرة

عزل الحاكم ممنوع بإجماع علماء أهل السنة الصالحين

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى

روى الإمام مسلم بسنده قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم حدثنا عمى عبد الله بن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث، حدثنى بكير، عن بسر بن سعيد، عن جنادة بن أبى أمية قال :

دخلنا على عبادة بن الصامت - وهو مريض - فقلنا : حدثنا - اصلحك الله - بحديث ينفع الله به ، سمعته من رسول الله ﷺ فقال :

دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما اخذ علينا ان بايعناه على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا ، واثرة علينا ، والا ننازع الأمر اهله قال : « إلا ان تروا كُفْراً بَوَاحاً عندكم من الله فيه برهان » .

رواه مسلم فى كتاب الإمارة

المنشط : مصدر ميمى من نشط ينشط نشاطا ومنشطا. وهو يعنى أوقات النشاط، أو ما يستلزمه من دوافع وبواعث لمصلحة الدين .

المكره : مصدر ميمى مثله من كره يكره كرها ومكرها. وهو يعنى السمع والطاعة فى الأوقات التى يشتد على النفس تنفيذ الأوامر فيها للمشقة .

والمعنى من الكلمتين : المنشط والمكره استواؤهما لدى الصحابة - رضوان الله عليهم - فى تنفيذ ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ دون شعور بالمشقة والحرج ، وإن كانت بعض الأوقات فيها حرج ومشقة لكنها تزول بمجرد التوجه لتنفيذ ما بايعوا الله ورسوله عليه .

الأثرة : الاستئثار والاختصاص بالخير وفيها لغات ثلاث :

الأَثَرة : بفتح الهمزة والثاء .

الأُثْرة : بضم الهمزة وإسكان الثاء .

عزل الحاكم ممنوع

الإثْرة : بكسر الهمزة وإسكان الثاء .

والمعنى: اسمعوا وأطيعوا ولو أن الحكام اختصوا بأمور الدنيا عليكم ، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم .

البَواح : كُفْراً واضحاً عليه دليل من الشرع لا من العقل أو التخمين .

والواقع أن هذا الحديث أصل عظيم من أصول علاقة الرعية بالحاكم وقد عرف التاريخ الإسلامى أسلوب تنصيب الحاكم وكيفية توليته :

١ ـ بالبيعة من أهل الحل والعقد،وهم وجهاء الأمة الذين يجتمع الناس عليهم مثل ما حدث فى سقيفة بنى ساعدة .

٢ ـ أو بترشيح من رئيس الدولة كتوصيته للأمة أن تنصب واحداً بعينه كما رشح سيدُنا أبو بكر من بعده سيدَنا عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه .

٣ ـ أو الإمام فى حالة الاضطرار عند الموت يؤلف لجنة تختار من يرشَّح للخلافة من بعده . كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين اغتاله أبو لؤلؤة المجوسى .

٤ ـ أو تكون بالبيعة العامة كما حدث فى بيعة سيدنا على كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

لكن التاريخ الإسلامى لم يشهد حدثا خاصا بعزل رئيس الدولة ، والنصوص فى السنة يدور محورها على المحافظة على سلامة الرعية من دم يراق ، أو فتنة تطيح بمستقبل الأمة وأمنها واستقرارها واقتصادها وكرامة الإنسان فيها ، وحول هذا نقرأ فى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال :

إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطراف .

وفى رواية فى مسلم أيضاً عن أبى عمران قال :

وإن كان عبداً حبشياً مُجَدَّعَ الأطراف .

ومثل هذا فى البخارى :

اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة .

ومعلوم أن سيدنا أبا ذر كان يطلب الإمارة فمنعه رسول الله ﷺ وقال له فيما رواه مسلم :

يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها .

وفى هذا المقام ينبغى أن نتعرف على خاصية فى السياسة الشرعية للإسلام وهى : أن الأمر إذا دار بين الموت والحياة فإن الإسلام يرجح الحياة ، ويبيح لذلك استخدام بعض المحظورات استبقاء للحياة .

وإن الأمر إذا دار بين الانحراف والعفة ، فإن الإسلام يفضل جانب العفة ويبيح للقادرين تعدد الزوجات ، وإذا دار الأمر بين الفوضى والاستقرار فإن الإسلام يقوى جانب الاستقرار على جانب الفوضى ، ولو بقى من التعاليم عمادها وهو الصلاة ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ستكون أُمَرَاء فتعرفون وتنكرون،فمن عرف برىء ، ومن أنكر سَلِمَ ولكن من رضى وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا .. مَاصَلُّوا .

يقول الإمام النووى : فى الحديث معجزة

ظاهرة بالإخبار بالمستقبل .. وقد رفع الإثم ﷺ ، عن جماعتين :

جماعة عرفت ضلالة الوالى وجماعة أنكرته .

أما الجماعة الثالثة التى تابعته وهللت له وزَمَّرت[1] فهى المعاقبة والمسئولة .

يقول الإمام النووى : وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت ، بل إنما يأثم بالرضى به،أو بألا يكرهه بقلبه .

يقول الإمام النووى : وفيه معنى أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً عن قواعد الإسلام[2] .

واتقاء الفتنة فى الإسلام أمر معلوم من الدين بالضرورة ؛ فكم من مرة دعا القرآن الكريم جماعة المسلمين إلى تجنب الفتنة وبَيَّنَ أنها أشد من القتل .

يقول الله تعالى :

* ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ .
* ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾.
* ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾.

فقضية عزل الخليفة قائمة على تفادى هذه الفتنة،ولذلك نجد السنة النبوية توضح لنا ثلاثة مواقف .

الموقف الأول : أنها نهت عن طلب الإمارة والسعى لطلب الحكم .

الموقف الثانى : أنها حددت موقف الرعية المسلمة من الحاكم الفاسق .

الموقف الثالث : أنها وضحت واجبات الحاكم المسلم وواجبات الرعية .

أما فيما يتعلق بالموقف الأول ففيه نصوص دالة على المنع ، وفيه أحداث تطبيقية منع فيها رسول الله ﷺ مِنْ تولى الحكم .

* **أما ما يتعلق بالنص المطلق : فيقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى :**

يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أُعطيتَها عن مسألة وُكِلْتَ إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها ، وإذا حلفتَ على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فَكَفِّر عن يمينك وائت الذى هو خير .

يقول الإمام ابن حجر فى شرحه : « ويستفاد من الحديث: أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه،فيدخل فى الإمارة : القضاء ، والحسبة ونحو ذلك[3] .

ومن النص المطلق أيضاً ما رواه البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة .

ومثل هذه الرواية عند الطبرانى فى الأوسط من رواية شريك عن عبد الله بن عيسى ، عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : الإمارة أولها ندامة،وأوسطها غرامة،وآخرها عذاب يوم القيامة[4]

وأما ما يتعلق بالناحية التطبيقية ففى

←

(١) زَمَّرَ غَنَّى .. وَزَمَّرَ بالحديث : بثه وأذاعه .
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم جـ٤ ص ٥٢٠ مطبعة الشعب .
(٣) فتح البارى جـ١٣ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٤) فتح البارى جـ١٣ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

← عزل الحاكم ممنوع

البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من قومى ، فقال أحد الرجلين : أَمِّرْنَا يارسول الله ، وقال الآخر مثله فقال :

« إنا لانولى هذا من سأله،ولا من حرص عليه » فقد رفض النبى ﷺ تولية أحد الرجلين اللذين سألاه أن يوليهما أمراً من أمور المسلمين .

الموقف الثانى : متعلق بموقف الرعية من الحاكم الفاسق : هل تثور عليه بالسلاح وتعزله ؟ وهذا هو سنام الأمر ، والعمدة فى شرحه هو الإمام النووى فقد نقل عنه الإمام ابن حجر - رضى الله عنهم - قال الإمام النووى :

معنى الحديث الذى روى فى صدر هذا المقال - لا تنازعوا ولاة الأمور فى ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم منهم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم ، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين،وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ماذكرته ، وأجمع أهل السنة أن السلطان لا ينعزل بالفسق .

وأما الوجه المذكور فى كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل ، وما حكى عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع .

قال العلماء : وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه: ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء ،وفساد ذات البين فتكون المفسدة فى عزله أكثر منها فى بقائه(٥) .

أقول :

وهذا الإجماع مستنبط من جملة الأحاديث الصحيحة التى لا تجيز الثورة على الحاكم ، ففى مسلم عن علقمة بن وائل الحضرمى عن أبيه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله ﷺ فقال :

يانبى الله : أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ، ثم سأله فى الثانية أو فى الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم .

ويروى مسلم أيضاً عن حذيفة بن اليمان .

قلت : يارسول الله،إنا كنا بشَرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر ؟ قال : نعم .

قلت : هل وراء ذلك الشر خير ؟ قال : نعم .

قلت : فهل وراء ذلك الخير شر ؟ قال نعم .

قلت : كيف ؟

قال : يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ، ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنسى قال : قلت : كيف أصنع يارسول الله إن أدركت

---

(٥)شرح النووى على صحيح مسلم جـ٤ ص ٥٠٧ مطبعة الشعب .

ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع[٦] .

يقول الإمام النووى : وفى حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته ، وإن فسق وعمل المعاصى : من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته فى غير معصية[٧] .

الموقف الثالث : إن السنة الإسلامية الصحيحة وضحت واجبات الحاكم المسلم وواجبات الرعية نحوه .

* أما واجبات الحاكم المسلم فهى رعاية حقوق الله، والنصح للأمة، والرفق بها، وإقامة العدل فيها .

ففى مسلم :

* إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف .

أبو داود وابن حبان وابن ماجه

* إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله .

متفق عليه

* ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة .

* اللهم مَنْ وَلِيَ من أمر أمتى شيئاً فَشَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به

مسلم

* ما من وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة .

البخارى

●● ●● ●●

* وأما واجبات الرعية فالصبر على الحاكم والدعاء له بالهداية ، وعدم الخروج عليه وطاعته فى المعروف ، وعدم طاعته فى المعصية .

ففى السنة :

* لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

* من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج على السلطان شِبْراً مات ميتة جاهلية .

متفق عليه

التـــــوازن :

وقد وقعت صورة « حياتية » فى زمن النبى ﷺ للجماعة الإسلامية التى رأسها حاكم جائر، وهذه الصورة تعطينا التوازن الذى يجب أن يكون بين الرعية المسلمة المستمسكة بالذى جاءها من عند الله ورسوله ﷺ والإثم الذى يدعوها إليه الحاكم الجائر ففى مسلم والبخارى معا :

بعث رسول الله ﷺ سرية، وأمَّر عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبى ﷺ أن تطيعونى ؟

قالوا : بلى ، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبا فأوقدوا ناراً ، فلما هموا بالدخول ، فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض، فقال بعضهم : إنما تَبِعْنا النبى ﷺ فراراً من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر ذلك للنبى - ﷺ - فقال : لو دخلوها ماخرجوا منها أبداً ، إنما الطاعة فى المعروف .

متفق عليه

فالذى يجمع الأحاديث المتعلقة بالحاكم فى

←

(٦) شرح النووى على صحيح مسلم جـ٤ ص ٥١٣ ، ٥١٥ .

(٧) المصدر السابق .

عزل الحاكم ممنوع

عدله أو جوره، صلاحه أو فسقه، والأحاديث المتعلقة بواجب الأمة نحوه إذا عَدَلَ فله الطاعة فى المنشط والمكره، وإذا فسق وظلم فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق - يجد أن هناك توازناً يجب أن يقوم به العلماء فى توعية الأمة والحاكم على السواء، ويظهر ذلك فى قول النبى - ﷺ - .

* إذا كان فى أمتى من يهاب أن يقول للظالم: ياظالم فقد تُوُدِّعَ منهم .

* وفى قوله عليه الصلاة السلام : إن الإمام العادل إذا وضع فى قبره ترك على يمينه، فإذا كان جائراً نقل عن يمينه إلى يساره .

(رواه ابن عساكر عن عمر بن عبد العزيز)

ويحذر النبى ﷺ جماعة المسلمين من التردى فى براثن الحاكم الظالم فيقول :

من أعان ظالما ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله .

(رواه الحاكم عن ابن عباس)

وآية التوازن بين الحاكم والرعية قول النبى - ﷺ - :

إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أم ضَيَّع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته .

(النسائى وابن حبان)

وإذاً :

* فالخروج المسلح لعزل الحاكم لا يجوز شرعا بإجماع أهل السنة والعلماء الصالحين .

* وطلب الإمارة ممنوع .

* وطاعة الإمام فى معصية مرفوضة .

* وعدم طاعته فى الأمور الواجبة شرعا حرام .

* والنصيحة منه للرعية، ومن الرعية له واجبة .

* وموقف العلماء هو التوازن بين الحاكم والرعية .

وإذا كانت هذه الصورة التى نقلتها لنا السنة النبوية المطهرة والنبى - ﷺ - مازال قائماً بين أظهر المسلمين يمنعهم من الخروج على الحاكم فكيف اليوم . والمسلمون مستهدفون دولة، واقتصاداً وعسكرياً بل وطعاما ؟!

فالمسلمون يعيشون اليوم عالة على الدول الكبرى التى تحيك لهم المكايد وتخطط لبقائهم فى سلة المهملات، وتجعل طعامهم رهنا بأساليب معينة، أفلا يفيق الشيوخ الذين يتصارعون على المناصب والزعامات، والشباب المسكين الذى صدق هواجس أصحاب أحلام اليقظة ؟ ولينظروا إلى خريطة العالم ليجدوا أنفسهم - وحدهم - هم الفائرون الثائرون الجائعون مع أنهم على دين الحق وغيرهم يعيش مرفها فى أبهى صور العزة والقوة مع أنهم على الباطل ... ؟

أيها الشيوخ والشباب كفاكم عبثا، وثوبوا إلى تعاليم الإسلام الحنيف دون تحايل بفلسفات الفرق التى دَرَسَت معالمها، ولم تخلف لنا إلا الجحيم الذى نصطلى به على السواء .

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

آية ٢٢ سورة الزمر

وبالله التوفيق

دعوة الإسلام إلى الإخلاص فى العمل

للأستاذ / محمد صابر البرديسى

قال رسول الله ﷺ : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كُوَّةٌ لخرج عملُهُ كائنا ما كان » .

رواه الإمام أحمد - .

أولاً : اللغـــة :

١ - صماء : أى صلبة متينة .

٢ - كوة : أى فتحة - أى نقب فى بيت او غيره .

٣ - كائناً ما كان : أى : على أى وجه كان .

ثانياً : ما يشتمل عليه الحديث :

١ - الإخلاص خلق إسلامى كريم .

٢ - الإخلاص فى السر والعلانية .

٣ - النية الخالصة .

البيـــان

١ - الإخلاص خلق إسلامى كريم :

الإخلاص : أن يأتى الإنسان بأعماله لوجه الله - وحده - نقية لا يشوبها رياء ، قياما بالواجب سواء فى العبادات ، أم فى سائر الأعمال ، وهو خلق إسلامى كريم .

الإخلاص من الصفات الروحية التى تسمو بالمرء إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنسانى ، فأهواء النفس والرياء والغايات الشخصية يحاربها الإسلام ليحل محلها الإخلاص لله .

لهذا أولاه الإسلام اهتماماً تاماً ، وقرنه بالعبادة وكان له مقداره عند الله تعالى وآثاره فى الناس ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ « سورة البينة آية رقم ٥ » ..

وقال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾ « سورة الزمر آية رقم ٢ » .

٢ - الإخلاص فى السر والعلانية :

وبالإخلاص يكون الإنسان فى زمرة

دعوة الإسلام إلى الإخلاص

المؤمنين ، يقول الله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ « سورة النساء آية رقم ١٤٦ » .

وهذا ما أمر به الرسول ﷺ يقول على لسان ربه : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ « سورة الزمر آية رقم ١١ » .

والإخلاص « سر بين العبد وربه » وأدق ما قيل فيه أنه : « ما لا يكتبه الملكان ، ولا يفسده الشيطان ، ولا يطلع عليه إنسان » ، وكلما كان العمل بعيداً عن الرياء والسمعة كان مقبولاً - ولهذا يقول المصطفى ﷺ : قال الله عز وجل : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك » - رواه ابن ماجه .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك - رواه الترمذى .

فالله سبحانه وتعالى لا يتقبل الأعمال من العبد ولا يرتضيها إلا إذا كانت خالصة لوجهه ، وراقب الله فيها فى السر والعلانية فمن أخلص لله ، يسر الله له الأمور ودفع عنه الشرور ، وعاش صافى القلب طاهر الطوية ، سليم السريرة فعلى الإنسان أن يخلص فى عمله وأن يكون ظاهره كباطنه فمهما أخفى من عمل وأظهر خلاف ما يبطنه فلابد أن يظهر فـ « مهما تبطن تظهره الأيام »

« ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس - تعلم » .

وفى حديث للترمذى - رضى الله عنه - : «فلو عمل ذنباً فى قعر بيت مظلم فى ليلة مظلمة فى جحر لبدا » - أى لظهر -

وفى القبس الذى معنا : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله كائناً ما كان »

٣ - النية الخالصة :

ولما كانت الأعمال الخالصة لله وحده لابد لها من سابق نية وعزم نجد الإسلام يهتم بالنية ويجعلها محوراً تدور عليه أعمال العبد . قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » - رواه البخارى ومسلم - ..

فالنية الطيبة ثمرة التربية الخلقية الصالحة التى تجعل الإنسان عضوا ممتازاً

فى المجموعة الإنسانية ، وقد جعلها الإسلام الأصل فى قبول الأعمال عند الله خالصة له .

فالخير ليس خيراً إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله ، والعمل الطيب ليس طيباً إلا إذا استنار بأوامره ، ولا شك أن هذا مقياس قويم فى تقدير الرجال والأعمال ، يصحح الأوضاع ويسمو بالمجتمع إلى مستوى رفيع من الكمال ، إذ يجعل الأقوال والأعمال منوطة بغاية واحدة هى أن تكون لله ، فلا يحب المؤمن ولا يبغض ولا يفعل ولا يترك إلا لله .

ولقد ضرب المسلمون الأولون المثل الأعلى فى التمسك بالإخلاص ، فغيروا مجرى التاريخ ، ودانت لهم الممالك وكانوا سادة العالم ، والعكس صحيح حين يستولى الهوى والنفس والشيطان على الناس فيهوى المجتمع إلى الحضيض ، إذ عند ذلك يختفى « الإخلاص مرضاة لله » ليحل محله « النفع الشخصى على أية حال كان » ، ولا سبيل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية إلا بالرجوع إلى الإخلاص ، وقد نبه إلى ذلك الرسول ﷺ فى كلمة لسعد بن أبى وقاص قال له : ياسعد إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعواتهم وصلاتهم » . رواه النسائى .

أى ليس بكبرائهم أو ساداتهم فالوزن الحقيقى فى ميزان الأمم لما تمتلىء به القلوب ، من نقاء وصفاء ونيات صالحة ومقاصد شريفة ، وحب للخير - وبغض للشر ، وأن الإنسان ليس له من عمله إلا ما كان خالصاً .

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء : أى ذلك يكون فى سبيل الله ؟

فقال ﷺ « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » - رواه البخارى ومسلم .

وقد يكون العمل الذى يأتى به المرء مما تدعو إليه طبيعته ، أو يقضى به واجبه ، أو تدفع إليه عاطفته ، ولكن الرسول ﷺ مع هذا يرشدنا إلى أن الإخلاص يجعل من هذا العمل عبادة يثاب المرء عليها ، وقربة ترتفع بها عند الله منزلته ..

يقول رسول الله ﷺ : « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها حتى ما تجعل فى فم امرأتك » - رواه البخارى ..

نفقة المرأة على زوجها واجبة بحكم الشرع ، وإطعامها إلى جانب ذلك أمر محبب إلى نفسه ، ومع هذا يقرر الرسول ﷺ أن ابتغاء وجه الله فى عمل ذلك الواجب المحبوب سبيل إلى الأجر والمثوبة فيؤجر المرء على ذلك وينال من الله الثواب .

ولا يوجد تشريع يدفع إلى القيام بالواجب ، ويغرى به ، ويطمع فيه مثل التشريع الإسلامى ، الذى يجعل من النية والقصد ، والإخلاص فى العمل سبيلاً إلى مضاعفة الأجر ، وحسن القبول .

نسأل الله أن يوفقنا لعمل الخير والإخلاص فيه ..

والله الموفق ..

من دلالات النبوة

عند خاتم الرسل والأنبياء

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾

وكان اختيار المولى ـ عز وجل ـ لرسوله الخاتم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون عربياً مبعوثاً للناس اجمعين ـ اختياراً يمثل صدمة لفرق اهل الكتاب ، ومفاجاة ومفارقة لم يتوقعوها فما منهم من فرقة إلا كانت تتوقع ان يكون ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها .

والله يعلم حيث يجعل رسالته ، ويختار لها فكانت لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤيدة بالوحى الذى تنزل عليه على مدى ثلاثة وعشرين عاماً قرآناً عربياً غير ذى عوج منجماً حسب الحوادث والأحوال جامعاً لأحكام الدنيا والدين لا يفرط منهما فى شىء ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١) .

وأهل الكتاب بعض بنى البشر الذين أرسل إليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك أخبرتهم أنبياؤهم ، وسجلت تلك الحقيقة الكتب المنزلة على الرسولين النبيين : موسى وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ولا حجة لأحد من أهل الكتاب إذا ادعى أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس مرسلاً إليه . قال تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢) .

وفى الكتاب العزيز : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾(٣) .

وروى أبو نعيم رضى الله عنه : « من بلغه القرآن فكأنما شافهته » ، وقد أشار القرآن

---

(١) سورة الأعراف ١٥٨ .
(٢) سورة المائدة ١٩ .
(٣) سورة الأنعام ١٩ .

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

الكريم إلى فلاح من استجاب إلى دعوة الإسلام ، وانتظم فى صفوف المسلمين فقال سبحانه :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٤) .

عقيدة الإسلام فى التوحيد عقيدة فريدة :

فهو فى عقيدته النقية بتقريره التوحيد المطلق لله سبحانه وعدم مساواة أى مخلوق به وتقرير صفات الجلال والجمال لذاته المقدسة يختلف كل الاختلاف عن العقائد الأخرى ، لا سيما تلك العقائد التى لا ترى حرجاً فى تقرير البنوة والولادة والشركة والأوصاف البشرية لله ـ عز وجل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً(٥) .

الآداب والوصايا فى الوحى المكى والمدنى :

والوحى فى مكة وفى المدينة جمع كل الآداب والوصايا والمبادىء الرفيعة الموزعة فى الكتب السماوية السابقة وزاد عليها آداباً ووصايا ومبادىء أخرى احتاج إليها العالم فى تقويم فطرته ، وصيانة حياته ، وذلك كله إلى جانب ما صحح من عقائد واستن من شرائع لم تكن معروفة فى العبادات السابقة أو فى القوانين القديمة التى كانت سائدة(٦) .

من اين جاء القرآن الكريم ؟

يستعرض المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز جوانب هذه القضية فيقول : هل جاء به من عند نفسه ومن وحى ضميره ؟ أم من عند معلم ؟ ومن هو ذلك المعلم ؟

إنه ليس من عمل صاحبه بل ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾(٧) ، ذلكم هو جبريل عليه السلام تلقاه من لدن حكيم عليم ثم نزّله بلسان عربى مبين على قلب محمد ـ صلى الله عليه وسلّم ـ فتلقنه منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصاً من النصوص ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا :

١ ـ الحكاية والتبليغ .

←

(٤) سورة الأعراف ١٥٧ .

(٥) راجع لهذا المقام كتاب : دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين تأليف الشيخ محمد الغزالى الطبعة الرابعة عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

(٦) المرجع السابق .

(٧) سورة التكوير ١٩ ـ ٢١ .

٢ ـ البيان والتفسير .
٣ ـ التطبيق والتنفيذ .

أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل وليس له من أمرهما شيء ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾(٨) هكذا سماه القرآن حيث يقول : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾(٩) ، ويقول ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾(١٠) .

أما بشأن الإيحاء اللفظى فيقول : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾(١١) ، ويقـول : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾(١٢) ، وقـولـه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾(١٣) ، وقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(١٤) ، وقوله : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾(١٥) ، وقوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾(١٦) .

ففى هذه الآيات عبر بالقراءة والإقراء والتلاوة والترتيل وتحريك اللسان وكون الكلام عربياً وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعانى البحتة .

وبناء على ما سبق فإن القرآن صريح فى أنه (لا صنعة فيه لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا لأحد من الخلق ، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه)(١٧) .

ثم يستطرد الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول :

وفى الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضياً يقضى بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التى جاءت بلسان صاحبها على نفسه ، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل ذلك أنها ليست من جنس الدعاوى فتحتاج إلى بينة ، وإنما هى من نوع الإقرار الذى يؤخذ به صاحبه ، والقول بأن نبي الإسلام أراد بما قام به الوصول إلى غاية إصلاحية فيعبر إليها على قنطرة من الكذب والتمويه ، فإن ذلك مما يأباه علينا الواقع التاريخي كل الإباء فإن من تتبع سيرته الشريفة فى حركاته وسكناته وعباراته ، وإشاراته ، فى رضاه وغضبه ، فى خلوته وجلوته لا يشك فى أنه كان أبعد الناس عن المداجاة والموارية ، وأن سره وعلانيته كانا سواء فى دقة الصدق وصرامة الحق فى جليل الشئون وحقيرها ، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها ،

---

(٨) سورة النجم ٤ .
(٩) سورة الأعراف ٢٠٣ .
(١٠) سورة يونس ١٥ .
(١١) سورة يوسف ٢ .
(١٢) سورة الأعلى ٦ .
(١٣) سورة القيامة ١٦ ـ ١٩ .
(١٤) سورة العلق ١ .
(١٥) سورة الكهف ٢٧ .
(١٦) سورة المزمل ٤ .
(١٧) انظر فيما تقدم كتاب النبأ العظيم تأليف المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز طبعة عام ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١٨) ، ولقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول ، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً ، ولكنه كانت تمضى الليالى والأيام تتبعها الليالى والأيام ولا يجد فى شأنها قرآناً يقرؤه على الناس ومثاله ما أرجف به المنافقون بحديث الإفك عن زوجه الطاهرة عائشة رضى الله عنها وأبطأ الوحى وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس (إنى لا أعلم عنها إلا خيراً) ، ثم مضى شهر بأكمله لم يزد على أن قال لها آخر الأمر (يا عائشة أما إنه بلغنى كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله) ، هذا كلامه بوحى ضميره وهو كما نرى كلام البشر الذى لا يعلم الغيب .

على أنه لم يغادر مكانة بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل عليه صدر سورة النور معلناً براءتها ومصدراً الحكم المبرم بشرفها وطهارتها . فماذا كان يمنعه لو أن أمر القرآن إليه أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمى بها عرضه ويذب بها عن عرينه وينسبها إلى الوحى السماوى لتنقطع ألسنة المتخرصين ؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله قال جل وعلا :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾(١٩) .

وأخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه ...

حتى فى أقل الأشياء خطراً ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾(٢٠) . ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾(٢١) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢٢) .

أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل ؟ ألم يكن له فى السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه ؟

لو كان هذا القرآن يفيض عن وجدانه لكان

←

(١٨) سورة يونس الآية ١٦ .
(١٩) سورة الحاقة آية ٤٤ ـ ٤٧ .
(٢٠) سورة التوبة آية ٤٣ .
(٢١) سورة التوبة آية ١١٣ .
(٢٢) سورة التحريم آية ١ .

من دلالات النبوة

يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئاً من ذلك الوجدان ، ولو كان كاتماً شيئاً لكتم أمثال هذه الآيات ، ولكنه الوحى لا يستطيع كتمانه كما قال جل جلاله : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾(٢٣) .

ولو نظرنا فيما وقع العتاب عليه لوجدناه ينحصر فى شىء واحد وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثماً اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه فلم يكن بين يديه نص فخالفه كفاحاً ، أو جاوزه خطأ ونسياناً بل كان مجتهداً بذل وسعه فى النظر ورأى نفسه مخيراً فتخير ، على أن الذى اختاره كان من خير ما يختاره ذو حكمة بشرية ، وإنما نبهه القرآن إلى ما هو أرجح فى ميزان الحكمة الإلهية(٢٤) .

وبعـــــد

فإذا لم تكن هذه هى حقيقة النبوة وسمات الرسالة إلى خاتم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليه فماذا تكون النبوة والرسالة إذاً ؟

إن القرآن الكريم رسول حى يسأله المرء فيجيبه ويستمع إليه فيقنعه حتى فى عقيدة البعث والجزاء ونراه ينوه بشمول القدرة الربانية والإرادة العليا فى ثنايا أية إجابة على سؤال موجه ، وكيف صيغت المعانى فى أخذ ورد واعتراض ودفع كأنها حوار سيال يتعدى أصحابه حتى يجمع الناس إلى آخر الدهر لا يختص به زمان دون زمان ولا مكان دون مكان فهو خطاب للعقل العام فى جميع البشر .

ولكن المستشرقين عموماً ينقصهم حذق اللغة العربية وتفهم أساليبها البليغة وهذا ما جعلهم يفسرون نصوص القرآن والسنة على غير وجهها لعجزهم عن فهم معانيها الحقيقية فضلاً عن أغراضهم السيئة ضد الإسلام وشريعته .

فإذا كان بعضهم يهودياً تعذر عليه التخلى عن نزعته اليهودية ، وما استطاع أن يزيل من وعيه أن الإسلام من وضع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أنه كان تلميذاً للكتابيين .(٢٥)

أما المستشرقون الغربيون فإنهم عموماً لم يمارسوا دراساتهم لبحث ما فى الإسلام من حقائق ولكنهم زاولوها كلون من ألوان الفكر التاريخي وهم قد لقنوا من قبل مبادىء وأفكاراً خاصة عن الإسلام كلها أكاذيب ومختلقات إذ كانت سلاحا من أسلحة الدعاية الحربية ضد الإسلام والذى كانت علاقته بالغرب متمثلة فى الدولة البيزنطية علاقة حرب وعداء فيجهدون أنفسهم للبحث عن نقائص له وعيوب ويغضون عن كل ما له من مزايا

---

(٢٣) سورة التكوير ٢٤ .

(٢٤) كتاب النبأ العظيم ـ المرجع السابق .

(٢٥) كتاب الإسلام والمستشرقون للدكتور عبد الجليل شلبي صـ ٤٦ طبعة دار الشعب عام ١٩٧٧ .

وآثار طيبة(٢٦) ، حتى صار هذا الجانب جزءاً لا ينفصل عن الثقافة الأوروبية ، ولا يستطيع أحد التخلص منه بسهولة ، يقول جوتشالك : (إن التقاليد الأوروبية الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ تجعل من الصعب علينا أن نلتزم الحياد فى بحث سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - فتأثير المسيحية متغلغل فى كل جوانب مجتمعنا لدرجة لا تمكننا من الفصل بين حياته وبين رسالته الدينية ، وهجوم بعض النقاد على القرآن الذى هو دستور الحياة للمسلمين أقل بكثير من الهجوم على سيرة محمد ومقصدهم من ذلك إفهام الأوروبيين أن من تكون حياته على هذا النحو لا يمكن أن يكون جاداً فى دعوته للناس إلى دين صحيح)(٢٧) .

ومع ذلك ورغم هذا الإنكار والجحود فإن الحق أبلج مهما تواطأ عليه أنصار الباطل فهذا هو الأستاذ « إدوار لمبير » ، وهو فرنسى وكان ناظراً لمدرسة الحقوق الخديوية فى القاهرة عام ١٩٠٦ يعلن على الملأ أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة وأنه ليس للقانون الرومانى أى أثر فيها .

كما قال الدكتور إيزكو انساياتو : (إن الشريعة الإسلامية تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الأوروبية بل هى التى تعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً) .

أما الدكتور (شيرك) عميد كلية الحقوق بجامعة فينا فقد أعلن فى مؤتمر الحقوقيين قوله : (إن البشرية لتفخر بانتساب رجل « كمحمد » إليها إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة)(٢٨) .

قال جل وعلا : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(٢٩) .

محمد عزت الطهطاوى

(٢٦) كتاب صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلبي نشر دار الشروق الطبعة الثانية عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ - ٢٦ .

(٢٧) بحث حوار مع المستشرقين للدكتور محمد شامة من ابحاث المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة صفر عام ١٤٠٦ هـ نوفمبر عام ١٩٨٥ م .

(٢٨) كتاب آراء فلاسفة وعباقرة الغرب فى الإسلام تأليف الأستاذ زكريا هاشم زكريا طبعة الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٨ م .

(٢٩) سورة الصف ٩ .

محاولة لاستكشاف
الثقافة الإسلامية

تمهيـــد :

هنـاك محـاولات كثـيرة معـاصرة لاستكشاف الثقافة الإسلامية ، ودراسة مفهومها وطبيعتها وخصائصها وجوانبها المختلفة .

ولعل أكبر عقبة تعثرت عليها معظم هذه المحاولات ـ رغم جدية بعضها ـ هى عقبة المصطلحات . فالحقيقة أن محاولة فهم الثقافة الإسلامية من خلال المفاهيم والمصطلحات الغربية هى محاولة عقيمة ، إذ أنها محاولة مصطنعة تضع الثقافة الإسلامية فى غير بيئتها الطبيعيـة ، وتقتطعها من أصولها الإسلامية ، أى من جذورها العريقة وهى جذور الحضارة الإسلامية ، التى تشبه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

ولا شك أن الثقافة الإسلامية فرع عظيم من فروع هذه الشجرة ، فإذا قطع منها ، أو فصل عنها ، فإنه لا يلبث أن يذبل ويموت .

ولذلك لا تؤدى تلك المحاولات إلى تحقيق رؤية واضحة للثقافة الإسلامية بل ـ على العكس ـ تؤدى إلى غموضهـا وغبشها ، وإثارة البلبلة الفكرية حولها .

إن الثقافة الإسلامية جزء لا يتجزأ من البناء الإسلامي المتكامل ، إنها خلايا فى الجسم الإسلامي الحىّ ، ومن ثم ينبغى أن تدرس من خلال تركيبها العضوى ... من خلال بيئتها الطبيعية ... من خلال سياقها الحضارى : أى من خلال مفاهيم الإسلام ومصطلحاته ، ومن خلال مصادره وأصوله فى القرآن الكريم والسنة .

وفى رأيى المتـواضـع أن مفهـوم (الحكمة) ـ كما ورد فى القرآن الكريم ـ هو أدق المفاهيم دلالة على طبيعة الثقافة الإسلامية ، وأوثقها صلة بخصائصها المتميزة .

ولنوضح هذه الحقائق نبدأ بعرض موجز للثقافة بالمفهوم الغربى ، يليه استكشاف للثقافة الإسلامية وخصائصها من خلال مفهوم (الحكمة) ، مع المقارنة ـ ما أمكن ـ بين الثقافتين .

* * *

د. أحمد عبد الحميد غراب

الثقافـــة الغربيـــة

مفهوم الثقافة فى الغرب

اصلها اللغوى :

إن الأصل اللغوى لكلمة ثقافة Culture فى اللغات الأوروبية يبين أن لها صلة واضحة بالزراعة وتنمية الزرع وتعهده .

ولذلك نجد الأصل الذى اشتقت منه وهو Cultivate يعنى فى الجانب المادى : تعهد الزرع وتنميتـه ، وفى الجانب المعنوي : تنمية بعض الصفات الحميدة فى الإنسان : كتنمية عقله ، او تهذيب خلقه ، أو تقويم سلوكه ، او توثيق صداقته ومودته مع إنسان آخر .

ومن ثم فالثقافة تتصل بالجوانب التى يمكن أن تنمى وتزكى فى الإنسان .

فالفلسفة ثقافة العقل : أى تؤدى إلى تنمية العقل .

والفنون ثقافة الذوق والوجدان : أى تؤدى إلى تنميتهما وتهذيبهما .

ومن هنا كان التركيز فى الثقافة الغربية على المعارف الإنسانية وبخاصة الآداب والفنون ، وكذلك على التراث الكلاسيكى القديم لليونان والرومان (وبخاصة على اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما) ، باعتبار أن هذا التراث يُكوِّن الجذور الثقافية للآداب والفنون الغربية المعاصرة .

ومن هنا ايضاً يطلق مصطلح الثقافة فى الاستعمال اليومي الشائع فى الغرب ويقصد به عادة : النشاطات الادبية والفنية والموسيقية .

أى النشاطات التى تؤدى إلى تنمية العقل ، وترقية الذوق ، وإرهاف الوجدان ، وهى النشاطات التى تشرف عليها وترعاها وزارات الثقافة والمؤسسات الثقافية مثل : مجلس الفنون Arts Council فى بريطانيا .

تعريفات الثقافـة :

هناك تعريفات كثيرة لمصطلح الثقافة فى الغرب ، ومن أهمها تعريفان(١) :

التعريف الأول :

تعريف عام شامل للثقافة الإنسانية بوجه عام ، وهو تعريف تايلور E.B Tylor (عالم بريطانى فى علم الإنسان : Anthropology)

←

(١) راجع مواد :
Civilization And Cultural Evolution
Human Culture :
The new Encyclopedia Britannica : فى
(15 IH Ed 1975) Vol . 4 PP . 657 , Voi . 8/ PP . 1151

← محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية

فى كتابه : **الثقافة البدائية** Primitive Culture الصادر سنة ١٨٧١ :

وهو أن الثقافة Culture **نظام كلى متشابك ومعقد ، يشمل : المعرفة ، والدين ، والفن ، والأخلاق ، والقانون ، والعادات ، والتقاليد ، أى جميع العناصر التى يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً فى مجتمع .**

وطبقاً لهذا التعريف تتميز الثقافة بخصائص أهمها :

(١) أنها ظاهرة إنسانية : أى خاصة بالإنسان ، ولا نجدها عند الحيوان .

(٢) أنها ظاهرة مكتسبة : أى تتعلم وتكتسب ، يتعلمها الفرد ويكتسبها من المجتمع الذى يعيش فيه ، وليست وراثية ، أى ليست من الخصائص البيولوچية الحتمية التى تورث .

(٣) أنها ظاهرة اجتماعية : أى يكتسبها الفرد باعتباره عضواً فى مجتمع ، فلا يمكن أن يكتسبها وهو يعيش وحده فى عزلة .

(٤) أنها نظام كلى متشابك ومعقد ، فليست ظاهرة بسيطة ، بل مكونة من عدة ظواهر متشابكة .

(٥) أنها ظاهرة عامة : توجد فى كل المجتمعات الإنسانية ، ولا تختص بمجتمع دون آخر .

وهذا التعريف هو أشهر التعريفات .

التعريف الثانى : يجعل الثقافة ظاهرة خاصة مرتبطة بمجتمع معين .

وقال بهذا التعريف مجموعة من علماء الإنسان الأمريكيين فى كتاب صدر سنة ١٩٥٢ م ، بعنوان : الثقافة : مراجعة نقدية للمفاهيم والتعريفات .

Culture : A Critical Review Of Concepts And Definitions. **والثقافة ـ طبقاً لهذا التعريف ـ هى : نظام اجتماعى يستمد من تاريخ وتراث مجتمع معين ، ويظهر فى منهج خاص للحياة (متقدم أو متخلف) يتبعه أفراد ذلك المجتمع . وهذا النظام يشمل :**

اللغة ، والتقاليد ، والمؤسسات ، والأفكار الموجّهة ، والعقائد ، والقيم ، التى تسود فى الواقع الاجتماعي .

الثقافة والحضارة :

أما الحضارة : فهى منهج حياة متقدم يظهر خاصة فى المدن والحواضر .

(كلمة حضارة Civilization **مشتقة من كلمة لاتينية هى :** Civis **ومعناها مواطن المدينة . ومن خصائصها : سكنى المدن ، واستعمال الكتابة ، وتقسيم العمل) .**

وفى القرن الثامن عشر شاع استعمال الثقافة والحضارة كمترادفين ، يدلان على الرقى فى أسلوب الحياة بمظهريها : المادى والمعنوى ، وهو الرقى الذى يمثل خصائص ذاتية لكل مجتمع : كاللغة والدين والفلسفة والفن .

* * *

أهم خصائص الثقافة الغربية

لاشك أن للثقافة الغربية جوانب إيجابية لا ينكرها منصف ، ومنها على سبيل المثال :

الـولـوع بـالبحث العلمـى ، وروح الاستكشاف والاختراع ، واحترام الوقت ، والمقدرة على التنظيم والتخطيط ، واستخدام التكنولوجيا فى التقدم (بالمفهوم المادى غالباً) ، وكثرة المؤسسات الثقافية التى تـرعى الفكر والعلم وتشجـع المفكرين والعلماء .

ولكن هناك جوانب أخرى سلبية ، لا نبالغ إذا وصفنا معظمها بأنها جوانب شريرة ، وهذه الجوانب لا تمثل صفات عارضة أو مؤقتة ، بل تمثل خصائص جوهرية ثابتة فى الثقافة الغربية .

ومن أهم هذه الخصائص ما يلي :

(١) ارتباطها الوثيق بجذورها التاريخية والحضارية : أى بأصولها فى التراث الإغريقي ـ الرومانى The Creco — Roman Lecacy

ومن هنا يبرز اهتمامها الشديد باللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما ، وبالفلسفة اليونانية ، وبالأدب اليوناني القديم الذى يشمـل الأساطـير اليونـانيـة ، والمسرح اليونانى .

وكذلك اهتمامها الشـديد بـالفنون اليونانية والرومانية الوثنية التى تمجد الجسد والشهوة ، وبخاصة فنون النحت والموسيقى ، والرقص والغناء (ولاسيما الأوبرا والباليه) . وهذا الاتجاه اليوناني ـ الرومانى فى الثقافة الغـربية كـان ـ ولايزال ـ له أنصاره المتحمسون فى العالم العربى والإسلامى ، وعلى راسهم انصار الثقافة الهللينية والأوروبية من الأدباء أمثال طه حسين[٢] ، ولطفى السيد ، وزكى نجيب محمود ، وكذلك انصار الفنون الغربية من الحكام امثال الخديوى إسماعيل ، الذى تسبب فى إفلاس مصر بإسرافه فى الإنفاق على احتفالات قناة السويس ، وإخراج أوبرا عايدة ، ومحاولاته المحمومة لجعل مصر « قطعة من أوروبا » .

(٢) ثقافة طبقية عنصرية :

إن الثقافة الغربية بجذورها الإغريقية ـ الرومانية القديمة ، وباتجاهاتها الاجتماعية والفكرية الحـديثة ـ تصطبـغ بصبغتين واضحتين :

أ ـ صبغة طبقية : أى ثقافة الصفوة The Elite فالذين يحصلون على أرقى وأعلى مستوى من هذه الثقافة هم فى الواقع الأقلية المتـرفـة من الأغنيـاء وأبنـاء الطبقـة الأرستقراطية (علية القوم) فى الدول الاستعمارية ، وبخاصة فى بريطانيا ، حيث يتلقى أبناء هذه الطبقة تربية خاصة فى مدارس تسمى المدارس العامة !! Public Schools ذات مصاريف باهظة (لا يستطيع دفعها الأغلبية من عامة الشعب) ، ثم يلتحقون بعدها بالجامعات الأرستقراطية مثل (أكسفورد) و(كامبردج) ، ويتلقون فى تلك المدارس والجامعات تلك الثقافة الغربية ،

(٢) ولا سيما فى كتابه **مستقبل الثقافة فى مصر** . حيث « يؤكد » أن مصر تنتمى ثقافياً إلى أوربا ، ويدعونا إلى أن نأخذ الحضارة الأوروبية بخيرها وشرها وحلوها ومرها .

التى تشبه ثقافة الفلاسفة فى جمهورية أفلاطون ، التى تقوم أيضاً على فكرة المجتمع الطبقى ، الذى تُعَدُّ لحكمه طبقة الفلاسفة إعداداً طويلاً ودقيقاً .

ولعل الفرق بين طبقة الفلاسفة القديمة وطبقة الصفوة الحديثة أن هذه الطبقة الأخيرة تعد ثقافياً ليس لحكم شعوبها فحسب ، بل بالدرجة الأولى لحكم الشعوب الأخرى التى ينظر إليها غالباً نظرة دونية عنصرية .

ب ـ صبغة عنصرية : وهذه الصبغة واضحة فى الثقافة الغربية وبخاصة فى الدراسات التى تسمى الدراسات الإنسانية Humanities وفى الفنون ، والعلوم الاجتماعية .

يقول المرحوم الدكتور إسماعيل الفاروقى (٣) :

« إن مفهوم الإنسان فى العصر الحاضر ، فى ظل مفاهيم الحضارة الغربية ، يكاد يقوم كله على العنصر (العِرْقِ) كتحديد مطلق للإنسانية ، ومفهوم المجتمع يقوم على العنصر كأساس مطلق للنظام والبناء الاجتماعى ، ولم تتح أبدا فرصة تجربة وممارسة مبدأ عالمية « عصر التنوير » قبل أن يتم رفضه لصالح المبدأ العنصرى الذى دانت له الرومانتيكية .

بل لقد كانت عالمية « عصر التنوير » تجديدات نظرية وموضع شك ... حيث تعتبر أن مختلف شعوب البشر تندرج ما بين رفيع ووضيع على أساسين أحدهما تصور أوروبى موروث ، والآخر يتأتى من تصور دلالة الخصائص الذاتية الداخلية للشعوب الآسيوية والأفريقية والأوروبية .. ولقد حدد هؤلاء المفكرون الإنسان على أنه حصيلة لوظائف مجموعة من الحقائق والخصائص والصفات والقدرات والقوى التى تنبثق وتتغذى من تصور غيبي غامض لوطن أو سلالة أو شعب أو دم يمتد فى غموض إلى أبعاد زمنية لا نهائية ، ومن تقاليد تمتد جذورها إلى أعماق وأبعاد لا نهائية فى الزمان والمكان .

والأسوأ أن هذه الأمور لم يتم عرضها وفهمها على أساس من العقل ، وإنما يتم عرضها وتكتسب القناعة بها بأساليب عاطفية ، ومن خلال التهيؤ الذاتى والحدس الشخصى ، وقد وجدت هذه المفاهيم أبلغ وأوضح تعبير عنها فى الفنون ، خاصة الموسيقى والرسم والأدب ..

لقد استمرت الدراسات الإنسانية فى الغرب تتحدث عن « الإنسان » و« الإنسانية » ، لكن بالمفهوم الذى يحصر مضمون هذه المصطلحات فى « الإنسان الغربى » و« الإنسانية الغربية » وهى حين لم تستبعد تماماً من دائرة الإنسانية ملايين « السود » و« الحمر » و« الصفر » فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ـ فلأنها عدتهم مخلوقات قريبة من الإنسانية يمكن أن تستعمر ، وأن تستغل لصالح الإنسانية

(٣) د . إسماعيل الفاروقى : **إسلامية المعرفة** (المعهد العالمى للفكر الإسلامى . واشنطن ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) ص ١٠٧ ـ ١١١ .

الغربية ، وهذه دراسات ومفاهيم ، ولكن يجب أن تدرس على أنها عينات ونماذج لعصر مرّ به الغرب فى فترة ما من فترات تاريخه وتطوره ، وبذلك تسهم هذه الدراسات فى تمكين الإنسان الغربى من فهم ذاته وتاريخ تطوره » .

ويتحدث المرحوم الدكتور / الفاروقى عن العلوم الاجتماعية فيقول :

ـ إنه بتأثير هذه العنصرية تطورت أيضاً العلوم الاجتماعية الغربية : التاريخ والجغرافيا والاقتصاد وعلم السياسة والاجتماع والأنثروبولوچيا (علم الإنسان) ، وهى تقوم كلها ، كل بطريقته الخاصة ، على أساس نظرة عنصرية مؤداها أن الأمة أو الكيان العنصرى ، بمفهومها المحدد جغرافياً وسكانياً وتاريخياً ... هى الوحدة المطلقة للتحليل والتقويم .

وحينما يتحدثون عن « المجتمع » أو « النظام الاجتماعى » ، فإنهم يقصدون كيانهم ونظامهم القومى . بعضهم يذكرها صراحة منذ الصفحة الأولى ، وآخرون لا يصرحون بها على أساس أنها أقوى الفروض الأساسية التى لا تحتاج إلى ذكر . ويؤكد علم الاجتماع بجرأة ووقاحة على المقولة العنصرية ؛ لأنه يتعامل مباشرة مع المجتمع والنظام الاجتماعى وعلى أثره يقفو علم السياسة .

أما علم الجغرافيا والتاريخ الغربيين فلا يتصوران العالم إلا كتابع للغرب . عالم يدور حول بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا ، التى هى بمثابة القلب أو النواة له ..

أما علم الاقتصاد الغربى فقد كان فى مراحله الأولى بعيداً عن الموضوعية العلمية بحيث ادعى لنفسه مكانة العلم العالمى ، لكنه أرجع إلى مكانه كتحليل غربى لأمة غربية على أيدى النازيين ..

وأخيراً فإن علم الإنسان والأنثروبولوچيا ، يعتبر أجرأ هذه العلوم الاجتماعية جميعاً .

فالإنسانية فى نظره صراحة تعنى العنصرية ..

وفى القرنين الأخيرين كان تأثير هذا العلم يسوق البشرية إلى سعار من الوعى بالعنصرية ، وذلك من خلال فرز مجموعات ثانوية واحدة بعد الأخرى ، وإقامة نظام من المبادىء والقيم لكل منها ، مستقى من الخصائص الذاتية لها ، أو ما لفقه دعاة هذا العلم ، وأعلنوا أنه ذاتى ومختص بتلك المجموعة العرقية . فبدلاً من إدراك الخصائص العالمية فى الإنسان وتأكيدها ، إذا بهذا العلم ينمى ويضخم بشكل كبير ، الجوانب الخصوصية » .

وقد جمع الدكتور ادوارد سعيد فى كتابه الاستشراق(٤) مجموعة كبيرة من النصوص والحجج توضح هذا الجانب العنصرى فى الثقافة الغربية كما توضح الصلة بين الاستعمار والاستشراق فى هذه الثقافة .

يتبع

---

(٤) راجع : Edward Said : Orientalism (London - Henley 1978) PP.5 - 6,31 - 41,86 - 7 , 94 - 6, 108 - 9 , 122 - 3 , 152 - 3, 192 - 4, 222 - 4 , 231 - 4, 321 - 5

وايضاً د . محمد البهى : **الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى** (ط ١١ مكتبة وهبة القاهرة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٢٤ ، ٤٣ ، ٥٦ .

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

٥

مشيخة مصر العربية

« من هنا ورايح[1] نسميها : مشيخة مصر العربية » ، بدلاً من « سفارة مصر العربية » ، هكذا علق أحد الظرفاء من أصدقائنا المصريين لدى انصرافنا من مأدبة الرئيس . وهذا الصديق هو الدكتور **مدحت الكاشف** رحمه الله ، وكان الدكتور **مدحت الكاشف** يعمل مديراً بالأمم المتحدة فى « نيامى » ، وكان معروفاً بطيبة قلبه ووداعته ، أما زوجته فكانت سيدة فرنسية بعيدة عن مفاهيمنا الإسلامية ، كذلك كان معنا الدكتور **فتحى الرشيدي** ، الأستاذ بمعهد الإدارة التابع للأمم المتحدة ، وهو متزوج من سيدة بلچيكية محافظة . وقد حضرت قرينتاهما حفل الرئيس ، فكان ذلك نقطة تحول بالنسبة لهما ، فقد أحستا بالاحترام العميق للمكانة الرفيعة التى حظيت بها سفارة الجالية المصرية لدى رئيس الدولة ، ونقلتا هذا الانطباع لأصدقائهما الأجانب من الفرنسيين وغيرهم ، بل كانتا تتوسطان لدى السفارة لإمدادهم بالنشرات والمطبوعات الفرنسية التى تتحدث عن الإسلام ، وتشرح رسالته رداً على استفسارات الأجانب الذين ازدادت تطلعاتهم إلى معرفة المزيد عن ديننا الحنيف .

هكذا اتخذت سفارتنا طابعا مميزاً ، وقد ترك هذا الطابع أثره فى نفوس أبناء جاليتنا المصرية الذين اتسمت علاقاتهم بسفيرهم من أول يوم بطابع المحبة والاحترام المتبادل ، فكانوا يعتبرونه قدوة وأباً لهم جميعاً مع فارق السن طبعاً ، ومن الذكريات التى أعتز بها ، تلك التى وقعت لى على حلقات مع زميل مصرى عزيز ، والتى بدأت بحديثه معى ذات يوم قائلاً :

ــ أود أن أوجه لك سؤالاً لولا أننى محرج منك .

ــ اسأل يا أخى ولا حرج ..

● الحقيقة أننى اعتدت ـ لاختلاطى بالأجانب ـ أن أجاريهم حتى لا أتهم بالتخلف .. فأتناول معهم الكأس أو الكأسين على سبيل المجاملة ليس إلا .. ولكننى ألاحظ أنك لا تشرب .. وهذا يحرجنى كثيراً ويجعلنى أخجل من الشرب أمامك .. فبماذا تنصحنى ؟ ..

ــ سؤالك وجيه ، وهو يدل على طيب

---

(١) تعبير بالعامية المصرية يعنى : من الآن فصاعداً .

للسفير/ جمال الديــن أبوالعيـون

عنصرك ، وأنك غير مقتنع بما تفعل .. وطبعاً لا تنتظر منى أن أنصح لك بالشرب ، كما أننى لا أستطيع فى الوقت نفسه أن أراقبك فى جلساتك الخاصة فأمنعك ، فالأمر إذاً متروك لضميرك ، ولكن إذا سألتنى عن رأيى الشخصى فأنا أتمنى أن يتوب الله عليك من الشراب .

ومضت أيام وأسابيع .. ويوماً قال لى صديقي ضاحكاً : « تصور ما وقع بالأمس لابنى الصغير الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات ؟ .. لقد رأى الخادم (البوى) يصلى الظهر فمضى يقلده فى حركاته راكعاً وساجداً ، ونحن نضحك من منظره !! » .. وانتهزت الفرصة السانحة لأوجه صديقي الذى لمست فى المناسبات السابقة أنه على استعداد طيب لتقبل التوجيه الرقيق :

— « الأمر يا أخى لا يستوجب الضحك بل الرثاء .. فكلامك يدل على أن ابنك من عنصر طيب،وعنده استعداد فطرى للصلاة ، ولكن هـذا الاستعـداد ـ وحـده ـ لا يكفى .. فالمفروض أن الابن يقلد أباه .. فإذا كان الأب لا يصلى فحسابه عند ربه ، ولكن ما ذنب الطفل البرىء إذا ما شب دون أن يتعلم الصلاة ، وفى رقبة من ذنبه ؟ .. حاول أن تصلى أمامه لكى ينشأ الولد على حب الصلاة والإسلام » .. وسكت صـديقي محرجاً .. وأحسست أنه يغالب البكاء فى صمت .. ومرّت على هذا الحادث أسابيع وأشهر .. ونقل صديقي إلى مصر .. وقابلته بعدها بسنوات لأفاجأ به ، وقد انقطع من تلقاء نفسه عن الشراب .. وصار مواظباً على الصلاة فى أوقاتها ، بل ويصحب السجادة معه حين يسافر إلى أوروبا .. فقد أدرك أن التبعية فى التقليد،وأن العزة فى التمسك بالقيم والأخلاق .. ثم إن الله فتح عليه وعلى زوجته فأديا فريضة الحج ، وتحجبت الزوجة ، وبارك الله لهما فى أولادهما ..

وفيما يتعلق بأسرتى الصغيرة فقد اتبعت معهم نفس المنهج الذى ربانى عليه أبى رحمه الله ، وهو القدوة الحسنة ، فشبت ابنتى وابنى بفضل الله على المعتقدات الإسلامية الأصيلة ، ولم يتأثرا بالمفاهيم الغربية فى المدارس الأجنبية التى اضطررت لإلحاقهما بها ، فكانا يدرسان فى مدرسة « لافونتين » الفرنسية المناهج العلمية والعملية . وفى عطلة الأحد من كل أسبوع كنت أنتهز الفرصة لأقص عليهما قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام ، وأسوق لهما درساً خفيفاً في آداب المعاملة الإسلامية ، وفى الوقت نفسه كنت أحرص كل الحرص على أن يأخذا حظهما من الترفيه البرىء المناسب لسنهما .

وأسجل الفضل كل الفضل لزوجتى التى أعانتنى كل العون فى توجيههما وتربيتهما حتى نشأ بفضل الله نشأة قويمة فى مراحل

« الغربة » ، مع الحرص دائماً على هذا الجانب الترفيهي فى إطاره والتجاوب (البناء) فى المدرسة لكيلا يشعرا بالوحشة والانعزال .. وهما مازالا للآن يحملان أجمل الذكريات للنيجر ، ويحلمان بالعودة إليها في يوم من الأيام .

حفـــلات الســـــمر

والحديث عن جاليتنا المصرية فى النيجر طريف ومشوق ، وأرجو أن أعود إليه مرات كثيرة بإذن الله ، ويكفى أن أذكر هنا أنها كانت جالية مشرفة ، وأن عدد أفرادها لم يتعد وقت وصولى للنيجر أصابع اليدين . فبالإضافة إلى موظفى السفارة ، وهما الزميل محمد أبو العطا والأخ سمير جلال ، كان هناك مدير شركة النصر الأخ إبراهيم هيبة وهو سكندرى حاضر البديهة لطيف المعشر ، ومساعده المحاسب كامل محمود (وهو رجل ملتزم ومتدين) ثم الأخ مصطفى على فنى المصاعد بالعمارة (شاب فيه رجولة من أبناء حى « السيدة زينب » شهم وخدوم) . وعدا هؤلاء كان منا ثلاثة من الخبراء بالأمم المتحدة ، هم: الدكتور فتحى الرشيدي، والدكتور مدحت الكاشف ، وقد مر ذكرهما ، والدكتور يوسف زكى ، ثم ثلاثة من مدرسى اللغة العربية والدين الإسلامى، وهم المشايخ: زكى عمارة، ومحمد على السيد ومصطفى الهمشرى ، وهؤلاء الثلاثة كانوا يعملون بأقاليم النيجر المختلفة..

أما عمدة الجالية المصرية فكانت بغير منازع السيدة الفاضلة سميحة عبد البصير قرينة الأستاذ القاسم البيهقى ، وهى مصرية صميمة من شبرا ، تعرّف قرينها إلى أسرتها حين كان يدرس فى مصر ، وتزوج بها ، وهو أصلاً من الطوارق ، وملامحه تشبه المصريين ، كما أنه يتكلم العربية بلغتنا تماماً ، وانتقلت مع زوجها إلى النيجر من سنين طويلة، وعملت معه بالتدريس، فإنها تحمل دبلوم معهد المعلمات بمصر ، وعاشت عيش أهل البلاد ، وارتدت ملابسهم الوطنية، وتعلمت لغتهم ، وأنجبت لزوجها ستة من الأطفال الذين يتقنون التحدث باللغة العربية بلهجتها المصرية المحببة .

وكان قد وفد إلينا بعد وصولنا بقليل خبيران جديدان أوفدتهما مصر للعمل بالنيجر عن طريق إعارتهما لحكومة ليبيا التى تعهدت بدفع رواتبهما ، وكان أحدهما طبيباً بيطرياً ، هو المرحوم الدكتور محمد شكرى (مدير قسم مكافحة الطفيليات بمصلحة الطب البيطرى) ، أما الآخر فكان خبيراً للشباب والرياضة ، وهو المرحوم الأستاذ أحمد وجدى حسن بالمجلس الأعلى للرياضة (وزارة الشباب سابقاً) ، وقد حضرا إلى النيجر خصيصاً ليحلا محل خبيرين إسرائيليين يعملان فى نفس المجال ..

وكان شكرى ووجدى عليهما رحمة الله صديقين حميمين ، وكانت لنا معهما نوادر وحكايات لا تنتهى وإن أنس لا أنسى اهتمامهما بساق ابنتى الصغيرة التى كان الدكتور شكرى يطمئننا عليها أولاً بأول مؤكداً: أن الساق البشرية لا تختلف فى تكوينها التشريحي عن « ساق الجاموسة » ، أما

وجدى فقد اهتم بالإشراف على العلاج الطبيعى لساقها بعد فك « الجبس » عنها حتى عادت بفضل الله إلى طبيعتها فى فترة وجيزة .

وكان وجدى ، باعتباره خبيراً فى الرياضة والشباب ، هو نجم الحفلات الأسبوعية التى اعتدنا إقامتها مساء كل يوم سبت فى «الكافتيريا» الملحقة بعمارة النصر ، ولذلك قصة طريفة :

كانت عمارة النصر فى بدء وصولنا مظلمة موحشة ، لا يزيد عدد الشقق المشغولة فيها عن سبع شقق من أربع وأربعين ، من الشقق السبع : خمس مخصصة للسفارة وشركة النصر ، وشقتان مشغولتان بالسيد جروندان ممثل الأمم المتحدة فى (نيامى) وخبيرة يوغوسلافية ، وقد يرجع السبب فى عدم الإقبال عليها فى بادىء الأمر إلى مفهوم العديد من الخبراء الأجانب الذين كانوا يفضلون سكنى الفيلات ذات الحدائق الواسعة ، ثم إلى الشائعات المغرضة التى أطلقها بعض الحاقدين ، ومؤداها أن العمارة آيلة للسقوط بدعوى أنها مبنية على أرض رخوة ترشح بالمياه الجوفية ، فكان لابد لنا من عمل دعاية مضادة ومكثفة نرد بها على تلك الشائعات وغيرها .

وفى البداية اتفقت مع الأخ كامل محمود محاسب بشركة النصر أن نضىء شرفات العمارة ليلاً لتبدو من بعيد متألقة وجذابة ، وكنا حين ندعو ضيوفنا لزيارتنا بالعمارة نلفت نظرهم إلى ما تنعم به من جو بديع ومنظر للعاصمة من حولنا لايضاهيه منظر فى جماله ، ثم إننا حرصنا على إقامة أول حفل استقبال كبير للسفارة فى (كافتيريا) العمارة بعد أن زيناها بالزخارف العربية الجميلة والأنوار المتلألئة ، فكانت قبلة للناظرين ..

وعند أول يناير ١٩٧٢ فكرنا فى إقامة حفلات سمر فى الكافتيريا مساء السبت من كل أسبوع لتوثيق الروابط بيننا من ناحية ، ولإحياء (الكافتيريا) والدعاية لها من جهة أخرى ، وتحمس أبناء الجالية المصرية للفكرة ، فجمعوا اشتراكات اشتروا التجهيزات اللازمة من أطباق وأدوات للمائدة ، ثم إننا قسمنا العمل بيننا على أن يقوم رب كل أسرة بالتناوب بإعداد الطعام مرة كل أسبوع ، فيكون هو المضيف ، واتسعت الحلقة تدريجياً ، وانضم إلينا أصدقاء لبنانيون وتوانسة ومغاربة وبذا تنوعت الأطباق الشهية من مختلف الأقطار العربية .

فكانت هذه الحفلات متنفسا لنا ولأطفالنا جميعا ، ننتظرها بفارغ الصبر من السبت إلى السبت ونمضى فيها أوقاتنا فى جوّ عائلى وسمر برىء تجتمع قلوبنا عليه أسبوعاً بعد أسبوع ، حتى انقضت ستة أشهر ، وبعدها اضطررنا للتوقف بمناسبة قدوم موسم الحرّ الشديد ولأسباب أخرى أرجو أن أسردها فى حينها ..

دور الأزهر

فى استقدام الطلاب الوافدين

ب ـ مدينة البعوث الإسلامية :

بعد أن تضاعف عدد الطلاب الوافدين ، وضاقت بهم الأروقة ، وحرصاً من الحكومة المصرية على توفير الاستقرار السكنى لهؤلاء الطلاب ، تم إنشاء مدينة ناصر للبعوث الإسلامية عام ١٩٥٩ ، وهى تتسع لأكثر من خمسة آلاف طالب ، ويلحق بها كل ألوان الرعاية الدينية والثقافية والصحية والاجتماعية والرياضية . وهذه المدينة ترعى طلابا ينتمون إلى جنسيات متعددة تختلف ألسنتهم ولهجاتهم وتقاليدهم وعاداتهم . وتهدف المدينة ، حسب البيانات الرسمية للأزهر ، إلى توثيق الصلات وإذابة الفوارق بين أبناء الشعوب الإسلامية وتوفير أسباب الراحة للطالب الوافد فى معيشته حتى يتفرغ لدراسته فى جو يعينه على تحصيل العلوم واكتساب الخبرات بصورة جدية .

وتقدم المدينة خدماتها للطلبة ، كما تقوم باختيار عدد من جنسيات مختلفة لأداء فريضة الحج على نفقة المدينة ، هذا بالإضافة إلى صندوق خدمة الطلاب الوافدين الذى أنشىء عام ١٩٦٧ لتقديم قروض وإعانات للطلاب المحتاجين . كما تقدم المدينة لأبنائها أنشطة أخرى تهدف من ورائها شغل وقت فراغ الطالب ، وفى ذات الوقت تعينه على اكتساب بعض الخبرات رتنمية ملكاته . فيوجد بالمدينة مركز لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله على يد أساتذه متخصصين ، ومركز للخطابة الدينية واللغة العربية ، يتيح للطالب تعلم فن الخطابة ، ومركز لتأهيل الطلاب على الآلة الكاتبة ، وغير ذلك مما يعطى الطلاب الخبرة وينمى هواياتهم فى مجالات عدة .

٣ ـ الخطوط الرئيسية للسياسة التعليمية بجامعة الأزهر :

إن الأزهر الجامع والجامعة ، مقصد

د. رجاء إبراهيم سليم

طلاب الثقافة الإسلامية ، يفد إليه كثير من المسلمين من شتى أنحاء العالم ليتزودوا من علومه ، ثم يعودوا إلى أوطانهم ليكونوا دعاة للإسلام ، وفى ضوء تلك الأهداف تحددت الخطوط والمبادىء الرئيسية للسياسة التعليمية بجامعة الأزهر فى النقاط التالية :

- أن تكون مفتوحة الأبواب لكل مسلم يطلب العلم والمعرفة .
- أن تعنى فى منهاجها وبرامج تعليمها بكل مايقوى الروح الإسلامية .
- أن تخرج لمصر وللعالمين العربى والإسلامى علماء وخبراء .
- أن توفر للأجيال القادمة ماتحتاج إليه من القيادات العلمية الرائدة ، وتقوم بدعم الدراسات العليا فى الجامعة ، والتنويع فى تخصصاتها الدقيقة وإيفاد البعثات .
- أن تتابع النشاط العلمى العالمى وتستفيد منه وتشارك فى نموه وتطويره ، وذلك بتوثيق الصلة مع جامعات ومؤسسات البحث العلمى ، وتبادل الزيارات العلمية واستضافة الكفايات النادرة لإلقاء المحاضرات ، وإجراء البحوث ، وإيفاد الأساتذة لاستطلاع مايجد فى مجالات البحث العلمى ووسائل النهوض به .

٤ ـ قانون تطوير الأزهر :

صدر القانون رقم ١٠٣ فى ٥ مايو ١٩٦١ الخاص بتطوير الأزهر ، الذى نص على أن الأزهر هو الهيئة الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ، ودراسته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم الشعوب ، كما يهتم بالحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة الإسلامية ، وتزويد العالم العربى والإسلامى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة والثقافة الدينية واللغة العربية والقرآن الكريم ، وتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، وربط العقيدة بالسلوك ، كما يهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجهات والهيئات العلمية الإسلامية العربية والأجنبية . **وبمقتضى هذا القانون أنشىء المجلس الأعلى للأزهر ، ومجمع البحوث الإسلامية . (وإدارة الثقافة والبحوث الإسلامية) وجامعة الأزهر ، ولقد نص قانون التطوير أيضا على أن تتساوى فرص القبول بالمجان** فى كليات جامعة الأزهر للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد[1] .

وتعتبر جامعة الأزهر جامعة المسلمين فى كل أنحاء العالم وهى أسبقهم بهذه الميزة وهى تسوى بين الطلاب الوافدين وبين أبناء جمهورية مصر فى فرص القبول بها وبالمجان وحتى عام ١٩٨٥ ، لم تكن هناك نسبة

(١) هذا القانون طَوَّرَ المجلس الأعلى للأزهر وإلا فقد كان موجوداً قبل القانون .

← دور الأزهر فى استقدام الطلاب

محددة لقبولهم كما فى الجامعات المصرية الأخرى[٢] وقد حددت المادة الأولى من الباب الرابع من قانون التطوير اختصاص جامعة الأزهر ، بكل مايتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر ، وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتوضيحه ونشره ، وتؤدى رسالة الإسلام إلى الناس ، وتعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية ، وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون بالإضافة إلى الإيمان بالله ، الثقة بالنفس وقوة الروح ، والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن والكفاية العلمية والعملية والمهنية ، لتاكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعلم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى داخل جمهورية مصر وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم ، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية العربية والأجنبية . وأباحت المادة ٣٨ من القانون فرص القبول المتساوية لجميع الطلاب المسلمين من كل جنس ، وكل بلد ، كما أتاحت دراسات خاصة لطلاب البعوث من غير مواطنى مصر حتى يتمكنوا من متابعة الدراسة فى الجامعة مع نظرائهم من الطلاب العرب .

ولم تعد الدراسة بالأزهر مقصورة على العلوم الدينية فقط ، وإنما تعدت ذلك إلى كل التخصصات . فنجد أن عدد الكليات التابعة لجامعة الأزهر فى عام ١٩٨٥ : ٣٩ كلية يدرس فيها الطب والهندسة والعلوم والصيدلة ، إلى جانب الدراسات الإنسانية والدينية ، بعد أن كانت ثلاث كليات فقط ، قبل قانون تطوير الأزهر ١٠٣ لعام ١٩٦١ وهى : كلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة .

بعد صدور قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١ ، أصبحت إدارة البعوث الإسلامية ، التابعة لمجمع البحوث الإسلامية ، الجهة المختصة باستقبال الطلاب الوافدين من كل دول العالم الذين يريدون الدراسة بجامعة الأزهر ، حيث تقوم بتنسيق قبولهم بالجامعة ولكن بعد صدور قرار رئيس جامعة الأزهر رقم ٢١ لسنة ١٩٧٨ : بشأن إعادة تكوين الهيكل التنظيمى لجامعة الأزهر ، والذى نشأت بناء عليه (إدارة الوافدين) التابعة للإدارة العامة لشئون التعليم بجامعة الأزهر . وتضم قسمين : .

الأول : قسم تسجيل الوافدين .

---

(٢) قررت جامعة الأزهر الا يزيد عدد الطلاب الوافدين بكل كلية على ١٠٪ من الطلاب المصريين المقبولين بكل كلية ابتداء من العام الدراسى ٨٦/١٩٨٧ .

والثـانى : قسم الاتصال الخـارجى والمعادلات الدراسة .

اقتصر دور إدارة البعوث الإسلامية على تلقى أوراق الطلاب الوافدين لإرسالها بدورها لإدارة الوافدين لتنسيقها وتوزيع الطلاب على كليات الجامعة المختلفة . وقد حدد القرار السابق اختصاصات إدارة الوافدين فى الآتى :

- متابعة تطبيق القواعد المقررة فى شأن تسجيل الطلاب الوافدين وشئون دراستهم وامتحاناتهم وتحويلهم ونقل قيدهم .
- الاحتفاظ ببيانات ومعلومات متكاملة عن الطلاب الوافدين المقيدين بالدراسة التأهيلية وبمرحلة الإجازة العالية بالكليات .
- المشاركة فى إعداد دليل قبول الطلاب المستجدين بالجامعة سنويا .
- تنظيم إجراءات القبول للطلاب الوافدين بالسنة التأهيلية ومرحلة الإجازة العالية .
- تتبع الحالات الدراسية للطلاب الوافدين .
- متابعة تحصيل المصروفات الدراسية والرسوم للطلاب الوافدين وقيدها بالسجلات وبحث اقتراح حالات الإعفاء وعرضها على السلطات الجامعية المختصة .
- المشاركة فى الإعداد الفنى لاجتماعات لجنة معادلة الدرجات العلمية وتحضير أعمالها واتخاذ إجراءات تنفيذ قراراتها .
- إعداد دليل المعادلات الدراسية وإبلاغها للجهات المعنية والسفارات .

والأمل كبير فى أن يكثف الأزهر جهده فيما يتعلق بنشاطه الطيب فى الدول الأفريقية سواء فى ذلك نشاطه فى إرسال علمائه إليها ، وفيما يستقبله من أبنائها ؛ فإنه النبع العلمى الفياض الذى تنتظر منه أفريقيا الخير لكل أبنائها .

المراجـــع

١ ـ د . شوقى الجمل . دور مصر فى أفريقيا فى العصرالحديث

٢ ـ الأزهر الشريف فى عيده الألفى

٣ ـ الأزهر الشريف ، الأزهر فى ١٢ عاما ،

٤ ـ د . عبد العزيز الشناوى ، الأزهر جامعا وجامعة

٥ ـ وزارة التربية والتعليم ، السجل الثقافى لسنة ١٩٥٥ .

٦ ـ وزارة التربية والتعليم ، دليل الطلبة الشرقيين

٧ ـ الأزهـر الشريف ، مدينـة البعوث الإسلامية للطلاب الوافدين ، (القاهرة : إدارة الأزهر ، ١٩٨٤) .

٨ ـ الأزهر الشريف ، جامعة الأزهر فى ظل التطوير الجديد

٩ ـ الهيئة العامة للاستعلامات ، الأزهر فى ألف عام .

١٠ ـ عبد الحميد عبد الله سلام : مشكلات التعليم الثانونى بالأزهر وأثرها على اتجاهات القبول بجامعة الأزهر فى الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٧٥ ، رسالة دكتوراه غير منشـورة (القاهرة : جامعة الأزهر ، ١٩٧٨) .

١١ ـ أحمد يوسف القرعى ، خير الاهتمام العربى السياسى الفعلى بأفريقيا ، فى العرب وأفريقيا

الفتاوى

الهدية لأحد الوالدين

السؤال : قدمت لوالدتى شيئاً من الادوات المعمرة ، وبقيت الهدية بعينها بعد وفاة والدتى . فهل يجوز لى استردادها ، أم تدخل فى الميراث ؟

ع . م ـ القاهرة

الجواب : ليس لك استرداد ما قدمت لأمك ، لأنها تملكتها قبل وفاتها عن طريق الهبة والعطية والمنحة من ابنها ، فأصبحت ملكا لها ، فتكون من جملة الميراث بعد وفاتها .

كرامة الإنسان

السؤال : سمعت رجلا ينسب إلى رسول الله ﷺ : مايلى :

١ ـ إذا اصيب شخص بغصة ولم يجد الماء الذى يزيل به غصته جاز له ان يزيلها بالخمر .

٢ ـ إذا وجدت جماعة فى الصحراء ، وقد نفد طعامهم وشرابهم واشرفوا على الهلاك ـ جاز لهم ان ينظروا إلى اكثرهم إعياء فيذبحوه وياكلوا من لحمه . فهل هذا صحيح ؟

محمد حسين ابو جبل

الأردن / اربد / ش الامير نايف

الجواب : أما عن الشق الأول :

وهو إزالة الغصة بشرب قليل من الخمر فى حدود الحاجة والضرورة فإنه يجوز .

أما عن الشق الثانى :

وهو أكل الإنسان لزميل فى الصحراء ليبقى على حياته بإزالة حياة الآخر ، فهذا مما تأباه الأصول الشرعية الإسلامية . نعم يجوز إزالة الجوع بالميتة أو الخنزير .

قال تعالى فى سورة الانعام : ﴿ . . . . وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ .

لا غسل عليك

السؤال : انا شاب من قوم يغلب على حياتهم ركوب الدابة ، وكلما ركبتها ينزل

إعداد/عبد الحميد شاهين
على حامد

منى المنى بدون إنذار ، فهل علىَّ غسل ؟
عبد الرازق ـ ط . م ـ سبراى ـ طنطا

الجواب : الراجح عند الحنفية أن المنى الذى يجب منه الغسل يكون عن انتشار وقذف ... ، وللمنى أوصاف خاصة : فهو غليظ ، وليس رقيقاً ، وله رائحة خاصة . أما إذا نزل بسبب حمل ثقيل ، أو خرج بفتور كما فى حالتك فإنه لا يجب منه الغسل عند الحنفية .

تعليق السلسلة

السؤال : ما رأى الإسلام فى تعليق سلسلة من معدن غير الذهب للرجل ؟
م . عبد الله ـ البلينا

الجواب : تعليق سلسلة فى العنق من غير الذهب لم يرد بشأنها نص بتحريم ، غير أنه تشبه بالنساء وهذا منهى عنه شرعاً(١) .

استبدال جزء من المعاش

السؤال : ما الرأى فى استبدال جزء من المعاش ، كاستبدال عشرة جنيهات بألف يقبض منها ثمانمائة وخمسين جنيهاً ، والسداد على اقساط ، فهل هذا ربا ؟ .. افيدونا .
حسن .... روز اليوسف

الجواب : استبدال جزء من المعاش للموظف بفائدة ، وغالباً لا تقل عن ٧٥٪ يعتبر ربا فاحشاً ، ولذا كان حراماً لا يحل التعامل به إلا فى حالة الضرورة القصوى ، والحاجة الملحة ، لقول الله تعالى :﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ .

والحاجة الملحة تنزل منزلة الضرورات التى تبيح المحظورات بناء على ما قرره علماء أصول الفقه .

عن السحر

السؤال : ما رايكم فيما يسمى بالاعمال السحرية ، وهل يمكن اللجوء إلى اى شخص لفك هذه الأعمال ؟
ح . م . روز اليوسف

←

١ ـ بعض الناس يصاب بمرض يأتيه بإغماء فجائى فى اى موضع يكون فيه ، فيرى اقرب شىء للتعريف به أن يضع حول معصمه قطعة من فضة مثلاً بسلسلة دون عليها اسمه وعنوانه فإذا كانت هذه السلسلة فى عنقه أو حول معصمه ،فهذه ضرورة،والضرورة تقدر بقدرها .

الفتــاوى

الجواب : يقول رئيس لجنة الفتوى فضيلـة الشيخ عبد الله المشد فى الإجابة عن ذلك : أنا شخصياً أرى أن السحر هو محاولة الساحر أن يظهر الشىء بغير صورته الحقيقية إيهاما وتخييلاً ، وقد دلت الأدلة الشرعية على حرمة هذا ، وأما السحر بقلب حقائق الأشياء فأنا لا أومن بصحته ولا بإمكانه ، وقد نهى النبى ﷺ المسلمين عن أن يتجهوا فى حل مثل هذا عن طريق عراف أو كاهن أو لعب بالورق أو غير ذلك مما يلجأ إليه كثير من مدعى معرفة الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله .

الشك وعلاجه

السؤال : إننى اشك فى كل شىء ، فارى انه نحس حتى الكتب ـ افيدونى .

م . ع . ع

الجواب : هذه الحال من الأمراض النفسية التى تحتاج إلى عرض على طبيب نفسى مختص ـ ولعلاجك من هذه الحال يجب أن تعرض نفسك عليه . كما يجب عليك أن تقاوم فى نفسك تلك الشكوك ، والوساوس حتى لا تفسد عليك عبادتك .

وقد قرر العلماء أن من أصيب بوسوسة أو شك أخذ باليقين ، فإذا تيقن أنه توضأ وشك فى حدث فهو متوضىء ويصلى .

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

كن على الأرض مؤمنا

إسلام عمر

خواطر متقاعد

كن على الأرض مؤمنا

قال لى صاحبى - واطرق حينا: لست والله افهم الآخرينا
ما دَهَى الناسَ فاستحالوا ذئاباً واستحال الغناء شدوا حزينا ؟!
كيف ساد النفوسَ سوء النوايا وتَنَاسَوْا ودادهم ظالمينا ؟!
إنْ تقرّبتَ فى المساء إليهمْ يتناجون بالنوى مصبحينا
او تقدمت بالجميل من الأفعال باتوا بحقدهم جاحدينا
او بذلت الوداد صفوا نقيا نهشوا الود والهوى طامعينا
كم شربتُ العذاب منهم مرارا وجرعتُ السهاد دمعا سخينا
دُلّنى صاحبى : اعندك حَلٌّ يسعد القلب او يُزيل الشجونا ؟
دُلّنى صاحبى فقد فاض كيلى دُلّنى ما الذى تغير فينا ؟

قلت : ياصاحبى حنانك مهلا ما تُرجيِّهِ ليس سرا دفينا
نَسِيَ الناسُ رَبَّهُمُ وتمادوا فى صحارى ضلالهم تائهينا
كل قول للسامرى اطاعوهُ وساروا وراءه غافلينا
وخبا النور فى القلوب وسادت ظلمة تحرق الحشا والعيونا
نحن كالقابضين للجمر نشقى اترى الجمر يرحم القابضينا ؟
نحن أسرى سجوننا فى الحنايا لستَ ياصاحبى الوحيدَ السجينا
رنة الإثم قاسمتْنا خطانا وغدا الزيف والضلال قرينا
ترك الناس دِينَهمْ كيف ينجو من جفا ربه واهمل دينا ؟!

رشاد محمد يوسف

أنزل الله للعباد كتابا ... يبعث النور والهداية فينا
قد حوى حكمةً ونورا وعلماً ... وبيانا مفصلا ومبينا
كم هدى انفسا وزكى قلوبا ... وانار الصحاب والتابعينا
فيه امن ورحمة وامان ... وعذاب السعير للكاذبينا
فيه للصادقين خير جزاء ... يهب النفس حكمة ويقينا
فيه زاد القلوب من كل خير ... وشفاء النفوس دنيا ودينا

لو اخذنا به نجونا وسُدنا ... ورفعنا على الحياة الجبينا
لو اخذنا به تلاقت خطانا ... وسعدنا بظله آمنينا
لو اخذنا به نعمنا بعيش ... هو انقى هدى واصفى معينا
لو اخذنا به حفظنا حمانا ... وجعلناه جنة وعيونا

قلت : ياصاحبي حنانك هَذِي ... شرعةُ الله تسعد العالمينا
شرعة تملأ النفوس نقاء ... ووفاء لدى القلوب مصونا
فخذ العفو في الحياة وسامح ... وصن الود واهجر الجاهلينا
كن على الأرض مؤمنا وكريما ... كن امينا ترى الوجود امينا

إسلام عمر

للشاعر: عمر موسى البرعي

أَعْظِمْ بها حكمة من ابلغ الحكم ... قلبى يُردِّدُها نَشْوانُ قبل فمى
وقصةُ خلَّد الفاروق عبرتها ... على الزمان فشاقتْ مَسمعَ الامم
قد قيل : أُختك يافاروقُ قد صبات ... فاسمع لها تقرا القرآن من امم
فانسلَّ غضبانَ يسعى نحوها حنِقاً ... مهدِّدا بصنوف الشر والنِّقم
شدَّ الصحيفة منها عنوةً فابت ... تركَ الصحيفةِ فى عزم وفى شَمم
فراح يصفعها حتى اسال على ... جبينِها الطَّاهِر الزاهى زكىَّ دم
لما راى الدَّم ثارت فى جوانحه ... مشاعرُ القرب والإحساس بالرَّحِم
وادركتْهُ من المولى عنايتُه ... فراح يشعر بعد البطش بالنَّدم
وقال : ياأختُ هاتيها لاقراها ... واستبينَ الذى فيها من الكَلِم
واهتزَّ حين تلاها قلبه وَجَلا ... مِنْ خشية الله ذى الآلاء والنِّعم
واسْتَشْعر النورَ يسرى فى جوانِحِه ... مُبدِّدا حَلَكَ الإشراك والظُّلَم
وهمَّ يُسْرِعُ نحو المصطفى امَلاً ... والقلب من جَذْوةِ الإيمان فى ضرم
هذى يدى يارسول الله ابسُطها ... وفيَّةَ العَهْد والميثاق والذِّمم
اتيتك اليوم بالإسلام مُعْتذراً ... عمَّا مضى فتقبلْ عُذْرَ معْتَصم
فاصْدعْ به يارسول الله فى ثقة ... لا تَخْش مِنْ عابدى الأوْثان والصَّنم
اصَبَحْتُ سَيْفَك فاضْربْ بى رِقابهمُ ... او فازم بى - إن تشأْ - فى كل مضْطَرَم
فكبرَّ الصَّحْبُ والإعجاب يَغْمرهُمْ ... من موقف البطل المغوار ذى الهِمَم
اراده الله سيفا للحنيف هدى ... فلم يَهِنْ او يكن يوماً بمُنْهزِم
اعزَّه الله بالإسلام مقتدراً ... كما اعزَّ به الإسلامَ فى الامم
مَنْ ادركَتْهُ من المولى عنايتُهُ ... نجا ، ومَنْ يعْتصِمْ بالله يغْتَنم

خواطر متقاعد

للأستاذ / على حسن سرحان

وَصَلْنَا لِلتَّقَاعُدِ بَعْدَ عُمْرٍ   قَطَعْنَاهُ عَلَى كَبَدٍ سِنِينَا
وَمَنْ يَرِدِ المَعَاشَ فَبئْسَ وِرْداً   وَرَدْنَاهُ وَكُنَّا كَارِهِينَا
يُذَكِّرُنَا رَبِيعَ الْعُمْرِ وَلَّى   وَأَنَّا فى الحَيَاة مُخَرِّفُونَا
وياتِى الْعَجْزُ فى أَعْقَابِ عَجْز   يساراً حين ياتى او يمينا
وَنُرْمَى بِالسَّفَاهَةِ إنْ آسَرْنَا   وَإنْ كُنَّا الْهُدَاةَ النَّاصِحِينَا
وَنَشْرَبُ إنْ وَرَدْنَا المَاء صَاباً   وَنَشْقَى بالمطاعم اكِلِينَا
وَنَنْتَظِرُ الثِّمَارَ لِمَا غَرَسْنَا   فَيَأْتِينَا الْعُقُوقُ مِنَ البَنِينَا
وَيَنْكَشِفُ السِّتَارُ فَلَا مُعِينٌ   يُرَجَّى غيرَ رَبِّ الْعَالَمِينَا
تَعَالَى الْمُنْعِمُ البَاقِى وحَمْداً   لِمَنْ وَسِعَ الْخَلائِقَ أَجْمَعِينَا
فَيَاجِيلَ الشَّبَابِ أَمَا عَلِمْتُمْ   بأن كُنَّا لَكُمْ حِصْنًا حَصِينَا
وكِيفَ جَحَدْتُمُوُ فضلاً عليكم   لمن جَعَلَ الطَّرِيقَ لكُمْ امِينَا
غداً تلقون ما نلقاه منكم   وليس يضيع اجر العاملينا

من أعلام الأزهر

عبد المجيد سليم

عالم الشريعة ومفتي الإسلام

يقول حافظ إبراهيم فى رثاء الأستاذ الإمام محمد عبده :

بكى عَالَمُ الإسلامِ عَالِمَ عصره
سراج الدياجى هادم الشبهات

وعالم العصر هو الذى يعرف معضلاته ويضع لها الحلول الناجعة فى ضوء ما يفهم من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وما روى عن أئمة التشريع ممن خبروا أمور الناس ، وأفتوا فى مشكلاتهم بما يتفق والنهج القويم ، وكذلك كان الأستاذ الإمام وكذلك كان خليفته فى الإفتاء عبد المجيد سليم .

لقد أتيح للأزهرى الناشىء أن ينتسب إلى الأزهر فى عصر الأستاذ الإمام وأن يستمع إلى دروسه فى التفسير والبلاغة وأن يراه مثلاً يحتذى فى إصابة الفهم ، وسعة الاطلاع ، وبلاغة التعبير ، فيبلغ من نفسه مبلغاً كبيراً ، كذلك أتيح له أن يتتلمذ على الشيخ الفيلسوف الزاهد (حسن الطويل) فيقرأ عليه كتب المنطق ، وبعض مؤلفات ابن سينا ، وقد أفاد من سلوكه ما أفاد من علمه ، حيث كان (الطويل) مع سعة محيطه زاهداً متواضعاً ، لا تغره البوارق ، ولا تتجاذبه الأضواء ، بل ينشد الدرس الهادىء فى صحبة أفراد من تلاميذه يصطفيهم اصطفاءً جيداً بعد أن يقف على استعدادهم الطيب ، فإذا تم لهم ما أرادوه من حب الأستاذ والأهم بدروسه البعيدة عن النمط التقليدي فى الأزهر ، وقد يؤخذ عليه أنه يعرض كثيراً ، ويرجح قليلاً ، وذلك شأن بعض المفكرين حين تتكافأ الأدلة ، وتتعادل البراهين فيصعب الميل إلى رأى خاص دون ترجيح أكيد ، أما صاحب الأثر فى التعمق الفقهى لدى الطالب الناشىء فهو شيخه الأستاذ (أحمد أبو خطوة) ، حيث كان من كبار المتضلعين فى الفقه الحنفى ، وقد قرأ من الشروح والحواشى فى الأصول والفروع ما يتعذر حصره ، حيث كانت تعرض الجزئية الصغيرة من أحكام الفقه ، فيفيض (أبو خطوة) فى إيضاح

د. محمد رجب البيومى

ماقيل بصددها من شتى الأقوال ، وكأنها كانت موضع دراسة خاصة قد احتفل لها من قبل ، وكان الشيخ (عبد المجيد سليم) كثير الإشادة به فى أحاديثه ، وقد عقد موازنة بينه وبين أستاذه الإمام محمد عبده فذكر أن الإمام يمتاز بسعة الأفق وقوة التعليل مع بلاغة الأداء ، وأن الشيخ أبا خطوة يمتاز بتتبع المسائل فى كتب الفقه وأدلة الأحكام ، وكلاهما رجع على الطالب المتطلع بما أمده من بصر سديد ، وعلم غزير ، إذ لم يكد ينال درجة العالمية حتى عين مدرساً للفقه والأصول بالأزهر ، وتدريس الأصول من المعلم الناشىء همة وطموح ، إذ عرف عن مدرسيه أنهم من كبار العلماء لا من مبتدئيهم ، وقد انتقل صيته العلمى إلى (عاطف بركات باشا) ناظر مدرسة القضاء الشرعى فاختاره لتدريس الفقه والأصول بهذه المدرسة العالية ، وفى زملائه المدرسين من كانوا أساتذته ، وعلى يد الشيخ عبد المجيد تخرج فى الفقه والأصول « نفر ممتاز » من رجال القضاء الشرعى بمصر ، ولم يشأ الشيخ أن يضع مذكرات لطلابه ، كما فعل زملاؤه بل ارتضى أن يدرس لهم الأصول العريقة من كتب التراث الفقهى ، وأن يعلق عليها بما يفصل المجمل ، ويوضح الغامض وكأنه بذلك يحذو حذو أستاذه حسن الطويل فى درس الفلسفة إذ كان يقرأ كتب السلف شارحاً موجهاً ، فإذا سئل أن يخُط مؤلفاً مستقلاً أعلن أنه لا يبلغ مبلغ سابقيه ! ولكلٍ منحاه المُريح ، وقد ألح

الكثيرون على الشيخ أن يأذن بطبع رسالته الفقهية التى تقدم بها لعضوية هيئة كبار العلماء فلم يسترح إلى هذا الاقتراح ، كما لم يشأ أن يجمع ما أصدر من الفتاوى الفقهية الدقيقة على مدى ربع قرن متصل ، إذ لم ينقطع عن الإفتاء بعد أن تركه إلى مشيخة الأزهر فظل يُسأل ويجيب ، وقد ألهم الله ذوى الرأى فقاموا بجمع ما صدر عنه من الفتوى مع زملائه السابقين واللاحقين ، فى مجموعات شافية تعتبر إحدى الذخائر الغالية فى دنيا التشريع ، وبذلك تهيأ للدارسين أن يُلموا بآراء الفقيه الكبير ، وافية شافية ، ولن يضيع جهد المخلصين .

كان فى طبع الرجل الكبير ميل عن السياسة

← من أعلام الأزهر

الحزبية ، ودعوة « حارة » لطلاب العلم أن ينصرفوا إلى رسالتهم الإسلامية الخاصة بالتعليم والإرشاد ، ولكن صاحب المنصب الديني المرموق لابد أن يُسأل فيجيب ، ومن هـذه الأسئلة مـا يمت إلى السيـاسـة والسياسيين بالنسب القريب ، وقد يكون السؤال من الخطورة بحيث يواجه صاحب الأمر مواجهة شجاعة تتطلب الرد الشجاع ، وهذا ما عُهد من المفتى الأكبر ، وقد كتبت مقالاً بمجلة الأزهر[1] بسطت فيه فنوناً من هذه المواجهة الحاسمة التى تعددت مواقفها ، وتشابهت ببعض مواقف شيخه الأستاذ الإمام ، إذ حاول مدير الخاصة الملكية بإيعاز من الملك أن يستبدل ببعض ممتلكاته العقارية (الجديبة) أرضاً (خصيبة) من أملاك الأوقاف ، وتلمس الفتوى الميسرة من المفتى الأكبر ، فأعلن لفوره أن الاستبدال باطل إذ لا يجوز شرعاً لغير مصلحة الواقف ، وهى هنا مفقودة ، بل إن الخسارة محققة فعلاً ! وأكبر من ذلك خطراً أن يتلقى سؤالاً عن حكم الشرع فى (رجل يراقص النساء) ، و(يشرب الخمر)(*) فى الحفلات ! وذلك بعد حفلة صاخبة أقامتها إحدى الأميرات وحضرها فاروق ونشرت بعض الجرائد صوراً لبعض ما كان ! وقد أدرك عبد المجيد سليم من المقصود بالفتوى فما تراجع بل جابه المخطىء بانحرافه ، واضطرب القصر لجرأة هذا الإنكار الصارخ كما قالت مجلة المصور ، واتصل بالأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر حينئذ منبهاً على خطورة الفتوى بالنسبة لأثرها الجرىء ، وكان الشيخ المراغى من الغيرة على الحق بحيث لم يخذل أخاه ، بل دعا إلى تصحيح الخطأ عند المخطىء لا إلى تخطئة المصيب !

وصداقة الرجلين الكبيرين كانت محكمة الأواصر من عهد بعيد ، فقد اشتركا معاً فى لجان فقهية قامت ببعض التشريعات المتطورة وفقاً للقواعد الفقهية الملزمة ، وعرف كل صديق لصاحبه مكانه التشريعي ومعدنه الخلقى ، ولكن اتجاه المراغى فى ملابسة

(١) مجلة الأزهر عدد صفر ١٣٨٠ هـ .

السياسة خالف اتجاه المفتى ، فنشأ بعض الفتور بين الشيخين الكبيرين لأمد لم يطل ؛ لأن النفوس الكبيرة إذا تعرض بعض الغيم فى سمائها الصافية لا يلبث أن ينقشع ، وقد أتيح لعبد المجيد سليم أن يؤبن صديقه فى بعض المناسبات الداعية ، وأن يقول إنه كان ذا صفات شريفة جعلته رجلاً عظيماً ، وأجلسته من التاريخ مجلساً مرموقاً ، ثم ألم بما كان من الخلاف الطارىء حين قال « كنت أنا والشيخ المراغى صديقين حميمين ، كلانا يُحب صاحبه ، ويقدر مواهبه ، ولم تكن هذه الصداقة عارضة ، بل كانت أصيلة مرت بها عهود مختلفة ، اشتركنا فيها ، ولكننا اختلفنا بعد أمد من مشيخته الثانية للأزهر ، وكان خلافنا معروفاً للعامة والخاصة من الأزهريين وغيرهم ، وسببه الجوهرى ميله - رحمه الله - إلى ناحية السياسة الحزبية ، وشدة نفورى من ذلك ، إذ أرى الخير كل الخير فى أن يتجنب العلماء مكايد الحزبية ومتاعبها التى تفضى إلى ما لا يُحمد من العواقب ، ولكن هذا الخلاف لم يخرج بى ولا به عن الجادة ، وماينبغى أن يكون عليه أهل العلم من المودة والنصيحة ، فكنت أبدى له ودى ، وأنقد ما أراه موضع النقد ، وكان يتقبل ودى ويبادلنى إياه ، ويعتذر عن عدم مشاطرتى ، أو يبدى من المبررات ما يراه سبباً لفعله ، ولم يكن هذا الخلاف بالذى يقطع ما بيننا من محبة وتعاون ، ولكنه كان خلاف الشرفاء ، والحمد لله »[٣] .

هذا عن الإمام المراغى ، أما الإمام الأكبر (مصطفى عبد الرازق) فقد كان صديق عبد المجيد سليم وزميله فى الدراسة الأزهرية حيث نالا درجة العالمية معاً فى عام واحد ، واشتركا فى التدريس بمدرسة القضاء ، ثم فى مجلس الأزهر الأعلى ، وللرجلين كرامة خلقية ترتفع بهما عن الحزازات الشخصية ، كما أن فلسفتهما الخلقية تميل بهما إلى الهدوء والمسالمة ، ولكن السياسة دفعتهما وجهاً لوجه ، حين أصر القصر على تعيين الشيخ (مصطفى عبد الرازق) شيخا للأزهر دون أن يسمح القانون ، إذ لم يكن الرجل الكبير - مصطفى عبد الرازق - على جلالة علمه وسمو منزله عضواً بجماعة كبار العلماء ، وهو

(٣) الشيخ المراغى بأقلام الكتاب ص ٦٧ .

شرط أساسي للتعيين ؛ لأن الجماعة حينئذ تمثل القيادة العلمية فى الأزهر ، وشيخ الأزهر رئيس هؤلاء القادة ، فكيف يجيء من غيرهم ! كما أن تعيينه فى هذا المنصب الخطير يُعتبر دفعاً جديداً للأزهر فى أتون السياسة ، فالرجل وزير حزبى من كبار الأحرار الدستوريين ، وله فى السياسة ميل خاص ينحرف به عن قوم ويتجه إلى قوم ، ولابد أن يكون هذا الميل مؤثراً فى اتجاهه الأزهرى ، بل لهذا الميل وحده قد اختاره القصر الملكى ليناوىء الوفد كما ناوأه الإمام المراغى من قبل ، وقد استدعى النقراشى باشا رئيس الوزراء حينئذ فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم وحاول أن يغريه بالمال ، إذ كانت للشيخ عدة آلاف من الجنيهات بوزارة الأوقاف مكافأة علمية لقيامه على مشيخة الأحناف بالأزهر مدةً طويلة ، وقد تجمدت تلك المكافأة سنوات عدةً لاعتراض المالية على أن يجمع الشيخ مرتبين فى وقت واحد ، فلوح له رئيس الوزراء بالإسراع فى صرف المكافأة إذا وافق على تعيين الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وفوجىء الإمام بالعرض الماكر ، فغضب فى وجه مخاطبه غضبةً أزعجته وآثر الانسحاب الفورى دون استئذان ، ولم ييأس القصر الملكى فأوفد بعض رجاله إليه يهدده فى صراحة ، ويعلن أن المعارضة ستكون مصدر خطر عليه ، فقال الشيخ فى إيمان : أسيحول هذا الخطر بيني وبين المسجد ؟ فخجل رسول القصر ولم يجب !

ثم رأى الشيخ الأكبر أن يصدر بياناً للناس فى الصحف اليومية يُعلن فيه أمر هذا التهديد الملكى .

ومن أعجب الأشياء أن يندفع نفر من المأجورين إلى استهجان بيان الشيخ بحجة أنه يذيع أسراراً ملكية ، على حين يسكتون عن نقد المخالفة الصريحة لقانون الأزهر ويعدونها أمراً طبيعيا لا شىء فيه .

ومصيبة مصر أن تجد فى كل عصر من يؤيد الباطل بوجه وقاح ، فيه من الصخر صلابته المتحجرة ، ثم لا يخجل أن يسب الأبرياء ، وكأنهم بدفاعهم عن الحق قد انخرطوا فى الباطل : لقد تكرر هذا الموقف فى عهد الثورة ، حين رأت فى أول أمرها أن تتدخل فى شئون الأزهر فتفرض على شيخه الأكبر عبد المجيد سليم أناسا لا يراهم أهلاً للقيادة حين تختارهم إلى المناصب المرموقة ليكونوا أداة لتنفيذ ما تشاء ، بعيداً عن منطق القانون ، ولكن الرجل الكبير لم يفارق صلابته المتشددة ، فرفض كل تدخل يهم به ذوو الغرض عن لهو عابث لا يقدر المسئولية ، وبادر المتغطرسون بمطالبته بالاستقالة إذا أصر ، فقدمها عن طوع ، وبدل أن يشكر

الكاتبون للرجل غيرته على الحق ، سودوا الصحف بنقده وأظهروه فى موضع المعارض للحق ، المجابه لعهد التحرير والحرية .

ولكن صوت الإنصاف قد جاء من الخارج لا من الداخل ، حيث كتب مراسل أجنبي مقالاً تحت عنوان : « شخصية الأسبوع » فى جريدة (البروجريه ديمنش) أشار فيه إلى مقترحات الشيخ بشأن ما يراه فى الإصلاح ، ومعارضته لما يملى عليه من أمور لا تتفق والصالح الأزهرى ، كما قالت الجريدة ما نصه :

« إن الشيخ عبد المجيد سليم يتمتع بثقة الغالبية من رجال الدين وكبار العلماء ، « وهو معروف بالتقوى والورع ، وما حاول قط أن يفيد لنفسه ، إذ جعل همه الأول مصلحة الأزهر قبل مصلحة الأفراد ، ومن أجل ذلك كافح فى سبيل إنقاذ هذه المؤسسة الدينية ، وهو لا يخشى إلا الله ولا يساوم على كرامته ، ولذلك يستحق كل تقدير » !

هذا ما نشرته (البروجريه ديمنش) وترجمته مجلة الرسالة بتاريخ ١٩٥٢/٩/٢٢ ، أى بعد قيام الثورة بشهرين فحسب ! وقد استقال الشيخ عبد المجيد سليم ليخلفه الأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين ، وليكابد من مرهقات التدخل الثورى ما دفعه إلى الاستقالة ، وكان من المواقف المضحكة أن يطلبه الصاغ صلاح سالم ليدعوه إلى مقابلته سريعاً بالوزارة فى لهجة متعالية ، ولكن الرجل العظيم يقول له فى حزم : « يا صلاح أفندى شيخ الأزهر لا يذهب إلا لرئيس الجمهورية وحده لأن لـ فى عنقه بيعة ، أما سواه فإذا أراد لقاءه فليحضر إليه !! »

وتلك مواقف يصر أعداء الأزهر على إخفائها ليرموا شيوخه بالوصولية مستشهدين ببعض الصغار من أشباه العلماء ، ليكون فى عثراتهم ما يدمغون به الكبار بغياً دون حق ، وإلا فكيف يقوم شيوخ الأزهر جميعاً أمام الطغيان الداخلى والخارجى ، وكيف يعبرون بمواقفهم النبيلة عن شعور الأمة المصرية تارة وعن شعور العالم الإسلامى بأجمعه تارة أخرى ، ثم يصر كتاب التاريخ المصرى على تجاهل هذه المواقف الحسنة الرائعة وإذا أجبروا على الإشادة بموقف ذاع واشتهر ، فقد عمدوا إلى ستر عشرات المواقف الرائعة كيلا تذيع ، وفيهم من يختلق المعجزات اختلاقاً ليلصقها بالأدعياء كى ينال عرض الدنيا فى منصب لامع ، أو حظوة مقربة ، ثم يتساءلون بعد ذلك ، ما فعل الأزهريون ؟

أما موقف عبد المجيد سليم من الترف الحكومى ، والإسراف الملكى فقد ذاع واشتهر ، وعبارته الجامعة « تقصير وتقتير هنا وتبذير وإسراف هناك » مما سارت مسار المثل الذائع ، وقد أوضحت مناسبتها فى كتابى (علماء فى وجه الطغيان) فليرجع إليه ، فقد اشتمل على كثير من النوادر الباهرة التى تتوج علماء الإسلام بأنضر الأكاليل .

من أعلام الأزهر

كان في عبد المجيد صوفية زاهدة تنأى به عن المجتمعات اللامعة ، فقد أجمع المسئولون على ترشيحه عضواً بمجمع اللغة العربية ، إذ جرى المجمع على اختيار الأفذاذ من شيوخ الأزهر أعضاء يسهمون في رسالته ، فكان المراغي وحمروش والخضر حسين وشلتوت وتاج والفحام من الأعضاء النابهين ، ومثل عبد المجيد في دقته الفقهية . وتبحره الأصولى ، لا يجهل مكانه ، ولكنه أصر على العزوف قائلاً في تواضع حبيب ، إنه فقيه لا لغوى ، ولن يكون الفقيه فقيهاً مجتهداً من طراز عبد المجيد إلا إذا كان لغوياً يعرف دقائق التفسير الحقيقي والمجازى للألفاظ ، وإذا كان قد آثر الابتعاد عن مجمع اللغة فقد دعا بكل جهوده إلى إنشاء جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية إذ هاله أن تحدث الفرقة بين أبناء الدين الواحد ، لأمور سياسية مضى عهدها منذ قرون ، وأصبحت حالة المسلمين في حاجة ماسة إلى اجتماع الشمل ، واتحاد الكلمة ، فأقام الندوات المتنوعة ، وكتب المقالات المتشعبة داعياً إلى تقوية الروابط وفض منازع الخلاف مستنداً إلى النصوص القرآنية وما صح من أقوال رسول الله ، ﷺ وماقام به الكبار من أئمة الصحابة والتابعين ثم ضرب المثل بنفسه فقال من مقال رائع نشر بالعدد الأول من مجلة « رسالة الإسلام » التى كانت تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة .

« إن هذه الأمة لا تصلح إلا إذا تخلصت من الفرقة ، واتحدت حول أصول الدين وحقائق الإيمان ، ووسعت صدرها فيما وراء ذلك للخلافات ، مادام الحكم فيها للحجة والبرهان ، وقد أدركنا في الأزهر على أيام طلبنا العلم ، عهد الانقسام والتعصب للمذاهب ، ولكن الله أراد أن نحيا حتى نشاهد زوال هذا العهد وتطهر الأزهر من أوبائه وأوضاره ، فأصبحنا نرى الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى إخواناً متصافين ، وجهتهم الحق وشرعتهم الدليل ، بل أصبحنا نرى بين العلماء من يخالف مذهبه الذى درج عليه في أحكامه لقيام الدليل عنده على خلافه ، وقد جريت طوال مدة قيامى بالإفتاء في الحكومة والأزهر ، وهى أكثر من عشرين عاماً على تلقى المذاهب الإسلامية ، ولو من غير الأربعة المشهورة - بالقبول مادام دليلها واضحاً عندى ، وبرهانها لدىَّ راجحاً مع أنى حنفى المذهب ، كما جريت وجرى غيرى من العلماء على مثل ذلك فيما اشتركنا في وضعه أو الإفتاء فيه من قوانين الأحوال الشخصية في مصر ، مع أن المذهب الرسمى فيها هو المذهب الحنفى ، وعلى هذه الطريقة نفسها تسير « لجنة الفتوى بالأزهر » ، التى أتشرف برياستها ، وهى تضم طائفة من علماء المذاهب الأربعة ، فإذا كان الله قد برأ المسلمين من هذه النعرة المذهبية التى كانت تسيطر عليهم إلى عهد قريب في أمر الفقه الإسلامى ، فإنا لنرجو أن يزيل مابقى بين طوائف المسلمين من فرقة ونزاع في الأمور التى لم يقم عليها برهان قاطع يفيد العلم ، حتى يعودوا كما كانوا أمة واحدة . ويسلكوا سبيل سلفهم الصالح في التفرغ لما فيه عزتهم ، وبذل الوسع فيما يُعلى شأنهم ، والله

الهادى إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل (٤) .

وقد كان لمقال الشيخ الكبير أثره المدوى فتجاوبت الآفاق الإسلامية شرقاً وغرباً بترديده ، وانهالت على دار التقريب عشرات المقالات المؤيدة الداعية ونشرت مجلة (رسالة الإسلام) بعض ما ورد من أئمة المذاهب الإسلامية وفى طليعتها ما كتبه العلامة الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، إذ نشر مقالاً ممتازا تحت عنوان(٥) (الاجتهاد بين السنة والشيعة) بالعدد الثالث قال فيه : « لقد كنت أعرف ذلك - الدعوة إلى الائتلاف - فى فضيلة الأستاذ الجليل عبد المجيد سليم وفى فريق صالح من إخوانه العلماء ولكن نشوة من الفرح والأمل يجب أن تغمر كل مسلم لإعلان هذا بلسان هذا العالم الكبير المسئول ، ولذلك لا يسعنى إلا أن أوجه للشيخ وأصحابه معه شديد الإعجاب وأكرم التحيات والحمد لله رب العالمين . » .

هذا وللأستاذ مقالات أخرى تحوم هذا الحوم ، وفيها من التوجيه السديد ما يبرىء الجراح ، ويشفى الكلوم لو صدقت العزائم وصحت النيات .

د : محمد رجب البيومى

---

(٤) مجلة رسالة الإسلام ، العدد الأول ربيع الأول ١٣٦٨ هـ ص ١١ .

(٥) رسالة الإسلام : رمضان ١٣٦٨ هـ ص ٢٣٩ .

طرائف

« للعبودية أركان »

صحة العقد ، وصدق القصد ، والوفاء بالعهد ، وحفظ الحد .

فصحة العقد : الإيمان بالله ـ تعالى ـ من غير تشبيه ولا تعطيل .

وصدق القصد : الإخلاص لله ـ تعالى ـ .

والوفاء بالعهد : امتثال الأوامر .

وحفظ الحد : اجتناب النواهى .

« الاستهانة بآداب الاسلام »

قال أبو على الدقاق :

من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة .

ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة .

ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعاً يوقع عنده باطلا فيوقع فى قلبه شبهة .

« قالوا .. »

* ليس من حسن الجوار ترك الأذى ، ولكنه الصبر على الأذى .

* من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه .

* إن أشد الناس غما الذى نزل غيره فى المكان الذى هو أحق به .

* آفة العلم النسيان ، وآفة الكرام مجاورة اللئام .

* إن قصرت يداك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

* إذا كنت فى بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل .

« كيف تراه ؟ »

أنشد رجل الفرزدق شعراً وقال له : كيف

مواقف

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

تراه ؟

فقال الفرزدق : لقد طاف إبليس بهذا الشعر فى الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك .

« من سعادة المرء »

أن تكون زوجته مطيعة ، وأولاده أبرارا ، وإخوانه صالحين ، ورزقه فى بلده الذى فيه أهله .

« حقا »

قال أبو العتاهية :

أمـا والله إن الظلـم لؤم
ومـازال المسىء هو الظلـوم

إلى ديان يوم الدين نمضى
وعند الله تجتمع الخصـوم

ستعلم فى الحساب إذا التقينا
غدا عند الإلـه من الملوم

« من حكم معاوية »

قال : لا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى .

« دعاء »

« اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والأرض ، رب كل شىء ومليكه ، اشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ، وشر الشيطان وشَرَكه » .

■

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

جمال الأسلوب

لفضيلة الإمام الدكتور
عبد الحليم محمود
"رحمه الله"

إذا كان الحكم على الجمال أمراً نسبياً فى المشاهدات العامة إلا أنه يختلف بالنسبة لجمال الأسلوب .

وقد شغل الأقدمون انفسهم بهذا الموضوع . حيث إنه يتصل اتصالاً وثيقاً بالذوق الأدبى الذى يخضع لمعايير تكاد تكون محددة ومعترفاً بها منذ القدم . إلى أن جاء التعبير القرانى ، فكان القمة فى جمال الأسلوب ، قال فضيلة الإمام :

أخذ المسلمون يبحثون بحثاً منظماً فى جمال الأسلوب منذ أن أخذوا يبحثون فى مسألة إعجاز القرآن . بيد أن جمال الأسلوب أمر شغل الإنسانية منذ أن وجد فيها شعراء يشدون ، وأدباء يعبرون عن موسيقى الوجدان ، فى نسق من السحر الحلال . فالهند ، منذ آلاف السنين ، قد بحثت فى جمال الأسلوب ، ونُقلت بعض آراء باحثيها إلى اللغة العربية . وفى ذلك يروى صاحب « زهر الآداب » وغيره : أن معمر بن الأشعث أخذ من « بهلة الهندى » صحيفة تحدد البلاغة عند أهل الهند ، ثم يروى صاحب زهر الآداب ما بالصحيفة ، وهو معروف مشهور ، يذكره كثير ممن يتعرضون للبلاغة ولجمال التعبير .

ولقد بحث اليونانيون فى العناصر التى يتكون منها جمال الأسلوب ، ونُقل الكثير من آرائهم فى ذلك إلى اللغة العربية . ولعل الكتاب المعاصرين لم يحيدوا عن سواء السبيل حين أخذوا يبحثون مدى تأثر آراء علماء الإسلام بآراء اليونان فى هذا الصدد .

وإذا كانت اللغات تختلف وتتباين فإن العناصر التى يتكون منها جمال التعبير تتحد فى جوهرها ، ولعلها لا تختلف إلا فى الشكليات ، ولذلك ينقل المسلمون آراء الأمم الأخرى لاعلى أنها آراء خاصة نشأت فى جو

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

لغوى معين ، وإنما على أنها آراء لها قيمتها رغم اختلاف اللغة والبيئة .

وجمال الأسلوب ، رغم كل ما قيل عن نسبية الجمال ، أمر محقق بل أمر موضوعى ، فهو يجذبه ويشده ويجبر الإنسان جبرا على الاعتراف له بالروعة والسحر . فالتعبير القرآنى ، حينما يمزجه الكاتب بأسلوبه ، يبدو دائماً كالدرة المتلألئة التى تزهو وسط عقد متناسق أو مهلهل . وأسلوب ابن المقفع باق على الدهر ، وأسلوب الجاحظ يعبر القرون فى عظمة وسمو .

ما سر هذا ؟

أهو العبقرية التى لم ترفع عنها الحجب ولم يكشف عنها الغطاء ؟

أهو الإلهام يحظى به الموعودون ؟

أم أن ذلك فن له أصوله وقواعده وله عناصره ومقوماته ؟

سواء أكان هذا أو ذاك ، أو كان شيئاً يمتزج فيه الإلهام بالعبقرية وبالإعداد الفنى ، فإن العقل الإنسانى لم يقف مكتوف اليدين أمام اكتشاف هذا النوع من السحر .

بدأ العقل الإنسانى إذن ، منذ عصور متطاولة ، يبحث هذا الموضوع ، واشترك فى البحث أعلام البيان أنفسهم ، وكان للجاحظ وكان لابن المقفع وكان لغيرهم آراء فى ذلك . ومع كل هذا فقد بقى باب البحث مفتوحاً على مصراعيه ، وبقيت كذلك مسألة « إعجاز القرآن » سراً غامضاً لم يصل – بعد – باحث إلى فصل المقال فيها ، بل لعل من العبث البحث فيها ، فهى معجزة والمعجزات حجر محجور على العقل الإنسانى . وهل رأيت شخصا يؤمن بالمعجزات ثم يبحث فى اكتشاف السر فى عصا موسى ؟

بيد أننا إذا أبعدنا القرآن من هذا الميدان ثم بحثنا عن السر فى البلاغة فإننا نجدها دائماً ، عند التطبيق ، تسخر من التحديد ، بل تسخر فى تهكم لاذع : البلاغة كما يقولون ويعيدون ، وكما يرددون فيكثرون الترديد ، هى مطابقة القول لمقتضى الحال . فإذا أردت التطبيق فإنك تجدها :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت
لها سبع دجاجات
وديك حسن الصوت

فهذا قول مطابق لمقتضى الحال ، وذلك أن بشاراً كما تروى القصة ، كان يخاطب خادمته ، فلم يكن من مطابقة القول لمقتضى الحال أن يخاطبها بمثل « قفا نبك .. » .

أهذه هى البلاغة ؟

ويقولون : إن من عناصرها « المشاكلة » ؛ وعند التطبيق نجدها تتمخض عن :

قالوا : اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه
قلت : اطبخوا لى جبة وقميصاً

أهذه هى البلاغة ..؟

←

ويتحـدثون عن بـراعة الاستهـلال ، فتتمخض البلاغة فى مقدمة النحو عن : « الحمد لله الذى نصب كذا وخفض كذا وجزم كذا وجر كذا .. » ! وذلك كلام تمجه الأذواق .

ولكن البحث مستمـر . ولكثـير من الباحثين : شرقيين كانوا أم غربيين ، قدامى كانوا أم محدثين ، آراء لها قيمتها ولها منطقها ، شاءت البلاغة أم أبت . من بين هؤلاء الباحثين أديب فرنسى ، قضى حياته فى الأدب وفى النقد ، وكان ولايزال علماً من أعلام البيان الفرنسى ؛ ذلك هو « أناتول فرانس » ، وهو أديب يعلم كل من يقرأ الفرنسية أن أسلوبه صورة صادقة لتحديد البلاغة بأنها « السهل الممتنع » . وهو فى الوقت نفسه صورة صادقة لرأيه الذى نعرضه أمام القراء ، والذى لا يعدو أن يكون شرحاً للسهل الممتنع . ورأى الأديب الفرنسى يشبه كثيراً من الآراء التى قالها الشرقيون من قبل . ولعل القارىء سيلمس وجه الشبه بينه وبين ما يروى عن « بشار » حينما سئل عن السر فى إحسانه فقال : « لأنى لم أقبل كل ما تورده علىَّ قريحتى ، ويناجينى به طبعى ، ويبعثه فكرى ، ونظرت إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبرها ، وانتقيت حرها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفها ، والله ما ملك قيادى قط الإعجاب بشىء مما آتى به » . انتهى كلام بشار .

ويقول الأديب الفرنسى فى كتابه « حديقة أبيقور » :

« إن كل ما لا يستمد قيمته من ذاته ، وإنما يستمدها من جدة صياغته ، ومن ذوق فنى خاص ، يموت بسرعة ويندثر . وما « المودة » الفنية إلا كبقية « المودات » لادوام لها ولابقاء . أرأيت تلك الأساليب المتكلفة التى لاتبغى من وراء تكلفها إلا الجدة ؟ إن مثلها كمثل ماتخرجه محلات الخياطة الكبيرة من أثواب فيها الجدة ، غير أنها تنتهى بانتهاء الموسم . والفن الروماني ، حينما تدهور ، زين رءوس تماثيل الامبراطورات بمثل ماكانت تزين به رءوس السيدات إذ ذاك من زينة وقتية ، فلاتلبث هذه التماثيل حتى تصير نابية عن الذوق مستهجنة ، ويضطر الفنان إلى التغيير والتبديل ، فيلبس التمثال جمة مرمرية مستعارة . فإذا ماسرنا فى الأسلوب على ذلك النسق من الزينة الوقتية فلا مناص من التغيير فيه والتبديل كل عام . وإذا ماأَجَلْنَا الطرف فى عصرنا الحاضر ، عصر السرعة فإننا نجد أن المدارس الأدبية لا تدوم إلا قليلاً من السنين ، بل إنها ـ أحيانا ـ لاتلبث إلا شهوراً . إنى لأعرف كتاباً لايزالون فى مقتبل العمر ومع ذلك فإنى أشعر بأن أسلوبهم قد أتى عليه الدهر . إن السر فى ذلك لاريب ، هو الأثر الذى أحدثه هذا التقدم العجيب الباهر فى الصناعة والآلات . أجل ! إنه هذا التقدم الذى يدفع بالجماعات فى سرعة تشدهها . لقد كنا نستطيع ، فى عهد السكك الحديدية ، أن

نحيا طويلاً على أسلوب مزخرف . أما وقد اخترع التليفون ، فإن الأدب ، وهو دائماً يتبع البيئة ، قد أخذ فى تجديد أساليبه بسرعة تدعو إلى اليأس . لهذا فإننا نرى مايراه الأستاذ « لودفيك هلفى » من أن الأسلوب البسيط هو وحده الذى يعبر السنين محتفظاً بقيمته ، نعم إنه يعبر السنين ولا نزعم أنه يعبر القرون ، فإن ذلك من المبالغة بمكان .

« على أن المشكلة إنما هى تحديد الأسلوب البسيط . ويجب أن نعترف أن ذلك ليس بالأمر اليسير . إن الطبيعة ، كما نعرفها وكما هى فى البيئات الصالحة للحياة ، لاتعرض علينا قط شيئاً بسيطاً ، وليس للفن أن يتطلع إلى بساطة نَأَتْ عنها الطبيعة . ومع ذلك فإننا جد متفاهمين حينما نقول عن أسلوب ما : إنه بسيط ، وعن أسلوب آخر إن البساطة لاتجد إليه من سبيل .

« ومادام الأمر كذلك فإنه لايوجد فى الواقع من الأساليب مايمكن أن يقال عنه : إنه ـ حقيقة ـ بسيط ، وإنما يوجد منها مايبدو أنه بسيط ، وهذا الأخير هو الذى كتب له الثبات بل الثبات الفني .

« بقى علينا أن نبحث عن السر فى هذه الظاهرة الموفقة : ظاهرة البساطة . إن الأساليب ، لاشك مدينة بها ، لا إلى قلة العناصر المختلفة فإنها تزخر بها ، بل إلى أن هذه العناصر تكون وحدة صهرت أجزاؤها صهراً بلغ من قوته أن صيرها نسقاً سوياً لايميز الإنسان مافيه من أجزاء . وما مثل الأسلوب البليغ إلا كمثل هذا الشعاع من النور الذى ينساب من نافذتى وأنا أكتب **إنه يدين بضوئه الصافى إلى الاتحاد الوثيق بين الأطياف السبعة المكونة له . وما الأسلوب البسيط إلا كالنور الأبيض إنه معقد التركيب سوى أن شيئاً من ذلك لايبدو عليه** . ليس هنا إلا صورة خيالية أردت بها تقريب الموضوع ، وإنى لجد عليم بقيمة مثل تلك الصور إذا لم تصنعها يد شاعر صناع . بيد أني قصدت أن أبين أن البساطة الجميلة المنشودة فى الأساليب ليست إلا مظهراً يخفى ماتحته من حقيقة ، وأنها تنتج فقط عن التنسيق الموفق والاقتصاد البالغ فى الأجزاء التى يتكون منها الموضوع » .

أما بعد : فقد يتفق القارىء مع وجهة نظر الأديب الفرنسي وقد يختلف ، وسواء كان هذا أو ذاك فالقارىء يرى ـ لاشك ـ أن هذا الرأي له قيمته وله منطقه .

ومهما يكن من شيء فإن مطابقة القول لمقتضى الحال تعلق قيمة القول الفنية بظرف خارجى ، وهذا يصدق على التافه من القول كما يصدق على القيم منه ، بل وينتهى إلى أن الكلام الواحد بليغ فى موطن ، غير بليغ فى موطن آخر ، وذلك كما ترى سفسطة ونسبية يأباهما العلم .

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق « بمطابقة القول لمقتضى الحال » فإنه جد مختلف فيما يتعلق « بالسهل الممتنع » . **ولعل القارىء**

من روائع مجلة الأزهر

لاحظ ان بشارا وأناتول فرانس يتفقان كلاهما ، على ضرورة إحكام النسج ، وإعمال الروية ، حتى لاتبدو الصنعة ، وحتى لا يبدو التكلف ، وماذلك إلا لأجل ان يتسم الكلام بسمة البساط أو بسمة السهولة ، فيبدو الأسلوب سهلاً ، ويمتنع ، لما يزخر به من عناصر تتصل باللغة ، وتتصل بالتفكير .

لهذا الرأي أنصاره العديدون ، وإذا اتخذناه مقياساً للجمال أمكننا أن نفسر هذا الاتفاق ، الذى يكاد يكون تاماً ، على جمال أسلوب ابن المقفع ، وأمكننا أن نفسر الاختلاف فى شأن أسلوب المنفلوطى والرافعي ؛ وذلك أن الأول منهما - وإن كان قد أحكم نسجه من جهة اللغة - فليس فيه مايزخر به من عناصر التفكير .

وأما الثاني - وإن كان فيه من عناصر الخيال مايزخر به - فإن التكلف والصنعة يفاجئان القارىء لأول نظرة .

هل نتخذ إذن « السهل الممتنع » مقياساً ؟ لعل لأنصار الرافعي ، ولأنصار المنفلوطي ، ولغيرهما ، آراء أخرى ؛ ولعل فى مجلة الأزهر سعة للبحث فى هذا الموضوع الذى ماأردت بكلمتى فيه إلا إثارته من جديد .

« المجلد الثامن عشر»

العلوم الكونية

الإنسان وأبحاث الفضاء الكوني

الجراد

الإنسان
وأبحاث الفضاء الكونى

تمهيـد :

شهدت ابحاث الفضاء الكونى خلال العقدين الأخيرين تطوراً كبيراً ، بحيث اصبحت الآن على درجة عالية من النضج والتأثير فى مختلف مجـالات النشاط الإنسانى على سطح الأرض ، كما تزايدت طموحات الدول التى تندفع قُدماً فى هذا الميدان ، بحيث اصبح من أهم أهدافها تحقيق التواجد الـدائم للإنسـان فى مستعمرات فضائية تمكنه من استكشاف ثروات المجموعة الشمسية ، وتـأكيد سيطرته عليها . وقد شرع أصحاب النزعة العلمية المتطرفة ـ على الصعيد الفكرى ـ فى الترغيب لما يشبه الاعتقاد بأن الفضاء الخارجى هو الموطن الطبيعي للبشر .

لكن الإنسان لو انصف وثاب إلى رشده لما أسرف كثيراً فى تقديره لإنجازاته وانتصاراته العلمية ، ولاهتدى إلى حقيقة علمه المحدود ومعرفته المتواضعة بأسرار هذا الكون الفسيح الذى يزداد مع التطور عمقاً واتساعاً ، وذلك مصداقاً لقول الحق ـ سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (سورة فصلت : ٥٣) .

وقوله ـ جل شأنه ـ : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء : ٨٥) .

وقوله ـ عزّ من قائل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة النحل : ١٢) .

وسوف نعرض فيما يلى لطبيعة العلاقة المتبادلة بين الإنسان والكون من وجهة نظر التحصيل المعرفى ، ثم نلقى الضوء على بعض الأسس والمفاهيم العلمية التى تقوم عليها أهم الأبحاث الجارية فى مجالات علوم الفضاء وتقنياته المتمثلة : فيما نراه أو نسمع عنه من صواريخ فضائية وأقمار صناعية ومتنقلات « مكوكية » ، أو فيما يُزْمَعُ إطلاقُه فى المستقبل القريب من محطات قمرية ومستعمرات مدارية ورحلات استكشافية بعيدة المدى .

(*) الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

د. أحمد فؤاد باشا

الإنسان وتصوراته عن الكون :

امتن الله سبحانه وتعالى على العباد بنعمة الخلق والإيجاد ، وامتن عليهم بتكريم آدم عليه السلام وتعظيم شأنه ، وشرّفه على الملائكة إذ خَصَّهُ بتعليمه أسماء كل شىء دونهم ، وأخبر بامتنانه على بنى آدم بتنويهه بذكرهم فى الملأ الأعلى قبل إيجادهم . ولا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع ، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٣٠ ـ ٣٣) .

وقد جاء فى التفسير : أن الله تعالى علم آدم الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها . وقال ابن عباس : علّمه اسم كل شىء حتى القصعة والمغرفة . والحاصل أن الله تعالى أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة ، وخصه بالمعرفة التامة دونهم (١) .

من ناحية أخرى ، وفى مقابل هذا التكريم الإلهى للجنس البشرى ، أشار القرآن الكريم إلى الوجه الآخر من حقيقة الإنسان وحدوده ، وأظهره على أن الكون أكبر منه ، وأن مركز الثقل فى بحثه عن الحقيقة لا يوجد فى عقله ونفسه فقط ، بل يوجد أيضاً فى الطبيعة من حوله . قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة غافر : ٥٧) ، وقال سبحانه : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (سورة النازعات : ٢٧ ـ ٣٣) . كما أشار القرآن الكريم إلى الأصل الترابى للإنسان وتسويته من مادة قبل أن ينفخ الله فيه من روحه ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ (سورة الروم : ٢٠) .

←

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٤٩ ـ ٥٢ . وصفوة التفاسير ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ط ١ (١٩٨١) .

الانسان وأبحاث الفضاء

ومعنى هذا كله أن الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى هى ارتباطه بالعالم الذى يعيش فيه ، لا ليكون جزءاً منه فقط ، بل ليرتبط بتاريخه أيضاً ، ويكون أهلاً للبحث عن الحقيقة وأداء الأمانة . قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (سورة الأحزاب : ٧٢) .

هكذا كان العلم قرين الإنسان منذ خلقه الله تعالى ، فانشغل بالتأمل في كل ما يحيط به من سماء وأرض ، وما يحدث حوله وأمام ناظريه من ظواهر وأحداث . وسعى إلى معرفة العالم الذى يعيش فيه معرفة حقيقية ، تمكنه من التغلب على مصاعب البيئة ، وتوفر له الحصول على مقومات حياته والأمان مما يهددها من أخطار ، وتؤكد له ميزته على الكائنات الأخرى بالقدرة على تحصيل العلم وتحقيق الاستفادة منه لخدمة أغراضه ومصالحه ، واستطاع الإنسان تدريجياً ، بالفطرة والخبرة ، أن يكوّن لديه تصوراً عن أهمية المكان والزمان ، ليس فقط بالنسبة لتاريخه هو على الأرض، ولكن أيضاً بالنسبة لتاريخ الكون بأسره ، وذلك من خلال تأمله فى طبيعة حركته وتفاصيل نظامه ، ومن خلال تعامله مع ظواهره وموجوداته .

وقد ظل الإنسان ردحاً طويلاً من الزمان يعتقد بصحة النظام الذى تخيله الفيلسوف الإغريقى « بطليموس » عن الكون ، والذى يقضى بجعل الأرض سيدة للأجرام السماوية جميعها ومثبتة فى مركز الكون المؤلف من القمر والشمس والكواكب والنجوم التى نراها ثابتة ليلاً . وساد اعتقاد قوى بين القدماء بأن الإنسان الذي يعيش على أرضٍ هذه مكانتها لابد أن يكون سيِّد الكون بأسره .

وكان يمكن ألّا يخرج الإنسان من أوهامه الفلسفية ونظرياته الخرافية بسبب تأخره فى العثور على منهج البحث العلمى السليم الذى توصل إليه علماء الحضارة الإسلامية بصناعة الأجهزة وإجراء التجارب وإقامة المراصد فى مختلف عواصم الدول الإسلامية . وكانت الجداول الفلكية التى دوّنها علماء المسلمين فى مؤلفاتهم عن حركات الكواكب والنجوم ذات فائدة كبرى بالنسبة لعلماء عصر النهضة الأوروبية ، من أمثال (تيكوبراهى) و(كوبرنيكوس) و(جاليليو) و(كبلر) و(نيوتن) ، الذين قاموا بتصحيح تصوُّر الإنسان عن الكون ونجحوا فى صياغة قوانين كمية لوصف حركة الأجرام السماوية وجاذبيتها .

وأصبح الفضاء الكونى كما تدل عليه نتائج الأبحاث النظرية والتجريبية فى علوم الفلك والفيزياء والميكانيكا

والـرياضيـات مشتمـلاً عـلى بـلايـين المجرات(**) مختلفة الاحجام والأشكال .

وتحتوى المجرة الواحدة على ملايين النجوم المتوهجة . ويطلق على المجرة التى تنتمى إليها شمسنا ومجموعتها التى نعيش فيها اسم « درب التبانة » أو « درب اللبانة » . والكون يعنى كل ما هو موجود ، بدءاً من الارض وما عليها حتى ابعد النجوم والمجرات التى لا يعلم عددها وبُعدها إلا الله(***) .

وقد اكتشف العلماء ان المجـرات البعيدة تطير بعيدة عنا فى فضاء الكون السحيق ، كما تبعد ايضاً عن بعضها البعض ، واستنتجوا من تمدد الكون واتساعه على هذا النحو نظرية علمية تقضى بأن جميع هذه المجرات كانت قريبة جداً من بعضها عند بدء الكون كله قبل ما يسمى بالانفجار الأعظم Big Bang .

قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (سورة الأنبياء : ٣٠) .

أما المجموعة الشمسية فهى أكبر من أن تحيط بها افكارنا ، بالرغم من أنها ليست سوى ذرة ضئيلة بالنسبة لهذا الكون الشاسع ، وهى تتكون من الشمس والكواكب والأقمار ، بالإضافة إلى آلاف الكويكبات السيارة والمذنبـات والشهب . والكواكب المعروفة اليوم عددها تسعة هـى ـ حسب ترتيب بعدها عن الشمس ـ عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو . ويوضح الجدول بعض البيانات الفلكية التى تميز هذه الكواكب ، بالإضافة إلى الشمس والقمر(****) .

وتدور كل هذه الأجرام بسرعات مختلفة فى أفلاك محددة شبه دائرية أو بيضاوية الشكل ، يحكمها قانون صارم يحفظ عليها حركتها المنتظمة المعجزة ، فلا ينفرط عقدها ولا يحدث الاصطدام بينها . وصدق الخالق العظيم حيث يقول : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ .

لَا الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة يس : ٣٨ ـ ٤٠) .

وسبحان العليم الحكيم الذى جعل الأرض مهبطاً لأبينا آدم عليه السلام ، فهى أنسب الكواكب لحياة البشر ، ولو كانت مكان الزهرة مثلاً لكان جوها الكثيف حارًّا وخانقاً لكثرة غاز ثانى أكسيد الكربون ، ولو كانت مكان المريخ مثلاً لتجمد بخار الماء ولتلاشى معظم غلافها الجوى فى أرجاء الفضاء . فشتَّان شتَّان بين ما اختار الله لعباده ، وبين ما يختار البشر لأنفسهم .

←

(**) البليون Billion يساوى مليون مليون (فى انجلترا والمانيا) ، بينما يساوى ألف مليون (فى فرنسا وأمريكا) .

والتعريف الثانى هو الأكثر شيوعاً .

(***) الكون فى العقيدة هو كل ما سوى الله .

(٥)

جدول يوضح بعض البيانات الفلكية المعروفة عن المجموعة الشمسية

اسم الجرم	البعد عن الشمس بالمليون كيلومتر في المتوسط	الكتلة بالكيلوجرام	نصف القطر الاستوائي بالكيلومتر	عجلة الجاذبية بالمتر في الثانية المربعة	الزمن الدوري حول الشمس بالأيام	الزمن الدوري حول المحور بالساعات	سرعة الهروب بالكيلومتر في الثانية
عطارد	٥٨,٢	$٠,٣٢ \times ١٠^{٢٤}$	٢٤٤٠	٣,٦	٨٨	٨٨ يوما	٤,٢
الزهرة	١٠٨	$٤,٩ \times ١٠^{٢٤}$	٦٠٢٠	٨,٥	٢٢٤,٧	٢٠ يوما	١٠,٢
الأرض	١٥٠	$٥,٩٨ \times ١٠^{٢٤}$	٦٣٧٨	٩,٨١	٣٦٥,٢٦	٢٣,٩٣	١١,٢
المريخ	٢٢٧	$٠,٦٤ \times ١٠^{٢٤}$	٣٤٠٠	٣,٨	٦٨٧	٢٤,٦١	٥,٠
المشتري	٧٧٨	١٩٠٠×١٠^{٢٤}	٧١٤٠٠	٢٦,٠	٤٣٣٢	٩,٨٤	٦١
زحل	١٤٧٢	٥٧٠×١٠^{٢٤}	٦٠٤٠٠	١١,٢	١٠٧٦٠	١٠,٢٣	٣٧
أورانوس	٢٨٧١	٨٧×١٠^{٢٤}	٢٣٨٠٠	٩,٤	٣٠٦٩٠	١٠,٨	٢٢
نبتون	٤٤٩٨	١٠٣×١٠^{٢٤}	٢٢٣٠٠	١٥,٠	٦٠١٨٠	١٥,٧	٢٥
بلوتو	٥٩١٠	$٥,٤ \times ١٠^{٢٤}$	٢٩٦٠	٨,٠	٩٠٧٣٠	١٦,٠	١٠
القمر	(*)	$٧,٣٨ \times ١٠^{٢٢}$	١٧٣٨	١,٦٢	(*)	٢٧,٣٢ يوماً	٢,٣٨
الشمس	(**)	٢×١٠^{٣٠}	$٦,٩٦ \times ١٠^{٥}$	٢٧٣	(**)	٢٥,٣ يوماً	٦٢٠

(*) متوسط بعد القمر عن الأرض يساوى (٣٨٤) ألف كيلومتر، وزمنه الدورى حولها يساوى ٢٧,٣٢ يو

(**) تبعد الشمس عن أقرب النجوم إليها مسافة تبلغ نحو (٥٠) ألف مرة قدر بعدها عن الأرض، ويبلغ الزمن الدورى للشمس حول المجرة نحو (٢٢٥) مليون سنة

ملاحظة: رقم المليون مؤلف من واحد إلى يمينه ستة أصفار ويكتب على الصورة $١٠^{٦}$، وعلى هذا فالرقم $١٠^{٢٤}$ مثلاً مؤلف من واحد إلى يمينه أربعة وعشرون صفراً، وهكذا.

الجاذبية الكونية وسرعة الهروب :

شرح العالم الانجليزي (إسحق نيوتن) حركة الكواكب فى مساراتها حول الشمس على أساس **قانون الجذب العام الذى يقضى بأن اى جسمين فى الكون يجذب أحدهما الآخر بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب كتلتىْ الجسمين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما** . وإذا علمنا أن كتلة الشمس تبلغ (٩٩,٨٨٦) فى المائة من الكتلة الكلية للمجموعة الشمسية لأدركنا كيف يمكن لقوة جذب الشمس أن تخضع الكواكب للدوران حولها ، ولولا هذه القوة غير المرئية لا ندفع كل كوكب إلى الخارج بتأثير ما يُسمى بـ « القوة الطاردة المركزية » الناشئة عن حركة الكوكب الدورانية . فكأن قوة جذب الشمس تعادل القوة المركزية الطاردة التى تعمل على إخراج الكوكب عن مداره وإبعاده عن مركز الدوران . وبنفس الطريقة يمكن تفسير حركة الأقمار حول الكواكب وحركة المجّرات حول مراكزها . قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** ﴾ (سورة الرعد : ٢) .

وباستخدام قوانين الحركة والجاذبية المعروفة جيداً لدارسى مبادىء علوم الميكانيكا والفيزياء والرياضيات يمكن حساب الكثير من الكميات الفيزيائية المميزة للأجرام السماوية المختلفة ، وقد أوردنا بعضها على سبيل المثال فى الجدول المبين بالنسبة لمجموعتنا الشمسية .

وهنا ، تكتسب الكميتان : « **عجلة الجاذبية** » و« **سرعة الهروب** » أهمية خاصة فى صدد الحديث عن أبحاث الفضاء الكونى . فعجلة الجاذبية لأى كوكب هى التى تحدد أوزان الأجسام المادية على سطحه ، ومقدار تسارعها أثناء سقوطها العمودى نحوه . وطبقاً لقانون الجذب الكونى فإن هذه العجلة تقل تدريجياً مع زيادة الارتفاع عن سطح الكوكب حتى تتلاشى ، ويكون الجسم الموجود عندئذ فى حالة انعدام الوزن .

أما « **سرعة الهروب** » الخاصة بكوكب ما فتعنى : **السرعة الحرجة التى يجب أن تقذف بها الأجسام عند سطحه عندما يراد لها أن تفلت من تأثير جاذبيته** ، ويعزى تفسير عدم وجود غلاف جوى حول القمر مثلاً لصغر سرعة هروب جزيئات الغاز عند سطحه . ومن فضل الله علينا أن الأرض تجذب إليها غلافها الجوى الضرورى لحياتنا بنسبة تفوق سرعة إفلات غازاته إلى الفضاء الخارجي . وقد ظل تحقيق حلم الإنسان بالسفر فى الفضاء مرهوناً بقدرته على تحقيق الانطلاق من سطح الأرض بسرعة الهروب المطلوبة ، وهى ١١,٢ كيلو متر فى الثانية ، حتى تمكن من صنع صواريخ مناسبة فى خمسينيات القرن الحالى .

(****) نكتفى هنا بهذا الجدول ليساعد على المقارنة بين أهم خصائص المجموعة الشمسية ، ويمكن لمن يريد التعرف على تفاصيل اكثر أن يرجع إلى أى كتاب مبسط فى الفلك مثل :

ــ الكواكب والنجوم والمجرات ، عبد المنعم السيد عشرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ .

ــ الموسوعة المصورة للشباب ، ترجمة د . محمد أمين سليمان و د . أحمد فؤاد باشا ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٦ .

الجراد

حياته، انتشاره
آثاره

جاء في المعجم الوسيط (باب جَرَدَ) : جَرَدَهُ - جَرْداً : قَشَرَهُ وأزال ما عليه . ويقال : جَرَدَهُ من ثوبه : عَرَّاهُ . وَجَرَدَ الجِلْدَ : نزع عنه الشعر . وجَرَدَ الجرادُ الأرضَ : أكل ما عليها من النبات وأتى عليه فلم يُبْقِ منه شيئاً . وجَرَدَ القحطُ الأرضَ : أذهب نباتها . وجَرَدَ السيف من غمده : سلَّه . وجَرَدَ القطن : حَلَجَهُ . جَرِدَ المكان : خلا من النبات ، فهو أَجْرَدُ ، وجَرِدُ ، وجَرْدُ . وأرضٌ جَرِدَةٌ وجرداء . جَرِدَ الرجل : شَرِيَ جلدُه من أكله الجراد ، فهو جَرِدٌ . جُرِدَ الرجل : اشتكى بطنه من أكل الجراد . جُرِدَ الزرع : أصابه الجراد ، فهو مجرودٌ ، ويقال : أرضٌ مجرودةٌ : كثيرة الجراد .

الجراد (Locusts) يشترك مع النطاطات (Grasshoppers) في الانتساب إلى فصيلة الجراديات (Acridiidae) وهي التابعة لرتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة (Orthop-tera) في عالم الحشرات .

وتضم فصيلة أكريديدى أى الجراديات الكثير من أنواع الجراد والنطاطات التى تلحق الضرر بالمزروعات وتدمر الحاصلات الزراعية ، سواء كان ذلك في قارة أفريقيا أم في قارة آسيا ، وعلى وجه الخصوص الجراد الصحراوى . وتنتشر من الجراد أنواع مختلفة في مناطق متفرقة من العالم ، منها على سبيل المثال :

الجراد الصحراوى (الرحال)
Schistocerca gregaria
الجراد الآسيوى المهاجر
Locusta migratoria migratoria
الجراد الأفريقى المهاجر
Locusta migratoria migratorioides
الجراد المصرى

● الكاتب : عضو هيئة التدريس بكلية العلوم جامعة الأزهر ، وعضو اتحاد الكتاب بجمهورية مصر العربية .

Anacridium aegyptium

الجراد الأحمر

Nomadacris septemfasciata

ويتكون جسم الجرادة من رأس وصدر وبطن ، أما الرأس فيغلفها جليد سميك متصلب يسمى علبه الرأس (Head capsule) ويوجد بها العيون المركبة والعيون البسيطة وقرنا الاستشعار (الـزبانى) وأجزاء الفم القاضمة . وتتكون علبة الرأس من مساحات تفصلها عن بعضها حزوز أو دروز (Sutures) ، وهى الجبهة والدرقة والجداريان والوجنة .

وأما الصدر فيتصل بالرأس عن طريق العنق ، ويتكون من ثلاث عقل ، تحمل كل منها زوجا من الأرجل المجهزة للمشى والوثب العالى ، أما العقلة الصدرية الثانية والعقلة الصدرية الثالثة ، فيحمل كل منهما زوجاً من الأجنحة الغشائية الواسعة المساحة ، وهى التى تتصل بالصدر عن طريق دواعم وتتحرك بعضلات قوية فترفرف بقوة تمكن الجرادة من الطيران لساعات طويلة تقطع خلالها مسافات شاسعة .

أما عن دورة حياة الجراد فإنه يتكاثر فى أجيال متعاقبة ، وفى العادة يبدأ الجيل بوضع البيض وينتهى بقيام الإناث البوالغ بوضع البيض لإنتاج جيل جديد لاحق . ومن المعروف فى الجراد أن البيض الموضوع يفقس لتخرج منه حوريات (Nymphs) ، وهى التى سماها الجاحظ والدميرى وغيرهما « دبا » أو « دبى » ، وهذه تضطر للقيام بعمليات انسلاخ حتى تتمكن من النمو والازدياد فى الحجم والوصول إلى الشكل اليافع فى حياتها ، وهى العملية التى تسمى « التحول » (Metamorphosis) .

للجراد الصحراوى مظاهر ثلاثة فى حياته :

المظهر التجمعى (Migratory phase) وهو الذى يتجمع ويطير فى أسراب ويهاجر ويسبب الخسائر الاقتصادية للناس .

المظهر الانعزالى أو الانفرادى (Solitary phase) ، وهذا لا يهاجر لأنه لا يتجمع أو يكون أسرابا ، ومن ثم فأضراره الاقتصادية أقل بكثير من أضرار المظهر السابق . لكنه يمثل الخامة الأولية التى منها يتشكل أو يتحول أو ينتج المظهر التجمعى ، وهذه مرحلة أو مظهر يسمى المظهر التحولى (Transition phase) .

ولأطوار الجراد فى دورة حياته أسماء عديدة - نرجع إلى علماء التراث العلمى لنتعرف عليها - وأشهرها : الدبى : (بتشديد الدال وتخفيفها وإبدال الياء ألفا أحيانا) ، وهو أول ما يفقس عن البيض ، ومفرده (دباة) ، وأرض مدبية أى كثيرة الدبى . الجنـادب ، ومفردهـا (جندب) ، وهى

←

حوريات منسلخة من الدبى . الكتفان : ومفردها كتفانة . ويقول الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان الكبرى) : هو الجراد أول ما يطير ، وقد يكون هو الجراد بعد الغوغاء . وقيل إن أول الجراد السرء (أى البيض) ثم الدبى ثم الغوغاء ثم الكتفان . خيفان : ومفردها خيفانة . وغوغاء : ومفردها غوغاءة وغوغاة .

فإذا هزلت الجرادة سميت حرشوف ، وقد شبهت خولة بنت ثعلبة زوجها أوس بن الصامت بالحرشاف (أو الحرشوف) ، وهى الجرادة الهزيلة الكثيرة الأكل . وقد وجدنا عند الجاحظ فى كتابه الموسوعى (الحيوان) أن صوت الجراد هو الصوصأة .

انتشار الجراد وأسرابه وغاراته

تكمن خطورة الجراد الصحراوى فى قدرته على الترحال والقيام برحلات الهجرة والطيران التى تقطع فيها مسافات شاسعة وكذلك اقتداره التكاثرى فى أجواء مختلفة حيث ينتشر فى مناطق تضم أربعا وستين دولة هى معظم دول أفريقيا حول خط الاستواء ، وفى آسيا تشمل الدول شبه الجزيرة العربية وفلسطين ولبنان وسوريا وتركيا والعراق وإيران وأفغانستان وباكستان والهند وحدود الاتحاد السوفييتى المتاخمة لأفغانستان وإيران وتركيا .

مناطق التكاثر الموسمية

للجراد الصحراوى

تشمل هذه المناطق ما يلى :

١ ـ منطقة التكاثر الصيفى : وتضم الهند والباكستان واليمن وعدن وأثيوبيا والسودان وتشاد والنيجر ونيجيريا وموريتانيا ومالى والسنغال .

٢ ـ منطقة التكاثر الشتوى : وتضم شبه جزيرة الصومال وشواطىء البحر الأحمر لليمن والسعودية وإريتريا والسودان ومصر وعمان وساحل إيران على الخليج العربى .

٣ ـ منطقة التكاثر الربيعى : وتشمل بلاد شمال أفريقيا والشرق الأوسط وإيران وأفغانستان وغرب باكستان والحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتى وشبه جزيرة الصومال .

تخرج أسراب الجراد من مناطق التكاثر المذكورة ، وتعود إليها ، بقصد المحافظة على النوع ، مع اختلافات الظروف البيئية ، وأهم ما يؤثر على مصر هو الأسراب الناتجة من مناطق التكاثر الصيفى بشرق أفريقيا وخاصة أثيوبيا والصومال وإريتريا والسودان ـ وكذلك الأسراب الناتجة من المناطق الشرقية من الهند وباكستان وإيران والمملكة العربية السعودية حيث تهاجر الأسراب من هذه المناطق إلى منطقة الشرق الأوسط .

حينما يلاحظ المرء تحرك أسراب الجراد الصحراوى فى منطقة من مناطق انتشاره (Dispersion) ، يعرف أن هناك غزوة أو غارة جراد تنذر بالكارثة (Plague) ، أما إذا

لم ير المرء أسرابا فى تلك المناطق فإنه يطلق على هذه الحالة « تراجع » أو « انحسار » أو « سكون » الغزوات (Recession) .

ويلاحظ أنه لا توجد فترات سكون أو دورات منتظمة للغارات ، وبذلك لا يتمكن المراقبون من الاستعانة بتاريخ الغزوات السابقة فى التنبؤ بالتطورات المتوقعة للغزوات المستقبلية . وقد يستمر التكاثر المحدود للجراد الصحراوى عددا من السنوات فى إحدى مناطق التكاثر الموسمية دون أن يخرج منها أسراب ، بينما فى منطقة أخرى قد تتزايد أعداد الجراد بها بشكل سريع ، وتتكاثف الحشرات وتتكون الأسراب ، وتعرف هذه المناطق بالمنابت (Origins) الأصلية للجراد ، حيث تتوقف شدة الغارة الناتجة على مدى مواءمة الظروف البيئية فيها . وهذه المنابت الأصلية لا تتصف بأنها دائمة بل هى مؤقتة ، تتغير من وقت لآخر فى مناطق انتشاره .

الأضرار العالمية للجراد والخسائر الناجمة عن غزواته وهجماته

يعتبر الجراد الصحراوى من أهم الآفات الاقتصادية التى تسبب خسائر فادحة إذا ما هاجرت أسرابها من منابتها الأصلية إلى مناطق انتشارها وغزواتها .

تأكل الجرادة الحمراء الواحدة (وهى التى لم تصل بعد إلى مرحلة نضجها التناسلى) قدر وزنها من النباتات الخضراء ، وهذه الحشرة تزن فى المتوسط جرامين ، فإذا علمنا أن السرب الواحد (الصغير) يضم (٤٠٠) مليون جرادة ، فبعملية حسابية بسيطة يمكن معرفة أن السرب (Swarm) يلتهم نحو (٨٠٠) طن من المزروعات يوميا ، وإذا علمنا أن هذه الجرادة الحمراء تحتاج ١٥ ـ ٢٠ يوما حتى تصل إلى حالة النضج التناسلى لتضع البيض فعلينا أن نعلم أن هذا السرب خلال هذه المدة يلتهم ما بين (١٢٠٠٠) ـ (١٦٠٠٠) طن من النباتات الخضراء . وهكذا تتضح الخسائر الفادحة التى تصيب الإنسان من جراء غزوات الجراد لحاصلاته الزراعية .

ومما يزيد الأمر خطورة أن الغزوة الواحدة قد ينفذها أكثر من سرب واحد ، وهذا ما حدث فى صحراء مصر الشرقية فى الأعوام (١٩٦٨) ، (١٩٧٢) ، (١٩٧٨) ، (١٩٨٢) ، حيث كانت تأتى الغزوة وتقوم بها عدة أسراب ، إلا أن القائمين على مكافحة الجراد بها قد تصدوا لها وقضوا عليها .

ومن أهم الإحصاءات الخاصة بالتقدير المالى لحجم التلفيات الناجمة عن غزوات الجراد ما أوردته منظمة الأغذية والزراعة (الفاو FAO) فى نشراتها ودورياتها ، ومنه :

١ ـ خلال فترات غزو الجراد الذى استمر من عام ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٣٥ قدرت قيمة التلفيات التى حدثت بالمحاصيل الزراعية بنحو (١٠٠) مليون دولار سنويا .

٢ ـ فى عام ١٩٥٤ ، وعام ١٩٥٥ ، سجل (٥٠) سرباً من الجراد ، أدت إلى تلف زهاء (٢٥٠) ألف طن من محصول الذرة ، كما قدرت قيمة التلفيات التى أحدثتها هذه

← الجـــراد

الأسراب بالزراعات وحاصلات الفاكهة فى مراكش بنحو (١٥) مليون دولار .

٣ ـ وفى عام ١٩٦٠ قدرت قيمة التلفيات التى أحدثتها أسراب الجراد فى أثيوبيا بنحو (١٠) ملايين دولار ، من الحبوب ، وهو الغذاء الرئيسى ، مما أدى إلى حدوث مجاعات فى هذه البلاد .

كذلك فمن أهم الإحصاءات التقريبية التى قامت بها المنظمة أيضاً لتقدير الأضرار اللاحقة بالحاصلات الغذائية ، ما يلى :

١ ـ فى عام ١٩٤٤ قدرت الحاصلات التى التهمتها أسراب الجراد فى ليبيا بنحو ١٩٪ من مساحات العنب ، أما فى السودان فقد التهمت أسراب الجراد الصحراوى فى نفس العام زهاء (٥٥٠٠) طن من الحبوب .

٢ ـ وفى السنغال التهمت أسراب الجراد الصحراوى (١٦٠٠٠) طن من الذرة الرفيعة ، وفى غينيا التهمت (٦٠٠٠) طن من البرتقال .

٣ ـ وفى أثيوبيا التهمت (١٦٧٠٠٠) طن تقريباً من الحبوب ، وهذا يكفى لغذاء مليون شخص لمدة عام .

٤ ـ وفى الهند حدث فى عام ١٩٦٢ أن التهمت أسراب الجراد (١٠٠٠) فدان قطن .

علما بأن هذه الأرقام التى أوردتها الإحصاءات السابقة ، أرقام تقـريبية ، ولا توجد لدى المنظمة ـ أو غيرها ـ إحصاءات حقيقية ، تحسب الحد الاقتصادى الحرج لهذه الآفة الاقتصادية ، أو التقدير الحقيقى لحجم الضرر الناجم عنها وعن أسرابها . وتتلخص الطريقة التقريبية فى تحديد حجم الأضرار فى ربط ما بين عدد غزوات الجراد لمنطقة معينة وحساب الناتج من الحاصلات ، ووضـع ما يسمى « فهـارس استهداف الحاصلات » للضرر ، ووضع هذه الفهارس على خرائط .

ومما يوضح حجم الأضرار الناجمة عن غزوات الجراد نعرض المعلومات التالية :

١ ـ تأكل الجرادة الواحدة ـ كما تقدم ـ قدر وزنها ، وهذا يختلف ويزداد تدريجيا من بداية طور الحورية (Nymph) حتى ظهور الطور اليافع (Adult) ، وهو الشكل المكتمل للجرادة الكبيرة ، التى تسبب أسرابها أعظم الضرر .

٢ ـ يعد تواجد الجراد الصحراوى فى جموع غفيرة ظاهرة مميزة له ، فلقد وجد أن الميل المربع من السرب الواحد يوجد به (١٠٠ ـ ٢٠٠) مليون جرادة ، وقد تصل الجمـوع فى بعض الأسراب إلى نحـو (٤٠٠٠٠) مليون جرادة ، والتى يمكن حساب وزنها بنحو (٨٠٠٠٠) طن ، حيث أن نصف مليون جرادة تزن تقريباً طناً واحداً ، علماً بأن الطن الواحد من الجراد يأكل فى اليوم الواحد قدر ما تأكله عشرة أفيال أو خمسة وعشرون جملا أو مائة وخمسون رجلا .

د . كارم السيد غنيم

« يتبع »

اللغة والأدب والنقد

نظرات في اللغة وأصولها

ابن سلام الجمحي

إمام النحاة

نظرات فى اللغة وأصولها

للعلامة: ابن القيم

٢

الكلام اللغوى ، وسرّ المضمرات :

والنحاة يرون أن الكلام لغة كل ما أفاد ـ بينما يفضل ابن القيم ما يراه السهيلى ، من أن (الكلام هو تعبير عما فى نفس المتكلم من المعانى ، فإذا أضمر ذلك المعنى فى نفسه ـ أى أخفاه ـ ودل المخاطب عليه بلفظ خاص سمى ذلك اللفظ ضميراً ، تسمية له باسم مدلوله ..) فكلام النحاة أخص ، وما اختاره ابن القيم من كلام السهيلى أعم وأشمل أى جامع مانع .

وعن سر المضمرات يتحدث ابن القيم ، وكذلك عن سر ترتيب حروفها ، يقول : (والمضمرات فى كلامهم نحو ستين ضميراً ، وأحوالها معلومة ، لكن ننبه على أسرارها من أحكام المضمرات) :

اعلم أن المتكلم لما استغنى عن اسم الظاهر فى حال الأخبار لدلالة المشاهدة عليه ، جعل مكانه لفظاً يومىء به إليه ، وذلك اللفظ مؤلف من همزة ونون .

أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر ، وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم ، إذ المتكلم فى الحقيقة محله وراء حبل الوريد . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٤) ألا تراه يقول : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٥) ، « يعنى ما يلفظ المتكلم ، فدل على أن المتكلم أقرب شىء إلى حبل الوريد ، فإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك ، وأردت من الحروف ما يكون عبارة عنه ، فأولاها بذلك ما كان مخرجه من جهته وأقرب المواضع إلى محله ، وليس إلا الهمزة أو الهاء ، والهمزة أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر والشدة ، وضعف الهاء بالخفاء ، فكان ما هو أجهر أقوى وأولى

---

(٤) ق : ١٦

(٥) ق : ١٨

د. توفيق محمد شاهين

بالتعبير عن اسم المتكلم الذى الكلام صفة له ، وهو أحق بالاتصاف به » .

وفى تحليل نفيس بين ابن القيم سر اتصال حروف الضمائر وترتيبها ، واختصاصها بحركاتها ، وأصحابها من متكلم أو مخاطب أو غائب ، والثوابت فى أصول حروفها والطوارىء والفرق بين علامات التثنية

والجمع من الحروف الدالة على ذلك ، واختصاص حالات معينة بحروف معينة فى الضمائر دون غيرها .. حتى يصل إلى ضمير « نحن » فيقول عنه فيما قال :

« ... ثم كانت الكلمة آخرها نون وفى أولها : إشارة إلى الأصل المتقدم الذى لم يمكنه الإتيان به ، وهو تثنية « أنا » التى هى بمنزلة عطف اللفظ على مثله ، فإذا لم يمكنهم ذلك فى اللفظ مثنى ، كانت النون المكررة تنبيها عليه ، وتلويحاً عليه .

وخصت « النون » بذلك دون الهمزة ، لما تقدم من اختصاص ضمير الجمع بالنون ، وضمير المتكلم بالهمزة ، ثم جعلوا بعد النون حاء ساكنة لقربها من مخرج الألف الموجودة فى ضمير المتكلم قبل النون وبعدها .

ثم بنوها على الضم دون الفتح والكسر ، إشارة إلى أنه ضمير مرفوع ، وشاهده ما قلناه فى الباب من دلالة الحروف المقطعة على المعانى ، والرمز بها إليها ، وقوع ذلك فى منثور كلامهم ومنظومه :

فمنه : قلت لها قفى . قالت : قاف . ومنه : الاتـا ، فيقول الآخـر : ألافا . يعنى : ألا ترحل ، فيقول : ألا فارحل ، ومنه :

بـالخير خـيراتـا ، وإن شرافـا
وما أريد الشرّ إلّا أنْ تشـا(٦)

وقولهم :

مهيم ، فى أنا هذا يـاامرؤ ؟
وأيـــش ، فـــى أى شـــىء

و « م الله » ، فى أيمن الله ، ومن هذا الباب حروف التهجى فى أوائل السور) .

وبعد أن يسوق هذا الشاهد ، يعود إلى مزيد بيان لسر ترتيب الحروف فى الكلمات والضمائر ، من أقوال أئمة العلماء ، رابطاً استعمال اللغة بالدين ، يقول (وقد رأيت لابن فورك ، نحوا من هذا فى اسم الله ، قال :

الحكمة فى وجود الألف فى أوله : أنها من أقصى مخارج الصوت قريباً من القلب ، الذى هو محل المعرفة إليه .

←

(٦) ورواه ابن منظور فى لسان العرب على هذا النحو :

بـالخـير خـيرات وإن شرًا فـا ولا أريـد الشرّ إلّا أن تشـا

قال : وزعم بعضهم أنه أراد الفاء والتاء فرخم .

ثم الهاء فى آخره مخرجها من هناك أيضاً ، لأن المبتدأ منه والمعاد إليه ، والإعادة إليه أهون من الابتداء .

وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة .

وهذا معنى كلامه ، فلم يقل ما قلناه فى المضمرات إلا اقتضابا من أصول أئمة النحاة واستنباطاً من قواعد اللغة .

فتأمل هذه الأسرار ، ولا يزهدنك فيها نبو طباع أكثر الناس عنها ، واستغناؤهم بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها ، والتنبيه عليها ، فإنى لم أفحص عن هذه الأسرار ، وخفى التعليل فى الظواهر والاضمار ، إلّا قصد التفكر والاعتبار فى حكمة من خلق الإنسان وعلمه البيان .

فمتى لاح لك من هذه الأسرار سرٌّ ، وكشف لك عن مكنونها فكر ، فاشكر الواهب للنعمى ، وقل رب زدنى علماً)[7] ا ـ هـ .

رأينا ابن القيم يبذل قصارى جهده فى جعل الأمور العلمية مرتبطة بوشائج دينية ، كقوله : « إن مخرج الهمزة من الصدر ، لأن محل المتكلم وراء حبل الوريد ، ويستشهد بالآية الكريمة كما سبق ، وإشارته إلى قوة الهمزة بالجهر والشدة وضعف الهاء .. وأولى الحروف بقرب أو بعد هو ما ناسب أن يكون من قربه مخرجاً قبل غيره ، ولابد من حروف الحلق ما هو أقوى من غيرها جهراً وشدة ، كالهمزة أو الهاء كانت أقرب إلى المتكلم حين لفظه ، حتى يتحقق معنى الآية الكريمة بمعنى ما يلفظ المتكلم ، ثم يحدثنا على الحروف التى تتصل بالضمائر والحال المقتضى لذلك ، بما يقنع القارىء والمتأمل ، والباحث عن السر من المختصين فى اللغويات وأصولها » .

كما يبين الفرق بين احتياج الأشخاص الثلاثة (المتكلم ، والمخاطب ، والغائب) إلى الحروف التى تكون الضمائر المناسبة لهم ، والتى لا يحتاج إليها بعضهم حتى تتضح الأمور اللغوية فى الضمائر ، وفلسفة هذا الضم حين الاحتياج أو عدمه .

ويجعل دلالة الحروف المقطعة دالة على المعانى والرمز بها إليها .. بما يجرنا إلى بحث أصول الكلمات اللغوية فى العربية ، وهل هى ثنائية ، أو أحادية .

وقلنا : إن ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ يريد أن يجعل كل شىء « حتى فى الجانب اللغوى من تقوى القلوب ، ويلبسه ثوب المهابة والجلال » ، فهو يشير إلى ما ذكره ابن فورك ، من أن :

« الألف فى اسم « الله تعالى » فى أول اللفظ لأنها من أقصى مخارج الصوت وقريباً من القلب » .. وقد تحدث ابن جنى ـ رحمه الله تعالى ـ عن ترتيب الحروف وتقاليبها ، وبقاء المعنى فى معظم التقاليب أو كلها .. وغير ابن

---

(٧) بدائع الفوائد : ١٧٥ ـ ١٨٠ بتصرف .

جنى ولع بالإشارة إلى الأصل الثلاثى أو الثنائى .. والمعنى المستقى من ذلك .. كما صنع ابن سينا ، والخفاجى ، والسكاكى ، وانتهاء بالشيخ العلايلى ـ أمد الله فى عمره ـ بالبحث عن المعنى المستقى من الحرف الأحادى ، كما ورد فى الجدول الفنيقى ..

ولكن ابن القيم يرى أن الألف من اسم الجلالة (الله) كانت فى أول الاسم لقرب مخرجها من القلب .

***

الحرف الواحد ، وأصل اللفظ :

لعل البعض قد أخذته الدهشة حين ذكرنا أن أصول العربية تدور حول الثنائية والثلاثية فى كتابنا المطبوع منذ عامين[8] وقد أشرنا فيه إلى أن بعضهم ذهب إلى أن المعنى فى العربية يرجع إلى الأحادية ، كما فى الجدول الفنيقى ، الذى ذكره الشيخ عبد الله العلايلى فى « مقدمته » .

ووراء هذه المعانى الدقيقة يغوص العلامة ابن القيم ، ليقدم لنا بعنوان : « فائدة بديعة » أن المعنى قد يستقى من حرف واحد ، يقول :

(الاسم من (هذا) الذال وحدها دون الألف على أصح القولين ، بدليل : سقوط الألف فى التثنية والمؤنث) . ويبين لماذا اختصت الذال بذلك ، فيقول :

وخصت « الذال » بهذا الاسم لأنها من طرف اللسان ، والمبهم مشار إليه ، فالمتكلم يشير نحوه بلفظه أو بيده ، ويشير مع ذلك بلسانه ، فإن الجوارح خدم القلب ، فإذا ذهب القلب إلى شيء ذهاباً معقولاً ذهبت الجوارح نحوه ذهاباً محسوساً ، والعمدة فى الإشارة فى مواطن التخاطب على اللسان ،

ولا يمكن إشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان ، التى هى آلة الإشارة دون سائر أجزائه ، فأما الذال أو التاء . فالتاء مهموسة رخوة ، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان .

والذال مجهورة فخصت بالإشارة إلى المذكر ، وخصت التاء بالإشارة إلى المؤنث لأجل الفرق . وكانت التاء به أولى (بالمؤنث) لهمسها وضعف المؤنث ، ولأنها قد ثبتت علامة التأنيث فى غير هذا الباب . ثم بينوا حركة الذال بالألف ، كما فعلوا فى النون من أنا . وربما شركوا المؤنث مع المذكر فى الذال ، فاكتفوا بالكسرة فرقاً بينهما ، وربما اكتفوا بوجود لفظ التاء فى الفرق بينهما ، وربما جمعوا بين لفظ التاء والكسرة حرصاً على البيان . اهـ .

« فالجوارح عنده تتبع القلب ، لأنها خدمه ، وفرق بين التبعية الحسية والعقلية ، والعمدة فى الإشارة اللسان ، ومن عذبته يكون حرف الإشارة .

←

(٨) أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية ، للدكتور توفيق شاهين .

ويشير إلى أنهم زادوا « اللام » توكيداً .. وكانت « اللام » أولى بهذا الموطن حين أرادوا الإشارة إلى البعيد ، فكثرت الحروف حين كثرت مسافة هذه الإشارة - وقللوها حين قلت .

وكذلك جئت بكاف الخطاب (ذلك) فكأنك تقول له : لك أقول ، ولك أرمز بهذا الاسم . ففى اللام طرف من هذا المعنى ..

« وأما دخول هاء التنبيه (هذه وهذا) فلأن المخاطب يحتاج إلى تنبيه على الاسم الذى يشير به إليه ، لأن للإشارة قرائن حال يحتاج أن ينتظر إليها ، فالمتكلم كأنه آمرٌ له بالالتفات إلى المشار إليه ، أو منبه له ، فلذلك اختص هذا الموطن بالتنبيه ..

وابن القيم ليس حاكياً ولا مقلداً ولا تابعاً ، بل له رأيه وترجيحه واستقلاله ، وإن ذهب علماء اللغة والنحو إلى نحو آخر .. فهو يقول عن حرف التنبيه (الهاء) وعدم جواز أن تعمل معانيها فى الأحوال والظروف ، يقول :

(وعندى أن حرف التنبيه بمنزلة حرف النداء ، وسائر حروف المعانى ، لا يجوز أن تعمل معانيها فى الأحوال ولا فى الظروف ..)(٩) .

كما يشير إلى الصحيح والأصح فى ترجيحه فى العامل فى هذا الباب .. فليراجع هذه المباحث البديعة من شاء مزيداً من البحث الممتع المفيد والعميق ، وليحيط بالموضوع من جميع أطرافه .

***

الاتفاق والاختلاف فى صفات الحروف ومعانيها :

واتفاق الحروف فى الصفات يتبعه اتفاق المعانى واختلاف بعض الحروف فى الصفات ينوع المعانى ويأتى بالفروق بينها ، يقول :

(وأما « حتى » فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها ، وغاية كل شىء حده ، ولذلك كان لفظها كلفظ « الحد » فإنها حاء قبل تاءين ، كما أن الحد حاء قبل دالين ، والدال كالتاء فى المخرج والصفة إلّا فى الجهر ، فكانت لجهرها (فى الحد) أولى بالاسم لقوته ، والتاء (فى حتى) لهمسها أولى بالحرف لضعفه .

ومن حيث كانت حتى كانت للغاية خفضوا بها كما يخفضون « بالى » التى للغاية .

والفرق بينهما : أن « حتى » غاية لما قبلها وهو منه ، وما بعد « إلى » ليس مما قبلها ، بل عنده انتهى ما قبل الحرف ، ولذا فارقتها فى أكثر أحكامها . ولم تكن « إلى » عاطفة لانقطاع ما بعدها عما قبلها بخلاف حتى . ومن ثم دخلت « حتى » فى حروف العطف ، ولم يجز دخولها على المضمر المخفوض إذا كانت خافضة (لا تقول : قام القوم حتاك .

(٩) بدائع الفوائد : ١/١٨١

ومن حيث كانت ما بعدها غاية لما قبلها لم يجز فى العطف : قام زيد حتى عمرو ولا أكلت خبزاً حتى تمراً ، لأن الثانى ليس بحد للأول ولا ظرف)[١٠] . اهـ .

فقد بين ابن القيم صفة بعض الحروف ، ونتيجة ذلك فى المعنى . وفرق بين المعنى بناء على اختلاف الصفات ، وفرق بين اللفظتين فى العمل كما فرق بينهما فى المعنى وضرب أمثلة توضح المعنى وتبينه ، وتظهر العمل والحكم استقصاء للفائدة وبياناً لمزيد من الفوائد البديعة .

ويذكر أحياناً ما يستحسنه ويرجحه ، ويعلن رأيه بصراحة فيما ليس بصحيح : فهو يرد على المتوهمين ، ويذكر ما كان يجب أن يذكره العلماء فى المسألة مما أغفلوه ولم ينبهوا عليه ، ويذكر بأمانة العلماء ما ذكره الغير فى المسألة مما يرتضيه ويكتفى به ، يقول :

(ليس المراد من كون « حتى » لانتهاء الغاية ، وأن ما بعدها ظرفاً أن يكون متأخرا فى الفعل عما قبلها ، فإذا قلت : (مات الناس حتى الأنبياء ، وقدم الحاج حتى المشاة) لم يلزم تأخر موت الأنبياء عن الناس وتأخر قدوم المشاة عن الحاج .

ولهذا قال بعض الناس إن « حتى » مثل الواو لا تخالفها إلا فى شيئين :

أحدهما : أن يكون المعطوف من قبيل المعطوف عليه ، فلا تقول : قدم الناس حتى الخيل بخلاف « الواو » .

الثانى : أن تخالفه بقوة أو ضعف ، أو كثرة أو قلة ، وأما أن يفهم منها الغاية والحد فلا والذى حمله على ذلك ما تقدم من المثالين .

ولكن فاته (فات بعض الناس) أن يعلم المراد بكون ما بعدها غاية وظرفاً ، فاعلم أن المراد به أن يكون غاية فى المعطوف عليه لا فى الفعل : فإنه يجب أن يخالفه فى الأشد والأضعف والقلة والكثرة .

وإذا فهمت هذا ، فالأنبياء غاية للناس فى الشرف والفضل ، والمشاة غاية للحجاج فى الضعف والعجز ، وأنت إذا قلت : « أكلت السمكة حتى رأسها » فالرأس غاية لانتهاء السمكة ، وليس المراد أن غاية أكلك كان الرأس ، بل يجوز أن يتقدم أكلك للرأس . وهذا مما أغفله كثير من النحويين لم ينبهوا عليه . ا ـ هـ [١١] .

ويرد ابن القيم التوهم الشائع ، وينسب القول لأهله كأمانة الفضلاء ، ويرجح الأصوب ، يقول : « أو » وضعت للدلالة على أحد الشيئين المذكورين معها ، ولذلك وقعت فى الخبر المشكوك فيه ، حيث كان الشك تردداً بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر ، لا أنها وضعت للشك : فقد تكون فى الخبر الذى لا شك فيه ، إذا أبهمت على المخاطب ، ولم تقصد أن تبين له ، كقوله سبحانه : ﴿ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[١٢] أى أنهم من الكثرة بحيث يقال فيهم : هم مائة ألف أو يزيدون (فأو) على بابها : دالة

(١٠) بدائع الفوائد : ١٨١/١ .
(١١) بدائع الفوائد : ١٩٧/١ ـ ١٩٩ بتصرف .
(١٢) الصافات : ١٤٧ .

على أحد الشيئين : أما مائة ألف بمجردها ، وأما مائة ألف مع زيادة ، والمخبر فى كل هذا لا يشك .

وقوله تعالى : ﴿ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[13] ذهب فى (أو) هذه كالتى فى قوله سبحانه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[14] إلى

انها « أو » التى للإباحة : اى أبيح للمخاطبين أن يشبهوا بهذا ، أو هذا ، وهذا فاسد : فإن « أو » لم توضع للإباحة فى شىء من الكلام ، ولكنها على بابها . اما قوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ فإنه تعالى ذكر مثلين مضروبين للمنافقين فى حالتين مختلفتين : فهم لا يخلون من أحد الحالتين ، « فأو » على بابها من الدلالة على أحد المعنيين ، وهذا كما تقول : زيد لا يخلو أن يكون فى المسجد أو الدار ، ذكرت « أو » لأنك أردت أحد الشيئين .

وتأمل الآية بما قبلها وافهم المراد منها تجد الأمر كما ذكرت لك . وليس المعنى أبحت لكم أن تشبهوهم بهذا وهذا .

وأما قوله سبحانه : ﴿ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ فإنه ذكر قلوباً ولم يذكر قلباً واحداً ، فهى على الجملة قاسية ، أو على التعيين لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون كالحجارة ، وإما أن تكون أشد قسوة ، ومنها كالحجارة ، ومنها ما هو أشد قسوة منها ، ومن هذا قول الشاعر :

فقلت لهم شيئان لابد منهما
صدور رماح اشرعت أو سلاسل

أى لابد منهما فى الجملة ، ثم فصل الاثنين بالرماح والسلاسل : فبعضهم له الرماح قتلاً ، وبعضهم له السلاسل أسراً ، فهذا على التفصيل والتعيين ، والأول على الجملة فالأمران واقعان جملة وتفصيلهما بما بعد « أو » .

وقد يجوز فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ مثل ان يكون فيما فى قوله تعالى : ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ . . . واما او التى زعموا انها للإباحة ، نحو : (جالس الحسن أو ابن سيرين ، فلم توجد الإباحة من لفظ « أو » ، ولا من معناها ولا تكون « أو » قط للإباحة ، وإنما اخذت من لفظ الأمر الذى هو للإباحة ، ويدل على هذا : أن القائلين بأنها للإباحة يلزمهم ان يقولوا : إنها للوجوب إذا دخلت بين شيئين لابد من أحدهما نحو قولك للمكفر : أطعم عشرة مساكين ، أو اكسهم ، فالوجوب هنا لم يوجد من « أو » ، وإنما أخذ من الأمر ، فكذا جالس الحسن أو ابن سيرين) اهـ [15] .

أطلنا النقل فى هذه الفائدة البديعة ، لندلل

(13) البقرة : 74 .
(14) البقرة : 19
(15) بدائع الفوائد : 1/199

على تتبع العلامة ابن القيم للجزئيات وتلمس الشاهد والدليل على قوله ، والتعليل المعقول لما يختاره ، ورد التوهم الذى وقع فيه ممن سبقه ، ومناقشة القضايا التى يسوقها مناقشة علمية عقلية ، وإسناد الرأى لقائله ، وبصره بصفات حروف اللغـة العربيـة ومخارجها ، وتنوع المعنى أو اتحاده تبعاً للمخرج والصفة ، ـ وتتبع معانى الحروف والإشارة إلى أحكامها ، وبيان وجه الجواز أو الامتناع فى استعمالها وبيان وجه التجوز فى قول اللغويين والنحاة ، وذكر وجه الحقيقة كأصل فى الاستعمال وإن أهملت بكثرة الاستعمال للمجاز ، أو التجوز فى القول .. الخ ..

مما يدل على رسوخ قدم ابن القيم فى العلوم اللغوية وأصولها ، بجانب كونه فقيها لـه بصر بضروب المعارف الإسـلاميـة وصنوفها ، ومن تتبع أمثال هذه المباحث فى كتبه رأى صدق ما قلناه ، وسعة عقله ووفرة معارفه وعمق تفكيره ، وتلمس الرابطة الدينية ما أمكن ..

واقرأ له على سبيل المثال فى هذا الصدد مباحث : (أصل تركيب لكن) ، و « أم » فى الاتصال والانقطاع ، والسر فى إضمار حرف العطف .. فى كتابه : « بدائع الفوائد » ترى فوائد جمة ، وصدق ما ذهبنا إليه .

***

ابن سلّام الجمحى

وكتابه طبقات فحول الشعراء

يُعدُّ محمد بن سَلّام الجُمحيّ من أهم النقاد العرب القدماء الذين قدموا منهجاً نقدياً يعتمد على تصوّر علمى واضح . ورائد . وكتابه خطوة إلى الأمام بعد كتاب الأصمعى « فحولة الشعراء » . وإذا كان كتابه لم يخلُ من المآخذ . فإن الجهد الذي بذله كان دعامة قوية للانطلاق بالنقد العربى على النحو الذى سيتضح فيما بعد .

ومحمد بن سلام الجمحى هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجُمَحِيّ ، مولى قُدَامة بن مظعون الجمحى ، وُلِد بالبصرة عام ١٣٩ هـ ، وتوفى ببغداد فى عام ٢٣١ هـ أو عام ٢٣٢ هـ فى بعض الروايات ، وقد ابيضت لحيته ورأسه ، وله سبع وعشرون سنة ، وقد « سمع شيوخ العلم والحديث والأدب ، وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب » كما يقول العلامة المحقق « محمود محمد شاكر » فى مقدمة تحقيقه للكتاب ، ومن ثم ، فهو من العلم فى مكانة رفيعة متعلماً ومُعَلِّماً ، ولا غرو أن يكون كذلك ، فهو من بيت علم أو من أهل بيت لهم فى العلم باع ، وبخاصة أبوه وأخوه ، وقد ترك لنا ثروة طيبة من الكتب المؤلفة متنوعة الموضوعات ، وهى كما ذكر الأستاذ شاكر :

— الفاصل فى ملح الأخبار والأسفار (وقيل الفاضل) .
— بيوتات العـــرب .
— طبقات الشعراء الجاهليين .
— الحلاب وأجر الخيل .
— غريب القرآن .(١)

وابن سلام مثال للعالم الأديب الذى استفاد من جهود سابقيه ، وأضاف إليهم ، وتحلّى بروح علمية تجلت فى كتابه الذى نتناوله على وجه الخصوص ..

وقد ذكر محقق الكتاب وجهة نظره فى تسمية الكتاب بـ « طبقات فحول الشعراء » ، ولماذا لم يقتصر على « طبقات الشعراء » ، ويرى أن ابن سلام قد اختار التسمية الأولى « طبقات فحول الشعراء » لأنه كان من أهل جيل يحسنون اختيار الألفاظ للدلالة على

د. حلمي محمد القاعود

معانيهم ومقاصدهم ، لا يعمدون إلى اختيار الفاظ الثناء ليضعوها في غير موضعها ، ثم إن ابن سلام نفسه ، قد بين في مقدمة كتابه ما يعنيه في تأليف كتابه ..» [٢] ويذكر المواضع التي ذكر فيها ابن سلام لفظة « الفحول » ووصف بها شعراء يتميزون على غيرهم ، ويتابع التدليل على صحة ما ذهب إليه ، بذكر ما ورد في « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني ، كما يشير إلى موقف المتأخرين من إطلاق اسم « طبقات الشعراء » على الكتاب ، فيراه ثوباً فضفاضاً لا يطابق ما في الكتاب ، وإنما هو على الأرجح اختصار ممن ذكره بهذا الاسم ، ويرى أنه بدليل العقل ودليل النقل وجب أن يكون اسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » .[٣] .

وقد توقف الأستاذ المحقق عند لفظة « طبقة » ورأى أن مفهومها في كتاب « ابن سلام » يعني تشابه شعراء الطبقة الواحدة من بعض الوجوه في المنهج ، مع اختلاف ظاهر يتميز به كل واحد منهم عن صاحبه ، وبهذا الاختلاف يكون كل منهم رأساً في هذا المذهب من مذاهب الشعر .[٤]

ويمكن أن نرى في مقدمة ابن سلام لكتابه « طبقات فحول الشعراء » منهجاً تنظيرياً ينظر به لمفهوم نقدي ، يليه تطبيق عملي أو نقد تطبيقي على الشعراء الذين وضعهم في طبقات الجاهلية ونظرائهم في طبقات الإسلاميين وغيرهم .

والمقدمة تعرض لعدد من القضايا يمكن أن نراها تدور على محورين :

الأول : يتعلق بتصوره لنقد الشعر .

والثاني : يتعرض لمنهجه الذي سار عليه في كتابه وطبقه على شعرائه .

فالمحور الذي يتعلق بنقد الشعر يمكن حصره في نقطتين أساسيتين :

الأولى : قضية الانتحال ووضع الشعر .

والثانية : قضية الحكم على الشعر .

وبالنسبة لقضية الانتحال ووضع الشعر ، فقد شغلت محمد بن سلام ، وأخذت من اهتمامه الكثير ، حيث تناولها في أكثر من موضع ، فذكر أن « في الشعر مصنوع مفتعل كثير لاخير فيه .. » [٥] وكأنه بذلك يريد أن ينبه إلى خطورة قضية الانتحال ونسبة الأشعار إلى غير أصحابها ، وهي تعني فيما تعني أن أحكامنا النقدية ستكون مضطربة ما لم يكن الشعر موثقاً ومنسوباً إلى صاحبه الحقيقي ، وهو يرى أن العلماء قد اختلفوا في بعض الشعر ، كما اختلفوا في سائر الأشياء ، « فأما ما اتفقوا عليه ، فليس لِأَحَدٍ أن يخرج منه »[٦] .

ومعنى هذا ان المختلف عليه ينبغي ان يخضع لفحص وتمحيص ، وهذه اول خطوات النقد التطبيقي حتى يكون الحكم صحيحاً .

● الكاتب : بهيئة تدريس كلية الآداب ـ جامعة طنطا .

ابن سلام الجمحى

ويشير ابن سلام إلى أسباب الانتحال والوضع بقوله : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على السنة شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعْدُ ، فزادوا فى الأشعار التى قيلت وليس يُشْكِلُ على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيُشْكِلُ بعض الإشكال »(٧) ، ثم يضرب أمثلة على ذلك من واقع الحياة الأدبية فى البصرة ، ويتوقف عند حماد الراوية ويذكر طرفاً من أخباره التى تدل على ما وصفه به من أنه كان « غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ويزيد فى الأشعار » .(٨)

وكان ابن سلام قد حمل على محمد بن اسحق واعتبره ممن « افسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء معه(٩) » وكان أكثر علمه بالمغازى والسير وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لى بالشعر ، أُوتِينَا به فأحمله ، ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف » .(١٠) ، ولنا أن نتنبه هنا إلى رفض ابن سلام لاعتذار ابن اسحق وتعلله بعدم درايته بالشعر فهو يفترض فيه أن يكون عالماً به ، وإلا ينقل كل ما يسمع ، بل ينبغى عليه أن يمحص ويقلب ثم يدون ، ثم يذكر ما نسبه إلى عاد وثمود ، ويحكم عليه بأنه « كلام مؤلف معقود بقواف » أى لا يصل إلى مرتبة الشعر أو هو كلام له قواف فقط ، ثم يبرهن بعد ذلك على عدم صحة نسبة هذا الشعر إلى عاد وثمود برهنة تعتمد على النقل من القرآن الكريم من ناحية ، أو على وقائع التاريخ وعما يقبله العقل من ناحية أخرى ، يذكر مثلاً الآيات الكريمة :

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا .. ﴾ (١١) ، ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ (١٢) ، ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾(١٣) ، ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾(١٤) ، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ ﴾(١٥) . وفى هذه الآيات ما يؤكد أن عادا وثمود لم يبق من آثارهم شىء لا مادياً ولا معنوياً ، وهو ما يعنى بالضرورة عدم وجود شعر ينسب إليهم(*) .

(*) ليس من شك أبداً فى هلاك الكافرين من عاد وثمود وكذلك أيضا ليس من شك فى نجاة المؤمنين منهم مع انبيائهم ، نقول ذلك لفتا للقارىء لا تصحيحا بنسبة هذا الشعر الذى أنكره ابن سلام إليهم ، فإنه ـ مما لا شك فيه ـ ثالثا : أن العربية لدى عاد وثمود تختلف جرسا وبناء عن فصاحة عصر القرآن . راجع لذلك تاريخ العرب قبل الإسلام فى موسوعة الدكتور على جواد .. مجلة الأزهر

ثم إن ابن سلام يذكر أن أول من تكلم العربية نسى لسان أبيه : إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأننا لا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً فكيف بعاد وثمود ؟

كذلك يذكر ابن سلام نقلاً عن أبى عمرو ابن العلاء: ما لسان حمير وأقاصى اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ، فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه ؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق ومثل ما روى الصحفيون ، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم » .(١٦)

النقطة الثانية فى نقد الشعر ، وهى ما يتعلق بالحكم على الشعر ، وابن سلام يفترض فيمن يحكم على الشعر أن يكون مؤهلاً لذلك بالخبرة والتجربة والثقافة والذوق ، وقد وضع ابن سلام فى مقدمة كتابه مقولته الشهيرة : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تَثْقَفُهُ العين ، ومنها ما تَثْقَفُهُ الأذن ، ومنا ماتَثْقَفُهُ اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان .. فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به » .(١٧)

ويرى ابن سلام أن مسألة الحكم على الشعر ينبغى ألا تخضع للهوى أو للمزاج الشخصى ويروى هذه الحكاية : « .. قال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ما قلت أنت فيه وأصحابك ، قال : إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال لك الصراف : إنه ردىء فهل ينفعك استحسانك إياه » .(١٨)

ومعنى هذا أن الاستحسان أو الاستهجان القائم على الرغبة الشخصية فقط ، لا يصح أن يكون حكماً على الشعر ، بل الفيصل فى الأمر هو الخبرة والدربة والفطرة السليمة المثقفة .

يرتكز المحور الثانى الذى يتعلق بالمنهج الذى سار عليه ابن سلام فى كتابه وطبقه على شعرائه على نقطتين رئيسيتين أيضاً :

الأولى : ترتبط باتباعه منهج المدرسة اللغوية فى البصرة .

والثانية : تدور حول تقسيمه لطبقات الشعراء الذين تناولهم فى كتابه .

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى ، فإننا نجد اهتماماً ملحوظاً بمدرسة البصرة اللغوية وذكر علمائها وتمثُّلاً لمنهجها ومبادئها ، ولا غرو أن يكون لديه هذا الاهتمام الملحوظ ، فقد نشأ فى البصرة ، وتربى على يد شيوخها ؛ وعلم فيها أيضاً ، ومظاهر اهتمامه تبدو واضحة فى نقله عن (يونس بن حبيب) و(أبى عمرو بن العلاء) وإشادته بهما ضمناً أو صراحة . ثم تركيزه على قضية اللحن ، وقياسه على القدماء وتفضيله لهم ، ومن ثم ؛ فإن تناول ابن سلام للشعر يعتمد على تلك النظرة التى تهتم بالجانب اللغوى وتحرص على تنقية المعجم الشعرى من الأخطاء ، وتقيس الشعراء بمدى سلامة أشعارهم من هذه الأخطاء ، ومدى اقترابها من النموذج القديم .

ابن سلام الجمحى

أما مايتعلق بالنقطة الثانية وهى تقسيم الشعراء إلى طبقات ، فقد قسمهم إلى شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام ، والشعراء المخضرمين ، ووضع كل شاعر فى منزلته ، ومثّل لشعره ، وفقاً لمنهج معين اختطه لنفسه مسترشداً بما قاله العلماء أو النقاد بمفهومنا المعاصر . يقول ابن سلام : « وقد اختلف الناس والرواة فيهم ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، والنفاذ فى كلام العرب ، والعلم بالعربية ، إذا اختلفت الرواة فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائر بأهوائها ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم . فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين »[19] .

وهذه العبارة تمثل منهج ابن سلام وخطته فى تناول الشعراء عبر صفحات كتابه فهو يعترف مقدماً باختلاف الرواة والعشائر ، هؤلاء يتعصبون لآرائهم وهؤلاء يصدرون عن هواهم ، ومع ذلك فالمقياس الذى يقتنع به الناس هو القياس على القدماء باعتبارهم النموذج الذى يحتذى وينسب إليه ، وهو المقياس الذى اعتمده ابن سلام وسار عليه .. ووفقاً لهذه الخطة فقد اصطفى الفحول بناء على مايشبه الإجماع لدى العلماء ، وترك الكثيرين ، وجعل فى كل طبقة أربعة شعراء يتشابه شعر كل واحد منهم مع نظرائه ، فى تكافؤ واعتدال .

ويوضح هذا المنهج فى آخر فقرات الكتاب ويقول فيها : « ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم ، إلى رهط أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد ، وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ، ونسمى الأربعة ، ونذكر الحجة لكل واحد منهم ، وليس تبدئتنا أحدهم فى الكتاب نحكم له ، ولابد من مبتدأ ـ ونذكر من شعرهم الأبيات التى تكون فى الحديث والمعنى »[20] .

وهذه الفقرة توضح البرنامج العملى الذى حفظه ابن سلام فى حديثه عن الطبقات ، فيؤكد على ماسبق أن ذهب إليه من اعتماده الشعراء المتفق على أنهم أشعر العرب « بعد الفحص والنظر والرواية » ، ثم يعلن أنه سيذكر الخلافات التى نشأت حولهم ، مع الدليل والحجة والبرهان ، كذلك فإنه ـ بحثا عن الموضوعية بمفهوم عصرنا ـ يحترز من وهم قد يقع فيه القارىء إذا رآه يبدأ بشاعر معين فيحسبه مقدماً على غيره أو يحكم له بالسبق على أقرانه ، ولكن الرجل يعلنها صريحة بأنه لا يقصد ذلك وليس تبدئتنا أحدهم فى الكتاب نحكم له ، والمسألة فيما يراها أنه لابد من بدء أو بداية فيبدأ بواحد منهم .

وقد تعرض تقسيم « ابن سلام » لطبقات الشعراء لكثير من التعليقات ، ولكن معظم النقاد يتفقون على أنه قد اعتمد فى ترتيب الشعراء المقدرة الفنية أو الكفاءة الشاعرية القائمة على الجودة والكثرة[21] .

فيرى بعضهم أنه أى ابن سلام ممن تنبهوا إلى عنصرين هامين فى التأثير على الشعر والشاعر .

الأول : الظروف الاجتماعية ولها أثرها فى وفرة الإنتاج الشعرى وقلته ، حيث يكثر الشعر فى بيئة ما ويقل فى بيئة أخرى ، ويعلل لذلك ، فالحروب مثلا تزيد فى وفرة الإنتاج الشعرى كما جرى بين القبائل التى دارت رحى الحرب بينها واستمرت وقتا طويلاً أو فترات طويلة فقد كثر فيها الشعر ، لما تفرضه هذه الحرب من تحميس للمحاربين أو تعتمد على طلب الثأر أو نحو ذلك ، وكذلك فإن القبائل التى عاشت فترات الأمن والسلام الطويلة ، قل فيها الشعر ...

العنصر الثانى ، البيئة ولها تأثيرها على الشعراء من حيث لين الشعر أو جزالته ، ولعل هذا يظهر بوضوح فى تعليل ابن سلام لشعر (عدى بن زيد) حيث لان وكثر الوضع والانتحال عليه بسبب سكناه الحيرة والريف مما جعل لسانه يلين ومنطقه يسهل .. وشجع الوضّاعين على الوضع والانتحال[٢٢] ...

وهناك عدد من المآخذ سجلها النقاد على ابن سلام نوجز أهمها فيمايلى :

١ - انفراده بين العلماء بضم « الراعى » إلى الثلاثة الإسلاميين ، وعدّه فى طبقتهم من غير حجة أو دليل .

٢ - إقامته المفاضلة والتقسيم على أساس الكثرة ، ولم يلتزم بذلك ، كما فعل بالنسبة لكعب بن زهير ، وطرفة بن العبد .. فشعرهما قليل .

٣ - ذكر شعراء جاهليين على أنهم إسلاميّون مثل بشامة بن الغدير وأبى زبيد الطائى .

٤ - إغفاله شعراء غير مجهولين كعمر بن أبى ربيعة والطرِمّاح بن حكيم والكميت بن زيد .

٥ - عدم تحليل النصوص وعدم التعليل للأحكام[٢٣] .

والواقع أن هذه المآخذ لا تقلل من قيمة العمل الكبير الذى قدمه ابن سلام من خلال كتابه فالرجل كان رائداً ، ولا يمكن أن نطالبه أن يصل إلى حد الكمال فى مثل زمانه وظروفه ، ويكفيه أنه فحص ونظر وتأمل ، ثم قدّم هذا الجهد الرائع الذى بنى عليه الكثيرون ..

وإذا كانت هذه المآخذ معقولة ، فإن الدكتور محمد مندور يتعرض للكتاب محاولاً أن يسلبه فضله وقد ردّ بعض المعاصرين على هذه المحاولة ، باعتبار أن الكتاب قد وضع اللبنات الأولى للنقد المنهجى المبنى على أسس علمية من حيث توجيهه إلى تحرير النصوص ، وتحرير الشعر من الدخيل ، والتنبيه إلى صلة الشاعر بما يروى له من شعر ، ووضع لكل هذا أسسا معقولة ، وإن لم تكن كاملة أو مثالية »[٢٤] .

ويرصد الدكتور محمد زغلول سلام بعض قيمة كتاب ابن سلام بالنسبة لزماننا ونوجزه فى النقاط التالية :

←

ابن سلام الجمحى

١ ـ أفاد النقاد المحدثين مثل طه حسين .

٢ ـ جمع النظرات النقدية المتنوعة فأفاد فى التاريخ للنقد والوقوف على أحكام السابقين وآرائهم .

٣ ـ جمع المصطلحات النقدية التى كثر تداولها قبله كالخنذيذ فى وصف الشاعر المقدم ، والطلاوة فى وصف الشعر الجيد ، وشدة الأسر وشدة المتون ، ورقة الحواشى ... وما إلى ذلك[٢٥] .

وبعد ..

فإن كتاب « طبقات فحول الشعراء » مع تحقيق « محمود محمد شاكر » يمثل ثروة نقدية وأدبية لها قيمتها وأهميتها فى زمانها وزماننا وبعد زماننا .

مراجع البحث

(١) طبقات فحول الشعراء (مقدمة المحقق) : ص ٣٤ ـ ٣٧ .

(٢) مقدمة المحقق ـ ص ٢٤ .

(٣) مقدمة المحقق ـ ص ٢٧ .

(٤) مقدمة المحقق ـ ص ٦٥ ـ ٦٩ .

(٥) طبقات فحول الشعراء : ص ٤ .

(٦) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٧) المرجع السابق ـ ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٨) نفسه ـ ص ٤٨ .

(٩) نفسه ـ ص ٥٧ .

(١٠) نفسه ـ ص ٨ .

(١١) سورة الأنعام : آية ٤٥ .

(١٢) سورة النجم : الآيات ٥٠ ، ٥١ .

(١٣) سورة الحاقة : آية ٨ .

(١٤) سورة الفرقان : آية ٣٨ .

(١٥) سورة إبراهيم : آية ٩ .

(١٦) طبقات فحول الشعراء ـ ص ١١ .

(١٧) المرجع السابق ـ ص ٥ .

(١٨) نفسه ـ ص ٧ .

(١٩) نفسه ص ٢٤ . ويلاحظ أن ابن سلام خصص جزءاً للحديث عن طبقة أصحاب المراثى وشعراء القرى العربية وشعراء اليهود ورتب القرى حسب جودة شعرائها : المدينة ، مكة ، الطائف ، اليمامة ، البحرين (١/٢٠٣ ـ ٢٩٦) .

(٢٠) طبقات فحول الشعراء ـ ص ٤٩ ، ٥٠ وبداه تبدئة : قدمه تقدمة .

(٢١) راجع تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى ص ١٠٥ ، و فى النقد العربى القديم ، ص ١٥٧ ويورد مثالاً على ذلك « الأسود بن يعفر له واحدة طويلة لو كان شفعها بمثلها ماقدمه ابن سلام على أهل مرتبته ، ثم يلحقه بالطبقة الخامسة بين الشعراء الجاهليين ، وكذلك « كثير » حيث قدمه على جميل حيث وضع الأول فى الطبقة الثانية من الإسلاميين ، مع اقتناعه بان جميلاً كان ارسخ قدما ، واطول باعا فى شعر الغزل والنسيب من صاحبه كثير ويعلل لذلك بقوله : « إن لكثير من فنون الشعر ماليس لجميل » (طبقات فحول الشعراء ١/١٤٣) .

(٢٢) راجع فى النقد العربى القديم ـ ص ١٠٨ .

(٢٣) السابق ـ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .
وتاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى ـ ص ١٠٤ .

(٢٤) تاريخ النقد العربى ـ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢٥) السابق ـ ص ١٠٨ .

إمام النحاة
وقضية الاستشهاد بالحديث

٧

للأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل

« في هذا المقال نواصل تحليل موقف سيبويه من هذه القضية الهامة بعد أن قدمنا في مقالاتنا السابقة إحصاء شاملا لما ورد في الكتاب من أحاديث ، عرضنا تخريجا كاملا لها » .

وأمر آخر يتصل بموقف النحاة الأوائل ، وفيهم سيبويه من رواة الحديث .

يذكر « يوهان فك » أن هناك عددا من رواة الحديث لم يكونوا يهتمون بما يرد في الحديث من الخطأ النحوي ، فقال : « وقد صاغ واحد منهم : هلال بن العلاء الرقي (١٨٤ـ ٢٨٠ هـ) في تعبير شعري فكرة : أن خشية الله أفضل من الإعراب ، وقد أراد تلميذ للشاعر ، هو الفقيه الحنبلي النجاد (٢٥٣ ـ ٣٤٨ هـ) أن يتنافس معه من جديد لسوء الأثر الذي تركه في نفوس تلاميذه بمخالفته للعربية ثم يقول : وعلى هذا يتضح أنه حتى عند بعض كبار المحدثين كان إهمال اللغة ظاهرا دون أن يؤثر ذلك في شهرتهم فإن صدق الناقد العظيم ابن عدى كان ثابتا لا يتزعزع عند معاصريه على الرغم من لحنه »[١] .

كأن اللفظ وسلامته صرفيا ونحويا لم تكن محل اهتمام كثير من الرواة ، وإنما كانت الغاية رواية المعنى الصحيح ، كما كان وراء هذا نوع من التورع أن يغير الراوي اللحن إلى الصواب ، واللحن بلا ريب وقع من راو غير فصيح ، لأن الرسول عليه الصلاةً والسلام كان أفصح من نطق بالضاد .

كما نجد بجانب هؤلاء رواة للحديث يرون ضرورة تصحيح أي لحن يرد في حديث .

(١) العربية : دراسة في اللهجات والأساليب ـ يوهان فك من ص ٧٨ إلى ص ٨٠ .

إمـــام النحـــاة

فالمحدث الكبير الأعمش الكوفى (٦٠ - ١٤٧ هـ) لم يكن يبالغ فى تجنب اللحن فحسب ، بل كان كذلك يصحح كل رواية ملحونة ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يصدر عنه لحن أبدا ، وأوصى الدمشقى سعيد بن عبد العزيز التنوخى (٩٠ - ١٦٧ هـ) بمحو كل لحن من الحديث ، كما أن البصرى حماد بن سلمة ، المتوفى سنة ١٦٧ هـ كان يعد أفصح من عبد الوارث بن سعيد (١٠٢ - ١٨٠ هـ) وكان الأخير مضرب المثل فى الفصاحة ، فكان حماد يتشدد مع تلاميذه فى التحرز من اللحن فى الحديث حيث كان يغالى بقوله : « من لحن فى حديثى فقد كذب علىَّ » ويروى أنه كان يشبه من يكتب الحديث ولا يعرف النحو بالحمار عليه مخلاته ولا شعير فيها ، وقد عرفنا فيما سبق موقفه من تلميذه سيبويه[٢] .

نخلص من هذه الشواهد إلى أنه كان فى جو الرواية للأحاديث ما يصرف النحاة الأوائل عن الإكثار من الاستشهاد بها ، مع تقديرهم التام لجلال موضوعها ، وما تحتويه من أحكام وتشريعات .

وبهذا يكون موقف سيبويه - وقد عاش تجربة الرواية كما أسلفنا - سليما وسديدا .

بقى أن نناقش قضية يرددها كثيرون ، وبدأ القول فيها ابن خلدون وهى أن « تدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية » وسأترك مناقشتها للشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الأزهر الأسبق ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، يقول : إذا عدنا إلى قول ابن خلدون ، وعرضناه على التاريخ وجدنا التدوين وقع بعد أن دخل الفساد اللغة ، ولكن من المدونين من يحتج بأقواله ؛ لأنه نشأ فى بيئة عربية كالزهرى ، ومالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، ومنهم من نشأوا فى بيئة غير عربية ، أو عربية انتشر فيها الفساد ، وصارت العربية الفصحى فيها إنما تدرك عن طريق التعلم ، فدعوى أن الأحاديث دونت قبل فساد اللغة ، وأن كلام المدونين لها يسوغ الاحتجاج به فى اللغة غير مطابقة للتاريخ من كل وجه ، ولو تمت على نحو ما قرره ابن خلدون لقامت بها الحجة الفاصلة على الاستشهاد بالحديث فى اللغة من غير حاجة إلى شىء يقصدها[٣] .

وليس معنى هذا أن نسير على درب النحاة الأوائل ، ولا نلجأ إلى الاستشهاد بالحديث إلا فى النزر اليسير ؟ لأن هؤلاء لهم عذرهم ، وقد ذكرنا الصوارف التى صرفتهم عن التعويل على الاستشهاد بالحديث .

أما علماء القرون المتأخرة الذين جاءوا بعد أن توطدت دعائم الحديث وعرف عنها كل شىء ، فلا يصح لهم أن ينحو منحى النحاة الأوائل تماما ؛ لأن هناك قضية لا ريب فيها ، وهى : « أن قسما كبيرا من الأحاديث دونه رجال يحتج بأقوالهم فى العربية ، وأن كثيرا

(٢) راجع معجم الادباء جـ ١ ص ٢٠ ، ٢١ ، ص ٢٢ ، ص ٢٦ ، جـ ٤ ص ١٣٥ - ص ١٣٧ .

(٣) دراسات فى العربية وتاريخها ص ١٧٦ - الشيخ محمد الخضر حسين - منشورات المكتب الإسلامى بدمشق .

من الرواة كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها ، وذلك مما يساعد على روايتها بألفاظها ، فيضاف هذا وذاك إلى ما وقع من التشدد برواية الحديث بالمعنى ، وما عرف من احتياط أئمة الحديث ، وتحرجهم فى الرواية ، فيحصل الظن الكافى لأصحابه أن تكون الأحاديث المدونة فى الصدر الأول ، مروية بألفاظها ممن يحتج بكلامه »[٤] .

هذا الكلام يقوله الشيخ الخضر وهو باحث معاصر بعد أن توافرت له الأدلة والشواهد وهو قول متزن بنى عليه تصوره لقضية الاستشهاد بالحديث ، ووصل إلى النتيجة التى ارتضاها أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، واتخذوا قرارهم ، وفق ما انتهى إليه الشيخ الباحث .

لكن لا يزال - فى تقديرى - موقف النحاة الأوائل - ومعهم سيبويه - منطقيا وسليما ، إذ التزموا منهجا أخذوا به أنفسهم ، ووجدوا كثرة من الأحاديث التى يتناقلها الرواة ، وقع فيها اللحن ، والتصحيف ، والتحريف[٥] .

كما أضيف أن سيبويه فى هذه الشواهد الأربع عشرة ما استشهد بها على أنها أحاديث وإلا لنسبها - وهو على صلة بالحديث وعلومه - حتى يدعم الاستشهاد بها بإرجاعها إلى رسول الله ﷺ ، وإنما ساقها على أنها عبارات مشهورة دارت على ألسنة فصحاء لا سبيل إلى الطعن فى لغتهم ، كما كان ينقل العبارات عمن يثق بهم من الأعراب ، أو من يروون عنهم ممن هم موضع ثقته .

والشيء الذى يدعو للحيرة اختلاف بعض الألفاظ فى رواية سيبويه عن الروايات التى وردت فى كتب الحديث .

أنا أستبعد أن يكون سيبويه قام بهذا التغيير ليصح له الاستشهاد ، وإلا لسقطت الثقة بمروياته جميعا !! وما يوجد ثمة باعث ، لأنه لم يعرض أية رواية كما تعرض الأحاديث ؛ لأنه فى الحديث الثانى من الأحاديث التى أثبتناها ، يقول : « على ما سمعنا العرب تتكلم به » ، وفى الحديث الثالث يقول : « ومن ذلك كذا » ويذكر الحديث ، وفى الحديث الرابع يقول : « وأما قولهم » ، وفى الحديث الخامس يقول : « كما قال » ويذكر الحديث وفى السادس يقول : « ومثل ذلك كذا » ويذكر الحديث ، وفى السابع يقول : « كما قال بعض العرب » ويذكر الحديث ، وفى الثامن يقول : « ومن العرب من يقول » وفى التاسع يقول : « زعم أبو الخطاب أنه سمع من يقول » ويذكر

←

(٤) المرجع السابق ص ١٧٦ - ص ١٧٧ .

(٥) ذكرنا أمثلة للحن من كتاب غريب الحديث للخطابى ، وأما التصحيف والتحريف فراجع كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى ت عبد العزيز أحمد طه - ط أولى م الحلبى مصر سنة ١٩٦٣ ، وفيه قول ورقة بن نوفل فى النبى ﷺ : هذا لا يقدع أنفه ، بالدال حرف إلى (يقرع) بالراء ، وما حدث به عن عبد الله بن مسعود أنه قال : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة ، إلى (يتخوننا) ، ومن ذلك كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الأصفهانى ت د. محمد أسعد اطلس - دمشق سنة ١٩٦٨ وجاء فيه أن المحدثين بالبصرة غيروا زمانا يروون أن عليا رضى الله عنه قال : الا إن خراب بصرتكم هذه يكون بالريح فما اقلعوا عن هذا التصحيف إلا بعد مائتى سنة عندما وقعت ثورة الزنج (جـ ٢ من الكتاب المذكور) .

الحديث ، وفى العاشر يقول : « ومن ذلك قول العرب » .

وهكذا تدور عبارات سيبويه على هذا النحو حتى الحديث الرابع عشر .

٣ - لا يعد نحاة القرون الستة الأولى مستشهدين بالحديث .

وبناء على ما فصلت من هذه الدراسة التى أوضحت بجلاء موقف سيبويه ومن تلاه من النحاة حتى نهاية القرن السادس أستطيع أن أقرر أنهم بموقفهم هذا لا يعدون مستشهدين بالحديث وكان فى حسابهم فعلا التخوف من شيوع اللحن فى الحديث ، وظاهرتى التصحيف والتحريف بجانب من أجازوا الرواية بالمعنى .

والدليل على ذلك هذا القدر الضئيل من الشواهد التى هى أحاديث ، ولا تتجاوز عند واحد منهم هذا القدر الذى عثرنا عليه فى كتاب سيبويه .

أضف إلى هذا ، الصورة التى تم الاستشهاد بها حيث لم تذكر النسبة إلى رسول الله ﷺ ولم يقل : جاء فى الحديث الشريف كذا إلا فى أحيان قليلة جداً عند بعضهم .

هذا الموقف هو التفسير الذى أراه قريبا من الصواب لموقف النحاة الأوائل وقد ثار كثير من الباحثين المعاصرين ضد هذا الاتجاه .

وناقشوا قضية الرواية بالمعنى .

كما ناقشوا قضية ظهور اللحن فى الحديث .

وقضية التصحيف والتحريف .

وقدموا حلولا لهذه المشكلات تجعلنا ننتهى إلى أنه لا ينبغى أن يهدر الحديث الشريف فى الاستشهاد النحوى ، ومنهم الدكتور مهدى المخزومى فى كتابه مدرسة الكوفة ، والأستاذ سعيد الأفغانى فى كتابه أصول النحو ، والدكتور محمد عيد فى كتابه : الرواية والاستشهاد فى اللغة .

وما قاله هؤلاء الباحثون المحدثون لا ينال من موقف النحاة الأوائل ، لأن له ما يبرره ، أو يسوغه ، ويمكن أن يكون ردا على ما اتجه إليه ابن الضائع وأبوحيان .

ونحن عندما نناقش القضية على ضوء المتغيرات العلمية فى البحث ، وما انتهت إليه دراسات الحديث الشريف من نضوج وشمول واستقصاء يكون لها شأن آخر .

فأنا معهم - كما سأبين - فى أنه ينبغى الاعتماد على الحديث الشريف فى الدرس النحوى المعاصر ، ولابد أن تزاحم شواهده شواهد الشعر الجاهلى .

لكن لا ينبغى لنا فى سبيل هذه الغاية أن نتكلف ، ونعد الأوائل بهذه الشواهد المعدودة مستشهدين بالحديث .

إذ أن هؤلاء السلف فى موقفهم كانوا على أقوم منهج علمى .

ولا يلزم أن نقلدهم فيه بعد هذه المتغيرات حتى لا يحرم الدرس النحوى من معين ثجاج سائغ للشاربين .

٤ ـ قضية الاستشهاد بالحديث ليست قضية الأوائل

لم تكن قضية الاستشهاد بالحديث قضية مطروحة عند نحاتنا الأوائل كما أسلفنا ؛ لأن هناك من البواعث والأسباب ما يفسر موقفهم الذى اتخذوه ، وهو الإقلال من الاستشهاد بالحديث وعرض ما يستشهد منه فى صورة المسموع عن فصحاء العرب .

وإنما هى قضية المعاصرين .

وعندما نشبت القضية وثار غبارها فى القرن السابع الهجرى كان وراء ذلك ما يسوغ إثارتها وقيام الجدل حولها ولابد أن تحسم هذه القضية .

ولقد أتيحت للمعاصرين أسباب النظر فيها ، وتيسرت عوامل درسها مما يهيىء السبيل للوصول إلى نتائج حاسمة .

فعلوم الحديث درست دراسة واسعة مستفيضة .

وجمعت كل الأحاديث فى مئات الكتب ، وأصبحت بين أيدينا .

وأصبح من اليسير التمييز بين الصحيح والضعيف .

وعرفت أحوال الرواة من حيث الضبط والعدالة ، والفصاحة والعجمة .

وبين أيدينا الآن كتب تصدت لبيان ما وقع من لحن فى كتب الحديث .

كما توجد كتب تصدت لبيان ما فى الأحاديث من تصحيف وتحريف ، مما يدفعنا إلى موقف متغير تماما .

هو أن فى الكتب الصحاح جمهرة من الأحاديث تبدو فيها سمات البلاغة النبوية ، وسمو فصاحتها ، وجوامع كلمها ، وليس من الإنصاف للسان العربى أن تهدر ، أو يهمل الاستشهاد بها فى قضايا النحو واللغة بينما نعول على كثرة من أبيات الشعر ما بين مجهول القائل ، أو مصنوع ، أو شعر يقال : إن قائله من الجن ، أو من الملائكة ، أو أن قائله آدم عليه السلام .

على أن هناك أمراً أؤكد أنى لا أستطيع له تفسيرا ، وهو أن الأحاديث التى استشهد بها النحاة من متقدمين ، أو متأخرين ليست على أعلى درجات الصحة ، ففيها الموقوف ، وفيها المرسل فما سبب هذا ؟ ألأن هذه الروايات بصورتها تلك التى نقدها المحدثون هى التى تصلح لشواهدهم ؟!

معنى هذا أن النحاة المعاصرين مطالبون بإعادة النظر فى قضية الاستشهاد بالحديث ، واللجوء إلى الصحاح الواضحة الفصاحة ، والتى لا مطعن فى السنة رواتها لكى يحلوا به الكثير من مشكلات القواعد النحوية .

فأحاديث الأدعية لابد من قبولها شواهد ؛ لأن الأدعية توقيفية ، ولا يتصور التغيير فى ألفاظها .

والأحاديث التى تساق شواهد على فصاحة النبى ﷺ ، وعلى جوامع كلمه .

والأحاديث التى تصدر عن رواة لا يجيزون الرواية بالمعنى .

إمــام النحــاة

كل هذه أنماط من الحديث تثرى الدراسة النحوية ، والاستشهاد بها مسلك علمى مفيد .

هذه أفكار عرضتها فى هذه القضية التى حظيت بدراسة جادة من الباحثين المعاصرين ، وقد قصدت فى هذا البحث أن أقول كلمة سواء على ضوء موقف إمام النحاة سيبويه حتى نميز بين موقف النحويين فى القرون الستة الأولى ومن أتوا بعدهم ، وكذلك نتعرف ما ينبغى أن نتجه إليه فى دراساتنا المعاصرة حتّى لا نضيع الوقت فى خلافات حادة ، تضيع معها معالم الطريق .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

ا . د السيد رزق الطويل

من خير ما نشر

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

هذا ديننا

لماذا تحسب تضحياتنا صغيرة مهما كبرت ، وتحسب تضحيات غيرنا كبيرة ويزاد فيها كماً وكيفاً ، لقد عدت بذاكرتى إلى المغارم التى تحملها شعب فلسطين خلال نصف القرن الأخير فوجدت صفحة مجللة بالسواد ، مفعمة بالمآسى .. واليوم يلقى عرب فلسطين من الحكم اليهودى شراً مما لقيه اليهود فى ألمانيا النازية ؟ لماذا ؟ وبأية شريعة ؟

الحق أن للعرب ذنباً آخر قد يكون أشد من كل الذنوب لقد وهت علاقتهم بالله وتقطع ما بينهم من أخوة ، بل إن بعض العرب حاصر مخيمات اللاجئين قبل أن تحاصرها شراذم اليهود . وظل هذا الحصار بضع سنين حافلاً بالمآسى حتى ألفت طبيبة انجليزية كتابا عن آلام أطفال الحصار ! فلنلم أنفسنا قبل أن نلوم غيرنا .

الليزر لعلاج ضعف البصر

أعلنت ندوة طبية عالمية عقدت مؤخراً فى أمستردام عن إمكانية استخدام أشعة الليزر بطريقة تمكن ضعاف البصر من الاستغناء عن النظارة الطبية ، وتوقع الأطباء المشتركون فى الندوة استخدام أشعة الليزر فى علاج ضعف البصر خلال ثلاث أو أربع سنوات .

الرصاصة السحرية

توصل فريق من العلماء البريطانيين فى جامعة كيمبريدج إلى اكتشاف علاج جديد لمكافحة أنواع مختلفة من السرطان الذى يصيب خلايا جسم الإنسان وتتلخص طريقة العلاج الجديد التى تسمى باسم الرصاصة السحرية التى يتم إطلاقها على الخلايا المصابة لتعود وتقوى من دفاعاتها ضد مختلف أنواع الفيروس والبكتريا .

من خير مانشر

الأستاذ / أحمد بهجت

ثقافة الأطفال

الإنسان هو أعظم استثمار مادى .. وبرغم أن الإنسان ليس مادة فحسب ، إنما هو مادة وسر نسميه الروح ، رغم ذلك لا يزال الإنسان هو أعظم استثمار مادى ممكن .. والاستثمار يعنى الإنفاق أولاً ، ويعنى التضحية فى البداية .. وقد يكون هذا الإنفاق كثيراً .. أو مرهقاً .. أو باعثاً على الخوف من نفاد الإمكانات .. ولكن هذا كله غير صحيح .. والصحيح أن كل مال ننفقه فى استثمار الإنسان هو مال له مردود وعائد .. حتى ولو تأخر هذا العائد طويلاً . والأصل أن يبدأ استثمار الإنسان من الطفولة . ولا قيمة لأى استثمار يتجاوز مرحلة الطفولة أو يتجاهلها ، أو يمر عليها مرور الكرام . هذه حقيقة لم تعد موضع خلاف .

لعلاج الإيدز

توصل ستة علماء أمريكيين إلى علاج جديد تجرى تجربته لعلاج الإيدز ويؤدى استخدامه إلى قتل خلايا الجسم المصابة بالفيروس . وقد تم استخدام الدواء الجديد مع الفئران والقردة وهو مستخرج من مادة قاتلة تكفى قطعة منها فى حجم حبة الملح لقتل إنسان .

الأستاذ : عبد الفتاح الشوربجى
« عضو مجلس الشعب »

نظرة

نحن شعب له عقيدته ومثله وقيمه وحضارته وهذه العقيدة مستقرة فى وجدان كل ابن من أبناء هذا البلد الطيب ولا مفر ـ بعد كل التجارب المستوردة والتى ثبت فشلها الذريع ـ إلا أن نرجع إلى قواعدنا الأصلية وعقيدتنا التى لا يضارعها شىء لأنها من صنع الخالق وليست نظريات بشرية ، فالأمة الآن أحوج ما تكون لتمسكها بشرع الله لأنه الطريق الوحيد للاستقرار ، والاستقرار الذى ننشده يتطلب العمل الدءوب المخلص الذى لا يصدر إلا عن إيمان بالله ورسوله ﷺ وإيمان وحب للوطن يدفعنا جميعاً ويحفز همتنا لزيادة الإنتاج ونبذ الأحقاد ، وليس من المتصور أن نظل أسرى لاعتقادات واهمة ، ونحن الأمة التى ترك فيها خاتم الرسل ما أن تمسكنا به لن نضل أبدا . وعلى الله قصد السبيل .

خطر يهدد مصر
عن تحقيق بصحيفة الأخبار

ما الحل ؟ وكيف نتعامل مع هذه القضية الخطيرة ؟ هناك حلول متأنية تحتاج إلى مساحة زمنية طويلة ، ولكن انتشار المخدرات بين الشباب يسير أسرع من كل الحلول ، إنها النار فى الهشيم ، ولا يمكن إطفاء هذه النيران إلا بسرعة تنفيذ حكم الإعدام على تجار

المخدرات وتعديل كل القوانين لنصل بسرعة إلى العقاب الرادع .

إن رجال القانون فى مصر يصرخون ، أسرعوا بإعدام قتلة شباب مصر .. ففى إعدامهم رحمة بآلاف الشباب الذين سقطوا فى كمين الإدمان .. ويسيرون بسرعة فى طريق نهايته الموت بعد أن يعبر بكل الجرائم التى نسمع عنها الآن .

الأستاذ : عبد السلام داود

علامة استفهام

هكذا حوصر المدخر المصرى والمستثمر أيضاً حصاراً كاملاً فالذى يدخر أو يملك ما يكفى لإقامة مشروع استثمارى يصطدم اصطداماً حاداً « بالبيروقراطية » والعقبات مما يجعل من هذه المحاولة نوعاً من البلاهة .

والذى يضع مدخراته لدى شركات توظيف الأموال مهدد بضياعها والذى يضع نقوده فى بنك من البنوك الرسمية يعرض نفسه لاقتطاع نصف المبلغ فى حالة وفاته سداداً لضريبة التركات وقد يتعرض للمساءلة : من أين لك هذا ؟ ويدخل فى دوامة طويلة لإثبات أنه حصل على المبلغ عن طريق شريف .

وليس فى حرف مما قلنا أى تجاوز أو مبالغة ، هذا هو واقع الحال فعلاً . ومعنى هذا أننا جمدنا نشاطنا الاقتصادى تماماً فى انتظار معجزة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الأستاذ : محمود عبد المنعم مراد

كلمات

لست أعرف على وجه الدقة لماذا نتأخر فى إصدار القرار رغم وضوح المشاكل ووسائل حلها ، ربما كان الحل يغضب بعض الأطراف ... أو ربما كان التغيير الاجتماعى والاقتصادى يسير بسرعة أكبر مما نتصور ولهذا يتأخر رد الفعل إزاءه ، وتبدو القرارات التى تصدر متأخرة عن موعدها . وربما كان السبب شيئاً آخر لا نعرفه على وجه اليقين .

ونحن لا نطالب بالعجلة والاندفاع دون دراسة ، ولكننا نطالب باتخاذ القرار فى الوقت المناسب بعد استكمال البحث مباشرة ، لا بعد سنوات وسنوات .

أنباء وآراء

● أكد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ فى كلمته للمؤتمر الدولى للطب الإسلامى ـ التى ألقاها نيابة عنه الأستاذ الدكتور وزير الصحة راغب دويدار : أن وثيقة إعلان عقد حماية الطفل المصرى ورعايته التى أصدرها سيادته قد صدرت انطلاقا مما أوجبه ديننا الحنيف من أهمية رعاية الطفولة التى هى مستقبل هذه الأمة .

شارك فى المؤتمر علماء وأساتذة الطب من خمس وعشرين دولة إسلامية وعربية ومائة شخصية إسلامية عالمية كذلك حضره عدد من الوزراء وسفراء الدول العربية والإسلامية وأساتذة الطب .

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يوم الأحد ١٠ ربيع الآخر الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٨٨ م ، تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك المؤتمر الدولى للطب الإسلامى أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته التى ألقاها فى حفل افتتاح المؤتمر الدولى للطب الإسلامى على واجب العلماء فى مواجهة الواقع بالعلم والدين ونشر الخلق الكريم حتى يمكن إيجاد الحلول للمشكلات التى تزاحمت فى المجتمع الإسلامى بالفحص الدقيق والتحليل الذى يستكشف كنه الداء حتى يصفوا الدواء الذى يكون به الشفاء .

افتتح المؤتمر يوم الأحد ١٠ من ربيع الآخر (١٤٠٩ هـ) الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٨٨ م .

● أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى لقائه بلجان التوعية الدينية بالمنوفية ، اعتماد مبلغ ٤ ملايين جنيه لإنشاء ٢٣٣ معهدا دينيا فى القرى فى إطار خطة الأزهر لإنشاء معهد دينى بكل قرية .

حضر اللقاء محافظ المنوفية د/يحيى حسن .

● احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يوم الأحد ١٧ من ربيع الآخر الموافق ٢٧ من نوفمبر بمدينة البعوث الإسلامية بتخريج دفعة أخرى من الأئمة والدعاة القادمين من مختلف بلاد العالم الإسلامي فى الدورة العالمية العاشرة التى ينظمها الأزهر الشريف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة مرحباً فيها بالسادة الدعاة حاثاً لهم على وجوب الحذر من الفرق الضالة والغزو الثقافي باسم الدين ، وأكد فضيلته أن الأزهر يقوم بواجبه تجاه الدعوة فى الداخل والخارج ووجوب

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم فوده

تحصين الشباب ضد الأفكار والتيارات الوافدة .

وقام فضيلة الإمام الأكبر والسادة سفراء الدول المشاركة بتوزيع شهادات التخرج على سبعين من الأئمة والدعاة يمثلون ثلاث عشرة دولة هى : أفغانستان - ماليزيا - سنغافورة - أندونيسيا - نيچيريا - سيراليون - چيبوتى - زيمبابوى - ملاوى - وموريشيوس - مدغشقر - جزر القمر - اليمن .

● أرسل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى حكومة وشعب دولة الإمارات العربية المتحدة بمناسبة العيد القومي ، أعرب فيها فضيلته عن تمنياته لسمو رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وشعب الإمارات الشقيق بدوام التقدم والرقي تحت راية الإسلام الحنيف ..

● نفى الدكتور عبد الفتاح الشيخ - رئيس جامعة الأزهر ما نشرته إحدى الصحف الحزبية نقلا عن وزير التعليم الإسرائيلى بوجود تعاون مشترك بين جامعة الأزهر ووزارة التعليم الإسرائيلية حيث إن جامعة الأزهر اشتركت فى حلقة إسلامية بالضفة الغربية المحتلة ، وقال رئيس جامعة الأزهر إن هذا الخبر غير صحيح جملة وتفصيلا .

● شهدت العاصمة الماليزية خلال شهر أغسطس ١٩٨٨ حشدا طلابيا ، شاركت فيه وفود تمثل أكثر من ٢٦ دولة إسلامية لحضور المؤتمر السابع للاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الإسلامية ، وقد أصدر المؤتمر قرارات إيجابية بتوصية الأزهر الشريف والجامعات الإسلامية بالسعودية والخليج بالعمل على توفير التربية الإسلامية فى برامج وزارات التربية والتعليم فى العالم الإسلامى والعربى ، وتقديم مناهج تربوية إسلامية للناشئة .

وطالب المؤتمر بزيادة عدد منح الدراسات الإسلامية لأبناء المسلمين فى آسيا وأفريقيا والأقليات المسلمة فى أوروبا وآسيا وأمريكا .

● أقر مجلس أبناء المركز الإسلامى الأفريقى الذى يتخذ الخرطوم مقرا له : خطة تستهدف بحث السبل الكفيلة بتطوير المجلس ودعم أهدافه فى نشر الدعوة الإسلامية فى كافة الدول الأفريقية . وذكرت مصادر المجلس الذى عقد فى مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية واستمر خمسة أيام أن الخطة تتضمن تقديم الدعم المادى للمركز لمساعدته وتجسين أوضاع المسلمين فى أفريقيا ، ومواجهة جملات التبشير التى تستهدف زعزعة عقيدة المسلمين الجدد ، وردهم عن الإسلام . وجدير بالذكر أن المركز يضم فى عضويته : السعودية ومصر وقطر والمغرب والسودان ودولة الإمارات العربية المتحدة والكويت .

فهـرس العـــدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « الجوار فى الإسلام ..	
د . على أحمد الخطيب	٥١٣
مع الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	
● الدولة الفلسطينية « امل فى الافق »	٥١٨
● بيان بشان مفتريات بريطانى هندى	٥٢٠
● كلمته فى المؤتمر العالمى الخامس للطب الإسلامي	٥٢١
● كلمته عن حقوق الطفل	٥٢٢
● بيان الأزهر والمجلس الإسلامي العالمى	٥٢٥
● من النفس اللوامة إلى العمل الصالح ..	
للأستاذ حامد بدر	٥٢٦
● فى رياض السنة النبوية المطهرة .. « عزل الحاكم ممنوع بإجماع علماء اهل السنة »	
أ . د . رءوف شلبى	٥٣١
● دعوة الإسلام إلى الإخلاص فى العمل	
للأستاذ محمد صابر البرديسي	٥٣٧
● من دلالات النبوة ..	
للمستشار محمد الطهطاوى	٥٤٠
● محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية ..	
د . أحمد عبد الحميد غراب	٥٤٦
● رسل الأزهر فى بلاد النيجر ..	
للسفير جمال الدين أبو العيون	٥٥٢
● دور الأزهر فى استقدام الطلاب الوافدين	
د . رجاء ابراهيم سليم	٥٥٦
● الفتـــاوى ..	
أ . عبد الحميد السيد شاهين	٥٦٠
الشعـر والشعـراء اشراف د . حسـن جـاد	
كن على الأرض مؤمناً ..	
رشاد محمد يوسف	٥٦٤
● إسـلام عمـر ..	
عمـر موسى البرعى	٥٦٦
● خواطـر متقاعـد ..	
على حسن سرحان	٥٦٧
● من اعلام الأزهر « فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم »	
د . محمد رجب البيومى	٥٦٨
● طـرائف ومواقف ..	
إعداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٥٧٦
● من روائع مجلة الأزهر « جمال الاسلوب » ..	
أ . عبد الفتاح حسين الزيات	٥٧٨
العلـوم الكونيـة	
● الإنسان وابحاث الفضاء الكونى ..	
د . أحمد فؤاد باشا	٥٨٤
● الجــــراد ..	
د . كارم السيد غنيم	٥٩٠
اللغـة والأدب والنقـد	
● نظرات فى اللغة واصولها ..	
توفيق محمد شاهين	٥٩٦
● ابن سلام الجمحى ..	
د . حلمى محمد القاعود	٦٠٤
● إمــام النحــاة ..	
د . السيد رزق الطويل	٦١١
● من خير ماننشر .. إعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام	
عادل رفاعى خفاجة	٦١٧
● انباء وآراء .. د . أحمد عبد الرحيم السايح ..	
عبد المنعم حافظ فودة	٦٢٠
القسـم الانجليـزي اشراف د . أنس النجـار	
● المقالة الثالثة ..	
فاطمة محمد سرى	٦٢٤
● المقالة الثانية ..	
عبد الحكيم أحمد طه	٦٣١
● المقالة الأولى ..	
د . أنس النجار	٦٣٨

Our Lord! bestow on us mercv from Thyself, and dispose of our affair for us in the righ way.
(Surat Al Kahf, xviii, 10)

If the ocean were ink (wherewith to write) the words of my Lord, sooner would the ocean be exhausted than would the words of mv Lord, even if we added another ocean like it, for its aid.
(Surat Al Kahf, xviii, 109)

(Moses) said: "O my Lord! Expand me my breast: Ease my task for me· and remove the impediment from my speech so thev understand what I say, and give me a minister from my family.
(Surat Taha, xx, 25-29)

He knows what appears in his creatures as before or after or behind them. But they shall not compass it with their knowledge.
All faces shall be humbled before Him, the Living The Self-Sustaining, The Eternal. Hopeless indeed will be the man that carries iniquity.
But he who works deeds of righteousness and has faith will have no fear of harm nor of· any curtailment.
(Surat Taha, xx, 110-111)

It is he who knows what is open in speech and what ye hide in your hearts.
"I know not but that it may be a trial for you, and a grant of worldly livelihood to you for a time.
Say: "O my Lord! judge Thou in truth! !Our Lord Most Gracious is the One Whose assistance should be sought against the blasphemies ye utter!.
(Surat Al Anbiaa, xxi, 110-112)

SUPPLAICATIONS FROM THE HOLY QURAN

Collected By : Fatimah Muhammad Sirry

O Thou Creator of the heavens and the earth ! Thou art my Protector in this world and in the Hereafter. Take Thou my soul (at death) as one submitting to Thy Will (as a Muslim), and unite me with the righteous.

(Surat Youssef, xii. 101)

Remeber Ibrahim said: "O my Lord ! make this city one of peace and security: and preserve me and my sons from worshipping idols.

(Surat Ibrahim, xiv. 35)

"O my Lord! make me one who establishes regular prayer, and also (raise such) among my offspring. O our Lord and accept Thou my prayer.

"O our Lord ! cover me with Thy forgiveness, my parents and all believers, on the day of reckoning.

(Surat Ibrahim, xiv. 40 - 41)

Say: "O my Lord! Let my entry be by the Gate of Truth and Honour, and likewise my exit be by the Gate of Truth and Honour; and grant me from Thy Presence an authority to aid me.

(Surat Al Israa, xvii, 80)

universality in time and place throughout the ages of human existance.

The last of the Prophets was the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) who was chosen to deliver the final message of The Holy Quran, the last divine message to mankind. A message which guides humanity from darkness into light; a message that purifies the souls, redeems the self, educates the mind, and cultivates the character. A message that optimizes justice betwen man and himself, man and his fellow man, man and his milieu; and indicates the exact relation between Allah the Creator and man. The doctrines of Muslim Faith are ecumenic and universal, applicable to all ages and all human societies everywhere. They embrace all the divine principles and articles of faith that came forth in previous religions. They entail a more advanced theology that deal with every form and function of human life. The confession that the Prophet Muhammad is the messenger of Allah as part of the Shahadah is an integral part in the total concept that Allah is One with no associate partner: and that Muhammad is the chosen last Prophet to deliver the last complete Message from Allah to humanity throughout time and place. The final messenger to deliver the last message from Allah to mankind.

The Shahadah in Islam pontificates the confession obediance, testimony, submission to the Absolute Truth that "There is no god save Allah, and that Muhammed is the Messenger of Allah"; and the total acceptance of the doctrines and articles of that Faith. The two statements appear independent from one another, yet they are absolutely inseparable of as a fundamental axiom of Islamic Faith. The Shahadah of the two statements is a consummation of fulfillment of the first pillar of Islam, indicating and maximizing that the true belief in the Oness of Allah is in reality contingent with the belief that Muhammad is the Messenger of Allah. Allah revealed the last Message of faith to the Prophet Muhammad, to receive and convey the Revelation of the Holy Quran. Therefore, it is absolutely imperative to affirm and attest in total recognition that the perfection of belief must combine the full recognition of the Message of Muhammad: and to realize that from that Divine Message, man becomes able to reach the proper conceptualization of the belief in the Oness of Allah. The belief in Muhammad as the last prophet is the belief in the Message of the Holy Ouran; and the belief in the Revelation of the Holy Ouran is the belief in the Oness of Allah.

The first pillar of Islam is the attestation and verbal declaration that "There is no god save Allah and Mohammad is the Messenger of Allah". This is the Shahadah in Islam.

(prayers and peace from Allah upon him); the last and complete doctrines delivered to all mankind throughout the ages and the universe.

Allah bestowed upon His Prophets and Apostles two distinctions that are not granted to any other human. The first distinction was that of absolute chastity and divine protection from the doing of evil, transgression, or misdeed. However, they may go wrong in matters of trade, agriculture, evaluation of situation, loss of battle and similar matters of worldly nature. The absolute chastity and divine protection from evil, becomes an additional asset towards their perfection and ability to carry out their duties as Prophets or Apostles. The second distinction is a supernatural extramundane event or events that particularize its owner with that special Divine gift. Such distinction is mandatory to their prophethood. Such extramundane event or performance is a natural ability bestowed by Divine power; it is not an act of magic, sorcery, necromancy, witchcraft or anything related. The prophetic extramundane performances are divinely arranged from the simplest to the most miraculous and spectacular; some may require prehand training and self association of body and spirit of the Prophet before the timing of the actual event. Such phenomena of divine gift are also granted to individuals of great piety and chastity. Examples of such extramundane phenomena for the various Prophets and Apostles are related with precsion in the Holy Quran. The survival of the Prophet Ibrahim after being put into the fire by the unbelievers; the survival of Jonas after he had been swallowed by the whale; the exactness and precise prediction and interpretation of dreams by Joseph; the subjection of winds and Jinn to the service of Soliman; the several extraordinary events and acts of Moses, as his walking staff turning into a real serpent; the miraculous birth and death of Jesus, and his ability through divine power to heal, to give life to mud birds, and by divine power to bring life to the dead. The Prophet Muhammad was endowed with numerous miracles, however, the most extramundane feature in the life of the Prophet Muhammad was the receiving of the Revelation of the Holy Quran. The way it was revealed, the manner and process by which the Quran was received, the preservation throughout his life in the mind and heart, and the actual implementation and practice of every doctrine of the Holy Book. The miracle of the Holy Quran as an explicity unaltered Divine text remained as such during the life of the Prophet Muhammad, and after his death, and will remain as such to eternity. It is the final complete Holy Book to all mankind and its

equivalent to denial of all, since they are sequential in belonging to the same line of origin of belief, starting with Adam and ending with the Prophet Muhammad, prayers and peace from Allah upon them all. Five of the Prophets were characterized by optimum resolute patience and determined perseverance; these were Noah, Ibrahim, Mousa, Jesus and Muhammad, prayers and peace from Allah upon them all.

All Prophets and Apostles were qualified with outstanding dispositional, emotional intellectual, spiritual and temperamental qualities that differentiated them from other ordinary humans; and that allowed them to perform their selected functions to excellence. They were also free from any human vice, weakness, iniquity, moral badness, that would undermine their duties as prophets. The cardinal predominant qualifications of the prophets and apostles are essentially four characteristics. Truthfulness in whatever they speak, and this conforms with the Truth which they summon people to believe in as revealed from Allah. Honesty, total and absolute,in secret and in public, in word and in action; nothing was added and nothing was deleted from that which was revealed to them. The third characteristic (tabligh) is to unfold, convey and relate the exact words of the revelation to the human race. The fourth characteristic is consistent intelligence superior mental capacity, rational coherent logic, patient teachability, and deep rooted knowledgeable wisdom. Mankind has been directed to believe in what the Prophets and Apostles have brought forth as doctrines and theistic principles; and for such purpose, they were endowed by such superb attributes. These attributes have been ascribed to Prophets and Apostles on several occasions in the text of the Holy Quran. Since the Holy Quran was the Revelation to the Prophet Muhammad, he was repeatedly and with prevalent frequency assigned with such profound qualities and values of character. The Prophets and Apostles although qualified with such expressive qualities of goodness, are, nevertheless, human beings. They are subject to fatigue, illness, physiological functions, profession or trade, poverty, physical functions and injury, death and all such matters consistant with human nature. The records of the life history of the Prophets and Apostles teaches us that in their lives they married, had progeny, were sick, traded, worked with their hands, ate and slept, were oppressed, tormented, persecuted, baycotted, ostracised and denied by people. However, their Messages to mankind remained salient and perpetual, and the essentials and doctrines that they preached were identical, complementary and concurrent. Ultimately terminating with the Message of the Holy Quran was revealed to the Prophet Muhammad

after me ? they said - We shall worship thy God and the God of thy fathers Abrahim, Ismail and Issac - The One true God, and to him we submit in Islam" (Surat Al - Baqara, II, 133). Also, "Abrahim was not a Jew, nor yet a Christian; but was true in faith as a Muslim" (Surat Al-Imran, III, 67).

The definition of an Apostle is one human gifted with a certain Revelation from Allah, without the necessity of having to deliver that Revelation. The definition of a Messenger is one human gifted with a certain Revelation with the necessity to deliver that Message. Therefore, the Messenger has a more specific duty of deliverance of his Revelation. With this understanding, every Messenger is an Apostle, but not every Apostle is a Messenger. Every Messenger was ordered to deliver his Message to a special group of people, most probably his own people: and at a special place, most probably his country. The only exception to that was the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) who was ordered to deliver his Message to mankind at large; all over the universe, continuously, permanently, and everlasting. Therefore, the age of the Message of Muhammad the Prophet of Islam, is the age of Time; the locality of the Message is everywhere on the earth; and the people of the Message is all mankind in all ages. This is the complete universality of the Message of Islam. Every Muslim should necessarily believe in the Prophets and Apostles without any differentiation or distinction, some have been mentioned in the Holy Quran and others have not. Those that have been mentioned in the Holy Quran are twenty five. Eighteen have been mentioned collectively in one verse. In the Holy Quran: - "that was the reasoning about Us which we gave Ibrahim to use against his people. We raise whom We will degree after degree, for thy Lord is All-Wise All-Knowing." "We gave him, Isaac and Jacob, everyone We guided, and before that, We guided Noah and among his progeny, David, Soliman, Job, Joseph, Moses, and Aaron; thus We reward those who are righteous" "And Zakariya and John, and Jesus and Elias all in the ranks of the righteous." "And Ismail and Elisha and Jonas and Lot; and to all We gave preference and favour above all mankind." (Surat Al-Anaam, VI, 83 - 86). The other seven have been mentioned separately in various verses of the Holy Quran; these are Adam, Idris, Hood, Shuaib, Saleh, Zu Al-Kifle, and Muhammad the last of the Prophets. Any body that denies any of these Prophets and Apostles is not a believer; because he denies a religeous doctrine and a Quranic statement. Denial of one is

the purpose of regulating these intricate interrelationships and demands of the individual human, and between one individual and another, and within human groups in society; there must be a standarized code of practice controlling individual and group actions and conduct. That code ultimately achieves individual rights and collective social wellfare and prosperity. The underlying constituents of such code must be well defined by Divine ordinance to establish values of morals, justice, rights and virtues. The creation of mankind was associated with a message of a Divine code. The Holy Quran indicates that Adam and Eve came down to earth with a message "... Get ye down both of you, all together from the garden, with enmity one to another. But if, as is sure, there comes to you guidance from Me; whosoever follows My guidance will not lose his way, nor fall into miserv". (Surat Taha, XX 123). Man made codes can never achieve the basic and proper requirements of efficiency and suitability. The human mind is limited in knowledge and understanding due to the subjective materialistic nature of human life and demands. The human thought and conduct is dependent on the variants of social environment; it lacks universality, and structures its systems on assumptions and transient observations of human social phenomena. It is mixed with prejudice bias, prejudgement, and individual self inclination. For such reasons, man made codes throughout history never proved efficient or satisfactory to establish individual or social human rights or justice.

For such reasons, Prophets and Apostles were selected to bring forth the Divine Messages of the code, to regulate the individual and social life of mankind. These Divine Messages centered on two essential features; the belief in the Oness of The Creator; and to define to humanity the requirements of values from the origin of Divine ordinances and decrees. This is the essence of the Message of Islam as it is the reality of the message of all other faiths. Islam, therefore, is the basic and ultimate faith of all messages brought to mankind by all Prophets and by all Apostles. Belief is in reality an integral unaltered unity irrespective of who of the Prophets carried the message to mankind. The Holy Quran exacts this meaning in several contexts. "The religion of Allah is Islam" (Surat Al-Imran III, 19). The disciples of Jesus said "... We have faith, and do bear witness that we bow as Muslims" (Surat Al-Maida, V, III). The supplication of Ibrahim and Ismail "Our Lord, make us Muslims, and of our progeny, an ummah of Muslims, bowing to Thy Will" (Surat Al-Baqara, II, 128). The advice of Jacob to his sons "when death appeared before Jacob; Behold, he said to his sons - What will ye worship

designations of the Supreme Being (Allah). In the present article, the second statement of the "Shahadah" will be considered.

The statement that "Muhammad is the Messenger of Allah" gives total acknowledgement that Allah selected the Prophet Muhammed to carry and deliver the message of Islam. Inherent in this statement, there is total recognition that Muhammad is the subject of Allah, that Muhammad is the Prophet of Allah, and that Muhammad is the last of all Prophets and Apostles. All the Apostles and Prophets are the descendants of Adam, till the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah) upon them all. They have delivered the same fundamentals of belief, that is Islam (submission) to One Deity. Each Apostle was send to deliver a message of faith and ordinances that were suitable to the mental maturity of the human society at his time, and acceptance of the contents of the message. The Prophet Muhammad was the last of the Messengers and Prophets, who was chosen to deliver the Message from Allah in a state of completeness, entailing all ordinances and guidelines, to be the wholesome doctrine to the human race. All the Prophets were sanctified from sin, and purified from human error; however, they were human in the physical form subject to all human vital physiological functions, to illness, and to death. Allah bestowed upon the Prophets extrasensory qualifications, and associated their lives with miraculous phenomena.

The human race was created as superior to all other creations because of the intricate complexity of human physical, spiritual and mental capabilities. Also, the human race were destined to inhabit the earth, and exploit its riches, by the initiative thoughts of the human mind. Allah gave the human mind the fundamental channels of knowledge, the vision, the hearing, the sensory touch, the taste and the smell; in order to evaluate and characterize matter. Allah also gave man the ability to improvise and invent, to design and engineer, to construct and operate machines. Man was also given the gift to escalate, multiply and amplyfy these fundamental channels of knowledge. Allah also gave the human mind the functions of learning, storing accumulation, and imagination; also the tools of language and numericals for the performance of such functions. Mankind is also created with carnal requirements for food, sex, desire for property, anger, pain, and fear; properties whose extent is unlimited. The collective group instinct is a prevailing human tendency, where the individual effort becomes integrated into a resultant benefit for all. For

THE PILLARS OF ISLAM

"Muhammad is the Messenger of Allah"

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at u." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXl, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

The fist pillar of Islam is the confession "Shahadah" that (There is no god save Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah). In a previous article, the initial statement of this Shahadah was dealt with at length, giving extensive comprehensive understanding of the attributes and

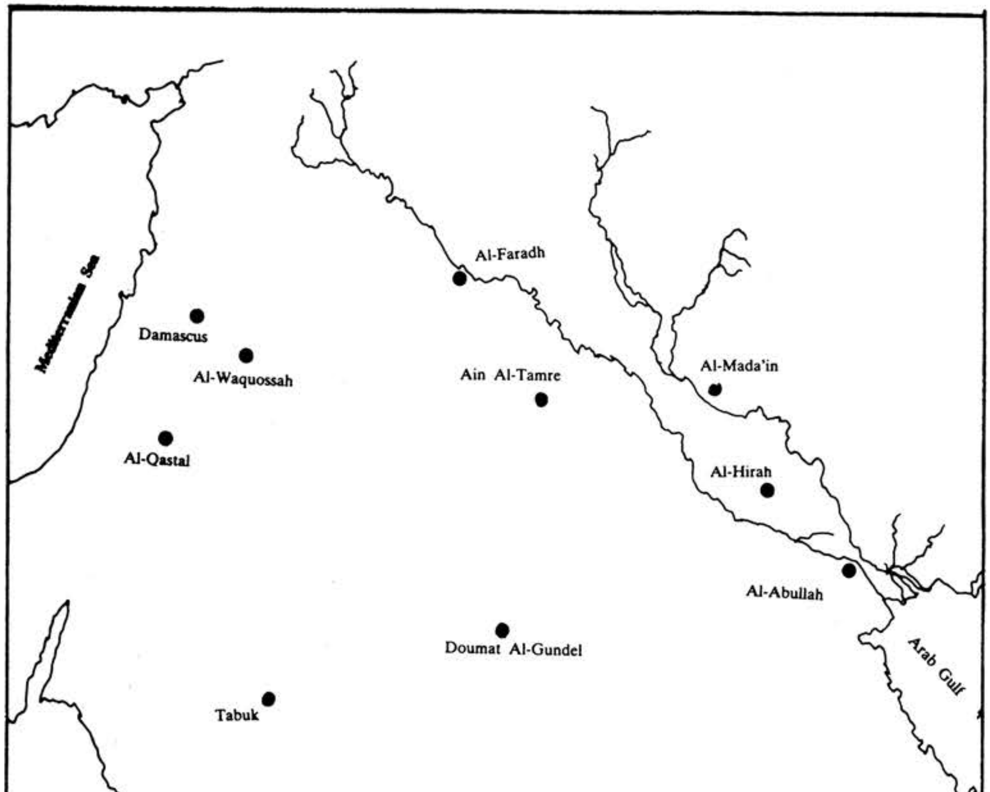
Mediterranean Sea
Damascus
Al-Waquossah
Al-Qastal
Al-Faradh
Ain Al-Tamre
Al-Mada'in
Al-Hirah
Al-Abullah
Arab Gulf
Doumat Al-Gundel
Tabuk
Red Sea
Madina
Makkah
Al-Taif

Ali ibn Abi Taleb, Othman ibn Affan and other persons of thought and capability to advise. Abu Bakre himself gave the matter very deep thought: what is the solution to this very critical and ambiguous situation. Finally, Abu Bakre realized a crucial truth; Muslims never gained battles by numbers; it was always through confident faith in the hearts of men and proper leadership. The situation at Al-Waquossah required shrewd leadership of strategic mentality with gallantry and unreceding personality. Abu Ubaydah ibn Al-Garah was kind hearted inspite of his marked capability; and Amre ibn Al-Aas inspite of his shrewdness was not challenging; and Iqrima inspite of his experience, knowledge, bravery, and military strategum, lacked the precision of evaluation. The rest of the leaders present had no real previous experience in major battles. These facts came to the mind of Abu Bakre, and the precise evaluation of the situation at Al-Yarmuk in Svria was very clear in the mind of the man responsible. Abu Bakre by analyzing the situation to its basic elements, could diagnose the fault, and also finally found the remedial measures.

Abu Bakre Al-Siddiq decided to write to Khalid ibn Al-Walid at Al-Hirah in Iraq to give his command to Al-Muthanna ibn Harithah, and to march with half the Muslim army in Iraq, to join the Muslim forces in Syria at Al-Waquossah on Al-Yarmouk. With all expediency this should be done, without arrogance but with humbleness, without self conciet, but with confidence of faith. Abu Bakre also mentioned in his letter to Khalid ibn Al-Walid never to resort to unaccepted errors in conduct (referring to the time Khalid left his command and went on pilgrimage). Abu Bakre ended his message that Allah champions and supports those who are geniune and true in their faith.

armies made contact with the army of Iqrima and moved to occupy strategic places in the Jordan valley Palastine, and Syria. The Roman command became very concerned about these masses of Muslim forces crossing the Syrian borders and penetrating into Syrian territory. The Roman Emperor Heraclius commanded Roman legions to confront each of the Muslim army. One Roman army under Theodore confronted Amre ibn Al-Aas; another under Fiquar opposed Abu Ubaidah; a third under Daraquis stood against Sherahbiel; and a fourth under Garigah confronted Yazied ibn Abi Sufian. This situation did not allow the Muslim forces freedom of movement and maneuvrability. The strategy of the Roman command was to overcome and defeat the Muslim armies individually by outnumbering them. The total Roman legions numbered eight times that of the Muslim forces. The division of the Muslim force into four armies certainly weakened the Muslim resultant power, and prevented a collective strategum. The commanders of the Muslim armies finally agreed to the opinion of Amre ibn Al-Aas to consolidate forces into one body. This opinion was later supported by the orders of Abu Bakre "join together into one, and confront your enemy, you are the carriers of the message of Allah; you cannot be defeated because of your small numbers, but you will be defeated if you transgress or commit sin. May Allah have mercy upon you, and support you to victory.

With this message from Abu Bakre, the Muslim armies joined together into one force of four armies, each having its own commander, and gathered on the left bank of Al-Yarmouk river. When the Romans saw that, they also collected their armies and faced the Muslims on the right bank of river. They choose an extensive expanse of ground surrounded by three mountainous ridges; this site is called Al-Waquossah. When the Roman troops were settled in their selected site, the Muslim forces crossed the river to the same side as the Romans, and choose for their camp an expanse of ground on the only way open to the Romans. The situation was that the Roman legions were beseiged between the mountainous ridges and the Muslim forces camped on the only way out.

The situation became very stale and monotonous, the Romans could not venture a break through, properly weighing the real potent strength of Muslims; and the Muslims were very reluctant to attack for fear of being trapped and engulfed into the multitudes of the Roman legions. This situation lasted for about eight weeks, and the Muslim commanders finally wrote to Abu Bakre describing the situation in detail. Abu Bakre consulted Omar ibn Al-Khattab,

soil; both forces were very cautious and alert. As the situation was such, news spread that Khalid ibn Al-Walid in Iraq had defeated the Persians at Al-Anbar and Ein Al-Tamre, and that the rebel tribes at Doumat Al-Gandel were defeated. The whole situation was promising, and Abu Bakre was preparing his armies at Al-Madinah for the Syrian crusade. Abu Bakre wrote to ibn Al-Aas "Advance and do not retreat, do not stretch yourself, and supplicate Allah for triumph. With this very short message, the Syrian crusade started.

On receiving the instruction from Abu Bakre, Khalid ibn Said ibn Al-Aas advanced with all his forces, infilterated the Syrian borders and marched towards the Romans and their nomad allies. When the Muslim forces were close, the Roman consortium left their posts and dispersed without resistance. The Muslim forces occupied positions and gained what the Romans left behind. Ibn Al-Aas wrote to Abu Bakre of the situation, and Abu Bakre answered "Advance with caution, do not attack, do not stretch, and be careful of being encircled." Ibn Al-Aas advanced till he reached Al-Qastal, where he defeated a Roman army and continued his march. The Roman command was very disturbed and resolved on aborting the progress of the Muslim worriors into Syrian territory. The Romans and the nomad tribes gathered in huge numbers, and ibn Al-Aas wrote to Abu Bakre explaining the situation. Abu Bakre commissioned an army under the command of Iqrima ibn Abu Jahle and another army under the command of Al-Walid ibn Uqbah; both armies to reinforce the Muslim troops in Syria. Ibn Al-Aas advanced to confront Roman forces under Bahan who retreated in a maneuvre to tempt ibn Al-Aas to stretch his forces into penetration. When this happened, Bahan encircled the Muslim forces and defeated them. Ibn Al-Aas escaped and the defeated Muslim army was saved from utter disaster by Iqrima ibn Abu Jahle who maneuvered the defeated army to safety reaching Syrian borders. There, Iqrima informed Abu Bakre, and awaited instructions and reinforcements.

The defeat of the Muslim army under Khalid ibn Al-Aas did not deter Abu bakre from his intentions. He was convinced and confident that Muslim crusade into Syria would be triumphant. Abu Bakre appointed four commanders to command four separate armies, with order to march across north borders into Syria. The commanders were Amre ibn Al-Aas, Abu Ubaidah ibn Al-Garah, Yazied ibn Abu Sufian and Sherahbiel ibn Hasanah. Abu Bakre drew the full strategy of these armies, the route of travel, and mapped out all points of strategic importance. These armies included the veterans of Islam, men of the Muhagereen and Ansars, companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); they should be more than a challenge to any Roman legions. The four

foresight, and perception, with your piety and sincere devotion to Muslims and Islam, we are confident that your decision will be with divine support. We will hear and obey with all faith and honest effort in the cause of the message of Islam." Everybody present conceded to the words spoken by Othman ibn Affan. Everybody gave Abu Bakre the liberty and also the responsibility of the decision. Abu Bakre decided to mobilize Muslim armies from all over the Arab Peninsula, from Makkah, Al-Taif, and from Yeman and the territories of the South. It was a crusade that involved the future of Islam and Muslims. Abu Bakre fully recognized the grave responsibility on his hands. He was responsible to those who gave him fealty as Khalifah, and to those who authorized him to take the decision. He was responsible to himself; and above all, he was responsible to Allah. Abu Bakre was a man of deep discretion, profound mental discipline, true piety with extrasensory perception and clairvoyance. These qualities gave Abu Bakre the serousness of intention and the unfailing devotion to the cause. Abu Bakre knew that a Muslim in battle was confident of the outcome, either victory or martyrdom, both of which were very gratifying. Abu Bakre was confident of triumph: the effort was essentially to propagate the message of Allah on earth; that was one most vital element that the oponents of Muslims lacked. Everything else, power, might, collossals of numbers, cannot at any time outweigh true sincere strive in the path of Allah. Abu Bakre decided to infilterate the Syrian borders and confront the Roman military power of the Eastern Byzantine Empire. Abu Bakre wrote to all the clans of the South, and the western and central parts of the Arab Peninsula, summoning them to the Syrian crusade. The clans responded, and Muslim worriers in hordes thronged at Al-Madinah reporting to the Khalifah Abu Bakre Al-Siddiq.

The precise chronology of the events regarding the dispatch and commission of Muslim worriors into Syria, is controversial. What all authors agree upon is that Abu bakre did not think of the Syrian crusade except after the war against the apostates was completely over; and after Khalid ibn Al-Walid had occupied Al-Hira in Iraq. The army of Khalid ibn Said ibn Al-Aas was sent north to safeguard the Syrian borders at the start of the war against the apostates; and remained there since. The decision by Abu Bakre to infilterate the Syrian borders with Muslim worriors came consequent to ibn Al-Aas message to Abu Bakre that the Roman legions were organizing their lines and mobilizing their troops, and that many allied nomad tribes joined the Roman forces. Ibn Al-Aas described the situation that the Roman army with nomad tribes were standing on Syrian soil, opposite the Muslim army with arab tribes standing on Arab

him permission to go into combat with the Romans before they take the initiative of attacking Muslim forces.

Abu Bakre gave the matter much thought and deliberation, and called upon Omar ibn Al-Khattab, Othman ibn Affan, Aly ibn Abi Taleb, Abdel Rahman ibn Aof, and other leading personalities of the Muhagereen and Anasar; to consult them regarding the matter. The decision to order Muslims to infilerate the north borders into Syria was indeed not an easy decision. Several Muslim armies were engaged in the Iraq crusade, and Syria with all its promises of Muslim expansion into what was originally an Arab tribal state; was dominated by Roman occupation, and was part of the extensive Eastern Roman Empire extending from Turkey in the north, down to the north borders of the Arab Peninsula south. The military power and ability of the Roman war machine was mighty, tremendous and well established. A confrontation with the Roman legions may have adverse consequences, however, the thought of Muslim infilteration into Syria remained a major issue in the mind of Abu Bakre. Muslim forces were triumphant in the wars against the apostates all over the Arab Peninsula, Muslim worriers were sweepingly victorious over Persian and allied tribal troops in Iraq, and Muslims, defeated the Roman legions who confronted them at Al-Faradh. Furthermore, the man power of the Muslim tribes still remained unmobilized, especially the tribes of the south. With all these conjugations of thoughts, Abu Bakre consulted men of wisdom, opinion, knowledge of strategy and foresight. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) was very concerned about the propagation of the Islamic faith into Syria, the natural extension of Arabs and the Muslim creeed.

Abu Bakre gathered the council of the Muhagereen and Ansar, explained the situation in wholesomeness and exactness to every elemental detail. The first speaker was Omar ibn Al-Khattab who spoke with enthusiasm in favour of Muslim infilteration into Syria to propagate the message of Islam. His opinion was that multitudes of Muslim worriors should be recruited for the Syrian crusade to strive on the path of the message of Allah, confident that Allah would certainly champion those who strive for the cause. Abdel Rahman ibn Aof was more reserved, warning Abu Bakre not to indulge Muslims into an overt war with the Romans. However, the wise strategy was to resort to hit and squirm out maneuvre, in such a manner as to weaken and disorganize the consolidation of the Roman legions. All Muslim tribes in the corners of the Arab Peninsula should be mobilized for such campaign. Finally, Othman ibn Affan addressed Abu Bakre saying "you are the Khalifah, well known among us all for your sagacity, wisdom,

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

THE SYRIAN CRUSADE
PART I

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

The repercussions of Muslim victories over the Persian forces in Iraq, and against the Roman legions at Al-Faradh, had far reaching consequences. The Byzantine Emperor of the Eastern Roman Empire, Heraclius came to realise the military power and skill of Muslims, and his strategy turned from calm content to apprehensive caution and alarming suspense. The Khalifah at Al-Madinah, Abu Bakre Al-Siddiq still kept the matter of the northern borders of the Arab Peninsula very much alive in his thinking. Now that the wars against the apostates were over, and the Muslims were achieving outstanding victories over the Persians in Iraq; Abu Bakre seriously contemplated to order Muslim troops to infilterate the norther borders into Syria.

During the early period of the war against the apostates, Abu Bakre had sent three armies to the north of the Arab Peninsula to subjugate renegade arab tribes in that territory. One of these armies under the command of Khalid ibn Said ibn Al-Aas was assigned to reach and establish strategic security of the Syrian bordres north of the Arab Peninsula. Abu Bakre gave strict order to ibn Al-Aas to remain at the borders and to rally friendly tribes to join his forces, and not to venture into any military confrontation except with the consent of Abu Bakre. Several tribes joined the forces of ibn Al-Aas and soon there was a huge Muslim force present on the Syrian border. This display of military spectacle caused great concern and agitation to the Roman command in Syria and Heraclius decided to take action in response, and mobilized his legions to confront the Muslims. News of the mobilization of Roman troops and their intentions reached ibn Al-Aas who wrote to Abu Bakre asking

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOl. 61, Part V

Jummada Al-Ula, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq

The Syrian Crusade (Part I)

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.

Muhammad is the Messenger of Allah

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Supplications from the Holy Quran.

Collected by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

Preparation of prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
جمادي الآخرة ١٤٠٩ هـ
يناير ١٩٨٩ م
الجزء السادس
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

أخلاق الإيمان

هى تلك التى تمثلت فى رسول الله - ﷺ - حُبٌّ للخير واسبابه ، وبناء لكل خلق كريم ، وبغض للشر ونوازعه ونقض لكُلِّ لَهْوٍ اثيم ، ولهذا وذاك كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليسود الخير والخلق الكريم ، ويغيض الشر والإفك الأثيم .

والمعروف والمنكر حددهما الشرع الشريف ، واحاط بهما ، ولكل منهما «اهلُ الذكر» يُسألون عنهما ، تلك حدود الله ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وكما حدد الشارع « جنس » المعروف و « جنس » المنكر و « أفراد » هذا وذاك ، حدد أيضا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ولقد ماجت أمور أخذت من هذا وذاك وألبست هذا بذاك فكان بيان الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

ثم كانت ندوة الجامع الأزهر التى التقى فيها العلماء ، وتحدث فيها فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وألقى فيها بيان العلماء .

والمجلة تقدم للقارىء ذلك كله :

بيان الإمام الأكبر

فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

طالعتنا إحدى الصحف (السبت ١٤ من جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨/١٢/٢٤ م) باخبار تلك المآسى التى وقعت فى بعض احياء القاهرة والضحايا الذين سقطوا قتلى او أصيبوا بعاهات ، هذا فضلا عن الرعب والخوف الذى عم المواطنين ، وشغلهم عن مهامهم واعمالهم ، بحثا عن اولادهم وحماية لأنفسهم واسرهم ، كما تناقلت الصحف اخبار جماعات اقامت من نفسها وصيا على دين الله .

وما كان الإسلام وما ينبغى أن يكون ستاراً للإخلال بالأمن ، والخروج على النظام العام ، واغتصاب الأموال ، وسفك الدماء . وما كانت الدعوة إلى الإسلام ، أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا بضوابط نظمها الإسلام فى مثال قول الله سبحانه فى سورة النحل : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ١٢٥ النحل وقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ .

وما كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسيلة لسلب الأموال ، وإلا صار منكراً من القول وزوراً يجب على المجتمع الوقوف فى مواجهته ومعاونة رجال الأمن فى الحفاظ على الأرواح والأموال التى هددها ويهددها هؤلاء الذين نصّبوا انفسهم حراساً على دين الله ، وما كانت المساجد كل المساجد إلا بيوتا لذكر الله وعبادته .. كما فى قوله تعالى فى سورة النور ٣٦ ، ٣٧ :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وما كانت عمارة المساجد إلا بالعمل الصالح فيها والذى يتفق مع مهمتها التى اقيمت من أجلها ، تلك التى يشير إليها قول الله سبحانه فى سورة الجن : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن مسجد الضرار الذى تتفرق به جماعة المسلمين ، ويقع فيه أو بسببه ما يضر بالأمة ، ويوهن من قوتها ، ويفرق كلمتها .. فقال الله سبحانه فى سورة التوبة :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ . أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ومسجد الضرار هذا .. مسجد يجب على المسلمين اجتنابه حتى يثوب أهله إلى رشدهم ويرجعوا عما اقترفوا من تفريق الكلمة وبث النزاع والقلق وإشاعة الرعب والخوف فى المجتمع ووجب على الناس كافة أن يأخذوا على أيدى هؤلاء الذين روّعوا النساء والأطفال ، وعطّلوا الأعمال ، وأهدروا الحرمات ، وأن يعاونوا أولى الأمر على ردهم عن غيهم وردعهم بكل الوسائل ، حتى يتوبوا ويجلسوا إلى العلماء يعرضون عليهم شبهاتهم ، ليردوهم إلى الحق والصواب فى الإسلام .

مسجد الضرار ـ فى هذا العصر ـ هو ذلك المسجد الذى دأب أهله على إثارة القلاقل وإذاعة الفتن واتخاذه موئلا للأسلحة والمتفجرات .

وما كانت المساجد فى الإسلام إلا لتلقى العلم ومدارسته وتلاوة القرآن ومدارسة علومه وذكر الله ـ كما شرع الله ـ بالصلاة والتسبيح ، وأداء الفرائض والنوافل ، وجمع الكلمة .. ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ..

وما كان فى الإسلام جماعات ولا جمعيات تخترق النظام الذى ارتضاه الناس لحياتهم فى ظل أحكام الله وشريعته ..

وإذا كان ثمت أخطاء أو خروج عن شرع الله كانت النصيحة التى افترضها الله على المسلمين وأعلنها رسول الله ـ ﷺ ـ فى قوله الذى رواه مسلم ..

(الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟
قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) .

ولعل هؤلاء الذين اعتادوا الشغب باسم الدين وباسم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يتفهمون كلمة النصح والنصيحة ، فليس من حق كل مسلم أو مسلمة ولا من واجبه أن يتجاوز النصيحة إلى استعمال العنف لتنفيذ ما يرى ، وقد يكون ما رآه خطأ فى حكم الإسلام ..

ولعل هؤلاء الذين ألفوا أن يطلقوا كلمة الكفر والتكفير ـ دون أن يتفهموا موقعها فى الإسلام ـ لعلهم يثوبون إلى رشدهم ، ويعرفون أن الله سبحانه مرسل الرسلَ ومنزلَ الكتب وخالقَ الناس جميعا هو القائل فى سورة البقرة : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ .

← بيان شيخ الأزهر

فكيف يكره إنسان على قبول نصيحة فى الدين أو فى الدنيا ؟ إن الأمر .. أمر نصح وإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقدوة حسنة فى الفعل قبل القول ، فإذا كان ثمت إصرار على خطأ كان ولي الأمر هو المسئول عن تقويمه ..

ذلك أن الرسول - ﷺ - كما قال فى الحديث الذى رواه مسلم ..
(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) ..

هو القائل - ﷺ - فى الحديث المتفق عليه :
(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ..

فلننظر الحديثين معا ولنجمع بينهما لنعرف تحديد وتوزيع المسئولية فى الأمر بالمعروف وفى النهي عن المنكر وتغييره .

وإن الأزهر الشريف وهو يدعو أولئك الذين ضلوا الطريق إلى الحق أن يعودوا إلى رشدهم ، وأن يوقفوا هذا الشغب ، وأن يعرفوا أن الإسلام حكم بحرمة الأنفس والأموال ، وباحترام وطاعة أولياء الأمور ، ونصحهم إذا استوجب الحال النصح . كما يدعو الأمة جميعا إلى الوقوف بحزم ضد هؤلاء الذين اتخذوا لأنفسهم سلطانا على الناس فى دينهم ودنياهم دون سند .

وإن الأزهر الشريف ليدعو القائمين على أمور التعليم فى الجامعات والمدارس والمعاهد على اختلاف أنواعها ومراحلها إلى أن يفتحوا الأبواب ويدعو العلماء إلى لقاء الطلاب والأساتذة لقاءات عامة يوضحون لهم حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ..

وإن على الجمعيات الإسلامية ذات الصيغة الشرعية أن تذود عن المجتمع هذا الإفك الماحق وأن تعمل على ذلك بكل ما وسعها من جهد . وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة فى يسر وأناة وحلم ، وأن على وسائل الإعلام بعامة أن تواجه هذه القضايا باسم الدين الذى ارتضاه رب العالمين للناس ، وأن تحجب تلك الأقلام التى تبث السم ، وتثير ، ولا تنير ، وتضل ولا تهدى ، ولنعلم جميعا أن حرية التعبير المتاحة لا ينبغى أن تكون وسيلة إلى التدمير ، تدمير القيم الدينية التى رسخت فى قلوب الشعب ، فالحرية المسئولة هى الأولى بالتقدير والاعتبار ..

إن الأزهر الشريف لينصح الناس جميعا والمسئولين خاصة أن يعملوا على وقف كل سبل الإثارة وأن يحفظوا على الناس احترامهم للدين وأحكامه وأن يسارعوا إلى إزالة كل مخالفة له ، وليعلم الجميع أن

علاج جميع أدوائنا فى كل نواحى الحياة لا يكون إلا بالرجوع إلى دين الله ، فهو الذى به تصح أبداننا واقتصادنا وسياستنا ومجتمعنا ، ولنأخذ ذلك طاعة لله سبحانه الذى قال فى سورة الأعراف :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ..

وإن الأزهر الشريف ليدعو كافة العلماء فى جامعة الأزهر ومعاهده وعلماء الدعوة العاملين فى الوعظ والإرشاد وفى المساجد ، بل والعاملين فى كافة مرافق الدولة أن يقولوا للناس حسنا وأن يواجهوا هذا الفساد الذى تحمله طائفة انغلقت على فكر غير سديد ، واتخذت من نفسها وصياً على الشعب ، بل وعلى الدولة ، تثير الفتن والقلاقل والشغب ، وتهلك الأنفس والأموال ، وتشغل الأمة عن بذل الجهد فى سبيل الاستقرار الاقتصادى والأمنى ، تلك دعوة تكليف بأن يتصدر العلماء فى المساجد والنوادى والمدارس والجامعات .. وكل الأماكن التى يتمكنون ـ بموافقة أولى الأمر فيها ـ من اللقاءات المفتوحة بالجماهير كل الجماهير من الطلاب والعمال فى كافة مواقعهم موجهين إلى الاستمساك بالدين فى العبادة والمعاملة والخلق الحسن ، وإلى الوقوف ضد الإخلال بالأمن والشغب وإلى معاونة السلطات على وقف أعمال تلك الجماعات التى لم تعد ترعى فى الله إلّا ولا ذمة ..

إن الإسلام حق وحقيقة وليس شعارات أو أقوالا ينقضها العمل ؟ وإن تلك الأعمال المدمرة التى نشرت تنذر بالخطر على المجتمع ..

إن الأمور بمقاصدها ، وأن الأزهر الشريف ليدعو إلى الوقوف بحزم وعدل ضد هذه الفتنة القائمة باسم الدين ، إذ الإسلام منها وممن يحترفونها براء (ومعظم النار من مستصغر الشرر) .

فليأخذ المجتمع كله حذره ، وليطهر مساجده وأنديته من قالة السوء ، ومن مثيرى الفساد ومن الداعين إلى الخروج على النظام .. ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ وليكن الحوار والإقناع وصولا إلى الحق فى أية قضية .. فذلك مبدأ الإسلام كما فى قول الله سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

نشر فى ١٦ من جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨/١٢/٢٦م.

كلمة الشيخ الشعراوى

شاء الله ـ ولا راد لمشيئته ـ أن يكون بالأزهر الشريف هذا اللقاء الذى تم عقب ظهر الأحد الثانى والعشرين من جمادى الأولى ، وفيه كانت تلك الكلمات :

كلمة فضيلة الشيخ الشعراوى قبل إعلان بيان العلماء :

الحمد لله على نعمة الإيمان به ، وشرف الإسلام له . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير من استقبل عن السماء هدى الأرض وبعد :

فما أحب أن ألقى البيان الذى انتهى إليه أساتذتى وإخوانى ، وتلاميذى قبل أن أقدم بين يديه كلمة بسيطة ؛ لأن البيان عادة يتمثل فى الإيجاز الدقيق المستوعب ، والذى أحب أن أقوله :

إن مسألة الإيمان والكفر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اُتُّخِذَتا الآن مطية للوصول إلى أغراض دانية لا ترتفع إلى السماء أبدا ، ولكنها ستظل فى حضيض الأرض .

يجب أن نَعلمَ أن كلَّ صوت يتكلم دون أن يَسْمَعَ الآن مدسوس عليكم جميعاً ليشوه اجتماعكم .

فكلُّ إنسان يتكلم بجوار إنسان فليحكم عليه أنه مدسوس علينا .

قضية الإيمان :

أن نؤمن بإله أى (موجود) ، وبإله (واحد) ، أى (لا تعدد له) ، لا فى أفراده ولا فى ذاته .

فمن قال الكلمة التى تؤديها فهو مؤمن ، نَدَعُ لله سرائره ، ونحكم على علانيته حين يقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وحين يتهم أحدٌ أحداً يثير ذلك نقول له ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : هلا شَقَقْتَ عن قلبه .

فإذا كان الإنسان قد شهد (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) .

فقد أخذ كلمة الإيمان ، وليس لأحد أن يتهمه بها ، فإذا ما أخذ هذا الحكم ، استقبل عن الله ما يريده من عباده ، فإذا أنكر حكماً من أحكام الله المنصوص عليها نصاً ، فقد كفر ؛ لأنه لا فائدة من الإيمان بإله واحد إلا بأن نتلقى عن ذلك الإله الواحد ، فمن أنكر شيئاً ثبت عن الله بالنص فهو كافر بوجود ذلك الإله .

قد يكون مؤمناً بإله واحد ، ولكنه يَرُدُّ حكماً من أحكام الله عليه فيكون كافراً؛لأن ذلك نقض لقضية الإيمان الأولى ؛

إبليس يعلم أنه لا إله إلا الله .

ويقول : بعزتك لأغوينهم أجمعين .

ويقول : انظرنى إلى يوم يبعثون .

ويقول الله له : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان .

ويستثنى إبليس عن الإغواء : (إلا عبادك منهم المخلصين) .

إذاً فهو يؤمن بالإله الواحد الفاعل القادر ، ولكنه حينما رَدَّ الحكم على الله ، نقض ذلك الإيمان ، فأبعده الله عن حظيرته ، ولعنه .

وذلك هو الفارق بين رَدِّ الحكم على الله ، الذى يعتبر صاحبه به كافراً ، وبين استقبال الإنسان الحكم بالإيمان بالله ، ولكنه لم يقدر على نفسه ، فعصى ، وشرّع الله تجريماً ، وشرع الله قصاصاً ، وشرّع الله حداً ، وتشريع الله عقوبة لجريمة من المسلمين إيذان بأنها قد تقع .

آدم عصى ، وإبليس عصى ، فما الفرق بين معصية إبليس ، ومعصية آدم ؟

معصية إبليس أنه رَدَّ الحكم على الله فَكَفَر ، ولكن آدم اتهم نفسه قال : حكمك يارب صحيح ، ولكنى لم أقدر على نفسى ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ - الأعراف ٢٣ .

ذلك هو الفارق .

إذاً فالكفر ليس له إلا معنيان :

المعنى الأول : الا تؤمن بوجود إله واحد .

والمعنى الثانى : أن ترد الحكم الثابت بالنص الصريح على ذلك الإله الواحد .

أرونى فى مصر ، من ينكر هذه القضية ، من الذى لا يقول فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومآذنها تعج بلا إله إلا الله محمد رسول الله . وكل واحد منا يقولها !!

إذاً ، فمن يجرؤ على أن يسمى من يقولها كافراً !!

ومن منا رد الحكم على الله ؟

لم يرد أحد الحكم على الله فيما فيه نص صريح واضح ، وإن اختلف العلماء فى الفرعيات .

فمجيء النص (محتملا) للفهم والاجتهاد ، إذن من الله بأن نختلف فيه ، ولكن الخطر أن يذهب مجتهد إلى رأى فيكفر من دونه ، ولذلك كان أدب المجتهدين ، يقولون : ما وصلت اليه صحيح يحتمل الخطأ ، وما وصل إليه غيرى خطأ يحتمل الصواب .

ذلك هو الأدب .

وأما مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد حدد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مراحلها مستوعبة لحالات النفس الآمرة والنفس الناهية ، والنفس المأمورة ، والنفس المنهية ، وقدَّر كل ظروفها : بيده يُغَيِّر ، إن لم يستطع فبلسانه يغير ، إن لم يستطع فقلبه يغير .

وليس معنى بقلبه يغير أن تقول : اللهم إن هذا منكر لا يرضيك ، لا،إنما ينبغى أن نخضع حركتنا تبعاً له فلا نكلم من يفسق ، ولا نكلم من يأتى منكرا ، لا نكلمه ولا نصاحبه ، ولا نجامله وذلك هو التغيير بالقلب ، وإلا كنا منافقين ، لا نراه أهلاً للخير ومع ذلك نجامله ونعزيه ونهنئه ونعاونه ، ونَبَش فى وجهه ذلك هو التغيير بالقلب ، تلك هى المراحل .

فأرونى فى مصر ، مصر الكنانة ، مصر التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أهلها فى رباط إلى يوم القيامة) .

من يقول عن مصر : إنها أمة كافرة ؟ إذاً فمن المسلمون ؟ من المؤمنون ؟ مصر التى صدرت علم الإسلام إلى الدنيا كلها ، صدرته [illegible] إلى البلد الذى نزل فيه الإسلام ، هى التى صدرت لعلماء الدنيا كلها علم الإسلام .

أنقول عنها ذلك ؟ ذلك هو تحقيق العلم فى أزهرها الشريف .

أما دفاعاً عن الإسلام فانظروا إلى التاريخ !

من الذى رد همجية التتار عنه ؟ إنها مصر .

← كلمة الشيخ محمد متولى الشعراوى

من رد هجوم الصليبيين عن الإسلام وعن المسلمين ؟ إنها مصر ، وستظل مصر دائماً رغم أنف كل حاقد أو حاسد أو مستغِل أو مستغَل ، أو مدفوع من خصوم الإسلام ، هنا أو خارج (هنا) إنها مصر ! ستظل دائماً ، ولكن لنعلم جيداً : أن علم الإسلام حينما انتقل إلى هنا وكانت مصر محكومة حكماً طبيعيا كان الإسلام مطبقاً ، ولكنها بليت بالاستعمار ، وللاستعمار جنود أستوردوا لنا كثيرا من التقنينات فغلبونا ، ولكنه حينما زال الاستعمار ظن الناس أن الاستعمار بكل ألوانه زال .

لا ..

ليس الاستعمار وجود محتل فى الأرض ، ولكنه قد ينأى عن الأرض ويترك له أعواناً يذيعون ما يحب ، وأعواناً يشجعون ما يجب .

وقد يحتلون بشىء آخر ، بغير وجود احتلال عسكرى فى البلد ، ولذلك كان يجب علينا أن نتريث ، وهذا التريث حفاظ على الشمعة . الشمعة قد لا تنير مكاناً واسعاً ، ولكننا نحافظ عليها لأن من الممكن أن نكثّرها فتنير أكثر ، أو نأخذ منها ناراً نشبها حريقاً على أعدائنا ؛ فليس من السهل أن نترك من يطفىء الشمعة ليطفئها نهائياً ، استبقوا هذه الشمعة ، استبقوها لنأخذوا منها النور للمحب ، والنار للمبغض ، استبقوها واعلموا جيداً أننا لا نستطيع أن تكون كلمتنا من رأسنا إلا إذا كان قوتنا من فأسنا .

لاحظوا جيداً : كيف نأكل ؟ من أين نطعم ؟ لا تعادوا قبل أن تعدوا،فإن العداء قبل الإعداد هو عين الفساد . والفساد . والفساد .

ياقوم لا تستمعوا لأحد لأن دينكم واضح ، دينكم فطرى .

واعلموا أن خصوم الإسلام لم يقدروا على الإسلام ، بذواتهم ، فدخلوا عليه من أبنائه وجعلوا لكل واحد أملاً فى أن يكون أميراً أو حاكماً ، ولذلك أعلنت أنا دائماً : أنا لا أريد أن أَحْكُمَ بالإسلام ، ولكننى أريد أن أُحْكَمَ بالإسلام .

الإسلام أمين علىَّ أن أكون محكوماً له . بأى واحد من أدنى الأرض ، ورجله على رأسى ورقبتى ، ولكنى لا أحب أن أَحْكُمَ أنا بالإسلام . لأن طالب الولاية ، لا يُوَلَّى .

نقول ـ لطالبها : ابْعُد عنها ! فإذا كان الأمر كذلك ، فإنه يجب علينا أن نتنبه جيداً إلى ما يراد بنا من كيد وما يراد بنا من شر .

واعلموا جيداً أننى كما قال أخى[1] : لست من رجال السلطة فأنا الوحيد فى مصر الذى رد قرارات جمهورية ولم يستمع لها فى تاريخها كله ملكية كانت أم جمهورية ، فلا يستطيع أحد أن يتهمنا ـ أبداً ـ بأننا علماء سلطة ، وإنى أريد منكم جميعاً أن تكونوا طائفة تقف وقفة حق وإنصاف بين دعاة إلى الإيمان كما يقولون ، وبين دعائم أمان كما يقولون .

أريد منكم أن تقفوا وقفة منصفة ، وقفة لله ، وأن تكونوا أنتم الطائفة الثالثة التى تحاول أن تصلح ، فإن لم يُصْلِحْ واحد فلنكن جميعاً يداً واحدة عليه .

---

١ ـ يقصد فضيلة الشيخ محمد الغزالى .

بيان العلماء

وفيما يلى نص البيان الذى اذاعه فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى باسم العلماء :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعـــد :

فإن الإصلاح الذى ينشده الإسلام للمجتمع فى شئونه كلها يعتمد ـ أول ما يعتمد ـ على الإقناع والتربية والحوار العاقل ويرفض رفضاً حاسماً اللجوء إلى العنف أو الإكراه أو استباحة حقوق الآخرين باسم الدين .

وقد وضعت الشريعة الغراء طرقا واضحة لتغيير العوج والانحراف ليس فيها الاتهام بالكفر ، أو الطفرة فى بلوغ الهدف ، وذلك ما عنته الآية الكريمة فى قول الله ـ سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(النحل ١٢٥)

ولقد تعددت الأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن تكفير المسلم ، ومن ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ؛ فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه)[1] .

وأخرج البخارى ومسلم ـ أيضاً ـ عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (من دعا رجلاً بالكفر ، أو قال : عدوُّ الله ، وليس كذلك ، إلا حار عليه) .

اى رجع عليه ما قال .

ونحن نعتقد فى إيمان المسئولين بمصر .

نعم ؛ لأنهم يقولون : (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) . ولا ينكرون على الله حكماً ، ولا يردون للإسلام قضية . وأنهم يعملون جاهدين ـ إن شاء الله ـ على أن تبلغ الدعوة الإسلامية مداها تحقيقاً وتطبيقاً ، ولكن انتظار الظرف المناسب[2] هو الذى يدعو إلى التريث ؛ ولذلك نوجه إلى جمهور الشباب أن يكونوا وقافين عند حدود الله ، وأن يبتعد كل منهم عما يسىء إلى الإسلام ، وأن يدرك أن التغيير الذى طالبت به الشريعة يكون على مراحل رتيبة فصلها الحديث الصحيح الذى يقول :

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ؛ فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ..) .

وقد اتفق العلماء على أن تغيير المنكر باليد واجب على كل الأمر ، وعلى كل إنسان فى حدود ولايته ، وأن تغيير المنكر إذا أدى إلى مفسدة أشد كان التوقف واجباً ؛ لأن إباحة تغيير المنكر بغير ضوابط يؤدى إلى شيوع الفوضى .

إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وتدعيم الفضائل ، والقيم الدينية كلها مطلوبة من الحكومة الحاكمة الآن . والله ـ سبحانه وتعالى ـ يؤدى بنا وبهم إلى خير الطريق وأقوم السبيل .

وهو خير المسئولين والمدعوين .

(١) قال الشيخ الشعراوى : شارحاً للحديث : أى إن كانت ـ أى الكلمة ـ صادقة يكون المقول له هذه الكلمة كافراً ، وإن كانت كاذبة يكون القائل هو الكافر . (٢) قال الشيخ هنا : أى الكلمة من الرأس بعد اللقمة من الفأس .

تفسير سورة الفاتحة

لا يفوتنى أن أترحم على شيخنا « مصطفى الطير » الذى كان يؤدى هذا الواجب فى مجلتنا العزيزة علينا ـ مجلة الأزهر ـ وفق الله القائمين على تحريرها فى مواصلة أداء رسالتها .

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

سورة الفاتحة هى « الطريق إلى الله » ، وهى « أم القرآن » . حوت مقاصده الثلاثة : التوحيد ، والتشريع ، والقصص .

وقد أمرنا الله إذا قرأنا القرآن أن تستعيذ به من الشيطان الرجيم .

ويتلخص الطريق إلى الله ، كما ترشدنا إليه هذه السورة فى سبع خطوات ، إجمالها :

١ ـ التجرد من المعصية .
٢ ـ الدخول فى الطاعة .
٣ ـ الطاعة نعمة تستحق الشكر .
٤ ـ قد تكون النعمة تحمل فى طياتها النقمة فاستوجبت الرحمة .
٥ ـ كل شىء يترتب الجزاء عليه .
٦ ـ المُخَلِّص من الآفات والنجاة منها .
٧ ـ الإفصاح عن المطلب .

تلك هى خطوات السورة وما تحتويه من مضمون :

فالتوحيد فى الآيات الثلاث ، والتشريع فى الآية الرابعة ، والقصص فى الآيات الثلاث الأخرى ، ولن أتناول بالتفصيل تحقيق الإعجاز القرآنى إلا بمقدار متجنبا الدراسات (الأكاديمية) التى محلها الكتب .

فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تعنى شعورا بعظم المعصية ، وإحساسا بوجوب التخلص منها ، والالتجاء إلى الله لا إلى غيره .

والشيطان : كل متمرد من الإنس والجن مجسما كان أو مجردا فى أى غريزة من الغرائز تلك الغرائز التى تشاركنا البهائم فيها ، كالشهوة

د . محمد عبد المنعم القيعى

والرجيم بمعنى المرجوم ممن يَتَخَلَّص من وساوسه فإنه يرجمه ويمقته .

وللأسماء دلالتان : دلالتها على المسمى بها ، ودلالتها على ما يشير به المشتق منها . وما يتركب منه الاسم من حروف .

فلفظ الجلالة : «الله» له خصائصه ، فيوصف ولا يوصف به ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ وهو من «لاه ، يلوه» إذا احتجب فهو محتجب بكمال نوره وشدة ظهوره ، والإنسان هو المحجوب عنه بما عاقه عن الوصول إليه ، وهو من «لاه، يلاه» إذا ارتفع . ومن عَلِمَ أن لله تعالى أن يتجلى بما شاء وكيف شاء ، وأنه منزه فى تجليه ، قريب فى تعاليه ، لا تقيده المظاهر عند أرباب الأذواق ، زالت عنه إشكالات ، واتضحت لديه متشابهات .

ومن خصائص اسمه ـ سبحانه ـ أن الحرف الأول «الهمزة» والأخير «الهاء» من حروف الحلق ، ويشير بذلك إلى أن كل شىء منه ابتداء وإليه انتهاء ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وهو محلى بالألف واللام ، ولا يثبت مع حرف النداء سواها تقول (ياألله) ، فإذا ناديت العبد قلتَ إما : (ياإنسان) ، أو قلت : (ياأيها الإنسان) وفى ذلك إشارة إلى محو الوسائط بيننا وبينه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ .

وإذا لاحظنا الأسئلة الموجهة للنبى ﷺ وَسَّطَهُ الله فى الإجابة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾(1) وهكذا لا وساطة بيننا وبينه ، فهو معنا بعلمه أينما كنا ، وأنى نكون .

وفى لفظ ـ الشيطان ـ معنى البعد والاحتراق تقول (شطن) اذا بعد وتقول (شاط) إذا احترق .

أما الخطوة الثانية : وهى الدخول فى الطاعة فتمثله (البسملة) ، لأن العبد يستعين بمعونة الله له ، وهو سبحانه (رحمن رحيم) رحمته عمت كل شىء ، وشملت ما ينال من دقيق وجليل ، ورحمته لازمة لذاته قبل وجود الخلق ، وأثناء وجودهم ، وبعد فنائهم ، وتلك البسملة موجودة فى أول كل سورة ليتعلم من ينظر فى القرآن أن يتخلق بالرحمة المناسبة له ، والرحمة ـ فى جانب الله سبحانه ـ ليست كرحمتنا تنبعث من رقة القلب ، وتنطلق بالعاطفة ، بل هى رحمة تليق به ، يُسميه المسلم بما سمى به نفسه ويصفه بما وصف به ذاته ، وفى اعتقاده أنه سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ .

الخطوة الثالثة : أنه لا نعمة أعظم من طاعة العبد لربه ، وهى التى تبقى معه ولا تفارقه ، وما عداها أعراض تزول عنه : كنعمة الصحة ، ونعمة المال ونعمة الأولاد ، كل هذا سيفارقك ولا يبقى معك إلا ما أطعت به ربك ، وكل نعمة

* الكاتب : أستاذ ورئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين ـ القاهرة ، جامعه الأزهر .

١ ـ وإجابة الرسول ﷺ لا تنافى أن لاوساطة بين المخلوق والخالق فهو لم يجب من نفسه وإنما بإيحاء الله له .

← تفسير سورة الفاتحة

تستحق أن تقابلها بالشكر عليها ، لا أن تستأثر بها لنفسك ، وشكر أى نعمة من جنسها ، فنعمة المال شكره بذل شىء منه لمن يستحقه ، ونعمة العلم تعليمه للناس ، ونعمة الصحة العطف على المريض ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وقول العبد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يعبر به عن شكره لخالقه ولنتأمل لفظ (رب) فهو يعنى التربية الكونية والخلقية ، وهناك نعمتان ما خرج موجود عنهما ، ولابد لكل مُكَّونٍ منهما : نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، فهو سبحانه أوجد من العدم ، وهو سبحانه يرعى الناس بعنايته ورعايته ، ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ .

والخطوة الرابعة : أن على العبد أن يلاحظ حق الله ، وحق الناس فى النعمة التى أنعم الله بها عليه ، فرب نعمة تحمل فى باطنها معنى النقمة والاستدراج ، فقد قال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .

و(العالمين) جمع عالَم وهو : ماسوى الله ، فكل كائن مربوب ، والله رب العالمين ، نسترحمه لأنه الرحمن الرحيم . وقد جعل الحديث الشريف رحمة الله مائة جزء أنزل ـ سبحانه ـ جزءا واحدا ، وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، فمن ذلك الجزء الواحد يتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ،

وكررتُ هذه الآية ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ فى البسملة لوجودهما فى ذاته ، وفى الفاتحة للرحمة بهما فعلا فى كائناته .

والخطوة الخامسة : لابد لكل عمل من جزاء ، ولا يملكه على الحقيقة إلا مالك الملوك ومالك الدنيا والآخرة .

وخص ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، لأنه يوم الجزاء ، وفى قوله «يوم» إشارة إلى أن الدنيا كالليل البهيم ، يدعى فيها من يشاء مايشاء ، فإذا انقشعت ظلمة الليل ، نادى ملك الملوك . لمن الملك اليوم ؟ فلم يجبه أحد ، فيجيب نفسه : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

والدين من « دانه » إذا جزاه ، « ودان له » إذا انقاد ، « ودان به » إذا أقر . فكل من الإقرار والانقياد والشعور بالجزاء عناصر أساسية للدين .

والخطوة السادسة : أنه لامُخلِّص إلا هو سبحانه ، ووسائل خلاص العبد عبادته لربه ، واستغاثته به ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لا نعبد غيرك ولا نستعين بسواك .

وقدّم العبادة لأنها حق الله ، وأخر طلب العون لأنه حق العبد .

وفى العبادة عنصران أساسيان : الطاعة ، والمحبة . وقال : « نعبدك » وقائل ذلك واحد ولايناسبه إلا نون الجمع لا نون التعظيم ، إذ التعظيم لايناسب العبادة التى هى خضوع وانكسار ، وكأن العبد يقول : [إذا كنت قد قصرت ، فقد خلط عملى بعمل الآخرين ، فكلنا نعبدك ، رجاء أن تدخلنا فيمن قلت فيهم : « هم الجلساء ، لا يشقى بهم[٢] جليسهم »] .

٢ ـ جزء من حديث صحيح رواه .

والخطوة السابعة : وهى الإفصاح عما يطلبه العبد أمام ربه ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

والهداية هى البيان والإرشاد ، وخلق الهدى فى نفس الطالب ، ويقول المسلم ذلك طلبا للزيادة كما قال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ .

والصراط المستقيم : هو الطريق الذى كان عليه النبى ﷺ ومن اتبعه واهتدى بهديه ، من صحابة وتابعين وتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود رضى الله عنهما قال : خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً ». وخط عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٣] .

والخط المستقيم هو ما كان عليه ﷺ وأصحابه . ما آمن أحدهم إلا كان هواه تبعا لما جاء به محمد ﷺ .

والذين أنعم الله عليهم هم الذين بينتهم آية أخرى فى سورة النساء : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ نسأل الله أن نكون منهم .

والمغضوبُ عليهم ، والضالون ، كل من ضل عقله ، وأغلق قلبه ، وتحديد فريق من الفرق لا يعنى إلا ضرب الأمثال لمن أبعد نفسه عن الحق وهو يعلمه ، ولمن غاب عنه الحق جهلا منه ، وكأن المستقيم على شرع الله هو من تحقق من صحة ما جاءه عن الشرع وأعمل عقله ليفقه معناه ، وغاص ببصيرته إلى مغزاه ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وقد أمرنا أن نقول بعد قراءة الفاتحة (آمين) أى استجب دعاءنا .

فما دعونا لأنفسنا ، بل لسائر الناس ، وما التجأنا إلا إليك كما علمتنا بقولك ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ .

فعليك أيها القارىء العزيز أن تتدبر كتاب ربك ، وأن تتنبه إلى ما يتيسر لك من مدلولات ألفاظه ، فهو كتاب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

أ . د . محمد عبد المنعم القيعى

٣ ـ وكذا رواه الحاكم وقال : صحيح ولم يخرجاه .

مكانة النفس فى القرآن

قال العليم الخبير : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ . « سورة الشمس : ٧ ـ ١٠ » .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فإن للنفس البشرية مكانة عظيمة عند الله ، ومن ثم أقسم بها فى عدة مواضع ، ولا يجىء القسم على هذه الصورة إلا بشىء ذى مكانة ، وتكريم ، ومن الغريب أن نفس الإنسان بين جنبيه ، ومع ذلك لا يعرف حقيقتها ، ولا تركيبها ، وهذا دليل على أن الله سبحانه استأثر بحقيقتها ، ومعرفتها ، جاء فى التنزيل العزيز :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ « ١٦ من سورة ق » .

ومادامت النفس مخلوقة لله ، فمن حق الله عليها أن يكلفها ما تطيق ، فإن نفذت التكليف سعدت فى الدنيا والآخرة ، وإن امتنعت عن تنفيذ التكليف شقيت فى الدنيا والآخرة ، ومن حكمة الله أن جعل النفس البشرية مطيعة لصاحبها يأمرها فتأتمر ويزجرها فتنزجر ثم هى فى حالة الطاعة فى سرور واطمئنان ، وفى حالة المعصية فى قلق واضطراب .

وكذلك نجد الرسول الأعظم محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرف مصدر النفس البشرية ، وأن الله خالقها والمتصرف فيها كيف يشاء ، فيقول فى أكثر من حديث : « والذى نفسى بيده .. كذا » .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ .

اقسم سبحانه بالنفس[1] وتسويتها ، أى خلقها ، وهى آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، أو هى كل نفس مخلوقة ، قال مجاهد : سواها : سَوَّى خَلْقَها وعَدَل .

وإنما أقسم المولى جل ثناؤه بالنفس ، ويقسم بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة والقدرة الدالة عليه ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أى عرفها طريق الفجور ، والتقوى . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ . قال : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها »[2] .

---

(١) وقيل : (ما) فى (ما سواها) بمعنى من ، أى ومن سواها ، وهو الله ـ عز وجل .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ هذا جواب القسم بمعنى لقد افلح ، و« افلح » فاز « من زكاها» أى مَنْ زكى الله نفسه بالطاعة .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ اى خسرت نفس دسها الله عز وجل بالمعصية ، وقيل : أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال ، وخاب من دسّ نفسه فى المعاصى.[3]

وقال ابن الأعرابى : « وقد خاب من دسّاها » اى دس نفسه فى جملة الصالحين وليس منهم .

ومرة أخرى تقرن النفس بيوم القيامة فى القسم للدلالة على مكانة المقسم به ، وعظم شأنه كما فى قوله سبحانه : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ « القيامة : ١ ، ٢ » .

ومن تصريف الله وقدرته أن جعل النفس البشرية على أنواع تحدث عنها القرآن وقسمها إلى : أمارة بالسوء ، ونفس لوامة ، ونفس مطمئنة ونفس ملهمة ، ونفس كاملة .

مع صفات الإنسان :

تحمل شخصية الإنسان صفات الحيوان المتمثلة فى الحاجات البدنية التى يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع ، كما تتضمن صفات الملائكة المتمثلة فى تشوقه الروحى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، والإيمان به وعبادته وتسبيحه .. ، ويشعر الإنسان بالصراع فى نفسه بين هذين الجانبين من شخصيته ، والقرآن .. يشير إلى حالة النفس الإنسانية بين الجانبين : المادى ، والروحى فى الإنسان[4] . فيقول :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ « النازعات : ٣٧ : ٤١ » .

فأشارت هذه الآيات إلى ان هناك وعدا ووعيدا، وعلى الإنسان أن يعرف هذا حتى يختار الطريق الأمثل ، ويتسامى بنفسه إلى افق الفضيلة ، والتقوى ، والمثل الإنسانية العليا والعمل الصالح .. ومن ثم فإن طبيعة الحياة الإنسانية معرضة لوقوع الصراع بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين طاعة الله ومعصيته ، فإذا ركن الإنسان إلى هواه ، وغفل عن ذكر الله ونسى اليوم الآخر ، فقد تغلبت عليه النفس الأمارة بالسوء ، اى المشتهية له ، وهى التى تحدث صاحبها وتوسوس له بالفجور والانحراف وتسوقه إلى المهالك والبوار إلا من رحمها من وساوس الشيطان ، وانقذها من مخالبه ، ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ « فاطر : ٦ ».

وفى الحديث : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها مالم تعمل أو تكلم به »[5] .

(٣) قال اهل اللغة : والأصل دسسها من التدسيس ، وهو إخفاء الشىء فى الشىء ، فأبدلت سينه ياء ، كما يقال : قَصَّيْتُ اظفارى ، واصله قصصت اظفارى

(٤) راجع للدكتور محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس صـ ٢٠٣ ، وما بعدها .

(٥) اخرجه الطبرانى فى الكبير ، راجع فيض القدير ، للعلامة المناوى الحديث ١٤٠٤ .

مكانة النفس فى القرآن

فهذه رحمة من الله سبحانه أن يتجاوز عن حديث النفس الذى يدور داخل الإنسان بشرط أن لا يجهر به وإلا أخذ به قولاً أو عملاً ، ومن ثم قالت امرأة العزيز :

﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ « يوسف : ٥٣ » ..

النفس اللوامة :

وهى التى تلوم صاحبها على الشر ، وتذكره دائماً بالله إذا غفل قلبه ، ومن ثم اقسم الله بها لمنزلتها . وخطورتها ، فقال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ . « القيامة : ١ ، ٢ » .

وعن هذه النفس قال الحسن البصرى رضى الله عنه : هى نفس المؤمن ما يُرَى المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلامى ؟ ماأردت بأكلى ؟ ما أردت بحديث نفسى ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه .. واللوامة بمعنى اللائمة وهى صفة مدح ..[6] فالنفس اللوامة هى المتقية الخائفة .. فإذا ما أخلص الإنسان فى توبته ، وفى تقربه إلى الله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة ، وتحكم فى أهوائه وشهواته ، وحقق التوازن المطلوب بين مطالب البدن ، ومطالب الروح ، فإنه يصل إلى أعلى مرتبة من النضج والكمال الإنسانى فيكون فى حالة اطمئنان ، وسكينة ، وهذه النفس هى التى ينطبق عليها وصف النفس المطمئنة[7] التى ذكرها القرآن الكريم : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ « الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ » .

النفس المطمئنة :

هى الساكنة المؤمنة أيقنت أن الله ربها فأخبتت لذلك .. وهى عامة فى كل نفس مؤمنة طائعة مخلصة .

قال الحسن البصرى : إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله تعالى واطمأن الله إليها ..

قال سعيد بن زيد : قرأ رجل عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ما أحسن هذا يا رسول الله ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الملك سيقولها لك يا أبا بكر » .[8]

وأيضاً فإن النفس الزكية هى المطمئنة الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾ .

أى إلى جواره وثوابه ، وما أعد لعباده فى جنته « راضية » فى نفسها ، « مرضية » عن الله فرضى الله عنها وأرضاها .

روى أبو أمامة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لرجل :

« قل : اللهم إنى أسألك نفسا بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك[9] » .

النفس الملهمة :

هى التى منحت العلم اللدنى ؛ وهو العلم

---

(٦) تفسير القرطبى : سورة القيامة .

(٧) القرآن وعلم النفس صـ ٢٠٨ .

(٨) راجع تفسير القرطبى سورة الفجر .

(٩) راجع تفسير ابن كثير لهذه الآية من سورة الفجر .

الربانى الذى يصل صاحبه عن طريق الإلهام[١٠] .

فقال سبحانه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ .

يلاحظ أن العلم اللدنى الذى يحصل عن طريق الإلهام والرؤيا ليس خاصاً بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وحدهم ، بل يمكن أن يحصل أيضاً لآخرين من غير الأنبياء والرسل إذا ما توافرت فيهم شروط معينة من الصلاح والتقوى والصفاء القلبى والشفافية الروحية .

والإلهام هو نوع من العلم الذى يفيض الله سبحانه وتعالى به على الإنسان ، ويلقيه فى قلبه فتنكشف له بعض الأسرار ، وتتضح له بَعض الحقائق[١١] .

وعن الإلهام ماورد فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدّثون ، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر » .

وقيل : فى تفسير « محدّثون » أى ملهمون[١٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا أن النبي ﷺ قال : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » .

وأخرج ابن عساكر عن طريق ابن شهاب قال : « إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة ، فيقول : أحبس هذه ، ثم يحدث بالحديث فيقول : أحبس هذه ، فيقول له : كل حديثى حق إلا ماأمرتنى أن أحبسه »[١٣] .

فيؤخذ مما سبق ما كان يتمتع به عمر رضى الله عنه من صفاء قلبى يجعله شديد القابلية لتلقى الإلهامات من الله سبحانه وتعالى ، وقد يحدث الإلهام للناس عن طريق الملائكة .

وفى الحديث : « فى القلب لمتان : لمة من الملك إيعاذ بالخير ، وتصديق للحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى ، وليحمدن الله ، ولمة من العدو إيعاذ بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير ، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم »[١٤] .

الرؤى والأحلام :

حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات التى تحدثت عن الرؤيا كما فى سورة الصافات آيات : ١٠٢ . ويوسف : ٤ ، ٥ ، والفتح :٢٧ ، ويوسف آيات : ٤ ، ٥ ، ١٠٠ واضحة لا خفاء فيها .

الرؤيا فى الحديث الشريف :

حفلت الأحاديث النبوية بذكر الرؤيا فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الرؤيا من الله والحلم من الشيطان » .

وقال أيضاً ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة »[١٥] .

النفس الكاملة : هى نفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ترى الرؤيا فتكون حقيقة ، كما حدث ليوسف عليه السلام ، ورؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

إن القرآن يربط بين العقل الكامل ، وبين الرؤيا الحق برباط متين ولا يتأتى هذا إلا بالاصطفاء من الله تعالى .

---

(١٠) المعجم الوسيط .

(١١) القرآن وعلم النفس صـ ١٨١ .

(١٢) راجع فتح البارى بشرح البخارى . كتاب فضائل أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حـ ١٤ صـ ١٨١ ، الحديث رقم ٣٦٨٩ .

(١٣) راجع لسعيد حوى : تربيتنا الروحية ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٩ .

(١٤) راجع تربيتنا الروحية .

(١٥) راجع لمحمد بن سيرين : منتخب الكلام فى تفسير الأحلام بهامش كتاب تعطير الأنام فى تعبير المنام : لعبد الغنى النابلسى صـ ٢ طـ مصر : ١٣٤٧ هـ .

في رياض السُّنة النبوية المطهرة

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شيمة من مكارم الأخلاق الإسلامية

روى مسلم بسنده قال :

حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا وكيع عن سفيان (ح) وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة كلاهما عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب وهذا حديث ابى بكر قال :

اول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة .

فقال : قد ترك ما هنالك .

فقال ابو سعيد : اما هذا فقد قضى ما عليه .

سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« من راى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان » . رواه مسلم فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

الذين يتصدون للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باسم الإسلام عليهم أن يتعرفوا أوّلاً ، ويتحلوا ثانياً بمكارم الأخلاق التى جاء بها سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ومن أوليات التعرف والتحلى بهذه المكارم أن يعرفوا (المعروف) الذى جاء به الإسلام ـ وَحْدَهُ ـ ومعناه ليقفوا على (المنكر) المقابل لهذا المعروف حتى إذا ما اضطلعوا حِسْبَةً لوجه الله بأن قاموا بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر كانوا على بينة من أمر الإسلام أوّلاً ، ومن أمر انفسهم ثانياً ، بمقدار ما عرفوا وما تحلوا به من هذا المعروف .

ولست مغرباً فى أقوال العلماء فى هذا الصدد فتلك متاهة (استحلاها) الشباب المعاصر فتاهوا فى بيدائها ولكنى سأعتصم بالكتاب والسنة مباشرة فى توضيح المعروف والمنكر من خلال مبادىء مكارم الأخلاق التى حض وحث عليها الإسلام الحنيف .

اما المعروف الذى دعا إليه الإسلام كشيمة من مكارم أخلاقه فمن ذلك ما ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

● **« افلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به »** . رواه الطبرانى والحاكم . حديث صحيح .

د. رءوف شلبى

● « افلحتَ يا(قديم) ان مت ولم تكن اميراً ولا كاتباً ، ولا عريفاً » رواه أبو داود.(حسن).

● « افضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وافضل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً ، وافضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه ، وافضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل »

الطبرانى (صحيح)

● « افضل المؤمنين احسنهم خلقاً »

ابن ماجه والحاكم (صحيح)

● « افضل المؤمنين رجل سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء سمح الاقتضاء »

الطبرانى . (حسن)

● « افضل الناس مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله، ثم مؤمن فى شِعْب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره . رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد .

● « اكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً » .

أبو داود وأحمد والحاكم. (صحيح).

● « اكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » .

الترمذى وابن حبان (صحيح).

● « اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » . الحاكم .

● « اتقوا الله فإن اَخْوَنَكم عندنا من طلب العمل » الطبرانى. (حسن).

● « اجملوا فى طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له منها ».

ابن ماجه والحاكم والطبرانى والبيهقى .

● « احب الأعمال إلى الله تعالى ادومها وإن قل ».. متفق عليه .

● « احب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم ».. الطبرانى .

● « احب الأعمال إلىَّ : الحب فى الله والبغض فى الله » احمد . (حسن)

● « احفظ ود ابيك لا تقطعه فيطفى الله نورك ».. البيهقى والطبرانى فى الأوسط.(حسن).

● « اخلصوا اعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ».. الدارقطنى. (صحيح).

● « اخلص دينك يكفك القليل من العمل » الحاكم. (صحيح).

● « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ؛ فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله فإن الإمام لان يخطىء فى العفو خير من ان يخطىء فى العقوبة » . الترمذى والحاكم والبيهقى عن عائشة. (صحيح).

● « ادفعوا الحدود عن عباد الله ما وجدتم لها مدفعاً » ، ابن ماجه. (حسن).

● إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه » البيهقى .

● « إذا اتاكم الزائر فأكرموه » ، ابن ماجه .

● « إذا اراد الله بعبد خيراً فقهه فى الدين والهمه رشده » البزار عن ابن مسعود.(حسن).

● « إذا اراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسى ذكَّرَه وإن ذكر اعانه ، وإذا اراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكِّرْهُ وإن ذكر لم يُعِنْه » . أبو داود والبيهقى فى شعب الإيمان. (حَسَن).

● « إذا التقى المسلمان فسلم احدهما على صاحبه كان احبهما إلى الله احسنهما بشراً بصاحبه، فإذا تصافح انزل الله عليهما مائة

←

في رياض السنة النبوية

رحمة للبادىء تسعون وللمصافح عشرة » رواه الحاكم. (حسن).

● « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غُفِرَ لهما » أبو داود (حسن).

هذه جملة من أحاديث المعروف التى ينبغى أن يتعرف عليها الذين يتصدون للأمر بالمعروف.

وهناك صفحة أخرى من مكارم الأخلاق التى يدعو إليها الإسلام، ولا يحب لأحد من المسلمين أن يقع فى محظورها، ففيما روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :

● « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدُهما صاحبه . فالقاتل والمقتول فى النار . قيل : يارسول الله ، هذا القاتل ؟ فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائى (صحيح).

● « إذا سل أحدكم سيفاً لينظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فَلْيَغْمِدْهُ ثم يناوله إياه » . أحمد الطبرانى والحاكم (صحيح).

● « إذا شهر المسلم على أخيه سلاحاً فلا تزال ملائكة الله تعالى تلعنه حتى يشيحه عنه » البزار (حسن).

● « إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بهما أحدهما » . أحمد والبخارى (صحيح).

● « ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً » الطبرانى (حسن).

● « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » مسلم .

● « إن الله تعالى قال : لقد خلقتُ خلقاً ألسنتهم أحلى من العسل . وقلوبهم أمَرّ من الصبر فبى حلفت لأتيحَنَّ لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران فبى يَغْتَرّون، أم على يجترئون؟» . الترمذى (حَسَن).

تلك جملة من الأحاديث الناهية عن صفات لا تليق بأن يتحلى بها أحد من الذين يتصدرون للدعوة إلى الله، الذين يأمرون بالمعروف باسم الإسلام، وينهون عن المنكر باسم الإسلام . والله تعالى يقول : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(١) وقد قال العلماء فى تفسيرها : اعلم أن الله تعالى لما بين فى الآية الأولى أن الله هو الذى يتولاه ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾(٢) - وأن الأصنام وعابديها لا يقدرون على الإيذاء والإضرار ، بيين فى هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم فى معاملة الناس فقال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ .

قال أهل اللغة : « العفو: الفضل، وما أتى من غير كلفة » .

وإذا عرفت هذا فنقول : الحقوق التى تُسْتَوْفَى من الناس، وتُؤْخَذ منهم: إما أن يجوز إدخالها المساهلة والمسامحة فيها ، وإما أن لا يجوز .

أما القسم الأول فهو المراد بقوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ويدخل فيه ترك التشدد فى كل ما يتعلق بالحقوق المالية ، ويدخل فيه أيضاً التخلق مع الناس بالخلق الطيب ، وترك الغلظة والفظاظة . قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٣) ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٤) .

١ - الأعراف - ١٩٩ .
٢ - الأعراف - ١٩٦ .
٣ - آل عمران - ١٥٩ .
٤ - النحل - ١٢٥ .

وأما القسم الثانى وهو الذى لا يجوز دخول المساهلة والمسامحة فيه . فالحكم فيه:أن يأمر بالمعروف،والعرف والعارفة والمعروف هو : كل أمر عرف أنه لابد من الأتيان به،وأن وجوده خير من عدمه ، وذلك لأن هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعرف ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال لكان ذلك سبباً فى تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز ، ثم إنه إذا أمر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء فلهذا السبب قال تعالى فى آخر الآية ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٥) وقال فى آية أخرى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾(٦) وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾(٧)، وقال فى صفة أهل الجنة : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ﴾(٨).

وإذا أحاط عقلك بهذا التقسيم علمت أن هذه الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير .

قال عكرمة : لما نزلت هذه الآية قال ـ عليه الصلاة والسلام : ياجبريل،ما هذا ؟

قال : يامحمد،إن ربك يقول هو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

قال أهل العلم : تفسير جبريل مطابق للفظ الآية لأنك لو وصلت من قطعك فقد عفوت عنه وإذا أتيت من حرمك فقد أتيت بالمعروف ، وإذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين .

قال جعفر الصادق : ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية « والله أعلم »(٩) .

إذا ظهر لك هذا فاعلم أن ليس لكل شخص من المسلمين الحق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بل لابد من شروط تتوافر فيمن يُوَظَّفُ من قبل الدولة الإسلامية لهذا الغرض ، أو من ينصب نفسه حسبة لوجه الله ، وخلاصة ما قاله العلماء على النحو التالى .

الشرط الأول :

أن يكون عالماً بما يأمر به من المعروف وما ينهى عنه من منكر ، والمعروف والمنكر نسبيان فى أمور شتى .

فإن كان من الواجبات الظاهرة كالصلاة ، والمحرمات المشهورة كالخمر فكل المسلمين علماء بها ، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال بما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام من كلام فيه ولا لهم إنكاره؛بل إن ذلك للعلماء ، والعلماء يتبعون المجمع عليه . أما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛لأن على أحد المذهبين:كل مجتهد مصيب ، وهذا هو المختار عند كثير من المحققين وعلى المذهب الآخر : المصيب واحد والمخطىء غير متعين لنا ، والإثم مرفوع عنه لكن إن نَدَبَهُ على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله،لكن برفق؛فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنته أو وقوع خلاف آخر(١٠).

الشرط الثانى :

ينبغى للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب،فقد قال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد خصمه وشانه .

٥ ـ الأعراف ـ ١٩٩ .
٦ ـ الفرقان ـ ٧٢ .
٧ ـ المؤمنون ـ ٣ .
٨ ـ الواقعة ـ ٢٥ .

٩ ـ راجع تفسير الفخر الرازى حـ ٥ ص ٩٥/٩٦ وتفسير روح المعانى حـ ٩ ص ١٤٦/١٤٧ .
١٠ ـ النووى على مسلم حـ ١ ص ٢٢٢٦ ط/ الشعب .

الشرط الثالث :

يستحب أن يكون متولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحداً من أهل الصلاح والفضل ويغلظ على المتمادى فى غيه والمسرف فى بطالته بشرط إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكراً أشد مما غَيَّرَهُ لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم ، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه مثل: قتله أو قتل غيره - اقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف .

فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غَيَّرَ بقلبه وكان فى سعة، وهذا هو المراد بالحديث. إن شاء الله .

ولإمام الحرمين ـ رحمه الله تعالى ـ رأى يقول فيه : يسوغ لآحاد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح ، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان .

وقد استغرب الإمام النووى على إمام الحرمين قوله : وإذا جار والى الوقت وظهر ظلمُهُ وغشمه ولم ينزجر- حين زجر- عن سوء صنعه بالقول فلأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب، وهذا الذى ذكره من خلعه غريب، ومع هذا فهو محمول على ما إذا لم يخف منه إثارة مفسدة أعظم منه .

الشرط الرابع :

ليس للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر البحثُ والتنقيب والتجسس واقتحام الدور بالظنون

وللإمام الماوردى فى هذه المسألة تفصيل قال : « ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات، فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة ظهرت فذاك ضربان :

الضرب الأول : أن يكون ذلك فى انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبر المحتَسِبَ ثِقَةٌ بأن رجلا يريد أن يقتل رجلا فى دار معينة فيجوز له فى مثل هذه الحالة أن يتجسس، ويقدم على الكشف حذرا من فوات مالا يستدرك ، وكذلك لو عرف غير المحتسب من (المتطوعة) مثل هذه الحالة جاز له الإقدام على الكشف وإزالة المنكر .

الضرب الثانى : ما قصر شأنه عن هذه الحرمة بأن لا يفوت استدراكها فإنه لا يجوز التجسس عليه، ولا كشف ستره مثل أصوات الملاهى المنكرة ، فإذا سجلها من خارج الدار فليس له أن يهجم عليها بالدخول فيها إذ ليس عليه أن يكشف عن الباطل ويكفى أن ينكر ذلك بقلبه .[11]

ونعود إلى الحديث الذى رواه مسلم فنجده ذا صدر وعجز الصدر يشكل واقع حياة عمليةً لموضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والعجز هو أصل النص البشرى الذى يتردد على السنة كثير من الذين وظفوا أنفسهم فى هذا الباب .

أما قصة الصدر فإن المعروف عن خطبة العيد أنها بعد الصلاة على خلاف خطبة الجمعة ، فلما كان عهد مروان فقد غَيَّرَ زمن الخطبة فجعلها قبل الصلاة لعلة رآها، وهى أن الناس فى زمانه ينصرفون بعد صلاة العيد، ولايستمعون إلى الخطبة .

١١ ـ على مسلم جـ ١ ص ٧ ٢٢٨/٢٢ .

وكان فعل مروان هذا مخالفاً لما كان يجرى العمل به أيام النبى - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين من بعده ، فلما فعل مروان هذا يوم عيد قام إليه رجل وقال له : الصلاة قبل الخطبة،فرد مروان قائلاً : قد ترك ما هنا لك،يعنى أنه بدَّل ما كان معهوداً .

وكان أبو سعيد حاضرا فعلق على مقالة الرجل الذى نصح مروان بقوله : أما هذا فقد قضى ما عليه،بمعنى أنه نصح واستنكر،ثم روى لنا السند الذى اعتمد عليه الرجل فى نصيحة مروان فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : **« من رأى منكم منكراً فليغيره »** الحديث .

وهذا الصدر الذى يثبت واقعة حال يفيد أن الرجل نصح مروان بلسانه لأنه لم يستطع أن يغير بيده فلا حيلة له ولا حول لينزل الخليفة من فوق المنبر ويأمر الناس بالصلاة .

كذلك لم يشر هذا الجزء من صدر الحديث إلى أن مروان قد انصاع،ولا أن أحدا من المسلمين قد تجاوب مع الرجل الذى أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

والذى أعجب له أن شراح الحديث راحوا يفترضون مواقف لأبى سعيد بمثل افتراض أنه لم يتقدم على الرجل الذى نصح مروان،لأنه كان غائباً عن المجلس،أو أنه كان حاضراً وخاف على نفسه،أوخاف أبو سعيد من وقوع فتنة .. الخ،ولم يذكر لنا أحد من الشراح هل تمت الصلاة بعد الخطبة أو لم تتم ؟؟

والظاهر أن مروان غيرَّ وبدل فى السنة فى صلاة العيد . فقدم الخطبة على الصلاة حتى يجبر الناس على سماع الخطبة .

أما عن عجز الحديث فهو ترديد بين أمور ثلاثة بإزاء تغيير المنكر : اليد ، واللسان،والقلب

ومعلوم أنه لا خلاف بين علماء الأمة فى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كفائى شرعى إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، لكن الترديد بين اليد واللسان والقلب يمنع الحصر فى واحد بعينه،لأن الغاية هى الحفاظ على سلامة المجتمع من آفات المنكرات وضياع المروءات ولا يتصور الإسلام أن واحداً من أبنائه يمنع منكراً بمنكر يساويه ، أو يزيد عليه ، أو أن يأمر بمعروف يُخرِج المحتسب عن مكارم الأخلاق التى يدعو إليها .

فالأمر - إذاً - مترتب ترتيباً تناسبياً على قدر الحالة والظرف المناسب،وذلك بالنسبة للمحتسب فمن قدر على إزالة المنكر باليد بقرار-إذا كان ذلك بقرار- أو بالقوة إذا كان الأمر يحتاج إلى قوة،أو التهديد إذا كان الأمر يحتاج إلى تهديد-فإنه لا بأس من استخدام القوة بشرط عدم وجود مضاعفات تزيد الطين بلة ؛ فإن الإسلام دائماً فى كل الأحوال والظروف يحاول أن يُظهر مكارم الأخلاق ومحاسنها كى يعرف الناس حقيقة الدين وجوهره .

فإذا كانت الحالة لا تستدعى تغييراً باليد فإنه لا يجوز استعمالها ، وإذا كانت الظروف فى بعض الحالات تستدعى اليد ، لكن يجوز إزالة المنكر قبلها بالوعظ واللسان فإنه لا يجوز الانصراف إلى عمل اليد لأن المهم فى الأمر هو الوصول إلى غاية الشرع بأرقى الأساليب احتراماً لكيان الإنسان وحرمة المجتمع ، وقد وقعت أحداث فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - ولم يبادر الصحابة بإزالة المنكر باليد فقد كان اليهود يتعاملون مع المسلمين فى المدينة المنورة ، وكان اليهود قوم غدر وخيانة بنص آيات القرآن الكريم ، ولم نسمع أن واحداً من الصحابة جرد سيفه ليقتل يهودياً .

في رياض السنة النبوية

لكن الصحابة جميعاً كانوا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزوات عدة ضد اليهود بناء عن تكليف من القائد ورئيس الدولة ، كذلك شكا الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ امرأة كانت تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها كانت تسب الناس بلسانها . لقد شكوها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يتقدم أحد نحوها بفعل أي شيء حتى قال لهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « هي في النار » .

فالترديد بين : اليد ، واللسان ، والقلب ملاحظ فيه المناخ الذي يجب أن يتم فيه التغيير وقتاً،وظروفاً ، وأسباباً .

وملاحظ فيه سلامة الفرد الآمر بالمعروف من الأذى،وملاحظ فيه كذلك سلامة المجتمع من الفوضى والانهيار الأخلاقي ، والاستبداد الهوائي .

وملاحظ فيه كذلك إسلام الوجه لله ، وإخلاص العبادة لجلاله ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

على أن وسيلة الإنكار بالقلب من أجَل الوسائل لمن يدرك قيمتها ويعرف مداها فإن الأمة التي تغلق قلبها على بغض شيء إلى حين يأتيها الفرج من عند الله لتعبر عن حريتها الصادقة وتختار القيادة السليمة لهي أمة يُرهَب جانبها ويُعمل لها ألف حساب،ويخاف الناس من مستقبل تصرفاتها لأنها ستكون بركاناً ـ أي بركان ـ يطهر الأرض من كل فاسد وحاقد وخائن ودنس .

ويجب أن يلاحظ دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الصبر علامة من علامات العمل الجاد في الإسلام ، وأن الهلع والجزع والثورة أمور لا تليق بأخلاق المسلم الذي يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي أمانة الله في عنقه يجب أن يتحلى بالصبر حتى يؤديها داخل إطار مكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام الحنيف .

أما من آثر الحياة الدنيا وركب متن الهوى واستخفى في عباءة الإسلام وصنع ما يحلو له باسم الإسلام فهو رجل غاش لنفسه ولجماعة المؤمنين؛فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول :

« تألفوا الناس وَتَأَنَّوْابهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر ولا وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » . رواه ابن منده وابن عساكر .

« صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ »
هذا وبالله التوفيق .

أ . د . رءوف شلبي
وكيـــل الأزهـــر

أبو سفيان بن الحارث

شاعر بني هاشم على عصر النبوة

للأستاذ
السيد حسن قرون

حين تقرأ السيرة النبوية ياخذك العجب من موقف بنى هاشم من الدعوة الإسلامية ، فلقد كانوا ومعهم إخوتهم من بنى المطلب بن عبد مناف يؤيدون الرسول ﷺ بزعامة أبى طالب بن عبدالمطلب عم الرسول ، وإلى ان هاجر الرسول إلى المدينة لا تعد منهم مسلما إلا حمزة وعليا ، وانفرد من بينهم ابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بعداوته وهو اخوه من الرضاعة ، فكان مع قريش ، ارضعته حليمة اياما وكان يالف رسول الله ، وكان له تِرْبًا ، فلما بعثه الله رسولا عاداه وهجاه وهجا اصحابه ، فمكث عشرين سنة عدوا لرسول الله ﷺ وما تخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ، ولقد تعرض لهجاء شاعر الرسول حسان بن ثابت ، فأصابه من حسان ضربات شداد تبقى على مر الزمان .

يقول الرواة كان ثلاثة رهط من قريش يهجون رسول الله ﷺ : عبد الله بن الزِّبِعْـرَى ، وأبـو سفيـان بن الحـارث بن عبـد المطلب ، وعمرو بن العاص .

فقال قائل لعلى بن أبى طالب : أهج عنا القوم الذين هجونا ، فقال على رضى الله عنه : إن أَذِن لى رسول الله ﷺ فعلت ، فقال رجل : يارسول الله إئذن لعلى كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين هجونا ، فقال : « ليس هناك أو ليس عنده ذاك » .

ومن هنا قال العقاد : إن عليا نابغة فى كل فن وعلم إلا الشعر ، وأنا أرى أن عليا كان قادراً على نظم الشعر والتفوق فيه لميراثه من أبيه ، وشاعرية تلمس فيه إلا أن الرسول ﷺ أراد به أن يبعد عما يوقع الإنسان فى الإثم ويعده لشىء آخر . ثم قال النبى ﷺ للأنصار : « ما يمنع الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » ؟

أبو سفيان بن الحارث

فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله مايسرنى به مِقْوَل من بُصْرى وصنعاء .

فقال : « كيف تهجوهم وأنا منهم » ؟

فقال : إنى أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، فكان يهجو قريشا ثلاثة من الأنصار هم : حسان ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .

واستأذن حسان فى هجو ابن عم الرسول ﷺ : « أبى سفيان بن الحارث » صاحبنا ، وقال يارسول الله : لوشئت لفريت به الزاد ، فقال له : « اذهب إلى أبى بكر ليحدثك بحديث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم اهجهم وجبريل معك » فأتى أبا بكر فأعلمه بما قال رسول الله ﷺ ، فقال : كف عن فلانة واذكر فلانة . فقال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء

فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وفاء

أتهجوه ولست له بكفء ؟
فشركمـــا لخيركما الفداء

وشركما لخيركما الفداء كلمة جافية .

قال سيبويه : المقصود منها ليس التفضيل ، إنما المقصود أن المهجو يوصف بالشر ، ومن أشد ما وجهه حسان بن ثابت إلى أبى سفيان بن الحارث الهاشمى قوله :

وإن سناء المجد من آل هاشم
بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ

ومن ولدت أبناء زهرة منهم
كرام ، ولم يبلغ عجائزَك المجدُ

وإنَّ امرأ كانت سميةُ أمه
وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهد

وانت زنيم نِيطَ فى آل هاشم
كما نيط خَلْفَ الراكب القدحُ الفردُ

وأبناء بنت مخزوم هم : عبدالله والد الرسول ، وأبو طالب ، والزبير ، وخمس بنات هن عمات الرسول وبنت زهرة هى هالة أم حمزة وصفية .. أما المهجو فسمية أمه ، وسمراء جدته وهى أم الحارث الذى كان فردا مع أبيه عبدالمطلب بن هاشم عند حفر زمزم ، والسمراء حديث لطه حسين فى كتاب « على هامش السيرة» وهى من بنى عامر ، ولكن الشاعر بقدرة الشعر أنزل من مكانة سمية وسمراء ، وجعله زنيما أى لصيقا فى آل هاشم ، وهو فى ذلك الحين يستحق ما قاله حسان ، فلقد كان شديد الهجاء لاذع القول .

وحسان لم يكتف بذلك فقد ذكر أمهات أولاد عبدالمطلب كما دونا وختم كلامه بقوله :

ولست كعبـاس ولا كابن أمـه
ولكن هجين ليس يُورَى له زَنْدُ

والهجين من أبوه عربى وأمه ليست عربية ، والواقع أن أبا سفيان عربى الأب والأم ، بل هما قرشيان وابن سعد ذكر أن أمه اسمها «غَزِيَّة» من بنى الحارث بن فهر ، رهط أبى عبيدة بن الجراح القائد المشهور ، وأم العباس وأخيه المقدم هى « نُتَيلة بنت كليب بن جناب» من ربيعة .

ويبدو من أحاديث بيته أنهم كانوا يستنكرون موقفه من ابن عمه سيد ولد آدم ، فلما شرق ذكر الإسلام وغرب وأن للرسول أن يفتح مكة ليدخل الناس فى دين الله افواجا ألقى الله فى روع أبى سفيان بن الحارث الإسلام ، يقول أبو سفيان متحدثا عن نفسه وعن موقف أسرته : فجئت إلى زوجتى وولدى فقلت لهم : تهيئوا للخروج فقد أظل قدوم محمد ، فقالوا : فدانا لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمدا وأنت مُوضِع فى عداوته ، وكنت أولى الناس بنصرته .. فقلت لغلامى «مذكور» عجل علىّ بأبعرة وفرسى . وخرج من مكة هو وأهله وقد ظهرت طلائع جيش الفتح قرب الأبواء ، وتذكر أبو سفيان أن الرسول قد نذر دمه ، فهو معرض للقتل إن قبض عليه .

وأخذ يتحين الفرصة للدخول عليه وإعلان إسلامه ، وأخذ معه ابنه جعفرا وكان رجلا ليسلم أيضاً . قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبدالله بن أمية بن المغيرة المخزومى قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما وهى زوجه وعبدالله أخوها ، فقالت : يارسول الله ابن عمك ، وابن عمتك[1] وصهرك . قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال ونحن نعلم ما قاله حسان فى أبى سفيان ، ولكن ماذا قال عبدالله بن المغيرة ؟ لقد سجل القرآن مقاله ، ومقاله من أعجب ما سجل على كافر أو مشرك . قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

(الآيات ٩٠ ـ ٩٣ من سورة الإسراء) .

لذا كان الرسول شديدا عليهما ولا يريد أن يلتقى بهما ، فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبى سفيان ابن له ـ هو جعفر ـ فقال : والله ليأذن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ قوله رسول الله رَقَّ لهما ثم اذن لهما فدخلا عليه فأسلما . فلما أسلم قال شعرا منه :

لعمرك إنى يوم أحمل راية
لتغلبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ

لكالمدج الحيران أظلم ليله
فهذا أوانى حين أُهْدى وأهتدى

هدانى هاد غير نفسى ونالنى
مع الله من طردت كل مطرد

أصد وأنأى جاهدا عن محمد
وأدعى وإن لم انتسب من محمدِ

فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله : « ونالنى مع الله من طردت كل مطرد » ضرب

البقية ص ٧١٠

(١) عاتكة بنت عبد المطلب والنبى متزوج أم سلمة أخت عبد الله لأبيها .

إعداد الأمة للدفاع

في توجيهات الإسلام

● من اهم حقائق العصر الذى نعيش فيه انه حين تنشب الحرب ، فإن الدولة باسرها شعباً وجيشاً ، تخوض الحرب ، وتدفع تكاليفها ، وتتحمل نتائجها ، فقد انتهى ذلك العهد الذى كانت فيه الحروب مقصورة على تصارع الجيوش فى ميادين القتال ، ولم تعد هناك فى عصرنا بقعة من ارض الدولة أو سمائها أو مياهها الأقليمية بمناى عن متناول العدو .

● من أجل ذلك أصبحت قوة أية دولة وقدرتها على الدفاع عن نفسها وتحقيق أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها ، وتقدمها العلمى والتقنى إلى غير ذلك من عناصر القوة ، وأصبح حشد كل هذه القوى بالإضافة إلى القوة العسكرية فى تخطيط منسق من الضرورات الحيوية لتحقيق قدرة الدولة على التصدى للعدوان ، يقول المشير مونتجمرى : « والحرب الحديثة قد ازدادت صورتها تعقيداً ، وأصبحت تشمل كل أوجه الحياة والنشاط للدولة لفترة طويلة بما فى ذلك معنويات هذه الدولة ، فالحرب الشاملة فى العصر الحديث تمتص كل جهود القوى العاملة رجالاً ونساء ، وتحول كل قوى الصناعة لسد الاحتياجات الضرورية للمجهود الحربى ، وفى أثناء هذه الحرب يكون المرء دائماً محوطا بالخطر سواء استدعى للخدمة العسكرية أو كان قائماً بأى عمل مدنى أو صناعى ، فالخطر يصبح ماثلاً فى كل مكان ، وقد اقتضى ذلك وجود نظام خاص يكفل حماية المدنيين داخل المدن أطلق عليه الدفاع المدنى أو الدفاع الوطنى »(١) .

ثمار الإعداد الشامل :

هذا العمل الكبير الذى تحتشد له كل طاقات الدولة المادية والمعنوية هو الذى يمنح الدولة القدرات الآتية :

١ ـ القدرة على رد العدوان وردع المعتدى « فى أية لحظة » .

٢ ـ تحقيق النصر فى أقل وقت ممكن .

٣ ـ التقليل من الخسائر التى تسببها

---

(١) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ ـ تعريب فتحى عبد الله النمر جـ١ ص ٢٣ .

لـواء - أ.ح

محمد جمال الدين محفوظ

ضربات العدو .

٤ ـ الصمود للحرب « طويلة الأمد » .

٥ ـ المحافظة على مستوى عال من الروح المعنوية وإرادة القتال لدى الشعب والجيش ، ولابد هنا أن ننوه بأن الروح المعنوية للجيش المحارب وإرادته القتالية هى « ثمرة لروح الشعب » وموقفه وراءه وذلك هو ماسوف نركز عليه فى هذا البحث .

توجيهات الإسلام فى إعداد الشعب للدفاع

أولاً : الأمة الإسلامية « أمة مجاهدة »

● إن أساس عملية إعداد الشعب للدفاع هو أن الإسلام يقرر أن الأمة الإسلامية أمة مجاهدة ، « كل أبنائها مجاهدون » ، سواء المقاتلين منهم فى الميدان أو غير المقاتلين الذين يؤدون واجبهم خلف الجيش فى مواقع العمل المتعددة .

● وهذا هو ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » (رواه الشيخان) وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعه الخير ، والرامى به ، والمُمدَّ به (رجال الإمداد والتموين) » (رواه الخمسة) .

● وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم حصة من غنائم بدر لمن تخلف بالمدينة لأنه كان قائماً بعمل للمسلمين ، وقد تخلف عن بدر طلحة بن عبيد الله لأنه سافر بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تجارة إلى الشام ، وقد عدَّه الرسول من أجل ذلك بدرياً وضرب له بسهمه ، وشهد له بأجره .(٢)

ثانياً : وحدة الأمة وتماسك الجبهة الداخلية :

● إن الدعوة إلى وحدة الأمة من طبيعة الإسلام ومن مبادئه ، ذلك أنها وحدة قائمة على مبادىء ومثل كريمة ، فلقد عاشت الإنسانية قبل مشرق الدعوة المحمدية فى ظلام حالك ، تعانى من ويلات الاضطراب الاجتماعى ، ووطأة الصراع المادى ، حتى جاء الإسلام زاخراً بعناصر القوة ، مليئاً بأحاسيس الحياة يرشد الحائرين ويهدى الضالين : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة ١٥ ـ ١٦) .

● ولقد ألف الإسلام بين قلوب أبنائه على الإيمان وجاءت تعاليمه ومناهجه ، تقوى هذه الرابطة ، وتدعم أواصر الوحدة التى أقامها بما افترض عليهم من فرائض وبما دعاهم إليه من الاعتصام بحبل الله المتين ودينه القويم ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جـ١ ص ٢٩٩ .

إعداد الأمة للدفاع

﴿ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٣) .

● وهنا لابد أن ننوه بأمر حيوى هو أنه « فى أوقات الخطر لامحل للخلافات » ، ففى الحرب العالمية الثانية ، وضع الغرب يده فى يد الاتحاد السوفيتى لمواجهة ألمانيا الهتلرية ، لقد اتحدا وتضامنا فى وقت الخطر رغم ما بينهما من تناقض فى المذاهب السياسية والاقتصادية وصراع على مناطق النفوذ ، فكان من ثمار هذا الاتحاد ، القضاء على الخطر وتحقيق النصر .. وفى العالم اليوم تكتلات وأحلاف تضم دولاً عديدة قضت الظروف والمصالح الاستراتيجية أن تتجمع وتتعاون فى وحدة صف وهدف فى مواجهة الحظر المشترك الذى يتهددها وذلك رغم ما بين الدول فى كل حلف أو تكتل من خلافات لأن كل الدول تدرك فضل الوحدة وآثارها .. فالمسلمون بذلك أولى ..

● يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون ٥٢) حقا إنها أمة واحدة فى عقيدتها وفى عبادتها وفى نشأتها وفى مصيرها تراقب الله خالقها ، وتستجيب لندائه وهو يقول : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ .

● والإسلام وهو يدعو الأمة إلى الوحدة ، لا يفتأ يدعو إلى جمع أبنائها فى إطار هذه الوحدة ويعمل على التمكين لها فيما بينهم بالقضاء على ما يوهن من قوتها أو يضعف من عزيمتها .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » (رواه الشيخان عن أنس) .. كما يحفز الهمم إلى كل ما يقوى من شأن الأمة ويضمن سلامتها ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « إن أحبكم إلىّ أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلىّ المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، المتلمسون للبرءاء العيب »[٣] .

كما يقول صلى الله عليه وسلم : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهلية . ومن قتل تحت راية عمية[٤] (بضم العين وكسرها وتشديد الميم) يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتى ، ومن خرج من أمتى على أمتى يضرب برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بذى عهدها ، فليس منى » . (رواه مسلم عن أبى هريرة) .

ثالثاً : ضرورة التصدى لمحاولات تفتيت الجبهة الداخلية :

● وإذا كانت وحدة الأمة من أسس القوة ، فعلى الأمة أن تكون يقظة لمحاولات

(٣) تحت راية عمية : أى من قاتل تحت راية اجتمع أهلها على أمر مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل يدعون إليه ويقاتلون لأجله من غير بصيرة فيه ولا حجة عليه .

(٤) جاء مثله رواية عن ابن أبى الدنيا بسنده إلى أبى هريرة مع اختلاف يسير فى اللفظ .

التفرقة ، فإنه لأمر طبيعى أن يسعى الأعداء « إلى ضرب الوحدة » باعتبارها مصدر قوة ، وقد فضح القرآن الكريم محاولات التفرقة وحث المسلمين على التصدى لها فى مثل قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران ١٠٠ ـ ١٠١) .

● ويعلن الإسلام الحرب على المفسدين والدساسين والمنافقين والمرجفين ومرضى القلوب ، إذ أن هؤلاء جميعاً هم أعدى أعداء الأمة وأخطرهم على وحدتها وأمنها ، ويذكر القرآن هؤلاء أقبح الذكر إذ يقـول : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٧ ـ ٦٨) .

ويقول الرسول ﷺ « من أتاكم وأمركم جامع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .
(رواه أحمد ومسلم عن عَرْفَجة الأشجعى) .

رابعاً : الإصلاح بين الناس :

● ويحض الإسلام على الإصلاح بين الناس وإزالة الخصومات حتى تبقى للأمة وحدتها ، ويعد المولى عز وجل العاملين على الإصلاح بين الناس بالأجر العظيم ومن أوفى بعهده من الله ، قال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء ١١٤) .

● بل قد أمر الإسلام المسلمين إذا دب بينهم الخصام أن يجند كل منهم نفسه للإصلاح بين الناس كل فى محيطه ، وحسب طاقته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات ١٠) .

● ويبلغ تأكيد الإسلام لأهمية الإصلاح بين الناس حد تفضيله على الصيام والصلاة والصدقة ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : « إصلاح ذات البين . قال : وفساد ذات البين هى الحالقة » (رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى الدرداء ، ورواه أبو داود والترمذى وقال الترمذى : حسن صحيح) .

الجبهة الداخليـة فى قاعـدة الإسلام بالمدينة :

● وإن لنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسوة حسنة ، فلقد كان أول ما عمد إليه بعد الهجرة إلى المدينة إقامة جبهة داخلية صلبة ليعلّمنا أن قوة الجبهة الداخلية ضرورة حيوية لبناء القدرات الدفاعيـة والتصدى للعدوان :

١ ـ فعمد إلى ربط المهاجرين بالأنصار أهل المدينة الأصليين ، فآخى بينهما بصلة

إعداد الأمة للدفاع

الأخوة لتصبحا فئة واحدة مترابطة وملتحمة وليكون الجميع متعاونين على أسباب العيش ويداً واحدة تعمل لهدف واحد .

٢ - وعمد إلى توحيد صف الأنصار أنفسهم من أوس وخزرج ، وكانت بين الفئتين عداوات سابقة ، فأراد عليه الصلاة والسلام - وقد جمع بينهما الإسلام - أن يشكلوا قوة واحدة متضامنة ، وأن يزول ما بينهم من خلافات وعداوات ، وأن يقضى على كل شبهة قد تثير العداوة القديمة ، فجمع بينهم ، ودعاهم إلى تناسى الماضى ، فاستجابوا لدعوته ، وفتحوا صفحة جديدة تقوم على الود والحب والرضا وأصبحوا جميعا صفاً واحداً .

٣ - وعقد معاهدة بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى لتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لمجتمع المدينة ، وكان طبيعياً أن تنص بنود المعاهدة على أن « جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة » ... وعلى « تعاون أهل المدينة جميعا فى رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج » .

٤ - وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على التصدى لمحاولات تفتيت هذه الجبهة الداخلية التى أقامها من جانب اليهود والمنافقين مثل أساليب التشكيك والتخذيل وإشاعة البلبلة وأساليب التفرقة والقضاء على وحدة الأمة كمحاولة اليهود الوقيعة بين الأوس والخزرج .

● بهذا العمل السياسى والاستراتيجى البارع ، حقق الرسول صلى الله عليه وسلم وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية ، فوقفت صامدة صلبة طوال الصراع - مع الأعداء - الذى امتد إلى السنة التاسعة للهجرة حتى تمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة العربية وارتفعت عليها رايات الإسلام والسلام .

خامساً : قوة معنويات الشعب وإرادته القتالية :

● من حقائق الحروب أن « القيادة العسكرية لا تستطيع أن تنتصر عندما لا تزودها الأمة برجال يريدون الانتصار » ، ويقول مونتجمرى : « إن أهم العوامل فى الحرب أو العامل الوحيد هو الروح المعنوية ، ومن المستحيل الصمود فى حرب لفترة طويلة إذا لم يتوافر عنصر إرادة الشعب للقتال » .

● هذا النمط من الأمم التى تبعث إلى القيادة العسكرية « برجال يريدون الانتصار » والتى تستطيع الصمود للحروب الطويلة الممتدة بفضل إرادتها القتالية « هو نمط الأمة الإسلامية المجاهدة التى تجعل لها عقيدة الجهاد فى سبيل الله « كيانا عسكريا » يملأ قلوب أبنائها جميعا بالقوة والثبات ، والإرادة الصلبة ، والرغبة الأكيدة فى الصمود والنصر ، والقدرة على تحمل أعباء الحرب ، والصبر فى الشدائد وحين البأس ، والإقبال على بذل الأموال والأنفس ، والاستهانة بالأضرار والمصاعب حتى يتم النصر مهما طال الأمد ، وتضاعفت التضحيات .

● وفى تاريخ صدر الإسلام صور لا تحصى من المعنويات العالية والروح القتالية للأمة الإسلامية شبابا وشيوخا ونساء :

١ ـ الإرادة القتالية لدى الشباب :

● ومن صور الإرادة القتالية لدى الشباب إقبالهم الشديد على الخروج للقتال جهاداً فى سبيل الله رغم حداثة سنهم ، ففى غزوة أحد مثلاً تقدم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو بن حزم وأسيد بن ظهير لخروج مع الجيش وهم أبناء أربع عشرة سنة تقريباً لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ردهم ، ثم أجازهم بعد ذلك يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة(٥) .

ومنع الرسول صلى الله عليه وسلم سمرة بن جندب الفزارى ورافع بن خديج أخا بنى حارثة من الخروج للقتال وهما ابنا خمسة عشر عاماً فقيل للرسول : إن رافعاً رام (أى يجيد الرمى) فسمح له ، ثم قيل له : إن سمرة يصرع رافعاً فسمح له كذلك ، وقد ورد أن رافعاً أخذ يتطاول على أطراف أصابع قدميه ليوهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بلغ مبلغ الرجال فيسمح له بالقتال بعد أن قيل له : إنه رام(٦) .

● وأخرج ابن سعد عن سعد رضى الله عنه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص رضى الله عنه قبل أن يعرضنا (يستعرضنا) رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى ، فقلت : مالك ياأخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيستصغرنى ، فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة . قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده ، فبكى ، فأجازه ، فكان سعد رضى الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل (حمالات) سيفه من صغره (أى لكى تناسب سنه الصغيرة) ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة(٧) .

● وهذا هو حنظلة بن أبى عامر الذى زفت إليه عروسه ، ثم سمع المنادى يقول : ياخيل الله اركبى (يعنى ياأيها المجاهدون اركبوا خيولكم) فانتزع نفسه من الفراش وقام معجلا ليأخذ مكانه فى صفوف المجاهدين ، وقضى الله أن يستشهد ، فلما انتهت المعركة طلب رسول الله زوجه وقال لها : حدثينى عن آخر عهدك بحنظلة ، فأجابت المرأة : كان بينى وبين حنظلة ما يكون بين الرجل وزوجه ، ولكنه سمع الهيعة (أى النداء للحرب) فنهض مسرعاً قبل أن يغتسل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت الملائكة تغسله بالأمس فى صحاف من فضة بماء المزن بين السماء والأرض »(٨) .

● هكذا تكون التضحية والروح المعنوية والإرادة القتالية ، وهكذا تكون التربية التى تصنع الشباب المؤمن القوى القادر على مواجهة التحديات الجسام وقهرها ، فلا غرابة أن نرى الصبيان يسارعون فى الجهاد حماية للدين وحمية للوطن ، واقتداء بآبائهم وذويهم .

(للبحث صلة)

---

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية ـ ط مصطفى البابى الحلبى ـ ١٣٧٥هـ القاهرة ـ القسم الثانى (جـ ٣ ، ٤) ص ٦٦ .
(٦) نفسه .
(٧) ابن هشام : القسم الأول ، (جـ ١ ، ٢) ص ٧٠٧ .
(٨) ابن هشام : القسم الأول ، (جـ ١ ، ٢) ص ٧٥ .

محاولة لاستكشاف

الثقافة الإسلامية

٢

الثقافـــة الإســلاميـــة

مصطلح الثقافــــة :

من المعروف أن الأصل اللغوى (فى اللغة العربية) لكلمة الثقافة يدل على الحذق والنشاط والفطنة ، وإدراك الشىء والظفر به ، وتقويم المعوج مادياً ومعنوياً .

ومن المعروف كذلك أن كلمة الثقافة من الكلمات التى شاع استعمالها حديثاً فى لغتنا العربية ، وذلك بتأثير اتصالنا بالحضارة الغربية ، ولذلك تعد ـ أيضاً ـ من الكلمات ذات المفاهيم الحديثة الوافدة إلينا من أوروبا[١]، ومن ثم فهى تحمل الظلال والمعانى الرئيسية التى أوردناها فيما سبق لمفهوم الثقافة الغربية ، ولا سيما استعمالها للدلالة على التوسع فى المعارف الإنسانية ، وبخاصة الآداب والفنون (بالمفهوم الغربى) .

اقتراح الثقافة الإسلامية :

وقد أشرنا فى التمهيد إلى أن محاولة فهم الثقافة الإسلامية من خلال المعانى والمفاهيم الغربية إنما هى محاولة عقيمة ومصطنعة ، ولسنا ملزمين بمجاراة الثقافة الغربية فى مفاهيمها ومصطلحاتها ، فعندنا المفاهيم والمصطلحات التى يمدنا بها الإسلام فى الكتاب والسنة ، وفى تراث الفكر الإسلامى المستمد من الكتاب والسنة .

ولسنا ملزمين كذلك بالاقتصار على المعنى اللغوى الذى أشرنا إليه : فقد أنشأ الإسلام مفاهيم ومصطلحات خاصة ، يحدّد بها المصطلحات اللغوية التى كانت مستعملة قبله : كالصلاة والزكاة ، والجهاد ، والولاء ، والأمة والدين ، وغيرها من المصطلحات التى أعطاها الإسلام معانى ومفاهيم جدية ، صبغتها بصبغة إسلامية أصيلة .[٢]

وهذا ما نقترحه لمفهوم الثقافة .

ففى رأينا أن يحدد مفهوم الثقافة تحديداً جديداً ، بحيث تصبح ثقافة إسلامية .

والمفهوم الذى يعطى الثقافة دلالتها الإسلامية المتميزة ـ كما أشرنا من قبل ـ هو

(١) راجع مالك بن نبى : **مشكلة الثقافة** (دمشق دار الفكر ١٣٩٩/١٩٧٩) ص ٢٤ .

(٢) راجع محمد قطب : **واقعنا المعاصر** ص ١٠٠ .

بقلم دكتور
أحمد عبد الحميد غراب

مفهوم الحكمة ، كما ورد فى القرآن الكريم .

مفـــهوم الحكمـــة :

تدل الحكمة ـ كما فسرها علماء السلف ـ على معان جليلة مترابطة منها :

العلم مع العمل ، واتباع السنة (والسنة تفسير وتطبيق للقرآن) والمعرفة بالقرآن ، والتفقه فى الدين ، ومعرفة الحلال والحرام ، وما يترتب على ذلك كله من خشية الله تعالى .

ومن الواضح أن هذه المعانى جميعا تلتقى فى النهاية على معنى واحد : وهو العلم بالإسلام والعمل به .

ورد فى تفسير ابن كثير[٣] لقوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ٢٦٩) .

« قال ابن عباس يعنى (بالحكمة) : المعرفة بالقرآن ناسِخِهِ ومنسوخِهِ ، ومُحْكَمِهِ ومتشابهه ، ومُقَدَّمِهِ ومؤخره ، وحلاله وحرامه وأمثاله .

وقال مجاهد : الحكمة ليست بالنبوة ، ولكنه العلم والفقه والقرآن .

وقال أبو العالية : الحكمة خشية الله ، فإن خشية الله راس كل حكمة .

وقد روى ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً : « رأس الحكمة مخافة الله » .

وقال أبو مالك : الحكمة السنة . وقال زيد بن أسلم : الحكمة العقل .

قال مالك : وإنه ليقع فى قلبى أنَّ الحكمة هو الفقه فى دين الله ، وأمر يدخله فى القلوب من رحمته وفضله ، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً فى أمر الدنيا إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفاً فى أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا ، فالحكمة : الفقه فى دين الله .

وقال السُّدى : الحكمة النبوة . والصحيح أن الحكمة لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها ، وأعلاها[٤] النبوة ، والرسالة أخص ، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع ، كما جاء فى بعض الأحاديث : « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه »[٥] . وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[٦] .

* * *

خصائص الثقافة الإســـلامية

إن ارتباط الثقافة بالحكمة يميز الثقافة الإسلامية بخصائص من أهمها :

(١) انها تستمد من الوحى والعقل معا :

إن محاولة الفصل فى ثقافتنا بين الوحى والعقل هى محاولة خاطئة ، وذلك لأنها لا تتفق مع المنهج القرآنى الذى يرتبط فيه الوحى بالعقل

←

(٣) **المختصر** (ط ثامنة دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠٢/١٩٨١ م) ١/٢٤١ ـ ٢٤٢ .
(٤) أى أعلى الحكمة النبوة .
(٥) رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره عن عبد الله بن عمر .
(٦) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

ارتباطاً وثيقاً . ويتأكد هذا الارتباط بأدلة قاطعة منها .(٧)

١ ـ الآيات التى تدعو إلى تحرير العقل البشرى من كل حاجز يحول دون اكتشاف الحقيقة . ومن أخطر الحواجز التى دعا القرآن إلى إزالتها : الإكراه فى الدين ، والتقليد الأعمى للأباء والأجداد ، واتباع الهوى والظن ، والوساطة بين الإنسان وربه ، والسحر والخرافة .

٢ ـ الآيات التى تدعو إلى التفكير والنظر فى الكون والإنسان .

٣ ـ الآيات التى تدعو إلى تدبر القرآن الكريم .

٤ ـ الآيات التى تكرم العقل والعقلاء (ذوى الألباب) ، وترفع من قدر العلم والعلماء .

٥ ـ الآيات التى تؤكد عصمة الوحى ، ومحدودية العقل البشرى ، وأن هذا العقل لا يؤتى ثماره ، ولا يعطى خير ما عنده ، إلّا بنور الوحى .

فالجمع بين الإيمان بالوحى والانتفاع بالعقل هو أحد الخصائص البارزة فى الإسلام ، وهو الذي أثرى الثقافة الإسلامية بعصمة الوحى الإلهى واجتهاد العقل البشرى معاً .

ويتضح هذا أيضاً من سياق الحكمة فى القرآن ، ففى كل سياق وردت فيه الحكمة ـ كما سنرى ـ تمكن البرهنة بالأدلة العقلية والعلمية على أن اتباعها خير عظيم للإنسان ، كما قال تعالى :

﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٦٩) .

(٢) أنها ثقافة تغييرية تجمع بين العلم والعمل :

فهى ثقافة لا تكتفى بالتأمل النظرى كالفلسفة اليونانية .(٨)

ولا تجنح إلى الجدال إلا بالتى هى أحسن .

وليست ثقافة عزلة عن الحياة ، وهروب من المجتمع ، كالرهبانية .

إنها ثقافة إيجابية فاعلة : الفعل الإيجابي أحد خصائصها الرئيسية .

والفعل الإيجابي ليس مجرد ارتجال أو اندفاع عاطفى ، وإنما هو الفعل الخيّر ، أو العمل الصالح القائم على العلم والدراسة والتدبر والتخطيط .

وعن طريق الفعل الإيجابى ـ بهذا المعنى ـ تكتسب الثقافة الإسلامية المقدرة على التغيير ، بل تصبح فعلًا ثقافة التغيير : أى الثقافة التى تؤدى إلى تغيير النفوس ، وتغيير المجتمع ، وتغيير البيئة ، أى تؤدى إلى تحقيق الحياة الطيبة على وجه الأرض .

ومفهوم التغيير فى الإسلام يختلف عن مفهوم الثورة .

وذلك لأن مفهوم التغيير مفهوم سلمى تربوى ، يعمل عمله ببطء ، لأنه يقوم على تربية النفوس كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد ١٣ : ١١) .

ولذلك تذكر الحكمة فى سياق التربية فى كثير من آيات القرآن الكريم .

---

(٧) عن هذه الأدلة بالتفصيل راجع أحمد عبد الحميد غراب : **الإسلام والعلم** .
(المركز الإسلامي للدراسات والبحوث القاهرة ١٩٨٦ م)
ص ٢١ ـ ٤١ .

(٨) يضع ارسطو التأمل العقلى Contempiation فى ذروة الكمال الأخلاقى راجع كتابه : **الأخلاق** ١١٧٨/١٠ ب .

فتذكر فى مهام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مربياً كما فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران ٣ : ١٦٤) .

وقوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة ٦٢ : ٢) .. ويلاحظ فى الآيتين ذكر أنهم كانوا من قبل فى ضلال مبين ، مما يؤكد أن التربية النبوية قد أدت إلى تغيير نفوس الناس من الضلال إلى الهدى ، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور .

وتذكر وسائل التغيير فى التربية النبوية فى قوله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب ٣٣ : ٢١) .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف ٧ : ١٥٧) ، فمن أهم وسائل التغيير التى اتبعها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تربية الناس :

١ ـ الأسوة الحسنة .
٢ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
٣ ـ إحلال الطيبات وتحريم الخبائث .
٤ ـ وضع الإصر ورفع الحرج .
٥ ـ تحريرهم من الأغلال التى كانت عليهم : أغلال الجاهلية والكفر ، حيث أخرجهم من عبادة البشر إلى عبادة الله ، ومن ظلم الناس إلى عدل الإسلام .(٩)

وكذلك تذكر الحكمة فى القرآن فى سياق التشريعات التربوية للأسرة ، كما تذكر فى تربية النساء والأولاد .(١٠) .

ويكفى أن نشير إلى آيات سورة الإسراء فمن قوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ (الاسراء ١٧ : ٢٣ ـ ٣٩) .

ففى هذه الآيات منهج تربوى متكامل للحياة الطيبة :

والمعالم الرئيسية لهذا المنهج هى :

عبادة الله وحده ، بر الوالدين ، صلة الرحم ، أداء حقوق الفقراء والضعفاء واليتامى ، الحفاظ على المال بالاعتدال فى الانفاق .

الحفاظ على الأسرة وعلى حرمة الحياة الإنسانية ، وذلك بتحريم الزنى ، وتحريم قتل الأولاد ، وتحريم قتل النفس ، وتحريم الظلم بكل أنواعه ، والالتزام بالأخلاق الاجتماعية الإسلامية كالوفاء بالعهد ، والحكم بالعدل ، وإيفاء الناس حقوقهم ، والتواضع لهم وعدم التكبر عليهم ، وتقرير مسئولية الإنسان عن استعمال حواسه وعقله فيما خلقت له .

إن ثقافة بدون هذا المنهج لهى ثقافة سطحية زائفة : مهما كثرت فيها العلوم وتكدست المعارف ، وأتخمت الحاسبات الآلية بالمعلومات ، وبنيت آلاف المدارس والجامعات ، وصدرت ملايين الكتب .

(٩) راجع تربية الهادى المهتدى الكامل عليه الصلاة والسلام فى كتابنا : **الشخصية الإنسانية** (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م) ص ١٠٢ ـ ١١١ .

(١٠) انظر الفقرة التالية .

(٣) ترتبط بالنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي (علوم الاستخلاف) :

أ ـ النظام السياسي :

من معانى الحكمة الحكم بما أنزل الله ، أي تحقيق مفهوم الخلافة فى الأرض عن طريق الحكم بالشريعة الإلهية ، ولذلك ترد الحكمة مقترنة بحكم النبوة والأنبياء .

يقول الله تعالى عن آل إبراهيم :

﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً ﴾ (النساء ٤ : ٥٤) .

ويقول تعالى عن داود :

﴿ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . (البقرة ٢ : ٢٥١) .

ويقول تعالى لداود :

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ (ص ٣٨ : ٢٦) .

ب ـ النظام الاجتماعى والاقتصادي :

الأســـرة :

وردت الحكمة فى القرآن كثيراً في سياق العلاقات الاجتماعية ، وبخاصة فى سياق الأسرة ، وتنظيم العلاقات الزوجية ، وتربية النساء والأولاد .[11] .

ففى العلاقات الزوجية نجد الآيات الكريمة فى سورة البقرة من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٢١ ـ ٢٤٢) .

ففى هذه الآيات تشريعات تربوية[12] عن الأسرة المسلمة ، وهذه التشريعات تحرّم الزواج بين المؤمنين والكافرين ، لأن منهج الحياة الكافرة يؤدى إلى النار ، ومنهج الحياة المؤمنة يؤدى إلى الجنة ، كما تنظم هذه التشريعات العلاقات الجنسية بين الزوجين ، فتحرم الاتصال الجنسى خلال الحيض ، وتقصره على حالة الطهر ، كما تحرم الشذوذ الجنسى ، لأن الإسلام يقيم العلاقات الزوجية ـ بل والعلاقات الإنسانية كلها ـ على مفهوم التطهر الشامل ، وكذلك تُشَرِّعُ هذه الآيات للإيلاء والطلاق والخلع والعدة والرجعة والنفقة والمتعة والرضاع والخطبة ، وتوجب على الرجال معاملة النساء بالمعروف فى كل الحالات .

والعمل بهذه التشريعات عمل بـالكتاب والحكمة (السنّة) ، ومخالفتها ظلم للنفس ، وكفر بنعمة الهدى .

مجتمع الإنفاق ومجتمع الربا :

وردت الحكمة فى القرآن كذلك فى سياق المقارنة بين مجتمعين :

مجتمع الإنفاق ، ومجتمع الربا (وذلك فى آيات سورة البقرة من قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٦١ ـ ٢٨١) .

وهذا المجتمع الأول هو مجتمع المؤمنين الأبرار ، الذين ينفقون أموالهم على الفقراء وذوى الحاجات فى مجتمعهم ، وهذا النوع من الإنفاق نوع متميز ، لأنه إنفاق خالص لوجه الله برىء من الرياء والمن والأذى ، وهو إنفاق من

(١١) راجع سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٧ ـ ٣٥ وسورة لقمان ٣١ : ١٢ ـ ١٩ .

(١٢) « تشريعات تربوية » لأنها تجمع بين التشريع والتربية .

طيب الكسب لا خَبيثِه ، وهو إنفاق بسخاء وفى جميع الأحوال ، ﴿ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً ﴾ (البقرة ٢ : ٢٧٤) ولذلك يضاعف الله لهم الأجر ، ويكفر عنهم الذنب ، ويخلف لهم فى الرزق ، وينجيهم من الخوف والحزن ، ويورثهم الأمن والاستقرار .

مجتمع الربـــا :

وهو المجتمع الثانى مجتمع الأشرار آكلى الربا ، وآكلى أموال الناس بالباطل ، لا أمن لهم ولا استقرار ، يصرعهم سعار المال ، فيتخبطون كمن يتخبطهم الشيطان من الجنون ، لأنهم أحلوا ما حرّم الله . ويؤكد المشرع الحكيم تحريم الربا ، ويهدد المصرين عليه بحرب من الله ورسوله ، ويأمر بإمهال المعسر ، ويوصى بوضع الدين عنه ، وتنتهى الآيات بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢٨١)

وعن عبد الله بن عباس أنها آخر ما نزل من القرآن .[١٣]

(٤) أنها ثقافة شاملة :

(أ) لجميع الناس : فليست ثقافة طبقية ولا عنصرية بل متاحة للجميع .

يقول الله تعالى لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام ٦ : ٥٢) .

كانت قريش تريد أن يطرد النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مجلسه العبيدَ والفقراءَ والضعفاءَ أمثال : صهيب وبلال وسلمان وعمار وخباب وعبد الله بن مسعود .

وقد نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم ابن مسعود ، قال : « كنا نستبق إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وندنو منه فقالت قريش : تدنى هؤلاء دوننا ؟ فنزلت : ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ .[١٤]

* وكذلك طالب الكفار نوحاً عليه السلام بإبعاد الفقراء والضعفاء :

﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ (هود ١١ : ٢٧) .

فقال لهم نوح : ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾ (هود ١١ : ٢٩) .

* **فالعلم فى الإسلام للجميع** : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

* **والمسجد فى الإسلام للجميع** : للصلاة وللتربية .

(ب) لجميع جوانب الحياة الإنسانية :

فلا تقتصر على جانب واحد بل تشملها جميعاً : فتوجه الحياة الإنسانية عقيدة وعبادة ، وسعياً وتنظيماً ، وتربية وسياسة .

وقصرها على جانب واحد يحولها إلى معلومات جزئية لا صلة لها بالحياة الإنسانية المتكاملة .

(٥) الثقافة والدعـــوة :

ترتبط الدعوة بالحكمة فى قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ١٦ : ١٢٥) .

وهذا الارتباط يوضح جوانب هامة فى الثقافة

(١٣) راجع ابن كثير : **المختصر** (دار القرآن الكريم / بيروت ط . ثامنة ١٤٠٢ / ١٩٨١) ٢٥٢/١ .

(١٤) رواه الحاكم فى المستدرك وقال على شرط الشيخين وأخرجه ابن

محاولة لاستكشاف الثقافة الاسلامية

الإسلامية ، ومن هذه الجوانب :

١ ـ أنها ثقافة دعوة : فليست ثقافة مغلقة لمجتمع مغلق كالثقافة اليهودية .

٢ ـ أنها ثقافة عالمية ، لأنها تحمل رسالة الإسلام للناس جميعاً .

٣ ـ أنها تقدم حلولاً (تقوم على الوحى والعقل معاً) لقضايا إنسانية مصيرية ، وهى : قضايا الخالق والخلق ، والحياة والموت ، وما بعد الموت ، والحق والباطل ، والسعادة والشقاء .

٤ ـ أنها تسعى لضم البشر جميعاً إلى الإسلام ، أى هدايتهم إلى هذا الدين ، ليكونوا جنوداً للحق والعدل والرحمة ، وليقيموا الحياة الطيبة على هذه الأرض .

لذلك كان لابد للدعوة إليه من التزام الحكمة والموعظة الحسنة والقول اللين والجدال بالتى هى أحسن .

ولذلك حرّم الإسلام الإكراه فى الدعوة إليه :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٥٦)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ١٠ : ٩٩) .

فالإكراه انتهاك لحرية الإنسان وكرامته ، واحتقار لعقله ، وهو يسىء إلى المدعوين إلى الإسلام كما يسىء إلى الإسلام نفسه .

فالإسلام يريد من كل مؤمن به أن يكون صادقاً فى إيمانه ، ملتزماً بتعاليمه ، ولا يتم ذلك إلا إذا كان قراره قبول الهدى قد اتخذ بحرية كاملة ، وعن يقين واقتناع .

ومن ثم كانت الثقافة الإسلامية ثقافة حكمة ، لأنها ثقافة إقناع لا ثقافة إكراه ، إنها ليست غزواً ثقافياً ، وإنما هى رحمة مهداة .

(٦) الثقافة واللغـــة :

من الواضح أنه لا يمكن فهم الكتاب والحكمة والعمل بهما إلا عن طريق إجادة اللغة العربية ، والتمكن منها ، بل والتميز فيها .

وأية محاولة لفصل الثقافة الإسلامية عن اللغة العربية لا يقوم بها إلا جاهل بطبيعة هذا الدين ، أو عدو مبين للإسلام والمسلمين .

(٧) وحـدة الثقافة الإسلامية :

إن عقيدة التوحيد هى التى تعطى للثقافة الإسلامية هويتها المتميزة [١٥] ، وهى التى تجمع وتوحد بين كل عناصرها وأجزائها ، وتجعلها كائناً عضوياً واحداً أى تحقق لها وحدة البناء الثقافى .

ومن التوحيد الإسلامي ينبع التصـور الإسلامي للحياة ، والكون ، والإنسان .

ويستدل على توحيد الله من وحيه فى القرآن ، ومن خلقه فى الكون والإنسان .

وتوحيد الله يضفى على حياة الإنسان المسلم المعنى والحكمة ، فهو لم يخلق عبثا ، ولن يترك سدى ، ومن ثم لا تكون حياته مجرد أحداث منفصلة ، بل وحدة متكاملة لها غاية وهدف .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾

(الأنعـام ٦ : ١٦٢ ـ ١٦٣) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

*** *** ***

حبان فى **صحيحه** وراجع أيضاً ابن كثير : **المختصر** ١/٥٨١ .

(١٥) راجع أيضاً : د . إسماعيل الفاروقى : **الأطلس الثقافى للإسلام** (بالانجليزية)

The Cultural Atlas Of Islam
(Macmillan , London - Newyork 1986) PP. 78

النبي وأمته

"بعض خصائصه" صلى الله عليه وسلم"

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ : سورة الأحزاب/٥٦ .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . التوبة/١٢٨ .

إنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - بقدر مادعا إلى الله وهدى إلى الحق وقام لله تعالى بما أمر ، فكان أعبد الناس لربه ، وأقومهم بحقه ، حتى قال له مولاه :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً . لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً . وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾ . الفتح / ١ - ٣٠ .

إنه النبى والرسول الذى أخبر الله عنه بوصفى النبوة والرسالة وباسمه محمد ، وشاركه فى ذلك إبراهيم عليهما السلام ، فقال تعالى ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ آل عمران/٦٨ .

وهو مع موسى عليهما السلام فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ المزمل/١٥ - ١٦ .

وأخبر عنه بوصف النبى فقال ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب/٦ .

وجمع بين وصفى الرسالة والنبوة فقال : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ .. ﴾ الأعراف/١٥٧ .

ويخبر الله تعالى عن مصطفاه باسمه بمثل قوله تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ الأحزاب/٤٠ .

فالآية انتظمت الإخبار باسمه وبوصف

النبى وأمته

الرسالة ، ووصف النبوة مع سائر النبيين عليهم السلام وقال تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح/ ٢٩ .

ولا يناديه الله أبداً إلا بوصف النبوة والرسالة ، فى مثل قوله سبحانه :

﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ المائدة/ ٦٧ .

﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ المائدة/ ٤١ .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال/ ٦٤ .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً . . ﴾ الأحزاب/ ٤٥ ـ ٤٦ .

ونقرأ نداء الله لرسله بأسمائهم المجردة فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . . . ﴾ البقرة/ ٣٥ .

﴿ فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ . . . ﴾ طه/ ١١٧ .

﴿ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ . . . ﴾ هود/ ٤٦ .

﴿ قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ . . . . ﴾ هود/ ٤٨ .

﴿ يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا . . . . ﴾ هود/ ٧٦ .

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ . . . ﴾ ص/ ٢٦ .

﴿ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ . . . ﴾ الأعراف / ١٤٤ .

﴿ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ المائدة/ ١١٦ .

ويفرد الله لمصطفاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصيصة القسم بحياته وبقائه من خلال كلامه تعالى عن نبى الله لوط عليه السلام وعن قومه فيقول سبحانه . ﴿ لَعَمْرُكَ[1] إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الحجر/ ٧٢ .

ولم يقسم الله بحياة نبى أو رسول أو ملك قط تشريفاً له ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتنويها بقدره ، وابن كثير فى تفسيره لهذه الآية يورد قول ابن عباس رضى الله عنهما : (**ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره**) .

والإمام القرطبى وغيره يعرضون هذه الخاصية التى لا تتعارض مع قسم الله تعالى ببعض مخلوقاته كالتين والزيتون وطور سنين والشمس وضحاها والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس والفجر وليال عشر . ولعل من مراد الله بالقسم بها أن تتضافر الجهود فى المجامع العلمية ، وهيئات البحوث المتخصصة لاكتشاف مزيد من أسرار الله فى كونه ومخلوقاته ، استنجازا لوعد الله فى مثل قوله .

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ . النمل/ ٩٣ .

(١) العَمر بفتح العين وضمها هو الحياة والبقاء ، واستعمال الفتح فى القسم أشهر لخفته ودورانه على اللسان كما قال الزجاج .. وكفى بايثار القرآن تميزًا .

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ فصلت/٥٣ .

وخصائص الرسول وشواهد فضله كثيرة فى كتاب الله وفى سنته عليه الصلاة والسلام ، وصدر سورة الفتح من ذلك بمكان فقد أوحيت السورة إليه منصرفه من صلح الحديبية الذى كان نهاية طيبة لمحنة شديدة فات فيها الرسول وصحبه ما شمروا إليه وحرصوا عليه ، وساقوا من أجله الهدى ، وطال تمنيهم له بعد أن هاجروا طاعة لله وإذعاناً لرسوله ، وإعزازاً لدينهم ، فكان ما آتى الله رسوله والمؤمنين خيراً مما تحسروا على فواته ورحم الله من قال :

قد ينعم الله بالبلوى ، وإن عظمت

ويبتلى الله بعض الناس بالنعم .

قال الزهرى : (لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية ، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فسكن الإسلام فى قلوبهم وأسلم فى ثلاث سنين خلق كثير ، وكثر بهم سواد الإسلام) .

والشعبى يقرر هذه الحقيقة ويقول : لقد أصاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صلح الحديبية ما لم يصب فى غزوة ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وبويع بيعة الرضوان ، وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله ، وظهرت الروم على فارس ، ففرح الرسول بظهور أهل الكتاب على الفرس ، كما قال الإمام الشوكانى فى (فتح القدير) حـ ٥ ص ٤٤ .

والشوكانى خلف لابن كثير وغيره رحمهم الله فابن كثير يقول عن الفتح فى الآيات « والمراد به صلح الحديبية » : (فإنه حصل به خير جزيل ، وآمن الناس ، واجتمع بعضهم ببعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر ، وانتشر العلم النافع والإيمان) ، وتلك ثمرات طاعة المؤمنين لله ، والتزامهم هدى مصطفاه لا ريب ، لكن ابن كثير وغيره يذكر خصيصة ربانية لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الآيات فيقول فى قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ . . ﴾ الفتح / ٢ .

هذا من خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، التى لا يشاركه فيها غيره ، وليس فى حديث صحيح فى ثواب الأعمال لغيره ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التى لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم فى الدنيا والآخرة ، ولما كان أطوع خلق الله تعالى ، وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه ، قال حين بركت به ناقته « حبسها حابس الفيل » ثم قال : « والذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم شيئاً يعظمون به حرمات الله إلا أجبتهم إليها » .

فلما أطاع أمر الله فى ذلك ، وأجاب إلى الصلح نزل قول الله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ . . ﴾ الآيات سورة الفتح .

ونصر الله تعالى لمصطفاه نصر لأمته لا ريب ، ولقد راحوا مع غبطتهم بما أعطى الله رسوله يقولون : هنيئا لك يارسول الله هذا لك ، فما لنا ؟ فنزلت ﴿ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الفتح / ٥ .

ومن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سورة الفتح ما يقرره قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ . . . . ﴾ الفتح / ١٠ والبيعة عقد مع الله على الجهاد وهو ميثاق تأكد معناه فى القرآن وتردد فى مثل قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . . . ﴾ النساء/ ٨٠ .

النبى وأمته

ونحن نذكر مع قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . . . ﴾ الفتح/٨ . قوله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً . . . ﴾ الأحزاب/٤٥ .

لنجد خاصية أخرى من خواص النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فيدعى يوم القيامة فيقال له : هل بلغت فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم فيقولون : ما أتانا من بشير ، وما أتانا من أحد . فيقال لنوح « من يشهد لك فيقول : محمد وأمته » . فذلك قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ البقرة/١٤٣ أخرجه الإمام أحمد والبخارى وغيره .

فشهادة المسلمين مقررة فى الآية على أمم الأنبياء والمرسلين يوم القيامة بأنهم بلغوا أقوامهم ما أمروا بتبليغهم إياه . والوسط : الأجود الخيار ، وقد صح أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان وسطاً فى قومه أى أشرفهم نسباً . كما قال الإمام ابن كثير ، والثناء عليه بذلك يستتبع تميز أمته الملتزمة لنهجه ، القائمة على سنته عملاً لا إدعاء . قال الإمام ابن كثير فى تفسير الآية (ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع ، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب .) كما قال تعالى : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ الحج/٧٨ .

إنها خصائص نبوية نستكمل الحديث عنها بعون الله .

معوض عوض إبراهيم

قـــــرار حظـــــر

صرح فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد أصدر قراره عام ١٩٦٨ القاضي بحظر تداول أو نشر رواية « أولاد حارتنا » التى ألفها الكاتب نجيب محفوظ سواء أكانت مقروءة أم مسموعة أم مرئية .

والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية تلفت الأنظار إلى هذا الحظر ، وتدعو المسلمين إلى ضرورة الالتزام به ، وبالله التوفيق ..

من أعلام الأزهر

عبد المجيد سليم

عالم الشريعة ومفتي الإسلام

(٢)

د. محمد رجب البيومي

كان الإفتاء الديني في مصر منذ اندرجت في ظل الحكم العثماني يتبع الفقه الحنفي وحده، وكان القاضي التركي حريصاً في أول عهد الأتراك على الالتزام بهذا الفقه، حتى مضى الأمر عليه تلقائياً دون اعتراض ما من شيوخ المذاهب المتماثلة، ثم جاء عهد الأستاذ الإمام محمد عبده في الإفتاء فلم يشأ أن يتقيد في بعض الأحكام بالمذهب الحنفي وحده، ولكن معاصريه ـ وقد رأوا سابقيه من أمثال الشيخ المهدي العباسي والشيخ محمد البنا والشيخ حسونه النواوي يلتزمون بالفقه الحنفي ـ رأوا أن الأفضل هو في الالتزام به.

ثم أعقبه الشيخ بكرى الصدفي والشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ إسماعيل البرديسي والشيخ عبد الرحمن قراعة فرجعوا جميعاً إلى الالتزام بفقه الأحناف، ثم جاء الأستاذ عبد المجيد سليم، وقد درس الفقه الحنفي دراسة شاملة في كتب الفروع والأصول معاً بحيث أصبح حجته الأول في مصر بعد رحيل الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله، فرأى أن يعود إلى نهج الإمام محمد عبده في غير الفتاوى الرسمية التي تتطلبهاالدولة، وفي عهده بالإفتاء تألفت لجان فقهية لتعديل قانون الأحوال الشخصية، فكان رأيه من رأى الإمام المراغي في التوسع الشامل للمذاهب المعتمدة جميعها، بل امتد هذا التوسع في بعض قضايا الميراث والطلاق حتى ضم آراء أمثال ابن حزم وزيد بن علي وطاوُس وشريح وداود، كما يشهد بذلك ما يُعرف بقانون ١٩٢٩ للأحوال الشخصية، وقد وُجِّه إلى فضيلة الأستاذ عبد المجيد سليم سؤال بمجلة الرسالة العدد (٤٤٩) عن مدى التزامه بالمذهب الحنفي في فتواه فقال :[1]

←

(١) الرسالة (٤٤٩) بتاريخ ١٩٤٢/٢/٩ م .

« إن الفتاوىَ التى أُصدرها على نوعيْن ، نوع يتصل بالقضاء الشرعى والجهات الرسمية ، وهذا أُفتى فيه بما هو الراجح من مذهب أبى حنيفة ، لأن المستفتى يطلب ذلك فى استفتائه ، ولأن هذا هو المذهب الرسمى فى مصر ، ولو لم اتبع هذه الطريقة لاصطدم القضاء بالفتوى .

أما النوع الثانى فهو الفتاوى التى أصدرها فى استفتاءات غير رسمية ، أو واردة من البلاد الأخرى ، وأنا فيها لا أتقيد برسم يُرسم ، ولا بقولٍ من الأقوال فى المذهب الحنفى ، وإنما أختار القول الذى أراه راجحاً وأبين سبب رجحانه عندى ، وأذكر إلى جانبه الأقوال الأخرى إذا طلب المستفتى ذلك ، أو كان الأمر يستدعى ذكرها !

قال السائل : أتلتزمون فى ترجيحكم دائرة المذاهب الأربعة المعروفة ؟

فأجاب المفتى الأكبر : أنا لا أتقيد بالمذاهب الأربعة ، ولكنى لا أخرج فيما أفتى به عن مذاهب العلماء من السلف والخلف والسبب فى ذلك أن الفقه الإسلامي غنى جداً بأقوال العلماء وآرائهم ، فلا تكاد تجد مسألة من المسائل إلا وقد تعددت فيها آراء الفقهاء ، بحيث لا تستطيع أن تجزم بأن رأياً تراه لم يقُلْ به أحدٌ من العلماء من قبل ، فليس على الناظر فى هذه الثروة الطائلة إلا أن يختار ارجحها مصلحة ، وأقواها دليلاً وأشبهها بروح الشريعة ، وهذا الذى أسير عليه !

قال السائل : أكان من المفتين الذين سبقوا فضيلتكم فى دار الإفتاء المصرية من جرى على هذه الطريقة التى تسيرون عليها ؟

فقال المفتى : إن الفتاوى التى تحتفظ بها سجلات دار الإفتاء لا تدل على ذلك ، وإن كانت تدل فى كثير من الأحيان على فقه جيد ونظر سليم .

قال السائل : وفتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده ؟

فقال الشيخ : إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الإمام « محمد عبده » هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس ، وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الشعوب ، وسنة الله فى الكائنات ، يؤازر ذلك قلب جرىء وجنان ثابت ، وعقل متصرف ، وكان - رضى الله عنه - يعتمد فى فتواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح أقوال الفقهاء ، لذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ، وقد تثير خلافاً بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه افتى فتواه المشهورة بجواز لبس (البرنيطة) فقامت من أجلها ضجة هائلة بين العلماء وأهل الأزهر يومئذ ، فلما أردتُ أن أُفتى فى هذا الموضوع ، انتفعت بموضع العبـرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تُجيز لبس (البرنيطة) إخراجاً فقهيا مؤيداً بأقوال العلماء ، جارياً على طريقتهم فى الاستدلال والترجيح ، وبذلك لم يستطع أحد أن يشغب على هذه الفتوى ، أو يثير فى شأنها جدلاً .

وتعقيباً على هذا الحديث نذكر الفتويين المشار إليهما ، فتوى الأستاذ الإمام ، وفتوى المفتى الكبير عبد المجيد سليم لنشفع القول بالدليل .

« وجه بعض السائلين إلى الأستاذ الإمام محمد عبده هذا الاستفسار : يوجد أفراد فى بلاد الترنسفال تلبس (البرانيط) لقضاء مصالحهم ، وعودة الفوائد عليهم فهل يجوز ذلك ؟

فقال الإمام[٢] : لبس (البرنيطة) إذا لم يقصد فاعله الخروج من الإسلام ، والدخول فى دين غيره ، لا يعد مكفراً .

وإذا كان اللبس لحاجة من حجب الشمس أو دفع مكروه ، أو تيسير مصلحة ، لم يكره كذلك ، لزوال معنى التشبه بالمرة » .

وقد وُجه السؤال بمضمونه لا بنصه إلى الأستاذ عبد المجيد سليم فقال[٣] رداً على السائل من كلام تقدم عن خطر القول بكفر المسلم دون دليل قوى ، كما ذهب بعض من توهموا لبس (البرنيطة) كفرا : قال الشيخ ببعض التصرف : ــ « إن مناط الكفر والإكفار هو التكذيب أو الاستخفاف بالدين كما نقل صاحب نور العين على جامع الفصولين عن ابن الهمام ، عمنّ شدَّ زُنّاراً على وسطه ودخل دار الحرب للتجارة ، فقد قيل إنه كفر « وينبغى أن لا يكون ذلك كفراً ، وكذا فى قلنسوة المغول إذ أن هذه الأشياء علامة ملكية لا تعلق لها بالدين » .

إذا علمت هذا ، علمت أن مجرد لبس (البرنيطة) ليس كفراً لأنه لا يدل قطعاً على الاستخفاف بالدين الإسلامى ، وعلى التكذيب بشىء مما علم من الدين بالضرورة حتى يكون فى ذلك ردّة ، نعم ، إذا وجد من لابس القبعة شىء يدل دلالة قطعية ، على الاستخفاف بالدين ، أو على تكذيب شىء مما علم من الدين بالضرورة كان ذلك ردَّةً فيكفر ، وإذا لبسها قاصداً التشبه بغير المسلمين ، ولم يوجد منه ما يدل على الاستخفاف بالدين ، ولا على التكذيب بشىء مما علم منه كان أثماً فقط ، لما روى من قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من تشبه بقوم فهو منهم) « أى إنه كافر إن تشبه بهم فيما كفر ، كأن عظَّم يوم عيدهم تبجيلاً لدينهم ، أو لبس زنارهم قاصداً بذلك التشبه بهم استخفافاً بالإسلام ، كما قيد أبو السعود والحموى على الاشباه ، وإلا فهو مثلهم فى الإثم فقط لا فى الكفر ، كما فى الفتاوى المهدية » .

ومضى الشيخ يفيض فى نقول عن صاحب البحر وابن عابدين والذخيرة البرهانية ، وكلها تؤيد منحاه !

ونرى فى الإحصاء المدون بالجزء الأول من الفتاوى الإسلامية ص٣٤ ما يدل على أن الشيخ عبد المجيد سليم قد كتب (١٥٧٩٢) فتوى مدونة بالسجلات الخاصة فى مدى سبعة عشر عاماً ، وقد ولى بعدها رئاسة لجنة الفتوى فأصدر عشرات أخرى دوّن بعضها فى مجلة الأزهر ، وبقى بعض آخر دون تدوين ، فإذا علمنا أن الشيخ كان يرسل بعض الفتاوى الخاصة لمن يطلبها من أصدقائه ومريديه بعيداً عن عمله الرسمى فلنا أن نقول : إن الفقيه الكبير بما أعطى من جهد علمى كبير قد لمس مشاكل العصر المستحدثة وأجاب عنها بما يرتئيه ، والذين كانوا يعملون معه فى دار الإفتاء يذكرون أنه كان يقضى أياماً كثيرة فى مراجعة فتوى واحدة ، إذ كان من ديدنه أن يقرأ كتب السابقين فى كل مذهب ، وأن يطيل المراجعة المستأنية فى الآراء المتشابهة ، وأن يحاول التوفيق بعد ما يتعارض من النصوص ، ويشتبه من الأحكام ، وله مع نفسه جلساتُ « صامتة للتفكير المتئد ، ولم ينس أن يدرس أراء سابقيه من رجال الإفتاء ، وأن يعارض وأن يحبذ وفق ما يرتئيه ، وقد يضطر إلى مخالفة زميل كبير له مقامه الفقهى ، فيكتفى

(٢) الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية جـ ٤ ص ١٢٩٨ .

(٣) الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية جـ ٤ ص ١٥٢٣ .

بالإشارة إلى رأيه معقباً عليه بما فتح الله به من النظر الجديد ، ومثل هذا العقل الدائب تفكيراً وموازنة لابد أن يرى من الأحكام فى غده غير ماكان يراه فى أمسه ، وتلك سنّة الفقهاء جميعاً ممن يدأبون على البحث تطلباً للدليل وإرضاء للضمير .

ومن السذاجة المفرطة أن يقوم بعض معارضيه فيصفه بالتناقض حين يرى له رأيين فى الطلاق المعلق مثلاً ، ناسياً أن المفتى الأكبر لم يصدر الرأيين المتعارضين فى زمن واحد حتى يتحقق شرط التناقض ، وكم من أئمة الفقهاء فى عصور الازدهار الفقهى من أفتى برأى ثم عدل عنه لوضوح أدلة جديدة كانت خافية عنه ، وذلك ما يُحسب له فى ميزان الاجتهاد ، وقد يأتى التناقض لا من اختلاف الزمن بل من تقيد المفتى بمذهب معين حين يطلب السائل الحكم على مذهب أبى حنيفة أو مذهب مالك ، فيحدد إماماً بعينه ، وهنا يكون المفتى مقرراً شارحاً،لا باحثاً مستنتجاً ، وله أجره عند ربه أخطأ أم أصاب .

على أن نضوج الرجل الفقهى يتضح بجلاء فيما لم يُسبق إليه من الآراء ، حين تجدّ أمور مستحدثة فى عالم الاقتصاد أو الطب أو الاجتماع فتتطلب رأى الإسلام فى هـذا المستحدث ، ويضطر الفقيه إلى القياس الأصولى ليقرن النظير بالنظير .

ونضرب المثل لذلـك بفتوى[٤] الشيـخ عبد المجيد سليم فى نقل الدم للمسلم المريض المحتاج إليه من شخص غير مسلم ، وفى الانتفاع بجزء من عين شخص ميت لرد بصر شخص حى ، فينقل الرجل مسائل قياسية من كتب التراث منتهياً إلى أنه إذا تحقق توقف حياة المريض أو الجريح على نقل الدم جاز ذلك ، أما إذا توقف تعجيل الشفاء فحسب ، فيجوز على أحد الوجهين عند الحنفية ويجوز على مذهب الشافعية ، وذلك إذا لم يترتب على النقل ضرر فاحش ممن نقل عنه حرصاً على صحته .

وقد اختار الشيخ جواز معالجة غير المسلم من الأطباء حتى مع وجود الطبيب المسلم تيسيراً وتسهيلاً مادام أهلاً للثقة ، ذاكراً من الأدلة ما يؤيد رأيه ، وهذه الفتوى لم ينفرد بها الشيخ وحده إذ كان رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر وبها من الزملاء من يشاركونه الرأى بعد تداول واقتناع .

وحين اشتدت أزمة التموين أثناء الحرب العالمية الثانية ، دفع الجشع بعض التجار إلى البيع بأسعار مرتفعة ، وتحرّج بعض الناس فى التبليغ عن هؤلاء الجشعين ، ومثلهم من يختزن الأقوات والبضائع لتباع فيما بعد بثمن مرتفع ، واضطرت وزارة التموين أن تتوجه بالسؤال عن الحكم الشرعى فى هؤلاء ، ليكون قول المفتى حاسماً لاشك وراءه ، فنهض الشيخ بتسجيل فتوى نادرة مؤيدة بالدليل الناصع نشرتها الصحف اليومية فى أمكنةبارزة قطعت كل شك لدى من يظن أن الإخبار عن هؤلاء ضرب من الوقيعة ، ومن يتوهم أن التقيد بالتعبير الرسمى حجرٌ على التجارة الحرة ، قال الشيخ ببعض التصرف :[٥]

(٤) مجلة الأزهر ـ المجلد العشرون ص ٧٤٣ .

(٥) الفتاوى الإسلامية جـ ٣ ص ٨١٦ .

إذا قررت الحكومة أسعاراً لما يحتاجه الناس فى معيشتهم من طعام ولباس وغيرهما دفعاً لظلم أربابها ، ومنعاً للضرر العام وجب البيع بهذه الأسعار شرعاً ، وكان البيع بأزيد منها من الظلم المحرم ، وإذا نهت الحكومة عن اختزان ما يحتاجه الناس ، كان هذا الاختزان محرماً ، ومنكراً تجب إزالته ويجب على كل من يعلم أن من التجار من يبيع بأسعار زائدة عن الأسعار المقررة أو يختزن ما يحتاجه الناس أن يبادر بالتبليغ لتعمل الحكومة على إزالة هذا المنكر ، لأنها لا تستطيع إزالته إلّا إذا علمت به ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(٦) وكيف لا يكون هذا ظلماً وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على منع الاحتكار ، ثم ذكر من النصوص النبوية ما يبرهن على الحكم ، ناقلاً عن ابن القيم وابن تيمية من كتابى : (الطرق الحكمية) للأول و(الجوامع فى السياسة الآلهيـة) للثانى ما يعضّدهُ من أقوال سابقيه ، ثم ذكر فى نهاية الفتوى أن التبليغ فرض كفائى ، إذا فعله بعض سقط الطلب عن الباقى فإذا تركوا التبليغ جميعاً فهم آثمون » .

أما المسائل السياسية فقد كانت ذات قدر ملحوظ فى إجابات الشيخ ، وهو يعنى بالسياسة السياسة العامة لا السياسة الحزبية التى حذر منها ، وعارض الإمام المراغى بشأنها ، ونمثل لذلك بفتواه عن (تحريم موالاة المستعمرين) ، حين طلب إليه رئيس الاتحاد المصرى الطرابلسى أن يُظهر حكم الإسلام فيمن ينتسبون إليه ثم يميلون إلى معاضدة الاستعمار ، والتعاون معه فى تيسير أمور البلاد ، فعجل الشيخ بفتواه الحاسمة مبتدئاً بآيات كريمة من كتاب الله تدعو إلى التآزر بين المسلمين والوقوف صفاً واحداً أمام الأعداء ليصل منها إلى قوله(٧) :

ولما كانت موالاة بعض المؤمنين لغيرهم من أعداء الدين سبيلاً للتفرق ، وخروجاً على وحدة المسلمين ، وسبباً للفتنة ، عنى القرآن فى غير آية ، بنهى المؤمنين عن اتخاذهم أولياء من الكافرين يلقون إليهم بالمودة ، ويعملون معهم على ما يمكنهم من تحقيق اغراضهم ، من التسلط على المسلمين ، وإضعاف شوكتهم فى بلادهم .

وقرر أن هذا الصنيع مشاقة لله ولرسوله ، واتباع لغير سبيل المؤمنين ، كما أن هذا الصنيع لا يمكن أن يوجد مع الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأن دعوى الإيمان ممن يخرج على أمته ويعاون من حاد الله ورسوله ، دعوى كاذبة لا وزن لها عند جماعة المؤمنين .

وفى ضوء هذا الأصل الذى يقرره القرآن احتفاظاً بالكيان الإسلامى نقرر :

« أن هؤلاء الأفراد ذوى الرغبة فى أن تتولى الإشراف على بلادهم حكومة مستعمرة لا تصلها بالإسلام والعروبة صلة هم خارجون على الدين ومفرّقون لكلمة المسلمين ولا ينجيهم من الوعيد الشديد ما يدّعونه من انهم يتحامون بذلك شراً قد ينزل بهم أو يتوخّوْن مصلحة تصل إليهم ، فذلك انتحال لأعذار موهومة وارتكان لشبه باطلة يزينها ضعف الإيمان ، وابتغاء عرض الدنيا » .

وإذا كانت الفتوى الدينية أبرز آثار الشيخ ، فإنها ليست وحدها آية فضله ، فقد أتيح له أن

(٦) سورة المائدة : (٢) .

(٧) مجلة الأزهر : السنة التاسعة عشرة ص ٥٥٥ .

من أعلام الأزهر

يقوم على رعاية الدراسات العليا بكليات الأزهر الشريف ، فيشرف على مناهجها ، ويناقش رسائلها ، ويحضر بعض دروسها ، والدراسات العليا لعهده تتشعب فى كليات الشريعة الإسلامية واللغة العربية وأصول الدين ، ومعنى ذلك أن إلمام الشيخ الكبير بعلوم الأزهر جميعها يؤهله للمناقشة الجادة فى مواد هذه الكليات جميعها ، فهو يناقش فى أصول الفقه كما يناقش فى مسائل المنطق كما يناقش فى فنون البلاغة ودقائق النحو والتصريف ، ولا تكاد اليوم تجد عالماً من هذا الطراز المستوعب ، بعد أن شاع التخصص بمعناه الهشّ ، لا بمدلوله الدقيق ، كما كان الرجل الكبير على رأس جماعة صممت على ضرورة الإصلاح الأزهرى للتعليم منهجاً وكتاباً وأستاذاً فى الفترة الثانية لعهد الإمام المراغى ، لأن الأحداث العاصفة قد حالت دون تمام الإصلاح كما عناه الأستاذ المراغى فى مذكرته الشهيرة التى تقدم بها فى مشيخته الأولى ، والتى أحدثت من الدوى ما اهتزت له جنبات الأزهر وأدت إلى استقالته بعد أن قامت عقبات شديدة أمام تحقيق ما جاء بالمذكرة الخالدة ، ثم رجع الشيخ إلى عمله . ولكن ظروفاً ما قد وقفت دون استكمال وجوه الإصلاح ، فرأى جماعة من خلاصة رجال الأزهر كالشيخ محمود شلتوت والدكتور محمد البهى والأستاذ محمد محمد المدنى والأستاذ عبد العزيز عيسى أن يلتفوا حول الشيخ عبد المجيد سليم كى يجدوا منه عوناً على أداء رسالة الأزهر كما حددتها مذكرة الأستاذ الأكبر ، وقام الشيخ عبد المجيد بواجبه الإصلاحى ، وأقيمت الندوات الهادفة فى كليات الأزهر الثلاث ، وكان اسم الشيخ شلتوت من أنشط الأسماء الداعية لسرعة العمل ، وقد ساعده على ذلك انتماؤه إلى جماعة كبار العلماء ، فجدد من نشاطها ، ودفع بها إلى تقدم مأمول ، وإخالُ الأستاذ المراغى كان سعيداً بهذه الحركة ، لأنها ثمرة توجيهه ، وشعاع مصباحه ، ولئن تأخر فى تنفيذ بعضٍ دون بعض ، فذلك لأن القائم بالعمل المباشر يرى غير مالا يراه من لا يزال على الشاطىء يراقب الموج الهادر دون أن يسبح فى الماء ، ولن يتم الإصلاح المنشود دون أمدٍ محدود ، فالغاية بعيدة ، والمطلب شاق مرهق ، والمطايا لم تتعود السير السريع ، وعلى الله قصد السبيل .

ولعلّ من الأوفق أن نختم حديثنا عن الشيخ عبد المجيد ببعض ما قال الأستاذ محمد محمود رئيس محكمة الاستئناف العليا فى تأبينه إذ أشار إلى أنه ـ رضى الله عنه ـ « كان النجم اللامع فى لجنة الأحوال الشخصية بوزارة العدل ، إذ كانت تعرض الموضوعات والمسائل على اللجنة بعد سبق فحصها ، وعندئذ يأخذ الشيخ عبد المجيد الكلمة ، فيتولى شرح المسائل الواحدة بعد الأخرى ، مستعرضاً شتى الآراء ، فى كل مذهب من المذاهب ، ومقرراً الحكم الدقيق ، ذاكراً رأى الأئمة والمجتهدين من الفقهاء ، مسايراً روح العصر ، منتقلاً من فن إلى فن ، وهو فى ذلك كالبحر الدافق حتى إذا انتهى من عرضه المستوعب الجامع قامت اللجنة بالبحث والتمحيص لإعطاء الصيغة النهائية للمادة القانونية » .

وهكذا يكون الفقيه الأكبر سعة اطلاع ، وسلامة منهج ودقة استنباط ، رضى الله عنه وأرضاه .

د . محمد رجب البيومى

العلوم الكونية

الإنسان وأبحاث الفضاء الكوني

المجلد

الإنسان وأبحاث الفضاء الكونى

٢

صواريخ الفضـــاء :

ظل الإنسان يحلم لمئات من السنين بالسفر فى الفضاء ، تماماً مثلما كان يحلم بالطيران فى الجو . وفى خمسينيات القرن الحالى فقط ، اصبح حلم الإنسان بارتياد الفضاء الخارجى حقيقة واقعة بعد ان نجح فى تطوير صواريخ فضائية مناسبة ، وتعمل الصواريخ عموماً بطريقة الدفع النفاث التى كثيراً ما نشاهد امثلة بسيطة لتطبيقها فى صواريخ الألعاب النارية التى تطلق فى بعض المناسبات اوْ فى (البالونات) التى يلعب بها الأطفال . فإذا نفخت (بالون) وربطت عنقه ثم تركته وشانه فإنك تلاحظ انه يبقى ساكناً ، لأن ضغط الهواء الذى بداخله يؤثر على جداره المطاطى المرن من الداخل بقوى متساوية فى جميع الاتجاهات . اما إذا قمت بفكّ عنق (البالون) فإن الهواء المحبوس يندفع خارجاً على الفور ، ويطير (البالون) طيراناً طائشاً فى جو الغرفة . ويعزى السبب فى حدوث حركة (البالون) على هذا النحو بعد أن كان ساكناً إلى انك تسمح للهواء المحبوس بالخروج فجاة من جهة العنق ، لكن قوة دفعه الأمامية مازالت موجودة ، وهى التى تجعل البالون ينطلق فى عكس اتجاه حركة الهواء الخارج منه .

والمحرك الصاروخى يعمل بنفس الطريقة تماماً ، حيث يمكن لصاروخ ما أن ينطلق إلى أعلى مدوياً إذا ما سُمح للغازات الساخنة الناتجة من عملية احتراق الوقود بداخله أن تخرج بسرعة كبيرة من فتحة صغيرة فى مؤخرته ، لكن الصواريخ الفضائية تتميز عن صواريخ الجو بخصائص إضافية هامة نجملها فيما يأتى : ـ

١ ـ أن تكون ذات قدرة عالية تمكنها من حمل سفن الفضاء بسرعة كبيرة تكفى للإفلات من نطاق الجاذبية الأرضية . وقد وجد أن اقل سرعة تكفى لتحقيق هذا الغرض تساوى ١١,٢ كيلومتر فى الثانية ، وتسمى « سرعة الهروب » Escape Velocity [١] وعندما تكون سرعة إطـلاق الصاروخ أقل من سرعة الهروب هذه فإن سفينة الفضاء التى تغادر سطح الأرض سوف تتباطأ

---

(١) سبق شرح وتعريف كل من الجاذبية وسرعة الهروب فى الجزء الأول من هذا المقال فى العدد السابق من مجلة الأزهر .

د. أحمد فؤاد باشا

بسرعة أثناء ارتفاعها ، ثم لا تلبث أن تعود فترتطم بالأرض مرة أخرى ، وقد تغلب العلماء على هذه المشكلة باستخدام صاروخ متعدد المراحل ذى قدرة كافية لتحقيق سرعة الهروب المطلوبة وحمل الكمية اللازمة من الوقود .

٢ ـ أن تحمل معها من الاكسچين والوقود ما يكفى لعمل محركاتها أثناء رحلتها فى الفضاء الخارجى . فمن المعروف أن الهواء الموجود فى الغلاف الجوى يقل كلما ارتفعنا عن سطح الأرض حتى ينعدم وجوده تماماً فى الفضاء الخارجى . ولذا فإن الطائرات التى تعمل فى جو الأرض بمحركات بنزين لا يمكنها أن تواصل الطيران فى الفضاء لأن أجهزة الدفع فيها لا تعمل إلا فى وجود الهواء . وحتى المحرك النفاث العادى لا يمكنه أن يعمل فى الفضاء لأنه يحتاج إلى أكسچين الهواء اللازم لإحراق وقوده . ومن ثم فإن المحرك الفضائى يجب أن يكون مزوَّداً بالاكسچين اللازم . إما فى وقوده أو فى خزان منفصل .

٣ ـ أن تكون محصَّنة بأغلفة معينة ذات صلابة عالية لكى تتحمل التغيرات الشديدة فى درجات الحرارة وتقيها من التصادمات المحتملة مع الأجسام الكونية السابحة فى الفضاء . وقد أسهمت (تكنولوچيا) الفضاء و(الاليكترونيات) الحديثة فى تطوير المواد والأجهزة اللازمة لتحقيق هذا الأمان بكفاءة عالية . فعلى سبيل المثال ، يستعان بأجهزة (الرادار) اللاسلكي لمعرفة معدّلات ظهور الشهب وانتقاء أسلم مسار للصاروخ بعيداً عن ممرات تيارات الشهب الشديدة ؛ إذ من المعروف أن الشهب (أو النجوم الساقطة) التى كثيراً ما نرى ضوءها النارى يمرق فى عرض السماء ، ما هى إلا كتل صخرية أو معدنية صغيرة تأتى من الفضاء الخارجى ، وتدخل جو الأرض بسرعة عالية تصل إلى عشرات الكيلومترات فى الثانية . فترتفع درجة حرارتها نتيجة ارتطامها بالهواء ، وتشتعل بعنف على ارتفاع عدة عشرات من الكيلومترات فوق سطح الأرض ، ومن فضل الله علينا أن هذه الشهب تخمد عادة خلال سقوطها وقبل وصولها إلى الأرض .

وتزداد معدلات ظهور الشهب بصفة خاصة فى ليالي شهر اغسطس ، ويقال حينئذ ان السماء تمطر نجوماً .

وقد تأكد فى عدد من الحالات أن مطر النجوم ما هو إلا بقايا مُذَنَّب (أى نجم ذى ذنَب أو ذيل) تحلل إلى عدد كبير من النجوم الدقيقة . ومن هذا نرى أن مراقبة تيارات الشهب لها أهمية عظمى ، ليس فقط فى تأمين مسارات الصواريخ الفضائية ، ولكن أيضاً فى دراسة تكوين المجموعة الشمسية .

وبعد إتمام كافة التحضيرات واختبار كل الأجهزة المطلوبة وتركيبها فى القمر الصناعى ، أو سفينة الفضاء عند رأس الصاروخ ، وملء خزانات الوقود ، يبدأ إطلاق الصاروخ بطريقة

←

(*) الكاتب : أستاذ الفيزياء ـ كلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

آلية ، حيث يلقى العبء الأكبر على عاتق الحاسبات الإلكترونية والمعدات اللاسلكية ، ويكون الجزء الأول من الصاروخ متعدد المراحل هو أكبر الأجزاء لأنه سيحمل كل جسم الصاروخ حتى نهاية الطبقة الكثيفة من الغلاف الجوى ، ثم ينفصل آلياً عند انتهاء الوقود منه ، ويبدأ محرك المرحلة الثانية فى الاشتعال على الفور ليواصل عملية الارتفاع إلى أعلى . وعندما ينتهى احتراق وقود المرحلة النهائية من الصاروخ بأكمله يكون القمر الصناعى قد وصل إلى المدار المحدد له مُسَبَّقاً ، وأصبح جسماً كونياً خاضعاً لقوانين الحركة والجاذبية الكونية .

الأقمـــار الصناعيـــة :

كانت صواريخ الفضاء فى بادىء الأمر تتميز بعدم ضخامتها ، وقد أطلق العديد منها حاملةً (كبْسُولات) بها أجهزة قياس علمية إلى عتبات الفضاء الخارجى لتسجيل المعلومات اللازمة عن حرارته وضغطه وكل مـا يتعلق بمكوّنـاته وخصائصه .

ولم يمض وقت طويل حتى تمكن العلماء من تطوير هذه الصواريخ لتصبح قادرة على حمل الأقمار الصناعية المختلفة بعيداً عن تأثير جاذبية الأرض والدوران حولها مرات عديدة فى مدارات محددة لفترات زمنية تتراوح بين الأيام والأعوام حاملة بعض الأجهزة العلمية أحياناً ، وبعض الحيوانات أحياناً أخرى .

ويؤرخ عادة لدخول عصر الفضاء بتاريخ إطلاق الاتحاد السوفيتي لأول قمر صناعى دار حول الأرض فى (٤ اكتوبر سنة ١٩٥٧) ، وهوالمعروف باسم (سبوتنيك ـ ١) الذى ظل فى مداره سبعة وخمسين يوماً .

ومنذ ذلك التاريخ تزايد اهتمام الدول بأبحاث الفضاء والإنفاق عليها بإسراف وبذخ لتحقيق قصب السبق فى هذا المضمار .

وفى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ ، شهد العالم كله على شاشات التليفزيون عملية هبوط أول إنسان على سطح القمر فى رحلته الشهيرة على سفينة الفضاء (أبوللو ـ ١١) التى أطلقتها الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى ١٠ نوفمبر عام ١٩٧١ هبطت سفينة الفضاء السوفيتية (لونا ـ ١٧) ، على سطح القمر ، وانزلقت منها مركبة قمرية أسموها « لوناخود » ، أخذت تتجول بطريقة آلية لمدة مائة ساعة بدون أى رواد من البشر ، وكانت محطات المتابعة الأرضية توالى التحكم فى حركة هذه المركبة القمرية ، وتجمع كل البيانات والصور التى ترسلها أجهزة القياس ومعدات التصوير الموجودة فى المركبة .

وفى ديسمبر عام ١٩٧٢ تمكن رائدا الفضاء الأمريكيان فى رحلة « أبوللو ـ ١٧ » من قيادة « سيارة قمرية» لمسافة ٨٠ كيلو مترا فوق سطح القمر ، وقاما بجمع عينات من الصخور والأتربة القمرية بلغ وزنها ١٥١ كيلو جراما ، كما سجلت أجهزة القياس التى حملاها معهما على هذه السيارة معلومات مفيدة عن تساقط الشهب ونشاط الإشعاع الشمسى وقياس الأشعة الكونية وغيرها .

وهكذا نرى أن سباق الفضاء بين الدولتين العظميين يجرى على قدم وساق ، مع ملاحظة أن برامج الاتحاد السوفيتى تقوم أساساً على تشغيل المركبات القمرية بالتحكم الآلى ، بينما

تهتم الرحلات الأمريكية بإرسال رواد أكفاء للاستفادة من القدرات البشرية فى جمع أكبر قدر من المعلومات ، وسرعة التكيف مع أية مشاكل أو مستجدات تفرضها ظروف الرحلة القمرية .

وكان طبيعيا أن يسعى الإنسان إلى مواصلة السفر فى الفضاء نحو الشمس وبقية الكواكب ، فأرسل مركبات فضائية غير مأهولة ليدرس عن قرب كلا من : عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وأورانوس ، وتكون هذه المركبات بمثابة « مجسات فضائية » لاستكشاف المزيد عن هذه الكواكب باستخدام العديد من أجهزة القياس والإرسال اللاسلكى التى تبعث صوراً ومعلومات إلى الأرض . وها هو المجس الفضائى « فويجير ـ ٢ » يسرع الآن فى طريقه نحو كوكب « نبتون » ، وعليه أن يصل إلى مجاله عام ١٩٨٩ ، حيث تستغرق المعلومات المرسلة بالراديو من ذلك الكوكب البعيد نحو نصف الساعة لتصل إلينا على الأرض .

اقمار الاتصالات :

إذا كان الزمن الدورى الذى يستغرقه القمر الصناعى فى الدوران حول الأرض مساويا تماماً للزمن الدورى لدوران الأرض حول محورها والذى يساوى ٢٤ ساعة ، فإن القمر الصناعى سوف يبدو لنا دائماً فى نفس مكانه فوق الأرض . ويطلق على مدارات القمر الصناعى التى تحقق هذا الشرط « التزامنى » اسم « مدارات الانتظار » « Parking Orbits » على غرار أماكن انتظار السيارات على الأرض ، ويقدر ارتفاعها عن سطح الأرض بمسافة ٣٦ ألف كيلو متر . كما يطلق على « التوابع » أو « الأقمار » الصناعية التى تدور فى هذا الفلك اسم « التوابع التزامنية » « Syn chronous Satellites » وهى التى تستخدم لتحقيق الاتصالات بعيدة المدى ، ولتسهيل نقل البرامج « التليفزيونية » فى الدول المختلفة إلى أنحاء متفرقة من العالم ، كما فى حالة « التلستار » .

وقد أمكن حديثا تطوير أجهزة استقبال تليفزيونية يمكنها التقاط البث المباشر عبر هذه الأقمار من أى مكان فى العالم . وهذا من شأنه أن يفتح آفاقاً جديدة للتواصل الفكرى والثقافى بين البشر ، ويساعد على معرفة الكثير من أحوال الآخرين وعاداتهم . ومن ثم فإن تأصيل ثقافتنا الإسلامية على أساس علمى سليم سوف يكون له أكبر الأثر فى الحفاظ على قيمنا ومبادئنا الإسلامية وتحصينها ضد أخطار الغزو الثقافى المحتمل بثه بمختلف الأساليب من قِبَلِ أعداء الأمة الإسلامية .

مكوك الفضاء والمحطات المدارية :

كانت كل الصواريخ وسفن الفضاء التى تدار بواسطة طاقم الملاحين تستخدم مرة واحدة فقط ، وهذا يجعل رحلات الفضاء باهظة التكاليف .

ولتقليل هذه النفقات مع الاستمرار فى ابحاث الفضاء الكونى هناك وسيلتان :

الأولى : عبارة عن مركبة فضائية قابلة للعمل أكثر من مرة .

والثانية : تتمثل فى إقامة محطات فضائية دائمة فى مدارات حول الكواكب والأقمار ويطلق على سفينة الفضاء المتنقلة لعدة مرات بين الفضاء والأرض او الكواكب الأخرى اسم « مكوك الفضاء » Space shuttle وهو يجمع فى تركيبه بين الطائرة والصاروخ .

الانسان وأبحاث الفضاء

وكان إطلاق المكوك الفضائى « كولومبيا » عام ١٩٨١ إيذاناً ببدء نوع جديد من السفر في الفضاء ، حيث يمكن للمكوك أن يعود إلى الأرض بعد انتهاء مهمته ويهبط هبوطاً دقيقاً على مدرجة عادية مثل أية طائرة .

ويستخدم المكوك لنقل السفن الفضائية بأنواعها المختلفة إلى مدارات حول الأرض . كما أنه أفاد كثيراً بالنسبة لمعامل « مختبرات » الفضاء المزودة بجميع أنواع الأجهزة والمعدات اللازمة لإجراء تجارب علمية وهندسية ، حيث إن الظروف فى الفضاء تهيىء الفرصة لإجراء بحث علمى على قدر كبير من الأهمية . وفى عام ١٩٨٣ قامت « وكالة الفضاء الأوروبية » بإنشاء مثل هذا المعمل الذى أسمته « سبيس لاب » . Space Lab لينقل بواسطة مكوك فضاء ، ويظل فى حالة دوران على متنه ثم يعود بعد ذلك إلى الأرض كلما لزم الأمر . ويستخدم المكوك أيضاً لإرجاع الأقمار الصناعية التى تعطب فى الفضاء إلى الأرض لإصلاحها أو للتخلص منها ، كما يمكن استخدامه مستقبلاً لينقل أجزاء المستعمرات الفضائية عند إنشائها .

المستعمرات الفضائية :

بعد النجاح الذى حققته برامج مكوك الفضاء والمحطات المدارية ، تتجه الأنظار حالياً إلى القمر فى برنامج جديد يهدف إلى الاستفادة المباشرة من كنوزه وثرواته ، وإلى استخدامه كمركز مراقبة للأرض والكون . لكن تحقيق ذلك يتطلب إقامة أطول للإنسان على سطح القمر لكى يتابع بنفسه نتائج أبحاثه من هناك فى قاعدة قمرية دائمة(٢) .

وكان التفكير قد اتجه حديثاً إلى ضرورة إقامة مستعمرات فى الفضاء تتسع لآلاف البشر ، وتهيىء لهم كل ظروف العمل والحياة ، وتدور كأى جرم سماوى فى مدار ثابت وحول ذاتها لتنشأ فيها جاذبية صناعية تشبه جاذبية الأرض بالنسبة للبشر الذين سيعيشون عليها . وتجرى الآن دراسات مكثفة على عدة تصميمات أو نماذج لمثل هذه المستعمرات الفضائية العملاقة قبل إرسالها إلى الفضاء ، حيث من المتوقع فى عام ١٩٩٣ م أن يتحقق التشغيل المبدئى لمحطة فضاء أمريكية دائمة فى الفضاء ومجهزة بطاقم من العاملين (٣) .

ومهما يكن من أمر هذه المستعمرات الفضائية ، فإنها تمثل خطوة متقدمة فى تفكير الإنسان وسعيه لاستكشاف المزيد من أسرار هذا الكون الفسيح ، وإن كان الكون يزداد مع العلم اتساعاً وعمقا ليظل وعد الحق قائماً إلى قيام الساعة بقوله جل شأنه : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء : ٨٥) . صدق الله العظيم .

أ . د احمد فؤاد باشا

---

(٢) يفاضل العلماء الآن بين ان تكون هذه القاعدة على هيئة منشآت فوق سطح القمر أو فى كهوف بداخله .

(٣) لمعرفة المزيد عن مواصفات النماذج المطروحة للمستعمرات الفضائية أو « المدن الفضائية » وآراء العلماء لتوفير الظروف الملائمة لحياة الإنسان بداخلها يمكن الرجوع إلى :

— الموسوعة المصورة للشباب ، ترجمة د . محمد أمين سليمان ، د . أحمد فؤاد باشا ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٨٦ .

— مجلة العلوم الأمريكية ، الترجمة العربية ، مجلد ٤ ، عدد ٢ ، الكويت ١٩٨٧ ، وبها مقال هام للعالم الامريكي (فان الن) عن الآثار الضارة لهذه المستعمرات على فرص تقدم أبحاث الفضاء .

الجراد

حياته، انتشاره آثاره

٢

د. كارم السيد غنيم

يستطيع الباحث ان يشبّه حشرات الجراد بقنبلة موقوتة .. لأنه إذا هطل المطر ، قامت آلاف الملايين النَّهمة منها تجتاح مناطق من العالم (خاصة افريقيا) وتقضى على المزروعات حتى ان قارة افريقيا مهددة بالمجاعات دائماً بسبب هذه الحشرات الرهيبة ، وسوف يختفى العجب من هذه العبارات التى نستخدمها إذا عُلِمَ ان مجموعة واحدة من الجراد تقوم بالتهام نحو ثمانين الف طن من المزروعات يومياً ، وهى الكمية التى تكفى لتغذية عشرين مليون شخص خلال المدة نفسها .

من هنا قام الباحثون فى بقاع متفرقة من العالم فانشأوا لدراسة الجراد المعامل والهيئات ، واصبح للجراد علم يختص بدراسة جوانب حياته ، ومخاطره ومكافحته وشئون اخرى ، هو علم الجراد او (الجراديات) .

كيف نتفادى غزوات الجراد ؟

تكمن كوارث الجراد ـ كما أشرنا آنفاً ـ فى قدراته التجمعية وتكوينه للأسراب المهاجرة ، ومن هنا فإننا إذا استطعنا منع أو إيقاف هذا التجمع أو عملية تكوين الأسراب خصوصاً عملية تحول الجراد من المظهر الانعزالى إلى المظهر التجمعى ، فإننا نقى البلاد من الغزوات والكوارث منذ لحظة منشئها بدلاً من انتظار مجىء الأسراب إلينا ثم نقوم بمكافحتها .

● الكاتب : عضو هيئة التدريس بكلية العلوم ـ جامعة الأزهر .. وعضو اتحاد الكتاب بجمهورية مصر العربية .

الجراد

وللوصول إلى هذا الهدف لابد من الإلمام الكامل بمواطن التكاثر والانتشار التى يوجد فيها المظهر الانعزالى للجراد ، ومنها سواحل البحر الأحمر ومصر والسودان والمملكة العربيـة السعودية ، وهى مناطق تُعَدُّ بحقٍّ مخازن طبيعية للجراد الانعزالى ، وهو الخامة الأولية لنشأة أسراب الجراد المهاجر ، ومن هنا تبرز خطورته ، أى الجراد الانعزالى .

وعلى الرغم من صعوبة تحديد المنابت الأصلية للجراد الصحراوى ، إلَّا أنه يمكن تحديد الأماكن التى تعتبر مناسبة لتكاثره ، وهى التى يجب وضعها تحت الملاحظة المستمرة .

ومن الجدير بالذِّكر أن الدول الواقعة فى حزام الجراد تقوم بالتعاون التام فيما بينها ، فيبلِّغ بعضها البعض بصفة دورية عن التحركات الموسمية للجراد ، ويقوم المسئولون فى جمهورية مصر العربية - على سبيل المثال - بعمل مسح بيئى دورى للصحراء الشرقية والصحراء الغربية وتحديد الأماكن والوديان التى يمكن أن تجذب الجراد وتساعد على نموه ، وقد تعاون معهم زملاؤهم فى جمهورية السودان فى سنوات ماضية ؛ فتمت بذلك عمليات مسح شاملة على الحدود المشتركة بين الدولتين ، وذلك لأن أغلب الوديان هناك وسواحل البحر الأحمر تعتبر مناطق جذب هوائى وتجمُّع مدارى تجذب إليها الرياح التى تحمل معها الجراد من منابته ومواطن تكاثره الموسمية التى أشرنا إليها .

قدرات الجراد على الطيران :

يستطيع الجراد أن يطير لمسافات بعيدة ، فتقطع الجرادة الواحدة مائة كيلو متر فى اليوم الواحد (وثلاثمائة وخمسين كيلو متراً فى الشهر) ، وذلك بما لديها من قدرة عضلية تمكنها من الرفرفة بالجناحين لمدة تتراوح ما بين ست وست عشرة ساعة ، وهى قدرة تساعدها على اجتياز الموانع المائية والطوبوغرافية . وبدراسة قدرة عضلات الطيران فى الجراد ، وُجِدَ أنها تعمل بكفاءة تفوق كفاءة عضلات الحركة فى الإنسان بنحو ثمانى مرات (إذا أخذنا فى الاعتبار الفرق فى الحجم) .

فإذا علمنا هذه القدرة الهائلة على الطيران لساعات طويلة أثناء النهار ، فمن أين لهذه العضلات أن تأتى بالطاقة المطلوبة لهذا النشاط ؟ تأتيها هذه الطاقة من عمليات أيض Metabolism المواد النشوية داخل خلايا الجسم ، فإذا نَفَدَ ما لديها من مخزون النَّشا تبدأ تستنزف احتياجاتها من مخزون الدهن الموجود بها ، فهو الذى يمدها بالطاقة اللازمة لقطع مسافات طويلة فى الطيران .

تكوين وتوزيع وتنظيم الأسراب المهاجرة :

من المعروف أن أسراب الجراد الطائرة فى الهواء تحطُّ ليلاً على النباتات وتجثم على الأشجار لتلتهم كميات من الغذاء الأخضر تعينها على استئناف الرحلة فى صبيحة اليوم التالى . حينما تشرق الشمس صباحاً تشعر أفراد السرب الجاثمة على النباتات بالدفء ، فتبدأ فى هز أجنحتها ، ثم تطير أفراد منه متنقلة فى مسافات محدودة داخل منطقة الانتشار ، وحينما تزداد حرارة الجو تبدأ تيارات الحمل فيه تتجه إلى أعلى حاملة معها مجموعات من سرب الجراد ، وهكذا يُرىَ السرب مُعَلَّقاً فى جو منطقة الانتشار ، بينما تظل المجموعات الأخرى من السرب فى حالة جثوم ، وهى المجموعات التى تمثل مؤخرة السرب فلا تطير إلا بعد أن يأخذ السرب وجهته ، وهذا

السلوك يتيح لمؤخرة السرب أن تتناول كميات أخرى من الغذاء ، ثم لا تلبث أن تحلق فى الهواء لتلحق بمقدم السرب ، وهو الذى تهبط أفراده على ما تراه من الكساء الأخضر على سطح الأرض ، بقصد التهام كميات منه ، بينما تكون المؤخرة فى الهواء ولم تهبط بعد ، وهكذا تهبط المقدمة قبل المؤخرة ، ثم تصعد المؤخرة بعد المقدمة ، فيبدو السرب فى حلقات متصلة دون استقرار كامل فى الجو . وعند توافر درجة الحرارة الجوية الملائمة (٢٣ ـ ٤٠°م) فإن السرب يظهر كاملاً وبشكل واضح التنظيم فى الجو .

ويوجد من الأسراب الطائرة نوعان :

١ ـ السرب الطبقــى (Stratiform Swarm) ويُرىَ عادة فى ظروف جوية غائمة أو متأخراً بعد الظهر حين يبرد سطح الأرض وتنتهى تيارات الحمل المتنقلة . وهذا النوع من الأسراب يظهر فى شكل مساحة مسطحة مكونة من أفراد الجراد المتراصة . ويطير هذا النوع على ارتفاعات قليلة لا تزيد على (٣٠٠) متر من سطح الأرض .

٢ ـ السرب الـركامى (Cumuliform Swarm) ويُرىَ فى أكثر ساعات النهار فى ظروف تسودها الشمس الساطعة ، وتتراكم أفراده فوق بعضها فى الجو فتشكل ما يشبه البرج ، وغالباً ما يطير هذا النوع من الأسراب على ارتفاعات شاهقة تصل أحياناً إلى (١٠٠٠) متر من سطح الأرض ، وتساعدها على ذلك تيارات الحمل المتنقلة ، وتظهر فى السرب تغيرات مستمرة بالنسبة لكثافة أجزائه المختلفة أثناء الطيران .

أما عن توزيع الأفراد داخل السرب ، فيتميز النوع الأول المذكور سابقاً بأن الكثافة العددية لأفراده كبيرة[١] ، أما النوع الثانى فكثافة توزيع أفراده قليلة جداً[٢] حتى يمكنها أن تملأ حدود السرب المنتشر إلى أعلى .

ويختلف شكل السرب فى الرحلة الواحدة لنوع واحد من الجراد ، وذلك بتأثير التيارات الهوائية التى تواجهه ، فقد تبدأ رحلة الهجرة بسرب طبقى ، وما يلبث أن يتغير شكله إلى النوع الركامى ، خصوصاً إذا ارتفعت درجة حرارة الجو عن الساعات الأولى من رحلة الطيران .

كما يختلف توزيع الأفراد داخل السرب من مكان لآخر فيه ، فبينما نجد حوافه مشكلة من أفراد منتظمة متفقة الحركة والوضع ، فرءوسها جميعاً موجهة إلى الأمام ، نجد ان التوزيع فى أواسط السرب يكون عشوائياً ، ويزيد من عشوائية هذا التوزيع ـ أو الانتشار ـ ما يواجه السرب من تيارات هوائية مضادة .

وإنه لمن المدهش أن تعرف أن طلائع السرب إذا شعرت بين الحين والآخر أن مؤخرة السرب قد بَعُدَتْ عن مقدمته وكاد السرب أن يتمزق شمله وتتشتت أجزاؤه ، فإن المقدمة ـ أو الطلائع ـ تبطىء من حركتها حتى يتمكن المتأخرون عنها من اللحاق بها والالتحام بالسرب ، وبذا يحتفظ السرب دائماً بشكله وانتظامه ، ولا يمكن لأية جرادة أن تنفر من السرب وتخرج بعيداً عن إطاره العام ، فإذا حدث ذلك أسرعت بالدخول ثانية فى الجماعة .

أما سرعة التقدم إلى الإمام ، فإنها لا تزيد عادة على نصف سرعة الريح المواتية والمصاحبة له ، وذلك لعدم استمرار طيران السرب حيث إنه

---

١ ـ معدل توزيع الأفراد فى السرب يتراوح بين جرادة ـ عشر جرادات فى المتر المربع الواحد من السرب .

٢ ـ معدل توزيع الأفراد فى السرب يتراوح بين ٠,٠٠١ جرادة ـ . جرادة فى المتر المربع الواحد فى السرب .

← الجراد

يتوقف مرات عديدة فى طريق الهجرة خصوصاً مع دخول الليل كل يوم من أيام الرحلة ، ولكن إذا فرض أن السرب يواصل طيرانه بلا توقف فإن سرعته حينئذ تكون مساوية لسرعة الريح المواتية ، وهذا ما لم يحدث .

إذا اختلفت اتجاهات الأفراد داخل السرب الواحد ، فإن ذلك لا يؤثر على الاتجاه العام له (Orientation or course) ويتجه السرب مع اتجاه الريح فى مسلكه الفعلى Track أو ممره الذى تتحرك الريح صوبه . وإذا أجرينا طريقة إسقاط المساقط الرأسية من طائرة على نقط إشارية معروفة على سطح الأرض ، نستنتج أن السرب يطير فى نفس اتجاه الريح ، فإذا ثبتت ثبت اتجاه السرب .

كيف يحصل الجراد على حاجته من الماء أثناء رحلة الهجرة ؟!

يمكن للجراد المهاجر أن يقطع مسافة تبلغ آلاف الكيلو مترات خلال ثلاثة أسابيع ، وفى عام ١٩٥٦ م لوحظ أن الجراد الحاج(٣) هو أكثر قدرة على التحليق من أى نوع آخر ، ولمسافات بعيدة ، فلقد تمكّن من عبور البحر لمسافة ٥٠٠ كيلو متر للوصول إلى جزيرة Cap-Vert وطالما تم التساؤل حول الكيفية التى يستطيع بها الجراد قطع مسافة شاسعة من الصحراء دون ماء ، والحقيقة أنه من خلال الدراسات تم التوصل إلى أن الجراد يقوم بهضم السليولوز (Cellu-lose) الذى يعثر عليه فى الأدغال اليابسة ويحلله إلى مادة دهنية تحتوى على الهيدروجين ، وعندما تدخل تلك الدهنيات فى الدم ، وتحدث عملية الاحتراق بواسطة الأوكسجين خلال الطيران ، يتحرر ماء بمعدل (١٠) ملليجرامات من كل (٧) ملليجرامات دهون . وهذا يسمى فيزيولوجيا « الماء الأيضى » (Metabolic wa-ter) وهذه عملية تدل على المرونة الفيزيولوجية لهذا النوع من الجراد ، فقد واجه اختفاء الماء فى الصحراء بإنتاج ما يحتاج إليه بطريقة كيميائية .

وبعد ، فهذه كانت محاولة متواضعة لإجلاء وجه من وجوه الإعجاز العلمى لآية قرآنية ، شبه الله فيها انتشار الناس يوم البعث وتحركهم نحو ربهم للعرض عليه ، بالجراد فى انتشاره وتحرك أسرابه وتقدمها فى أجواء الفضاء ، وهى صورة تشبيهية لتقريب المقصود ، كما أننا قدمنا للقارىء جرعة علمية تناسب الهدف من المقال .

والله سبحانه أعلى وأعلم .

---

٣ ـ هو أحد أنواع أربعة شهيرة فى قارة أفريقيا الآن .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

خلق المسلم

أحب الله

خلق المسلم

رشاد محمد يوسف

لانى مسلم اهوى المعالى … واعشقُ كل افكار مضيئه
لانى مسلم تجتاح قلبى … احاسيسُ مطهرة جريئه
وياسرنى التالف والتاخى … وكل مشاعر الود الدفينه
فقلبى بالتسامح فى أمان … ونفسى من سعادتها مليئه
وعينى لا ترى إلا جميلاً … وتسعدها رؤى الحسن البريئه
واسمو بالتعفف والتسامى … عن الشيم الدنيئات الرديئه
واملك فى صراع الشر نفسى … واصفح عن عداوات مسيئه
واكظم غيظ قلبى فى اصتبار … واحفظ عند غضبته هدوءه

لانى مسلم لا وقت عندى … ابدده بأوكار الخطيئه
واهوى الحسن وضاء جميلاً … تنسقه يد الله الوضيئه
وخطوى دائما للخير يسعى … ذهابا فى مضاربه وجيئه
والاستغفار يجلو غيم قلبى … ويمحو كل افكار دنيئه

لانى مسلم عاهدتُ ربى … على فعل المكارم والمروءه
وإن طال المدى يشتد عزمى … يواجه كل خطب او رزيئه
وإن طال الدجى فالفجر يدنو … وارقب فى دجى ليلى مجيئه
لانى مسلم ترتاح نفسى … إلى دنيا العبادات الهنيئه
واحيا يغمر الإيمان قلبى … بقرآن وآيات مضيئه
وادرك ان ناصيتى وامرى … وقصة رحلتى رهن المشيئه

أحب الله

رفعت عبدالوهاب المرصفى

احب الله فى الشفق   احب الله فى الغسق
احب الله فى الإظلام   فى الإصباح فى الألق
أحب الله فى الأفلاك   فى تسبيحة الأفق
أحب الله فى نفس   بدايتها من العلق
أحب الله فى جذع   يهيجُ بأروع الورق
احب الله فى أمنى   وفى خوفى وفى قلقى
احب الله فى نفسى   وفى حسنى وفى نسقى
احب الله عن ورع   يقينى فتنة الغرق
فحب الله فواح   بكل العطر والعبق
وحب الله فى الكون   بشير الخير والغدق
بربى ... لا هوى يسمو   لحب الآخذ المبقى

للأستاذ
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب

طرائف ومواقف

« راع نفسك »

قال حاتم الأصم :
راع نفسك فى ثلاثة أوقات :
إذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله إليك .
وإذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله لك .
وإذا كنت ساكتاً فاذكر علم الله فيك .
لأنه قال ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ الآية (٤٦) سورة طه .

« جالسوا »

من تذكركم بالله رؤيته .
ويزيد فى علمكم منطقه .
ويرغبكم فى الآخرة عمله .

« لأن يكون »

قال سعيد بن عروة :
لأن يكون لى نصف وجه ، ونصف لسان على مافيهما من قبح المنظر وعجز المخبر ، أحب إلىّ من أن أكون ذا وجهين ، وذا لسانين ، وذا قولين مختلفين .

« حقا »

السلطان فى نفسه إمام متبوع ، وفى سيرته دين مشروع ؛ فإن ظلم لم يعدل أحد فى حكم ، وإن عدل لم يجرؤ أحد على ظلم .

« حقيقة »

هـى الأيـام والغـير
وأمـــر الله منتظــــــر
اتيأس أن ترى فرجاً
فـــأيـن الله والـقــــدر

« قالوا .... »

● أعظم الأغنياء من اغتم لغم الفقراء ، وأفضل الفقراء الذى لايتعلق بذيل الأغنياء .

● رحمة الظالمين ظلم الصالحين ، والعفو عن الباغين جور على المساكين .

● لاترحم عجز العدو وإن سالمك ؛ لأنه متى صار قادراً لن يرحمك .

● لو كانت كل الليالى ليلة القدر لما كان لليلة القدر قدر .

● كل ماتدرى بأنك ستعلمه البتة ، فلا تعجل بالسؤال عنه بغتة .

« دعاء »

اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ، ورجائي فى كل شدة ، وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة .
كم من هم يضعف الفؤاد ، ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك ، ففرجته وكشفته ، فأنت ولى كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة .

اللغة والأدب والنقد

من ملامح المنهج العلمي

ديوان شعر جابر بن حُنَيّ التغلبي

السمات العامة لأسلوب الرافعي

من ملامح المنهج العلمى

فى الصاحبى

لابن فارس (*)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فيعد ابن فارس من العلماء المنهجيين الذين وضعوا نصب أعينهم منهجاً علمياً ساروا عليه ، والتزموا به فى كتاباتهم حتى وصلوا إلى بر الأمان . من دون أن تعصف بهم الأنواء ، أو تتعثر أمامهم طرق البحث العلمى على الرغم من ضخامة الموضوعات التى عرضوا إليها فى مؤلفاتهم ، بل وتقاربها ، واحمد بن فارس فى كتابه الصاحبى ـ الذى نحن بصدد الحديث عن منهجه ـ نجده قد نظم مباحثه العديدة فى تسلسل موضوعى فريد ، كل مبحث يسلمك إلى آخر متصل به ، ومرتبط بما يليه كأنه العقد المنظوم فى أجمل صوره ، وأبهى محاسنه . آخذاً فى اعتباره موضوعية البحث وحيدته لتكون النتائج سليمة والأحكام سديدة .

ونحن هنا فى هذا البحث نود أن نعرض لمنهج ابن فارس فى كتابه الصاحبى نبرز أهم الملامح التى توضح هذا المنهج ، وترسم صورته ، علها تكون نموذجاً يحتذى فيما نقوم به من أعمال علمية ـ ولاسيما ـ أن أهم هذه الملامح مستهدفة فى البحث العلمى المعاصر ـ كما أن تحديد صورة هذا المنهج تعطى ـ للقارىء ـ فكرة عامة عن الكتاب ، وعن الجهد الذى بذله علماؤنا الأوائل فى تصانيفهم وتآليفهم ، ومدى ما وصلوا إليه من دقة وعمق وخبرة ، وتأصيل للمواد العلمية ، كل فى مجال مابذّ فيه وبرع .

وقبل أن ندخل فى تفصيل ماعزمنا عليه ، وحشدنا له الهمم ، نترك لابن فارس أن يميط اللثام عن موضوع الكتاب ، وهدفه الذى كان من أجله ، ورسم صورة المنهج كما ارتآها . وذلك من خلال مقدمة الكتاب التى أبان فيها عن كل ما يتناوله فيه ، ولما كانت تلك المقدمة من الأهمية بمكان وجدنا الإمام السيوطى ذا الباع الطويل فى دراسة اللغة العربية ومسائلها ينقلها بأكملها ، ويصدر بها كتابه المزهر فى علوم اللغة .

(*) هو ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا أحد ائمة اللغة المبرزين فى القرن الرابع الهجرى . انظر معجم الادباء ٨٣/٤ وانباه الرواة/٩٥ ، وفيات الأعيان ٧٥/١ وراجع مقالنا بمجلة سوهاج ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية العدد الرابع/٤٨٠ .

د . محمد السيد عطية بكر**

يقول ابن فارس : « إن لعلم[1] العرب أصلاً وفرعاً ، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات . كقولنا : رجل وفرس ، وطويل وقصير ، وهذا هو الذى يبدأ به عند التعلم .

وأما الأصل : فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ، ثم على رسوم العرب فى مخاطباتها . وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً . والناس فى ذلك رجلان . رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ، وآخر جمع الأمرين معاً ، وهذه هى الرتبة العليا لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يعول أهل النظر والفتيا وذلك أن طلب العلم العلوى يكتفى من أسماء الطويل باسم الطويل ، ولا يضيره أن لا يعرف الأشق والأمق[2] ، وإن كان فى علم ذلك زيادة فضل . وإنما يضيره خفاء ذلك عليه لأنه لا يكاد يجد منه فى كتاب الله جل ثناؤه شيئاً فيحوج إلى علمه ويقل مثله أيضاً فى ألفاظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ كانت ألفاظه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى السهلة العذبة . ولو أنه لم يعلم توسع العرب فى مخاطباتها لعىّ بكثير من علم محكم الكتاب والسنة ألا تسمع قول الله جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[3] إلى آخر الآية ؟..

فسر هذه الآية فى نظمها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوحى من الكلام ، وإنما معرفته بغير ذلك مما لعل كتابنا هذا يأتى على أكثره بعون الله تعالى ، والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول : أن متوسماً بالأدب لو سئل عن الجزم[4] والتسويد[5] فى علاج النوق : فتوقف أوعىّ به أو لم يعرفه ـ لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصاً شائناً لأن كلام العرب أكثر من أن يحصى .

ولو قيل له : هل تتكلم العرب فى النفى بما لا تتكلم به فى الإثبات ؟ ثم لم يعلمه لنقص ذلك فى شريعة الأدب عند أهل الأدب . لا أن ذلك يردى دينه أو يجره لمأثم .

كما أن متوسماً بالنحو لو سئل عن قول القائل :

لِهنَّكِ من عَبسِيَّةٍ لَوسَيمَةٌ
على هَنَواتٍ كاذبٌ مَنْ يَقُولُها[6]

فتوقف أو فكر أو استمهل لكان أمره فى ذلك عند أهل الفضل هينا ، لكن لو قيل له مكان

** الباحث : مدرس اصول اللغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

(١) يستهل ابن فارس المقدمة بالحديث عن موضوعات الكتاب فى صورة مجملة تحتاج إلى تفصيل على ما سنبينه فى موضعه من هذا البحث إن شاء الله .

(٢) الأشق : الطويل من الرجال والخيل . والاسم : الشقق والأنثى : شقاء والأمق : الطويل عامة أو البالغ الطول فى دقة اللسان : شق ـ مق .

(٣) الآية (٥٢) الأنعام .

(٤) الجزم : شىء يدخل فى حياء الناقة لتحسبه ولدها فترامه . اللسان : جزم .

(٥) سوّد الإبل تسويداً : إذا دق المسح (الكساء) البالى من شعر فداوى به أدبارها . اللسان : سود .

(٦) قوله : لَهنك بفتح اللام وكسر الهاء تستعمل عند التوكيد وأصله لأنك فأبدلوا الهمزة هاء كما قالوا فى إياك : هياك . والوسيمة : الجميلة . والهنوات : الفعلات القبيحة جمع هنة وهو ما يستهجن التصريح بذكره . والبيت فى اللسان : هنا غير منسوب .

من ملامح المنهج العلمى

(لِهنَّكَ) : ما أصل القسم ؟ وكم حروفه ؟ وما الحروف الخمسة المشبهة بالأفعال التى يكون الاسم بعدها منصوباً وخبره مرفوعاً ؟ فلم يجب ؟ لحكم عليه بأنه لم يشام صناعة النحو قط .

فهذا الفصل بين الأمرين . والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مفرق فى أصناف العلماء المتقدمين ممن رضى الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء .

وإنما لنا فيه اختصار مبسوط ، أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل أو جمع متفرق[٧] .

بعد هذا البيان الضافى الذى قدم به ابن فارس كتابه نبدأ وبالله التوفيق - فى شرح ملامح منهجه مبتدئين بالحديث عن موضوعات الكتاب .

أولاً : **موضوعات الكتاب** : ويمكن تصنيفها على النحو التالى :

١ - **اللغويات** : وقد تناول فى هذه المباحث القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح[٨] ؟ والقول : فى أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها[٩] وأن : كلام العرب لا يحيط به إلا نبى[١٠] . والقول : فى حاجة أهل الفقه والفُتيا إلى معرفة اللغة العربية[١١] . والقول على لغة العرب هل لها قياس ؟ وهل يشتق بعض الكلام من بعض[١٢] . ثم عرض إلى باب الأسباب الإسلامية وما لحق لغتنا من تطور بعد مجىء الإسلام[١٣] . وإجماع العلماء على أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة[١٤] . وتناول لهجات العرب المختلفة[١٥] وبيان فصيحها ومذمومها[١٦] . ووجوه اختلافها . والقول بأن القرآن نزل بلغة العرب[١٧] إلى غير ذلك من المباحث المهمة التى تعد من صلب فقه اللغة .

٢ - **النحويات والصرفيات** : وفى هذه المباحث يعرض ابن فارس إلى مسائل نحوية وصرفية كثيرة فيبدأ ببيان حقيقة الكلام[١٨] وأقسامه ، متناولاً الحديث عن كل قسم ، ثم تحدث عن النعت[١٩] واللقب[٢٠] ، والحروف[٢١] ، ودخول ألف التعريف ولامه فى الأسماء[٢٢] إلى غير ذلك من مباحث استغرقت ثلث الكتاب تقريباً .

ومباحث النحو تختلط عنده بمباحث الصرف فنراه يعرض للحروف فيذكرها مرتبة ترتيباً هجائياً مبيناً ما يحدث فيها من إعلال أو إبدال أو زيادة أو حذف ويذكر غير ذلك أبواب : معانى الأفعال فى الأغلب الأكثر - البناء الدال على الكثرة - الأبنية الدالة فى الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف - أفعل فى الأوصاف لا يراد به التفضيل من ألفاظ الجمع والواحد والاثنين .. إلخ[٢٣] ، وما هو منهجه يستشهد بالقرآن

(٧) الصاحبى ٣ : ٥ .
(٨) الصاحبى/٦٠ .
(٩) نفسه/١٦ .
(١٠) نفسه/٢٦ .
(١١) نفسه/٥٠ .
(١٢) نفسه/٥٧ .
(١٣) نفسه/٧٨ ، وانظر مقالتنا فى مجلة سوهاج العدد السابق/٤٩٥ .
(١٤) الصاحبى/٣٣ .
(١٥) نفسه/٣٨ .
(١٦) نفسه/٣٥ .
(١٧) نفسه/٤١ .
(١٨) نفسه/٨٧ .
(١٩) المصدر السابق/٩٨ .
(٢٠) نفسه/٢٠٨ .
(٢١) نفسه/١٢٣
(٢٢) الصاحبى/١٢٥ .
(٢٣) راجع فقه العربية تمهيد فى التاريخ والتأليف/٣٥، ٣٦ .

والحديث والشعر فى كل ما يأتى به من أحكام وآراء .

٣ ـ البلاغة : ويتناول ابن فارس فى كتابه موضوعات شتى فى فنون البلاغة في كباب الخبر والإنشاء[٢٤] . من أمر ونهى وتمن واستفهام وباب الحقيقة والمجاز[٢٥] . والاستعارة والكناية[٢٦] . والإطناب والإيجاز والتقديم والتأخير والاعتراض والإيماء[٢٧] .. إلخ ..

وهذه المباحث البلاغية كان يبدؤها عادة بقوله : ومن سنن العرب أو العرب تقول أو تفعل . وقد عنى بعلمى المعانى والبيان باعتبارهما من أهم علوم البلاغة ومن أكثرهما استعمالاً واستخداماً فى الأساليب العربية . ومع ذلك لم يغفل علم البديع وما له من جمال يزين التركيب وتجمل به العبارة مثل : المحاذاة[٢٨] .

والجزاء على الفعل بمثل لفظه[٢٩] وإخراجهم الشىء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك[٣٠] ، والإفراط[٣١] ... إلخ .

٤ ـ اللغة والدلالة : ويراد باللغة ما يتصل بالعلاقة بين اللفظ المفرد والمعنى تطبيقاً ، وبالدلالة ما يتصل بذلك بحثاً وما يدور حول دلالة التراكيب خارج مباحث علم البلاغة ويشمل ذلك : التضاد والترادف والاشتراك وما يعرض للفظ من عموم أو خصوص ، وإطلاق أو تقييد ، وما يكون من ذكر لمعانى ألفاظ عرض لكل هذا فى أبواب : أجناس الأسماء ـ ما جرى مجرى الأسماء وإنما هى ألقاب ـ الأسماء كيف تقع على المسميات ـ الخطاب الذى يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع ـ الخطاب الذى يأتى بلفظ المذكر أو الجماعة الذكران ـ أقل عدد الجمع ـ الخطاب المطلق والمقيد ـ أجناس الكلام فى الاتفاق والافتراق ـ العموم والخصوص ...... إلخ ومن دلالة التراكيب : الشرط ـ الاشتراك ـ الفصل بين الفعل والنعت ويدخل فى اللغة والدلالة كل موطن شرح فيه معانى الألفاظ[٣٢] .

٥ ـ مباحث أصولية : ونعنى بها المباحث التى تناولها علماء أصول الفقه وعرض لها أو لبعضها المفسرون أحياناً دون علماء اللغة لأنها لا توجد إلا فى القرآن الكريم . وقد ذكرها ابن فارس فى أبواب : القول فى الاحتجاج باللغة العربية[٣٣] ـ من النظم الذى جاء فى القرآن (الاقتصاص)[٣٤] ـ الأمر المحتاج إلى بيان وبيانه متصل به[٣٥] ـ ما يكون بيانه مضمراً فيه[٣٦] . وقال عنه هو الذى يسمى فى سنن العرب النكف ـ ما يكون بيانه منفصلاً عنه ويجىء فى الصورة معها أو فى غيرها[٣٧] .

د . محمد السيد عطية بكر

(٢٤) الصاحبى/٢٩٢ .
(٢٥) نفسه/٣٢١ .
(٢٦) نفسه/٣٣٤ ، ٤٣٩ .
(٢٧) نفسه/ ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٦ .
(٢٨) نفسه/٣٨٤ .
(٢٩) نفسه/٣٨٥ .
(٣٠) الصاحبى/٤٥٢ .
(٣١) نفسه/٤٥٣ .
(٣٢) انظر فى هذه المباحث الصاحبى على الترتيب صفحات/١٠٨ ، ١١٤ ، ١٠٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ وقارن بفقه العربية ٣٦ ، ٣٧ .
(٣٣) الصاحبى/٤٩ .
(٣٤) نفسه/٣٩٨ .
(٣٥) نفسه/٤٠٠ .
(٣٦) نفسه/٤٠١ .
(٣٧) نفسه/٤٠٢ وقارن بفقه العربية/٦ .

أبو سفيان بن الحارث

- بقية -

رسول الله فى صدره وقال : أنت طردتنى كل مطرد ؟ وفى رواية قال له : « بل نحن طرَّدناكم » .

وما إن أسلم وحسن إسلامه حتى كان من جند الرحمن ، فشهد مع رسول الله فتح مكة ويوم حنين وحصار الطائف هو وابنه جعفر ، وثبتا معه حين انكشف الناس ، وكان آخذا بلجام بغلة رسول الله ﷺ ، فلما انجلت الغبرة سأل رسول الله « من هذا » ؟

قال : أخوك أبو سفيان ، فرضى عنه .

وقال : « قد أعقبنى الله من حمزة أبا سفيان بن الحارث » ، فكان يقال لأبى سفيان بعد ذلك أسد الله وأسد الرسول وأطلق لشعره العنان فقال أشعارا كثيرة فى يوم حنين ، وكان مما قال :

لقد علمتْ أفناء كعب وعامِر
غداةَ حنين حين عمَّ التَّضَعْضُعُ

بأنى أخو الهيجاءِ أركَبُ حدها
أمام رسول الله لا أتتعتع

رجاء ثواب الله والله واسع
إليه تعالى كل أمر سيرجع

ويحكى عنه أنه كان يصلى فى الصيف بنصف النهار حتى تكره الصلاة ، ثم يصلى من الظهر إلى العصر ، فلقيه على بن أبى طالب ذات يوم وقد انصرف قبل أوانه فقال له : مالك انصرفت اليوم قبل حينك الذى كنت تنصرف فيه ؟ فقال : أتيت عثمان بن عفان فخطبت إليه ابنته فلم يُحِر إلى شيئا ، فقعدت ساعة فلم يحر إلى شيئا .

فقال على : أنا أزوجك أقرب منها ، فزوجه ابنته (على بن عمه) ثم حج عاما فحلقه الحلاق بمنى وفى رأسه ثؤلول (خراج صغير) فقطعه الحلاق فمات ، فكانوا يرون أنه شهيد ، ويرجون له الجنة .

قالوا : مات أبو سفيان بن الحارث بعد أخيه نوفل بن الحارث بأربعة أشهر إلا ثلاث عشرة ليلة سنة عشرين من الهجرة . وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ودفن فى ركن دار عقيل بن أبى طالب .

رحمه الله فقد قال لأهله قرب وفاته : لا تبكوا على فإنى لم أَتَنَطَّفْ بخطيئة منذ أسلمت . وهكذا كانوا حين يؤمنون ويسلمون .

السيد حسن قرون

ديوان شعر

جابر بن حُنَيّ التغلبي

جمع وتحقيق
أيمن محمد على ميدان

قبيلة تغلب :

ينتمى « جابر بن حُنَيّ التغلبى » إلى قبيلة « تغلب » التى تُنْسَبُ إلى « تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنْب[1] بن أفصى بن دُعْمِى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان »[2] والنسبة إليه « تغلبى » بفتح اللام استيحاشاً لتوالى الكسرتين مع ياء النسب ، وربما قالوه بالكسر لأن فيه حرفين مكسورين »[3] . ويطلق عليها الغَلْبَاء ، قال الشاعر :

وأورثنى بنو الغلباء مَجْداً
حَديثاً بعد مجدهم القديم[4]

كانت قبيلة « تغلب » قبيلة عُدَّت من « رضفات العرب »[5] ، اتسمت خلال تاريخها الحافل الطويل بسلطان مرهوب ومكانة سامقة بين القبائل العربية فى الجاهلية ، تجلت خلاله كقوة متماسكة ، فقد كانوا « أظهر الناس عدة وسلاحاً وخيلاً ورجالاً »[6] . ولقد بلغت تغلب من القوة والبأس مبلغاً عظيماً دفع القدماء إلى أن يقرروا أنه « لو أبطأ الإسلام قليلاً ؛ لأكلت بنو تغلب الناس »[7] .

وقد عرفت قبيلة تغلب فى التاريخ العربى كقبيلة محاربة فى أكثر من موقع ، وأكثر من

(*) المحقق : معيد بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، ومحاضر بمركز تعليم العربية لغير الناطقين بها .

(١) هنب : ورد بكسر الهاء وتسكين النون فى جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٣ ولسان العرب (غلب) وورد بفتح الهاء وتسكين النون فى : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٦٩ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٣٠٣ واللباب فى تحرير الأنساب ١/٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٣) لسان العرب (غلب) .

(٤) لسان العرب (غلب) .

(٥) المُحَبَّر ص ٢٣٤ .

(٦) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٦٩ .

(٧) المصدر السابق ٣٦٩ .

اتجاه ، بمفردها حيناً ، أو مع حلفائها فى كثير من الأحيان .

عرفت بحربها الطويلة مع أبناء عمومتهم « قبيلة بكر » ، واشتهرت بحرب البسوس[8] ، التى دامت أربعين عاماً . ومن أيامها : يوم السُّلاَّن[9] ، ويوم خَزَازى[10] ، ويوم الكُلاَب الأول[11] ، ويوم ذى بُهْدى[12] ، ويوم إراب[13] ، ويوم الأراقم[14] ، ويوم زَرُود[15] ، ويوم مقتل عمرو بن هند[16] ، ويوم سَفار[17] ....إلخ .

ولقد أنجبت تغلب كثيراً من السادة الأشراف الذين كان لهم دور بارز فى حروبهم المستمرة ، وسيادتهم الراسخة على (مَعَدّ) مثل كليب وأبيه ربيعة « الذى قاد مضر وقضاعة وربيعة يوم السلان إلى اليمن »[18] والْهُذَيْل بن هُبَيْرة الذى أطلقت عليه العرب لفظة « جَرَّار » ولم يكن الرجل يُسَمَّى جراراً حتى يرأس ألفا »[19] ، وعامر بن جُشَم و« كان أَوَّلَ من ورَّث البنات فى الجاهلية ، فأعطى الابن سهمين والبنت سهماً .... وكانوا لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان شيئاً من الميراث إلا من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل »[20] .

ومنهم امرؤ القيس بن أَبَان بن كعب بن زُهَير بن جشم الذى عُدَّ من « حُكَّام العرب »[21] قتله الحارث بن عباد يوم قضة بابنه بُجَير ـ أو ابن أخيه ـ على خلاف بين الرواة .

ومنهم أبو حنش التغلبى قاتل شرحبيل الملك يوم الكلاب الأول ، وأبو أَجَأ وذو السُّنَيْنَة[22] ....إلخ .

كما أنجبت تغلب كثيراً من الشعراء الكبار أصحاب الصوت المتميز والإحساس الصادق المتدفق كعمرو بن كلثوم ومهلهل والأخنس بن شهاب وجابر بن حُنَى وعميرة بن جعل وسليمى بنت مهلهل وأفنون التغلبى وأبو اللحام[23] ....إلخ .

ديانتها :

كانت تغلب وثنية الديانة ، شأنها شأن الكثير

---

(8) انظر : الاشتقاق ٢٥٨ والعقد الفريد ٥/٢١٩ والكامل فى التاريخ ١/٣٢٣ ، وكتاب بكر وتغلب ٣٠ ومابعدها والأغانى (ساس) ٤/١٤٠ ومابعدها وتهذيب إصلاح المنطق ٤٣٥ وشرح سقط الزند ١٦٤٢ وفصل المقال ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(9) العمدة ٢/٢١٢ .

(10) انظر : العقد الفريد ٦/٨٤ والعمدة ٢/٢١٢ ونقائض جرير والفرزدق ١٠٩٤ .

(11) انظر شرح ديوان المفضليات للأنبارى ٤٢٧ ـ ٤٤٠ ونقائض جرير والفرزدق ٤٥٣ ـ ٤٦١ ، والعمدة ٢/٢٠٦ ونقائض جرير والفرزدق ٤٥٣ ـ ٤٦١ والأغانى (التقدم) ١١/١٠ ـ ٦٣ .

(12) انظر : نقائض جرير والأخطل ٢١٤ وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٣/٣٧ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١٠٢٧ والعمدة ٢/١٢٤ والبرصان والعرجان والعميان ... ص ٥٥٧ ومعجم البلدان « ذى بهدى » .

(13) العقد الفريد ٦/٨٠ ونقائض جرير والفرزدق ٤٧٤ ونقائض جرير والأخطل ٧٨ ـ ٧٩ والعمدة ٢/٢٠ .

(14) الإكليل ١/٩١ ـ ٩٣ وشعر همدان فى الجاهلية والإسلام (أطروحة ماجستير) ص ٤٦ .

(15) العقد الفريد ٦/٤٢ ونوادر أبى زيد ١٥٣ والعمدة ٢/٢١٦ ومعجم ما استعجم ٢/٦٩٧ وأنساب الخيل ٨٤ وخزانة الأدب ١/١٨٧ ، ٢/٢٤٥ .

(16) نقائض جرير والفرزدق ٨٨٤ والكامل فى التاريخ ١/٣٣٠ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٦٩ وأيام العرب لأبى عبيدة معمر بن المثنى (رسالة دكتوراه) ١/٥٢٦ .

(17) نقائض جرير والأخطل ٩٥ ونقائض جرير والفرزدق ٧٨٢ ولسان العرب (سفر) .

(18) المُحَبَّر ٢٤٩ .

(19) المُحَبَّر ٢٠٥ .

(20) المحبر ٣٢٤ .

(21) المحبر ١٣٥ .

(22) شرح المفضليات للأنبارى ٤٣١ .

(23) انظر رسالتنا للماجستير « شعر تغلب فى الجاهلية ، جمع وتحقيق ودراسة » .

من القبائل العربية آنذاك ، فقد كانت تعبد ـ مثل بكر ـ الإله أَوَال أو أُوَال »[٢٤] ثم اعتنقت النصرانية بعد يوم خُزازى[٢٥] أو فى بداية القرن الرابع الميلادى[٢٦] . ويرى مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية « أن تغلب اتصلت بجيرانها من النصارى فتسربت النصرانية إليهم قبل الإسلام بزمن ليس بالكثير »[٢٧] .

وظلت مسيحية الديانة حتى عهد « عمر بن الخطاب »[٢٨] ، ويذهب "بلا شير" إلى أنها « ظلت على دين المسيح حتى أواخر القرن الثانى للهجرة ، الثامن للميلاد »[٢٩] وهو رأى لا يلقى أى قبول ، لأنه لا يستند على دليل تاريخى .

جابر بن حُنَىّ التغلبىّ(*)

نسبه :

جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل . شاعر جاهلى قديم ، كان صديقاً لامرىء القيس ، وكان معه لما لبس الحُلَّةَ المسمومة التى بعثها له قيصر ، دون أنقرة بيوم ، فتناثر منها لحمه وتفطر جسده ، وكان جابر يحمله ففى ذلك يقول امرؤ القيس :

فإمَّا تَرَيْنى فى رِحَالَةِ جابرٍ
على حَرَجٍ كالْقَرِّ تخفقُ أكْفانى

وقد ذكر المرزبانى فى معجم الشعراء ٢٠٦ ـ ٢٠٧ البيتين ٢٠ ، ١٥ من هذه القصيدة ـ أى المفضلية ـ ومعها ثالث فى ترجمة (عمرو بن حنى التغلبى) الفارس الجاهلى المذكور . وذكر أن هذا فى رواية محمد بن داود ثم قال : « وأبو عبيدة وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حنى التغلبى » . وسمى فى الأصمعية ٣١ باسم « عمرو بن حنى » بخط الشنقيطى . وسماه الجاحظ فى الحيوان « جابر بن حنى » وذكر له البيت ١٧ فى ٣٢٧/١ ، وذكر له أبياتا أخر فى ١٣٥/٣ ونحن نرجح أن عمرو بن حنى هو جابر ابن حنى ، وأن يكون محمد بن داود أخطأ هو ومن تبعه فى اسمه .

أما أولًا : فلأن المرزبانى لم يجزم باسم « عمرو » بل أحال تبعته إلى محمد بن داود .

وأما ثانياً : فأننا لم نجد ترجمة ولا ذكراً لعمرو هذا ، ولو كان فارساً مذكوراً معروفاً كما زعم لذكر فى كثير من المصادر أو بعضها . نعم ، قد ذكره المبرد فى الكامل (٥٩٤/٢ من طبعة الحلبى بتحقيق أحمد محمد شاكر) باسم « عمرو بن حيى » بياءين ، وذكر بحاشية إحدى مخطوطاته الصحيحة « هو جابر بن حيى » بياءين فخطأ أيضاً . صوابه « حنى » بضم الحاء وفتح النون وتشديد الياء كما هو ثابت فى الأصول الصحيحة من المفضليات ، وكما فى القاموس وغيره . وقد نص على تصويبه أيضاً العلامة المرصفى فى شرح الكامل ٢٢٣/٥ .

وممن أخطأ فى اسم أبيه الأستاذ حسن السندوبى فى شرح ديوان امرىء القيس ١٤٢ فسماه « يحيى » والأستاذ محمد صالح سمك فى كتاب أمير الشعر ١٣٩ فسماه « حنا » !! .

وقد زعم لويس شيخو فى شعراءالجاهلية ١٨٨ أن جابر بن حنى كان نصرانياً واستدل بالبيت ٢٢ من هذه القصيدة على أنَّهُ يفخر بنصرانيته ، وهو بهذا البيت أبعد مايكون عن النصرانية[٣٠] .

---

(٢٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٢/٩ .
(٢٥) المرأة فى الشعر الجاهلى ١٩ .
(٢٦) شعر النصرانية ١٨١/١ .
(٢٧) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٢/٩ .
(٢٨) المرأة فى الشعر الجاهلى ص ١٩ .
(٢٩) تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ٢٨١ .
(٣٠) المفضليات ص ٢٠٨ . أوردنا ترجمة محققى المفضليات لأنها أوفى ترجمة .

ديوان شعر

توفى جابر بعد حروب كلاب بزمان نحو سنة ٥٦٤م[٣١] . وذهب الزركلى إلا أنه توفى عام (٦٠ق - هـ - ٥٦٠ م)[٣٢] .

وانا لا أزعم أنى استقصيت شعر جابر بن حنى كله ، فهذا أمر مطلبه عسير وبلوغه مطمح يدخل بنا فى دائرة المستحيل ؛ فقديما قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا اقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير »[٣٣] .

وقال ابن قُتَيْبَة : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفد عمره فى التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال ، ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها[٣٤] .

فإذا كانت تلك شهادة اثنين من علماء العربية البارزين ، وقد كانا قريبى عهد بالشعراء وثيقى الصلة ببيئاتهم !

وإذا كانت مؤلفاتهم التى جاءت ترجمة أمينة لما لمسوه من عجز عن الاستقصاء لم تصلنا كاملة ، حيث ضاع منها ماضاع ، وضل طريقه منها ماضل !

وإذا كانت قدراتنا البشرية المحدودة تحول دون الاطلاع على كل ماوصلنا من تراثهم مطبوعاً كان أم مخطوطاً .. فإنه يثبت لدينا - بمالا يدع مجالاً للشك - أن الشعر الذى توصلت إليه جزء قليل من كم شعرى ضخم عدت عليه عوادى الزمان ، وابتلعته رمال الصحراء كما التهمت أشلاء مُبْدِعِه ، وارتوت بدماء حملته وناقليه .

هذا ولقد توفر لدَّى مايشير إلى تلك الظاهرة ويؤكد حدوثها ، فوجود (المقطوعات) بين المنتج الشعرى يدل دلالة قاطعة على أن هذه المقطوعات نزعت من قصائد مطولة ضلت طريقها ولم تصلنا بعد ، فالمعانى فيها تبدو ناقصة مبتورة جىء بها لتناسب طبيعة مصنف أو تتفق ومزاج رَاوٍ .

وعليه فإن كنتُ قد علمتُ بعض الأشياء عن « جابر بن حنى » فقد غابت عنى أشياء كثيرة ، وإن كنت قد استطعت استكشاف بعض الآفاق فإن ثمة آفاقا أخرى أوسع وأرحب لم ارتدها بعد . وفى نقدات أساتذتى وزملائى الباحثين مايرشدنى - بإذن الله - إلى سد ثغرة أو إصلاح ثلمة .

"أيمن محمد ميدان"

قال جابر بن حنى التغلبى[١] « الطويل »

(١) ولَسْنَا كأَقْوَامٍ قَرِيبٍ مَحَلُّهُمْ
وَلَسْنَـا كمَنْ يُـرْضِيكمُ بِـالتَّمَلُّقِ

(٢) فَسَائِلْ شُرَحْبيلاً بِنا وُمَحلِّما
غَدَاةَ نَكرُّ الْخَيْلَ فى كُلّ خَنْـدَقِ

(٣١) شعراء النصرانية ١/١٩٠ .
(٣٢) الاعلام ٢/٩٠
(٣٣) طبقات فحول الشعراء ١/٢٥ .
(٣٤) الشعر والشعراء ١/٤ .
الحيوان ٣/١٣٥

(١) التملق : المواربة والمداهنة . ورد البيت برواية ثانية فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ ، ونسب إلى « رجل يرثى حُنياً التغلبى لما قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند » .
لسنا ——— ——— يرضونكم ———
والبيت برواية (ديوان عمرو) حدث فيه « خرم » على حد تعبير العروضيين .

(٢) شرحبيل بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر بن أكل المرار الكندى ، والذى ولاه أبوه على بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبنى زيد بن تميم وبنى أُسَيِّد وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرباب .. وقتله أبو حنش التغلبى يوم الكلاب الأول .
ورد البيت برواية ثانية فى ديوان عمرو ص ٦٠٥ منسوبا لرجل يرثى حُنَيا التغلبى :
——— شراحيلا ——— ——— تكرُّ الْخَيْلُ ———

(٣) لَعَمْرُكَ مَاعَمرُو بنُ هِندٍ وَقَدْ دَعَا
لِتَخْدِمَ لَيْلَى أُمَّهُ بِمُوَفَّقِ

(٤) فَقَامَ ابنُ كُلْثُومٍ إلى السَّيفِ مُغْضَبًا
فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمُخَنَّقِ

(٥) وَعَمَّمَهُ عَمْداً على الراسِ ضَرْبَةً
بذى شُطَبٍ صافى الحَديدَةِ مُخْفَقِ

وقال جَابرَ بن حُنَىّ(*) « المتقارب »

أَجِدُّوا النِّعَالَ لِأَقْدامِكُمْ
أَجِدُّوا فَوَيْهَا لَكُمْ جَرْوَلُ(١)

وَأَبلِغ سَلَامَانَ إنْ جِئْتَهَا
(فَلَايَكُ شِبْهاً لَهَا المِغزَلُ)(٢)

يُكَسِّ الْأَنَامَ وَيُعْرِى اسْتَهُ
وَيَنْسَلُّ مِنْ خَلْفِهِ الأسفَلُ(٣)

---

(٣) عمرو بن هند : أمير الحيرة ، قتله عمرو بن كلثوم فى عقر داره ، وبين رهطه ورجاله . وليلى كانت ابنة فارس وزوجة فارس وأم فارس ، فهى ابنة مهلهل وزوجة كلثوم بن عتّاب وأم عمرو بن كلثوم احد فُتّاك العرب ، فقالت العرب « أَفْتَكُ من عمرو » . ولقد بلغت ليلى من الجاه مبلغاً عظيما دفع عمرو بن هند إلى أن يتخذ منها مدخلاً للنكاية بتغلب ، فنال جزاء من تُسَوِّلُ له نفسه النيل من عِزّة تغلب .

ورد البيت برواية الحيوان فى : ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ وفى الكامل فى التاريخ ١/٥٤٩ منسوبا لأفنون التغلبى . وفى نقائض جرير والفرزدق ص ٨٨٦ منسوبا لأفنون التغلبى ، وفى الأغانى ١١/٥٥ منسوبا لأفنون ، وعلق المحقق فى الهامش قائلاً : « فى أصول الأغانى « لتخدم أُمّى أمَّهُ » والتصويب من النقائض » .

وورد البيت برواية ثانية فى : الشعر والشعراء ١/٤١٩ منسوبا لأفنون التغلبى :

______ إذَا دَعَا
لِتَخْدِمَ امِّى امَّهُ بِمُوَفَّقِ

(٤) مُغْضَباً : ثائراً.والندمان : رفيق الشراب ، والمخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

ورد البيت برواية ثانية فى : الكامل لابن الأثير ١/٥٤٩ منسوبا لأفنون التغلبى :

______ مُصْلِتاً ______ نَدْمَانِهِ ______

أَصْلَتَ السيف : جَرَّدَه من غمده فهو مُصْلَت بفتح اللام وكسرها .

وورد برواية ثالثة فى : النقائض ص ٨٨٦ ، وفى الأغانى ١١/٥٥ منسوبا لأفنون التغلبى :

______ مُصْلَتاً ______

(٥) عَمَّمَهُ : ضَرَبه فى موضع العمامة من الراس . وَشُطَبُ السيف : طرائقه فى مَتْنه من شدة بريقه ، والواحدة شطبة . والمخفق : العريض من السيوف ورد البيت برواية ثانية فى : الأغانى ١١/٥٥ منسوبا لأفنون التغلبى ، وفى النقائض ص ٨٨٦ منسوبا ايضا لأفنون :

وَجَلَّله عمرو ______ رَوْنَقِ

والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه .

وبرواية ثالثة فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ منسوبا لرجل يرثى حُنيًّا التغلبى .

فَعَمَّمَهُ ______ ______

(١) اجدوا النعال : اتخذوها جديدة . ويها : اسم فعل يُغْرَى به ، ولا يجىء إلا مُنَوَّناً.وذاك علامة لتنكيرة . جَرْوَل : جرول بن مجاشع وكان له عشرة بنين سماهم كلهم بأسماء الوحوش ، وكان أجبن الناس مع منظره وهيئته .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : الحماسة لأبى تمام ٢/٢٠٠ ، وشرحها للتبريزى ٤/٢٣ . وشعراء النصرانية ١/١٩١ .

وبرواية ثانية فى : شرح الحماسة للمرزوقى ١٤٧١ :

______ بأَقْدَامِكُمْ ______

(٢) سلامان : قبيلة من همدانَ . المِغْزل : ما تغزل به المرأة الصوف وغيره من الأنسجة ، وتميم تكسر الميم ، وقيس تضمها ، أما فتحها فقليل نادر . قوله « فلايك شبها لها المغزل » هو الرسالة المرجو إبلاغها والمعنى : لا يكون سبيلكم سبيل من ينفع الغير ويضر نفسه كالمغزل الذى يكسو الخلق ، ويجعل استه عُرْيَان .

ورد البيت بروايته السابقة فى : الحماسة لأبى تمام ٢/٢٠١ ، وشرحها للمرزوقى ١٤٧١ ، وشرحها للتبريزى ٤/٢٣ ، وشعراء النصرانية ١/١٩١ .

(٣) يُكَسى : يغطى ويستر . الأنام : الخلق . يُعْرِى : يكشف . استه : مؤخرته . ينسل : من الانسلال وهو الخروج . ويعلق التبريزي : « سلامان كانت تقتحم اهوالاً غنمها يصير لغيرها ، وغرمها يكون لها فلذلك جعل المغزل مثلاً لها » .

* ورد البيت بالرواية السابقة فى : ديوان الحماسة لأبى تمام ٢/٢٠١ وشعراء النصرانية ١/١٩١ .

* وبرواية ثانية فى : شرح الحماسة للمرزوقى ١٤٧١ :

______
______ من خَلْفِهِ ______

وعلّق قائلاً : اما قوله « وينسل من خلفه الأسفل » فإنّه كان يروى « من خلفه » بالفاء ، وليس يصح له معنى ، والمستقيم « من خلعه » الأسفل » وذلك أن المغزل ينسل بأن يختلع كبته ، وهذا ظاهر » .

* وبرواية ثالثة فى : شرح الحماسة للتبريزى ٣/٢٣

______ وَيُعَرِّى ______
______

* وأشار التبريزى إلى رواية رابعة « وَيَنْسِلُ » من نسل ريش الطائر إذا سقط .

ديوان شعر

فَــإِنَّ بُجَيْـراً وأشْيَـاعَـهُ
كَمَـا تَبْحَثُ الشَّـاةُ إِذْ تَـدْأَلُ(٤)

اثَـارَتْ عَـلَى الحَتْفِ فَـاُغْتَـالَهـا
فَمَـرَّ عَـلَى حَلْقِـهَـا الْمـغْـوَلُ(٥)

(٤) بُجَير : اسم رجل . أشياعه : اتباعه ومناصروه . تَدْأَل : من (الدَأَلان) ذكره الأصمعى فى وصفه مشى الخيل فقال : هو مشـى يُقارَبُ فيه الخطو ، ويبغى فيه كأنه مثقل من حمل . وقال ابن الأعرابى : عدو مقارب وقال ابن سيده : وهو مشية فيها . وهذا مثل يضرب لكل من أعان على حَتْفِ نفسه .

البيت ورد بالرواية السابقة فى : الحماسة لأبى تمام ٢٠١/٢ ، وشرح الحماسة للتبريزى ٢٣/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩١/١ . وبرواية ثانية فى : شرحها للمرزوقى :

—————— تَدَأَّلُ

والدَّألان : مشى النشيط .

(٥) الحتف : الموت أو الهلاك . اغتالها : أهلكها وأخذها من حيث لم تدر . الحَلْق : مساغ الطعام والشراب فى المرىء ، وقال الأزهرى : مخرج النفس من الحلقوم ، وموضع الذبح هو أيضا ، وقال أبو زيد : الحلق موضع الغلصمة والمذبح . المِغْوَل : سوط فى جوفه سيف .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : شرح الحماسة للمرزوقى ١٤٧٣ وشرح الحماسة للتبريزى ط/٢٣ . وورد برواية ثانية فى : حماسة أبى تمام ٢٠١/٢ وشعراء النصرانية ١٩١/١ .

—————— عَن ——————

(٦) مُونِق : حسن معجب . غدير : قطعة ماء تغادرها السيول ، اى تتركها . جِزْع مُبْقِل : وادٍ مُخْصِب .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : الحماسة ٢٠٢/٢ ، وشرحها للمرزوقى ١٤٧٣ ، وشرحها للتبريزى ٢٣/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩١/١ .

وأضاف التبريزى قائلاً : « لك أن تروى مونق بالرفع فتكون صفة لآخر . ومونق بالجر فيكون للعهد » .

وردت الأبيات الستة السالفة الذكر منسوبة « لجابر » فقط فى كل من : الحماسة لأبى تمام ٢٠٠/٢ ـ ٢٠٢ ، وشرحها للمرزوقى ١٤٧١ ـ ١٤٧٣ وشرحها للتبريزى ٢٣/٤ .

وجاءت منسوبة لجابر بن حُنَيّ فى « شعراء النصرانية » ١٩١/١ فأثبتناها كما وردت لديه ، فربما اطلع الرجل على مصادر لم تتوافر لنا .

وآخِـرُ عَـهْـدٍ لَـهـا مُـونِـقٌ
غَـديـرٌ وَجـزْعٌ لَهَـا مُبْقِـلُ(٦)

وقال جابر بن حنى التغلبى(٣) « الرجز »

هَذا أوانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِى زِيَمْ(١)

قَدْ لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ(٢)

اوان الشد : وقت العدو فاستفرغى جهدك ، وهذا مثل يضرب فى الأمر بالجد،وقد تمثل به الحجاج حين أزعج الناس لقتال الخوارج .
زيم : اسم فرس ، اختلف فى نسبتها : فقد ذهب ابن الكلبى فى كتابه « انساب الخيل » ص ٨٠ إلى أن « زيم من خيل وائل وابوها الأسطع وكان للاخنس بن شهاب ... » .

وذهب ابن الأعرابى فى كتابه « أسماء خيل العرب وفرسانها » ص ٨٦ إلى ان فرس جابر بن حنى زيم ... » . وجاراه ابن منظور فى اللسان « زيم » . واضاف صاحب القاموس : « أن فرسا اخرى بهذا الاسم للاخنس .... » .

ورد البيت بروايته السابقة فى :

أنساب الخيل ص ٨٥ منسوبا للاخنس بن شهاب ، وفى « اسماء خيل العرب وفرسانها » ص ٨٦ لجابر بن حنى . وفى « جمهرة الأمثال » ٣٦٢/٢ لابن رُمَيْض ، وفى « مجمع الأمثال » ٣٩١/٢ بلا نسبة لشاعر ، وفى « تمثال الأمثال » ٥٨٠/٢ مع ذكر الخلاف فى نسبته بين الأخنس . ورشيد بن رميض والحطم القيسى . وفى لسان العرب « زيم » لجابر بن حنين ـ وهو تصحيف .

(٢) رجل حطم : إذا كان قليل الرحمة بالماشية يهشم بعضها ببعض ، وقال ابن برى : « وقوله بسواق حطم : اى رجل شديد السوق لها يحطمها لشدة سوقه ، وهذا مثل . ولم يرد إبلاً بسوقها ، وإنما يريد أنه داهية متصرف،وهنا جعل الفعل لليل على المجاز . والمعنى جمعها برجل متناهى القوة عنيف السوق .

ورد البيت بروايته السابقة فى : أنساب الخيل ص ٨٥ للاخنس ابن شهاب ، وفى اسماء الخيل وفرسانها ص ٨٦ لجابر بن حنى ، وفى حماسة ابى تمام ٩٥/١ ، وفى شرحها للمرزوقى ٣٥٤/١ لابن رميض العنبرى ، وفى الحماسة البصرية ١٠٣/١ لرشيد بن رميض وفى الكامل ٣٠١/٣ ، وفى « ماينصرف وما لا ينصرف » ص ٣٩ بلا نسبة لشاعر ، وفى « تمثال الأمثال » ٥٨١/٢ ـ ٥٨٢ ، حيث أورد الخلاف فى نسبته إلى كل من : الأخنس بن شهاب والحطم القيسى ورشيد بن رميض . وفى « شرح ابيات سيبويه » للنحاس ٢٨٦/٢ للحطم القيسى ، واضاف قائلاً « هذا البيت يُختلف فى قائله ، ووجدته لأبى زغيبة الأنصارى فى شعر قاله فى يوم احد . أوله : انـا ابـن زُغَيْبَـةَ اعـدو بـالـهـرم

وورد أيضاً فى « لسان العرب » حطم ، حيث اشار ابن برى إلى الخلاف فى نسبته بين الحطم القيسى وابى زغبة الخزرجى ، ورشيد ابن رميض .

لَيْسَ بِرَاعِى إبِلٍ وَلا غَنَمْ (٣) لا عيش إلَّا الطَّعْن في يـوم البُهَمْ (٦)

ولا بِجَزّارٍ على ظَهْرِ وَضَم (٤) مثلى على مثلكَ يدَّعى العُظَمْ (٧)

مُهَفهَفُ الْكَشْحَين خَفَّاق الْقَدَمْ (٥)

يتبع

---

(٣) ، (٤) الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب او بارية يوقى بها من الارض . والوضم ماوضع عليه الطعام فأكل ، يقول : لا يرفق هذا الرجل بوسائقه رفق الرعاة ولا رفق الجزار ، وذلك أن الراعى مُكْترى لاستصلاح مَرْعِيِّه ، وحفظ ماضم إليه بجهده،والجزار لايستهلك ماله ، ولا يعنف عنف من لا يبالى وهذه صفة المغوار .

البيتان وردا وبلا خلاف فى الرواية فى : « انساب الخيل » ص ٨٥ للأخنس بن شهاب « وفى أسماء الخيل وفرسانها » ص ٨٦ لجابر بن حنى ، وفى حماسة ابى تمام ١/ ٩٥ وشرحها للمرزوقى ١/ ٤٥٣ لابن رميض . وفى شرحها للتبريزى ١/ ١٨٤ ـ ١٠٨٥ لرشيد بن رميض وفى الحماسة البصرية ١/ ١٠٣ لرشيد بن رميض ، وفى جمهرة الأمثال ٢/ ٣٦٢ لابن رميض ، وفى تمثال الأمثال ٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٢ حيث ذكر الخلاف فى نسبتهما بين كل من الأخنس ورميض والحطم وفى لسان العرب (حطم) لرشيد بن رميض العنبرى .

(٥) مهفهف : خميصُ البطن دقيق الخصر . الكشح : مابين الخاصرة إلى الضلع ، وفى الخلف من لدن السرة إلى المتن . خفاق القدم : سريع الخطو ، ضراب بها الأرض يسمع لها خفقان لشدة وطئه . يصفه بأنه غليظ الساقين ، ولوطئه الأرض صوت ، ولقدمه خفق .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : انساب الخيل ص ٨٥ للأخنس ابن شهاب التغلبى وفى « أسماء خيل العرب وفرسانها » ص ٨٦ لجابر بن حنى ، وفى لسان العرب « خفق » بلا نسبة لشاعر :

وبرواية ثانية هى :

خدلَّج السَّاقين خَفَّاقُ القَدَمْ

خدلج الساقين اى ممتلئهما . وردت فى : الحماسة لأبى تمام ١/ ٩٥ وفى شرحها للمرزوقى ١/ ٣٥٤ لابن رُمَيْض ، وفى شرحها للتبريزى ١/ ١٨٤ ـ ١٨٥ لرشيد بن رميض ، وفى الحماسة البصرية ١/ ١٠٣ لرشيد بن رميض ، وفى سمط اللآلىء ص ٧٢٩ للحطم القيسى ، وفى جمهرة الأمثال ٢/ ٣٦٢ لابن رميض ، وفى تمثال الأمثال ٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٢ لرشيد بن رميض ، وفى لسان العرب « حطم » لرشيد بن رميض ، وأيضاً فى لسان العرب (خفق) لأبى زُغْبَة الخزرجى وللحطم القيسى .

(٦) الطَّعْن : الوخز بالحربة وغيرها . والبُهَم : مفردها البُهْمَةَ ، والبهمة : السواد والبهمة : جماعة الفرسان .

(٧) يَدَّعى : ضَعَّف الدال لاتِّسَاقِ الوزن للبيت . البيتان السادس والسابع وردا منسوبين للأخنس بن شهاب فى كل من : انساب الخيل ص ٨٥ ، وفى تمثال الأمثال ٢/ ٥٨٠ .

وورد البيت السادس برواية ثانية فى : تمثال الأمثال ٢/ ٥٨٠ :

لَا عَيْشَ إِلَّا الطَّعْن فى الْقَوْمِ الْبُهَمْ

السمات العامة لأسلوب الرافعي

منذ مدة ليست قصيرة وأنا أهاب الكتابة عن الرافعي ، وعن أسلوب النثر الفني لديه خاصة ، ذلك أن الرجل قمة أدبية عالية ، ومدرسة بيانية متفردة ، تحتاج إلى مزيد من التأمل في الكثير مما كتب ، فضلاً عن الإحاطة بظروف العصر الذى عاش فيه ، وملامح الصراع الحضارى الذى كان واحداً من أبرز ممثليه . ولكن هاجساً اخذ يلحّ في داخلي يدعوني إلى الإسراع في قراءة أدب الرجل واستخلاص بعض القيم الفنية فيه ، خاصة بعد مالاحظت من إهمال متعمد وغير متعمد لآثاره بالقياس إلى الأدباء الذين عاصروه والذين اشتبك معهم في معارك مشهودة .

وربما كان وراء هذا الغمط الواضح لأهمية الرافعى ومنزلته في الأدب الحديث إحساس تعمق لدى النقاد من جيله ، وفى الجيل الذى تلاه . ذلك الإحساس المتمثل بالنظر إلى أدب الرافعى على أنه يمثل المدرسة القديمة ، وأن خصومه يمثلون المدرسة الجديدة ، وسمّوا الصراع بينهم صراعاً بين (القديم والجديد) . ولهذه التسمية دلالتها النفسية فى الصراع ، وفي الجيل الذي كان يلهث وراء « الجديد » !! فبما أن الرافعى يمثل المدرسة القديمة ـ هكذا جُزافاً ـ إذاً فلنولِ وجهنا شطر أدب غيره فى المجددين . والواقع أن جيلنا لم يكن يدرك أن اتهام الرافعى باحتذاء النماذج الرفيعة من الأدب العربي وتقليدها ، يخفى وراءه تغطية التقليد للآداب الأوروبية وإعلاء شأنها !

ومع ذلك ، فإن هناك من الأدباء من أنصف الرافعى ووضعه فى الرتبة اللائقة به ، مثل أحمد حسن الزيات الذى قال فى مجلة الرسالة (فإذا قيل لك بأن الرافعى قديم الأسلوب في التفكير والتعبير ، فاحمل ذلك على الحسد الذي لا حيلة فيه ، وعلى الجهل الذى لا حكم معه)[1] ، وكتاب آخرين فسروا لنا الظلم الذي لحق بالرجل وبأدبه ، كما سيمر بنا فى البحث ، ولكن تبقى هذه الكتابات أقل بكثير مما يستحق الرافعى ، وأقل بكثير مما كتب عن غيره . وعمن هو أقل منه منزلة ، لا لشىء إلا لأن الرافعى إسلامى النزعة ، وأولئك أوربيو الهوى !

---

١ ـ وحى الرسالة ، دار نهضة مصر ، ط ٨ ، جـ ١ ، س٢ ، ص ٤٣٩ .

وعلى الرغم من أهمية الحديث عن الاتجاه الفكرى لدى الرافعى ، ولكننا سوف نقف عند الحديث عن السمات الفنية في نثره كما تبدت لنا خلال مطالعتنا أغلب كتبه ، ولكننا قد نستضىء بالموقف الفكرى لمعرفة الخصائص الفنية ودوافعها لدى هذا الأديب أو ذاك .

اولاً : الأصالة والتفرد :

وهى من أبرز السمات الشخصية والفنية لدى الرافعى ، وهى السمة التى تلج بالإنسان في عالم الأدب الحقيقي ، فلا يكون عيالاً على أحد ، ولا يسلك منهج واحد من الأدباء السابقين أو اللاحقين على الرغم من أنه تعمق نتاجاتهم جميعاً ، ولقد كان الرافعى أصيلاً فى موقفه الفكرى حين اعتمد على المقومات الحقيقية لكيان الأمة ، ونبذ التغريب والتبعية للحضارة الأوروبية ، فجند طاقاته كلها من أجل هذا الهدف ، كما كان أصيلاً فى أدواته الفنية ، وهذا يرتبط بطبيعة الحال ، بالتكوين الثقافي والنفسي للرجل ، حتى قيل بأن « الأسلوب هو الرجل » .

فلا أسلوبه بأسلوب عبد الحميد الكاتب أو الجاحظ أو ابن العميد أو أبى إسحق الصابي من القدماء ، ولا هو بأسلوب اليازجي أو المويلحي أو العقاد أو المنفلوطي أو طه حسين من المحدثين . والرجل ـ بهذا ـ علم متميز بذاته ، ومدرسة نسيج وحدها فى اللغة والتصوير والصياغة . وليس الغرابة فى أنه لم ينسج على منوال أسلوب قديم أو حديث ، بل الغرابة فى أنه من الصعب على أحد أن يكون الرافعى فى أسلوبه ، في حين أن باستطاعتك أن تكتب على غرار ما يكتب طه حسين مثلاً !

ولقد أشار الزيات في مقالته عن الرافعى إلى ذلك فقال : « رحم الله الرافعى ، لقد كان في الكتاب طريقة وحده ، وحسب الكاتب مزية ألا يكون لأسلوبه ضريع فى الأدب كله .. وتستطيع أن تتحدى من تشاء أن يدلك على كاتب يترسم الرافعى مواقع قلمه أو قدمه »[٢] .

وحتى في اتجاهه ومذهبه النقدى يصدر عن طبع خاص لا يشبه أحداً ممن عاصروه ، وهذا ما أشار إليه الدكتور عمر الدسوقى بقوله : « على أننا نظلم الرافعى إذا نحن أدرجناه ضمن أنصار المدرسة القديمة فى النقد ، تلك التى عنيت بالنقد اللغوى دون سواه . فالحق أن للرافعى آراء جديدة كلَّ الجدة فى نقد الشعر ، وهو لا ينتسب فى نقده لمدرسة من المدارس ، انجليزية أو فرنسية ، وإنما نقدُهُ وليد بصيرته النفاذة وطبعه الصافى ، وتأثره بالحركة التجديدية المعاصرة له بعض التأثر »[٣] .

ولكن ، بشكل عام فإن الرافعى كان يترسم الأساليب الرفيعة وينحو منحى يبتعد بها عن الأساليب التى لوثتها الترجمة والرطانة الأجنبية التى كان يشن عليها هجوماً عنيفاً في كثير من

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٤٣٩ .

٣ ـ فى الأدب الحديث ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ٧ . ١٩٧٠ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

السمات العامة لأسلوب الرافعى

كتاباته .(٤) وربما استطاعت الصفحات القادمة أن تضىء بعض الجوانب المتعلقة بأصالة الرافعى وتفرده .

ثانياً : الصلة بالأسلوب القرآنى والتراث الإسلامى :

يختلف الأدباء فى سبل تعاملهم مع القرآن قديماً وحديثاً ، فمنهم من يلجأ إلى الاقتباس المباشر الذى لا يدل على براعة أو عبقرية بقدر ما يدل على الحفظ والذاكرة ، ومنهم من يستوحيه استيحاءً ، ويتعامل معه كما يتعامل الرمزيون مع مظاهر الطبيعة الحية .

وذلك كله يرجع إلى موهبة الأديب وقدرته على تمرير ما وعته ذاكرته وعقله على قلبه ووجدانه ، ليكون ذلك الأثر وكأنه من إنشائه هو وإبداعه .

وهكذا كان يفعل الرافعى مع القرآن ، فلا يتعامل معه كما يتعامل أصحاب الصناعة من الشعراء والكتاب ، بل إن المعانى القرآنية تتعمق وجدانه ، فتصبح جزءاً من كيانه ، وحين تصدر عنه ، فهى تصدر وعليها لهب من وجدانه ، وأنفاس من إحساسه . والرافعى لا يعيش القرآن ألفاظاً ومفردات ، ولا صوراً ومجازات ثابتة ، ولكنه يحيا روح القرآن بجملته فيكتب وهو تحت تأثير هذه الروح ووحيها وإلهامها . انظر إليه وهو يكتب فى حديث القمر : « إن كل لفظة من لغة الطبيعة فى تفسير معنى الحب كأنها صلصلة المَلَك الذى يفجأ الأنبياء بالوحى أول العهد بالرسالة !)(٥)

للرافعى إذاً طريقة خاصة فى استيحاء القرآن ليست من قبيل الاقتباس ، ولا حتى التضمين ، ولا حتى ما سماه بعض النقاد بـ « التقطير » كسمة بارزة من سمات أسلوب الرافعى(٦) ، بل هو الفيض الإلهى الذى يعيشه الرافعى روحا ، ويسترسل معه أسلوبا . ولقد التفت الرجل السياسى سعد زغلول ، وهو يقرظ كتاب « إعجاز القرآن » للرافعى ، إلى هذه الروح القرآنية ، فقال : « بيانٌ كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم »(٧) . وهو كلام يصدق على مسماه .

ومن العجيب الغريب أن تنبه الرافعى إحدى الصحف العربية التى كانت تصدر فى أمريكا بأنه لو ترك « الجملة القرآنية » لكان مذهباً وحده فى البيان ! فى حين أن الرافعى كان يعتقد أن فى هذه « الجملة » يكمن سر إبداعه . فيقول :

« ولقد وقفت طويلاً عند قولها « الجملة القرآنية » ، فظهر لى فى نور هذه الكلمة ما لم أكن أراه من قبل ، حتى لكأنها « المكرسكوب » ، وما يجهر به من الجراثيم مما يكون خفياً فيستعلن ، ودقيقاً فيستعظم ، وما يكون كأنه لا شىء ، ومع ذلك لا تعرف العلل الكبرى إلا به »(٨) .

أما صلتُهُ بالتراث الذى صنعه القرآن فهى صلة قديمة منذ أن كان شاباً يافعاً ، وذلك بعد أن حفظ القرآن وتدارسه على يد والده العالم

---

٤ ـ يراجع ، مثلاً تحت راية القرآن : المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٩٦٦ ، ط ٦ ، ص ٢٦ .

٥ ـ المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٦٤ ، ص ١٧

٦ ـ د . أحمد هيكل تطور الأدب الحديث فى مصر ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ١٩٧١ ، ص ٣٨٧ .

٧ ـ وحى القلم ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط ٧ ، س ٢ ، ص ١ .

٨ ـ تحت رايه القرآن ، ص ٢٤ .

الجليل ، ثم أكبّ على كتب التراث وعياً وحفظاً بعد أن انقطع عن مواصلة دراسته الرسمية .

ولقد قيل إنه حفظ نهج البلاغة ولم يبلغ العشرين فى القطار بين طلخا حيث كان يعمل ، وطنطا حيث سكنه ومأواه[٩] ، بالإضافة إلى عيون التراث الأخرى من نثر وشعر بشكل يقل أن يتفق لمثل عمره إلا للقلة من رجال عصره .

ثالثاً : النزعة البيانية :

تأصلت هذه النزعة فى نفس الرافعى وأسلوبه من خلال دربة مبكرة على كتاب العربية الأكبر ، القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وروائع النثر والخطب والشعر فى عصور العطاء والازدهار فى الإسلام ، فأكسبته ملكة وموهبة عمقت إحساسه بأسرار اللغة وسحر البيان ، يساعده على ذلك فطرة صافية واستعداد أصيل ، وطبع موفور . وقد كان علمه الغزير بالعربية وأسرار بيانها قد أهله إلى أن يجتهد فى اشتقاقها ويفلسف النظر فى تراكيبها وخصائصها ، وقد قال عنه الزيات : « كان الرافعى ـ رحمه الله ـ حجة فى علوم اللسان ، ثقة فى فنون الأدب ، عليماً بأسرار اللغة .. فكنتُ إذا ذاكرتُهُ فى شىء من دقائق النحو وخواص التراكيب وفروق اللغات وجدتُهُ على ظهر لسانه ، كأنما انصرف من مراجعته لوقته »[١٠] .

وإذا أردنا أن نتعرف على حدود هذه النزعة فإنها تتمثل ، كما أشرنا ، بالطبع الفياض القوى المتفرد الذى لا تملك إزاءه إلا الانبهار والتسليم وكأنه الحجة البالغة دونما حجة ! والرافعى نفسه وضح لنا ذلك الفرق بين الأدب وظاهره بأنه كالفرق بين المعجزة والحيلة[١١] ، وشتان بينهما !! ومهما قيل عن صنعة الرافعى ، وهو ما سنشير إليه فى النقاط التالية من البحث ، فهى صنعة تضيع مع قوة هذا الفيض الطبعى الأصيل .

أما الحد الثانى لهذه النزعة فهو الأخذ بالتراكيب العربية والجرى على نهج الفصحاء ، ولكن ذلك لم يذهب بطابع الشخصية فى أدب الرافعى ، بل هو ميسم بارز فى أدبه . فأدبه ، إذاً ارتكان إلى النماذج العليا فى أدب العربية ، ولكنه فى الوقت نفسه يُمَرَّرُ على قلب الرافعى وفلسفته وظروف عصره ، فلا يصبح إلا وعليه مسحة الشخصية الرافعية ، ومسحة عصر الرافعى ، وجمال الفن الذى يصنعه فنان . وحتى الذين انتقدوه ، أمثال طه حسين وسلامة موسى لم يعدموا الإحساس والتصديق بروعة فنه وجماله ، ولكنهم آخذوه من ناحية « ذوق العصر »[١٢] ، وفارق كبير بين اتجاهين ، أحدهما يريد حمل القراء على احتذاء الأساليب الرفيعة ، واتجاه يسير فى ركاب « التحديث » الذى يعنى النزول على أساليب الترجمة الغربية ويذهب بأصالة العربية .

اما الحد الثالث ، فهو الميل إلى التصوير ، واستثمار اقصى ما فى اللغة من طاقة المجاز ، لا على طريقة المجاز المستهلك المصنوع ، ولكن المجاز الذى تحس أنه وليد تجربة الفنان وثمرة رؤيته الشمولية . إن هذا الميل التصويرى لدى الرافعى لم يكن وقفاً على الكتب ذات الطابع الأدبى المحض مثل « حديث القمر » و« أوراق

٩ ـ د . حلمى مرزوق ، تطور النقد والتفكير الأدبى الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣ ، ص ٣٦٠ .

١٠ ـ وحى الرسالة ، حـ ١ ، ص ٤٤١ .

١١ ـ مقدمة الجزء الأول من ديوان الرافعى ، نقلا عن د . حلمى مرزوق ، ص ٣٦٨ .

١٢ ـ تطور النقد والتفكير الأدبى الحديث ، ص ٣٦٩ .

السمات العامة لأسلوب الرافعى

الورد » و« السحاب الأحمر » ، بل هو سمة عامة فى كتابات الرافعى كلها ، سواء تعلق الأمر بالدفاع عن أدبه ودحض خصومه ، أو تعلق ببيان حقيقة إسلامية أو قضية اجتماعية وسياسية .

ويلاحظ أن مادة هذا التصوير تستوحى لغتها فى أغلب الأحيان من عناصر الطبيعة من ضوء وعطر وبحر وشجر وهى مادة ليست محدودة تمد الفنانين بعوالم واسعة من المجاز والتوليد والإبداع . يقول الرافعى فى مقال « الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام » فى الربط بين الحياة والدين والنبوة : « كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر يُنبوع الضوء المسمى بالنهار ، يولد النبى فيوجد فى الإنسانية يُنبوع النور المسمى الدين ، وليس النهار إلا يقظة الحياة ، تحقق أعمالها ، وليس الـديـن إلا يقظـة النفس تحقق فضائلها »(١٣) . ويقول أيضاً ، فى مقال « حقيقة المسلم » : « وكأن الله تعالى ألقى فى رمال الجزيرة روح البحر ، وبعثها بعثه لأمره ، فكان النبى ﷺ هو نقطة المد التى يفور البحر منها ، وكأن المسلمين أمواجه التى غسلت بها الدنيا »(١٤) .

هذه المادة الطبيعية هى الغالبة على اللغة الأدبية هنا ، وفى مواضع أخرى نجد اللغة القرآنية ، ولغة الحياة اليومية ، ولغة السياسة والاجتماع ، ولكنها تأتى بالدرجة الثانية بعد عناصر الطبيعة .

« يتبع »

١٣ ـ وحى القلم ، حـ ٢ ، ص ٣ .

١٤ ـ المصدر نفسه ، حـ ٢ ، ص ١٤

الفتاوى

إعداد/ عبد الحميد شاهين
على حامد

س١ : هل يجوز ترجمة خطبة الجمعة من فوق المنبر ؟

وإذا جازت : فهل تكون الترجمة قبل الخطبة بالعربية أو بعدها ، وهل الأمر كذلك بالنسبة للخطبة الثانية .؟

جـ١ : يشترط فى الخطبتين أن تكون أركانهما بالعربية إن كان فى الحاضرين من يفهمها ، فإن لم يكن فى الحاضرين من يفهمها جازت الأركان بغير العربية كغيرها ، إلا القرآن الكريم فإنه لا يقرأ إلا بالعربية .

وشرعت الترجمة ، حتى يتحقق المقصود من الخطبتين . والأنسب فى الترجمة أن تكون فورية مادام ذلك مستطاعاً ، فإن لم يمكن فالأولى أن تكون الترجمة قبل الخطبة حتى يفهم السامعون .

الفتح على الخطيب

س٢ : يخطىء الخطيب فى الآية : فما مدى التزام المستمعين بالرد عليه بحكم جلوسهم فى المسجد قريباً منه أو بعيداً عنه ؟..

جـ٢ : إن الفتح(*) على الإمام بتصحيح قراءته إذا أخطأ واجب على المأمومين إذا كان الخطأ فى قراءة الفاتحة ، واستمر الإمام فى قراءته حتى تصح القراءة والصلاة .

أما إذا كان الخطأ فى غير الفاتحة فإنه يشرع للمأموم أن يرد عليه إذا استمر فى قراءته كذلك .

والفتح على الخطيب أولى من الفتح على الإمام فى الصلاة إذا أخطأ فى قراءة الفاتحة أو القرآن ، وعلى المستمعين أن يفتح واحد منهم على الخطيب قريباً كان أو بعيداً ، والأولى القريب إذا وُجِدَ حتى لايكون هناك تشويش أثناء الخطبة .

كلام الخطيب ... والمستمع ..

س٣ : ما المدى المسموح به للمستمع أن يكلم الخطيب ؟ وللخطيب أن يكلم المستمع ؟ ..

جـ٣ : عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه

(*) المراد بالفتح : الرد

الفتـــاوى

قال : دخل رجل يوم الجمعة والنبى ﷺ يخطب ، فقال : صليت ؟ قال لا ، قال : قم فصل ركعتين (متفق عليه) .

وقال ﷺ : لمن سأله متى الساعة ؟ قال : ماأعددت لها ، فقال : حب الله ورسوله ، فقال : إنك مع من أحببت .

فبالحديث الأول قد بدأ الرسولُ ﷺ ، أحدَ المستمعين بالكلام ، وفي الحديث الثاني : بدأ أحد المستمعين بالكلام ، ولم ينكر عليه ﷺ الكلام ، ولم يبين له وجوب السكوت ، وكل من الأمرين لمصلحة دينية .

وعلى ذلك : فإنه يجوز للخطيب أن يبدأ الحديث مع أحد المستمعين كما يجوز لأحد المستمعين أن يبدأ الحديث مع الخطيب .

وذلك : إذا كان المجتمع متمسكاً بأخلاق الإسلام وآدابه كمجتمع الصحابة-رضى الله عنهم ، أما إذا لم يكن هذا المجتمع فالأولى البعد عن فتح هذا الباب ، حتى لا يؤدى إلى التشويش فى المساجد ، ومايكون وراء ذلك .

تمييز بعض الورثـة

س٤ : رجل بنى مسكناً يقيم فيه مع بناته الأربع وليس له ذرية غيرهن ، فهل يجوز له شرعاً أن يُملِّكه لهن بعقد رسمي ؟

رشدى عطية

جـ٤ : جمهور الأئمة الثلاثة ـ أبي حنيفة ومالك والشافعى ـ يجيزون ذلك بلا كراهة إن كان ذلك بسبب مشروع ، كخشية الفقر والعجز والبر بالوالد ، ويجيزون ذلك مع الكراهة إن كان بسبب غير مشروع .

والإمام أحمد يجيز ذلك بلا كراهة إن كان بسبب مشروع . ويحرمه إن كان بغير سبب مشروع .

تفسير بقلم المحرر

س ٥ : قال الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

الآيات : [المجادلة ـ ١ ، ٢]

أرجو التفسير والتوضيح .

م . محمد ـ برخيل ـ البلينا .

جـ٥ : ابتدأت السورة الكريمة ببيان قصة المجادِلة ـ خولةَ بنت ثعلبة ـ التى ظاهر منها زوجُها .. أوسُ بن الصامت ـ على عادة العرب فى الجاهلية فى تحريم الزوجة بالظهار . وقد جاءت إلى رسول الله ﷺ ، تشكو ظلم زوجها لها ، وتقول : يارسول الله : لقد أكل مالى وأفنى شبابي ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبرت سنى ، وانقطع ولدى ظاهر منى ، أي قال لها:أنت علىّ كظهر أمى ، فقال لها النبى ﷺ : ماأراك إلا وقد حرمت عليه ، فقالت : والله ماذكر طلاقاً فيقول لها الرسول مقالته السابقة فتراجع رسول الله وتجادله ، ثم تقول : إلى الله أشكو فاقتى ووحدتى ووحشتى وفراق زوجى وابن عمى ، فمازالت تراجع رسول الله وتجادله حتى نزلت عليه هذه الآية : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ﴾ ... الآيات ..

قالت عائشة رضى الله عنها : تبارك الذى وسع سمعه كل شىء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علىَّ بعضه ، وأنا وهى فى حجرة

واحدة ، سمعتها وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله قائلة : اللهم إنى أشكو إليك .. فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ، فحقاً إن الله سميع بصير بخلقه .

إن قول الرجل لزوجته ـ أنت علىَّ كظهر أمى ـ يجعلها محرمة عليه ، لاتعود إلا إذا كفَّر عن ذلك كما توضح الآيات بعد ذلك ، « فالظهار » أمر ممقوت شرعاً ، ومنكر من القول وزور ، فلا يصح أن يجعل زوجته كأُمِّهِ محرمة عليه ، وإن الله لعفو عما فرط ، غفور لمن تاب وأناب ..

وبنزول هذه الآيات بطل كون الظهار ، طلاقاً كما كان فى الجاهلية ، وإنما صار إثماً يحمله الرجل وحده لأنه منكر من القول وزور ، وعليه أن يكفر عنه ، قالت خولة : فقال لى رسول الله ﷺ :

« مُرِيهِ فليعتق رقبة ، قالت : فقلت: يارسول الله ماعنده مايَعْتِق ، قال : فليصم شهرين متتابعين ، قالت : فقلت : والله إنه لشيخ كبير ماله من صيام ، قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقا من تمر ، قالت فقلت : والله يارسول الله ماذاك عنده ، قالت فقال رسول الله ﷺ : « فإنا سنعينه بفرق من تمر » ، قالت : فقلت يارسول الله ؛ وأنا سأعينه بفرق آخر . قال : « قد أصبت وأحسنت ، فاذهبى فتصدقى عنه ثم استوصى بابن عمك خيراً » قالت : ففعلت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الاهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

*** جمهورية مصر العربية**

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا او مايعادلها .

*** باقى دول العالم .**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

سبق الإسلام

إلى منع الاستكفاف

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى

الإسلام دين أتمه الله وأكمله ، وهو الشريعة الصالحة لكل البلاد والعباد ، وهو دين العزة والكرامة ، يدعو إلى العمل وينهى عن الكسل ، وينعى على أولئك القاعدين المتواكلين الذين يستكفون الناس ، ويتخذون التسول مهنة ينزلون بها إلى أدنى مستوى من كرامة الإنسان الذى قال الله فيه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ .

قال الأستاذ الدكتور عبد المتعال الصعيدى

الاستكفاف : مصدر استكفَّ الناسَ إذا مد إليهم كفه يستعطيهم ، وهو المعروف الآن باسم الشحاذة والتسول .

والشحاذة : مصدر شحذ فى السؤال إذا ألحَّ فيه . والتسول مأخوذ من السؤال ، يقال سال سُؤالاً بمعنى سأل سؤالاً ، والسَّوَلة : الكثير السؤال .

وقد سبق الإسلام الحكومات الحديثة إلى منع الاستكفاف والتسول ، لأنه وصمة عار فى جبين كل شعب يظهر فيه ، ودليل على انحطاط أفراده وتأخرهم ، لأنه يدل على فساد نفوس فقرائهم وأغنيائهم ؛ إذ يستسهل الفقراء هذه الحرفة الدنيئة ، ويؤثرونها على العمل الذى يقيهم ذل السؤال ، وإذ يضن الأغنياء بأموالهم على إنشاء الملاجىء التى تؤوى العجزة ، ولا تحوجهم إلى مد أيديهم إليهم .

وفى الإسلام نصوص من القرآن والحديث تنهى عن الاستكفاف والتسول ، وهى النصوص التى يجب الاعتماد عليها فى أمره ، ليأخذ المسلمون بها فى حياتهم العامة والخاصة ، ويعملوا على منع ظهور هذه الحرفة الدنيئة بينهم ، بالأحكام الزاجرة ، وبإنشاء الملاجىء التى تقى عجزتهم عن ذل السؤال ، كما عمل بهذا سلفهم الصالح ؛ ولهم فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة حسنة ، لأنه سنَّ فى ذلك نظامين وقى بهما المعوزين من أصحابه ذل السؤال : أولهما : نظام المؤاخاة ، وقد سنه فى أول الإسلام للموالى الذين أسلموا فطردهم أولياؤهم ولم ينفقوا عليهم ، وللشبان الذين أسلموا فطردهم أولياؤهم ومنعوهم أموالهم ، ثم سنه بعد هذا فى أول الهجرة إلى المدينة للمهاجرين الذين منعتهم قريش أموالهم فى مكة ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ، إلى أن استغنى

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

المهاجرون ، وصارت لهم أموال تغنيهم عن مساعدة إخوانهم من الأنصار .

والثانى : نظام أهل الصفة ، وكانوا ناساً من فقراء المهاجرين لم يجدوا من العمل ما يكفيهم ذل السؤال ، فأنشأ النبى – صلى الله عليه وسلم – لهم صُفّة بالمسجد ، وهى مكان مسقوف منه ، فكانت بهذا أول ملجأ فى الإسلام ، ولعلها أول ملجأ ظهر على وجه الأرض ، وحاز الإسلام به قصب السبق فى نظام الملاجىء ! وكان أهل الصفة يمثلون فى المسجد طلبة العلم ، فكانوا الجيل الأول من طلاب العلم بالمساجد فى الإسلام ، وقد تبعتهم الأجيال بعدهم فى هذه السنة إلى جيلنا الحاضر .

ولكن الإسلام فيه نصوص أخرى ربما يفيد ظاهرها جواز الاستكفاف والتسول ، ولعل إساءة فهمها هى التى تجعل المسلمين لا يستنكفون الآن من انتشار الشحاذين والمتسولين فى بلادهم ، ولا يرون فى هذا عاراً يلحق بهم ؛ ولهذا أردت أن أدرس النصوص التى وردت فى هذا الباب ، لأحقق أمرها ، وأبين حكم الإسلام الصحيح فيها .

فأما النصوص التى وردت فى منع التسول فمنها قوله تعالى فى الآية – ٢٧٣ – من سورة البقرة : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ فالمراد لا يسألون الناس أصلاً ، لأنه قال : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ وهو ترك المسألة ، فعلم بذلك أنهم لا يسألون البتة ، ولأنه قال : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة ، فمعنى الآية أنهم لا يكون منهم سؤال حتى يقع فيه إلحاف ، فهم لا يسألون الناس إلحافاً ولا غير إلحاف ، وهذا على حد قول امرىء القيس .

على لا حبٍ لا يُهتدى بمناره

يريد نفى المنار والاهتداء به . وقد نزلت هذه الآية فى أهل الصفة مدحاً لهم ، والمدح بشىء يقتضى ذم نقيضه ، فيكون سؤال الناس مذموماً بمقتضى هذه المقابلة ، ومنها قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه » .

ومنها قوله – صلى الله عليه وسلم – : « ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله ثم منع من سأله ما لم يسأل هجراً » أى أمراً قبيحاً لا يليق ، أو سؤالاً قبيحاً أى بكلام قبيح ، والسؤال بوجه الله هو أن يسأل الناس شيئاً بالله ، فهذا الحديث يلعن السائل ، ولكنه يلعن المسئول إذا لم يعطه .

وأما النصوص التى يفيد ظاهرها جواز السؤال فمنها قوله تعالى فى الآية – ١٧٧ من سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى

المالَ على حُبِّهِ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وابنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ ﴾ .

ومنها قوله تعالى فى الآية ـ ١٩ ـ من سورة الذاريات ﴿ وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

ومنها قوله تعالى فى الآيتين ـ ٢٤ ، ٢٥ ـ من سورة المعارج ﴿ والَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِم حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

ومنها قوله تعالى فى الآية ـ ١٠ ـ من سورة الضحى ﴿ وأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ .

ومنها ما أخرجه أبو داود عن على رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « للسائل حق ولو جاء على فرس » ، وقد جاء فى الموطأ برواية زيد بن أسلم : « أعطوا السائل ولو جاء على فرس » .

ومنها ما أخرجه أبو داود والترمذى عن أم نجيد أنها قالت للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يارسول الله إن المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شيئاً أعطيه إياه . فقال لها : « إن لم تجدى إلا ظلفا محرقاً فادفعيه إليه فى يده » . وفى رواية الموطأ : « ردوا المسكين ولو بظلف محرق » . والظلف خُفُّ الشاة ، وفى كونه محرقاً مبالغة فى قلة ما يعطى .

ومنها ما أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى عن ابن مسعود أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته فى وجهه خموش أو خدوش أو كدوح » . وقيل يارسول الله : ما يغنيه ؟ قال : « خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب » .

وقد قال الخازن فى تفسير قوله تعالى فى سورة الضحى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : يعنى السائل على الباب ، يقول : لا تزجره إذا سألك ، فقد كنت فقيراً ، فإما أن تطعمه ، وإما أن ترده رداً لينا برفق . وقال إبراهيم بن أدهم : القوم السؤّال يحملون زادنا إلى الآخرة . وقال إبراهيم النخعى : السائل يريدنا إلى الآخرة ، يجىء إلى باب أحدكم فيقول : هل توجهون إلى أهليكم بشىء ؟

فالنصوص الأولى تذم الاستكفاف والتسول ، ومنها ما بالغ فى ذم السائل بالله إلى حد اللعن ، وهو الطرد من رحمة الله تعالى ، ومثل هذا يفيد حرمة السؤال . ولكن النص الأخير منها لعن المسئول الذى لا يعطى السائل بالله ما لم يسأل هُجْراً ، وهذا يفيد وجوب إعطائه مع حرمة سؤاله ، وبعضهم حمل اللعن فى هذا على الكراهة الشديدة .

والنصوص الأخيرة منها ما يفيد جواز السؤال مطلقاً ، إذْ أمرت بإعطاء السائل ولو جاء على فرس ، ومنها ما يفيد جواز السؤال عند الحاجة ، ومنعه عند الغنى ، وقد قُدِّر الغنى فيها بخمسين درهماً أو قيمتها من الذهب ؛ ومنها ما يمدح القوم السؤال لأنهم يحملون زادنا إلى الآخرة .

والحقيقة أنه لا تعارض بين النصوص الأولى والأخيرة ، لأن ذم السؤال لا يقتضى المنع من الإعطاء ؛ إذ هما فعلان مختلفان ، ويصدران من شخصين مختلفين ، والفعل الواحد من شخص واحد قد يذم ويكون صحيحاً فى آن واحد ،

كالصلاة فى الأرض المغصوبة ؛ وكذلك جواز الإعطاء لا يقتضى جواز السؤال ، لأن السائل قد يكون محتاجاً ، فيعطيه المسئول دفعاً لحاجته ، ولا يصح أن يتركه إذا كان جائعاً مثلاً ليهلك جوعاً ، وقد يعطى المسئول دفعاً لمذمة السائل أو غيره ، وهذا أيضاً مما يقتضى جواز الإعطاء ، وإن كان السؤال فى ذاته مذموماً ، وإن كان السائل غنياً عن السؤال ، لأن المسئول لا يقصد فى ذلك دفع حاجة السائل ، وإنما يقصد صون عرضه من الهجاء والذم .

والحق أنه لا شىء فى ذلك على أفراد السائلين والمسئولين إذا كان السؤال عن حاجة ، وإنما الذنب فى ذلك ذنب الجماعة أو ذنب الحكومة ، لأن الجماعة أو الحكومة هى المسئولة عن تعريض المحتاجين للسؤال ، وعن تعريض الأفراد لسؤالهم ، فهى التى يمكنها أن تنشىء الملاجىء للمحتاجين ، وهى التى يمكنها أن تجمعهم فيها بما تملكه من قوة الحكم ، وهى التى يمكنها أن تمنع التسول بما تفرضه من الزواجر .

فإذا قصرت الجماعة أو الحكومة فى ذلك فلا شىء على المحتاجين إذا تولوا دفع حاجتهم بأنفسهم ، فسألوا الناس ما يحتاجونه لدفع جوع أو عرى أو نحو ذلك من أمورهم ، ولا شىء على المسئولين إذا أجابوهم إلى ما يسألون ، بل قد يكون ذلك واجباً عليهم عند خوف هلاك السائل أو نحوه ؛ لأن تقصير الحكومة أو الجماعة فى ذلك لا يقوم عذراً للأفراد ، ولا ينجيهم من عقاب الله إذا قصروا فى دفع حاجة المحتاج .

ولم يكن على الإسلام أن يفعل أكثر من ذلك فى علاج هذه المشكلة الاجتماعية ، فقد قام بعلاجها على ما يجب فى جميع أحوالها ، فذم التسول والاستكفاف شر ذم ، ووضع نظام الإخاء ونظام الملاجىء لعلاجه بالعمل بعد علاجه بالقول ، وهذا من شأن الحكومات والجماعات ، وقد احتاط للمحتاجين إذا قصرت الحكومة أو الجماعة فى أمرهم ، فلم تنشىء لهم الملاجىء أو نحوها مما يقيهم الحاجة ويغنيهم عن السؤال ، فأمر الأفراد أن يعطوهم إذا سألوهم ، وما كان له أن ينهاهم عن إعطائهم إذا قصرت الحكومة أو الجماعة فى أمرهم .

من خير ما انشر

الدكتور / أحمد النجار

اللامبالاة والنفاق

إنه لكى نحلل الأسباب الحقيقية للتخلف فلابد أن نأخذ فى الاعتبار طبيعة المشاكل التى تعانى منها الأمة الإسلامية ونسأل عن أسباب الشكوى . إننا نشكو كمجتمع إسلامى من « اللامبالاة » وانتشار الرشوة والكسل وعدم الإخلاص فى العمل والنفاق والكذب والغش وعدم الأمانة ، كل هذه مظاهر التخلف وأعراض المرض وأسبابه .

إن التحدى الأكبر الذى يواجه الأمة الإسلامية حالياً هو تحويل العنصر البشرى من عنصر يشكل عبئاً على الاقتصاد القومى وعلى التنمية إلى عنصر دافع لعجلة التنمية . إنه يجب استخدام الدين كمنهج حياة وقانون وسلوك يومى ، وهذا بدوره لا يؤدى إلى زعزعة الأمن وتهديد الاستقرار بل يؤدى إلى النهوض والتقدم .

الدكتور / عبد الحميد الغزالى

تخلينا عن هويتنا الإسلامية

إن النظام الإسلامى نظام من وضع الخالق تبارك وتعالى أهدافه مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والعرض .. وإن التحدى الأساسى الذى نجابهه كأمة إسلامية هو أساساً فى المجال الاقتصادى ، وهذا المجال الذى تصدى له الإسلام عمليا يضمن حقيقة التقدم الذى ننشده كأبناء أمة إسلامية .

نحن فعلاً أمة متخلفة ، لا لأننا مسلمون ، ولكن لأننا تخلينا عن هويتنا الإسلامية ، بيد أن الإسلام هو التقدم بعينه ولا حل لتخلفنا إلا بالعودة إلى إسلامنا كمنهج حياة كامل وشامل وضعه الخالق الذى علم قدرات البشر .

الأستاذ / أحمد زين

بلا مشاكل

يجب أن نقف وقفة مع كاتب بدأ يكتب هذه الأيام مطالباً بتغيير نظام المواريث فى الإسلام

عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجة

ـ وهو نظام جاء به الله وأنزله فى كتابه العزيز ـ ليصبح ميراث البنت مثل ميراث الولد ولتصبح البنت ترث ثروة أبيها كلها .

وإن كانت هذه مشكلة شخصية عند هذا الكاتب إلا أننا لا يجب أن نخضع الدين لأهوائنا وأغراضنا حتى لا ينطبق علينا قول الله تعالى ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

فالتبديل والتغيير فى شرع الله مسألة غير واردة للمناقشة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

قال الدكتور السيد حسنين ، أمين المجلس الأعلى للجامعات : إن الاهتمام بالدراسات العليا سيتركز على الأطفال المعوقين واستخدام الوسائل الحديثة التى تمكنهم من التكيف مع مختلف ظروف الحياة .

كان المجلس الأعلى للجامعات فى اجتماعه الأخير قد أوصى بإنشاء معهد قومى تربوى ونفسى لتخريج كوادر عليا لرعاية الطفل المصرى .

كيف يواجه العرب الاجماع العالمى ؟

أصبح التضامن العربى ضرورة ملحة ، ومسئولية عاجلة ومباشرة على كل من يشتغل بالقضية العربية اليوم .

ليس من المعقول أن يجمع العالم على حق فلسطين فى التعبير عن رؤيتها للسلام فتخرج الأصوات العربية بغير اتفاق . ولو حدث هذا لكان خذلانا عربياً ما بعده خذلان ، إن التضامن العربى اليوم هو ـ بإذن الله ـ مستطيع أن يدفع قضية فلسطين فى طريق السلام العادل .

كلمات للأستاذ : محمود عبد المنعم مراد

انقسمت الأراء فى الحكومة الإسرائيلية انقساماً شديداً حول ما ينبغى عمله بعد أن اكتسب ياسر عرفات شعبية دولية لا يستهان بها وبعد أن غيرت أمريكا سياستها .

إن الاتجاه المخلص للسلام هو أقوى الأسلحة التى تعتمد عليها منظمة التحرير فى كسب التأييد العالمى لها . وفى نفس الوقت أثبتت الانتفاضة الفلسطينية أنها أقوى الأسلحة التى يعتمد عليها الفلسطينيون فى إقناع إسرائيل بالعدول عن العناد والصلف والاستمرار فى الاحتلال وتجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وكلا السلاحين معا ، يمكنهما بالاستمرار أن يجعلا الأمل واقعاً وقريباً فى الوصول إلى حل دام البحث عنه أربعين عاماً .

الأستاذ / عبد العزيز محمد المحامى

وسمع العالم صوت فلسطين !!

تعلقت انظار العالم كله بجنيف وأرهف آذانه لسماع صوت الشعب الفلسطينى وثورته المتصاعدة فى أرضه المحتلة ، ووقف الرئيس الفلسطينى أبو عمار يؤكد للعالم ولعقله وضميره ، أن شعبه لا يريد إلا السلام لنفسه

ـمــن خيــر مانشــر

وللجميع ، وأن شعبه لا يطلب إلا حقه فى أرضه وحقه فى تقرير مصيره ، لا يتميز ولا يقبل لأحد أن يتميز عليه ، كما تحدى قادة إسرائيل أن يأتوا تحت مظلة الأمم المتحدة وإشرافها لصنع السلام فى إطار الشرعية الدولية . وهكذا أكد أبو عمار كل المعانى التى أيدها كل الشرفاء والتى تبدت فى تزايد التأييد لقرارات المؤتمر الوطنى وتزايد الاعتراف بالدولة الفلسطينية الفتية التى أعلن قيامها .

الأستاذ / أحمد زين

بلا مشاكل

إنه ما دام الناس يحسون أنهم يريدون أن يستثمروا أموالهم حلالاً ، ومادام هناك نظام وضعه الإسلام للاستثمار يمكن أن يطبق فلماذا لا توجد قنوات كثيرة لمثل هذه الاستثمارات ؟. على أن تقنن بالطريقة التى تضمن أموال الناس .. وتحفظها .

بصمة العين أحدث أسلوب علمى لتحديد شخصية المجرمين

توصل فريق من العلماء بإحدى المؤسسات الأمريكية إلى طريقة جديدة وسريعة للتحقق من الشخصية وتحديد هوية الأشخاص الذين ترتبط أسماؤهم بقضايا الأمن والجريمة . وتعتمد الطريقة الجديدة على بصمة العين بدلاً من بصمات الأصابع فى التحقق من الشخصية باعتبار أنه لا توجد عينان متشابهتان فى كل شىء . ويتم التحقق من الشخصية بهذا الأسلوب بالتقاط صورة لشبكية العين بمجرد قيام الشخص بالنظر فى عدسة جهاز تم تصميمه لهذا الغرض ، ثم مقارنة هذه الصورة ببصمات العين المسجلة على الكمبيوتر الملحق بالجهاز ، وخلال ثانية ونصف الثانية يحدد الكمبيوتر هوية الشخص وما إذا كان مشبوهاً أم لا ، وتتميز هذه الطريقة بالدقة العالية التى تتفوق على بصمات الأصابع المستخدمة حالياً ، ولا يمكن تغييرها أو تزويرها وإلا أدى ذلك إلى تدمير أجزاء كبيرة من العين أو فقد البصر تماماً .

الأستاذ أحمد بهجت :

العلماء والأمراء

إذا فسد الرأس فسد الجسد ، وإذا صلح الرأس استقام أمر الجسد .. هذا قانون من القوانين التى تحكم المجتمعات والدول ، وهو قانون لا ينكسر أبداً وليس له استثناء .. ورأس المجتمعات هم العلماء والأمراء .

إذا عدل الأمراء وصدق العلماء تقدمت الأمة ، وإذا ظلم الأمراء وكذب العلماء بدأ انحدار الأمة .. وهو انحدار يعقبه الهلاك عادة .

والعلماء إشارة إلى أهل الفكر والعلم . كما أن الأمراء إشارة إلى أهل السياسة والإدارة ، أى أن العلم والسياسة معا هما أساس تقدم المجتمعات وهما أساس حركتها أصلاً .. ولو تصورنا العلم طاقة يمكن توجيهها ، فإن السياسة والإدارة هما الأداة التى توجه هذه الطاقة . وأى طاقة عظيمة يمكن أن تتبدد فى المجتمع ويضيع أثرها لو فسدت أداة توجيهها .

أنباء وآراء

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم فوده

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قراراً بتشكيل لجنة مراجعة وتصحيح المصاحف بالأزهر الشريف .

وتضم اللجنة ثمانية عشر عضواً من العلماء المتخصصين فى ضبط ورسم المصحف الشريف برئاسة الشيخ/ محمود حافظ برانق ، والشيخ/ محمود أمين .

الاستخفاف بالشريعة عدوان على الشعب السودانى

● حذر الصادق المهدى رئيس وزراء السودان من أن الاستخفاف بالشريعة الإسلامية ودعوة الداعين إلى طردها من التشريع السودانى . وقال المهدى فى تصريحات له : إن هذه الدعوة هى عدوان على حق الشعب السودانى وحرصه العميق على أن يستظلوا بدينهم الحنيف ويعيشوا فى كنفه . وقال المهدى : نحن نفهم إن للإسلام مبادىء عامة توجب الشورى فى الحياة السياسية ، والعدالة فى الحياة الاقتصادية والرخاء والتعاون فى الحياة الاجتماعية ، وأن الحكومة السودانية تلتزم بهذه التوجيهات .

الأزهر يحذر المسلمين من دعاة التشكيك

● حذرت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف جماهير المسلمين من مروجى الأفكار المشبوهة ، والمذاهب الهدامة ، الذين نشطوا مؤخراً فى إصدار بعض الكتب والنشرات التى تحمل الطعن والتشكيك فى عقيدة الإسلام وشرائعه .

وأكدت الأمانة أن الإدارة أبلغت الجهات المختصة لاتخاذ الإجراءات اللازمة لمصادرة بعض الكتب المشبوهة التى تم ضبطها مؤخراً ، وثبت خروجها عن تعاليم الإسلام ، وتشكيكها فى عقيدته .

●●●

● افتتحت الدورة الخامسة لمجلس مجمع الفقه الإسلامى فى الكويت يوم السبت ١ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ الموافق ١٠ من ديسمبر ١٩٨٨ م وحضر الدورة الدكتور / محمد سيد طنطاوى مفتى الديار

←

أنبـــاء وآراء

المصرية ، والدكتور/ عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

وقد ألقى أمير دولة الكويت كلمة طالب فيها العلماء والمفكرين أن تتضافر جهودهم لتعود الملامح الأصيلة للعالم الإسلامى الذى ينتظم فيه الصف وتتوحد فيه الكلمة ، وأن تسود المحبة على آثار التعصب .

● اختفى - فى ظروف غامضة - مفتى بلغاريا الذى كان مناهضاً لتغيير هوية مسلمى بلغاريا ، وعينت السلطات الشيوعية لبلغاريا بدلاً منه : منير كوشيف .

هل يعنى اختفاء مفتى بلغاريا فى هذه الظروف وتعيين آخر أنه ستكون هناك مباركة لسياسة الحكومة البلغارية فى اضطهاد المسلمين وتغيير هويتهم وتحويل أسمائهم الإسلامية إلى أخرى بلغارية ؟ .

استمرار اضطهاد مسلمى الفلبين فى حكومة كورازون أكينو .

● ذكر مسئول منظمة المسلمين لتحرير جزر (مين سوفالا) الإسلامية أن رئيسة لجنة حقوق الإنسان التابعة للكونجرس الفلبينى أكدت أن نظام (أكينو) مستمر فى اضطهاد المسلمين ، وأنه مماثل تماماً لنظام ماركوس ، وأنه يوجد بالفلبين عشر عصابات لذبح المسلمين .

● تبرع «بيت الزكاة» الكويتى بإنشاء مدينة سكنية للطلاب الوافدين ، ومسجدا و «كافيتريا» كذلك تبرعت «الهيئة الخيرية الإسلامية» بإنشاء معهد عالمى لإعداد الدعاة من أنحاء العالم الإسلامى .

والبحث جار حاليا عن قطعة أرض لإقامة هذه المبانى .

من الأراضى المقترحة قطعة أرض بجوار جامعة الأزهر بمدينة نصر .

ألف مسجد فى بريطانيا

● ذكر الكتاب الرسمى السنوى البريطانى أن هناك أكثر من ألف مسجد ومركز للعبادة خاص بالمسلمين فى مختلف أنحاء بريطانيا بما فى ذلك المركز الثقافى الإسلامى الرئيسى الواقع فى وسط لندن .. ويعتبر أهم مركز إسلامى فى العالم الغربى - كما وصفه الكتاب - وقال : إن عدد المسلمين فى بريطانيا حالياً أكثر من مليون ونصف مسلم . وأن عدد المسلمين المولودين فى بريطانيا يتزايد كل عام بالإضافة إلى تزايد أعداد البريطانيين الذين يعتنقون الإسلام .

ممثـــل البطـريـــركيـــة يطـــالب بالهيمنـــة الاسلاميـــة

● طالب السيد (إبراهيم دبور) ممثل البطريركية المقدسية بالقدس المحتلة بالهيمنة الإسلامية على المقدسات المسيحية فى فلسطين . بعد ما أثبته التاريخ من انتهاكات قام بها الصليبيون واليهود على حد سواء للمقدسات المسيحية فى القدس . بينما عاملها الحكام المسلمون بكل احترام وتقدير . جاء ذلك فى الكلمة التى ألقاها فى الندوة الدولية لحماية المقدسات الدينية فى فلسطين والتى نظمها اتحاد الفنانين العرب بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية بالقاهرة .

فهـــرس العــــدد

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « اخلاق الإيمان » — د . على الخطيب	٦٤١
بيان الإمام الاكبر — جاد الحق على جاد الحق	٦٤٢
كلمة الشيخ الشعراوى	٦٤٦
بيان العلماء	٦٤٩
تفسير سورة الفاتحة — د . محمد عبد المنعم القيعى	٦٥٠
مكانة النفس فى القرآن — د . محمود محمد رسلان	٦٥٤
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — د . رءوف شلبى	٦٥٩
ابو سفيان بن الحارث — للأستاذ / السيد حسن قرون	٦٦٥
إعداد الأمة للدفاع — لواء ا . ح . محمد جمال الدين محفوظ	٦٦٩
محاولة للاستكشاف — د . أحمد عبد الحميد غراب	٦٧٤
النبى وامته — الشيخ معوض عوض إبراهيم	٦٨١
من اعلام الأزهر — د . محمد رجب البيومى	٦٨٥
العلـوم الكونية	
الإنسان وابحاث الفضاء الكونى — د . أحمد فؤاد باشا	٦٩٢
الجراد ـ حياته ـ انتشاره — د . كارم السيد غنيم	٦٩٧
الشعر والشعراء — إشراف د . حسن جاد	
خلق المسلم — رشاد محمد يوسف	٧٠٢
احب الله — رفعت عبد الوهاب المرصفى	٧٠٣
اللغة والادب والنقد	
من ملامح المنهج العلمى — د . محمد السيد عطية بكر	٧٠٦
ديوان شعر جابر بن حُنَّىَ التغلبى — أيمن محمد على ميدان	٧١١
السمات العامة لأسلوب الرافعى — د . شلتاغ عبواد شراد	٧١٨
الفتــاوى — للأستاذ / عبد الحميد شاهين — على حــامد	٧٢٣
من روائع الماضى بمجلة الأزهر « سبق الإسلام » — إعداد / عبد الفتاح حسين الزيات	٧٢٦
من خير مانشر — عبد الفتاح السيد عبد السلام — عادل رفاعى خفاجة	٧٣٠
انباء وآراء — د . أحمد عبد الرحيم السايح — الأستاذ عبد المنعم فوده	٧٣٣
القسم الإنجليزى — إشراف د . انس النجار	
المقالة الثانية : الأستاذ / عبد الحكيم أحمد طه	٧٤٥
المقالة الأولى : د . أنس مصطفى النجار	٧٥٠

THE *LAST TA-. SHAHHUD.*

ATTAHIYYĀTU LILLĀH. AZZĀKIYĀTU LILLĀH. AṬṬAYYIBĀTU WA 'Ṣ-ṢALAWĀTU LILLĀH.
ASSALĀMU 'ALAIKA AYYUHA 'N-NABIYYU WA RAḤMATULLĀHI WA BARAKĀTUH.

ASSALĀMU 'ALAINĀ WA 'ALĀ 'IBĀDILLĀHI 'Ṣ-ṢĀLIḤĪN.
ASHHADU AN LĀ ILĀHA ILLALLĀH,
WAḤDAHŪ LĀ SHARĪKA LAH.
WA ASHHADU ANNA MUḤAMMADAN 'ABDUHŪ WA RASŪLUH.
ALLĀHUMMA ṢALLI 'ALĀ MUḤAMMAD
WA 'ALĀ ĀLI MUḤAMMAD.
KAMĀ ṢALLAITA 'ALĀ IBRĀHĪM.
WA 'ALĀ ĀLI IBRĀHĪM.
WA BĀRIK 'ALĀ MUḤAMMAD, WA 'ALĀ ĀLI MUḤAMMAD.
KAMĀ BARAKTA'ALĀ IBRĀHĪM, WA 'ALĀ ĀLI IBRĀHĪM
FI 'L-'ĀLAMĪN.
INNAKA ḤAMĪDUN MAJĪD.'

The text of the ADHĀN is as follows:

ALLĀHU AKBARU 'LLĀHU AKBAR
ALLĀHU AKBARU 'LLĀHU AKBAR'

ASHHADU AN LĀ 'ILĀHA ILLALLĀH
ASHHADU AN LĀ 'ILĀHA ILLALLĀH

ASHHADU ANNA MUḤAMMADAN RASULULLĀH
ASHHADU ANNA MUḤAMMADAN RASULULLĀH

HAYYA'ALA 'Ṣ-ṢALĀH
HAYYA'ALA 'Ṣ-ṢALĀH

HAYYA'ALA 'L-FALĀḤ
ḤAYYA'ALA 'L-FALĀḤ

ALLĀHU AKBARU 'LLĀHU AKBAR
LĀ ILĀHA ILLALLĀH

subordination and spiritual communication with the Transcendent Divine Sovereign, creates a feeling of stability, attachment and confidence; and always induces a mental promotion that cultivates love, sympathy, virtue, justice, kindness; and freedom from hatred, jealousy and animosity.

The daily timely performance of prayers indicates that on a global scale, prayers are performed by Muslims all over the earth every minute of the day and night, continuously and endlessly. Every minute diurnal and nocturnal, some Muslims somewhere are standing facing the Qiblah, bending and prostrating to Allah in absolute reverence submission and obedience. In this phenomena is the universality of Islam through prayers. The performance of the Salah for the Muslim is the life long physical and spiritual implementation of the verbal statement of the Shahadah, "There is no god save Allah, and Muhammad is the Messengerof Allah". Sa[illegible] is inherently associated with the Shahadah essentially coherent and sequential; without the Salah, the Shahadah becomes of no value. In the daily five prayers of the Fard, the Muslim performs seventeen Rakahs, thirty four prostrations, nine Tashahuds. He utters ninety four Allahu Akbar, one hundred and fifty three "praise be to Allah, The Great and the Sublime".

(Translated and arranged from the Arabic Original by:
Dr.Anas Moustafa El-Naggar)

Al-Fātiḥah, (The Opening Chapter of the Qur'ān,)

BISMI 'LLĀHI'R-RAḤMĀNI'R-RAḤĪM,

AL-ḤAMDU LI'LLĀHI RABBI'L-'ĀLAMĪN,

AR-RAḤMĀNI'R-RAḤĪM,

MĀLIKI YAWMI'D-DĪN,

IYYĀKA NA'BUDU WA IYYĀKA NASTA'ĪN,

IHDINA'Ṣ-ṢIRĀTA'L-MUSTAQĪM,

ṢIRATA'L-LADHĪNA AN'AMTA 'ALAIHIM,

GHAIRI'L-MAGHḌŪBI 'ALAIHIM,

WALA'Ḍ-ḌĀLLĪN,

ĀMĪN.'

of two Rakahs followed by a sermon.

Prayers over the Dead (Salat Al-Janazah). This type of prayer entails special recitals of "Duaa" (supplication to the dead), in the presence of the deceased after "Ghusl" and shrouding the body. The prayers do not constitute any Rakahs or Sujud.

Other categories or prayers performed in the usual manner of Ruku and Sujud are those which become due at special times, on special events. Such prayers include, prayers for Istikharah, prayers for rainfall, prayers for Tahiyat Al-Masjid, prayers after Wudu, prayers after Tawaf, prayers before departures and arrivals. All these are performed of only two Rakahs.

In Musim theism, Fard prayers were made obligatory by Divine Command on all adult Muslims reaching the age of puberty as stated in the Holy Quran. "... And estalbish regular Prayer And give regular charity and loan to Allah a beautiful loan..." (Surat Al-Muzzamil, LXXIII, 20).

Such a Divine order is emphatically repeated several times in the text of the Holy Quran. Again according to the Traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), muslim children should be trained to perform prayers from the age of seven; and punished if they neglect it at the age of ten; and by the age of puberty it should become an indispensable habit to the individual. The performance of Salah ranks as the second pillar of Islam due to its intimate vital necessity in the life of the Muslim believer. It is a concrete substantial aspect of belief that must be excuted and that cannot be recompensed under any circumstances; only the mentally sick are exempt. Due to the cardinal importance of Salah, and because of its necessity as a fundamental ingredient in the life of a Muslim; it was designated to have a specific timely daily uniform repetitive periodicity, in order to establish a continuous communication with Allah.

For a human individual to communicate in worship with the Supreme Being; that individual must be in a spiritual and physical condition of solemnity and obeisant reverence that is eligible and expedient to the situation. This necessitates purity and cleanliness of body and soul. Therefore, it is incumbent on every muslim going to Salah to be in a condition of Taharah in body, garment and place of prayer. The Adhan, the Iqamah, the facing of the Qiblah, the reading of Quran, the bowing and the prostration, the Tashahud and the final Tasslim; are all integral elements of the prayer that denote total and absolute submission of the individual to the Supreme Being. This state of physical

must be announced to declare that the time of a particular prayer has come, and to summon people for congregational prayer. This call is called the "Adhan" which is recited aloud usually from the minaret of a mosque. The regular functionary who performs this rite is called the "Muadhin". When the worshippers have assembled for prayer, the call for start and entery into prayer is announced. This is called the "Iqamah" which is similar to the Adhan without repitition in the text and with the addition of "Qad Qamat Assalah" meaning (Time to start prayers). Thus, the Adhan is the call to come for prayers, and Iqamah is the call to start prayer. The Adhan and Iqamah are specific for the obligatorv Fard prayers only.

During prayers, a Muslim is involved in an act of worship during which he communicates with Allah. It is a state calling for the utmost degree of dignity and concentration of the mind and control of the body and self. Any action inconsistent with such condition must be avoided. Some disapproved acts during prayers may be tolerated although they affect the perfection of prayers, these are called "Makruhat" (disliked actions). Other actions are utterly disapproved which invalidate the prayer. The disliked actions "Makruhat" are unnecessary movements of hands, face or body, or gesturing with hands or eyes, or nodding with head. Also, fumbling with clothes and looking at the watch. Actions which are considered as "Mubtilat" and which invalidate the prayer are speech out of the texts necessary for prayer; laughing; excessive movement; turning away from Qiblah; eating or drinking; occurance of Najasah; occurance of Hadath; uncovering of the Awrah; deliberate increase or decrease of the specific number of Rakahs for a particular prayer.

The Friday prayer (Salat Al-Jummah) is the mid day prayer on Friday. It replaces the Zuhr prayer on Friday. It is a congregational prayer consisting of two Rakahs. It must be preceeded by a sermon consisting of two parts. It must be performed in a group of at least three persons beside the Imam. The Friday prayer is an obligatory duty incumbent upon every adult male Muslim, females and minors are encouraged. The Friday prayer is considered the most meritorious and most important obligatory prayer in the whole week, and it must be performed congregationally.

Prayers of the Id (Salat Al-Id) of which there are two. The first is Id Al-Fitr after the fasting month of Ramadan, falls on the first day of the tenth month. The second is Id Al-Adha, (the feast of sacrifice) falling on the 10th day of the twelveth month of the lunar year. On the two occasions of Id, Muslims offer community congregational prayers in a slightly modified manner than the usual prayers, and in both occasions the prayers is

"Sujud", descending on the knees, hands on floor, forehead on floor. 10) The pause in Sujud to repeat three times the words "subhana Rabbiya Al-Ala" (praise be to my God the Sublime). 11) The sitting back in "julus". 12) Prostrate in Sujud a second time repeating the same words three times. 13) The final and last "julus" is done after the second Sujud for the last Rakah. 14) The recitation of the Tashahud specifically mentioning the text "Ashhadu An La Ilaha illa Allah, Wahdahu La Sharika Lah. Wa Ashhadu Anna Muhammadan Abduhu Wa Rasuluh". (I bear witness that there is no god save Allah, with no associate or partner; and I bear witness that Muhammad is His subjct and Messenger). 15) The first "Tasslim" to the right with the intention of ending the Salah, and the second "Tasslim" to the left. The verbal statement of Tasslim is "Assalamu Alaikum Wa Rahmatullahi Wa Barakatuh."

In the two Rakahs prayers, the final Tashahud is recited during the final Julus before the Tasslim. In the three and four Rakahs prayers, the middle Tashahud is recited in the middle Julus after the first two Rakahs, and the final Tashahud is recited at the end before the Tasslim.

The prayers process is quantized by the number of Rakahs. Each Rakah is considered a prayer unit, which is the act of bending forward to bring the trunk at right angles with the lower limb: and each Rakah is associated with two acts of Sujud. Each prayer is a combination of two, three, or four Rakahs. The regular daily prayers that a Muslim should perform are of two types, the "Fard" prayers and the "Sunnah" prayers. The "Fard" prayers are the obligatory prayers which must be performed. The "Sunnah" prayers are the recommended prayers which may preceed or follow the Fard. The number of Rakahs in the Fard prayers are two for Fajr prayers, four for Noon prayer, four for Zuhr prayer, four for the Asr prayer, three for Maghrib prayer, and four for Isha prayers. These are the obligatory Fard prayers which have to be performed regularly in time without failure under any circumstances. The recommended prayers are the Sunnah prayers according to the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They are associated with the Fard prayers and are performed prior to or after the Fard according to the time of prayer. These Sunnah prayers are two Rakahs before the Fajr prayer; four Rakahs before and four after the Zuhr prayer; four Rakahs before the Asr prayer; two Rakahs after the Maghrib prayer; and two before and two after the Isha prayers; finally followed by one or three Rakahs called "the watr" prayer before going to sleep.

Before each of the Fard prayers, a call for prayer

after the sun reaches the middle of the sky, and ends when the shadow of an object reaches a length equal to the height of the object itself plus the length of the shadow the object might have had at the beginning of the period. The afternoon prayers (Salat Al-Asr), the period starts at the ends of the period of the noon prayers, and continues until sunset. The sunset prayer (Salat Al-Maghrib) starts immediately after sunset, and ends when the evening twilight disappears. The Night prayer (Salat Al-Isha) starts after the disappearance of the evening twilight and continues until just before the beginning of the morning twilight. The beginning and end of each of the above periods may vary from day to day, and from one place to another. For convenience, the start of each period should be calculated in terms of hours and minutes. Muslims living in areas where the time interval between sunrise and sunst is too short or too long, usually arrange their life and activities in terms of twenty four hour days; they should arrange to perform their five daily prayers within the active hours in such a manner as to space them appropriately. It is best to follow the prayer times of the Muslims in Makkah, or the nearest country with a prayer calendar; whichever is more convenient. The term "Qada" means to fulfil a prayer obligation within its prescribed period, and the term "Qada" means to fulfil a prayer obligation after the lapse of the prescribed period. A prayer or prayers neglected until the expiry of the prescribed period must not be omitted, but must be performed as Qada prayers. When more than one prayers are to be performed as Qada, their chronological order should be observed.

The prayers process constitutes certain specific acts, movements, and recitations that are mandatory for the correct completion of the Salah. The various actions are precisely sequential; any neglect or omission of any part of the process, renders the Salah incomplete and therefore faulty and must be repeated. The sequential elements of the process of Salah are: 1) The intention to perform a certain prayer (Niyyah). 2) Standing erect (Qiyam) for those who are able; and for the unable, sitting down or lying or even moving the hand, or the eyes, or the fingers; the Qiblah must be faced. 3) The initial Takbir (Takbir of Ihram) by raising both hands to the ears, saying "Allahu Akbar" then rest both hands on the chest, the right over the left. 4) The recitation of the Al-Fatihah, (the opening sura of the Quran; followed by short verses from the Quran. 5) Make the Ruku, which is bending forward to make the palms rest on knees, and body becomes at right angle with the straight lower limbs. 6) The pause in the Ruku to repeat three times the words "subhana Rabbiya Al-Azim" (Praise be to my God the Great". 7) Resuming the erect posture "Itidal". 8) The pause in Itidal. 9) Prostrate in

In some circumstances or situations, water is not available for Taharah; or may be available but in small quantities necessary for drinking of man or animal; or the water cannot be used for medical reasons. In such circumstances and conditions, the person has to resort to Tayammum. By Tayammum is meant the use of dry dust when water is not available, for the performance of "Wudu" or "Ghusl". The procedures of Tayammum should be preceeded with "Niyyah" intention, then touching clean earth, or carpet with the palms of hands and proceeding in the same order by rubbing the skin of the parts required as in Wudu. Tayammum as a procedure is a symbol of Taharah and not Taharah itself. It is only good for one prayer only. Tayammum compensates Wudu for the minor Hadath, compensates "Ghusl" for the major Hadath; however, it does not remove the "najasah". The performance of Tayammum when circumstances dictate, is in reality self compliance and resignation to Allah's ordinance in that respect.

****

Prayers "Salah" is certainly the foremost pillar of Islam which should not be deleted or compensated for: it is the backbone of Muslim Theism, a life time practice for every Muslim from puberty to death. It is a continuous perpetual timely, daily worship. Every act of Salah starts with Takbir "Allahu Akbar" and ends with Taslim "Assalamu Alaykum". It entails the performance of certain postures of standing, kneeling, prostrating; during which specific well defined phrases are humbly recited, in a formal precise and well defined manner. Prayers according to Islamic jurisprudence is conditioned as an obligation and rite of worship; and is conditioned for correctness: and is conditioned in time of performance, and is conditioned in the act of performance. It becomes an obligation, a mandatory rite of worship for every sane, adult Muslim. The conditions for its performance are: The "Taharah" of the body, the garment and the place; freedom from "najasah"; and freedom from "minor Hadath" by Wudu, and from "major Hadath" by "Ghusl". The covering of the Awrah which is defined as the part of the body between the navel and the knees in males, and all the body of the female except the face and hands. The performance of the prayers must be at or after the onset of its time period. The performance of the Salah must be done while facing the Qiblah (the direction of the Kabah); except in wars, and sometimes in travel.

The mandatory daily prayers are five; namely : The Dawn prayer (Salat Al-Fajr), the period starts from the first twilight, and ends when the sun starts to rise. The Noon prayer (Salat Al-Zuhr), the period starts immediately

folds and hair. This "Ghusl" must be preceeded by the "niyyah" intention in the mind to remove the "major Hadath." During the "Ghusl", the right side of the body is washed first, front and back; then the left side of the body front and back.

The "minor Hadath" - (Al-Hadath Al-Asghar) results from five conditions. Sleeping: absence of consciousness due to any cause; the coming out of urine, stools, flatus, or blood; touching the skin of the opposite sex between marriageable persons; and touching the genitalia of one's self or of another person of the same or opposite sex. The removal of the "minor Hadath" is by performing ablution "Wudu". THe process of Wudu is the washing of the hands, the mouth, the nostrils· then washing the face from ear to ear, including the forehead to below the mandible; then washing the right forearm then left forearm from wrists to include the elbows: then partly or fully wetting the head; then washing both ears front and back of the ear folds; finally washing the feet including the ankles, the heels and between the toes. When a person has performed Wudu, he or she can perform prayers, perform Tawaf around the Holy Kabah, journey the distance from Safa to Marwah, touch or carry or read the Holy Quran. The performance of these religious acts is not sanctioned until Wudu is performed.

Therefore, the term "Taharah" means the purity and cleanliness of body, garments, and place of prayer. This can be achieved by the removal of the "najasah" by the use of water. The way of removing the "minor hadath" is by performing Ablution "Wudu". The way of removing the "major hadath" due to "Janabah" or other causes is by "Ghusl". The procedures necessary for both "Wudu" and "Ghusl" have to start by "intention" of performance and then proceed with the steps of washing in either case as has been described.

The condition of a Taharah as an obligatory pre-requisite to Salah; is essentially conceptualized as both physical and spiritual. The physical Taharah of the body, garment, and place is achieved by the use of water (or its substitue in case of absence) to remove a pollution concrete as najasah; or ceremonial or functional as minor or major Hadath. The spiritual taharah is achieved by the inner feeling and cultivation of values and virtues as love, sympathy, kindness, desire to serve, craving to attain repentance and remorse for mistakes, freedom from hatred, jealousy and rancour. Such spiritual purity is attained by the real understanding of muslim ethics and submission in total obedience to Allah. All lawful human activities can be considered a form of worship when they are accompanied by the intention of compliance with the Divine Command or the fulfillment of the will of Allah.

prayers. It is mandatory for the Muslim to be free from any type of pollution, and to be in a state of purity "Taharah" before performing prayers. The tool of Taharah is water, which should be clean, colourless, odourless, non-stagnant and unpolluted by any contaminant. It is therefore, essential to discuss the subject of "Taharah" before the subject of "Salah".

The conditions of "Taharah " that are required for prayers are usually categorized into three aspects. The "Taharah" of garment from the presence of "najasah". The "Taharah" from the major Hadath" . The "Taharah" from the "minor Hadath". The "najasah" is defined as dirt which may touch the body or garment or the place of prayer. Such dirt is essentially wet matter excreted from the body of man or animal; as urine, stools, blood, fluid after sexual orgasm, and vomit. Such "Najasah" must be removed before the performance of prayers. Wine and intoxicating drinks are also considered elements of Najasah, and should be washed with water from garments and from place of prayer in order to render them in a state of "Taharah". Another prerequisite of "Taharah" of the body is the "Istinja" after urination or defecation. The process of "istinja" is the effective removal of all traces of urine and excreta from the orifices of their passage by the use of paper, stone, or water, or a combination of any such materials; water being the best used for that purpose. The left hand is usually used for "istinga" must be washed well after the process.

The "major hadath" - (Al-Hadath Al-Akbar) involves the whole body and is caused by six conditions, three common to both male and female, and three are specific for female. These conditions are: The contact of male and female sexual organs, lawful or unlawful, in sexual contact, whether orgasm is attained or not. The emission of seminal fluid by male, or the attainment of orgasm by female; either in sleep or in awakeness, deliberately or indeliberately, by action leading to it or by imagination. The "major hadath" caused by these events is called "Janabah". The third condition of "Al-Hadath Al-Akbar" is death which requries special treatment of washing and preparation as a duty to be performed by the Muslims present, and not by the deceased person. The three causes for "Al-Hadath Al-Akbar" particular to females are: Menstruation, Delivery, and Pot-natal bleeding.

The removal of the "major Hadath" in all the preceeding conditions concerning both male and female, in order to to attain a state of Taharah is by "Ghusl". This is defined as the washing of every part of the body skin,

THE PILLARS OF ISLAM

"Performance of Prayers"

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hariairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah. His Angle the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection) ?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established?" Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - when the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowedge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left, and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said, "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. I, Chapter 38, The Book of Faith)

The performance of prayers "Salah" is the second pillar of Islam after the Shahadah. Due to its primal importance, it is specifically characterized by certain requirements for its practice and implementation. The execution of Salah is optimized and conditioned in time, number of performancies, and the condition of being sanctified in body during the performance of prayers. Every Muslim who has reached puberty is under the obligation to perform Salah (prayers) five times daily; namely, the morning, the noon, the afternoon, the sunset, and the night

time of Omar ibn Al-Khattab, under the leadership of Ubaydah ibn Al-Garrah, after Omar had decommissioned Khalid ibn Al-Walid from his command of Muslim troops in Syria.

Al-Muthannah ibn Haritha in Iraq remained at Al-Hirah reorganizing his plans with the remaining Muslim forces after the departure of Khalid with half the Muslim troops in Iraq. As expected by Al-Muthanna, the Persian forces mobilized in large masses to attack Al-Muthanna and his forces. The Muslim forces were about fifty miles from Al-Mada'in. Hormoz Jazawieh commander of the Persian troops attacked, leading an elephant infront of the troops. Al-Muthanna with some of his men killed the elephant, and therefore stopped the superiority of the Persians. The Muslims attacked in the strength of their faith and confidence, and the Persians were compelled to retreat into Al-Mada'in. Al-Muthanna could not risk the gamble of following the Persians into their stronghold without re-inforcements from Al-Madinah. Al-Muthanna wrote to Abu Bakre asking the permission of Abu Bakre to recruit as soldiers worriers from tribes who had apostated and came back into Islam, since many of these tribes were more than eager to gain the spoils of war. Al-Muthannah waited, but no reply came from Al-Madinah. He therefore appointed Bashir ibn Al-Khasasiah to command Muslims in Iraq, and hurried personally to Al-Madinah to convene with Abu Bakre. Al-Muthanna found Abu Bakre on his death bed. Abu Bakre, however, knowing the reason for the presence of Al-Muthannah, summoned Omar ibn Al Khattab and specifically instructed him to prepare to recruit Muslims from all over the Arab Peninsula and send them to reinforce the Muslim forces in Iraq. The capture of Al Mada'in came about later on under the command of Saad ibn Abi Waqqas in the reign of Omar ibn Al Khattab.

regressing, and behind them were the steep cliffs of Al-Waquossah; they retreated hysterically falling back in masses into the gorge. The day was over and the battle of Al-Yarmouk was finally a triumph for the Muslim forces fighting with the spirit of faith and belief. As Khalid ibn Al-Walid stood in the pavillion of the Roman command with raised Muslim banners of victory around him, he stooped and humbly looked up to the heavens above with tears in his eyes, praising Allah for His Blessings and Providence. The casualities among the Muslims were estimated to be about three thousands; and the casualities of the Romans were estimated to be approximately hundred thousands, most of them falling into the canyon.

The triumph of Muslims in the battle of Al-Yarmouk, destroyed the hopes of the Romans to remain in Syria. The Emperor of the Eastern Roman Byzantine Empire, Heraclius, on hearing of the Roman defeat at Al-Yarmouk, evacuated from Homs, and resided up north in Antakia, leaving in each big city a small contingent of Roman troops: and left the defense of each city to its inhabitants. It was clear that the Roman dominance in Syria and .the surrounding regions was shrinking. The Muslims, on the other hand, were active with triumph and victory, they were planning their next move, reorganizing their strategy, and awaiting the instructions of Abu Bakre to arrive in mail by messenger from Al-Madinah. The mail arrived carried by Mahmiyah ibn Zaniem. The messenger from Al-Madinah convened with Khalid and handed Khalid a letter with the information that Abu Bakre Al-Siddiq had died; and that Omar ibn Al-Khattab was the man in authority at Al-Madinah; and that Abi Ubaydah ibn Al-Garraah was to become supreme commander of the Muslim forces in Syria instead of Khalid ibn Al Walid.

The sequence of events as related in this treatise are according to the chronicles of Al-Tabari and his school of authors. Other schools as Al-Azddi and Al-Waqdii relate that the battle of Al-Yarmouk came after the surrender of Damascus and Agnadine. The Al-Tabari school relate that the surrender of Damascus and the battle of Agnadine was in the reign of Omar ibn Al-Khattab. The discrepancy between the two schools of chronicles is rather important and of concern in our treatise. If the surrender of Damascus and the battle of Agnadine took place before Al Yarmouk, therefore, the events must have been during the reign of Abu Bakre, and that Khalid ibn Al-Walid was very actively involved as leader of Muslim troops during these encounters; and that Abu Bakre was engineering every detail of the Syrian Crusade; till the triumph of the Muslims at Al-Yarmouk when the messenger from Al-Madinah came with the news of the death of Abu Bakre. The military events between Muslims in Palastine and Jordan took place in the

to learn much of the Roman strategy. He also had time to develop his own plans for battle. He divided the Muslim forces into battalions each of one thousand men. The middle battalions under Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, the right flank under Amre ibn Al-Aas and Sherahbil ibn Hassanah, the left flank under Yazied ibn Abi Suffyan. The braves of the army were appointed with special duties during the battle, men as Iqrima ibn Abi Jahle, Safwan ibn Ummayah, Al-Qaqaa ibn Amre, and others. The Muslim forces became fully mobilized in formation, and in fighting spirit, ready for battle. They had among them one thousand of the Prophet's companions, and one hundred from those who witnessed the battle of Badre. How can triumph escape them ? The Roman legions stood in formation also ready for battle and Bahan the Roman Commander gave his orders to attack. The Romans in masses thrusted forward and compelled the Muslims to retreat from their positions. At this stage, Iqrima ibn Abi Jahle cried out loud " Who would vow in fealty to martyrdom?", and soon about five hundred of brave Muslim horsemen including Amre the son of Iqrima gathered and stormed the advacing Romans. They did that in confident belief that Paradise was the abode of those dying in the cause of Allah. This suicide attack on the Roman advancing front ranks was supported by Divine Providence; and the attack shocked and disturbed the Roman forces, scattered their lines and stopped their advance. One Roman legion under the command of Garigah was beseiged and trapped among the Muslim forces. This Roman leader had pro-islamic sentiments, and declared his Islam on the battleground after witnessing the Muslim worriors vowing to death for their faith, to attain the ranks of martyrs and saints. He fought side by side with the Muslims against the Romans.

Soon, the battle became even and very intense, and Khalid ibn Al-Walid infront of his men leaping like a wild leopard giving his orders and managing the boiling caldron of the battle with the talent and experienced wisdom of the master of battles. The men who vowed to death stood their ground, never retreated, they were there to die for the cause of Allah. The smell of paradise was in their nostrils, they had sold themselves to the cause of their true belief. The battle continued through the day, and by the afternoon, Khalid observed that the Romans were giving way, and that their strength and force slackened and weakened, and that some of the horse mounted troops were seeking a way to escape. Khalid instructed his men to give way to these escaping Roman horsemen. The remaining numbers could not bear the brunt of battle, they collapsed, retreated and fell back infront of the Muslim worriors who fought with valour, faith, high spirit and a demand for martyrdom in the path of Allah. The Roman footmen were now

resting to eat and sleep, slaughter some camels for food, and using the water in their bellies to water the horses. On the sixth day, Rafie told the men to look for the stump of a tree between two humps of hills. The men finally found the spot which was the site of a water well. Khalid and his men and mounts rested and recuperated from the arduous experience. The army marched into Syrian territory raiding the tribes Bahra and Tadmor and travelling away from Damascus to reach the gathering of the Muslim troops at Al-Yarmouk, with the Roman legions and their allies from the tribal forces confronting them. Each force drawing the suitable strategy for the situation.

The situation was ambiguous, the Roman and tribal forces amounting to two hundred and forty thousands, and the Muslim forces amounting to fourty thousand. Each camp opposite the other, the arrival of Khalid and his troops added to the complexity of the situation in the Muslim camp; and the simultaneous arrival of Behan the capable Roman commander raised the spirits of the Romans. According to some chronicles, Khalid was not commissioned by Abu Bakre as commander of Muslim forces, each leader commanded his own men independently. According to other chronicles, Khalid was commissioned by Abu Bakre to command all Muslim troops in Syria at that time. Three weeks passed since the arrival of Khalid, the Muslim armies could not plan any real strategy without one man in command. The Roman legions were actively organizing their ranks and appeared to be preparing for active combat. These news compelled the Muslim commanders to get together and plan a unified strategy. Khalid ibn Al-Walid confronted his compansions with the weak position they were in. He informed them that they cannot confront in battle mobilized forces with dispersed troops. The Romans were fully united into one force and one mind for strategy; and the Muslims were divided into several small armies, each with its own commander; and without any mobilized total strategy for battle. Khalid baseeched his companions to unite in force and in leadership, a situation that Abu Bakre himself wished them to do. The Muslim army leaders realized that the words of Khalid were correct, and asked for his advice and opinion. Khalid declared that all Muslim armies must be united under one command; and that every one of them present would have his turn in command for one day; and that they allow him the first day of battle. All the leaders agreed knowing that it was a long term battle; and that their turn would come to command; and that the strategic skill and capability of Khalid were suitable to bear the brunt of the first day of battle.

During the weeks Khalid spent at Al-Waquossah, he came

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

The Syrian Crusade (Part II)

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

Khalid ibn Al-Walid at Al-Hirah in Iraq received the message of Abu Bakre, in which Abu Bakre orders Khalid to give his command of the Muslim forces in Iraq to Al-Muthanna ibn Harithah, and with all expediency to join the Muslim force at Al-Waquossah on Al-Yarmouk in Syria, with half his troops. The message of Abu Bakre took Khalid by surprise; he was planning to reach Al-Mada'in the Persian capital of Iraq, and to gain the pride and honour as the conquerer of Iraq. Now, he has to obey the message of Abu Bakre, and comply with his orders to go to Syria. He could return to Iraq after completion of his mission in Syria. Khalid divided the Muslim forces at Al-Hirah, and took half the troops under his command, and left Al-Muthanna ibn Harithah the other half. He ordered all elderly men, women and children back to Al-Madinah, so that they do not burden Al-Muthanna in case of Persian aggression. Khalid left Al-Hirah with half the Muslim troops; and Al-Muthanna accompanied him to the border of the desert.

Khalid had to decide what route to take to reach Al-Waquossah in the shortest possible time, also to avoid any encounter with alien tribal forces or Roman legions. Khalid consulted his men, and was informed that the only route free of the enemy was very hazardous to cross in an army formation, it would take a journey of five nights through very rough desert country without water or shade. Again Khalid consulted his men, promoting their will and courage to the challenge of the unknown; and they consented to face the danger, confident of Allah's Providence. The guide on this route was Rafie ibn Amirah Al-Tayi, who instructed the men to over water their camels to full capacity and more, to act as water tanks along the long dry route. They spent five days travelling across severely arid and bitter desert terrain, depending on Allah's mercy and confident of success. They silently and patiently followed their guide;

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART VI

Jummada Al-Akhera, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.

The Syrian Crusade (Part II).

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Pillars of Islam.

The Performance of Salah. (Prayers)

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION